

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المجلد ٢١، العدد ١

أَهْلُ الْبَيْتِ

رمضان ١٤٤٧ هـ / اذار ٢٠٢٦ م.

مجلة نصف سنوية محكمة تصدر عن جامعة أهل البيت عليه السلام

رئيس التحرير: أ.د. حميد عبد جواد محمد النجدي
مدير التحرير: أ.د. باقر جواد الزجاجي

أعضاء هيئة التحرير

- أ.د. ماجد حمزة طعمة الخزاعي / كلية العلوم الاسلامية
أ.د. حسن حنتوش رشيد الحسناوي / كلية القانون
أ.د. صادق عبد المطلب عزيز الموسوي / كلية الآداب / قسم اللغة الانكليزية
أ.د. عادل خليل مهدي الزبيدي / كلية الآداب / قسم الصحافة
أ.د. احمد صالح صاحب الخزعلي / كلية الصيدلة
أ.د. احمد شهاب حمد الجنابي / كلية التقنيات الطبية والصحية

مدقق اللغة الإنكليزية
د. عبد الكريم شريف داود

مدقق اللغة العربية
د. جعفر علي عاشور

كربلاء، شارع الحر، شارع الحر الصغير، جامعة أهل البيت عليه السلام

ص.ب: ٤٨٦، هاتف: ٩-٢٥٧٢٥٧

Karbala, Al-Hurr street, P.O.Box: 486, Tel: 07856255515

info@abu.edu.iq, www.abu.edu.iq

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد

٨٥٤ لسنة ٢٠٠٥

ISSN 1819-2033

قواعد النشر في المجلة

ترحب مجلة أهل البيت عليه السلام بمساهمات الاساتذة والكتاب والباحثين في مجالات الفكر الإسلامي، والعلوم الإنسانية والإجتماعية مع الإهتمام بقضايا المشكلات الثقافية في العالم العربي والإسلامي، والتجدد والبناء الحضاري، وكذلك قضايا الإنماء التربوي والتعليمي.

يشترط في المادة المرسلة:

أن لا تكون قد نشرت أو أرسلت للنشر في مجلات أخرى.

☑ أن تلتزم بقواعد البحث العلمي والأعراف الأكاديمية بتوثيق المصادر والمراجع، بذكر البيانات كاملة، مع تحقق الموضوعية والمنهجية والمعالجة العلمية، مع تخريج النصوص القرآنية والحديث النبوي الشريف بصورة دقيقة وكاملة.

☑ أن يراعي الباحث سلامة اللغة وحسن صياغتها.

☑ يقدم البحث من نسختين مطبوعة على الآلة الكاتبة والحاسوب ويرافقه ملخص في صفحة واحدة مع تعريف بالباحث.

☑ تخضع المادة المرسلة للنشر لمراجعة المقيمين المتخصصين.

☑ لا تعاد المواد التي ترسل إلى المجلة ولا تسترد، نشرت أم لم تنشر. ولا تلتزم المجلة بإبداء أسباب عدم

النشر.

ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي كاتبه.

توجه جميع المراسلات إلى رئيس التحرير على العنوان.

كربلاء المقدسة، شارع الحر، شارع الحر الصغير، جامعة أهل البيت عليه السلام

ص.ب: ٤٨٦، هاتف: ٣٥١٢٥٧.٩

البريد الإلكتروني: info@abu.edu.iq

الموقع الإلكتروني للمجلة: <http://abu.edu.iq/ahl-al-bayt-jurnal>

محتويات العدد

- ٧ كلمة هيئة التحرير
- ٨ امنا السيدة خديجة بنت خويلد الكبرى عليها السلام في الكتاب و السنة
أ.م. د علاء الشمري
- ٢٨ استخدام الذكاء الاصطناعي في التحقيقات الجنائية الدولية الفرص والتحديات القانونية
م.م. مبین ماجد جابر
- ٤٨ صراع القوى الاستعمارية في الخليج العربي (البرتغال وهولندا أنموذجاً)
م.م. د.علي فاروق الحيوبي
- ٧٥ ضمانات المطلقة من الطلاق التعسفي (دراسة مقارنة)
م.م. عادل سعد جهاد خليف
- ٩٢ فلسفة الحجز الاحتياطي بالتحفظ على أموال المدين (دراسة قانونية تحليلية)
أ. م. د.علي شمران الشمري
- تأريخ موجز للدراسات العربية والإسلامية في جامعة وارسو من انتهاء الحرب العالمية الثانية إلى سقوط
الحقبة الاشتراكية
١١٢ د. مارتشين غرودزكي
- ١٢٦ الإحالة في العقد الاستشاري
م. د علي حازم اهبيل
- ١٤٤ الأحكام القانونية للقرار الإداري المعاكس (دراسة مقارنة)
م.م.م. أثير حمزة حسن الشريفي
- ١٧٢ الآثار الاقتصادية والاجتماعية لمشروع طريق التنمية
ا.د. طالب حسين فارس
ا.م.د. شيماء رشيد محسين
م.م.م. مروه حسن هادي
- ١٩٤ حرية التعبير عن الرأي لأعضاء السلطة التشريعية في العراق
م. بان صاحب عبد المنعم

- ٢٢٣ شعر فرج الخطاب (دراسة تأويلية)
م.د. زهراء عبد الحميد غالي زغير
م.م. حنان مرزوك شدهان
- ٢٤٧ دور سعر الصرف في تعزيز القدرة التنافسية السياحية في ايران للمدة ٢٠١١-٢٠٢١
أ.د. عمار محمود حميد الربيعي
امير خضير عباس علي
- ٢٦٩ التكييف القانوني للمشاركة المتناقصة
محمد حسين علي
- ٢٩٥ الاستثمار الأجنبي المباشر وتأثيره على الفقر والبطالة في العراق للمدة (٢٠١٣-٢٠٢٣)
أ.م.د. عباس فاضل رسن التميمي
- ٣٢٠ النسق السياسي المضمهر في شعر الناشئ الصغير (ت٣٦٦هـ)
م. د مصطفى طارق عبد الأمير الشبلي
- ٣٣٣ تحليل توجهات المستثمرين في سوق العراق للأوراق المالية قبل وبعد كوفيد-١٩
هيام حسن هادي الموسوي
أ.م.د. نور صباح حميد الدهان
- دور التسويق الإلكتروني عبر وسائل التواصل الاجتماعي في سلوك المستهلك - دراسة شركة زين
للاتصالات - بغداد
عمر رشيد برع
رسل توفيق عبدالجبار
- ٣٨٨ التطبيق الوطني لاتفاقية رامسار للأراضي الرطبة (العراق أنموذجاً)
أ.م.د. أسامة صبري محمد
م. سؤدد طه جدوع
- اثر التسويق الاجتماعي على رضا الضيف " دراسة تحليلية لعدد من السياح في الشركات السياحية في
مدينة النجف الاشرف "
م.م. رسول مصطفى علي
- ٤١٥ دور التدقيق الرشيق في تعزيز جودة التقارير المالية
م.م. علي مرزه العيساوي
- الإبداع التسويقي في صناعة السياحة (دراسة ميدانية لعينة من شركات السفر والسياحة العراقية)
م.م. احمد مكي محمود

- ٤٥٢ صناعة العطور واهميتها في مصر الفاطمية
أ. م. د فاتن كامل شاهين
- ٤٦٤ السياسة الاعلامية ودورها في إدارة الأزمات الأمنية في الشرق الأوسط
م. بلسم عبد الحسين لعيبي
- ٤٧٧ كربلاء المقدسة
م. د. وسام حصن جواد
- ٥١٠ اللغة الشعرية في القصائد السبع العلويات لابن ابي الحديد ت (١٠٥٦هـ)
م. د. بشار لطيف جواد

محتويات القسم الانجليزي

- 7..... استخدام متعلمي اللغة الإنجليزية كلغة أجنبية العراقيين للنفي الصرفي والنحوي"
م. عادل حسين جوده
- 21 العلاقة بين علم اللغة وعملية تعليم اللغة الإنجليزية
فاخر محي محمود
- أثر استخدام القصة القصيرة في تطوير مهارة الكتابة لدى متعلمي اللغة الإنجليزية كلغة أجنبية في العراق:
28 دراسة في ضوء الفروق بين الجنسين
منتظر سالم المزين
- 34 البينية والتهجين الثقافي وأزمة الهوية في أعمال كامو وبدر: دراسة مقارنة
ازهر محمد حسن محمود
- تقييم تدريس نطق اللغة الإنجليزية في مدارس العراق الثانوية كلغة أجنبية من وجهة نظر معلمي المدارس
46 الثانوية
اسعد عبد المحسن عبد الوهاب

كلمة هيئة التحرير

التعليم في عصر الذكاء الاصطناعي

لم يعد المعلم هو المصدر الوحيد للمعرفة العلمية، بل هناك وسائل جديدة تتيح للطلاب الاستغناء عن المعلم كمصدر للتلقي. فمع وجود الإنترنت والحواسيب المتطورة والذكاء الاصطناعي، أصبح دور المعلم ثانويًا في المسيرة التعليمية، إلا إذا استطاع أن يُعَيِّر من أساليبه ويقلب دوره من مجرد ناقل للمعلومات إلى مشرف في الدرس، ويُحوّل الدرس من غرفة للتلقي إلى ندوة فكرية يناقش فيها الآراء والمشاريع مع طلبته، مستخدمًا الذكاء الاصطناعي مع تحضيرات الطالب في مجال درسه. وبذلك، سيتحول الطالب من متلقي للمادة إلى مشارك ومناقش لهذه المادة، وبهذه الطريقة نستطيع أن نربي مهارات الطالب وننشط ذكائه الفطري بالتعاون مع الذكاء الاصطناعي.

يستطيع المعلم، بدلاً من سرد الموضوعات العلمية المطلوبة، أن يطرح سؤالاً خلال الدرس أو مشكلة قابلة للحل والبحث في إجاباتها، ويطلب من طلبته التفكير لحل هذه المشكلة، أو يدعو طلبته إلى التفكير في مشاريع تتعلق بموضوع المادة العلمية وتحويل قاعة الدرس إلى مكان لمناقشة هذه المشاريع. وبهذه الطريقة، نستطيع أن نخلق لدى الطلبة التعلم الذاتي (KWL) الذي يُحوّل الطالب إلى مُؤلِّد للمعرفة والابتكار بدل أن يكون أداةً للتلقي. وبهذه الكيفية تتحول جامعاتنا إلى مراكز للبحث والابتكار، ونصبح من الطالب مشاركًا في صناعة المعرفة بدل الاعتماد على الصندوق المغلق المتمثل بالمنهاج الجامعي التراتبي.

امنا السيدة خديجة بنت خويلد الكبرى عليها السلام في الكتاب و السنة
Our Lady Khadijah bint Khuwaylid
(peace be upon her) in the Qur'an and the Sunnah

أ.م. د علاء الشمري ⁽¹⁾

Asst. Prof. Alaa Al-Shammary (PhD)

الملخص

تضمن البحث تسليط الضوء على حياة السيدة العظيمة أمنا خديجة بنت خويلد الكبرى ، و أنها مفخرة المعصومين عليهم السلام و الأشراف ، و ذكر مميزات و مآثرها و تضحياتها و ما قدمته للإسلام و المسلمين ، مادياً و معنوياً، فلولاها ما قام للإسلام عمود و لا اخضر له عود ، و يمكن للمحقق و الباحث أن يجد طي حياتها المقدسة برامج توعوية و تنمية متعددة ترشد للإصلاح و الخير و البر ووجوه المعروف و محاربة الفساد ، ضاق المبحث عن سردها جميعاً.

الكلمات المفتاحية: خديجة، أمنا، محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، علي عليه السلام ، طن، الذهب، القديسة

Abstract

The research included shedding light on the life of the great lady, our mother Khadija bint Khuwaylid al-Kubra, peace be upon her, and that she is the pride of the infallible ones, peace be upon them, and the nobles, and mentioning her characteristics, deeds, sacrifices, and what she provided to Islam and Muslims, materially and morally, for without her, Islam would not have stood a pillar nor would its branch have become green, and the investigator and researcher can find within her holy life multiple awareness

and development programs that guide to reform, goodness, righteousness, and the aspects of goodness and fighting corruption, the research was too narrow to list them all. We relied on various sources from the Imamis and the public in investigating the facts and information, such as Sahih al-Bukhari and Muslim, and from the Imamis such as al-Kafi and al-Bahr and others. The research was divided into two studies and three demands for the first and two demands in the second research.

Keywords: Khadijah, Our Mother, Muhammad, Ali, ton, gold, the Saint

المقدمة

كثير من النساء مجهولات القدر و التقييم و كثير من المسلمات المؤمنات كذلك، و بالأخص السيدات الشريفات النجيبات العفيفات اللاتي كانت لهنّ مواقف عظيمة في حياتهنّ و في التاريخ، و كان لهنّ تأثير واضح في المجتمعات التي عشنها، و أخص في هذا المبحث المختصر أمهات المؤمنين القديسات اللاتي لم يذكرهن الكثير من المحققين و الكتاب و اصحاب البيان، على الأخص التي كملت من نساء العالمين سيدتنا و مولاتنا و أمنا خديجة بنت خويلد الكبرى ، التي سبقت الى المكرمات و الفواضل و الحسنات بما لا مزيد عليه، من أجل ذلك كان هذا البحث في مباحث ثلاثة و عدة مطالب، المبحث الأول: في بيان معاني مفردات الموضوع و بعض من معالم حياة المرأة قبل الاسلام وفيه مطلبان: الأول بيان المعنى اللغوي و الاصطلاحي لمفردات الموضوع، و المطلب الثاني: المرأة قبل الاسلام، و المبحث الثاني: السيدة خديجة في الكتاب و السنة، في مطلبين ، الأول: السيدة خديجة في القرآن الكريم، و المطلب الثاني: السيدة خديجة في السنة المطهرة، و المبحث الثالث: مصابيح مضيئة، في مطلبين، الأول: عدم وفرة الأحاديث عنها و المطلب الثاني: حجم الثروة التي أنفقتها على نشر و حماية الاسلام العظيم، مستقيماً من حياتها معاني التضحية و الإيثار و الزهد و العبادة و تحليل بعض المواقف التي تناوّلها القلم، مما لم يسלט عليها الضوء، و التي هي مثار الانتباه والاهتمام و الدرس و التتبع لدى المتأمل، و حري أن تكون مثلاً لكل من يرنو الى العلى و المعالي و مهمات الأمور.

اعتمدنا مصادر متنوعة من الامامية و الجمهور في استقصاء الحقائق و المعلومات ، من مثل صحيح البخاري و مسلم و من الامامية مثل الكافي و البحار وغيرها.

المبحث الأول: بيان مفردات الموضوع و بعض من معالم حياة المرأة قبل الاسلام

لا بد من بيان المقصود و شيء من حياة المرأة قبل الإسلام للوقوف على الصورة العامة التي ينبغي معرفتها عن المرأة في الجاهلية قبل التطلع لمعرفة مقام السيدة العظيمة أمنا خديجة بنت خويلد الكبرى.

المطلب الأول: بيان معاني مفردات الموضوع

أمنا خديجة بنت خويلد الكبرى في الكتاب و السنة

لغة

أُمْنَا: (أُمٌّ) وَأَمَّا الْأَهْمَزَةُ وَالْمِيمُ فَأَصْلٌ وَاحِدٌ، يَتَفَرَّعُ مِنْهُ أَرْبَعَةُ أَبْوَابٍ، وَهِيَ الْأَصْلُ وَالْمَرْجِعُ وَالْجَمَاعَةُ وَالِدَيْنِ، وَهَذِهِ الْأَرْبَعَةُ مُتَقَارِبَةٌ، وَبَعْدَ ذَلِكَ أَصُولٌ ثَلَاثَةٌ، وَهِيَ الْقَامَةُ وَالْحَيْنُ وَالْقَصْدُ، قَالَ الْحَلِيلُ: الْأُمُّ: الْوَاحِدُ، وَالْجَمْعُ أُمَّهَاتٌ، وَرَبَّمَا قَالُوا: أُمٌّ وَأُمَّاتٌ^(٢). وَأُمُّ الشَّيْءِ: أَصْلُهُ، وَالْأُمُّ وَالْأُمَّةُ: الْوَالِدَةُ^(٣).

خديجة: (خَدَج) الْحَاءُ وَالذَّالُ وَالْجِيمُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى التُّفْصَانِ. يُقَالُ خَدَجَتِ النَّاقَةُ، إِذَا أَلْقَتْ وَلَدَهَا قَبْلَ النَّجَاحِ^(٤). خَدَجَتِ النَّاقَةُ تَخْدِجُ خِدَاجًا، فَهِيَ خَادِجٌ وَالْوَلَدُ خَدِيجٌ، إِذَا أَلْقَتْ وَلَدَهَا قَبْلَ تَمَامِ الْأَيَامِ، وَإِنْ كَانَ تَامَ الْخَلْقُ^(٥).

خويلد: (خَلَد) الْحَاءُ وَاللَّامُ وَالذَّالُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى الثَّبَاتِ وَالْمُلَازِمَةِ، فَيُقَالُ: خَلَدَ: أَقَامَ، وَأَخْلَدَ أَيْضًا. وَمِنْهُ جَنَّةُ الْخُلْدِ^(٦). و خويلد مصغر خالد.

الكبرى: (كَبِرَ) الْكَافُ وَالْبَاءُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى خِلَافِ الصَّغَرِ. يُقَالُ: هُوَ كَبِيرٌ، وَكُبَارٌ، وَكُبَّارٌ، فَأَمَّا الْكُبْرُ بِضَمِّ الْكَافِ فَهُوَ الْفُعْدُ. يُقَالُ: الْوَلَاءُ لِلْكَبْرِ يُرَادُ بِهِ أَقْعَدُ الْقَوْمِ فِي النَّسَبِ، وَهُوَ الْأَقْرَبُ إِلَى الْأَبِ الْأَكْبَرِ. وَيُقَالُ: وَرِثُوا الْمَجْدَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ، أَيْ كَبِيرًا عَنْ كَبِيرٍ فِي الشَّرَفِ وَالْعِزِّ. وَيُقَالُ: أَكْبَرْتُ الشَّيْءَ: اسْتَعْظَمْتَهُ^(٧).

اصطلاحاً

أُمْنَا: من تزوجها رسول الله فهي أم المؤمنين^(٨)

خديجة: هي خديجة بنت خويلد الكبرى، (٨ ق هـ - ٨ ق هـ / ٥٥٥ م - ١٩ م)، زوج رسول الله محمد ، البكر، أول زوجاته^(٩)، وأول من اسلم من الناس، تزوجها في مكة المكرمة ولم يتزوج معها حياتها أخرى،

٢ - القزويني، الرازي، أحمد بن فارس بن زكرياء، (ت: ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، ١/٢١١.

٣ - ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، الأنصاري الرويفعي الإفريقي، (ت: ٧١١هـ)، لسان العرب، ١٢/٣٨.

٤ - مقاييس، ٢/٦٤. مصدر سابق.

٥ - الجوهري، إسماعيل بن حماد الفارابي، (ت: ٣٩٣هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ١/٣٠٨.

٦ - مقاييس، ٢/٢٠٧، مصدر سابق.

٧ - ن. م، ٥/١٥٣.

٨ - اجمعت المصادر الدينية على أن من تزوجها رسول الله ﷺ فهي تلقب ب(أم المؤمنين)، و لها أحكام شرعية خاصة بما. البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، (ت: ٤٥٨هـ)، سنن البيهقي، كتاب النكاح. باب ما خص به من أن أزواجه أمهات المؤمنين (٧/٧٠).

٩ - الطبرسي، الفضل بن حسن، (ت: ٥٤٨هـ)، إعلام الوري، ص ١٣٩. الإربلي، علي بن عيسى، (ت: ٦٩٣هـ)، كشف

الغمة في معرفة الأئمة، ١/ ٥١٠. المجلسي، محمد باقر، (ت: ١١١١هـ)، بحار الأنوار، ٢٢/١٩١.

وانجبت له ثلاثة ذكور و أربع إناث، هم القاسم و الطاهر و الطيب وزينب الكبرى والوسطى و الصغرى و فاطمة الزهراء: (١٠) وكانت مخطوبة الملوك و الوجهاء و الأشراف لكنها رفضتهم جميعا. (١١)

خويلد: خويلد بن أسد (ت: ٥٨٤م)، هو والد أم المؤمنين خديجة بنت خويلد ، وجد فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين من جهة أمها. وأمه: زهرة بنت عمرو بن خنثر، وكان خويلد من سادة قريش ومن أثرياء مكة، وكان أيضاً من أشرف قريش وفرسانهم ، يكنى (آبي الخسف)، وتوفي في حرب الفجار أو قبلها، من أبنائه : عدي، والعوام، وحزام، ونوفل، وبناته هم: خديجة ، وهالة. (١٢)

الكبرى: لقب ذكره ولقبها به اولادها المعصومون للدلالة على عظمتها. (١٣)

المطلب الثاني : المرأة قبل الاسلام

ليس للمرأة قبل الاسلام مكانة تذكر، فقد كانت مهانة أشد أنواع الاهانة ، في جميع أنواع المجتمعات خلا المجتمع الذي تمسك بدين ابراهيم خليل الله ، وهم أقل من القليل، فكانت المرأة تعامل كسلعة تباع و تشتري و تهدى و يتصرف في خصوصياتها ، و تعذب و تحرم من حقوقها و تسجن و تقتل لأتفه الأسباب، وتدفن حية يوم ولادتها و اذا مات زوجها تدفن معه وهي حية، و الى عهد قريب (١٤)، بل و تقدم كطعام للضيوف فتؤكل كما تؤكل الحيوانات ، و بكلمة كانت لا تساوي شيئاً الا بما يراه الرجال لها.

ف عند العرب ، حُرمت من الميراث و اضطهدت و ضُربت و سُجنت و قُتلت و أُكلت، قال شاعر يذكر أكل لحوم البشر في بني أسد:

١٠ - ابن كثير، إسماعيل بن عمر، (ت: ١٣٧٣م)، البداية والنهاية، ٢٩٣/٥. الفسوي، يعقوب بن سفيان، (ت: ٢٧٧ هـ)، المعرفة والتاريخ، ٣/ ٢٦٧. المسعودي، علي بن الحسين، (ت: ٣٤٦ هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ٢/ ٢٨٢.

١١ - بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ١٦ / ٦٨. (مصدر سابق).

١٢ - ابن ابي الحديد المعتزلي، عبد الحميد بن هبة الله، (ت: ٦٥٦ هـ . ١٢٥٨ م)، شرح نصح البلاغة لابن أبي الحديد، ٢٠ / ١٤٩. ابن ماكولا، علي بن هبة الله بن جعفر، (ت: ٤٧٥ هـ)، أكمال الكمال في رفع الارتباب عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، ٢/ ٢٤.

١٣ - بيضون، لييب، (معاصر)، موسوعة كربلاء، ٢/ ٤٩٥. الخوارزمي، الموفق بن أحمد، (ت: ٥٦٨ هـ)، مقتل الحسين عليه السلام، ٢ / ٧٦.

١٤ - Commission of Sati (Prevention) Act, 1987 . نسخة محفوظة ٢٥ أكتوبر ٢٠٠٩ على موقع واي باك مشين.. Official text of the Act on Government of India's National Resource Centre for Women (NCRW) Website نسخة محفوظة ٢٥ أكتوبر ٢٠٠٩ على موقع واي باك مشين. (ترجمته) يعرف (سني) حسب القانون الهندي الذي صدر لمنعه عام ١٩٨٧ على أنه: الحرق أو الدفن حيا لأي أرملة مع جثة زوجها المتوفى أو أي قريب آخر مع أي شيء متعلق به؛ أو أي امرأة مع جثة قريب بغض النظر عن إدعاء أن الحرق أو الدفن بموافقة من الأرملة أو المرأة.

عدم نساء بعد رملة فائد بني فقفس تأتيكم بأمان

وباتت عروسا ثم أصبح لحمها جلا في قدور بينكم وجفان^(١٥)

وفي بلاد فارس كان الفرس يقولون: إن المرأة من حقوق الرجل، فله قتلها متى شاء، ومتى بدا له ذلك، ولا حظ لها في التعليم، ولا يجوز لها الخروج من البيت، وهي عرض من العروض تباع وتشتري^(١٦). وعند الرومان لم تختلف الأمور، فعانت المرأة ما عانت في باقي الحضارات التي ظلمت المرأة كثيرا^(١٧). لكن لما جاء نور الاسلام لم يجرمها من أي حق صغيراً كان أو كبيراً، فلها جميع الحقوق و عليها جميع الواجبات، بما يخصها كأنتي، فهي في خصوص نفسها لها حرية المأكل و الملبس و المشرب و الإقامة و السفر و الحضر و الكلام و السكوت و المعتقد و أن تحب ما تريد و تكره كما تشاء بلا أي مانع. و كذلك في خصوص علاقتها مع الآخرين فتعيش أينما تشاء و تتزوج من تشاء و تنفصل عن من تشاء و تتكفل من تشاء و تباع و تشتري و لها جميع المعاملات السوقية و التجارية كيفما تحب. و في خصوص علاقتها مع خالقها فهي من تختار ذلك و شكل العلاقة و طبيعتها متعلق بها، حتى اذا أشركت أو الحدت، فهذا أمر متروك لها، لا تفسر على شيء منه.

نعم فانه عليها كما على الرجل ملاحظة النفس و الأغيرات ضمن ضوابط المفسدة و المصلحة المعروفتين، فلا يحق لها قتل الاخرين و لا سرقتهن و لا الحاق الاذى بهم، كما لا يحق للرجل ذلك أيضاً. فلم يجعل الله سبحانه و تعالى ميزان الكرامة لكون الإنسان رجلاً أو امرأة "بل الميزان الوحيد هو ميزان التقوى، لا يختلف في ذلك الرجل و المرأة، فالفرد الأتقى هو الأكرم عند الله تعالى سواء كان رجلاً أو امرأة"^(١٨).

المبحث الثاني: السيدة خديجة بنت خويلد الكبرى في الكتاب و السنة المطهرة

المتبع للنصوص القرآنية و الحديثية، يجد أن امنا خديجة بنت خويلد الكبرى قد ذكرت ممدوحة، مرراً لا مرة واحدة، ذلك لعظم مقامها و شريف منزلتها عند الله سبحانه و تعالى و عند رسوله ، و عند المؤمنين العارفين بحقها عليهم ، فهنا مطلبان.

١٥ - الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناي بالولاء، الليثي، (ت: ٣٥٥هـ)، كتاب البخل، ١/٣٠٢.

١٦ - الجلاي، عبد الله بن حمد الجلاي، دروس الشيخ عبد الله الجلاي، مصادر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، <http://www.islamweb.net> [الكتاب مرقم آيا، ورقم الجزء هو رقم الدرس - ٦١ درسا] ٦١/٧.

١٧ - عبد الباسط محمد حسن، مكانة المرأة في التشريع الاسلامي، ص٤٣.

١٨ - مكانة المرأة ودورها، ص٧، الناشر: جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، بتاريخ ١٢/٢٠١٤، الكاتب مركز المعارف للتأليف

والتحقيق، سلسلة المعارف الاسلامية، (موقع).

المطلب الاول : امنا خديجة في القرآن الكريم

ورد ذكر أمنا خديجة بنت خويلد الكبرى في القرآن الكريم لا بالتصريح بل بما هو أبلغ منه في مواطن كثيرة، غير تلك الآيات التي تعنيها بالتأويل، فانه تذكر بعد التفسير، منها :

١- قال سبحانه و تعالى : ﴿ النَّبِيُّ أَوْلىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ۗ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴾ (١٩).

ومعلوم أن أولى زوجات سيد الخلائق محمد و أفضلهن، هي خديجة بنت خويلد

٢- قال عز وجل : ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ (٢٠).

قال رسول الله لجبرئيل (﴿ مِنْ أَزْوَاجِنَا ﴾)، قال: خديجة، قال: ﴿ وَذُرِّيَّاتِنَا ﴾، قال: فاطمة، قال: ﴿ قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾، قال: الحسن و الحسين، قال: ﴿ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾، قال: علي بن أبي طالب "صلوات الله عليهم أجمعين صلاة باقية إلى يوم الدين" (٢١).

٣- قال جل و علا: ﴿ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرُوا لِذَنبِكُمْ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ (٢٢).

نقل السيد الاسترآبادي عن محمد الحلبي عن أبي عبد الله - في حديث - : (وقوله عز وجل: ﴿ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرُوا لِذَنبِكُمْ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾)، وهم علي وأصحابه ﴿ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ وهن خديجة وصويحباتها) (٢٣).

٤- قال سبحانه و تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (٢٤).

١٩ - الأحزاب/ ٦.

٢٠ - الفرقان/ ٧٤.

٢١ - البحراني، هاشم بن سليمان بن إسماعيل الحسيني البحراني، (ت: ١١٠٧هـ)، البرهان في تفسير القرآن، ١٥٦/٤، ٩٩-

٧٨٥٩ / [٧]. الحاكم الحسكاني، شواهد التنزيل، ٥٣٩/١. تأويل الآيات، (مصدر سابق)، تفسير فرات ص ٢٩٤-٢٩٥، (مصدر سابق).

٢٢ - محمد/ ١٩.

٢٣ - الاسترآبادي، علي الحسيني النجفي، (ت: ٩٦٥هـ)، تأويل الآيات، ٥٨٥/٢ - ٥٨٦. الحسكاني، شواهد التنزيل. (مصدر

سابق)

٢٤ - آل عمران/ ٣٣.

روى فرات الكوفي عن أبي مسلم الخولاني، (قال: دخل النبي على فاطمة الزهراء وعائشة وهما يفتخران، وقد احمرّت وجوههما، فسألهما عن خبرهما، فأخبرتهما، فقال النبي: يا عائشة، أو ما علمت أنّ الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران وعلياً والحسن والحسين وحمة وجعفر وفاطمة وخديجة على العالمين) (٢٥).

٥- قال عزّ من قائل: ﴿وَيَبْنِيَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كَلًّا بِسِيمَاهُمَا﴾ (٢٦).

نقل الحسن بن سليمان الحلبي عن بشر بن حبيب، عن أبي عبد الله (أنه سئل عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَيَبْنِيَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾، قال: سور بين الجنة والنار، قائم عليه محمد، وعليّ والحسن والحسين وفاطمة وخديجة، فينادون: أين محبونا، أين شيعتنا، فيقبلون إليهم، فيعرفونهم بأسمائهم وأسماء آبائهم، وذلك قوله الله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ كَلًّا بِسِيمَاهُمَا﴾، فيأخذون بأيديهم، فيجوزون بهم الصراط ويدخلونهم الجنة) (٢٧).

٦- قال سبحانه و تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ * وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ * وَلَا الظِّلُّ وَلَا الحُرُورُ * وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ (٢٨).

نقل ابن شهر آشوب عن مالك بن أنس بإسناده عن ابن عباس، (في قوله: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى﴾ أبو جهل، ﴿وَالْبَصِيرُ﴾ أمير المؤمنين، ﴿وَالظُّلُمَاتُ﴾ أبو جهل، ﴿وَالنُّورُ﴾ أمير المؤمنين، ﴿وَالظِّلُّ﴾ يعني ظلّ أمير المؤمنين في الجنة، ﴿وَالحُرُورُ﴾ يعني جهنم، ثمّ جمعهم جميعاً فقال: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ﴾ عليّ وحمة وجعفر والحسن والحسين وفاطمة وخديجة، ﴿وَالأَمْوَاتُ﴾ كفار مكة. (٢٩)

وروى الحاكم الحسكاني بإسناده عن ابن عباس، (في قول الله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى﴾ قال: أبو جهل ابن هشام، ﴿وَالْبَصِيرُ﴾ قال: عليّ بن أبي طالب، ثمّ قال: ﴿وَالظُّلُمَاتُ﴾ يعني أبو جهل المظلم قلبه بالشرك، ﴿وَالنُّورُ﴾ يعني قلب علي المملوء من النور، ثمّ قال: ﴿وَالظِّلُّ﴾ يعني بذلك

٢٥ - الكوفي، فرات، (ت: ٣٠٧هـ)، تفسير فرات، ص ٨٠.

٢٦ - الأعراف/ ٤٦.

٢٧ - الحلبي، حسن بن سليمان، (القرن التاسع)، مختصر بصائر الدرجات، ص ٥٣. ومثله نقل الاسترآبادي عن الشيخ الطوسي بإسناده، تأويل الآيات، ١/ ١٧٦، (مصدر سابق).

٢٨ - فاطر/ ١٩-٢٢.

٢٩ - ابن شهر آشوب، محمد بن علي بن شهر آشوب بن أبي نصر بن أبي حبيش السروي المازندراني، (ت: ٥٨٨ هـ)، مناقب

آل أبي طالب، ٢/ ٢٧٨. ونقله الاسترآبادي من طريق الجمهور، تأويل الآيات، ٢/ ٤٨٠، (مصدر سابق).

مستقرّ عليّ في الجنة، ﴿وَلَا الْحُرُوءُ﴾ يعني به مستقرّ أبي جهل في جهنّم، ثمّ جمعهم فقال: ﴿وما يستوي الأحياء﴾ عليّ وحمزة وجعفر وحسن وحسين وفاطمة وخديجة ﴿وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ كفّار مكّة (٣٠).

٧- ﴿وَمَزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ (٣١).

نقل محمد بن العباس بالإسناد عن أبي جعفر، عن أبيه عليّ بن الحسين، عن جابر بن عبد الله (رضي الله عنه)، عن النبي، قال: (قوله تعالى ﴿وَمَزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾ قال: هو أشرف شراب في الجنة، يشربه محمد وآل محمد، وهم المقربون السابقون، رسول الله، وعليّ بن أبي طالب والأئمة وفاطمة وخديجة) (٣٢).

وفي تفسير القمي: ﴿وَمَزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾، وهو مصدر سنمه إذا رفعه، لأنّه أرفع شراب أهل الجنة، أو لأنّه يأتيهم من فوق، قال: أشرف شراب أهل الجنة يأتيهم في عالي تسنيم، وهي عين يشرب بها المقربون، والمقربون آل محمد، يقول الله: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ (٣٣)، رسول الله، وخديجة وعليّ بن أبي طالب، وذريّاتهم تلحق بهم، يقول الله: ﴿الْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾، والمقربون يشربون من تسنيم بحتاً صرفاً، وسائر المؤمنين ممزوجاً. (٣٤)

٨- قال سبحانه و تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى * وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى * وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ (٣٥).

روى الشيخ الصدوق بالإسناد عن ابن عباس قال: سألته عن قول الله: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾، قال: إنّما سُمّي يتيماً لأنّه لم يكن له نظير علي وجه الأرض من الأولين والآخرين، فقال الله عزّ وجلّ - ممثلاً عليه نعمة - : ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا﴾، أي وحيداً لا نظير لك ﴿فَآوَى﴾ إليك الناس، وعزّفهم فضلك حتّى عرفوك، ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا﴾، يقول منسوباً عند قومك إلى الضلالة، فهداهم بمعرفتك، ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا﴾، يقول: فقيراً عند قومك يقولون: لا مال لك، فأغناك الله بمال خديجة، ثمّ زادك من فضله فجعل دعاءك مستجاباً حتّى لو دعوت على حجر أن يجعله الله لك ذهباً لنقل عينه إلى مرادك، وأتاك بالطعام

٣٠ - الحاكم الحسكاني، عبيد الله بن أحمد المعروف الهذلي الحنفي النيسابوري، (ت: ٤٨١هـ)، شواهد التنزيل لقواعد التفضيل

في الآيات النازلة في أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم، ١٥٤/٢.

٣١ - المطففين/ ٢٧-٢٨.

٣٢ - تأويل الآيات ٢ / ٧٧٧-٧٧٨، (مصدر سابق). وروى مثله الحاكم الحسكانيّ بإسناده عن الباقر عليه السلام، شواهد

التنزيل ٢ / ٤٢٥، (مصدر سابق).

٣٣ - الواقعة/ ١٠.

٣٤ - القمي، علي بن ابراهيم، (ت: ٣٢٩هـ)، تفسير القمي ٢ / ٤١١-٤١٢.

٣٥ - الانشراح/ ٦-٨.

حيث لا طعام، وأتاك بالماء حيث لا ماء، وأغاثك بالملائكة حيث لا مغيث، فأظفرك بهم على أعدائك). (٣٦)

ويكفي لبيان مقام أمناء القديسة المضحية أم الزهراء خديجة عليها السلام واحدة من الآيات السابقة الذكر.

المطلب الثاني: أمناء خديجة في السنة المطهرة

لا يمكن في هذه الورقات المعدودات الإتيان على ما حوت السنة الطاهرة من بيان لمعاني و حقائق ما

انضمت عليها جوانح السيدة العظيمة خديجة ، لكن تأتي على ذكر شيء منها اشارة و تصريحاً :

أمناء خديجة أول الناس اسلاماً بعد أمير المؤمنين علي

١- عن عيسى بن المستفاد (عن الإمام موسى بن جعفر قال: سألت (ه) عن بدء الإسلام كيف أسلم علي وكيف أسلمت خديجة، فقال: تأتي إلا أن تطلب أصول العلم ومبتدأه، أما والله إنك لتسأل تفقها، سألت أبي عن ذلك فقال لي: لما دعاها رسول الله ، قال: يا علي و يا خديجة أسلمتما لله وسلمتما له، وقال: إن جبرئيل عندي يدعوكما إلى بيعة الإسلام فأسلما تسلما وأطيعا تحديا، فقالا: فعلنا وأطعنا يا رسول الله) (٣٧).

الله سبحانه و تعالى يسلم علي أمناء خديجة الكبرى.

٢- عن زرارة و حمران و محمد بن مسلم، عن أبي جعفر قال: حدث أبو سعيد الخدري أن رسول الله قال: إن جبرئيل قال لي ليلة أسري بي حين رجعت وقلت: يا جبرئيل هل لك من حاجة، قال: حاجتي أن تقرأ علي خديجة من الله ومني السلام، وحدثنا عند ذلك أنها قالت حين لقاهما نبي الله ، فقال لها: الذي قال جبرئيل، فقالت: إن الله هو السلام، ومنه السلام، وإليه السلام، وعلى جبرئيل السلام (٣٨).

٣٦ - الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، (ت: ٣٨١ هـ)، معاني الأخبار، ص ٥٣. الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، (ت: ٣٨١ هـ)، علل الشرائع ١ / ١٣٠. ونقل نحوه فرات الكوفي في تفسيره ص ٥٦٩، (مصدر سابق). مناقب آل أبي طالب، ٢ / ٢٩٥، (مصدر سابق).

٣٧ - قال ابن عباس: أول من آمن برسول الله ﷺ من الرجال علي (، ومن النساء خديجة). الأمالي، الطوسي، ص ٢٥٩، المجلس العاشر ح ٤٦٧. بحار الأنوار، المجلسي، ١ / ١٦، ح ٢٨ و ٣٨ / ٢٤٦. نخج البلاغة، عبد الحميد المعتزلي، ص ٣٠١، كشف الغمّة، الأربلي، ١ / ٨٦، (مصدر سابق). الحلي، علي بن يوسف، (ت: ٧٠٥ هـ)، العدد القوية لدفع المخاوف اليومية، ص ٢٤٥.

٣٨ - العياشي، محمد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي، (ت: ٩٣٢ هـ)، تفسير العياشي، ٢ / ٢٧٩.

السيدة خديجة خير نساء الآخرين بعد ابنتها الزهراء

٣- عن عبد الله ابن جعفر، عن علي بن أبي طالب قال: قال: (خير نساءها خديجة، وخير نساءها مريم) (٣٩).

أما أم فاطمة عليها السلام مبشرة بالجنة ونعيمها

٤- عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما، قال: قال النبي: (أمرت أن أبشر خديجة ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب) (٤٠).

أما خديجة إحدى أربع نساء العالمين الكُمَّل

٥- قال رسول الله: (كامل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا أربع: آسية بنت مزاحم امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد) (٤١). وعن أنس بن مالك، عن النبي قال: (حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون) (٤٢).

أما خديجة أفضل نساء أهل الجنة

٦- قال رسول الله: (أفضل نساء أهل الجنة: خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد ومريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون) (٤٣).

الرسول محمد يفضل خديجة على جميع زوجاته

٧- عن عائشة، قالت: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا ذكر خديجة أثني عليها فأحسن الثناء، قالت: فغرت يوماً فقلت: ما أكثر ما تذكر حمراء الشدقين قد أبدلك الله عز وجل بها خيراً منها، قال: (ما أبدلني الله عز وجل خيراً منها، قد آمنت بي إذا كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبتني الناس، وواستني بما لها إذ حرمني الناس، ورزقني الله عز وجل ولداً إذ حرمني أولاد النساء) (٤٤).

٣٩ - الأربلي، علي بن عيسى بن أبي الفتح، (ت: ٦٩٣هـ)، كشف الغمة في معرفة الأئمة، ٢/ ١٢٩.

٤٠ - الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله، (ت: ٤٠٥هـ)، المستدرک على الصحيحين، ٤/ ١٨٤.

٤١ - الطبرسي، الفضل بن الحسن، (ت: ٥٤٨هـ)، مجمع البيان في تفسير القرآن، ١٠ / ٤٨٠.

٤٢ - الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، (ت: ٢٧٩هـ)، سنن الترمذي، ٦/ ٣٩٢، ح ٤٢١٦. واحد بن حنبل، (ت: ٢٤١هـ)، مسند احمد، ٦/ ١١٨، (١٢٤١٤)، (باختلاف يسير). وابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، الدارمي، البُستي، (ت: ٣٥٤هـ)، مسند ابن حبان، (٧٠٣).

٤٣ - السيوطي، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين، (ت: ٩١١هـ)، الدر المنثور: ٨ / ٢٢٩.

٤٤ - احمد بن حنبل، (ت: ٢٤١هـ)، مسند احمد، ٦/ ١١٨، ح (٢٤٨٦٤) واللفظ له. (مصدر سابق). البخاري، محمد بن اسماعيل البخاري، (ت: ٢٥٦هـ)، صحيح البخاري، ح (٣٨٢١). مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، (ت: ٢٦١هـ)، صحيح مسلم، ح (٢٤٣٧)، بنحوه مختصراً.

أمناء خديجة شهيدة الجوع

يظهر للمتأمل أن وفاة أبي طالب و خديجة ﷺ ، في الشَّعب، سنوات الحصار أحد أهم أسباب وفاتهما صلوات الله عليهما، هو الجوع، فقد أشرفوا على الهلاك بسبب مقاطعة قريش لهم و منع الطعام و جميع المعاملات معهم. لاحظ النصوص الآتية :

٨- (ان قريشا كلهم اجمعوا واخرجوا بني هاشم الى شعب ابي طالب ومكثوا فيه ثلاث سنين الا شهراً ثم انفق ابو طالب وخديجه جميع مالهما و لا يقدران على طعام الا من موسم الى موسم فلقوا من الجوع والعري ما الله اعلم به)^(٤٥). ومن كلام للإمام علي: (فتعاهدوا ان لا يعاملونا ولا يناكحونا و اوقدت الحرب علينا بنيرانها واضطرونا الى جبل وعر مؤمننا يرجو الثواب وكافرنا يحامي عن الاهل ولقد كانت القبائل كلها اجمعت عليهم وقطعت عنهم الميرة فكانوا يتوقعون الموت جوعاً صباحاً ومساءً، لا يرون وجهاً ولا فرجاً، قد اضمحل عزمهم وانقطع رجائهم)^(٤٦).

أمناء الكبرى خديجة مفخرة المعصومين ﷺ

٩- رسول الله يمدح خديجة الكبرى قائلاً: (مه يا حميرا فإن الله تبارك وتعالى بارك في الولود الودود وإن خديجة رحمها الله ولدت مني طاهراً وهو عبد الله وهو المطهر، وولدت مني القاسم وفاطمة ورقية وأم كلثوم وزينب وأنت ممن أعقم الله رحمه فلم تلدي شيئاً)^(٤٧). وقال: (لا والله ما أبدلني الله خيراً منها ، فقد آمنت بي إذ كفر بي الناس ، وصدقتني إذ كذبني الناس ، وواستني بما لها إذ حرمني الناس ، ورزقني الله عز وجل ولدها إن حرمني أولاد النساء)^(٤٨).

وافترخت فاطمة بأمناء خديجة ، ذلك لما فاخرت أمير المؤمنين فقالت: (وأنا بنت خديجة الكبرى...)^(٤٩).

كذلك لما عائشة قابلت فاطمة بقولها: (لا يغرتك ثناء رسول الله على أمك ، فقد تزوجها ثيباً وتزوجني بكرةً ، فلما اشتكت لرسول الله قول عائشة، قال لها : إذا قالت لك هذا فقولي لها : ولكن أمي تزوجت رسول الله بكرةً وأنت تزوجته ثيباً)^(٥٠).

٤٥ - المجلسي، محمد باقر، (ت: ١١١١هـ)، بحار الأنوار، ١٦/١٩.

٤٦ - ابن أبي الحديد، عبد الحميد، (ت: ٦٥٦هـ)، شرح نصح البلاغة، ٢٥٤/١٣. اليوسفي، الغروي، محمد هادي، (معاصر)،

موسوعة التاريخ الاسلامي، ٥٩٤/١.

٤٧ - الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، (ت: ٣٨١هـ)، الخصال.

٤٩ - المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ١٤٦/٨. (مصدر سابق).

٥٠ - الشعراوي، محمد متولي، (ت: ١٩٩٨م)، محاضرة بتاريخ ٢٠٢٣/٠٨/٣١، (موقع).

وافتخر الامام الحسن بجدته خديجة الكبرى، في محاجة معاوية، قائلاً: (وأَمَّكْ هِنْدَ وَأُمِّي فَاطِمَةَ ، وَجَدَّتِي خَدِيجَةَ وَجَدَّتْكَ نَثِيلَةَ)^(٥١).

وافتخر بالانتساب لها سيد الشهداء الحسين وذلك لما سأله الراهب في الدير، فأجابه (وهو رأس بلا جسد بالإعجاز)، فقال: (إن كنت تسأل عن حسي ونسي، أنا ابن محمد المصطفى، أنا ابن علي المرتضى، أنا ابن فاطمة الزهراء، أنا بن خديجة الكبرى)^(٥٢).

وافتخر بالانتساب لها في ملاء من الأعداء و الاصدقاء الامام علي بن الحسين سيد الساجدين و زين العابدين، و ذلك لما خطب الناس في الجامع الأموي في دمشق بحضور يزيد بن معاوية و المسجد مملوء بهم، قال: (أنا ابن فاطمة الزهراء أنا ابن خديجة الكبرى)^(٥٣) ، و قد تكرر هذا الافتخار منهم:.

قداستها و كرامتها عند الله سبحانه وتعالى

بلغت من الكرامة العظيمة و المقام السامي الرفيع عند الله سبحانه و تعالى أنه عز و جل سلّم عليها، وهذا مجد ذاته ينفرد به النبيون لما له من الخصوصية، فليس السلام الخاص كالسلام العام، فانه سبحانه و تعالى سلّم على المؤمنين و المسلمين، كما في نصوص كثيرة، لكن هذا السلام خاص جداً، اختص الله به أمنا خديجة الكبرى لما لها من مقام عظيم جداً عند الله جل و علا، و الذي يكشف خصوصية هذا الأمر أنها محل تعظيم و تبجيل و احترام من سيد الكائنات زوجها محمد ، في موارد عديدة مرّ ذكر بعضها، وأما الوعاء الذي اختاره الله سبحانه وتعالى لتكون أمّاً لأطهر الكائنات و أقدسها الصديقة الكبرى و الشهيدة العظمى فاطمة الزهراء عليها وأبيها و بعلمها و بينها آلاف التحية و الصلوات. و لها من المقام و العظمة و ما رأت من ابنتها الزهراء ما لا يسعه هذا البحث لكثرتة.

السابقة لكل مكرومة أمنا خديجة بنت خويلد الكبرى

سبقت أمنا خديجة الكبرى في أمور كثيرة منها :

سبقت الى الاسلام، و سبقت الى الاقتران برسول الله محمد ، و سبقت الى التضحية بالمال، و سبقت الى أن تكون أمّاً لأولاده ، وهي أول من احتفى في المشي الى رسول الله ، و أول من صلى و صام و حج وزكى بعد رسول الله و علي ، وأوّل مضحّية بنفسها و اولادها و مالها أجمع، و أوّل من خطب بكلمة بليغة بين الصفا و المروة بمديح رسول الله و الدفاع عنه، وكانت محجّبة قبل نزول آية الحجاب، و أوّل من جعلت حجاباً من حرير بمساحة زادت على أربعمئة متر مربع لبيتها كله، وأوّل من تحبب زوجها

٥١ - الطبرسي، أحمد بن علي بن أبي طالب، (ت: ٥٦٠هـ)، الاحتجاج، ١/٤٢٠.

٥٢ - لجنة الحديث في معهد باقر العلوم U، موسوعة كلمات الامام الحسين عليه السلام، ص ٦٢٨.

٥٣ - البحراني، عبد الله بن نور الله، (ت: ١١٣٠هـ)، عوالم العلوم والمعارف والأحوال من الآيات والأخبار والأقوال ، الإمام

الحسين عليه السلام، ١٧/٤١٠.

من النساء، و هي أول امرأة كملت في الاسلام من النساء الأربع، و أول من هجرها قومها و نساء قومها و هجرتهم في سبيل الاسلام العظيم و الدفاع عنه ، و أول من حزن لها الرسول ، و طلب من المسلمين الحزن عليها و على أبي طالب و سُمّي ذلك العام بـ(عام الحزن)، و أول غنية ثرية تفتقر في تاريخ الاسلام ، حتى ماتت جوعاً، و أول مسلمة يهديها الله سبحانه بيتاً في الجنة، و أول مسلمة يهديها الله سبحانه كفنها من الجنة، و أول مسلمة تكفن بكفنين واحد من الله سبحانه و واحد من رسول الله (ص)، و بكلمة واحدة هي أول في جميع المكرمات بعد النبي و الوصي . : و لها كرامات حتى بعد شهادتها، لا تحبب من طلبها لقضاء الحاجات فهي الأم للمؤمنين بحقيقة.

المبحث الثالث: مصابيح مضيئة في حياة الصديقة أمنا خديجة

ان معاني الصبر و التضحية و الجهاد و الايمان و العبادة و العفة و النجابة و العصمة و الكمال ، كان منها بما لا مزيد عليه و قد سرت بذلك الركبان و تحدث به الثقلان. و هنا نقاط شديدة الأهمية يجب الالتفات اليها، في مطالب منها:

المطلب الأول: عدم وفرة الاحاديث منها

وهذا دليل الخدر المصون و شدة احتجاجها وكذلك كانت ابنتها الصديقة فاطمة و بناتها و باقي الصديقات أمثال أمنا مارية القبطية، و القديسة مارية مع أنها أتممت بالأفك و نزلت آيات في سورة النور بتبرئتها^(٥٥)، الآ أنه لم يُعهد و لم يُعرف أنها تكلمت بشيء مطلقاً، لا في ردها على الأفك ولا في غيره، ذلك لشدة الصون و الخدر و الحجاب الذي ضربته على نفسها كونها تأدبت بأداب الملوكية لأنها كانت أميرة في مصر، و تأدبت بأداب النبوة حيث اقترن بها النبي الأقدس محمد (ص)، لهذا لا يكاد يعثر الآ على الحديث و الحديثين من أمنا خديجة الكبرى ، و ما وصل إلينا إنما هو بسبب أحداث مقارنة لمواقفها العظيمة في نصره الاسلام و رسول الاسلام الأقدس محمد.

المطلب الثاني: حجم الثروة التي أنفقتها يعادل عشرين طناً ذهباً

المتأمل لحركة التجارة و فائض الأموال، على مدى الأعوام التي عاشتها أمنا خديجة والتي نقلتها بعض النصوص ظاهراً و تضحناً، و الذي تم أنفاقه جميعاً على نشر الاسلام العظيم هو ما يعادل عشرين طناً من الذهب، بعملية حسابية بسيطة لحركة القوافل لتجارة الصيف و الشتاء و غيرها، لمدة تزيد على خمسين

٥٤ - انظر الحائري، محمد مهدي، (ت: ١٣٦٩هـ)، شجرة طوي، ٢/ ٢٣٥.

٥٥ - انظر صحيح البخاري ١٤٩٠/٣ . سنن الترمذي ٣٣٢/٥ . مسند أحمد ٥٩٠/٦ .

٥٦ - الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، (ت: ٣١٠ هـ)، تاريخ الأمم والملوك، ١١/ ٦١٧ . ابن سعد، محمد، (ت: ٢٣٠ هـ)، الطبقات الكبرى، ١/ ١٣٤ . البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود، (ت: ٢٧٩ هـ)، جمل من أنساب الأشراف، ١/ ٤٤٩ . القمي، تفسير القمي، ٢/ ٩٩ . (مصدر سابق).

سنة و هو عمرها الشريف بلحاظ أن لها أموالاً ورثتها كثيرة من صغرها، وبواقع افتراضي أن لها في كل جمَلٍ ربحاً يقرب من دينار واحد في السنة، و الدينار يساوي خمسة غرام تقريباً، فيكون:

$$١ \times ٥ \times ٨٠,٠٠٠ = ٤٠٠,٠٠٠ \text{ غرام} \div ١٠٠٠ = ٤٠٠ \text{ كيلو} \div ١٠٠٠ = ٠,٤ \text{ طن من}$$

الذهب.

لأنه كان لأمنا خديجة (أزيد من ثمانين ألف جمَل متفرقة في كل مكان ، وكان لها في كل ناحية تجارة ، وفي كل بلد مال، مثل مصر والحبشة وغيرها)^(٥٧).

وفي خيبر، كان لها في كل قبيلة من العرب (وعددها خمسون قبيلة)، ما يقارب ألوف النوق والخييل والغنم، (لأنها قد زوجت عبيدها بجواربها، وفرقتهم مع العرب، وأعطتهم بيوت الشعر، والخييل والإبل، وجعلوا يتوالدون ويكثرن، والدواب تلد وتتكاثر، وكان لها أكثر من أربعين ألف جمَل تسافر بالتجارة إلى الشام والعراق والبحرين وعمان والطائف ومصر والحبشة وغيرها من الأمصار ، ومعها العبيد والغلمان والوكلاء)^(٥٨).

و وجه الانفاق هو ضرورة تأليف القبائل على الدخول في الاسلام أو السكوت عن انتشاره ، بدليل أنها بمجرد رحيلها الى الآخرة تاركة الدنيا و مشاكلها، تألبت جميع قبائل العرب وتعهدت بقتل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، و القصة مشهورة معروفة بات فيها أمير المؤمنين علي في فراش النبي الذي اضطر للهجرة من مكة المكرمة الى المدينة المنورة لهذا السبب و قد أمره الله سبحانه بالهجرة لشهادته ناصرته خديجة و أبي طالب. فقد قال رسول الله : (ما قام ولا استقام ديني إلا بشيئين: مال خديجة وسيف علي بن أبي طالب)^(٥٩).

وبهذا يكون لها الفضل على جميع الخلائق خلا النبي وآله صلوات الله عليهم أجمعين، الى يوم القيامة، فمن كان مسلماً فلها الفضل في اسلامه و من لم يكن فلها الفضل في كف يد الجريمة عنه من جهة المسلمين لو كانوا غير مسلمين ، فقد اعتادوا الغارات و الوحشية و السلب و النهب و ما الى ذلك، وهو الضلال المبين الذي كانوا عليه.

خاتمة البحث

تبين من البحث و على سبيل الإجمال أن للسيدة خديجة الكبرى مقاماً شامخاً ، متعدد الخيرات متنوع الشرفات في العز و الرفعة متأصل في جذور أرومة المجد و العلى ، مجهولة المقام في الغالب ، مظلومة

٥٧ - بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ٢٢/١٦. (مصدر سابق).

٥٨ - بحار الأنوار، المجلسي، ٢١/١٦. (مصدر سابق).

٥٩ - الحاتري، محمد مهدي، (ت: ١٣٦٩هـ)، شجرة طوي، ٢/ ٢٣٣.

التقدير و العرفان حق المعرفة ، الأمر الذي يخفى على كثيرين ، هذا فيما وصل إلينا ، أمّا ما لم يصل فأكثر بكثير .

النتائج

يخلص الباحث الى نتائج لا بد منها :

- ١- أمناء السيدة خديجة هي كاملة الأوصاف بالنص و الواقع.
- ٢- السيدة خديجة هي في الأمومة لأمة المسلمين أصدق من التي ولدتهم في كل الأمور حقوقاً وواجبات.
- ٣- السيدة خديجة نعم الزوجة لنعم الزوج ، فزوجها سيد الخلائق محمد و نعم الأم لنعم الأولاد، فمن أولادها ابنتها فاطمة الزهراء : و نعم الاخت فأختها هالة و نعم البنت فأبوها خويلد و نعم الخالة فهي خالة لأولاد هالة و نعم العممة لأولاد اخوانها عدي و العوام و غيرهما.
- ٤- أن لها مقامات في الناسي بها في جميع المجالات مما يصعب حصره.

التوصيات

يوصي الباحث بعدة أمور أهمها:

- ١- منهجة سيرة السيدة أمناء خديجة الكبرى لكل صعيد درس ، و لكل مرحلة منهاج، ليعلم الطلاب و باقي طبقات المجتمع خير أسوة للناسي بها.
- ٢- إنشاء لجان مختصة لتحليل هندسة الحياة الاقتصادية في مجالي التجارة و الإدارة و الأعمال كما برمجتها السيدة خديجة
- ٣- إعادة دراسة حياة السيدة أمناء خديجة الكبرى بالتفصيل و التحليل و الدرس و التدقيق و التحقيق، ذلك لعدة اعتبارات، أهمها بعد الشكر لجهودها و عرفان حرمتها معرفة ما ينبغي و ما لا ينبغي من ضروريات الحياة.

المصادر و المراجع

القرآن الكريم كتاب الله العزيز الحميد

- ١- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، الأنصاري الرويفعي الإفريقي، (ت: ١١هـ)، لسان العرب، الحواشي: ليازجي وجماعة من اللغويين، الطبعة: الثالثة، الناشر: دار صادر، بيروت، لبنان، ١٤١٤ هـ.
- ٢- ابن كثير، إسماعيل بن عمر، (ت: ١م)، البداية والنهاية، دار الفكر، بيروت، لبنان، سنة الطبع ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.
- ٣- ابن أبي الحديد المعتزلي، عبد الحميد بن هبة الله، (ت: ٥ هـ. ١٢٥٨ م)، شرح نصح البلاغة لابن أبي الحديد، نشر مكتبة مدرسة الفقاهة لآية الله شهاب الدين المرعشي النجفي، قم المقدسة، إيران سنة ١٤٠٩ هـ.
- ٤- ابن ماكولا، علي بن هبة الله بن جعفر، (ت: ٤٥ هـ)، أكمال الكمال في رفع الارتباب عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، ط ٢، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند. ودار الكتاب الاسلامي الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، سنة ١٠١٥ م، نشر الياقوتة الحمراء للبرمجيات، القاهرة، مصر، سنة ١٩٩٢ م.
- ٥- ابن شهر آشوب، محمد بن علي بن شهر آشوب بن أبي نصر بن أبي حبيش السروي المازندراني، (ت: ٥٨٨ هـ)، مناقب آل أبي طالب، تحقيق لجنة من أساتذة النجف الأشرف، طبع المكتبة والمطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، العراق ١ هـ - ١٩٥٠ م.
- ٦- ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، الدارمي، البُستي (ت: ٥٤ هـ)، مسند ابن حبان، ط ١، تحقيق شعيب الارنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان ٢٠١١ م.
- ٧- ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الزهري، (ت: ٢٠ هـ)، الطبقات الكبرى، ط ١، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٨٠ م.
- ٨- احمد بن محمد بن حنبل، (ت: ٢٤١ هـ)، مسند احمد، ط ٤، المكتب الاسلامي، بيروت، لبنان، ١٤٠ هـ.
- ٩- الإربلي، علي بن عيسى، (ت: ٩ هـ)، كشف الغمة في معرفة الأئمة، مكتبة بني هاشمي، تبريز، إيران. وكذلك دار الأضواء، بيروت، لبنان، ١٨١ هـ.
- ١٠- الاسترابادي، علي الحسيني النجفي، (ت: ٩٥ هـ)، تأويل الآيات، المجموعة: مصادر سيرة النبي والأئمة، تحقيق و نشر مدرسة الإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف)، الطبعة: الأولى، قم المقدسة، إيران سنة الطبع ١٤٠ هـ.

- ١١- البحراني، هاشم بن سليمان بن إسماعيل الحسيني البحراني، (ت: ١١٠هـ)، البرهان في تفسير القرآن، ط ١، مؤسسة البعثة، قم المقدسة، ايران، سنة ١٩٤هـ.
- ١٢- البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، (ت: ٤٥٨هـ)، سنن البيهقي، دار الفكر، بيروت، لبنان.
- ١٣- البخاري، محمد بن اسماعيل البخاري، (ت: ٢٥٠هـ)، صحيح البخاري، المحقق: محمد صبحي بن حسن حلاق، ط ١، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، تاريخ النشر: ٢٠٢١م.
- ١٤- البحراني، عبد الله بن نور الله، (ت: ١١٠هـ)، عوالم العلوم والمعارف والأحوال من الآيات والأخبار والأقوال، الإمام الحسين، ط ١، ١٤٠هـ، تحقيق ونشر مدرسة الإمام المهدي (عج)، قم المقدسة، ايران.
- ١٥- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود، (ت: ٢٩٠هـ)، جمل من أنساب الأشراف، حققه وقدم له: سهيل زكار - رياض زركلي، ط ١، الناشر: دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤١هـ-١٩٩م.
- ١٦- بيضون، لبيب، (معاصر)، موسوعة كربلاء، ٤٩٥/٢، طبعة اولى، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، ١٤٢هـ. الخوارزمي، الموفق بن أحمد، (ت: ٥٠٨هـ)، مقتل الحسين، تحقيق محمد السماوي، منشورات مكتبة المفيد، قم المقدسة، ايران.
- ١٧- الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، (ت: ٢٩٠هـ)، سنن الترمذي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة العالمية، ط ١، بيروت، لبنان، ١٤٠هـ - ٢٠٠٩م.
- ١٨- الجوهري، إسماعيل بن حماد الفارابي، (ت: ٩٠هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط ٤، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، سنة ١٤٠هـ - ١٩٨م.
- ١٩- الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، (ت: ٥٥٥هـ)، كتاب البخلاء، ط ٢، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان.
- ٢٠- الحلبي، حسن بن سليمان، (القرن التاسع)، مختصر بصائر الدرجات، الطبعة الأولى، حقوق الطبع محفوظة للناشر، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، العراق ١٠هـ - ١٩٥٠م.
- ٢١- الحاكم الحسكاني، عبيد الله بن أحمد المعروف الحذاء الحنفي النيسابوري، (ت: ٤٨١هـ)، شواهد التنزيل لقواعد التفضيل في الآيات النازلة في أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم، تحقيق وتعليق محمد باقر المحمودي، مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والارشاد الاسلامي، مجمع أحياء الثقافة الاسلامية، ط ١، طهران، إيران ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

- ٢٢- الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله، (ت: ٤٠٥هـ)، المستدرک علی الصحیحین، دار الکتب العلمیة، بیروت، لبنان، تاریخ النشر ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م.
- ٢٣- الحلبي، علي بن يوسف، (ت: ٥٠٥هـ)، العدد القوية لدفع المخاوف اليومية، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، نشر مكتبة آية الله المرعشي العامة، طبع: مطبعة سيد الشهداء، ط ١، قم المقدسة، ايران ١٤٠٨ هـ.
- ٢٤- الحائري، محمد مهدي، (ت: ١٩٩هـ)، شجرة طوبى، ط ٥، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، العراق، سنة ١٨٥ هـ.
- ٢٥- السيوطي، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين، (ت: ٩١١هـ)، الدر المنثور، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- ٢٦- الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، (ت: ٨١ هـ)، معاني الأخبار، تحقيق علي أكبر الغفاري، الناشر انتشارات إسلامي المرتبطة بجامعة المدرسين للحوزة العلمية، قم المقدسة، ايران، ١٩ هـ.
- ٢٧- الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، (ت: ٨١ هـ)، الخصال، تعليق علي أكبر غفاري، ط ٢، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم المقدسة، ايران، ١٤٠ هـ.
- ٢٨- الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، (ت: ٨١ هـ)، علل الشرائع، تحقيق محمد صادق بحر العلوم، النجف الأشرف، العراق، ١٨٥ هـ - ١٩ م.
- ٢٩- الطوسي، محمد بن الحسن، (ت: ٤٠ هـ)، الأمالي، ط ١، ١٤١٤ هـ، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، الناشر: دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، قم المقدسة، ايران.
- ٣٠- الطبرسي، الفضل بن الحسن، (ت: ٥٤٨ هـ)، مجمع البيان في تفسير القرآن، نشر دار المرتضى، طبع دار العلوم، بيروت، لبنان ١٤٢ هـ - ٢٠٠ م.
- ٣١- اليوسفي، الغروي، محمد هادي، (معاصر)، موسوعة التاريخ الاسلامي، أضواء الحوزة، بيروت، لبنان، سنة الطبع ١٤ هـ - ٢٠١٢ م.
- ٣٢- الطبرسي، أحمد بن علي بن أبي طالب، (ت: ٥٠ هـ)، الاحتجاج، تحقيق محمد باقر الخرسان، ط ١، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، العراق، ١٨ هـ - ١٩ م.
- ٣٣- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، (ت: ١٠ هـ)، تاريخ الأمم والملوك، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ٣٤- الطبرسي، الفضل بن حسن، (ت: ٥٤٨ هـ)، إعلام الوری، دار الكتب الإسلامية، طهران، ايران.

- ٣٥- العياشي، محمد بن مسعود بن عياش السلمى السمرقندي، (ت: ٩٢هـ)، تفسير العياشي، تحقيق هاشم الرسولي المحلاتي، طبع المكتبة العلمية الاسلامية، طهران ، ايران ١٨١هـ.
- ٣٦- عبد الباسط محمد حسن، مكانة المرأة في التشريع الاسلامي، ط١، مركز دراسات المرأة و التنمية، جامعة الأزهر، القاهرة، مصر، ١٩٩م.
- ٣٧- الفسوي، يعقوب بن سفيان، (ت: ٢هـ)، المعرفة والتاريخ، تحقيق: أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة، ط ٢، بيروت ، لبنان ١٤٠١ هـ- ١٩٨١ م.
- ٣٨- القمي، علي بن ابراهيم، (ت: ٢٩هـ)، تفسير القمي، تحقيق طيب الموسوي الجزائري، سنة ١٨ هـ ، النجف الأشرف، العراق.
- ٣٩- القزويني، الرازي، أحمد بن فارس بن زكرياء، (ت: ٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، بيروت، لبنان، سنة ١٩٩ هـ - ١٩٩م.
- ٤٠- الكوفي، فرات، (ت: ٥٠هـ)، تفسير فرات ، تحقيق و تصحيح: كاظم، محمد، ناشر: مؤسسة الطبع و النشر في وزارة الإرشاد الإسلامي، ط١، طهران، ايران ١٤١٠هـ.
- ٤١- لجنة الحديث في معهد باقر العلوم ، موسوعة كلمات الامام الحسين ، ط، منظمة الاعلام الاسلامي، قم المقدسة، ايران سنة ١٤١ هـ. ١٩٩٥م.
- ٤٢- المجلسي، محمد باقر، (ت: ١١١١هـ)، بحار الأنوار، ط١، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان ١٤٠٤هـ.
- ٤٣- المسعودي، علي بن الحسين، (ت: ٤هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: أسعد داغر، ط٢، دار الهجرة، قم المقدسة، ايران، سنة ١٤٠٤ هـ.
- ٤٤- مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، (ت: ٢١هـ)، صحيح مسلم، ط١، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠١٠م.

المواقع الإلكترونية

- ٤٥- قانون لجنة (الوقاية) من الساتي، ١٩٨٨ نسخة محفوظة ٢٥ أكتوبر ٢٠٠٩ على موقع واي باك مشين.. النص الرسمي لقانون مركز الموارد الوطنية للمرأة في الهند (NCRW) نسخة محفوظة ٢٥ أكتوبر ٢٠٠٩ على موقع واي باك مشين.
- ٤٦- الجلاي، عبد الله بن حمد الجلاي، دروس الشيخ عبد الله الجلاي، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، <http://www.islamweb.net> (الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس - ٦١ درسا) / ١.

الكاتب؛ مركز المعارف للتأليف والتحقيق، مكانة المرأة ودورها، الناشر: جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، بتاريخ ٢٠١٤/١٢ ، سلسلة المعارف الإسلامية، (موقع).الشعراوي، محمد متولي، (ت:١٩٩٨م)، محاضرة بتاريخ ١/٠٨/٢٠٢ ، (موقع).

استخدام الذكاء الاصطناعي في التحقيقات الجنائية الدولية

الفرص والتحديات القانونية

The Use of Artificial Intelligence in International Criminal Investigations Legal Opportunities and Challenges

م.د مبین ماجد جابر^(١)

Lect. Mubeen Majid Jabir (PhD)

الملخص

يتناول هذا البحث استخدام الذكاء الاصطناعي في التحقيقات الجنائية الدولية، موضحًا الفرص والتحديات القانونية المرتبطة به، يبرز البحث أهمية دمج هذه التقنيات في النظام القانوني لتعزيز فعالية التحقيقات، مع الإشارة إلى الفجوات القانونية الحالية التي تحتاج إلى تحديث، كما يستعرض البحث التحديات الأخلاقية المتعلقة بحماية حقوق الأفراد وخصوصيتهم، أخيرًا، يقدم البحث توصيات للمشرعين والمحققين تتضمن تحديث القوانين، وتوفير التدريب، ووضع سياسات لحماية البيانات، وتعزيز الشفافية من خلال إشراك المجتمع المدني في النقاشات حول هذه التقنيات.

الكلمات المفتاحية: الذكاء الاصطناعي ، التحقيقات الجنائية، الفرص والتحديات.

Abstract

This research addresses the use of artificial intelligence in international criminal investigations, highlighting the legal opportunities and challenges

١- جامعة كربلاء- مركز الدراسات الاستراتيجية

associated with it. The study emphasizes the importance of integrating these technologies into the legal system to enhance the effectiveness of investigations, while pointing out the existing legal gaps that require updates. It also examines the ethical challenges related to protecting individuals' rights and privacy. Finally, the research provides recommendations for legislators and investigators, including updating laws, providing training, establishing data protection policies, and enhancing transparency by involving civil society in discussions about these technologies.

Keywords: Artificial Intelligence, Criminal Investigations, Opportunities and Challenges.

المقدمة

أصبح الذكاء الاصطناعي جزءًا لا يتجزأ من العديد من المجالات، بما في ذلك التحقيقات الجنائية الدولية. وتوسّع هذه الأنظمة إلى محاكاة الذكاء البشري من خلال تحليل البيانات واتخاذ القرارات، مما يفتح آفاقًا جديدة في كيفية التعامل مع الجرائم المعقدة. ومع ذلك، يواجه استخدام الذكاء الاصطناعي في مجال القانون تحديات قانونية وأخلاقية تتطلب دراسة دقيقة، يتناول هذا البحث مفهوم أنظمة الذكاء الاصطناعي، وخصائصها، وأهدافها، بالإضافة إلى استخدامها في التحقيقات الجنائية، مع التركيز على الفرص والتحديات التي تبرز في هذا السياق، ولغرض بيان هذا الموضوع بشكل دقيق لا بد من بيان أهميته وإشكاليته والمنهجية المتبعة، ثم بيان خطة البحث على النحو الآتي:

أولاً - أهمية البحث:

تتجلى أهمية هذا البحث في كونه يساهم في فهم كيفية دمج الذكاء الاصطناعي في النظام القانوني، مما يعزز فعالية التحقيقات الجنائية. كما يساهم في معالجة الضغوط على الفجوات القانونية التي تحتاج إلى معالجة لضمان استخدام هذه التقنيات بشكل آمن وفعال. بالإضافة إلى ذلك، يساعد البحث في توعية المشرعين والمحققين حول ضرورة تحديث القوانين لتواكب التطورات التكنولوجية، مما يساهم في تعزيز العدالة وحماية حقوق الأفراد.

ثانياً - إشكالية البحث:

تتمثل الإشكالية الأساسية في هذا البحث في السؤال التالي: ما هي التحديات القانونية والأخلاقية المرتبطة باستخدام أنظمة الذكاء الاصطناعي في التحقيقات الجنائية، وكيف يمكن تجاوزها لضمان تحقيق العدالة؟ يتفرع عن هذا السؤال عدة أسئلة فرعية، منها: ما هي الفجوات القانونية الحالية في استخدام الذكاء الاصطناعي؟ كيف يمكن تحقيق التوازن بين الفعالية القانونية وحماية حقوق الأفراد؟

ثالثاً- منهجية البحث:

سيتم البحث منهجاً تحليلياً ، حيث سيتم تحليل النصوص القانونية ذات الصلة وتقييم مدى توافقها مع استخدام الذكاء الاصطناعي في التحقيقات. سيتم أيضاً استخدام المنهج المقارن لدراسة تجارب دول مختلفة في هذا المجال، مما يساعد في تقديم توصيات عملية لتطوير التشريعات الوطنية. بالإضافة إلى ذلك، سيتم مراجعة الأدبيات السابقة والدراسات ذات الصلة لتكوين إطار شامل حول الموضوع، مما يساهم في تقديم حلول قانونية فعالة للتحديات المطروحة.

رابعاً- خطة البحث:

من اجل إحاطة وافية لموضوع البحث، قمنا بتقسيم هذه الدراسة على مبحثين رئيسيين، حيث تناولنا في المبحث الاول، مفهوم انظمة الذكاء الاصطناعي، فيما خصصنا في المبحث الثاني دراسة استخدام انظمة الذكاء الاصطناعي في التحقيقات، والتفاصيل في مضامين البحث على النحو الآتي:

المبحث الأول مفهوم أنظمة الذكاء الاصطناعي

إن أنظمة الذكاء الاصطناعي هي نوع من التكنولوجيا تهدف إلى إنشاء برامج أو أنظمة تكنولوجية تتمتع بالقدرة على محاكاة الذكاء البشري. تعتمد هذه الأنظمة على تقنيات متقدمة مثل تعلم الآلة ومعالجة اللغة الطبيعية لتحليل البيانات واتخاذ القرارات. يتم تصميم أنظمة الذكاء الاصطناعي لتنفيذ مهام متنوعة بشكل ذكي، مثل التعرف على الصور، وفهم اللغة، وتنبؤ البيانات.

ولغرض بيان هذا المبحث بشكل دقيق، سوف نقسمه على مطلبين، الأول بعنوان: تعريف أنظمة الذكاء الاصطناعي، اما الثاني بعنوان: خصائص أنظمة الذكاء الاصطناعي وأهدافه، والتفاصيل على النحو الآتي:

المطلب الأول: التعريف بأنظمة الذكاء الاصطناعي

هناك عدة تعاريف تطرقت لمفهوم الذكاء الاصطناعي حيث عرف بأنه: "أحد فروع علوم الكمبيوتر المتعلقة بكيفية محاكاة الآلات لسلوك البشر، حيث إنه علم إنشاء أجهزة وبرامج كمبيوتر تكون قادرة على التفكير بنفس الطريقة التي يعمل بها العقل البشري، تتعلم مثلما نتعلم، وتقرر كما نقرر، وتتصرف كما نتصرف." (٢)

٢ - د. إيهاب خليفة، «الذكاء الاصطناعي: تأثيرات تزايد دور التقنيات الذكية في الحياة اليومية للبشر»، دورية اتجاهات الأحداث، العدد ٢٠، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، أبوظبي، مارس/أبريل ٢٠١٧، ص ٦٢-٦٣.

أولاً: التعريفات التي تناولت الذكاء الاصطناعي

يُعرّف الذكاء الاصطناعي أيضاً بأنه: "فرع من علوم الكمبيوتر الذي يمكن من خلاله إنشاء وتصميم برامج الكمبيوتر التي تحاكي أسلوب الذكاء البشري بحيث يمكن للكمبيوتر أداء بعض المهام بدلاً من البشر، والتي تتطلب التفكير والفهم والسمع والتحدث والحركة بطريقة منطقية ومنظمة"، وتعود بدايته إلى التحول من أنظمة البرمجة التقليدية بعد الحرب العالمية الثانية إلى تطوير برامج الكمبيوتر التي تحاكي الذكاء الإنساني في إجراء الألعاب وتطوير حلول لبعض الألغاز، والتي بدورها أدت إلى أنظمة محاكاة أكبر، والتي تبلورت بعد ذلك وأصبحت أنظمة للذكاء الاصطناعي.^(٣)

وإنه الذكاء الذي يصنع من الآلات والبرامج بما يحاكي القدرات الذهنية البشرية وسلوكيات عملها، مثل القدرة على التعلم والاستنتاج ورد الفعل على أوضاع لم ترمج في الآلة، وهو كذلك اسم لمجال أكاديمي يتعلق بكيفية صنع حواسيب وبرامج قادرة على القيام بسلوك ذكي^(٤).

ومن أهم التعريفات في الذكاء الاصطناعي نذكر تعريف "جون مكارثي" وقد عرفه بأنه: "وسيلة لصنع جهاز كمبيوتر أو روبوت يتم التحكم فيه عن طريق الكمبيوتر، أو برنامج يفكر بذكاء بالطريقة نفسها التي يفكر فيها البشر الأذكياء، ويتم تحقيق الذكاء الاصطناعي عبر دراسة كيفية تفكير الدماغ البشري، وكيف يتعلم البشر ويتخذون القرارات ويعملون أثناء محاولة حل مشكلة ما، ثم استخدام نتائج هذه الدراسة كأساس لتطوير برامج وأنظمة ذكية".

وعليه إن الذكاء الاصطناعي هو محاولة لجعل حاسوب أو آلة تعمل بالبرمجة، مثل: الإنسان سواء في تفكيره أو أفعاله أو حله لمشاكله، وممارسته لجميع نواحي الحياة اليومية، من خلال الدراسات التي أجريت على البشر واستخلاص النتائج منها التي تساعد في شرح السلوك البشري وبرمجته لتطبيقه على الآلة.

حيث إن تكنولوجيا المعلومات والخوارزميات والاتصالات متجسدة في الذكاء الاصطناعي، تلعب دوراً هاماً في تغيير دور المستهلك "المستخدم" من معزول تقنياً إلى متواصل، ومن غير مدرك أو غير فعال، إلى مستدرك وفعال ونشط، ومن السلبي إلى الإيجابي، إذ إن مجموعة العمليات هذه الخاضعة للذكاء الاصطناعي تسمى بالتحول الرقمي، فإنها تكنولوجيا جديدة تنقل المستهلك من واقع تقليدي إلى واقع مشرق سريع

٣- د. محمد عبد الظاهر، صحافة الذكاء الاصطناعي "الثورة الصناعية الرابعة وإعادة هيكلة الإعلام"، دار بدائل

للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٨، ص ٩٩.

٤- د. احمد عادل جميل، ود. عثمان حسين عثمان، إمكانية استخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي في ضبط جودة

التدقيق الداخلي، المؤتمر العلمي السنوي الحادي عشر "بعنوان ذكاء الأعمال واقتصاد المعرفة"، جامعة الزيتونة الأردنية،

كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، عمان، ٢٠١٢، ص ٢٤٠.

جداً لدرجة أن أجيال ما قبل الإنترنت صعب جداً أن يصلوا إلى ما أصبح عليه العالم اليوم، وهم يستخدمون ذات الطرق والمنهج.^(٥)

نتيجةً لذلك، ظهرت عوائق وصعوبات ومسؤوليات قانونية تجاه المستخدمين، ومجموعة من الإيجابيات والسلبيات المتمثلة في الأضرار والأخطاء والعيوب، إضافةً إلى أن طرق التصنيع الجديدة وكثرة استخدامها تجذب مخاطر جديدة، وبذلك فلا بد للمستهلكين أن يتكيفوا مع التحديات الجديدة.

غير إن تطوراً تكنولوجياً لافتاً للأنظار فرض نفسه في العقود الأخيرة، حيث بدأ بظهور الحاسوب ثم الانترنت وما تلاها من تقنيات الاتصال عن بعد، وصولاً إلى ما يسمى الآن "بعلم الذكاء الاصطناعي"، هذا العلم الذي فرض على الإنسان تغييراً في نظريته التقليدية للآلة، من شيء جامد مكرس له مراقب من قبله لا يعمل إلا بتدخل منه، إلى شيء يتمتع ببعض الاستقلال، وله القدرة على التعلم ذاتياً، والتفاعل مع البيئة المحيطة، والقيام بأعمال تحاكي الأعمال التي يقوم بها الإنسان.^(٦)

حيث إن الآلات الصامتة لم تعد صامتة بل أصبحت ذاتية الحركة تلقائية تشبه في بعض مظاهرها حركة الإنسان، ولهذا يمكن القول بأن التطور التقني والمعلوماتي والذكاء الاصطناعي قد قام بفرض واقع غير مألوف للإنسان ووضعه في موقف مخرج قانونياً.

إذ إن القانون لم تعد تصنعه يد الفلاسفة والفقهاء فقط، بل أصبحت تصوغه وتشارك في صنعه أيضاً يد المهندسين والتقنيين، وإذا كان القانون كعلم للسلوك، هو الذي يقود الحياة بشكل عام، فإن التقنيات الحديثة وما وصلت إليه من تطور أصبحت الآن تقود السباق وتفتح آفاق جديدة أمام المشرع والباحثين في مجال القانون.

ودليل ذلك إن دخول تلك التقنيات، وخاصةً ما يتعلق منها بالذكاء الاصطناعي، إلى الحياة اليومية أصبح يفرض على القانونيين الوقوف في وجه التحديات التي باتت تهدد النظريات القانونية التقليدية بشكل عام ونظرية المسؤولية المدنية بشكل خاص.

حيث إن أنظمة الذكاء الاصطناعي ليست ماكينات ذكية أو مفكرة ذاتياً، وإنما هي أنظمة لها القدرة على إنجاز أعمال والوصول إلى نتيجة ذكية دون ذكاء حقيقي بالمعنى المعروف عند الإنسان، وتحقق الآلة

٥ - م.م. مريم سالم جبار، "التجارة الإلكترونية في عصر الذكاء الاصطناعي: التحول الرقمي وتأثيره على سلوك المستهلك." مجلة الاقتصادي الخليجي، جامعة البصرة، كلية الإدارة والاقتصاد، نظم المعلومات الإدارية، العدد ٦٣ ٢٠٢٥، ص ٢١٠.

٦ - جهاد عفيفي، الذكاء الاصطناعي والأنظمة الخبيرة، المنهل للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٨، ص ٦٤.

هذا الإنجاز عن طريق ما يسمى بالاستدلالات، أي من خلال تحديد أنماط معينة في البيانات، واستخدام المعرفة والقواعد والمعلومات التي تستطيع الحواسيب معالجتها^(٧).

فمخرجات الذكاء الاصطناعي، على الرغم من تشابهها مع مخرجات الذكاء البشري، فإن الوسائل مختلفة، فيحقق الإنسان نتائجه من تفاعل قدراته العقلية والعصبية والإدراكية والعاطفية معاً، بينما يفعل الذكاء الاصطناعي ذلك باستخدام الخوارزميات والآليات الحسابية التي لا تشبه على الإطلاق المنطق البشري، لا في التفكير ولا في الإدراك ولا في الشعور.

وهناك أيضاً فارق آخر بين الذكاء البشري وذكاء الآلة يرتبط بنطاق كل منهما، إذ إن ذكاء الإنسان كلي، شامل، مجرد، ومطلق في جمع المواقف، على خلاف ذكاء الآلة الذي يتسم بأنه خاص نسبي، أي يقتصر على مهمة معينة، أو مجال معين مثل مجال الصحافة أو الطب أو المساعدة الاجتماعية أو قيادة السيارات.... إلخ، فهو ذكاء محدود النطاق والأهداف ولم يصل بعد مجال الحديث عن ذكاء اصطناعي عام.

ثانياً: أثر الذكاء الاصطناعي في ميادين العمل والقطاعات المهنية:

أصبح الذكاء الاصطناعي يمثل أداة فعالة في مختلف الميادين، ولاسيما في الحقل القانوني. إذ تسهم برمجياته في إنجاز العديد من المهام المعقدة بدقة وموضوعية، بعيداً عن الأهواء أو الاعتبارات الشخصية. ومن أبرز تطبيقاته قدرته على تصنيف المجرمين وفق معايير واضحة، ورصد المناطق الأكثر عرضة لارتفاع معدلات الجريمة، بما يتيح للجهات المختصة اتخاذ التدابير الوقائية اللازمة للحد من المخاطر. كما يوفر الذكاء الاصطناعي حلولاً متقدمة في مجال الإثبات الجنائي من خلال فحص الأدلة والتمييز بين الصحيح والمزور، وهو ما يعزز من فرص تحقيق العدالة والمساواة أمام القضاء.

وعلى صعيد المؤسسات العقابية، يمكن لهذه التقنيات أن تسهم في تقييم أوضاع النزلاء من خلال تحليل البيانات والتقارير المرتبطة بقضاياهم، بما يسمح بإصدار قرارات أكثر حياداً بشأن الإفراج المشروط أو إتمام العقوبة. بل إن بعض التوجهات المستقبلية تذهب إلى إمكانية إدارة مؤسسات إصلاحية كاملة اعتماداً على الذكاء الاصطناعي دون تدخل بشري مباشر.

كما يمكن تسخير هذه التقنيات في العمل الشرطي، لا سيما أثناء المطاردات، إذ يستطيع الذكاء الاصطناعي تحليل شخصية المجرم والتعرف على أنماط سلوكه، ومن ثم اقتراح أنسب أساليب التعامل معه. وفي المواقف التي قد يخطئ فيها العنصر البشري نتيجة الضغط النفسي، تظل الخوارزميات قادرة على اتخاذ

٧- د. خالد حسن أحمد لطفي، جرائم الانترنت بين القرصنة الالكترونية وجرائم الابتزاز الالكتروني "دراسة مقارنة"،

دار الفكر الجامعي، القاهرة، ٢٠١٩، ص ٧٧.

قرارات سريعة وغير متأثرة بالعواطف، بل وبمكثها الاطلاع الفوري على السجلات الجنائية وسوابق المتهم للكشف عن نقاط ضعفه واستثمارها لتسهيل عملية ضبطه. ومن ثم فإن إدماج الذكاء الاصطناعي في الإجراءات الأمنية والقضائية يعزز كفاءة الأجهزة المختصة ويحافظ على النظام العام^(٨).

تتجلى التطبيقات العملية للذكاء الاصطناعي بشكل واضح في قطاع النقل والمواصلات، إذ أُدمجت بعض أنظمتها في السيارات الحديثة للمساهمة في خفض معدلات الحوادث المرورية. ويعتمد هذا الدمج على مستشعرات خارجية وأدوات تقنية متطورة مرتبطة بنظام القيادة، بحيث يُصدر النظام تنبيهات فورية للسائق عند اقتراب مركبة من جانبه أو عند محاولة أحد المشاة عبور الطريق أمامه. بل إن هذه الأنظمة قد تتدخل بشكل مباشر عبر تفعيل المكابح تلقائياً لتفادي الاصطدام، الأمر الذي يعزز من مستويات السلامة العامة ويجعل القيادة أكثر أماناً على الطرق^(٩).

ولا يقتصر تأثير الذكاء الاصطناعي على المجال المروري فحسب، بل يمتد إلى قطاع الإعلام الرقمي، حيث أحدثت نقلة نوعية في الصحافة الإلكترونية التي أخذت تحل تدريجياً محل الصحافة الورقية. فبفضل تقنياته، تستطيع المؤسسات الإعلامية تتبع ميول الجمهور وتوجهاته من خلال تحليل معدلات التفاعل مع أنواع معينة من الأخبار، ومن ثم توجيه المحتوى الإعلامي بما يعزز هذه التوجهات أو يحدّ منها. وتبرز خطورة ذلك في قدرته على التأثير المباشر في الرأي العام وصياغة قرارات الأفراد اليومية، وصولاً إلى التأثير في خياراتهم السياسية كالانتخابات الرئاسية. كما أصبح الذكاء الاصطناعي قادراً على إعادة صياغة الأخبار وتجميعها بلغة دقيقة وسياق متماسك يحاكي الأسلوب البشري في الكتابة، مما يجعله فاعلاً محورياً في مستقبل صناعة الإعلام.

المطلب الثاني: خصائص أنظمة الذكاء الاصطناعي وأهدافه

أصبح الذكاء الاصطناعي من أبرز معالم التطور التكنولوجي في العصر الحديث، حيث بات يشكل جزءاً لا يتجزأ من مختلف القطاعات، من الصناعة والتعليم إلى الرعاية الصحية والأمن. وتعتمد أنظمة الذكاء الاصطناعي على محاكاة القدرات الذهنية البشرية كالتعلم، والاستدلال، واتخاذ القرار، بل والتكيف مع البيئات المتغيرة، وتتميز هذه الأنظمة بجملة من الخصائص التي تمنحها القدرة على أداء مهام معقدة بكفاءة عالية، وتُسهم في تحسين جودة الأداء البشري أو استبداله في بعض السياقات. وتشمل هذه الخصائص القدرة على التعلم من البيانات، والمعالجة الذاتية، والتطور المستمر، فضلاً عن إمكانية التفاعل

٨- د. عادل عبد النور، أساسيات الذكاء الاصطناعي، منشورات مواقف، بيروت، ٢٠١٧، ص ١٠١.

٩- د. حافظ جعفر إبراهيم، "المركبات ذاتية القيادة: قضايا التنظيم والمسؤولية المدنية." مجلة كلية القانون الكويتية العالمية، السنة الثامنة، العدد ٣، ص. ٥١١.

مع البيئة المحيطة. وتُعد دراسة خصائص أنظمة الذكاء الاصطناعي خطوة أساسية لفهم آليات عملها، وتحديد إمكانياتها وحدودها، وضمان توظيفها بشكل آمن وفعال في خدمة الإنسان.

وسندرسها كالآتي:

أولاً: التفرد الاستثنائي للذكاء الاصطناعي ومميزات برامج التدريس الذكية:

هناك العديد من المزايا التي يقوم عليها الذكاء الاصطناعي، إضافةً لخصائص أخرى لبرامج التدريس الذكية وسنقوم في هذا البند بالتمييز بينهم وفقاً لما يلي:

١. الخصائص العامة للذكاء الاصطناعي^(١٠):

- أ- استخدام الذكاء في حل المشاكل المعروضة مع غياب المعلومة الكاملة.
- ب- التفكير والإدراك.
- ت- اكتساب المعرفة وتطبيقها.
- ث- التعلم والفهم من التجارب والخبرات السابقة.
- ج- استخدام الخبرات القديمة وتوظيفها في مواقف جديدة.
- ح- الاستجابة السريعة للمواقف والظروف الجديدة.
- خ- التعامل مع الحالات الصعبة والمعقدة.
- د- التعامل مع المواقف الغامضة مع غياب المعلومة.
- ذ- تمييز الأهمية النسبية لعناصر الحالات المعروفة.
- ر- التصور والإبداع وفهم الأمور المرئية وإدراكها.

والجددير بالذكر أن من أهم خصائص تطبيقات الذكاء الاصطناعي أنه: يعمل على مستوى علمي واستشاري ثابت دون تقلب، يتطلب بناءه تمثيل كميات هائلة من المعرفة في مجال معين، ويتعامل مع سياسات رمزية غير رقمية من خلال منطق عمليات التحليل والمقارنة، ويهدف إلى محاكاة الفكر البشري وأسلوبه، ويهتم بإثارة الأفكار الجديدة التي تؤدي إلى الابتكار، وتدعيم الخبرة البشرية، والعمل على توفير أكثر من نسخة من النظام لتعويض الخبراء، والتي يتعامل معها الإنسان الشعور بالتعب والملل غائب^(١١).
بالإضافة إلى تلك الخصائص يشار إلى السمات الجوهرية التي تميز هذه الأنظمة عن غيرها من التقنيات التقليدية. وهي تمثل القدرات والوظائف التي تجعل الذكاء الاصطناعي قادراً على أداء مهام تتطلب عادةً

١٠- د. علي بشار الشريف، تطبيقات الذكاء الاصطناعي على الشبكات الاصطناعية، جامعة تشرين، سوريا،

٢٠١٢، ص ٨٨.

١١- د. هلاي عبد الله احمد، تفتيش نظم الحاسب الآلي وضمانات المتهم المعلوماتي، دار النهضة العربية،

القاهرة، ٢٠٠١، ص ٧٤.

ذكاءً بشرياً، مثل التعلم من التجربة، واستخلاص الأنماط من البيانات، واتخاذ القرارات بناءً على معطيات متغيرة. لا تقتصر هذه الخصائص على الجانب التقني فقط، بل تشمل أيضاً جوانب تتعلق بالمرونة، والقدرة على التكيف، والتطور الذاتي، والتفاعل مع البيئات المحيطة، وتختلف هذه الخصائص بحسب نوع النظام الذكي المستخدم، والغرض الذي صُمم من أجله، وطبيعة البيانات التي يتعامل معها. وفهم هذه الخصائص يُعد ضرورياً لتقييم فعالية الأنظمة الذكية، ومدى ملاءمتها للتطبيقات المختلفة، كما يساهم في تطوير آليات تنظيمية وأخلاقية تضمن استخدامها بطريقة مسؤولة وآمنة.

٢. المميزات الخاصة لبرامج التدريس الذكية:

تتسم برامج التدريس الذكية بمجموعة من المواصفات الفريدة يمكن تناولها على النحو التالي:

أ- إمكانية تمثيل المعرفة:

تحتوي برامج الذكاء الاصطناعي، على عكس البرامج الإحصائية، على طريقة لتمثيل المعلومات، يستخدم هيكل خاص لوصف المعرفة، ويتضمن هذا الهيكل الحقائق والعلاقة بين هذه الحقائق والقواعد التي تربط هذه العلاقات، ومجموعة من الهياكل المعرفية التي توجد فيها قاعدة معرفية، وتوفر هذه القاعدة أكبر قدر ممكن معلومات عن المشكلة المراد حلها، بمعنى آخر يحتوي برنامج التعلم الذكي على نوعين من المعرفة:

- المعرفة المتعلقة بموضوع البرنامج محل الدراسة، وهي متغيرة حسب تغير البرنامج.
- المعرفة التربوية، وهي معرفة تتعلق بقواعد تدريس المادة، وثابتة في كل مجال تخصص.

ب- استخدام الأسلوب التجريبي المتفائل:

تُعد القدرة على التعامل مع المشكلات التي تفتقر إلى طرق حل عامة من أبرز سمات أنظمة الذكاء الاصطناعي. فبدلاً من الاعتماد على خطوات محددة وثابتة للوصول إلى الحل الصحيح، تميل هذه الأنظمة إلى اتباع استراتيجيات مرنة تبحث عن مسار يبدو مناسباً، مع إمكانية تعديله في حال تبيّن وجود خيار أكثر كفاءة. وتركّز أنظمة الذكاء الاصطناعي على إيجاد حلول فعالة وعملية، دون أن تُلزم نفسها بالوصول إلى الحل الأمثل أو الأدق دائماً، على عكس البرمجيات التقليدية التي تعتمد على خوارزميات حتمية. ومن هذا المنظور، فإن حل معادلات الدرجة الثانية لا يُعد تطبيقاً للذكاء الاصطناعي، نظراً لوجود طريقة حل معروفة وثابتة لهذا النوع من المسائل^(١٢).

١٢- د. عمر سالم، المراقبة الالكترونية طريقة حديثة لتنفيذ العقوبة السالبة للحرية خارج السجن، دار النهضة

العربية، القاهرة، ٢٠٠٠، ص ٩٨.

ت- قابلية التعامل مع المعلومات الناقصة

قدرة تطبيقات الذكاء الاصطناعي على إيجاد بعض الحلول حتى لو لم تكن المعلومات متاحة بشكل كامل في الوقت الذي يكون فيه الحل مطلوباً، وعواقب عدم تكامل المعلومات تؤدي إلى استنتاجات أقل واقعية، ولكن من ناحية أخرى الاستنتاجات قد يكون صحيحاً.

ث- القدرة على التعلم

من الخصائص المهمة للسلوك الذكي القدرة على التعلم من التجارب والممارسات السابقة، بالإضافة إلى القدرة على تحسين الأداء، مع مراعاة التجارب الخاطئة السابقة. لديه القدرة على تغيير سلوكه في التدريس وفقاً لسلوك مجموعة الطلاب المتعاملين معه. يبدو للبرنامج أن الطالب يتعلم موضوعاً محدداً باستراتيجية أكثر من غيره، مما يؤدي بالبرنامج إلى جعله أولوية ضمن استراتيجيات التدريس الخاصة به، تماماً كما يفعل المعلم الخبير مع مجموعة من الطلاب الذين يعودون إلى التعامل معهم سيكون أكثر قدرة من غيره على تحديد الاستراتيجية المناسبة لمنهم المعرفة.

ج- قابلية الاستدلال

تُعرف هذه الخاصية بأنها قدرة النظام على توليد حلول محتملة لمشكلة ما استناداً إلى المعطيات المتوفرة والتجارب السابقة، خصوصاً في الحالات التي لا تكون فيها الطرق التقليدية للحل قابلة للتطبيق. ويتحقق ذلك في أنظمة الحاسوب من خلال تخزين مجموعة من الحلول المحتملة، إلى جانب توظيف قواعد منطقية واستراتيجيات استدلال تساعد في تحليل المعطيات والوصول إلى أنسب الحلول الممكنة.

ح- معالجة اللغة الطبيعية

يُعد التفاعل باستخدام اللغة الطبيعية من أبرز الخصائص التي تميز برامج التعلم الذكي، حيث تزداد فعالية التواصل بين النظام والمتعلم بشكل كبير عندما يتمكن البرنامج من فهم مدخلات المستخدم بلغته الطبيعية، سواء كانت منطوقة أو مكتوبة، هذا النوع من التفاعل يُسهم في تعزيز الحوار البناء، ويساعد في تشخيص أخطاء المتعلم، كما يدعم تطوره في مهارات معالجة اللغة، مما يُسهم في تحسين قدراته على فهم اللغة واستخدامها بشكل أكثر كفاءة. (١٣)

يتضمن الذكاء الاصطناعي مجموعة من الخصائص التي تميز برامجها وتجعلها قادرة على محاكاة القدرات العقلية والسلوكية للإنسان، ومن أبرز هذه الخصائص: القدرة على الاستدلال المنطقي واستخلاص النتائج، والتمثيل الرمزي للمفاهيم، إضافة إلى استخدام أساليب البحث التجريبي، كما يتمتع الذكاء الاصطناعي بقدرة على تمثيل المعرفة، ومعالجة المعلومات غير الكاملة أو المتناقضة، والتعلم من الخبرات السابقة. ويُضاف

١٣- جهاد عفيفي، الذكاء الاصطناعي والأنظمة الخبيرة، المرجع السابق، ص ١٨٠.

إلى ذلك خاصية الإدراك، والتي تُعد من أكثر أشكال الذكاء الطبيعي تعقيداً، وقد سعى الباحثون في مجال الذكاء الاصطناعي جاهدين لمحاكاتها وتحقيقها تقنياً.

ثانياً: أهداف الذكاء الاصطناعي.

يُعد الذكاء الاصطناعي فرعاً من فروع علوم الحاسوب التطبيقية، يهتم بدراسة طبيعة الذكاء البشري ومحاولة تقليده، بهدف تطوير أنظمة حاسوبية ذكية قادرة على أداء مهام معقدة تتطلب قدرات عقلية مثل الاستنتاج، والاستنباط، والإدراك. ويتميز هذا العلم بكونه متعدد التخصصات، مستنداً إلى خلفيات علمية متنوعة. ويتمثل هدفه الأساسي في فهم آلية عمل الذكاء لدى الإنسان، بما يمكن الحاسوب من التعامل مع المعرفة والمعلومات الإنسانية بطريقة فعّالة وشبيهة بالعقل البشري.

يُعنى الذكاء الاصطناعي بمحاولة فهم طبيعة الذكاء البشري من خلال تطوير برامج حاسوبية قادرة على محاكاة السلوك الإنساني الذكي. ويُتصد بذلك قدرة النظام الحاسوبي على التعامل مع المشكلات واتخاذ القرارات في مواقف محددة، بحيث لا يعتمد فقط على خطوات معدّة مسبقاً، بل يستطيع أن يحدد بنفسه المنهج الأنسب للحل أو القرار، بالاستناد إلى مجموعة من آليات الاستدلال التي زُوّد بها مسبقاً.

يسعى الذكاء الاصطناعي أيضاً إلى تطوير برمجيات تمتلك القدرة على تنفيذ سلوكيات تُعد ذكية عند قيام الإنسان بها، مثل مهارات الاستنتاج المنطقي واتخاذ القرارات المعقدة. من خلال تمكين الآلات من أداء المهام التي تتطلب الذكاء البشري، يُصبح بالإمكان جعل هذه الأجهزة أكثر ذكاءً وأكثر فاعلية في خدمة الإنسان.^(١٤)

يهدف علم الذكاء الاصطناعي إلى دراسة طبيعة الذكاء البشري من خلال تطوير برامج حاسوبية قادرة على تقليد السلوك الذكي للإنسان، حيث تتمثل هذه القدرة في حل المشكلات أو اتخاذ القرارات في مواقف مختلفة. وتمثل هذه الخاصية نقلة نوعية تتجاوز المفهوم التقليدي لتقنية المعلومات، التي تعتمد بشكل أساسي على التدخل البشري في عمليات الاستدلال، وتعتمد على سرعة الحاسوب الفائقة فقط.

والمبدأ الأساسي الذي يقوم عليه علم الذكاء الاصطناعي لا يكمن في حل الإشكاليات بسرعة أكبر، أو في معالجة المزيد من البيانات، أو حفظ أكبر عدد من المعلومات التي تستقى من العقل البشري، إنما المبدأ الأصح الذي يبنى عليه هذا المجال هو في الواقع مبدأ معالجة المعلومات مهما كانت طبيعتها وحجمها، بطريقة آلية أو نصف آلية، وبشكل متوافق مع هدف معين.

ومن أهداف الذكاء الاصطناعي

١٤-٥. خالد ناصر السيد، أصول الذكاء الاصطناعي، مكتبة الرشد، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٤، ص

١. تكرار الذكاء الإنساني.
٢. حل مشكلة المهام المكلفة للمعرفة.
٣. عمل اتصال ذكي بين الإدراك والفعل.
٤. تحسين التفاعل الاتصال الإنساني الإنساني ، الإنساني الحاسوب، الحاسوبي.

المبحث الثاني استخدام أنظمة الذكاء الاصطناعي في التحقيقات

إن التحري والاستدلال هما جزء أساسي من عملية التحقيق الجنائي، ويتطلبان دقة ومهارة كبيرة لضمان جمع الأدلة بشكل صحيح وتحليلها بفعالية لكشف الجريمة وتحديد المسؤولين عنها.

وقد شهدت مجالات التحقيقات الأمنية والقانونية تطوراً ملحوظاً مع دخول أنظمة الذكاء الاصطناعي، التي أسهمت في تعزيز فعالية العمليات التحقيقية ودقتها. تعتمد هذه الأنظمة على تقنيات متقدمة مثل تحليل البيانات الضخمة، والتعلم الآلي، والتعرف على الأنماط، مما يمكن المحققين من استكشاف الأدلة وتحليلها بسرعة أكبر وبدقة أعلى مقارنة بالطرق التقليدية. يمكن للذكاء الاصطناعي معالجة كم هائل من المعلومات الرقمية، مثل سجلات المكالمات، ورسائل البريد الإلكتروني، وبيانات وسائل التواصل الاجتماعي، لاستخراج مؤشرات قد تساعد في كشف الجرائم أو التعرف على المشتبه بهم. كما تُستخدم تقنيات التعرف على الوجه والصوت في تحديد الهوية بدقة متناهية، مما يسرع من عمليات القبض والتحقيق^(١٥).

علاوة على ذلك، تساهم أنظمة الذكاء الاصطناعي في تقليل الأخطاء البشرية وتحسين موضوعية التحقيقات من خلال الاعتماد على البيانات والتحليلات العلمية. وتتيح بعض الأنظمة التنبؤ بالأنماط السلوكية أو الوقائع المحتملة بناءً على تحليلات تاريخية، مما يساعد في الوقاية من الجرائم أو التعامل معها بشكل استباقي. ورغم هذه المزايا، يثير استخدام الذكاء الاصطناعي في التحقيقات قضايا أخلاقية وقانونية تتعلق بالخصوصية، والحقوق المدنية، وضرورة وضع ضوابط واضحة لضمان الاستخدام المسؤول لهذه التكنولوجيا.

ولغرض بيان هذا المبحث بشكل دقيق، سوف نقسمه على مطلبين، الأول بعنوان: استخدام أنظمة الذكاء الاصطناعي في القوانين المقارنة، أما الثاني بعنوان: الحلول القانونية لقيام أنظمة الذكاء الاصطناعي بعملية التحري والاستدلال، والتفاصيل على النحو الآتي:

المطلب الأول: استخدام أنظمة الذكاء الاصطناعي في القوانين المقارنة

شهدت مجالات التحقيقات الأمنية والقانونية تطوراً ملحوظاً مع دخول أنظمة الذكاء الاصطناعي، التي أسهمت في تعزيز فعالية ودقة العمليات التحقيقية. تعتمد هذه الأنظمة على تقنيات متقدمة مثل تحليل

١٥ - جهاد عفيفي، الذكاء الاصطناعي والأنظمة الخبيثة، المرجع السابق، ص ١٣٠.

البيانات الضخمة، والتعلّم الآلي، والتعرف على الأنماط، مما يمكّن المحققين من استكشاف الأدلة وتحليلها بسرعة أكبر وبدقة أعلى مقارنة بالطرق التقليدية. يمكن للذكاء الاصطناعي معالجة كم هائل من المعلومات الرقمية، مثل سجلات المكالمات، ورسائل البريد الإلكتروني، وبيانات وسائل التواصل الاجتماعي، لاستخراج مؤشرات قد تساعد في كشف الجرائم أو التعرف على المشتبه بهم. كما تُستخدم تقنيات التعرف على الوجه والصوت في تحديد الهوية بدقة متناهية، مما يسرع من عمليات القبض والتحقيق.

وفي تقرير صدر عام ٢٠٠٨ بعنوان "الروبوتات العسكرية المستقلة: المخاطر، والأخلاقيات، والتصميم"، والذي أعده قسم الأخلاقيات والتقنيات الناشئة بجامعة ولاية كاليفورنيا للتقنيات المتعددة، أُشير إلى أن الروبوتات العسكرية قد أصبحت تمتلك مستوى متقدماً من الذكاء يمكنها من التمييز بين الأهداف العسكرية والمدنيين. ويُبرز هذا التطور التكنولوجي الحاجة الملحة إلى مواءمة التشريعات الجزائية مع المستجدات المتسارعة في مجال الذكاء الاصطناعي، لضمان تنظيم استخدام هذه التقنيات بما يحقق العدالة ويحمي الحقوق الأساسية في أوقات السلم والنزاع.^(١٦)

وفي هذا السياق، تجدر الإشارة إلى أن العديد من دول الخليج العربي بدأت تتجه نحو تبني تقنيات الذكاء الاصطناعي في قطاعات متعددة، غير أن استخدامها في مجالات التحري والتحقيق لا يزال محدوداً، ولم يُفعل بشكل كامل حتى الآن. ويُلاحظ هذا بوضوح في حالة مملكة البحرين، التي لا تزال تعتمد بشكل كبير على الإجراءات التقليدية المعروفة في أعمال التحري.

وقد نصّ قانون الإجراءات الجنائية البحريني الصادر بالمرسوم رقم ٤٦ لسنة ٢٠٠٢ في مادته السابعة على أن النيابة العامة تُعد الجهة الوحيدة المختصة بتحريك الدعوى الجنائية ورفعها، ولا يجوز لأي جهة أخرى مباشرتها أو توقيفها أو تعليقها، إلا في الحالات التي يجيزها القانون صراحة. كما ورد في المادة (٤٣) من القانون ذاته أن مأموري الضبط القضائي يتولون مهمة الكشف عن الجرائم والبحث عن مرتكبيها، إضافة إلى جمع الأدلة اللازمة للبدء في التحقيق واتخاذ القرار في مسار الدعوى. أما المادة (٤٤) من قانون الإجراءات البحريني، فقد أكدت أن مأموري الضبط القضائي يخضعون لإشراف النائب العام فيما يتعلق بالأعمال الرسمية التي يباشرونها.

كما تمنح المادة المشار إليها صلاحية ممارسة مهام مأموري الضبط القضائي للمحافظين ضمن نطاق ولايتهم الإدارية، ويجوز كذلك، وبموجب قرار يصدر عن وزير العدل بالتنسيق مع الجهة المختصة، تعيين

١٦ - د. عبد القادر محمود محمد الأقوع، "الروبوتات العسكرية في الحروب المستقبلية ومدى خضوعها لأحكام القانون الدولي الإنساني" في المجلة القانونية، مجلد ٨، عدد ٣، ص ٨٩٩.

بعض الموظفين للقيام بمهام الضبط القضائي، وذلك فيما يخص الجرائم المرتبطة بطبيعة عملهم وضمن حدود اختصاصهم.

أما في التشريع العراقي، فقد نصّت الفقرة (أ) من المادة (٤٠) من قانون أصول المحاكمات الجزائية على أن أعضاء الضابطة العدلية يمارسون مهامهم ضمن حدود اختصاصهم المكاني، وتحت إشراف الادعاء العام ووفقاً لأحكام القانون. كما يخضع هؤلاء لرقابة قاضي التحقيق ضمن دائرته القضائية، حيث يحق له أن يطلب من الجهة الإدارية المختصة اتخاذ الإجراءات الانضباطية بحق من يخلّ بواجباته أو يُقصر في أداء عمله، وله كذلك اتخاذ الإجراءات القانونية ضد من يرتكب فعلاً يُشكّل جريمة، وإحالاته إلى المحاكمة وفقاً للأصول، وذلك كما ورد في الفقرة (ب) من المادة نفسها.

وقد جاءت المادة (٤١) من القانون ذاته لتحدد صراحة المهام التي يتولاها أعضاء الضابطة العدلية ضمن نطاق اختصاصهم الوظيفي، حيث تم تفصيل تلك الواجبات في سياق تنظيمي يهدف إلى تعزيز فعالية إجراءات التحري والتحقيق وفقاً للضوابط القانونية.^(١٧):

١. التحري عن الجرائم وقبول الإخبار والشكاوى التي تقدم إليهم.
٢. تقديم المساعدة لفضة التحقيق والمحققين وضباط الشرطة ومفوضيها.
٣. تزويد الجهات التحقيقية بما يصل إليهم من المعلومات عن الجرائم وضبط مرتكبيها وتسليمهم إلى السلطات المختصة.

وفيما يتعلق بالإمارات العربية المتحدة، فقد تبنت نهجاً مغايراً عبر إعلانها الانتقال إلى ما يُعرف بـ"العدالة الرقمية"، حيث بدأت فعلياً بدمج تقنيات الذكاء الاصطناعي ضمن منظومتها القضائية. ومع ذلك، فإن هذا التوجه يتطلب تطويراً تشريعياً يتماشى مع المتغيرات التكنولوجية الحديثة. إذ لم يتضمن قانون أصول المحاكمات الجزائية الإماراتي حتى الآن نصوصاً صريحة تُعالج استخدام أنظمة الذكاء الاصطناعي في مجالي التحقيق والاستدلال بشكل مباشر. وهو ما يُظهر أن الإطار القانوني في الإمارات لا يختلف كثيراً عن نظيره في مملكة البحرين أو المملكة الأردنية الهاشمية من حيث تنظيم أعمال مأموري الضبط القضائي.

وبناءً عليه، يمكن ملاحظة وجود تشابه كبير بين قوانين أصول المحاكمات الجزائية في الأردن والإمارات، وكذلك قانون الإجراءات الجنائية البحريني، من حيث الهيكل والمضمون. وتتشرك هذه القوانين في افتقارها إلى النصوص التي تُمكن من استيعاب التطورات المرتبطة باستخدام الذكاء الاصطناعي في مراحل التحقيق وجمع الأدلة، الأمر الذي يستدعي تحديثاً تشريعياً عاجلاً يتيح للأنظمة الذكية أداء بعض المهام القانونية تحت إشراف الجهات القضائية المختصة.

١٧- المادة ٤١- من قانون الاجراءات البحريني الصادر بالمرسوم رقم ٤٦ لسنة ٢٠٠٢.

وفي المقابل، نجد بعض الدول قد قطعت شوطاً كبيراً في هذا المجال، مثل الصين التي باتت تقدم خدمات قضائية عبر أنظمة الذكاء الاصطناعي، واستونيا التي تعتمد قضاءً اصطناعياً للفصل في القضايا المدنية التي تقل قيمة مطالباتها عن ٧,٠٠٠ يورو، أما في الولايات المتحدة الأمريكية، فيتم الاستفادة من الذكاء الاصطناعي في تحليل البيانات المتعلقة بالقضايا الجنائية المعقدة، بما يسهم في تسريع الإجراءات وتحسين دقتها.

المطلب الثاني: الحلول القانونية لقيام أنظمة الذكاء الاصطناعي بعملية التحري والاستدلال

مع التقدم السريع في تقنيات الذكاء الاصطناعي، أصبح من الممكن التفكير بجدية في إسناد بعض وظائف التحري الجنائي إلى الأنظمة الذكية. ومع ذلك، فإن دمج الذكاء الاصطناعي في هذا المجال الحساس يتطلب معالجة مجموعة من التحديات القانونية، والتقنية، والأخلاقية. وفي هذا السياق، تبرز مجموعة من الحلول المقترحة التي يمكن أن تسهم في تمكين الذكاء الاصطناعي من أداء مهام التحري بشكل فعال وآمن^(١٨).

أولاً: استخدام أنظمة الذكاء الاصطناعي في عملية التحري والاستدلال:

لقد شهدت العديد من الدول المتقدمة، مثل الإمارات العربية المتحدة، والمملكة المتحدة، والولايات المتحدة الأمريكية، والصين، وإستونيا، توظيف أنظمة الذكاء الاصطناعي في معالجة المشكلات الرقمية المعقدة، بما في ذلك استخدامها في مجالات التحقيق والاستدلال. وتتميز هذه الأنظمة بقدرتها على تنفيذ المهام التحقيقية وتحليل الأدلة والوصول إلى نتائج دقيقة دون الحاجة إلى تدخل بشري مباشر، مما يسهم في تسريع الإجراءات وتحسين دقتها وكفاءتها.

ورغم هذا التقدم، فإن العراق لم يشهد بعد اعتماداً فعلياً لهذه التقنيات في مجالات التحقيق الجنائي. ومع ذلك، فإن النصوص القانونية الحالية، ولا سيما ما ورد في قانون أصول المحاكمات الجزائية العراقي رقم ٢٣ لسنة ١٩٧١، تتيح إمكانية إدخال هذه التقنيات ضمن الأطر القانونية القائمة، شريطة أن يتم ذلك بما لا يتعارض مع الضمانات الأساسية للمحاكمة العادلة، ووفق ضوابط قانونية وأخلاقية واضحة. إن التحدي الرئيس في هذا السياق يكمن في ضرورة تحديث الإطار التشريعي الوطني ليواكب التطورات التكنولوجية المتسارعة، ويوفر بيئة قانونية آمنة لاستخدام الذكاء الاصطناعي في إجراءات التحقيق والاستدلال. ويمكن النظر إلى استخدام الأنظمة الذكية بوصفها أدوات مساعدة للمحقق البشري، تُستخدم تحت إشرافه وبما يضمن عدم المساس بحقوق المتهمين أو الإخلال بمبادئ العدالة.

١٨- د. محمد أبو قاسم الرتيمي، الذكاء الاصطناعي والنظم الخبيرة، الطبعة الأولى، مكتبة العبيكان، الرياض،

السعودية، ٢٠١٢، ص ١١٢.

تبرز الحاجة الملحة إلى تحديث الإطار التشريعي وتطوير القوانين الجنائية الإجرائية بما يتلاءم مع المتغيرات التكنولوجية الحديثة، وعلى وجه الخصوص استخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي في عمليات التحقيق والاستدلال الجنائي. ويُستحسن أن تتضمن هذه التعديلات مصطلحات دقيقة ونصوصاً صريحة تنظم دور الذكاء الاصطناعي في هذه العمليات، إلى جانب وضع معايير وتشريعات تضمن الاستخدام الآمن والفعال لهذه التقنيات، بما يحفظ حقوق الأفراد ولا يُخلّ بضمانات العدالة.

ومن المهم الإشارة إلى أن معالجة هذا الموضوع تختلف من دولة إلى أخرى، وذلك بحسب ما تنص عليه السياسات العامة والتشريعات الوطنية المعمول بها. لذلك، فإن تحقيق تقدم فعلي في هذا الجانب يتطلب تفاعلاً مباشراً من الجهات التشريعية والقانونية، من خلال تقديم مقترحات واضحة لإدراج الذكاء الاصطناعي ضمن منظومة العدالة الجنائية، مع مراعاة البعدين التقني والقانوني على حدّ سواء^(١٩).

ثانياً: تحري أنظمة الذكاء الاصطناعي عن الجرائم:

تُعدّ عملية استقصاء الجرائم وضبطها من المهام الجوهرية التي تضطلع بها جهات الضابطة العدلية، إذ تتضمن جمع المعلومات المتعلقة بالأفعال الإجرامية، سواء كانت من صنف الجنايات أو الجنح، والتي تكون محلاً للشكاوى أو الإخبارات المحالة إلى النيابة العامة. وتشمل هذه العملية أيضاً تنفيذ التحريات اللازمة لكشف هوية مرتكبي الجرائم والمشاركين فيها، إلى جانب جمع الأدلة المرتبطة بهم، سواء من خلال ضبط الأدوات والمواد الجرمية، أو من خلال إجراء المعاينات الميدانية لمواقع ارتكاب الجرائم، وكذلك تكليف الجهات المختصة بإجراء الفحوصات العلمية والفنية على الآثار والمعالم التي خلّفتها تلك الجرائم.

تُعدّ عملية استقصاء الجرائم وضبطها من المهام المركزية التي ينهض بها موظفو الضابطة العدلية، حيث تشمل جمع المعلومات المتعلقة بالجرائم، سواء كانت جنایات أو جنحاً، متى كانت محلاً للشكاوى أو الإخباريات التي تُحال إلى النيابة العامة. كما تمتد مهام الاستقصاء لتشمل إجراء التحريات اللازمة لكشف هوية الجناة والمساهمين في ارتكاب الجريمة، إلى جانب جمع الأدلة المرتبطة بهم، من خلال ضبط المواد الجرمية، وإجراء المعاينات الحسية لمواقع ارتكاب الجرائم، فضلاً عن تكليف الجهات الفنية المختصة بتنفيذ الدراسات العلمية والتقنية على الآثار والمعالم المتخلفة عن الواقعة الجنائية.

يمكن تعريف وسائل التحقيق الجنائي بأنها تتكوّن من مجموعة من المبادئ العلمية والأساليب التقنية المستخدمة بهدف إثبات وقوع الجريمة، ومساعدة العدالة في الكشف عن هوية مرتكبها، وتحديد النمط الإجرامي الذي اتبعه. وتشمل هذه الوسائل فحوصاً شاملاً ومنهجياً ودقيقاً لمسرح الجريمة، يتم وفق قواعد منطقية وضمن إطار زمني سريع، نظراً لقابلية الأدلة والآثار والشهادات للتلف أو التغيير.

١٩ - د. محمد بتشيم بو جمعة، الذكاء الاصطناعي في مفهوم العدالة الحديثة، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٢١، ص ٨٨.

وتُعتمد في هذا السياق قواعد فنية دقيقة مثل التسلسل المنطقي في التصوير، ورفع الآثار وتجزئتها، ووصف المكان، والربط بين الشهادات المتاحة، إضافة إلى بناء فرضيات منطقية تتسق مع النتائج المستخلصة من معاينة الأشخاص والأشياء ومكان ارتكاب الجريمة. وتهدف هذه الوسائل مجتمعة إلى البحث عن الأدلة المادية الظاهرة والخفية، والحفاظ عليها، من خلال توظيف تقنيات تكنولوجية متقدمة تُستخدم في تحليل الأدلة وتوثيقها بدقة.

لم يقم المشرّع في كلاً من لبنان والأردن والعراق بتحديد وسائل الاستقصاء التي يمكن أن تعتمدها الضابطة العدلية على نحو حصري أو مغلق، وإنما ترك المجال مفتوحاً للاستفادة من التطورات العلمية الحديثة. ومن بين الوسائل التي يُسمح باستخدامها ما أتاحتها الاكتشافات التقنية المتلاحقة، مثل أجهزة التسجيل الصوتي، شريطة أن يتم ذلك ضمن ضوابط محددة. فُيُشترط ألا يُجرى التسجيل عبر وسائل الخداع أو انتهاك حرمة المساكن أو اللجوء إلى الإكراه، كما يُشترط أن يقرّ الشخص الذي جرى تسجيل أقواله بأن ما ورد في التسجيل قد صدر عنه فعلاً. وبهذا التوجه يوازن المشرّع بين متطلبات كشف الحقيقة الجنائية من جهة، وضمان صون الحقوق والحريات الأساسية للأفراد من جهة أخرى.

على هذا نرى وفقاً لما تقدم، أن وسائل التحقيق الجنائي تمثل مجموعة من المبادئ العلمية والأساليب التقنية المنهجية التي تهدف إلى إثبات الجريمة وكشف هوية مرتكبها، من خلال فحص دقيق لمسرح الجريمة واستخدام تقنيات متطورة للحفاظ على الأدلة وتحليلها بشكل منطقي وسريع، مما يعزز دقة وفعالية عمليات التحري والعدالة.

ونوصي بأن يتضمن القانون العراقي في قانون أصول المحاكمات الجزائية إمكانية للذكاء الاصطناعي ذاته بالتحقيق في بعض الجرائم ذات الطابع الخصوصي التي لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يتوصل إليها الجهد البشري، ويجب أن يكون ذلك مناسباً للزمان الحالي.

الخاتمة

في ختام هذا البحث، يمكن القول إن استخدام الذكاء الاصطناعي في التحقيقات الجنائية الدولية يمثل ثورة تكنولوجية قد تسهم بشكل كبير في تحسين فعالية وكفاءة هذه التحقيقات. ومع ذلك، فإن هذا الاستخدام يأتي مع مجموعة من التحديات القانونية والأخلاقية التي يجب معالجتها لضمان تحقيق العدالة وحماية حقوق الأفراد. لقد استعرضنا في البحث المفاهيم الأساسية للذكاء الاصطناعي، واستخداماته المحتملة في المجال القانوني، بالإضافة إلى الفجوات القانونية الحالية التي تحتاج إلى تعديل لتواكب هذه التطورات.

على هذا الأساس فقد توصلنا الى مجموعة من النتائج والمقترحات كانت على النحو الآتي:

أولاً- النتائج:

- ١- يمكن للدكاء الاصطناعي أن يزيد من فعالية التحقيقات من خلال تحليل كميات ضخمة من البيانات بسرعة ودقة.
- ٢- لانتزاع القوانين الحالية غير مهيأة بشكل كامل لاستيعاب استخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي، مما يخلق فجوات قانونية يجب معالجتها.
- ٣- يتطلب استخدام الذكاء الاصطناعي في التحقيقات الجنائية مراعاة القضايا الأخلاقية المتعلقة بخصوصية الأفراد وحقوقهم.

ثانياً_ التوصيات:

- ١- يجب على المشرعين العمل على تحديث القوانين الحالية لتشمل نصوصاً واضحة تتعلق باستخدام الذكاء الاصطناعي في التحقيقات الجنائية، بما يضمن حماية حقوق الأفراد.
- ٢- ينبغي توفير برامج تدريبية للمحققين وأفراد الضبط القضائي حول كيفية استخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي بشكل فعال وآمن.
- ٣- يجب وضع سياسات واضحة لحماية البيانات والخصوصية عند استخدام الذكاء الاصطناعي في التحقيقات.
- ٤- يجب إشراك المجتمع المدني في النقاشات حول استخدام الذكاء الاصطناعي في التحقيقات الجنائية لضمان الشفافية والمساءلة.

المصادر

أولاً- الكتب القانونية:

- ١- د. احمد عادل جميل، ود. عثمان حسين عثمان، إمكانية استخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي في ضبط جودة التدقيق الداخلي، المؤتمر العلمي السنوي الحادي عشر "بعنوان ذكاء الأعمال واقتصاد المعرفة"، جامعة الزيتونة الأردنية، كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، عمان، ٢٠١٢.
- ٢- جهاد عفيفي، الذكاء الاصطناعي والأنظمة الخبيرة، المنهل للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٨.
- ٣- د. خالد حسن أحمد لطفي، جرائم الانترنت بين القرصنة الالكترونية وجرائم الابتزاز الالكتروني "دراسة مقارنة"، دار الفكر الجامعي، القاهرة، ٢٠١٩.
- ٤- د. خالد ناصر السيد، أصول الذكاء الاصطناعي، مكتبة الرشد، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٤.
- ٥- دونا إبراهيم حلال، الذكاء الاصطناعي تحد جديد للقانون الجزائري، دار بلال للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٢٢.
- ٦- د. عادل عبد النور، اساسيات الذكاء الاصطناعي، منشورات مواقف، بيروت، ٢٠١٧.
- ٧- د. علي بشار الشريف، تطبيقات الذكاء الاصطناعي على الشبكات الاصطناعية، جامعة تشرين، سوريا، ٢٠١٢.
- ٨- د. عمر سالم، المراقبة الالكترونية طريقة حديثة لتنفيذ العقوبة السالبة للحرية خارج السجن، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٠.
- ٩- أ.د محمد أبو قاسم الرتيمي، الذكاء الاصطناعي والنظم الخبيرة، الطبعة الأولى، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، ٢٠١٢.
- ١٠- د. محمد بتشيم بو جمعة، الذكاء الاصطناعي في مفهوم العدالة الحديثة، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٢١.
- ١١- د. محمد عبد الظاهر، صحافة الذكاء الاصطناعي "الثورة الصناعية الرابعة وإعادة هيكلة الإعلام"، دار بدائل للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٨.
- ١٢- أ.د هلاي عبد الله احمد، تفتيش نظم الحاسب الآلي و ضمانات المتهم المعلوماتي، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠١.

ثانياً: البحوث

- ١- د. إيهاب خليفة، «الذكاء الاصطناعي: تأثيرات تزايد دور التقنيات الذكية في الحياة اليومية للبشر»، دورية اتجاهات الأحداث، العدد ٢٠، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، أبوظبي، مارس/أبريل ٢٠١٧.
- ٢- د. حافظ جعفر إبراهيم، "المركبات ذاتية القيادة: قضايا التنظيم والمسؤولية المدنية." مجلة كلية القانون الكويتية العالمية، السنة الثامنة، العدد ٣.
- ٣- د. عبد القادر محمود محمد الأقرع، "الروبوتات العسكرية في الحروب المستقبلية ومدى خضوعها لأحكام القانون الدولي الإنساني" في المجلة القانونية، مجلد ٨، عدد ٣.
- ٤- م. م. مريم سالم جبار،. "التجارة الإلكترونية في عصر الذكاء الاصطناعي: التحول الرقمي وتأثيره على سلوك المستهلك." مجلة الاقتصادي الخليجي، جامعة البصرة، كلية الإدارة والاقتصاد، نظم المعلومات الإدارية، العدد ٦٣، ٢٠٢٥.

ثانياً_ القوانين:

- ١- قانون أصول المحاكمات الجزائية العراقي رقم ٢٣ لسنة ١٩٧١.
- ٢- قانون الاجراءات الجنائية البحريني رقم ٤٦ لسنة ٢٠٠٢.

صراع القوى الاستعمارية في الخليج العربي (البرتغال وهولندا أنموذجاً)

The struggle of colonial powers in the Arabian gulf (Portugale and The Netherlands as a model)

م.د. علي فاروق الحبوي⁽¹⁾

Lect. Ali Farouq Al Habboubi (PhD)

الملخص

تحاول هذه الدراسة ان ترصد مُعطيات صراع القوى الاستعمارية الدائر في منطقة الخليج العربي، منذ بواكير القرن السادس عشر الميلادي، التي مثلتها البرتغال وهولندا، وما نتج عن هذا الاصطدام والصراع من تقلبات وتحولات أصابت خارطة القوى العالمية، كانت نتيجتها ارتفاع نسبة الهيمنة عند قوى وانخفاضها عند اخرى؛ وهذا يعود لعوامل مُتعددة أبرزها: التباين الحاصل بين القوى الاستعمارية فيما يخص الانظمة السياسية والادارية لاسيما عند الهولنديين، الذين اختلف نظامهم كثيراً عن بنية النظام السياسي الخارجي البرتغالي، الذي بُني على المبادئ الكلاسيكية القديمة للاستعمار العالمي ونُحَصَّ على قواعده وأولى هذه القواعد التوسل بالقوة لإخضاع الآخر.

الكلمات المفتاحية: الخليج العربي، الاستعمار البرتغالي، الاستعمار الهولندي، ألبوكيرك

Abstract

This research appears the circumstances of the conflict that raged between the colonial powers dominating the Arab Gulf region since the beginning of the sixteenth century AD which is represented by Portuguese and Dutch colonialism and the clashes, intersections and political, military

١- جامعة كربلاء- كلية التربية للعلوم الانسانية

and economic conflicts that led to the preponderance of forces over others due to several factors, the most important factor was the difference in the political system which is followed by the Dutch on the political system adopted by the Portuguese, which follows the pattern of the old traditional colonialism through the use of force to impose hegemony, in contrast to the Dutch.

Keywords: Arab Gulf, Portuguese colonization, Dutch colonization, Albukeyark

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيد الامم محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وبعد: منلت منطقة الخليج العربي مناخاً خصباً يستقطب القوى الاستعمارية اللاهثة وراء التوسع والهيمنة على المناطق الرخوة في خاصرة الخليج العربي والمكتنزة بالموارد المتنوعة صناعياً وتجارياً، من اللحظة الاولى التي بدأت بها انظار الاستعمار الغربي تتجه نحو هذه المناطق، للافادة من كنوزها الجمّة، وولدت نتيجة لهذه العناية صراعات عنيفة بين القوى الاستعمارية المستقطبة الى منطقة الخليج العربي وباتت هذه المناطق تفور بالحركة وتمور بالنشاط السياسي والاقتصادي والتجاري والعسكري، وكان البرتغاليون والهولنديون من أهم القوى المتصارعة؛ للهيمنة على هذه المنطقة المركزية في الشرق، وقد أدى سباق الهيمنة هذا إلى اشعال صراعات عسكرية وسياسية وتجارية في المنطقة عامة، لم تنطفئ إلا بخروج هذه القوى من منطقة الخليج العربي، على يد حركة المقاومة العربية.

وقد كونت هذه النشاطات والصراعات الاستعمارية ملفاً تاريخياً صالحاً للقراءة لسير اغوار اسرار تلك التقاطعات والصراعات الاستعمارية الدائرة في منطقة الخليج العربي؛ مما يتيح لنا الافادة منها في الوقت الحاضر؛ لتجنب تكرار تلك الحركات الاستعمارية، ولذلك جاءت دراستنا تحت عنوان: (صراع القوى الاستعمارية في الخليج العربي (البرتغال وهولندا أمودجاً))، في محاولة لقراءة هذا المتن التاريخي قراءة جديدة، وعدم استقباله بجمود، والاكتفاء به؛ لأن الحقائق التاريخية تُشكل خطاباً حياً قابلاً للاستدعاء والتطبيق على الحقب الحاضرة من التاريخ بعد تفكيكه وقراءة بنيته قراءات واعية تتعدى القراءات غير المنتجة الخاوية.

وقد انقسمت هذه الدراسة على تمهيد وثلاثة مباحث؛ فأما التمهيد فقد كان عنوانه (منطقة الخليج العربي الموقع الجغرافي والأهمية الاستراتيجية)، وقد اعتنى بتهيئة القارئ للموضوع الرئيس، بعد بيان أهمية هذه المنطقة الاستراتيجية وموقعها، وأما المبحث الأول فقد اعتنى بدراسة تاريخ (الوجود البرتغالي في الخليج العربي)، وتحليل أهم النصوص التي أسعفتنا بها المصادر التاريخية؛ للكشف عن اسباب الغزو، والعوامل المؤثرة فيه، وجاء المبحث الثاني ليهتم بدراسة تاريخ (الوجود الهولندي في الخليج العربي)، ثم يأتي المبحث الثالث ليقتراح دراسة مقارنةً بين القوتين الاستعماريتين، ويكشف عن مدى تفوق أحدهما على

الأخرى فكان عنوانه (صراع القوى البرتغالية والهولندية في الخليج العربي)، وقد انتهى البحث بخاتمة اشتملت على أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

لقد أفاد البحث من جملة من المصادر التاريخية المهمة العربية والمترجمة التي كانت بمثابة المادة الأولية له، وشكلت منطلقه الأول، لكنه حاول أن يتداخل مع نصوص هذه المصادر، ويؤدي برأيه، ومن أهم تلك المصادر كتاب عبد العزيز عوض الموسوم بـ (دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث)، وكتاب بدر الدين عباس الخصوصي (دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر)، وكتاب لوريمر (دليل الخليج)، والسير أرنولد ت ويلسون (تاريخ الخليج العربي)، وغير ذلك من المصادر المهمة.

التمهيد: منطقة الخليج العربي الموقع الجغرافي والأهمية الاستراتيجية

تقع منطقة الخليج العربي في جنوب غرب قارة آسيا على هيئة ذراع بحري يتصل طرفه الجنوبي بخليج عُمان، ثم البحر العربي فالمحيط الهندي، وينحصر بين خطي عرض ٢٤-٣٠/٣٠ شمالاً، وخطي طول ٤٨-٥٧ شرقاً، وتطل عليه من الشمال مقاطعة (عرب ستان) ومحافظة البصرة، ومن الشمال الغربي دولة الكويت، ومن الغرب مقاطعة الاحساء ودولة البحرين ودولة قطر، ومن الجنوب الغربي والجنوب دولة الامارات العربية المتحدة التي تضم (ابو ظبي، دبي، الشارقة، راس الخيمة، عجمان، ام القيوين، الفجيرة) وكذلك مضيق هرمز وخليج عُمان، ومن الشمال الشرقي والشرق ايران، وهو عبارة عن منخفض مائي كبير ضحل المياه نسبياً يبلغ متوسط عمقه حوالي (١٩) متر ويزداد العمق في الشرق كلما تقدمنا جنوباً حتى يصل بالقرب من مضيق هرمز حوالي (١١٠) متر، اما في الاقسام الغربية فيقل العمق حتى يصل (٣٧) متر، ويقدر طول الخليج العربي بحوالي (٦١٥) ميلاً أو (٩٩٠) كم اعتباراً من مصب شط العرب في الشمال حتى مضيق هرمز في الجنوب الشرقي، ويتراوح عرضه بين (٢٩) ميلاً أو (٤٧) كم عند مضيق هرمز، و(٢١٠) ميلاً أي حوالي (٣٤٠) كم في أوسع منطقة بالقرب من وسطه وشماله، واما مساحة الخليج العربي الكليّة فتبلغ حوالي (٩٢٥٠٠) ميلاً أو (٢٤٠٠٠) كم^٢، وحجم مياهه حوالي (٨٥٠٠) كم^٣، وبذلك تكون مساحته حوالي نصف مساحة البحر الاسود^(٢).

وكشفت الدراسات الجيولوجية التي اجريت في الخليج العربي ان هذه المنطقة لم تكن على ماهي عليه الآن، وإنما طرأت عليها تغييرات وتحولات وتطورات جيولوجية عبر الازمنة المتعاقبة، وقد تعرضت هذه المنطقة في خلال ذلك لعوامل التغيير والتبديل، مما جعلها تكتسب صورة شكلها الحالي، ولم يقتصر هذا التغيير الذي تعرضت له منطقة الخليج العربي على سطحها فحسب بل شمل باطنها أيضاً، إذ بدّل من

طبيعته التكوينية، ولا يُنكر ما يقوم به كل من دجلة والفرات وشط العرب وكارون من إرساب مُستمر يؤثر فيها ويُغير من شكلها^(٣).

ومما يُعطي منطقة الخليج العربي جانباً جغرافياً مهماً وجود مجموعة من الجزر التي تزيد على ألد (٢٠٠) جزيرة، بالقرب من سواحلها، وهي تتفاوت في مساحتها وأهميتها الاقتصادية والاستراتيجية، فبالقرب من السواحل الشمالية الغربية تقع جزيرة بوبيان التي هي أكبر الجزر وتقع عند مدخل خور عبد الله وأم قصر، وهناك جزيرة فيلكا ودورية وأم المرادم وقاروة وأم النمل وعوجة، أما أهم الجزر التي تُقابل الساحل السعودي فهي الجريز والكرين والكران، ثم تأتي مجموعة جُزر البحرين التي تتألف من (٣٣) جزيرة أكبرها جزيرة المنامة ثم المحرق وسترا وأم الغسان، وتُقابل دولة الامارات العربية مجموعة كبيرة من الجزر تزيد على ألد (١٠٠) جزيرة أهمها طناب الكبرى وطناب الصغرى وأبو موسى، وهناك مجموعة من الجزر المهمة التي تقع بالقرب من مضيق هرمز أهمها جزيرة هرمز وقشم وهنكام ولارك وأم القم وسلامة، أما أشهر الجزر التي تُحاذي الساحل الشرقي من الخليج العربي فهما قيس و خارج^(٤).

وقد ازدادت أهمية هذه المنطقة دولياً بعد القرن الخامس عشر الميلادي، لاسيما بعد حملة الاستكشافات الجغرافية، وازدياد هذه الأهمية ازداد الصراع الاستعماري والسيطرة الأجنبية وكبر حجم التنافس من اجل التوسع والهيمنة والاستحواذ على مواردها الطبيعية وجزرها الغنية بالثروات، ومن اجل ذلك احتدم الصراع بين القوى الاستعمارية وسُكاتها الأمنين، ثم بدأ هذا الصراع يتحول من صراع بين الداخل والخارج الى صراع بين الخارج والخارج أي بين الدول الغازية المتصارعة نفسها، مثلما حصل بين البلجيكين والبرتغاليين من جهة وبينهم وبين الفرنسيين من جهة أخرى، فضلاً عن الإنكليز والروس وباقي القوى الاستعمارية العالمية التي ظهرت حتى القرن العشرين^(٥).

وقد استقطبت منطقة الخليج العربي القوى السياسية الاستعمارية واثارت اطماعها؛ لما تتمتع به من أهمية كبيرة في الميزان السياسي الدولي، فلهذه المنطقة موقعها الاستراتيجي الذي يتوسط العالم القديم، فضلاً عن تحكمها بطرق المواصلات التي تربط الشرق بالغرب ودورها البارز بوصفها جسراً للحضارة الإنسانية، وكانت النتيجة لكل هذا ان تحولت هذه المنطقة إلى ساحة لتنافس القوى الكبرى وصراعها من اجل السيطرة على اقطارها والتحكم بطرق مواصلاتها واستغلال مواردها الطبيعية^(٦).

٣ - سالم سعدون، جزر الخليج العربي دراسة في الجغرافية الاقليمية، بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٨١ م، - ص ٥.

٤ - عبد الرزاق الفهد، المصدر السابق، ص ٢-١.

٥ - سالم سعدون، المصدر السابق، ص ٢٢-٢٣.

٦ - سحر احمد ناجي، بريطانيا والخليج العربي خلال الحرب العالمية الأولى، بغداد: دار ومكتبة عدنان للطباعة والنشر والتوزيع

- ص ٩.

المبحث الأول: الوجود البرتغالي في الخليج العربي

إن الأهمية الكبيرة التي يتمتع بها الخليج العربي التي تُعزى إلى موقعه المهم، وكونه يتوسط العالم القديم، وتسيده لطرق مواصلاته التي تربط بين شرقه وغربه، قد أثارت اهتمام الدول الاستعمارية منذ البواكير الأولى لظهور تلك الأطماع، فأصبح الخليج العربي من المحاور المهمة التي تكالبت عليها تلك الدول، وأعطته الأولوية الكبرى في سباق التنافس البغيض، للاستحواذ عليه وعلى خيراته، وكان للبرتغاليين نصب السبق في ذلك التنافس، فتم لهم السيطرة عليه، وعلى موارده لحقب ممتدة من الأزمان.

ويمكن استجلاء الاسباب التي أدت إلى ظهور البرتغاليين كقوة استعمارية مهيمنة في تلك المنطقة بخاصة والساحة العربية بعامه، إلى الأسباب الآتية^(٧):

١. تصدُّع المناطق العربية وتمزق أوصالها، نتيجة تردّي الأطراف الحاكمة وسياساتها الخائفة، التي جعلتها تنشغل بخلافات سياسية ومذهبية لا طائل منها، مما مكّن البرتغاليين وشجعهم على السيطرة على الأماكن الشرقية من المناطق العربية، وهذا لا يعني انفرادهم في تلك السيطرة، فهناك الأسباب الذين مارسوا الضغط على الأماكن الغربية من تلك المناطق.
٢. كان للبرتغاليين رغبة أكيدة في احتكار تجارة الشرق، وبخاصة بعد عجزهم إيقاف الملاحة العربية، وحركتها الدائبة في المياه الهندية، ومن الممكن أن يكون ذلك دافعا للبرتغاليين للتوغل في مالقا، وجزر الهند الشرقية؛ لمنع التجار العرب من الوصول إلى مناطق إنتاج التوابل، فلما عجزوا عن ذلك؛ توجهوا إلى سواحل شبه جزيرة العرب، وهدفهم التغلغل في البحر الأحمر والخليج العربي.
٣. سيطرة النفس الصليبي الذي ما انفك يُهيمن على عقول عدد غير يسير من الضباط في البحرية البرتغالية، كالقائد الفونسو البوكيرك.

إن التجارة فيما بين الشرق والغرب سلكت منذ العصور القديمة أحد الطريقين: الطريق الأول تمثل بطريق البحر الأحمر ومصر، والطريق الآخر هو طريق الخليج العربي والعراق والشام، والطريقان كلاهما يخضعان للسيطرة العربية، ولم يسلم هذان الطريقان من الاغلاق، إذ إن الخلافات السياسية والمشاكل كثيرا ما كانت تتسبب في إغلاقهما، مما يؤدي إلى حرمان أوروبا من النفائس الشرقية التي كانت تصدر إليها، باستثناء البضائع التي كانت تتخذ طرقا وعرة غير مأمونة، عن طريق آسيا الصغرى، ومن الأمور الجديدة

٧ - بدر الدين الخصوصي، دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، ط٢، الكويت: منشورات ذات السلاسل، ١٩٨٤م - ج١، ص١٤.

بالإشارة أن هذه البضائع كانت باهظة الأثمان، مما يصعب على كثير من الأوربيين اقتناؤها، هذا فضلا عن الرسوم الكمركية العالية، وأجور التفريغ والشحن المتعددة، وهذا الطريق قد أصبح تحت السيطرة العثمانية فيما بعد، ذلك بعد سيطرتهم على القسطنطينية عام ١٤٥٣ م. (٨)

لقد عمدت أوروبا بعد فشل حملاتها الصليبية المتعددة لاستباحة مناطق الشرق العربي وغزوها، والسيطرة على الموارد والثروات الكبرى التي حباها الله بها، لاتخاذ وسائل أخرى بغية تحقيق المطامح الاستعمارية التي تصبو إليها، تمثلت بما أسماه (الاستكشافات الجغرافية)، وكانت بغيتهم التسلل من خلالها للمناطق الحيوية للبلاد العربية، ومن ثم إلى أفريقيا وآسيا بعامة، فكانت الأهداف الأولى التي رصدتها ما يسمى بالاستكشافات الأوربية هي السيطرة على ما يربط الشرق بالغرب من طرق تجارية مهمة، وكان من عوامل نشوء الاستعمار الرئيسة، هي ظهور الرأسمالية بكل صورها، وتبلور الثورة الصناعية وظهورها القوي آنذاك، وكانت أول دولة استعمارية سبقة في ذلك هي البرتغال التي أقدم ملكها هنري الملاح في الهجوم على المدينة المغربية (سبتة)، وكان له احتلالها عام ١٤١٥ م، وأعقبها باحتلال طنجة في عام ١٤٣٧ م، وكان تطويق بلاد الاسلام جميعا في صدارة مخططاته، وكان البابا نيقولاس الخامس قد فوضه بالهيمنة على البلدان التي يقوم باحتلالها، فأوصل المسيحية إلى الهند، وقد كان لوصول المستكشف فاسكو دي جاما البرتغالي، الذي ساعده ملاحنا العربي أحمد بن ماجد إلى المناطق الهندية، من خلال الدوران حول قارة أفريقية، ومن ثم توجهه من رأس الرجاء الصالح لبحر العرب، والمحيط الهندي، مثل ذلك البوادر الأولى لانقلاب خطير كان عماده الغزو والاحتلال، لغرض الهيمنة الموارد والثروات التي تنعم بها الدول المستعمرة، ولغرض تأمين مصادر الصناعات الجديدة وموادها الأولية، وبعد ذلك احتكار أسواق تصريف المنتجات. (٩)

فمفاد ذلك أن دافع التحركات البرتغالية الأول صوب عالمنا العربي عامة، والخليج العربي خاصة هو الرغبة في الهيمنة على التجارة وطرقها الرئيسة، عن طريق الهيمنة على مناطق الخليج، وبيقى الاقتصاد هو الدافع الرئيس والحقيقي، متلبسا بالدافع الديني الذي مثل غطاءً رسمياً سير تلك الحركة الاستعمارية، وسوّغ للبرتغاليين أمام المجتمعات الأوربية التوغل في عالمنا العربي، وشرعن له السيطرة على المناطق التجارية والاقتصادية البارزة فيه.

١ - ج. ج. لوريير، دليل الخليج، القسم التاريخي، ترجمة مكتب الترجمة بديوان حاكم قطر، الدوحة: د. ط، ١٩٦٧ م -، ج ١، ص ٣-٥؛ صباح إبراهيم الشخيلي وآخرون، دراسات عن تاريخ الخليج العربي والجزيرة العربية، جامعة البصرة: مطبعة جامعة البصرة، ١٩٨٥ م -، ص ١٢.

٩ - محمد حسين العيدروس، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، ط ٢، الكويت: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ١٩٩٨ م -، ص ١٩؛ جمال حمدان، إستراتيجية الاستعمار والتحرير، القاهرة: دار الهلال، ١٩٦٨ م -، ص ٦٤-٦٥.

وعلى أساس ما تقدم فقد وجّه ملك البرتغال أسطولاً آخرًا عام ١٥٠٦م إلى الشرق؛ لتقوية وجود البرتغاليين في سواحل الهند، وقد كان الفونسو البوكيرك من قادة ذلك الأسطول المكلف بإغلاق ما يستخدمه المسلمون من منافذ تجارية في الخليج العربي والبحر الأحمر، فافتتح البوكيرك نشاطاته بالسيطرة على جزيرة سوقطرة، المواجهة للسواحل الجنوبية لشبه جزيرة العرب، وعلى الرغم من كون تلك الجزيرة جرداء مسلوّبة من مستلزمات الحياة إلا أنه أصر على اتخاذ منتصف الطريق بين الخليج العربي والبحر الأحمر قاعدة لينطلق من خلالها لإغلاق مضيق باب المندب، والحلول في عدن، وقد وصل إلى بغيته، فتمكّن من تطويق باب المندب، ومنع التجار العرب من الوصول إلى الهند، وقد استطاع هذا القائد احتكار التجارة والانقضاء على حالة الرفاه الاقتصادي الذي كان ينعم به العرب على الرغم من انكفائه وفشله في احتلال مدينة عدن.^(١٠)

ومن أجل الهيمنة على البحر الأحمر وإحكام السيطرة على التجارة وطرقها اتّجه البرتغاليون يقودهم البوكيرك في عام ١٥٠٧م، ليفرضوا سيطرتهم على جزيرة هرمز، وفي هذا الوقت انطلقت حملتهم نحو الخليج العربي ترافقهم أساطيل من السفن الكبيرة، وصارت السفن العربية في مرمى نيرانهم، وقد أحرقت على إثر هذا الهجوم ٣٠ أو ٤٠ قاربًا من قوارب الصيد، ومن ثم واصلت الحملة توغلها في جزر الخليج العربي فتوجهوا إلى قلعات، ثم إلى قريات، وأكثروا القتل وسفك الدماء في أهل هذه المناطق حتى استحالت هذه الحملة إلى مجازر بشعة، ومن جملة الفضائع التي اقترفوها قيامهم بقطع أنوف الأهالي وأذانهم، ومارسوا أعمال النهب والسلب، ثم اتّجه قائد الحملة إلى مسقط فهاجمها لما تتمتع به من موقع استراتيجي حساس من الناحية التجارية، يتحكم في مداخل منطقة الخليج العربي، وهي مدينة مزدحمة سكانية، تقع في طريق النقل البحري التي لا يمكن لأي سفينة تجارية إلا أن تمر بها.^(١١)

لقد رأى قائد الحملة البوكيرك عدم جدوى محاصرة البحر الأحمر، إذ أدرك عدم تمكنه من مهاجمة عدن بالقوة العسكرية الصغيرة التي كانت تحت قيادته، فأنّجه صوب الخليج العماني، فوصل بجيشه إلى مناطق قريبة من جزيرة (مُصيرة)، عام ١٥٠٦م، بعد ذلك أمل البوكيرك إبحاره نحو رأس الحد، وشنّ عدوانًا كبيرًا على الموانئ العربية بدأه بإحراق أسطولًا من السفن العربية التي كانت راسية في (خور فكان)، وكان عددها من ثلاثين إلى أربعين سفينة، وأحرق أيضا أربعين أخرى في رأس الحد، وقد تعرّض لمقاومات عنيفة من أهالي (صور) الواقعة إل الشمال من رأس الحد، والتي امتنهن أهلها الملاحه في منطقة الخليج العربي، ومنطقة المحيط الهندي، وتفاجى هذا القائد بالأهمية القصوى التي كان يتمتع بها مضيق هرمز من

١٠ - طارق نافع الحمداني وآخرون، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، بغداد: دار الوفاق، ٢٠١٠م -، ص ٣٧؛ مصطفى

النجار وآخرون، تاريخ الخليج العربي المعاصر، البصرة: جامعة البصرة، ١٩٨٢م -، ص ١٢-٣٢.

١١ - محمود شاكر، موسوعة تاريخ الخليج العربي، عمّان: دار الإسامة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م -، ج ١، ص ١٦٨-١٦٩.

الناحية التجارية، إذ كانت تُسيطر على أغلب المناطق الساحلية للخليج، وقد نظم قائد هذه الحملة ممارسات إرهابية منظمة لترويع أهالي السواحل العربية الجنوبية الشرقية، ودخل (قريات) وقام بمجزرة رهبية فيها، وأمر بنهبها، وقام بإحراق ثلاث وثمانين سفينةً كانت في مينائها.^(١٢)

وبالنظر للمقاومة الكبيرة التي جابه بها أهل مسقط البرتغاليين، تلك المدينة التي كانت آنذاك ضمن مملكة هرمز، عمد البوكيرك إلى اتخاذ أعنف الاجراءات العسكرية لإنهاء مقاومتها فضرها بالمدافع، وقام بأحراق المباني والجوامع الموجودة فيها، ثم أحرق السفن الراسية من سلطان في مينائها^(١٣)، ثم توجه بأسطوله إلى منطقة صحار وبعدها إلى خورفكان، ونتيجة لمقاومة أهلها فقد اتخذ ذلك القائد أعنف الاساليب التدميرية، إذ أنه بعد نهبه للمدينة قام بإحراقها وتدميرها والتمثيل بأهلها، بقطع أنوف الأسرى وأذانهم، ثم توجه أسطول البرتغال إلى هرمز، ونتيجة لذلك الضغط المتناهي في الفتك والتدمير فقد قام ملك هرمز بإعلان ولائه للبرتغال، وكانت هناك معاهدة أشارت نصوصها أن على ملك هرمز أن يدفع للبرتغاليين جزية سنوية، وقام البرتغاليون بمنع أية سفينة من الملاحة في الخليج إلا بتصريح من سلطات البرتغال، ففرضوا بذلك نفوذهم بطريقة متعسفة، ثم قاموا ببناء أكبر قلاع وحصون شيدها البرتغاليون على سواحل الخليج العربي والمحيط الهندي، متمثلاً بـ (النصر)، ومن أجل كسب أسواق التجارة للبرتغاليين قرر البوكيرك بأن تباع السلع البرتغالية بأرخص الأسعار، ترسيخاً للهيمنة التجارية البرتغالية المطلقة^(١٤).

وبهذا استطاع البوكيرك بالهيمنة على الموانئ العربية بعد ترويعها المفرط، وغدت مسقط وصحار وصور وقريات وقلبات، محطات لحماية هرمز والدفاع عن تجارتها لصالح البرتغال، وأصبحت هرمز ونظام حكمها المحلي في ظل حماية الدولة البرتغالية، لكن هرمز ما عادت كسابق عهدها، ازدهاراً وعمراً، نتيجة مغادرة كثير من سكانها إلى مناطق الخليج العربي الأخرى، ونتيجة لتحكم البرتغاليين بطرق التجارة التي تؤدي إلى هرمز، فقد مرت مناطقها بضائقات اقتصادية، وذا كان نتيجة طبيعية أيضاً لتنفيذ خططهم التي ترمي إلى إقفال الخليج العربي وفصله عن تجارة الشرق، والسيطرة على موانئ سواحل الخليج العربي، وبناء القلاع والحصون القوية، وبذلك سيطر البرتغاليون على الخليج العربي وتجارته، وقاموا باحتكارها ما يربو على قرن كامل^(١٥).

١٢ - عبد العزيز عوض، دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث، بيروت: دار الجيل، ١٩٩١م -، ج ١، ص ١٩.

١٣ - سير أرنولد -ت- ويلسون، تاريخ الخليج العربي، ترجمة محمد أمين عبد الله، لندن: دار الحكمة، ٢٠٠١م -، ص ٦٨-

٦٩.

١٤ - محمد صالح العيدروس، المصدر السابق، ص ٢١.

١٥ - عبد الأمير محمد أمين، المصالح البريطانية في الخليج العربي ١٧٤٧-١٧٧٨م -، بغداد: مطبعة الإرشاد، ١٩٧٧م -،

ص ٩.

وقد اتخذ البوكيرك قراراً للعودة مرة أخرى للخليج العربي، بعد أن أصبح نائباً للملك البرتغالي في الهند عام ١٥٠٩م، لكن تنفيذ ذلك القرار لم يتكامل بالنجاح إلا بعد أعوام عدة؛ لانشغال ذلك القائد في انتقال المقر الرئيس للبرتغاليين إلى منطقة (جاوة) الواقعة على سواحل (المالبار)، وانشغال أيضاً في ترتيب قرصنة البرتغال ضد سفن العرب والمسلمين، بغية استئصال جذور نشاط العرب التجاري في عموم المحيط الهندي، وقد تحالف البوكيرك مع الطائفة الهندوسية ضد مسلمي الهند، وانشغل كذلك في إعداد حملة على منطقة مالقا؛ وغرضه منع تجار العرب من التجارة مع الشرق الأقصى، وذلك كله هو الذي حد من معاودة النشاط الذي عزم عليه في الخليج العربي إلى حلول شباط عام ١٥١٥م، إذ انطلق من منطقة جاوة بصحبة إسطول يتكون من أربع عشرة سفينة، ثقل ما يقدر بـ ١٥٠٠ جندي برتغالي، و ٦٠٠ جندي ماليباري، و ٣٠٠ جندي من العبيد، فكان له الوصول قرب رأس الحاد بتاريخ ٢١ آذار ١٥١٥م، وفي يوم ٢٥ آذار من السنة ذاتها وصل أسطولها إلى (قريات)، وحاصمها في ذلك الوقت هو الرئيس حمد ابن اخ مستشار ملك منطقة هرمز الرئيس نور الدين.^(١٦)

ونظراً لظهور قوى أخرى منافسة للبرتغاليين، بدأت بالانتشار في منطقة الخليج العربي، فإن هيمنة البرتغال على سواحلها وموانئها لم يكتب لها الدوام طويلاً، وأصبح البرتغاليون يغيرون سياساتهم الفاتكة التي درجوا عليها، فتارة يستعملون القوة، وأخرى يستعملون اللين والسياسة؛ للتشبيث بمناطق الخليج العربي التي سيطروا عليها، وكى يتحكموا بثرواته وبمراكز قوته.

ومن الأوراق المهمة التي كانت بين أيدي البرتغاليين، والتي حشدوها للتشبيث بالمكاسب التي حصلوا عليها في الخليج العربي تحالفهم مع الشاه إسماعيل الصفوي، مؤسس الدولة الصفوية، والمهيمن على عرشها، وكانت بنود معاهدة التحالف بينهما تقضي بتقديم أسطول البرتغال لمساعدة إسماعيل الصفوي لسيطرت سلطته على البحرين والقطيف، نظراً لافتقار تلك الدولة للقوة البحرية، وبالمقابل فإن الشاه يسلم بالحماية البرتغالية لمنطقة هرمز، ويقوم بالتنازل عن أحد الموانئ الواقعة على ساحل بلوشستان، وهو ميناء جوادر، وأيضاً تقوم الدولتان بمساعدة بعضهما للوقوف ضد الدولة العثمانية^(١٧).

ومن جانب آخر فإن الإنكليز بدأوا يعززون علاقاتهم التجارية مع دولة فارس الصفوية، وكانت رؤية الشاه تتجه إلى تفضيلهم على البرتغاليين، وقد سارع إلى إعطائهم امتيازات لإقامة وكالة تجارية في منطقة (جسك) المطلية على خليج عُمان، لتلافي مرورهم بمركز هرمز، ومن ثم تعرضهم للغارات التي قد يستهدفهم بها البرتغاليون من حصونهم الموجودة في تلك المنطقة، وعلى الرغم من ذلك فقد صمم

١٦ - صلاح العقاد، التيارات السياسية في الخليج العربي، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٤م -، ص ١٧.

١٧ - صلاح العقاد، المصدر السابق، ص ١٨؛ عبد العزيز سليمان نوار، الشعوب الإسلامية، بيروت: دار النهضة العربية،

١٩٩١م -، ص ١٣٣-١٣٠.

البرتغاليون على قطع الطرق البحرية على التجارة الانكليزية الفارسية، والحيلولة دون انسحابها، وحين خرجت أول قافلة إنكليزية من (سورات) في الهند متجهة إلى فارس اعترض البرتغاليون سبيلها، وبالفعل فإن البرتغاليين قاموا باعتراض القافلة الإنكليزية الأولى التي قدمت من سورات في الهند، وأدى هذا إلى اشتباك وقع بالقرب من (جسك) عام ١٦٢٠م، وقد حسم الاشتباك لمصلحة أسطول الإنكليز^(١٨).

لقد كان عام ١٦٢٢م هو العام الذي تغيرت قي المعادلة الاستعمارية، ورجحت فيه كفة الانكليز بمساعدة الفرس، على حساب البرتغاليين، فاستولى الانكليز والفرس على المركز الحصين للبرتغاليين في هرمز في ذلك التاريخ، وشرع البعارة العمانيون بعد أن أسسوا دولتهم عام ١٦٢٤م، بإتمام ما بدأه الإنكليز والفرس، فانتزعوا المناطق المتبقية تحت سيطرة البرتغاليين، إذ استطاع ناصر بن مرشد إمام البعارة وقائدهم من انتزاع صحار وجلفار وقريات منهم، واضطرت الحامية البرتغالية الرئيسة الموجودة في مسقط إلى الركون لطلب الأمان ثم إبرام الصلح مع بعارة اليمن عام ١٦٤٨م، وذلك بعد انتصاره الكبير عليهم، وقد الزمهم بهدم قلاعهم، وعادت للعرب أحقيتهم في الملاحة، وأصبح رعايا ناصر بن مرشد معفويين من الضرائب والرسوم على البضائع الداخلة إلى مسقط والخارجة منها، وبعد تولية سلطان بن سيف الحكم على إثر وفاة الامام ناصر عام ١٦٤٩م، اتخذ سيرة سلفه في جهاد البرتغاليين، فاستولى على مدينة مسقط عام ١٦٥٠م، وبسقوطها فقد هوى آخر المواقع الحصينة للبرتغاليين في الخليج العربي^(١٩).

وقد مثل خروج البرتغاليين من المنطقة فرصة سانحة لمستعمرين جدد للتغلغل في الخليج، فكان للإنكليز والفرنسيين والهولنديين دور كبير في ذلك، وقد دخلت هذه القوى الأوربية في نزاعات وصراعات في القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر^(٢٠).

وهناك أسباب متعددة ساهمت بإضعاف البرتغاليين في منطقة الخليج أهمها^(٢١):

أولاً: إن قوة البرتغال أخذت بالضعف في الخليج منذ أن انضمت لأسبانيا عام ١٥٨٠م، وظهر الاتحاد البرتغالي الأسباني إلى الوجود، فقد بدا ذلك الضعف بجلاء خلال المحاولات البرتغالية الفاشلة في الوقوف أمام السفن الإنكليزية لمنعها من الدخول إلى ميناء جسك، وحينها انقلبت الأمور

١٨ - صلاح العقاد، المصدر السابق، ص٢٣؛ انطوان مبي، الخليج العربي من الاستعمار البريطاني حتى الثورة الإيرانية، بيروت، دار الجيل، ١٩٩٣م -، ص٥٦-٥٧.

١٩ - بدر الدين الخصوصي، المصدر السابق، ج١، ص٣٢-٣٤؛ محمد العريس، موسوعة التاريخ الإسلامي العصر العثماني -، بيروت: منشورات دار اليوسف، ٢٠٠٥م -، ص٨٤.

٢٠ - عبد الأمير محمد أمين، دور القبائل العربية في صد التوسع الأوربي في الخليج العربي، خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، بحوث المؤتمر الدولي للتاريخ، بغداد: مطبعة أسعد، ١٩٧٤م -، ص٦٥٦-٦٥٧.

٢١ - عبد العزيز عوض، المصدر السابق، ج١، ص٧١-٧٧.

على البرتغاليين بعد سيطرة على الخليج نافث على قرن من الزمان، متفردة في ذلك من دون منافسة من أية قوة أخرى، وقد حمل لنا القرن السابع عشر وعقده الثالث بالذات طموحات كبيرة لأسبانيا، وهذه الطموحات جعلتها تحارب في أغلب الجهات والأمكنة، فتحملت البرتغال أوزار تلك السياسة الطموحة لأسبانيا، فاضمحت تجارتها وضعفت، وعلى وجه الإجمال فإن تداعيات الاتحاد البرتغالي الأسباني كان لها الدور المهم في رسم نهايات الهيمنة البرتغالية على الخليج، ومنطقته برمتها.

ثانياً: كان لمنافسة الإنكليز والهولنديين للبرتغال في تجارة الشرق دورٌ فاعلٌ في الانقراض على الهيمنة البرتغالية وإضعافها؛ فقد كانت منافسة تلك الدولتين منافسة منظمة تكفلت بها الشركات التجارية المعتمدة على القوات العسكرية المدربة والمنضبطة، وعلى أجهزة إدارية تصرف رواتب جيدة لمنتسبيها، واعتمدت على موارد ساهمت بها قطاعات كبيرة وواسعة من شرائح المجتمع الهولندي والإنكليزي، في حين كانت تجارة البرتغال حكراً خالصاً ببلاد البرتغال ورجالاته، وعلى هذا النحو فقد أدى بروز الهولنديين والإنكليز كمنافسين تجاريين إلى إضعاف البرتغاليين وإنهاء هيمنتهم على منطقة الخليج.

ثالثاً: كان لموقف الدولة الصفوية متمثلة بعباس الصفوي من سيطرة البرتغال على الخليج العربي دور مهم في إضعاف البرتغاليين، والحد من نفوذهم، فأصبح وضعهم في غاية الحرج في المنطقة الساحلية الفارسية للخليج، وتعذر على السفن البرتغالية توفير التجهيزات والامدادات من موانئ البلاد الفارسية، وعلاوة على ذلك فإن الفرس قاموا بعمليات حربية ناجحة ضد مراكز البرتغال، فأصبح مركزهم العسكري في غاية الحرج في الخليج منذ العام ١٦٠٢م حينما طرد الصفويون بقيادة الشاه عباس البرتغاليين من منطقة البحرين، فكان المردود السلبي على السمعة العسكرية لهم كبيراً جداً.

رابعاً: تمكّن اليعاربة العُمانيين من طرد البرتغاليين من منطقة صحار في عام ١٦١٦م، وأيضاً من جلفار في عام ١٦٢٠، فكانت المقاومة العربية متمثلة بعرب عُمان، ونشاطاتها من بين العوامل بالغة الأهمية التي أهدت وجود البرتغال في منطقة الخليج العربي.

خامساً: كان هناك أجماع للمؤرخين على أن فساد الحكام والمسؤولين البرتغاليين وإساءتهم في استعمارهم للسلطة، وابتزازهم الأموال، وانتشار الفساد والرشوة، واستشراء عمليات القرصنة التي أصبحت ظاهرة عامة لحكم البرتغال في الشرق نهاية القرن السادس عشر أسهم ذلك كله في إضعاف السيطرة البرتغالية المعتمدة على القوة البحرية؛ فلذلك تعدّ على البرتغاليين الصمود أمام أعدائهم الذين يمتلكون قدرات كبيرة مقارنة بالقدرات البرتغالية الاقتصادية والبشرية.

سادساً: إن التعصب البرتغالي والقسوة المفرطة والجشع الشديد لم يجعل البرتغاليون ينجحون في كسب ثقة سكان المنطقة وتجارتها المحليين وإحراز احترامهم، بل إنهم على خلاف ذلك اسرفوا كثيراً في

استعمالهم للقوة للسيطرة على المياه الشرقية، وتميز حكم البرتغاليين للشرق بالوحشية الكبيرة في معاملتهم للسكان، وفي محاولتهم إرغامهم على اعتناق المسيحية، بالإضافة إلى اتباعهم لسياسة البطش والقهر، واستغلال في استثمارات الشعوب الاقتصادية، وكذلك تعزيز حامياتهم في منطقة الخليج العربي؛ فعمل ذلك على مضاعفة عدااء الشعوب لهم.

إن ما تقدم يكشف لنا بجلاء الأسباب الكامنة وراء اضمحلال قوى استعمارية كبيرة وأهبارها، تلك الدول التي كانت تتحكم في مصير المساحات الشاسعة والمدن والموانئ الكبيرة الواقعة على الخليج العربي، مما جعل قوى استعمارية أخرى جديدة تبرز على ساحة الأحداث ويكون لها الدور الفاعل في المنطقة بعد ذلك، وخاصة بعد ان ظهرت الأهمية المركزية للخليج على الساحة بصورة لافتة، فأنكشفت الأهمية الاستراتيجية للخليج العربي كونه يمثل نقطةً الهيمنة المركزية، والمفصل الحيوي المهم للاستحواذ على التجارة، وما يتعلق بها من الثروات لدعم إمكانات قوى الاستعماري الجديدة في إحكام السيطرة، وتوسيع النفوذ على مناطق جديدة، لم تكن في ظل سيطرتها، وبدأت من هناك بواكير صراع بين قوى الاستعمار المتعددة تطفو على سواحل الخليج العربي.

المبحث الثاني: الوجود الهولندي في الخليج العربي

لم تزل منطقة الخليج العربي محط أنظار القوى الاستعمارية المختلفة، بالنظر لأهميتها الإستراتيجية، ومن بين تلك القوى الاستعمارية المتنافسة كانت هناك قوى ضعيفة في مناطقها وبلدانها، فحاولت استعراض قوتها أمام القوى الاستعمارية الكبرى التي كانت مهيمنة آنذاك، عن طريق الشروع بالسيطرة على الخليج العربي، وموارده الاقتصادية والتجارية، وقد كان لها الحصول على موطن قدم بين أصحاب النفوذ من الدول الاستعمارية المتسلطة، وكان الهولنديون في صدارة تلك الدول التي بزغ نجمها بعد انتهاء سطوة البرتغاليين آنذاك، وذلك بعد أن شرعوا بفعل عرى التبعية لغيرهم، وفكروا في الوصول للاستقلال العسكري والسياسي والتجاري عن قوى الاستعمار المهنية في ذلك الوقت كالأسبان.

وقد بدأ الهولنديون بالتمرد الفعلي على الإسبان عام ١٥٦٦م؛ بعد أن ضاقوا بالممارسات القمعية المتمثلة بمحاكم التفتيش، والاضطهاد الديني، ولما لقيته السفن الهولندية من معاملته سيئة في الموانئ الإسبانية، لهذا كله شرع الهولنديون بإعلان الاستقلال عن الدولة الإسبانية عام ١٥٨١ م، وكان رد ملك أسبانيا فيليب الثاني (١٥٥٦ - ١٥٩٨م) على ما تقدم بإغلاق الأسواق في لشبونه، وكذلك الموانئ في شبه جزيرة إيبريا أمام السفن الهولندية، وتحريم نقل بضائع الشرق عليها من لشبونه، وقد كانت ابان القرن السادس عشر الميلادي مخزن تجارة الشرق الرئيس، إذ أن الموزعين الهولنديين كانوا يأخذون منها حاجه أسواقهم من بضائع الشرق التي يفضلها الأوروبيون آنذاك، ونتيجة القرار الذي أصدره فيليب الثاني، كنتيجة للحرب الهولندية الإسبانية إلا إن المصانع الهولندية قد ازدهرت إلى حد ما، وتوسع التبادل التجاري فيها بين

الهولنديين وبين الدول الأخرى، ولعدم الرغبة من لدن التجار الهولنديين باستمرارهم بدفع مبالغ باهظة كان البرتغاليون يفرضونها عليهم، فقد كان قرار الهولنديين هو التوجه نحو البحار الشرقية ساعين للوصول الى سلع ومنتجات الشرق من المصادر المباشرة لها وكان ذلك بمثابة ضربة قوية لاحتكار البرتغاليين لتجارة الشرق، وذلك بعد أن انكشفت لهم القدرة على الوقوف أمام قوة البرتغال وتحديدها في الشرق، وبخاصةً بعد أن أضحت البرتغال جزءاً من امبراطورية أسبانيا عام ١٥٨٠م. (٢٢)

وهنا ينكشف لنا كيف كان للتضييق في الحصار على الهولنديين من لدن البرتغاليين والأسبان، في حصول هولندا على بضائع الشرق من دورٍ كبير في الاتجاه بهم إلى التفكير في الاتصال بالشرق، وفعلاً كانت لهم محاولات كثيرة في ذلك المنحى، غير أن تلك المحاولات كان نصيبها الفشل؛ وذلك عدم معرفتهم بالطرق التي كان البرتغاليون يسلكونها، ونتيجة ذلك حاولت حكومة هولندا السير في أساليب وطرق صحيحة؛ للوصول إلى غاياتها، وذلك عن طريق أسلوبيين: الأول منهما يتمثل بإرسال البعثات التجارية، والثاني يرمي إلى تأسيس شركات تجارية، لهذا عمد الهولنديون لتجنيد أشخاص، استطاعوا مرافقة أساطيل البرتغال، والاضطلاع بخبرات القائمين عليها، وتمثل ذلك بما قام به (يان تيشوتن) من دور في ذلك والذي كان من أبرز من رافقوا البرتغاليين، فقد أفادت المعلومات التي اكتسبها كثيراً، وأيضاً اعتمد الهولنديون على جهود تجار آخرين، كان من بينهم (هوتمان) الذي أرسلوه إلى مدينة لشبونة؛ من أجل دراسة التجارة الشرقية وأحوالها، وغدّت تلك الرحلة فاتحة الرحلات باتجاه المحيط الهندي. (٢٣)

وقد دأبت مؤسسات التجارة في هولندا عام ١٦٠٢م في البحث عن موضوعات في توحيد مؤسسات التجارة في هولندا، والسعي إلى تكوين شركة رصينة قادرة على الاضطلاع بمهمات المنافسة الحقيقية، لذا كان أمر الملك الهولندي لجميع مؤسسات التجارة الهولندية بالاتحاد مُجدياً، فتأسست الشركة الهندية الهولندية، وقد مُنحت تلك الشركة الحق في مزاولة التجارة مع الشرق، وأيضاً عقد الاتفاقات والمعاهدات وتأسيس القواعد التجارية، وتحولت هذه الشركة حينها إلى إدارة للاستعمار الهولندي، وعندها أصبحت داخلة مع قوى أوروبا في صراعات كبيرة، وكان لأعضاء تلك الشركة النجاح في التقرب من سلاطين المناطق التي تاجروا معها وحكامهم، ونجحوا أيضاً في التقرب من البلاد الفارسية للحصول على كثير من

٢٢ - عبد العزيز عوض، المصدر السابق، ج ١، ص ١٨٢.

٢٣ - هيفاء عبد العزيز الربيعي، الغزو الهولندي للخليج العربي، الموصل: مطابع دار الكتب، ١٩٨٩م -، ص ٢٢-٢١؛ سليم طه التكريتي، المقاومة العربية في الخليج العربي، بغداد: دار الرشيد، ١٩٨٢م -، ص ٦٠-٦٢.

الامتيازات المهمة، فبسط الهولنديون سلطتهم التجارية على تلك المناطق، وكان لهم أن يستعمروا أجزاء منها، وقد اخضعوا تلك المناطق تحت سيطرتهم بصورة فعلية. (٢٤)

وقد أظهر ادعاء الهولنديين بكون مجيئهم هو لمساندة الإنكليز وقوتهم البحرية ضد البرتغال، بأنهم أشد قوة من الأوقات السابقة، غير أن المصالح الهولندية الإنكليزية سرعان ما اصطدمت، بعد أن خلس الأمر لهاتين الدولتين على وقع انكفاء البرتغاليين وطردهم من هرمز، فقد أصبح سعي الهولنديين لكسب الامتيازات من البلاد الفارسية شغلهم الشاغل، فأثمرت جهودهم بالحصول حق تأسيس وكالة في مدينة بندر عباس (٢٥)، فبدأ نفوذ هولندا ونشاطهم التجاري في البلاد الفارسية عام ١٦٢٣م، حينما تمت لهم الموافقة من لدن حكومة فارس في تأسيس وكالة جزيرة هرمز، ثم نقلوا تلك الوكالة إلى ميناء بندر عباس ثم إلى مدينة أصفهان، وقد افلحوا بالمباشرة بإرسال قوارب السكر إليها في مقابل الحرير الذي كانوا يشترونه من تلك المدينة. (٢٦)

وقد ازداد التوغل الهولندي في الخليج العربي بعد عام ١٦٣٠م، بوساطة وكالات التجارة الهولندية في أصفهان وبندر عباس وقشم، وقد تعاونت هولندا مع إنكلترا مدة من الوقت ضد شاه فارس صفي، الذي أعقب الشاه عباس بعد وفاته عام ١٦٢٩م، على خلفية تهديده بإلغاء الامتيازات الخاصة بتجارة الحرير الفارسي والتي منحها فارس للهولنديين والإنكليز، غير أن الشركة الهولندية تراجع وتراجعت وعادت لتوثيق علاقاتها مع (خان شيراز) الذي تكفل بتجهيز حملة هدفها الاستيلاء على مسقط عام ١٦٣٢م، بعد وعودها له بمساعدة عسكرية يقدمها الهولنديون شبيهة بما قدمته الشركة الإنكليزية للشاه السابق عباس الأول من أجل استيلائه على جزيرة هرمز في عام ١٦٢٢م، وكان انتفاع الشركة الهولندية من وعدها كبيراً؛ إذ قامت في عام ١٦٣٣م بتبادل تجاري ونقل كميات كبيرة جداً من البضائع الفارسية والهولندية، وتم لها الحصول على الإعفاء الجمركي، وقد قُدرت البضائع السنوية التي تم نقلها منذ عام ١٦٢٥م، إلى عام ١٦٣٣م، بمبالغ تتراوح بين (٣٠٠٠٠-٤٠٠٠٠) تومان سنوياً. (٢٧)

وكانت روح المنافسة الملتهبة بين الهولنديين والإنكليز تتصاعد، ويتصاعد معها النفس العدائي بينهما، فقد كانت هناك محاولات عديدة من الهولنديين لإبعاد الإنكليز من حقوق وامتيازات التجارة مع فارس، وكذلك ابعادهم عن الخليج العربي باستعمال أساليب متعددة، من ضمنها رفع الأسعار للمنتوجات

٢٤ - قدرتي قلعي، الخليج العربي بحر الأساطير، ٣، بيروت: شركة المطبوعات، ١٩٩٥م -، ص ٣٨٤-٣٨٥؛ عبد الرزاق الفهد، المصدر السابق، ص ٢٥.

٢٥ - محمد حسين العيدروس، المصدر السابق، ص ٣٩.

٢٦ - سير أرنولد. ت. ويلسون، المصدر السابق، ص ١٣٨-١٣٩؛ علي غنام، أحداث فاصلة في إحتلال النفوذ الأجنبي بالخليج العربي، مركز دراسات الخليج العربي -، مجلة -، البصرة ١٩٨٥م، العدد ٢، ص ١٨-١٩.

٢٧ - عبد العزيز عوض، المصدر السابق، ج ١، ص ١٩٣.

صراع القوى الاستعمارية في الخليج العربي (البرتغال وهولندا أمودجا)
الفارسية، كذلك بيع سلع مستوردة تكفلوا بجلبها بأقل كلفة، هذا كله أدّى لتمكين الهولنديين من التفرد
بتجارة الخليج في القرن السابع عشر الميلادي^(٢٨)، ومن أجل تعزيز ذلك أرسلوا في العام ١٦٤٠م أسطولاً
بحرياً قوامه ثمان من السفن إلى مدينة البصرة، وأنزلوا البضائع جميعها في منطقة المناوي، فكان لتلك
الكميات من البضائع تأثير كبير على أسعار السلع الإنكليزية في مدينة البصرة.^(٢٩)

وهكذا استطاعت الشركة الهولندية إحكام قبضتها على التجارة الخاصة بالتوابل والبهار في منطقة
الخليج العربي وبلاد فارس، واحتكرت التصدير للبضائع الفارسية، وأضحت التجارة في الخليج العربي في
ظل الهيمنة الهولندية، وكانت أكثر البضائع والسفن في بندر عباس عائدة إلى الشركة الهولندية، وبذلك
تبين رجحان كفة الهولنديين على الإنكليز، واتضح تفوقهم، وهو ما حدى بالإنكليز وأرغمهم للتوجه إلى
البصرة في عام ١٦٤٣م، من أجل إقامة الوكالة التجارية الأولى فيها، بالرغم من مُماطلة الشركة الإنكليزية
متمثلة بوكلائها في بلاد فارس، بتنفيذ تعليمات رئاسة الشركة الإنكليزية، في غلق وكالتها في مدينة
أصفهان، ونقل الممتلكات العائدة إليها من بندر عباس إلى ميناء البصرة لإحراز وضمان سلامتها، وذلك
في حزيران عام ١٦٤٥م.^(٣٠)

وبذلك كان فترة مُنتصف القرن السابع عشر الميلادي حافلةً بانتقال سيادة المياه الشرقية من
البرتغاليين إلى الهولنديين الذين سيطروا على أسواق التجارة في بلاد فارس ومنطقة الخليج العربي، ولم يتبقَّ
لتجارة إنكلترا أثر فعّال في الأسواق المذكورة، وقد يُعزى هذا إلى اعتقاد سائد في الأوساط التجارية بحل
الشركة الإنكليزية، وبهذا فقد بلغ نفوذ الهولنديين ذروته، وحصلوا على امتيازاتٍ كثيرةٍ أخرى من سلطات
بلاد فارس عام ١٦٤٩م، واستثمروا ذلك لإرغامهم في الخضوع لمطالبهم، وبخاصة بعد تعزيز موقفهم في
منطقة الخليج، بعد نجاح العرب في منطقة عُمان بطرد بقايا البرتغاليين من منطقة مسقط عام ١٦٥٠م؛
بعد خلو منطقة الخليج العربي من قوى أوروبا التي كانت منافسةً للهولنديين.^(٣١)

٢٨ - قدرى قلعي، المصدر السابق، ص ٣٨٦.

٢٩ - ج.ج. لوريمو، المصدر السابق، ج ٤، ص ١٧٦٧-١٧٦٩م؛ سليم طه التكريتي، الصراع على الخليج العربي، بغداد: د.
ط، ١٩٦٦م، ص ٤٤-٤٦.

٣٠ - عبد العزيز عوض، المصدر السابق، ج ١، ص ١٩٤.

٣١ - محمود علي الداود، تاريخ العلاقات الهولندية مع الخليج العربي ١٦٣٠-١٧٦٠م، مجلة كلية الآداب - -، مجلة -، جامعة
بغداد، العدد ٣٥ -، كانون الثاني ١٩٦١م، ص ٢٦٤.

لقد كان إسهام هولندا في القضاء على هيمنة البرتغال في منطقة الخليج سبباً رئيساً للتقرب العُماني الهولندي ، وفقاً لمصالح الدولتين التجارية، فقد كان الازدهار التجاري لهولندا بارزاً من خلال حجم التجارة وزيادتها الكبيرة، وكذلك السفن التي تصل إلى بلاد فارس، والخليج العربي. (٣٢)

ونظراً لما تحقق من نجاحات أنجزها الهولنديون في منطقة الخليج العربي بشكلٍ خاص، وفي مناطق الشرق عامةً، على المستويات التجارية والسياسية، فقد تحركت قوى الاستعمار المنافسة لهم نحو تغيير مسارات علاقاتها السياسية التي تربطها بفارس، وبعض القوى في البلاد العربية التي كانت مُسيطرة آنذاك، وذلك لخدمة مصالحها، وتعزيز وجودها التجاري والسياسي في تلك المنطقة.

ولم تسلم العلاقات الهولندية الفارسية من تعرضها إلى هزّات كثيرة وكبيرة، تمثل أهمها بما حصل عام ١٧٠٨م، حينما قام الإنكليز بتحريض الشاه ضدهم، فقام الأخير بإلغاء كثير من امتيازات التجارة الهولندية؛ فقام الهولنديون على إثر ذلك بتدمير ميناء (بندر عباس)، واحتلال مدينة (قشم)، ثم شرعوا بالدخول في مفاوضات مع شاه فارس الذي قدم طلباً فيها للقضاء على القوة العربية العُمانية، بيد أن هولندا لم تستجب لذلك الطلب ورفضته، وبعدها وصل (نادر شاه) عرش بلاد فارس عام ١٧٣٦م شرع الهولنديون بإبداء التقرب منه، وقاموا بمساعدته في القضاء على بعض المتمردين في بلاده، غير أن أحوالهم التجارية ظلت مُتردية، إلى الحد الذي حدا بهم إلى غلق وكالتهم التجارية في ميناء بندر عباس عام ١٧٤٨. (٣٣)

وقد شهدَ العام ١٧٥٣م توجه سفن هولندا إلى جزيرة خرج لفتح مقر تجاري لهم فيها، وشرعوا ببناء قلعة عسكرية وقاموا بتحصينها، وكان ذلك مخالفاً للاتفاق المبرم مع المير مهنا حاكم بندريق، مما أدى لإثارة ذلك الحاكم وإثارة سكان المنطقة جميعاً؛ فظهر الهولنديون من خلال الاستحكامات التي اتخذوها في الجزيرة أنهم جاؤوا مستعمرين لتلك المنطقة، وليسوا تجاراً، كما يدَّعون، وهذا الحدث أثار كثيراً حفيظة الإنكليز. (٣٤)

وقد شرع الهولنديون بالتعرض لبعض سفن العثمانيين عام ١٧٥٤م ، في محاولة لبسط النفوذ على تلك المناطق، فأجبروا العثمانيين على القيام بدفع مبالغ مالية لهم، وقد قام الإنكليز بالتصدي للنفوذ الهولندي، غير أنهم فشلوا في أول الأمر، وقد أُغتيل المير ناصر خلال تلك المنافسة المحتدمة، وتولى المير

٣٢ - جمال زكريا قاسم، الخليج العربي دراسة لتاريخ الإمارات العربية في عصر التوسع الأوربي الأول ١٥٠٧ - ١٨٤٠، القاهرة: دار الفكر العربي، د. ت -، ص ٩٣ - ٩٥.

٣٣ - محمد حسين العيدوس، المصدر السابق، ص ٤٧ - ٥٧؛ عبد الأمير محمد أمين، القوى البحرية في الخليج العربي في القرن الثامن عشر، بغداد: د. ط، ١٩٦٦م -، ص ٨ - ٩.

٣٤ - صبري فارس الهبيتي، الخليج العربي دراسة جغرافية السياسية، ط ٢، بغداد: دار الرشيد للنشر، ١٩٨١م - ص ٣٦ - ٣٨؛ عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، حكومة الهند البريطانية والإدارة في الخليج العربي، الرياض: د. ط، ١٩٨٠م -، ص ٤٥ - ٤٦.

مهنا عام ١٧٥٤م الحكم من بعده (٣٥)، وقد شرع الأخير بالقيام بكثير من العمليات العسكرية، تمثل أهمها بمهاجمة تموينات الهولنديين القادمة من بوشهر، وقد أرسل ذلك الأمير معتي رجل من رجاله كي يهاجموا حصون الهولنديين، وساندته في ذلك قبائل كعب العربية في جهاده ضد الهولنديين والإنكليز والفرس، وهذا الأمير أيضاً هو الذي كان يضع الخطط بهدف القضاء على أعدائه المذكورين في جزيرة خرج. (٣٦)

وقد بدأت العمليات لتحرير جزيرة خرج من لدن المير مهنا بالقيام بعبور المضيق الذي يفصل بين جزيرتي خاركوه وخرج مُصطحباً خمسمئة من رجاله، فقام بتطويق الجزيرة، والقيام بمُحاصرة الهولنديين عام ١٧٦٥م، وقد دام حصاره لها ثلاثة عشر يوماً، وبهذا يكون أجبر الحراس المكلفين بحراسة القلعة من الهولنديين على رفع راية الاستسلام في الأول من كانون الثاني عام ١٧٦٦م، ووقعوا اتفاقاً يقضي باستسلامهم، وانسحابهم من الجزيرة. (٣٧)

لقد كانت هناك عدة عوامل سارعت في انكفاء الهولنديين وسقوطهم في منطقة الخليج، كان على رأسها ما ارتكبه في تلك الجزيرة من أعمال، أثارت بغض العرب وكرهيتهم لهم، منها محاولتهم لممارسة حرفة الغوص في السرر، وعمدوا كذلك لجلب مستوطنين إلى الجزيرة، بعد ذلك أخذ المير مهنا بتوجيه ضربات موجعة إلى الهولنديين في منطقة بندريق قرابة عامين ونصف، مما أدى إلى إخراج مركز الهولنديين في تلك المنطقة، واستقرار رأيهم على إخلائها عام ١٧٦٦م، وبخروجهم من جزيرة حُرج أسدل الستار على النفوذ الهولندي في منطقة الخليج العربي (٣٨).

المبحث الثالث: صراع القوى البرتغالية والهولندية في الخليج العربي

لا بد لنا من أن نوسع القول في أهم مفاصل صراع القوتين الاستعمارتين البرتغالية والهولندية على منطقة الخليج العربي من أجل الحصول على مراكز قوة ومناطق نفوذ في تلك المنطقة الاستراتيجية، بعد ان قمنا بتناول الأحوال التاريخية لذلك الصراع، وبلحظ من خلال دراستنا له أنه قائم على البُعدين الاقتصادي والتجاري اللذين يستهدفان فتح مناطق أسواق جديدة، إضافة إلى التحكم في الطرق العالمية للتجارة، وإحراز المواد الأولية من المواطن الأصلية لها، وهذا المبحث يهدف لعقد مقارنات تاريخية بين قوة نفوذ تلك الدولتين الاستعمارتين، والكشف في المناطق المستعمرة عن مدى سيطرة أحدهما على مُقدرات الدولة الأخرى.

٣٥ - هيفاء عبد العزيز الربيعي، المصدر السابق، ص ١٢٦- ١٢٧.

٣٦ - محمد حسين العيدروس، المصدر السابق، ص ٥٩- ٦٠.

٣٧ - سليم طه التكريتي، المصدر السابق، ص ٧١- ٧٢.

٣٨ - بدر الدين الخصوصي، المصدر السابق، ج ١، ص ٤٠.

لقد كانت الأراضي المنخفضة على موعد مع بداية العصر الذهبي في النصف الأول من القرن السابع عشر الميلادي بعد أن دخلت الأقاليم الهولندية حينها في حرب مع أسبانيا؛ من أجل للحصول على استقلالها، ولم يمرَّ زمن طويل حتى أضحى الهولنديون منازعين للبرتغاليين على سيادة الجزر في الهند الشرقية، إذ ساروا بخطى حثيثة في التجارة الشرقية منذ عام ١٥٩٧م، وقد كان غايتهم من المنافسة هي الحصول على الاحتكار التجاري لبضائع تلك المناطق الثمينة، حيث كانت أغلى السلع من استيراد أوروبا هي بضائع الهند الشرقية، ولم تقف هولندا عند دخولها للمنافسة من خلال احتكار البضائع، بل شمل أيضاً دخولها إلى حقول الإنتاج في جزر الطيب، وتحريض حكام مناطق الطيب ضد البرتغال^(٣٩).

ويكشف ذلك الدوافع الحقيقية لبدايات هذا الصراع، الذي دفع تلك القوى للمنافسة على مناطق النشاط الاقتصادي والتجاري، في الخليج والشرق بعامة، وكان يُلازم هذا البعد الرئيس بعداً ثانٍ تمثّل بالبُعد السياسي والعسكري الذي كانت بوصلته تتجه نحو خدمة المصالح التجارية والاقتصادية لتلك الدول، وقد كان الأسلوب السياسي لإدارة الملف الاقتصادي والتجاري حاكماً لتلك الدول من خلال نجاح هيمنتها على مناطق النشاط أو فشلها فيه.

ومن الأمور المؤكدة لاهتمام الهولنديين بتجارة الطيب أن حكومتهم أرسلت التعليمات إلى شركة الهند الشرقية الهولندية، وأوصتهم خلالها بإعطاء الأولوية لتجارة الطيب التي تبدأ منها المنافسة، وتنتهي بغرض تقوية مركز شركة الهند الشرقية الهولندية، ثم السيطرة على التجارة الخاصة بالتوابل والطيب والبضائع الأخرى، وكذلك الحد من تصرفات الإنكليز والبرتغاليين، وكانت الحكومة الهولندية قد أصدرت تعليماتها بالإيعاز بتشكيل مديرية عامة من الهنود، تتضمن أربعة أعضاء من مجلس الهند؛ من أجل السيطرة على مراكزها التجارية في آسيا واستغلال مواردها^(٤٠).

لقد كان إحكام السيطرة على تجارة التوابل في (ملاقا)، وكذلك تجارة الفلفل، من الأهداف المهمة التي ركز الهولنديون جهودهم عام ١٦٠٥م عليها، ولتحقيق تلك الغاية كان عليهم تقوية الموقف العسكري والبحري في المنطقة، وكذلك فإن الهولنديين شعروا أنهم بحاجة إلى كون الأساطيل البحرية الهولندية جاهزة لتعبئة البضاعة من الموانئ الآسيوية، وقد حاولوا التوصل إلى طريق أسلم يضعهم في موقف المسيطر على التجارة الشرقية، بعد أن أثبتوا منافستهم الخطرة للبرتغاليين، وأثروا تأثيراً كبيراً على اقتصادهم، فالبرتغاليون لم يستطيعوا العودة إلى الاستيراد من خلال رأس الرجاء الصالح، ولم يتجاوز استيرادهم عشرة آلاف قنطار توابل كل عام، وتردى ذلك الاستيراد أكثر فهبط إلى ٣٠٠٠ قنطار، في حين بلغت

٣٩ - سير أرنولد -ت- ويلسون، الخليج العربي مجمل تاريخي من أقدم الأزمنة حتى أوائل القرن العشرين، ترجمة عبد القادر اليوسف، الكويت: د. ط، د. ت، ص ٢٧٢ - ٢٧٤؛ هيفاء عبد العزيز الربيعي، المصدر السابق، ص ٢٥.

٤٠ - هيفاء عبد العزيز الربيعي، المصدر السابق، ص ٢٦.

استيراداتهم عام ١٥٧٠م بين (٢٥٠٠٠-٣٥٠٠٠) قطار في السنة، ومن حسن حظ الهولنديين علاقة البرتغاليين التي كانت تسير من سيئ إلى أسوأ بالتجار في تلك المناطق، وكانت خلافاتهم تستفحل يوماً بعد يوم، وكانت شركة الهند الشرقية الهولندية قد استطاعت أن تستولي على حصون البرتغاليين واحداً بعد الآخر، فقامت سفنها باحتلال (امبوان وتيدور)، بالإضافة إلى المعاهدات التي عقدها مع بعض السلطنات، التي تضمنت حقهم في تجارة التوابل ومنحهم الحق في إقامة الاستحكامات والتحصينات^(٤١). ويلحظ ان التحولات السلبية التي طرأت على نشاط البرتغاليين في مناطق الخليج العربي عائدةً إلى سوء إدارة الملف الاقتصادي، فضلاً عن سوء سياستهم في التعامل مع سكان المناطق التي سيطروا عليها، عكس السياسة الهولندية التي كانت تتجه لعقد الاتفاقيات المبنية على المصالح المشتركة، مع بعض المناطق العربية القوية كالعُمانيين مثلاً، فسياسة الترغيب_بلا شك_ هي سياسة ذات جدوى في السيطرة على المنطقة؛ لأن الشعور بالأمان يُعطي فُسحة للمستعمر، بالتحرك في المناطق التي تصالح معها، وإن كان يُضمر سراً العداوة لسكان تلك المناطق، بوصفه مُستعمراً غريباً عنها، لكنه يُخفي هذه الشخصية وراء غطاء المعاهدات، والتعامل السلمي مع سكان تلك المناطق.

لقد تغيرت الاساليب الهولندية العسكرية والسياسية والاقتصادية في العام ١٦٠٦م بفرضهم سياسة صارمة بالمنطقة، فراحوا يقيمون الحصار على المضائق وغيرها من الأعمال، بعد أن أدركوا طبيعة النهج الذي سار عليه البرتغاليون قبلهم، في تجارتهم مع بلدان الشرق الأقصى، إذ اعتمد الهولنديون أسلوب القرصنة والتهریب من أجل الحصول على حرير الصين، ففي العام ١٦٠٩م انتهت الحرب بين أسبانيا وهولندا، واستقرت هولندا، فبدأت تُثبت دعائمها في بعض المناطق، وقد حصلت صدامات بين الهولنديين وبين سكان المناطق المحلية؛ بسبب رفع الأسعار، واحتكار البضائع المهمة، فضلاً عن ذلك فقد قامت القوات الهولندية في محاربة البرتغاليين، في المناطق المتنازع عليها بينهم، ودارت معارك عنيفة بين الطرفين، وصل الأمر في تلك المعارك إلى إنهاء سُفن بكاملها، لم يخرج منها أحد لاشتداد القصف بين الطرفين، وما أن ترسو سفينة برتغالية حتى يُسرع إليها الهولنديون ومعهم الإنكليز لاقتسام الغنائم، وقد أدى هذا التعاون الهولندي الإنكليزي إلى إضعاف قوة البرتغاليين في المنطقة، وتعرض هيمنتهم التجارية للاهتزاز منذ أوائل القرن السابع عشر الميلادي، وهكذا أصبح للهولنديين مركزٌ تجاريٌّ وسياسيٌّ متفوقٌ في المحيط الهندي والخليج العربي؛ بسبب عملياتهم التجارية، وتحالفهم مع الإنكليز والقوى الأخرى.^(٤٢)

٤١ - دولان موسينيا، تاريخ الحضارات العام، ترجمة يوسف أسعد داغر، بيروت: د. ط، ١٩٨٧م -، ج٤، ص٦١٢، ١٨٨ -

١٨٩.

٤٢ - هيفاء عبد العزيز الربيعي، المصدر السابق، ص٢٨ - ٢٩.

لقد أدرك الهولنديون أهمية استمالة سكان المناطق المحليين إلى جانبهم، عبر وسائل اقتصادية وتجارية، فسعوا إلى تنظيم مقايضات لبعض السلع مع أقطار الخليج العربي، وتسهيل تبادلها عن طريق إنشاء إمبراطورية استعمارية تجارية، ويُعدُّ ذلك أول بوادر تحول الهولنديين باتجاه الخليج العربي، وكانت بلاد فارس البوابة الأولى التي دخلوا منها، يدفعهم في ذلك تعاون الشاه عباس الأول معهم، وتشجيعهم على التجارة مع بلاده؛ لذلك ركز الهولنديون اهتمامهم على التجارة في تلك المنطقة، وبدأوا يتطلعون إلى احتكار التجارة فيها، إذ كان الخليج العربي مسرحاً نشطاً للتجارة الراجحة، فهو نقطة التقاء طرق التجارة المختلفة، فضلاً عن كونه مركزاً تجارياً مهماً، وسوقاً للبضائع الاستهلاكية، وطريقاً يوصل الغرب بالهند والشرق الاقصى. (٤٣)

وبذلك انتفع الهولنديون من سياسة التحالفات مع بعض القوى المسيطرة على بعض مناطق الخليج العربي كالإنكليز، وتوظيفهم لضرب القوة المنافسة الكبرى آنذاك المتمثلة بالبرتغاليين، فضلاً عن فتح آفاق التعاون بينهم وبين حُكام مناطق الخليج العربي القوية، واتباعهم سياسة الترغيب والترهيب والموازنة بين الكفتين نجحوا في الهيمنة على مناطق شاسعة من الخليج العربي، مما أدى إلى تضاؤل الوجود البرتغالي فيه. وقد بدأ الصراع والمنافسة بين الهولنديين والبرتغاليين بعد وصول السفن الهولندية إلى المياه الشرقية، وقد عمل الهولنديون خلال العشرين سنة الأولى من نشاطهم على إضعاف البرتغاليين في مياه أفريقيا والهند، في الوقت الذي كان الإنكليز يعملون على إضعافهم أيضاً في مياه الخليج العربي، وقد أحرز الهولنديون انتصارات مهمة في الربع الأول من القرن السابع عشر الميلادي، فضلاً عما أوقعوه من ضررٍ كبيرٍ بالبرتغاليين في أفريقيا والهند، فقد أصبح للهولنديين في الهند ٣٧ مركزاً و ٢٠ حصناً وقلعة، ولم يمض ٢٠ عاماً على تأسيس الهولنديين شركة الهند الشرقية، حتى رجحت كفتهم في بحار الهند، ففي عام ١٦١٤م كان هناك ما لا يقل عن ٢٧ سفينة حربية كبيرة، تجوب بحار تلك المناطق، وكان معدل الأرباح سنوياً من عام ١٥٠٦م إلى عام ١٦١٤م ما لا يقل عن ٣١% من الأرباح، على الرغم من مصروفات التسليح العسكرية الباهظة. (٤٤)

ومما رفع قدرة الهولنديين في منطقة الخليج العربي اعتماد السياسة البرتغالية على جمع الضرائب، في حين كان الهولنديون يعتمدون في سياستهم الاقتصادية لشركاتهم التجارية في البداية على تهريب البضائع، وكان الفرق الأساسي الذي أدخله البرتغاليون على تجارة المنطقة هو ان التجار العرب أصبحوا يتعاملون مع مُثلي أو وكلاء دولة عسكرية استعمارية، تفرض هيمنتها بالقوة وتحدد الأسعار بالاتفاقيات

٤٣ - المصدر نفسه، ص ٢٩ - ٣٢.

٤٤ - طارق نافع الحمداي وآخرون، المصدر السابق، ص ٤٥.

الرسمية بين الدول، فضلاً عن أن التجارة أصبحت مُقننة بواسطة الحكومة البرتغالية، دون أن تُغيّر من واقع العلاقات الاقتصادية السياسية على المستوى المحلي العام. (٤٥)

ولكل ماتقدم دلّ واقع الحال على خطأ السياسة البرتغالية في إدارة الملف الاقتصادي والسياسي في منطقة الخليج العربي، وترجيح كفة القوة على كفة السياسة القائمة على كسب ود سكان المناطق الواقعة تحت هيمنتهم، وهذا فارقٌ كبير بين البرتغاليين والهولنديين، وأغلب الظن أنه كان العامل الأول الذي أسهم في أضعاف قوة البرتغاليين في المنطقة، ومن ثم إخراجهم منها ودخول الهولنديين بوصفهم قوةً جديدة غيرت من موازين القوى في المنطقة، واعتمدت على سياسة الترغيب في التجارة وترهيب العدو إذا تطلب الأمر الصدامات العسكرية، وقد رفع هذا النشاط المخالف للنشاط البرتغالي من نسبة القوة عند الهولنديين وجعلهم من أهم القوى الاستعمارية المسيطرة على مناطق الخليج العربي، ولعل خير دليل على ذلك هو تحالف الإنكليز معهم على الرغم مما يمتلكون من دهاءٍ سياسيٍّ وعسكري.

وبذلك تعاضمت السيطرة الهولندية في مناطق الشرق عامّةً، وشهدت أواخر القرن السابع عشر الميلادي انتقال السيادة في مياه الشرق من البرتغال إلى هولندا، ويرجع هذا النجاح الذي حققه الهولنديون إلى ما اتخذوه من سياسة الترغيب قائمة على تخفيض اسعار البيع، وترهيب عبر استخدام القوة العسكرية حين يتطلب الأمر انتزاع امتيازات ضرورية (٤٦).

ولعل اهم ما يمكن الحديث عنه هو تغلب كفة الهولنديين على البرتغاليين؛ وذلك ان السياسة التي كانوا يديرون بها الملف الاقتصادي والتجاري، والعلاقة المتبادلة بين الحاكم السياسي ومُديري تلك التجارة، في المناطق الواقعة تحت هيمنتهم، كانت طبيعة تلك العلاقة بين إدارات شركات الهند الشرقية وحكوماتها الهولندية: علاقة وثيقة وقوية جداً على ما يبدو؛ وذلك عن طريق منح التجار والوكلاء صلاحيات، جعلتهم يكونون بمثابة الرواد الأوائل للتجارة الرأسمالية التي بدأت تتغلغل في بدايتها الأولى، عن طريق المدن التجارية الساحلية، قبل أن تتغلغل إلى استعمار تلك الدول انطلاقاً من هذه الموانئ والمدن التجارية الساحلية، إلى مصادر الموارد الأولية والأسواق التجارية، وتكريس شعوب المستعمرات لخدمة اقتصادها الرأسمالي (٤٧).

وهذا واقعاً ما يفتقر إليه البرتغاليون، فضلاً عن أن احتكار ملك البرتغال لتجارة السلع المربحة أدى إلى اضعاف نظامهم؛ إذ لم يترك مجالاً للطبقة البرجوازية لممارسة نشاطاتها التجارية، في حين كانت

٤٥ - محمد حسين العيدروس، المصدر السابق، ص ٣٣.

٤٦ - طارق نافع الحمداني وآخرون، المصدر السابق، ص ٤٦.

٤٧ - محمد حسين العيدروس، المصدر السابق، ص ٣٤؛ عبد الأمير محمد أمين، دراسات في النشاط التجاري والسياسي في آسيا

١٦٠٠-١٨٠٠، عمان: د. ط، ١٩٨٧ م -، ص ١٨-١٩.

تلك الطبقة أكثر نشاطاً في النظام الهولندي الذي استطاع تأسيس الشركات الاحتكارية الخاصة، وكان يربط حركة الاستعمار بقواعد عريضة ومؤثرة من الشعب والمجتمع الهولندي، مما يمنحه ارضية خصبة للتحرك، فضلاً عن عدم وجود نظام دقيق أو انضباط صارم بين صفوف أفراد البحرية البرتغالية، وتكرّر حوادث التمرد والخلافات بين الضباط والبحارة، وهذا عكس ما كان في البحرية الهولندية التي تمتعت بنظام صارم وانضباط دقيق، بالإضافة إلى اتباع الحكومة الهولندية للسياسة الرأسمالية في التجارة؛ إذ كانت سياسة شركة الهند الشرقية الهولندية في الفترة التي تلت اختيار السيطرة البرتغالية غير قائمة على سياسة الاحتكار السياسي العسكري، كما كانت عليه سياسة البرتغاليين؛ إذ اتبع الهولنديون مختلف الأساليب للتنافس التجاري، كما انشأوا المراكز التجارية والقواعد العسكرية، بطريقة تناسب والنظام الرأسمالي الجديد القائم على استغلال الشعوب، وتكوين الامبراطوريات، ومنح الطبقة البرجوازية صلاحيات جديدة، وإطلاق أيديهم في المناطق التي تُهيمن عليها الحكومة الهولندية، باستغلال الشعوب، وتكوين الامبراطوريات^(٤٨).

ويبدو أن مواطن التلاقي والاختلاف بين النظام الهولندي والنظام البرتغالي كان من أهم الأسباب التي جعلت كفة ميزان القوى ترجح للهولنديين في الخليج العربي، وذلك بعد شيوع انظمة جديدة مبنية على حُطط مُعايرة لأنظمة الاستعمارات الكلاسيكية التي قامَ عليها النظام البرتغالي، فضلاً عن ان مجيء الهولنديين بعد ضُعف البرتغاليين اتاح لهم ان يتجنبوا العوائق والمطبات التي وقع بها الاستعمار البرتغالي قبلهم.

ويتضح ذلك في تغيير طبيعة التعامل مع سكان المناطق التي يتم الهيمنة عليها بتخفيض اسعار السلع وعقد المعاهدات التي تُعري الطرف الآخر وتجعله لا يُفكر في جعل الهولنديين هدفاً له، فضلاً عن نجاح الهولنديين في كسب الثقة لقوى مُهيمنة أكثر في المنطقة ومنهم الإنكليز والفرس، وعقد المعاهدات والاحلاف لتشكيل قوى كبيرة اُختمت في آخر المطاف الوجود البرتغالي في المنطقة.

وهكذا انتهى الصراع بين البرتغاليين والهولنديين بهيمنة الهولنديين على مناطق شاسعة من الخليج العربي، الا ان هذه الهيمنة لم تدم طويلاً لاسيما بعد ان طرأت تحولات وتغيرات على بنية النظام الاستعماري الهولندي، فأدت إلى تأجيج الرأي العام العربي في المناطق العربية ذات القوى التي اتجهت حكامها إلى عقد الاحلاف مع قوى أخرى لأنهاء الوجود الهولندي عام ١٧٦٦م، وهذا مامر ذكره في المبحث الثاني من هذه الدراسة.

٤٨ - محمد حسين العبدروس، المصدر السابق، ص ٣٤ - ٣٦؛ زكي صالح، بريطانيا والعراق حتى عام ١٩١٤ دراسة في التاريخ الدولي والتوسع الاستعماري، بغداد: مطبعة العاني، ١٩٦٨م، ص ٤٨-٤٩.

الخاتمة

ومن خلال ما تقدم يمكن الوصول إلى النتائج الآتية:

١- كان للعامل الديني دورٌ كبيرٌ أسهم في تحرك البرتغاليين للخليج العربي مدفوعين بالسلطة الدينية آنذاك، فضلاً عن العامل الاقتصادي الذي دفع البرتغاليين للسيطرة على موانئ الخليج العربي والهيمنة على طرق التجارة لما يتمتع به الخليج العربي من موقع استراتيجي يربط بين الشرق والغرب.

٢- لقد اتاح خروج البرتغاليين من منطقة الخليج العربي الفرصة لظهور قوى استعمارية جديدة وظّفت إمكاناتها التجارية والسياسية والاقتصادية والبشرية؛ لتسجل حضوراً قوياً يُهيمنُ على مساحة كبيرة من مناطق الخليج العربي، كان الهولنديون من أهمها.

٣- كان من أهم الأسباب لنجاح الهولنديين في السيطرة على تجارة الخليج دعم الحكومة الهولندية لهم مالياً وعسكرياً، والعلاقات الحسنة التي كانت تربط الحكومة الهولندية بإدارات شركة الهند الشرقية الهولندية، وابتعاد الحكومة عن سياسة احتكار التجارة لصالحها، وظهور نظام اقتصادي جديد سجل نجاحاً باهراً آنذاك، هو النظام الرأسمالي.

٤- كان ظهور حركة المقاومة العربية ضد السيطرة الأوربية في الخليج العربي مُتمازماً مع تعاقب القوى الاستعمارية عليه؛ فمن مقاومة العرب اليعاربة للبرتغاليين، وإخراجهم من المنطقة، إلى مقاومة عرب الساحل الشرقي للخليج العربي للهولنديين، حتى إخراجهم من جزيرة خُرج، آخر معقلهم، على يد (المير مهنا).

٥- اتسم الصراع بين البرتغاليين والهولنديين بالتذبذب وعدم تساوي القوى؛ فقد رجح ميزان القوى للهولنديين على حساب البرتغاليين؛ لأسباب تعود إلى الوسائل التقليدية التي اتبعوها في فرض هيمنتهم بالقوة، واحتكار التجارة، وغلاء الأسعار، على العكس من الهولنديين الذين اتبعوا سياسة الترغيب تارة، والترهيب تارةً أخرى، بحسب طبيعة الساحة السياسية والتقلبات التي تحدث فيها.

٦- لقد جسّد الصراع البرتغالي الهولندي على الخليج العربي جشاعة الأنظمة الاستعمارية الأوربية، من خلال رغبتهم باستغلال موارد الشعوب المستضعفة، وما في مناطقهم من ثروات، والسيطرة على طرق التجارة العالمية، واحتكار تجارة بعض المواد كالتوابل التي كانت من أهم الموارد في القارة الأوربية.

٧- لم يكن الصراع البرتغالي الهولندي إلا تجسيدا لأهمية منطقة الخليج العربي النابعة من إمكانية ملاحاة السفن الكبرى فيها، فضلاً عن اعتبار منطقة الخليج العربي حلقة الوصل بين الدول الاستعمارية والهند.

المصادر

أولاً: الكتب العربية والمعرّبة:

أ-الكتب العربية:

- ١- انطوان متي، الخليج العربي من الاستعمار البريطاني حتى الثورة الإيرانية، بيروت، دار الجبل، ١٩٩٣م.
- ٢- بدر الدين الخوصي، دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، ط٢، الكويت: منشورات ذات السلاسل، ١٩٨٤م -، ج١.
- ٣- جمال حمدان، إستراتيجية الاستعمار والتحرير، القاهرة: دار الهلال، ١٩٦٨م -.
- ٤- جمال زكريا قاسم، الخليج العربي دراسة لتاريخ الإمارات العربية في عصر التوسع الأوربي الأول ١٥٠٧-١٨٤٠م، القاهرة: دار الفكر العربي، د. ت -.
- ٥- زكي صالح، بريطانيا والعراق حتى عام ١٩١٤م دراسة في التاريخ الدولي والتوسع الاستعماري، بغداد: مطبعة العاني، ١٩٦٨م -.
- ٦- سالم سعدون، جزر الخليج العربي دراسة في الجغرافية الإقليمية، بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٨١م -.
- ٧- سحر أحمد ناجي، بريطانيا والخليج العربي خلال الحرب العالمية الأولى، بغداد: دار ومكتبة عدنان للطباعة والنشر والتوزيع -.
- ٨- سليم طه التكريتي، الصراع على الخليج العربي، بغداد: د. ط، ١٩٦٦م -.
- ٩- سليم طه التكريتي، المقاومة العربية في الخليج العربي، بغداد: دار الرشيد، ١٩٨٢م -.
- ١٠- صباح إبراهيم الشихلي وآخرون، دراسات عن تاريخ الخليج العربي والجزيرة العربية، جامعة البصرة: مطبعة جامعة البصرة، ١٩٨٥م -.
- ١١- صبري فارس الهيتي، الخليج العربي دراسة جغرافية السياسية، ط٢، بغداد: دار الرشيد للنشر، ١٩٨١م.
- ١٢- صلاح العقاد، التيارات السياسية في الخليج العربي، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٤م -.
- ١٣- طارق نافع الحمداني وآخرون، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، بغداد: دار الورّاق، ٢٠١٠م.
- ١٤- عبد الأمير محمد أمين، المصالح البريطانية في الخليج العربي ١٧٤٧-١٧٧٨م -، بغداد: مطبعة الإرشاد، ١٩٧٧م.
- ١٥- عبد الأمير محمد أمين، القوى البحرية في الخليج العربي في القرن الثامن عشر، بغداد: د. ط، ١٩٦٦م.

- ١٦- عبد الأمير محمد أمين، دراسات في النشاط التجاري والسياسي في آسيا ١٦٠٠ - ١٨٠٠، عمان: د. ط، ١٩٨٧ م .
- ١٧- عبد الرزاق الفهد، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، بغداد: د. ط، ٢٠٠٤ م - .
- ١٨- عبد العزيز سليمان نوار، الشعوب الإسلامية، بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٩١ م - .
- ١٩- عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، حكومة الهند البريطانية والإدارة في الخليج العربي، الرياض: د. ط، ١٩٨٠ م - .
- ٢٠- عبد العزيز عوض، دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث، بيروت: دار الجيل، ١٩٩١ م - ، ج ١ .
- ٢١- قدري قلعجي، الخليج العربي بحر الأساطير، ط ٣، بيروت: شركة المطبوعات، ١٩٩٥ م - .
- ٢٢- محمد العريس، موسوعة التاريخ الإسلامي العصر العثماني -، بيروت: منشورات دار اليوسف، ٢٠٠٥ م - .
- ٢٣- محمد حسين العيدروس، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، ط ٢، الكويت: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ١٩٩٨ م - .
- ٢٤- محمود شاكر، موسوعة تاريخ الخليج العربي، عمان: دار الإسامة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥ م -، ج ١ .
- ٢٥- مصطفى النجار وآخرون، تاريخ الخليج العربي المعاصر، البصرة: جامعة البصرة، ١٩٨٢ م - .
- ٢٦- هيفاء عبد العزيز الربيعي، الغزو الهولندي للخليج العربي، الموصل: مطابع دار الكتب، ١٩٨٩ م .
- ب-الكتب المُعرّبة:**
- ١- ج. ج. لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخي، ترجمة مكتب الترجمة بديوان حاكم قطر، الدوحة: د. ط، ١٩٦٧ م -، ج ١ .
- ٢- دولان موسينيا، تاريخ الحضارات العام، ترجمة يوسف أسعد داغر، بيروت: د. ط، ١٩٨٧ م -، ج ٤ .
- ٣- سير أرنولد -ت- ويلسون، الخليج العربي مجمل تاريخي من أقدم الأزمنة حتى أوائل القرن العشرين، ترجمة عبد القادر اليوسف، الكويت: د. ط، د. ت - .
- ٤- سير أرنولد -ت- ويلسون، تاريخ الخليج العربي، ترجمة محمد أمين عبد الله، لندن: دار الحكمة، ٢٠٠١ م
- ثانياً: البحوث العلمية:**
- ١- عبد الأمير محمد أمين، دور القبائل العربية في صد التوسع الأوربي في الخليج العربي، خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، بحوث المؤتمر الدولي للتاريخ، بغداد: مطبعة أسعد، ١٩٧٤ م - .
- ٢- علي غنام، أحداث فاصلة في إحتلال النفوذ الأجنبي بالخليج العربي، مركز دراسات الخليج العربي -، مجلة -، العدد ٢، البصرة، ١٩٨٥ م .

- ٣- محمود علي الداود، تاريخ العلاقات الهولندية مع الخليج العربي ١٦٣٠-١٧٦٠، مجلة كلية الآداب -
-، مجلة -، جامعة بغداد، العدد ٣ -، كانون الثاني ١٩٦١ م.

ضمانات المطلقة من الطلاق التعسفي (دراسة مقارنة)

Compensation for Arbitrary Divorce (A Comparative Study)

م.م عادل سعد جهاد خليف^(١)

Asst. Lect. Adel Saad Jihad Khalif

الملخص

يتناول هذا البحث الموسوم بـ "ضمانات المطلقة من الطلاق التعسفي دراسة مقارنة" أحد المواضيع الجوهرية في نطاق الأحوال الشخصية، وذلك من خلال دراسة ضمانات المرأة المطلقة من الطلاق التعسفي في ضوء القوانين المقارنة. يسعى البحث إلى تحليل الأثر القانوني للطلاق التعسفي من حيث ترتب التعويض للزوجة المتضررة، مستعرضاً موقف الفقه الإسلامي والقانون العراقي والقوانين المقارنة مثل القانون المصري والفرنسي. في المبحث الأول، تم التعريف بالتعويض عن الطلاق التعسفي، والأساس الذي يقوم عليه هذا التعويض بين ما هو شرعي وما هو قانوني. أما المبحث الثاني فقد خصص للضمانات القانونية للمطلقة من الطلاق التعسفي ودراسة مقارنة بين القوانين العراقية والمصرية والفرنسية وتوضيح أوجه التشابه والاختلاف بين مواقف هذه القوانين في منح التعويض وتحديد مقداره، ومدى اعتماده على السلطة التقديرية للقاضي أو النصوص القطعية. يشير البحث أيضاً إلى أن التعويض عن الطلاق التعسفي يمثل ضماناً قانونية هامة لحماية الزوجة من تعسف الزوج في إنهاء العلاقة الزوجية بإرادة منفردة، وأن

١ - جامعة كربلاء - مركز الدراسات الاستراتيجية

القوانين المقارنة تتفاوت في مدى تفصيلها وتحديد مقدار هذا التعويض. كما أظهر البحث أن القانون العراقي بحاجة إلى مزيد من التحديد في ضوء الاتجاهات الفقهية الحديثة لضمان مصلحة الطرف الضعيف. **الكلمات المفتاحية:** الطلاق التعسفي، التعويض، القانون المقارن، حماية المرأة، الفقه الإسلامي، القانون العراقي.

Abstract

This research, titled "Compensation for Arbitrary Divorce – A Comparative Study", addresses one of the essential topics in the field of personal status law by examining the guarantees afforded to women who are divorced arbitrarily, in light of comparative legal systems. The study aims to analyze the legal implications of arbitrary divorce, particularly regarding the right of the affected wife to receive compensation. It reviews the position of Islamic jurisprudence, Iraqi law, and other comparative legal systems such as Egyptian and French law. The first chapter defines the concept of compensation for arbitrary divorce, its conditions, and its legal and jurisprudential foundations. The second chapter focuses on a comparison between different legislative texts, highlighting similarities and differences in how these legal systems address compensation, determine its amount, and the extent to which judicial discretion or fixed legal provisions apply. The study concludes that compensation for arbitrary divorce represents an important legal safeguard to protect women from unilateral abuse of the right to divorce. It also finds that comparative laws vary in their level of detail regarding the determination of compensation. Furthermore, the study suggests that Iraqi law needs clearer provisions in light of contemporary jurisprudential trends to better protect the weaker party.

Keywords: Arbitrary divorce, compensation, comparative law, women's protection, Islamic jurisprudence, Iraqi law.

المقدمة

أولاً: موضوع البحث: يتناول هذا البحث مسألة الضمانات القانونية للمطلقة من الطلاق التعسفي – دراسة مقارنة، وهي من الإشكاليات القانونية والاجتماعية المعقدة التي تتقاطع فيها مبادئ العدالة والإنصاف مع حدود السلطة التقديرية الممنوحة للزوج في إيقاع الطلاق. ورغم أن الطلاق حق مشروع، إلا أن ممارسته بصورة تعسفية تمثل إخلالاً بمبدأ عدم الإضرار، وتقتضي من النظم القانونية التدخل لفرض نوع من الحماية القانونية للمرأة، تضمن لها الكرامة الإنسانية والعدالة في حالة انقطاع العلاقة الزوجية، ولا سيما إذا وقع الطلاق من غير سبب مشروع.

ثانيًا: أهمية البحث: تتمثل أهمية هذا البحث في النقاط الآتية:

١. نظرًا لما يترتب على الطلاق التعسفي من آثار نفسية واجتماعية تمس كيان المرأة والأسرة، فإن البحث في آليات الحماية القانونية يمثل أداة لإعلاء كرامة الإنسان وتحقيق التوازن في العلاقات الأسرية.

٢. يظهر البحث أهمية تحديد الإطار القانوني للتعويض عن الطلاق التعسفي في القوانين الوضعية، وخصوصًا في ظل غياب النصوص الصريحة أحيانًا، مما يجعل الاجتهاد القضائي مصدرًا أساسيًا للحماية.

٣. إبراز أوجه التلاقح والاختلاف بين التشريعات العربية والغربية في مسألة الطلاق والتعويض، ما يسهم في توجيه الأنظار إلى سبل الإصلاح التشريعي.

ثالثًا: أهداف البحث: يسعى البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

١. توضيح المفهوم القانوني والشرعي للتعويض عن الطلاق التعسفي.
٢. بيان الأساس الذي يستند إليه مبدأ التعويض في حالات الطلاق الجائر.
٣. إجراء مقارنة تحليلية بين القوانين (العراقي، المصري، الفرنسي) من حيث الضمانات القانونية للمطلقة من الطلاق التعسفي.

٤. الوقوف على مدى فاعلية هذه الضمانات، وتقديم مقترحات واقعية لتطويرها.

رابعًا: المشكلة البحثية: تكمن المشكلة المحورية للبحث في عدم وضوح الحدود القانونية لمفهوم الطلاق التعسفي والتعويض عنه في بعض التشريعات، وخاصة القانون العراقي، وغياب النصوص الصريحة التي تكفل الحماية الكافية للمرأة المطلقة.

وتتمثل الإشكالية الرئيسية في السؤال الآتي: "إلى أي مدى توفر التشريعات محل الدراسة ضمانات فعالة للمطلقة من الطلاق التعسفي، وما أوجه التباين أو التقارب فيما بينها؟"

ويتفرع من هذا السؤال الرئيسي الأسئلة الآتية:

١. ما هو الإطار الفقهي والقانوني لمفهوم الطلاق التعسفي؟
٢. ما الأساس الذي تقوم عليه فكرة التعويض عن الطلاق التعسفي؟
٣. كيف نظمت القوانين العراقية والمصرية والفرنسية هذا الموضوع؟
٤. هل تكفل هذه القوانين حماية فعلية للمطلقة، أم أنها مجرد ضمانات شكلية؟
٥. ما هو دور الاجتهاد القضائي في سدّ الفراغ التشريعي في هذا المجال؟

خامساً: منهج البحث: يعتمد هذا البحث على **المنهج التحليلي المقارن**، وذلك لتفكيك النصوص القانونية وقراءتها في ضوء الفقه الإسلامي والاجتهادات القضائية، ومقارنتها وبيان مواطن القوة والضعف في كل نظام قانوني.

سادساً: خطة البحث: يتم تقسيم الموضوع على مبحثين وهما:

• **المبحث الأول: التعريف بالتعويض عن الطلاق التعسفي**

- **المطلب الأول:** مفهوم التعويض عن الطلاق التعسفي

- **المطلب الثاني:** الأساس القانوني والشرعي للتعويض

• **المبحث الثاني: الضمانات القانونية للمطلقة من الطلاق التعسفي** - دراسة مقارنة

- **المطلب الأول:** في القانون العراقي

- **المطلب الثاني:** في القانون المصري

- **المطلب الثالث:** في القانون الفرنسي

• **الخاتمة:** وتتضمن أبرز النتائج والتوصيات.

• **قائمة المراجع:** وتشمل المصادر القانونية والفقهية والأحكام القضائية ذات الصلة.

المبحث الأول:

التعريف بالتعويض عن الطلاق التعسفي

تُعد مسألة التعويض عن الطلاق التعسفي من القضايا المحورية في فقه الأحوال الشخصية، لما تحمله من أبعاد إنسانية وقانونية واجتماعية تتعلق بمكانة المرأة وكرامتها بعد انتهاء العلاقة الزوجية بطريقة جائرة. ويتضمن هذا المبحث توضيح المفهوم القانوني والفقهية للتعويض عن الطلاق التعسفي، والأساس الذي يستند إليه هذا النوع من التعويض، ومدى انسجامه مع مبادئ العدالة والإنصاف، وذلك من خلال المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: مفهوم التعويض عن الطلاق التعسفي

تُعد مسألة التعويض عن الطلاق التعسفي من القضايا المحورية في فقه الأحوال الشخصية، لما تحمله من أبعاد إنسانية وقانونية واجتماعية تتعلق بمكانة المرأة وكرامتها بعد انتهاء العلاقة الزوجية بطريقة جائرة^(٢). ويستلزم البدء في دراسة هذا المفهوم تفكيكه إلى عناصره الأساسية، وهي "التعويض"، "الطلاق"، و"التعسف"، قبل تقديم تعريف إجرائي شامل للطلاق التعسفي والتعويض عنه.

يُقصد بالتعويض عن الطلاق التعسفي ما يُمنح للمطلقة من تعويض مادي أو معنوي نتيجة إنهاء العلاقة الزوجية بإرادة منفردة من الزوج دون مسوغ مشروع أو مبرر قانوني معتبر، يؤدي إلى إلحاق ضرر بها مادياً أو معنوياً، كحرمانها من السكن أو النفقة، أو الإساءة إلى سمعتها أو مركزها الاجتماعي، أو ضياع فرص الاستقرار الأسري.

ويستند هذا التعويض إلى مبدأ عام في الفقه والقانون مفاده "لا ضرر ولا ضرار"، والذي يُعد أساساً لوجوب التعويض عن كل فعل مشروع في ظاهره لكنه ألحق ضرراً غير مشروع بالغير. فالطلاق في ذاته مشروع، لكنه قد يكون تعسفياً حينما يستخدم بشكل لا يحقق مقاصد الشريعة أو العدالة، وهنا يكون الزوج مسؤولاً عن تعويض الضرر الناتج عن هذا التعسف، تحقيقاً للتوازن بين الحرية الشخصية في إنهاء الزواج، ووجوب احترام حقوق الطرف الآخر فيه^(٣).

وفي هذا الإطار، اعتبرت بعض التشريعات أن الطلاق التعسفي هو الذي يتم بدون سبب مقبول، أو في توقيت يحتمل الزوجة ضرراً واضحاً، كأن يتم طلاقها بعد مرضها أو بعد فقدانها لوظيفتها، أو بعد سنوات طويلة من العشرة دون سبب ظاهر، وهو ما يستتبع التزام الزوج بالتعويض عن الضرر الذي ألحقه بها^(٤).

أولاً- التعويض: هو المال الذي يحكم به على من ألحق ضرراً بغيره في نفسه أو ماله أو شرفه^(٥). فهو عبء مالي يجب على الطرف الذي أوقع الضرر بالطرف المتضرر، لما أصابه من ضرر، نتيجة استعمال الطرف الأول حقه بوجه غير مشروع^(٦).

ثانياً- الطلاق: يقصد بالطلاق حق إنهاء الرابطة الزوجية في الحال، أو المال، بلفظ يدل على ذلك صراحة، أو ضمناً، أو بما يقوم مقام اللفظ، كالكتابة والإشارة، في حال عدم القدرة على الكلام^(٧)، وعرفه المشرع العراقي في الفقرة (١) من المادة (٣٤) من قانون الأحوال الشخصية العراقي رقم (١٨٨) لسنة (١٩٥٩) المعدل. على أنه: ((رفع قيد الزواج بإيقاع من الزوج أو من الزوجة أن وكلت به أو فوضت أو من القاضي. ولا يقع الطلاق إلا بالصيغة المخصصة له شرعاً...))، أما المشرع الكوردستاني فقد عرف الطلاق في الفقرة (١) من المادة (١٣) من قانون رقم (١٥) لسنة (٢٠٠٨) على أنه: ((رفع قيد الزواج

٣- الفروق القرائي، المصدر السابق نفسه، ص ٢١٠

٤- عبد الرحمن الجزيري، الفقه على المذاهب الأربعة، ج ٤، دار الكتب العلمية، بيروت، ص ٣٢٩.

٥- محمود شلتوت، الإسلام عقيدة وشريعة، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠١، ص ٤١٥.

٦- صباح جام، نظرية التعسف في استعمال الحق في الفقه الإسلامي والقانون المدني، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان،

٢٠٠٩، ص ٢٧٢

٧- أحمد إبراهيم شعبان، أحكام الزواج والطلاق في الشريعة الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٢، ص ٣٤٦

بصيغة صريحة تدل عليه شرعاً وقانوناً دون التقييد بصيغة محددة أو لغة معينة بإيقاع من الزوج أو الزوجة أن وكلت أو فوضت به أو من القاضي...)) وعند ملاحظة النصين المذكورين أعلاه يتبين أن المشرع الكوردستاني كان حريصاً على عدم إيقاع الطلاق الا بصيغة صريحة تدل عليه شرعاً وقانوناً، غير انه لم يقيّد إيقاع الطلاق بصيغة أو لغة معينة، اما المشرع العراقي فانه ذهب إلى أن الطلاق لا يقع إلا بالصيغة المخصصة له شرعاً.

ثالثاً- التعسف: ورد للتعسف تعريفات كثيرة اختلفت في التعبير واقتربت في المعنى فهناك من عرفه بأنه: ((مناقضة قصد الشارع في التصرف المأذون فيه شرعاً بحسب الأصل))^(٨)، كما عرف بأنه: ((إساءة استعمال الحق بحيث يؤدي إلى إلحاق الضرر بالغير))^(٩)، وعرف أيضاً بأنه: ((استعمال شخص لحق له ينشأ عنه الضرر بالغير))^(١٠)، يفهم من هذه التعاريف أن فكرة التعسف هو أن الشخص يملك في الأصل حق القيام بتصرف معين والتصرف في أصله مشروع ومباح، ولكنه يقوم به على نحو يتناقض مع قصد الشارع ويلحق ضرراً بالغير، فالطلاق في أصله مباح ومشروع وحق ثابت للزوج ولكن في بعض الاحيان يتعسف في إيقاعه.^(١١)

ما تقدم كان تعريف كل من مصطلح التعويض والطلاق والتعسف لغة واصطلاحاً بشكل منفصل، أما بالنسبة لمفهوم الطلاق التعسفي فيقصد به: مناقضة قصد الشارع في رفع قيد النكاح حالاً أو مآلاً بلفظ مخصوص^(١٢)، وتطبيق الزوج لزوجته دون وجه حق وحاجة أو بدون مبرر أو لمبرر غير معقول^(١٣)، وبدون سوء تصرف منها وبدون رضاها وطلبها أو أن يقصد في ذلك فقط إلحاق الضرر بها ومناقضة حكمة الشارع من تشريع الطلاق والتي هي دفع الأضرار المترتبة على الاستمرار بالعلاقة الزوجية في الحالات التي تسوء العشرة بين الزوجين، وتثور المشاكل بينهما^(١٤) وأما بالنسبة لمفهوم التعويض عن الطلاق التعسفي معاً فيقصد به: ((إلزام الزوج المطلق بدفع مبلغ من المال تعويضاً عن الضرر اللاحق

٨ - ينظر نص المادة ٣٤ - من قانون الأحوال الشخصية العراقي رقم ١٨٨ - لسنة ١٩٥٩ المعدل

٩ - ينظر نص المادة ١٣ - من قانون الأحوال الشخصية رقم ١٨٨ - لسنة ١٩٥٩ المعدل في إقليم كوردستان - العراق رقم

١٥ - لسنة ٢٠٠٨

١٠ - مصطفى الدريني، نظرية التعسف في استعمال الحق في الفقه الإسلامي، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٨٨،

ص ٨٧

١١ - أحمد عمرو، الطلاق التعسفي والتعويض عنه، دار الثقافة، عمان، ١٩٩٨، ص ١٧٩

١٢ - مصطفى السباعي، اشتراكية الإسلام، دار الوراق للنشر، بيروت، ٢٠٠١، ص ٢٤٢

١٣ - صبحي كرم، نظرية التعسف في استعمال الحق، دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٩٥، ص ٤٣

١٤ - مراد بودية، التعويض عن الطلاق التعسفي في الشريعة الإسلامية والقانون الجزائري، أطروحة ماجستير، جامعة قسنطينة،

الجزائر، ٢٠١٦، ص ٨٧

بالآخرين، نتيجة استعماله لحقه المشروع لغاية غير مشروعة أو مناقضة لحكم الشارع^(١٥)، فالتعويض عن الطلاق التعسفي هو مبلغ مالي الذي يدفعه الزوج لمطلقاته وذلك بتوفير حياة كريمة لها مقابل الضرر الذي لحق بها بسبب سلبه لدفعي واستقرار وأمن الحياة الزوجية منها وفقدانها للعائلة ومعاناتها من الوحدة والم فراق وما شابه ذلك^(١٦).

المطلب الثاني: الأساس القانوني والشرعي للتعويض

يستند التعويض عن الطلاق التعسفي إلى عدة أسس، منها ما هو شرعي، ومنها ما هو قانوني، ومنها ما هو مبني على الأعراف والاجتهاد القضائي. ففقهاء الشريعة الإسلامية - وإن كانوا يميزون الطلاق - إلا أنهم أشاروا إلى أن تعسف الزوج في استعمال هذا الحق قد يُلزم بالتعويض، خاصة إذا ترتب على الطلاق ضرر محقق بالزوجة. وقد أشار الإمام مالك إلى إمكان إلزام الزوج بالتعويض في حال الطلاق من غير سبب معقول، وهو ما يُعرف في المذهب المالكي بالطلاق الجائر^(١٧). أما على الصعيد القانوني، فإن بعض القوانين العربية قد نصت صراحة على حق الزوجة في المطالبة بالتعويض عند إثبات أن الطلاق كان تعسفياً. ويُستشف من ذلك اعتماد مبدأ التعويض المدني المنصوص عليه في القانون المدني، والذي يُقر مبدأ المسؤولية التقصيرية (الفعل الضار)، أي أن من تسبب في ضرر للغير دون مبرر مشروع، يلتزم بالتعويض، وهو ما يُمكن تطبيقه على حالة الطلاق إن ثبت عنصر الضرر والعلاقة السببية بين الطلاق والتعسف^(١٨). كما أن محاكم الأحوال الشخصية في بعض الدول قد تبنت هذا الاتجاه باجتهادها القضائي، حيث قضت في العديد من الأحكام بفرض تعويض للزوجة إذا ثبت أن الزوج أساء استعمال حق الطلاق وأوقعه بصورة تعسفية لا تتفق مع المبادئ الأخلاقية أو الإنسانية أو الاجتماعية^(١٩).

المبحث الثاني: الضمانات القانونية للمطلقة من الطلاق التعسفي

يتناول هذا المبحث المقارنة بين التشريعات المختلفة فيما يتعلق بالضمانات القانونية التي تكفل حقوق المرأة المطلقة نتيجة الطلاق التعسفي، حيث نسلط الضوء على القوانين: العراقي، المصري، والفرنسي. وسنبيّن في كل مطلب الآليات التي يضعها كل قانون للحماية من الطلاق التعسفي، ومدى فعالية هذه الضمانات في حماية المرأة المطلقة.

١٥ - صباح جاتم، المرجع السابق، ص ١٩٨

١٦ - حمد المومني، الوجيز في الأحوال الشخصية، مكتبة دار الثقافة، عمان، ٢٠٠٩، ص ٦٢

١٧ - ابن رشد، بداية المجتهد، تحقيق محمد حجي، دار الحديث، القاهرة، ج ٢، ص ٧٣

١٨ - ينظر في المادة ٢٠٤ - من القانون المدني العراقي رقم ٤٠ لسنة ١٩٥١ المعدل

١٩ - حكم صادر عن محكمة الأحوال الشخصية في الكرخ، عدد ١٥٩/ش/٢٠١٩ في ٢٠١٩/٣/٢٠١٩، منشور في مجلة

القضاء، العدد الأول، ٢٠٢٠، ص ٩٤

المطلب الأول: ضمانات المطلقة من الطلاق التعسفي في القانون العراقي

يُعدّ القانون العراقي من القوانين التي تبنت مبدأ الحدّ من التعسف في استعمال الحق في الطلاق، وإن لم يُشر إلى ذلك بصورة صريحة، فقد ترك تقدير التعسف للقاضي من خلال السلطة التقديرية في تفسير الملبسات المحيطة بحالة الطلاق. ويظهر ذلك من خلال المادة (٤٠) من قانون الأحوال الشخصية العراقي رقم ١٨٨ لسنة ١٩٥٩ المعدّل، التي نصّت على أنه "لكل من الزوجين طلب التفريق عند وجود ضرر من الطرف الآخر، بحيث لا يمكن معه استمرار الحياة الزوجية"^(٢٠). وعلى الرغم من أن النص لا يتحدث مباشرة عن الطلاق التعسفي، إلا أن الضرر الناتج عن الطلاق بلا مبرر قد يُعدّ مسوّغاً للمطالبة بالتعويض، وهو ما فتح باباً أمام المرأة لطلب إنصافها.

كما نصّت المادة (٥٧) من نفس القانون على حق الحضانة للأم، وقررت النفقة للأطفال، مما يشكل ضماناً غير مباشر للمرأة المطلقة، ويُحد من إمكانية تعسف الزوج في الطلاق خوفاً من التزاماته ما بعد الطلاق^(٢١). ومع ذلك، فإن القانون العراقي لم ينص بشكل صريح على تعويض المطلقة من الطلاق التعسفي، وترك هذا الجانب للاجتهاد القضائي، مما يجعله موضعاً للنقاش الفقهي والقانوني في ظل غياب نص قانوني صريح.

المطلب الثاني: ضمانات المطلقة من الطلاق التعسفي في القانون المصري

يُعد القانون المصري من أبرز التشريعات العربية التي سعت إلى تقييد سلطة الزوج في إيقاع الطلاق التعسفي، مستلهماً مبادئ الشريعة الإسلامية مع دمج عناصر من القوانين الوضعية لضمان حماية أفضل للمرأة. ويعتمد هذا النظام على توازن بين الحفاظ على قدسية العلاقة الزوجية ومنع الإضرار بالطرف الأضعف، حيث أدخل تعديلات تشريعية متتالية لتعزيز الضمانات القانونية. وفي هذا المطلب، سنستعرض بشكل مفصل مفهوم الطلاق التعسفي في السياق المصري، والأسس الشرعية والقانونية له، ثم الآليات التشريعية للتعويض، مع الاستناد إلى النصوص القانونية والاجتهادات القضائية، وأخيراً تحليل فعالية هذه الضمانات.

أولاً: مفهوم الطلاق التعسفي في القانون المصري

يُعرف الطلاق التعسفي في الفقه المصري بأنه إنهاء الرابطة الزوجية بإرادة منفردة من الزوج دون مبرر شرعي أو قانوني، مما يلحق ضرراً بالزوجة المطلقة، سواء كان الضرر مادياً (كالحرمان من النفقة أو

٢٠- قانون الأحوال الشخصية العراقي رقم ١٨٨ لسنة ١٩٥٩ المعدّل، المادة ٤٠.

٢١- المصدر نفسه، المادة ٥٧.

السكن) أو معنوياً (كالإساءة إلى سمعتها أو كرامتها)^(٢٢). ويستند هذا المفهوم إلى قاعدة "لا ضرر ولا ضرار" الواردة في الحديث النبوي الشريف، والتي اعتمدها الفقهاء كأساس لتقييد الحقوق الشخصية^(٢٣). وقد طور القضاء المصري هذا المفهوم من خلال اجتهاداته، حيث اعتبر أن الطلاق يكون تعسفياً إذا ثبت أن الزوج أوقعه بقصد الإضرار أو بدون سبب معقول، مثل طلاق الزوجة بعد مرضها أو بعد سنوات طويلة من العشرة دون خلافات جوهرية^(٢٤).

كان الطلاق تاريخياً في مصر يخضع لأحكام الشريعة الإسلامية المذهب الحنفي، كما نص عليه قانون الأحوال الشخصية رقم (٢٥) لسنة ١٩٢٩، إلا أن التعديلات اللاحقة، مثل قانون رقم (١٠٠) لسنة ١٩٨٥ وقانون رقم (١) لسنة ٢٠٠٠، أدخلت ضوابط لمنع التعسف^(٢٥). ففي قانون ٢٠٠٠، ألزم المشرع الزوج بتوثيق الطلاق لدى المأذون خلال ٣٠ يوماً من إيقاعه، وإلا اعتبر الطلاق غير واقع، مما يجد من الطلاق الشفوي التعسفي^(٢٦). ويُعد هذا التعديل استجابة للاتجاهات الفقهية الحديثة التي ترى في التعسف مخالفة لحكمة الشارع في تشريع الطلاق، الذي جعله لدفع الضرر لا لإحداثه^(٢٧).

ثانياً: الأسس الشرعية والقانونية للتعويض عن الطلاق التعسفي

يستند التعويض في القانون المصري إلى أسس شرعية مستمدة من الفقه الإسلامي، حيث أجاز المذهب المالكي إلزام الزوج بالتعويض في حال الطلاق الجائر، كما أشار إليه ابن رشد في "بداية المجتهد"^(٢٨). أما الأساس القانوني، فيعتمد على مبدأ المسؤولية التقصيرية المنصوص عليه في المادة (١٦٣) من القانون المدني المصري، التي تلزم من أحدث ضرراً بالغير بالتعويض، حتى لو كان الفعل مشروعاً في ظاهره إلا أنه تعسفي في غرضه^(٢٩). وقد ربط القضاء بين هذين الأساسين، معتبراً أن الطلاق التعسفي يُعد إساءة استعمال الحق، مما يوجب التعويض المدني^(٣٠).

في هذا السياق، أكدت محكمة النقض في حكمها رقم (٦٦٧) لسنة ٧٦ ق، أن التعويض يشمل الضرر المعنوي الناتج عن الطلاق، مثل الإحساس بالإهانة أو الاضمحلال النفسي، ولا يقتصر على الجانب

٢٢ - عبد الرزاق السنهوري، الوسيط في شرح القانون المدني، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٠، ج ١، ص ٤٥٦.

٢٣ - محمد أبو زهرة، أحكام الأسرة في الإسلام، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٠، ص ٣١٢.

٢٤ - محكمة النقض المصرية، الطعن رقم ٦٦٧ لسنة ٧٦ ق، جلسة ١٨/١٠/١٩٧٧.

٢٥ - قانون الأحوال الشخصية المصري رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩، المعدل بقانون ١٠٠ لسنة ١٩٨٥.

٢٦ - المادة ٥ - قانون رقم ١ لسنة ٢٠٠٠ بشأن تنظيم بعض أوضاع التقاضي في الأحوال الشخصية

٢٧ - سيد سابق، فقه السنة، دار الفتح، القاهرة، ١٩٩٠، ج ٣، ص ٢٤٥.

٢٨ - ابن رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، دار الحديث، القاهرة، ١٩٨٥، ج ٢، ص ٨٩.

٢٩ - المادة ١٦٣، القانون المدني المصري، صادر عام ١٩٤٨.

٣٠ - عبد المنعم البدر، المسؤولية التقصيرية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٥، ص ١٧٨.

المادي^(٣١). كما اعتمدت المحاكم على آراء فقهاء معاصرين مثل محمود شلتوت، الذي رأى في التعويض ضماناً للعدالة الأسرية. ويبرز هذا النهج التكامل بين الشريعة والقانون، حيث يُطبق القاضي السلطة التقديرية لتحديد التعويض بناءً على ظروف الحال، مثل يسار الزوج ومدة الزواج^(٣٢)

ثالثاً: الآليات التشريعية للتعويض والضمانات القانونية

حدد القانون المصري آليات محددة للتعويض، أبرزها "المتعة" المنصوص عليها في المادة (١٨ مكرر) من قانون الأحوال الشخصية المعدل بقانون (١) لسنة ٢٠٠٠، والتي تُقدر بما لا يقل عن نفقة سنتين، مع مراعاة حال الزوج المالية ومدة الزواج^(٣٣). وتُعد المتعة تعويضاً إلزامياً في حال الطلاق التعسفي، إلا إذا ثبت سوء تصرف الزوجة. كما تشمل الضمانات النفقة خلال العدة (المادة ١٨)، والحق في السكن أو تعويض عنه إذا كانت الحاضنة للأطفال (المادة ١٨ ثالثاً).

أدخل قانون ٢٠٠٠ إجراءات وقائية مثل الإلزام بمحاولة الصلح قبل الطلاق (المادة ١٩)، وإمكانية طلب الزوجة التفريق للضرر (المادة ٦)، مما يحد من الطلاق التعسفي^(٣٤). وقد أكدت محكمة الاستئناف بالقاهرة في حكمها رقم (١٢٣٤) لسنة ٢٠٠٥، أن عدم إثبات سبب مشروع للطلاق يجعله تعسفياً، ويوجب التعويض الكامل^(٣٥). أما في حالات الطلاق الشفوي، فيُعد باطلاً إلا بعد التوثيق، وهو ما يمنع التعسف الفوري^(٣٦).

رابعاً: الاجتهادات القضائية ودورها في تعزيز الضمانات

لعب القضاء المصري دوراً حاسماً في توسيع نطاق الضمانات، حيث اعتمد على تفسير واسع لمفهوم الضرر. على سبيل المثال، في حكم محكمة النقض رقم (٤٥٦) لسنة ٨٢ ق، قضت بأن الطلاق بعد حمل الزوجة يُعد تعسفياً، ويستحق تعويضاً إضافياً عن المتعة^(٣٧). كما أكدت في حكم آخر رقم (٧٨٩) لسنة ٩٠ ق، أن التعويض يشمل الخسائر المستقبلية مثل فقدان فرص العمل بسبب الطلاق^(٣٨).

٣١ - محكمة النقض المصرية، الطعن رقم ٦٦٧ لسنة ٧٦ ق، المصدر السابق.

٣٢ - أحمد الشرباصي، الطلاق في الإسلام، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢، ص ٢٠١.

٣٣ - المادة ١٨ مكرر، قانون الأحوال الشخصية المصري، المعدل عام ٢٠٠٠.

٣٤ - انظر: المادة ١٩. قانون رقم ١ لسنة ٢٠٠٠،

٣٥ - محكمة الاستئناف بالقاهرة، الحكم رقم ١٢٣٤ لسنة ٢٠٠٥.

٣٦ - فاطمة الزهراء عبد الرحمن، حقوق المرأة في القانون المصري، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، ٢٠١٠، ص ٢٦٧.

٣٧ - محكمة النقض المصرية، الطعن رقم ٤٥٦ لسنة ٨٢ ق، جلسة ١٢/٥/١٩٨٣.

٣٨ - محكمة النقض المصرية، الطعن رقم ٧٨٩ لسنة ٩٠ ق، جلسة ١٥/٣/١٩٩١.

هذه الاجتهادات مستمدة من آراء فقهاء مثل عبد الرحمن الجزيري في "الفقه على المذاهب الأربعة"، الذي شدد على وجوب التعويض في الحالات التعسفية. وفي دراسة مقارنة، يظهر أن القضاء المصري أكثر مرونة من نظيره العراقي، حيث يعتمد على معايير دقيقة لتقدير التعويض، مثل سن الزوجة وعدد الأطفال. (٣٩)

خامساً: تحليل فعالية الضمانات ومقترحات التطوير

رغم فعالية هذه الضمانات في الحد من الطلاق التعسفي، إلا أنها تواجه تحديات مثل صعوبة إثبات الضرر المعنوي، واعتماد التنفيذ على يسار الزوج (٤٠). كما أن بعض الحالات تشهد تأخيراً في التقاضي، مما يضعف الحماية. ومع ذلك، ساهمت هذه التشريعات في انخفاض معدلات الطلاق التعسفي، كما أشارت إليه إحصاءات المجلس القومي للمرأة في مصر لعام ٢٠٢٠ (٤١).

للتطوير، يُقترح إضافة نصوص صريحة للتعويض عن الضرر النفسي، وتفعيل دور الاستشارات الأسرية قبل الطلاق، مستلهماً من التجارب الفرنسية. كما يُوصى بتدريب القضاة على تقييم الضرر بناءً على دراسات نفسية، لضمان عدالة أكبر. (٤٢)

المطلب الثالث: ضمانات المطلقة من الطلاق التعسفي في القانون الفرنسي

يُعد القانون الفرنسي نموذجاً متقدماً في تنظيم العلاقات الأسرية، حيث يعتمد على مبادئ العلمانية والمساواة بين الجنسين، مستمداً أحكامه من المدونة المدنية (Code Civil) التي صدرت عام ١٨٠٤ وتم تعديلها مرات عديدة لمواكبة التطورات الاجتماعية. وفي سياق الطلاق التعسفي، يتميز النظام الفرنسي بتحويل الطلاق إلى إجراء قضائي إلزامي، مما يحد من الإرادة المنفردة ويحمي الطرف الأضعف، خاصة المرأة، من خلال ضمانات تعويضية وإجرائية. يهدف هذا المطلب إلى تحليل هذه الضمانات بشكل مفصل، مع الاستناد إلى النصوص القانونية والاجتهادات القضائية، ومقارنتها مع الاتجاهات الأوروبية، لإبراز كيفية منع الطلاق التعسفي وتعويض المتضررة.

أولاً: مفهوم الطلاق التعسفي في القانون الفرنسي

في القانون الفرنسي، لا يوجد مفهوم صريح لـ"الطلاق التعسفي" كما في بعض التشريعات الإسلامية، بل يُنظر إليه كإساءة استعمال للحق في إنهاء الزواج، مما يؤدي إلى إلحاق ضرر بالطرف الآخر دون مبرر

٣٩ - نبيلة مشراوي، الطلاق التعسفي في قانون الأسرة، أرشيف جامعة بسكرة، الجزائر، ٢٠١٥، ص ١١٢.

٤٠ - إيمان الشريف، تحديات تنفيذ قوانين الأحوال الشخصية في مصر، المجلس القومي للمرأة، القاهرة، ٢٠١٨، ص ٨٩.

٤١ - تقرير المجلس القومي للمرأة، إحصاءات الطلاق في مصر، القاهرة، ٢٠٢٠، ص ٢٣.

٤٢ - عائشة راتب، تطوير القضاء الأسري في العالم العربي، دار الفكر، دمشق، ٢٠١٢، ص ٢١٠.

مشروع^(٤٣). يُعرف الطلاق عمومًا في المادة ٢٢٩ من المدونة المدنية بأنه إنهاء الرابطة الزوجية بقرار قضائي، ويشمل أربعة أنواع رئيسية: الطلاق بالتراضي (divorce par consentement mutuel)، الطلاق لقبول انهيار الزواج (divorce accepté)، الطلاق للخطأ (divorce pour faute)، والطلاق للانفصال المطول (divorce pour altération définitive du lien conjugal)^(٤٤). يُعد الطلاق تعسفيًا إذا ثبت أنه يعتمد على أسباب تافهة أو انتقامية، خاصة في حال الطلاق للخطأ، حيث يجب إثبات انتهاكات جسيمة للواجبات الزوجية مثل الزنا أو العنف

كان الطلاق في فرنسا قبل إصلاح ١٩٧٥ (القانون رقم ٧٥-٦١٧) محدودًا ويعتمد على أسباب خطيرة مثل الزنا أو الإساءة، كما حددته المواد ٢٢٩-٢٣١ من المدونة المدنية الأصلية. أدخل الإصلاح مفهوم الطلاق بالتراضي، الذي أصبح يشكل أكثر من ٥٠٪ من الحالات، لكن مع ضوابط قضائية لمنع التعسف، مثل التأكد من مصلحة الأطفال. وفقًا لدراسات حديثة، يساهم هذا النظام في تقليل النزاعات الأسرية، حيث يُلزم القاضي بفحص الظروف الاقتصادية والنفسية للأطراف.

ثانيًا: الأسس القانونية للتعويض عن الطلاق التعسفي

يستند التعويض في القانون الفرنسي إلى مبدأ المساواة والعدالة الاجتماعية، كما يعكسه الفصل الثاني من المدونة المدنية حول الطلاق. الأساس الرئيسي هو "الإعانة التعويضية" (prestation compensatoire)، المنصوص عليها في المواد

٢٧٠-٢٨١، والتي تهدف إلى تعويض التباين في مستويات المعيشة بعد الطلاق، لا كعقاب بل كتصحيح للاختلالات الناتجة عن الزواج^(٤٥). يُحدد القاضي هذه الإعانة بناءً على عوامل مثل مدة الزواج، العمر، الصحة، المهارات المهنية، والمساهمة في تربية الأطفال، مما يحمي المرأة إذا كانت قد تركت عملها للعائلة.

على عكس التشريعات العربية، لا يعتمد التعويض على "الخطأ" إلا في حالات نادرة، حيث يمكن للقاضي في الطلاق للخطأ منح تعويض إضافي بموجب المادة ٢٦٦ للأضرار المعنوية أو المادية^(٤٦). يُستلهم هذا من مبدأ المسؤولية المدنية في المادة ١٢٤٠، الذي يلزم بالتعويض عن الضرر الناتج من الفعل

43 -Philippe Malaurie et Laurent Aynès, Droit de la famille, Defrénois, Paris, 2020, p. 456

44- Code civil, Article 229, Légifrance, mis à jour en 2023.

45 Code civil, Articles 270-281, Légifrance.

46 Code civil, Article 266

الضار^(٤٧) أكدت المحكمة العليا (Cour de cassation) في حكمها بتاريخ ١٧ مايو ٢٠٢٢ أن الإعانة التعويضية مستقلة عن واجب النفقة، وتهدف إلى منع الفقر بعد الطلاق. كما اعتمد الفقهاء الفرنسيون، مثل فيليب مالوري، على نظرية "الالتزام الأخلاقي" لتبرير هذه الضمانات.

ثالثًا: الآليات التشريعية للتعويض والضمانات القانونية

تنظم المدونة المدنية آليات دقيقة لمنع الطلاق التعسفي، بدءًا من الإجراءات الوقائية. في الطلاق بالتراضي (المادة ٢٢٩-١)، يجب على الزوجين تقديم اتفاق مكتوب يغطي التعويضات والحضانة، ويوافق عليه محاميان وقاضٍ إذا كان هناك أطفال^(٤٨). أما في الطلاق للانفصال المطول (المادة ٢٣٨)، فيشترط انفصالًا لمدة عام واحد على الأقل، مما يمنع الطلاق الفوري^(٤٩). الإعانة التعويضية تُدفع عادة كمبلغ مقطوع أو قسط شهري، وتُحسب بناءً على صيغة رسمية تشمل الدخل والأصول.

تشمل الضمانات أيضًا النفقة المؤقتة أثناء الإجراءات (المادة ٢٥٥)، والحق في السكن الأسري حتى الطلاق النهائي. في حال الطلاق للخطأ، يمكن حرمان الزوج المخطئ من الإعانة، كما في حكم المحكمة العليا بتاريخ ٢٩ سبتمبر ٢٠٢١. أدخل القانون رقم ٢٠١٩-٢٢٢ لعام ٢٠١٩ إصلاحات لتسريع الإجراءات مع الحفاظ على الحماية، مثل السماح بالطلاق غير القضائي في حالات التراضي.

رابعًا: الاجتهادات القضائية ودورها في تعزيز الضمانات

لعبت المحكمة العليا دورًا حاسمًا في تفسير النصوص، حيث أكدت في حكمها رقم ٢٠-١٥٠٦٧٨ بتاريخ ٢ فبراير ٢٠٢٢ أن الإعانة التعويضية تشمل الخسائر النفسية إذا ثبت التعسف، مثل الطلاق بعد مرض الزوجة (١٩). كما قضت في حكم آخر رقم ١٨-٢٤٠٦٧-١٨ بتاريخ ١٥ نوفمبر ٢٠١٩ بأن عدم تقديم أدلة على الضرر يبطل الطلاق للخطأ، مما يجد من التعسف^(٥٠).

هذه الاجتهادات مستمدة من آراء فقهاء مثل جان كاربونييه، الذي دافع عن "العدالة الاجتماعية" في الطلاق. في دراسة مقارنة، يتفوق القضاء الفرنسي على نظيره المصري في التركيز على الجوانب الاقتصادية، حيث يعتمد على تقارير خبراء لتقييم التعويض.

47 Code civil, Article 1240.

48 Code civil, Article 229-1.

49 Code civil, Article 238.

٥٠ - محكمة النقض، الغرفة المدنية الأولى، ١٥ نوفمبر ٢٠١٩، رقم ١٨-٢٤٠٦٧-١٨

خامساً: تحليل فعالية الضمانات ومقترحات التطوير

رغم فعاليتها في تقليل الطلاق التعسفي - حيث انخفضت الحالات بنسبة ٢٠% بعد إصلاح ٢٠٠٤- تواجه الضمانات تحديات مثل طول الإجراءات (متوسط ١٨ شهراً) وصعوبة تنفيذ التعويضات في حال الإفلاس^(٥١).

كما أن التركيز على الجانب المادي قد يغفل الضرر النفسي، كما أشارت إليه إحصاءات المعهد الوطني للدراسات الديموغرافية لعام ٢٠٢٠.

الخلاصة

يتضح من خلال هذه الدراسة أن موضوع الطلاق التعسفي وتعويض المطلقة يُعد من أهم الموضوعات التي تعكس التوازن بين حق الرجل في الطلاق، وحق المرأة في عدم التعرض للضرر، وهو ما حاولت التشريعات العربية أن تحققه من خلال وضع ضمانات قانونية تكفل للمرأة حماية من الاستعمال التعسفي لهذا الحق. ومن خلال التحليل المقارن بين القانون العراقي والقانون المصري والفرنسي، تبين وجود تفاوت في مدى تنظيم هذه الضمانات وطبيعتها، سواء من حيث استحقاق التعويض، أو شروطه، أو الجهة القضائية المختصة بالفصل فيه. وقد ركزت الدراسة على بيان الأسس التي اعتمدها التشريعات في تقنين مسألة التعويض، وتحديد الحالات التي يُعد فيها الطلاق تعسفياً، إلى جانب تحليل النصوص ذات الصلة وتفسير الفقه والقضاء لها، وهو ما ساهم في إبراز أوجه القوة والقصور في كل منظومة قانونية.

أولاً: النتائج:

١. يُعد الطلاق التعسفي إساءة لاستعمال الحق في الطلاق، ويترتب عليه التزام الزوج بتعويض مطلقة عن الأضرار التي لحقت بها، سواء كانت مادية أو معنوية، إذا ثبت للقاضي أن الزوج قد طلقها بدون سبب مشروع أو بقصد الإضرار بها.
٢. القانون العراقي (المادة ٣٩ من قانون الأحوال الشخصية رقم ١٨٨ لسنة ١٩٥٩) نص على حق الزوجة في طلب التعويض إذا وقع عليها ضرر من الطلاق التعسفي، وترك للقاضي سلطة تقديرية واسعة في تحديد التعويض دون وضع معايير دقيقة لتقدير الضرر.
٣. القانون المصري لم ينص صراحة على التعويض عن الطلاق التعسفي، لكن القضاء المصري اعتبر أن إساءة استعمال حق الطلاق يوجب التعويض طبقاً لقواعد المسؤولية التقصيرية في القانون المدني.

٥١- تقرير من المعهد الوطني للإحصاء والدراسات الاقتصادية- INSEE حول حالات الطلاق في فرنسا، عام ٢٠٢٢

٤. من خلال المقارنة، لوحظ ضعف في آليات التنفيذ والتقدير في بعض القوانين، مما يجعل ضمانات التعويض محدودة الأثر العملي، رغم الاعتراف التشريعي بها.
ثانياً: التوصيات:

١. دعوة المشرع العراقي إلى تعديل نص المادة (٣٩) من قانون الأحوال الشخصية، بإضافة معيار واضح لتعريف "الطلاق التعسفي"، وتحديد ضوابط لتقدير التعويض، بما يحقق حماية فعّالة للمرأة المطلقة.
٢. اقتراح إنشاء لجان أسرية متخصصة قبل الطلاق تنظر في أسباب الطلاق ومشروعيته، وذلك لتقليل حالات الطلاق التعسفي وضمان العدالة للطرفين.
٣. توحيد المبادئ القضائية المتعلقة بالطلاق التعسفي والتعويض عنه، من خلال إصدار مبادئ عامة من محكمة التمييز لضمان اتساق التطبيق القضائي.
٤. توعية المجتمع القانوني والقضائي بأهمية النظر في الأبعاد النفسية والمعنوية للضرر الناتج عن الطلاق التعسفي، وليس الاقتصار على الضرر المادي.
٥. تشجيع الدراسات المقارنة المستمرة في هذا المجال، بما يعزز من تطوير التشريعات الوطنية وفقاً للمعايير الدولية لحقوق الإنسان، خاصة المتعلقة بحق المرأة في الحماية من التعسف والضرر.

المصادر

أولاً: المصادر والمراجع العربية

١. القرآن الكريم
٢. أحمد إبراهيم شعبان، أحكام الزواج والطلاق في الشريعة الإسلامية، دار الفكر العربي، ١٩٦٢
٣. أحمد الشرباصي، الطلاق في الإسلام، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢
٤. أحمد عمرو، الطلاق التعسفي والتعويض عنه، دار الثقافة، ١٩٩٨
٥. سيد سابق، فقه السنة، دار الفتح، القاهرة، ١٩٩٠، ج ٣
٦. صباح جانم، نظرية التعسف في استعمال الحق في الفقه الإسلامي والقانون المدني، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩
٧. صبحي كرم، نظرية التعسف في استعمال الحق، دار الفكر العربي، ١٩٩٥
٨. عائشة راتب، تطوير القضاء الأسري في العالم العربي، دار الفكر، دمشق، ٢٠١٢
٩. عبد الرحمن الجزيري، الفقه على المذاهب الأربعة، ج ٤. دار الكتب العلمية، بيروت، (بلا سنة طبع)
١٠. عبد الرزاق السنهوري، الوسيط في شرح القانون المدني، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٠، ج ١.
١١. عبد المنعم البدراوي، المسؤولية التقصيرية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٥
١٢. فاطمة الزهراء عبد الرحمن، حقوق المرأة في القانون المصري، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، ٢٠١٠
١٣. محمد ابن رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ج ٢، دار الحديث، (بلا سنة طبع)
١٤. محمد أبو زهرة، أحكام الأسرة في الإسلام، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٠
١٥. محمود شلتوت، الإسلام عقيدة وشريعة، دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٠
١٦. مراد بودية، التعويض عن الطلاق التعسفي في الشريعة الإسلامية والقانون الجزائري (أطروحة ماجستير)، جامعة قسنطينية، الجزائر، ٢٠١٦
١٧. مصطفى الدريني، نظرية التعسف في استعمال الحق في الفقه الإسلامي، دار السلام للطباعة والنشر، ١٩٨٨
١٨. نبيلة مشراوي، عائشة ونويجم. الطلاق التعسفي في فنون الأسرة الجزائري، أريشيف جامعة بسكرة، ٢٠٢٢

ثانياً: القوانين

١. قانون الأحوال الشخصية العراقي رقم (١٨٨) لسنة ١٩٥٩ المعدل.
٢. قانون الأحوال الشخصية المصري رقم (٢٥) لسنة ١٩٢٩ المعدل.
٣. القانون المدني العراقي رقم (٤٠) لسنة ١٩٥١ المعدل.
٤. القانون المدني الفرنسي الصادر عام ١٨٠٤
٥. قانون تعديل تطبيق قانون الأحوال الشخصية رقم (١٨٨) لسنة ١٩٥٩ المعدل في إقليم كوردستان - العراق، رقم (١٥) لسنة ٢٠٠٨.
٦. قانون تنظيم بعض أوضاع وإجراءات التقاضي في مسائل الأحوال الشخصية المصري رقم (١) لسنة ٢٠٠٠.
٧. مدونة الأسرة المغربية (الظهير الشريف رقم ١٠٤٢٢، بتاريخ ٣ فبراير ٢٠٠٤).

ثالثاً: الاحكام القضائية

١. حكم صادر عن محكمة الأحوال الشخصية في الكرخ، العدد ١٥٩/ش/٢٠١٩ في ٢٠١٩/٣/١٢.
٢. تقرير من المعهد الوطني للإحصاء والدراسات الاقتصادية (INSEE) حول حالات الطلاق في فرنسا، عام ٢٠٢٢
٣. محكمة النقض المصرية، الطعن رقم ٦٧٧ لسنة ٧٠ ق، جلسة ٢٠٠٢/١٢/١٨.
٤. محكمة النقض، الغرفة المدنية الأولى، ١٥ نوفمبر ٢٠١٩، رقم ٢٤,٥٦٧-١٨

فلسفة الحجز الاحتياطي بالتحفظ على أموال المدين
(دراسة قانونية تحليلية)

The philosophy of precautionary seizure by preserving
the debtor's assets (An analytical legal study)

أ. م. د. علي شمران الشمري^(١)

Asst. Prof. Ali Shumran Al-Shammari (PhD)

الملخص

الأصل أن المحكمة تنظر في الدعاوى وتفصل فيها بإصدار أحكام قضائية حاسمة المنازعات والخصومات التي تعرض أمامها، وهناك قرارات مؤقتة تتبعها المحكمة لغرض اتخاذ إجراءات تحفظية لحماية مصالح الخصوم وحفظ أموالهم لدفع الخطر المحتمل الوقوع بالحق المتنازع عليه ومن هذه القرارات المؤقتة هو الحجز الاحتياطي على أموال المدين الممتنع عن التنفيذ، إذ يلجأ الدائن إلى هذا الاجراء لتفويت الفرصة على المدين من تهريب أمواله والتصرف بها، وتتناول هنا تعريف الحجز الاحتياطي وانواعه وشروطه وخصائصه وتمييزه عن غيره وأحكامه.

الكلمات المفتاحية: الحجز الاحتياطي، المدين، الدائن، الخصومات، الخطر المحتمل، القرارات المؤقتة.

Abstract

The principle is that the court hears and adjudicates lawsuits by issuing decisive judicial rulings on the disputes and conflicts brought before it. There are also interim decisions followed by the court for the purpose of taking

١- جامعة كربلاء- مركز الدراسات الاستراتيجية

precautionary measures to protect the interests of the parties and preserve their assets to mitigate the potential danger of the disputed right. One of these interim decisions is the precautionary seizure of the assets of a debtor who refuses to enforce his claim. The creditor resorts to this measure to prevent the debtor from evading and disposing of his assets. Here, we discuss the definition of precautionary seizure, its types, conditions, characteristics, distinguishing it from other forms of seizure, and its provisions.

Keywords: precautionary seizure, debtor, creditor, conflicts, potential danger, interim decisions

المقدمة

أولاً: موضوع البحث

أن الحجز الاحتياطي هو أحد القرارات المؤقتة التي تصدرها المحكمة بناءً على طلب الدائن وهي إجراءات قضائية تستهدف دفع خطر محتمل الوقوع دون المساس بأصل الحق الموضوعي، ويسمى في بعض القوانين بالحجز التحفظي ويقدم قبل إقامة الدعوى أو عند تقديمها أو أثناء نظرها من قبل القاضي وذلك لمنع تهريب المدين لأمواله لدرء الخطر الذي يتوقعه الدائن على الضمان العام لحقه وهو وسيلة لضبط أموال المدين ووضعها تحت يد القضاء حفاظاً على المصلحة العامة والخاصة على السواء والحفاظ على النظام العام واستقرار المعاملات.

ثانياً: أهمية البحث وسبب اختياره :-

تكمن أهمية موضوع الحجز الاحتياطي لما يترتب من آثار على الواقع العملي لحياة الناس وهو أداة هامة يستخدمها طالب الحجز في التأثير على المركز المالي لمدينه وذلك بالتحفظ على الأموال المحجوزة وتقييد سلطة المدين حتى يستطيع الدائن أن يستوفي حقه منها، وبالتالي يصبح الحجز الاحتياطي بمثابة حجز تنفيذي عندما تقرر المحكمة تأييده، لاشك أن هذا الموضوع هو من الموضوعات المهمة في نطاق قانون المرافعات.

أما سبب اختيار هذا الموضوع لأنه من الموضوعات العملية والتي له الارتباط الوثيق بحياة الناس والتسليط على هذه الموضوعات المهمة له مردوداته الإيجابية في الحفاظ على أموال الناس من الضياع.

ثالثاً: إشكالية البحث :-

تكمن إشكالية البحث في تجاهل بعض المحاكم لقواعد الاختصاص النوعي والتدخل في اختصاص رئيس التنفيذ والذي يدخل ضمن اختصاصه هو قلب الحجز الاحتياطي إلى حجز تنفيذي بعد استيفاء مقومات السند التنفيذي هذا أولاً كذلك قد تكون هناك دعاوى كيدية تعرقل سير الإجراءات القضائية التي تهدف إلى إظهار الحقائق والحكم بموجبها كل هذا مبرر للبحث والتقصي في هذا الموضوع الحيوي.

رابعاً / منهجية البحث وخطته:-

اتبعنا في بحثنا هذا الاعتماد على المنهج التحليلي الاستقرائي لتتوصل إلى نتائج موضوعية واضحة من خلال البحث والتقصي في النصوص القانونية والآراء الفقهية والقرارات القضائية ذات الصلة وبالتالي لنحصل على معلومات إيجابية نخدم مرفق القضاء عند الفصل بالمنازعات بين الخصوم لمعرفة من هو محق في دعواه من عدمه.

أما عن خطة البحث فقد تناولنا الموضوع على شكل ثلاثة مباحث كان الأول بعنوان (مفهوم الحجز الاحتياطي) والثاني بعنوان (تمييز الحجز الاحتياطي عن غيره من المصطلحات القانونية)، أما (إجراءات الحجز الاحتياطي) فقد كانت عنواناً للمبحث الثالث، ثم تناول الخاتمة وتنتقل إلى ما نتوصل إليه من نتائج ومقترحات، والتفاصيل على النحو الآتي :-

المبحث الأول: مفهوم الحجز الاحتياطي

إن أغلب قوانين المرافعات في مختلف النظم القانونية تميز لكل صاحب حق أن يتجه إلى القضاء للحصول على حقه من مدينه، فإذا لم يدفع المدين ما عليه من ديون طوعاً لصاحب الحق فقد أجاز القانون طلب الاقتضاء منه جبراً بحيث تختلف الطرق والوسائل التي حددها القانون ومن هذه الوسائل هو (الحجز الاحتياطي) ولغرض الإحاطة بهذا الموضوع لا بد من التطرق إلى التعريف به وبيان خصائصه وطبيعته القانونية ومعرفة نطاقه، عليه فقد قسمنا هذا المبحث على ثلاثة مطالب كان الأول بعنوان (التعريف بالحجز الاحتياطي) والثاني بعنوان (خصائص الحجز الاحتياطي)، وطبيعته القانونية) أما (نطاق الحجز الاحتياطي) فقد كان عنواناً للمطلب الثالث، والتفاصيل على النحو الآتي...

المطلب الأول: التعريف بالحجز الاحتياطي

لغرض التعريف بالحجز الاحتياطي^(٢). لا بد من تعريفه لغته و اصطلاحاً وبيان أنواعه وشروطه :-

٢ - تستخدم بعض التشريعات العربية مصطلح (الحجز التحفظي) مثل قانون المرافعات المدنية والتجارية المصري رقم (١٣) لسنة ١٩٦٨ المعدل، وقانون المرافعات والتنفيذ اليمني رقم (٢٨) لسنة ١٩٩٢، وقانون المسطرة المدنية المغربي رقم (٤٤٧) لسنة ١٨٧٤، وقانون الإجراءات المدنية الجزائري رقم (٨) لسنة ١٩٧٥، بينما يستخدم قانون المرافعات المدنية العراقي رقم (٨٣) لسنة ١٩٦٩ المعدل وقانون اصول المحاكمات المدنية الأردني رقم (٢٤) لسنة ١٩٨٨ مصطلح الحجز الاحتياطي.

تعريفه لغةً: - الحجز في اللغة العربية هو المنع^(٣)، "وكذلك يعني الفصل بين شيئين أي حجزه ومنعه وكفه"^(٤)، أيضا جاء بمعنى الحذر وابداء الحيطة وحفظ الشيء أي صانته وحرسه ومنعه من الضياع والتلف^(٥)، وجاء أيضاً بمعنى حجز الشيء أي حازه ومنعه عن الغير، حجز القاضي على ماله أي منع صاحبه من التصرف فيه حتى يؤدي ما عليه، أما الاحتياط فهو مصدر للفعل احتاط ويعني الاحتراز من الخطأ^(٦).

أما التعريف الاصطلاحي فلا بد أن نعرفه تعريفاً تشريعياً وتعريفاً فقهيماً، نقول على الرغم من تنظيم المشرع العراقي للحجز الاحتياطي إلا أنه لم يتطرق إلى تعريف هذا المصطلح بالنص وأن هذا الأمر يحسب للمشرع العراقي والعلة في ذلك إن إيراد التعاريف ليس من اختصاص المشرع وإنما من اختصاص الفقه. "أما الفقه فقد أورد عدة تعاريف للحجز الاحتياطي وأن جميعها تكاد تتفق في مضمونها وإن اختلفت في الفاظها، فمن الفقه من عرفه بأنه "إجراء قضائي يتم بموجبه وضع مال المدين في يد وتحت رقابة القضاء منعاً من تصرفه فيه"^(٧)، بينما عرفه آخر من حيث هدفه ويقصد به "ضبط المال ووضعه في يد القضاء لمنع المحجوز عليه من التصرف فيه تصرفاً يضر بحق الحاجز"^(٨)، وتعريف أخير بأنه "من الوسائل الاحتياطية لصيانة حقوق الدائن والضغط على المدين لدفع ما يترتب عليه من الديون وهو أقل خطورة من الحجز التنفيذي"^(٩).

٣ - أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري الافريقي، لسان العرب، الدار المصرية للتأليف والترجمة، (بلا سنة نشر)، ص ١٩٦.

٤ - الفيروز آبادي، قاموس المحيط، دار الفكر العربي، القاهرة، (بدون سنة نشر)، ص ٥٩٤.

٥ - المنجد في اللغة والأعلام، ط ٣٠، دار الشرق، بيروت، (١٩٨٨) نقلاً عن أ. د. عباس العبودي، شرح أحكام أصول المحاكمات المدنية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦، ص ٣١٠.

٦ - لويس معلوف، المنجد في اللغة والأدب، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، ١٩٦٦، ص ٣٠٢.

٧ - ينظر المواد (٢٣١ - ٢٥٠) من قانون المرافعات المدنية العراقي، والمواد (٢١٦ - ٢١٩) مرافعات مصري، والمادة (٨٦٦) من قانون أصول المحاكمات المدنية اللبناني رقم (٩٠) لسنة ١٩٨٣.

٨ - د. آدم وهيب النداوي، المرافعات المدنية، بغداد، ١٩٨٨، ص ٢٩٤.

٩ - د. أحمد أبو الوفا، إجراءات التنفيذ في المواد المدنية والتجارية، ط ٩، منشأة المعارف، الاسكندرية، ١٩٨٦، ص ٨٣٢.

ومن جانبنا نرى بأن يكون التعريف بالشكل الآتي "الحجز الاحتياطي هو إجراء قضائي يأمر به القاضي بناءً على طلب من قبل الدائن للحجز على أموال المدين التي تحت يديه أو يد شخص ثالث لضمان الوفاء بالدين المطلوب للدائن".^(١٠).

وللحجز نوعان حجز تنفيذي :- "وهو الحجز الذي تقوم به مديرية التنفيذ وفقاً لأحكام قانون التنفيذ العراقي رقم(٤٥) لسنة ١٩٨٠ وتتبع بشأنه القواعد المبيّنة في قانون التنفيذ وعند خلوه يصار إلى القواعد المنصوص عليها في قانون المرافعات المدنية".

والنوع الثاني حجز احتياطي :- "وهو الحجز الذي يوقع وفق القواعد المنصوص عليها في قانون المرافعات المدنية العراقي إذ بموجبها يسوغ للدائن في حالات معينة ايقاع الحجز الاحتياطي على أموال مدينه بقصد منع تحريكها أو التصرف بها أضراراً بالدائن"^(١١).

فضلاً عن ذلك هناك عدة شروط لتوقيع الحجز الاحتياطي منها أن تتوافر للدائن أدلة الحجز الاحتياطي وهذه الأدلة هي....

١- **السند الرسمي :** "وهو سند الذي يثبت فيه موظف عام أو مكلف بخدمة عامة طبقاً للأوضاع القانونية وفي حدود اختصاصه ما تم على يديه أو ما أدلى به ذو الشأن في حضوره"^(١٢).

٢- **السند العادي :-** "ويُراد به كل سند صادر من أحد الأفراد أو ذوي العلاقة بوصفهم اشخاصاً عاديين ولم يتدخل الموظف في تحريره بحكم وظيفته"^(١٣).

٣- **أوراق تتضمن الاقرار بالكتابة :-** وهو اقرار من المدين بوجود الدين بدمته^(١٤).

٤- **شهادة الشهود :-** وذلك في الدعاوى التي يمكن اثباتها بالشهادة^(١٥).

١٠ - نزيه نعيم شلالا، الحجز الاحتياطي " دراسة مقارنة بين الفقه والاجتهاد والنصوص القانونية"، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، لبنان، ١٩٩٩، ص ٨٠. وسليم رشاد ناصر، اشكالات الحجز التحفظي في قانون أصول المحاكمات المدنية والتجارية الفلسطينية " دراسة مقارنة " رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة القدس /كلية الحقوق، ٢٠١٢، ص ٨.

١١ - مدحت محمود، شرح قانون المرافعات المدنية رقم (٨٣) لسنة ١٩٦٩ وتطبيقاته العملية، ط ٤، المكتبة القانونية، بغداد، ٢٠١١، ص ٣٣٢.

١٢ - ينظر نص المادة (٢١ / أولاً) من قانون الاثبات العراقي رقم (١٠٧) لسنة ١٩٧٩ المعدل، ونص المادة (٢٣١) من قانون المرافعات المدنية العراقي.

١٣ - حسين المؤمن، نظرية الأثبات، المحررات، الأدلة الكتابية، ج ٣، (بلا سنة طبع)، ص ٢٨٩.

١٤ - صادق حيدر، شرح قانون المرافعات المدنية، مكتبة السنهوري، بغداد، ٢٠١١، ص ٣٨٣.

١٥ - ينظر نص المادة (٧٦) أثبات عراقي.

إضافة إلى ذلك يجب أن يكون الدين معلوماً ومستحق الأداء وغير مقيد بشرط لكي يمكن الحجز عليه، وأن يتوافر فيه شرط الاستعجال عند توقيع الحجز الاحتياطي، إضافة إلى ذلك على طالب الحجز تقديم كفالة رسمية أو تأمينات نقدية ضماناً لما يترتب على الحجز من ضرر إذا ظهر إن طالب الحجز غير محق في طلبه (١٦).

المطلب الثاني: خصائص الحجز الاحتياطي وطبيعته القانونية

يتبين من تعريف الحجز الاحتياطي أنه يتميز بعدة خصائص نستطيع إجمالها كالآتي :

- ١- يعد الحجز الاحتياطي وسيلة عاجلة للحماية القضائية المؤقتة وهذه الحماية تنقرر أساساً لدفع الخطر الذي يتوقعه الدائن من تصرفات مدينه في الضمان العام لحقه ليحافظ عليه من الفقدان أو الضياع إذا كان وشيك الوقوع.
- ٢- أن الحجز الاحتياطي يهدف أساساً إلى ضبط أموال المدين ووضعها تحت يد القضاء ورقابته عليها ضماناً لحق الدائن من الفقدان والضياع وليس إلى بيع تلك الأموال.
- ٣- أن حالات توقيع الحجز الاحتياطي وردت على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر، فيحق لطالب الحجز في أية حالة يرى فيها إن ضمانه العام قد يتعرض للفقدان أو الضياع أو قد يكون عن طريق إخفائها أو تهريبها (١٧).
- ٤- يتميز الحجز الاحتياطي " بجواز طلب توقيعه دون أن يكون بيد الدائن سند تنفيذي لطلب الحجز، بل يجوز توقيعه إذا توفر سند رسمي أو عادي أو أي أوراق أخرى أو حتى بشهادة الشهود " (١٨).

أما عن الطبيعة القانونية فقد يتميز الحجز الاحتياطي " بطبيعة قانونية خاصة بوصفه وسيلة من وسائل الحماية القضائية الذي تقرر لمصلحة الدائن "، وقد اختلف الفقه في طبيعته القانونية هل هو وسيلة من وسائل الحماية القضائية أم هو إجراء تحفظي، فذهب جانب من الفقه إلى إنه " وسيلة من وسائل الحماية القضائية المؤقتة الوقائية والتي يميز القانون بواسطتها للدائن أن يطلب الحجز على أموال

١٦ - ينظر نص المادة (٢٣٤) مرافعات عراقية، ونص المادة (١٤١) من قانون أصول المحاكمات المدنية الأردني رقم

(٢٤) لسنة ١٩٨٨.

١٧ - د. نبيل اسماعيل عمر، التنفيذ الجبري في المواد المدنية والتجارية، دار الجامعة الجديدة، ١٩٩٥، ص ٣٩٣.

١٨ - ينظر نص المادة (٢٣١) مرافعات عراقية. ولمزيد من التوضيح ينظر د. أحمد ملبجي، التنفيذ وفقاً لقانون

المرافعات، دار النهضة العربية، القاهرة، (بلا سنة طبع)، ص ٥٢٢.

مدينه ووضعتها تحت يد ورقابة القضاء للمحافظة على ضمانه العام من أي خطر يؤدي إلى فقدان هذا الضمان " (١٩).

وذهب جانب آخر من الفقه إلى أن الحجز الاحتياطي " يعد إجراءً وقائياً أو تحفظياً مؤقتاً يلجأ إليه الدائن عند الضرورة للمحافظة على ضمانه العام بواسطة استصدار أمر من المحكمة المختصة بذلك وهذا الحجز لا يهدف إلى بيع تلك الأموال وإنما إلى حفظها ووضعها تحت يد ورقابة القضاء " (٢٠). فضلاً عن ذلك فالحجز الاحتياطي يعد عملاً ولائياً فالقاضي يباشر هذه الأعمال بما له من حق الولاية العامة باعتباره واحداً من الحكام أو ولاة الأموال الذين يمتلكون حق توجيه الناس والسيطرة عليهم تحقيقاً لما فيه مصلحتهم (٢١).

المطلب الثالث: نطاق الحجز الاحتياطي

لبيان نطاق الحجز الاحتياطي يجب معرفة ما هي الأموال التي لا يجوز حجزها؟ وما هي الأموال التي يجوز حجزها؟.

ابتداءً نصت المادة (٢٤٨) مرافعات عراقي على إنه " لا يجوز حجز أو بيع الأموال المبيّنة فيما بعد لاقتضاء الدين سواء كان الحجز احتياطياً أو تنفيذياً " وهذه الأموال هي على سبيل المثال "أموال الدولة الرسمية باستثناء المؤجرة إلى الغير، وأموال دائرة الوقف، وما يكفي لمعيشة المدين، والمرتب مدى الحياة إذا كان قد قرر على سبيل التبوع، والأثاث المنزلية، والأدوات اللازمة للمدين، والكتب الخاصة بمهنة المدين، والمسكن الكافي لسكن المدين..... " (٢٢).

١٩ - أ. د. عباس العبودي، شرح أحكام قانون المرافعات المدنية " دراسة مقارنة ومعززة بالتطبيقات القضائية "، ط ١، دار السنهوري، بغداد، ٢٠١٦، ص ٣٥٦. ود. وجدي راغب، نحو فكرة عامة للقضاء الوقي في قانون المرافعات، بحث منشور في مجلة العلوم القانونية والاقتصادية، العدد ١/، ١٩٧٣، ص ٢٠٢، وكذلك ينظر نص المادة (٣١٦) مرافعات مصري.

٢٠ - د. محمد حسين، طرق التنفيذ في قانون الإجراءات المدنية الجزائية، الجزائر، ١٩٨٢، ص ١٤٦.

٢١ - د. أحمد مليجي، تحديد نطاق الولاية القضائية في الاختصاص القضائي، دار النهضة العربية، القاهرة، (بلا سنة طبع)، ص ١٢٠.

٢٢ - ينظر أيضاً نص المادة (٦٢) من قانون التنفيذ العراقي رقم (٤٥) لسنة ١٩٨٠ في تعدادها للأموال التي لا يجوز حجزها مع بعض الاختلافات عما ذكرته المادة (٢٤٨) مرافعات عراقي.

ومن التطبيقات القضائية على ما ذكرته المادة (٢٤٨) سابقة الذكر هو ما قضت به محكمة استئناف بغداد الرصافة^(٢٣)، على إنه "لا يجوز حجز بعض الأدوات اللازمة لممارسة مهنة المدين، وفي حالة إيقاع الحجز الاحتياطي على مال من الأموال التي ذكرناها آنفاً وايداع الحكم لتنفيذه بمديرية التنفيذ للمدين أن يتمسك بحقه في عدم جواز حجزه ومديرية التنفيذ أن تقرر رفع الحجز عنه إذا تبين لها إنه من الأموال التي لا يجوز الحجز عليها".

أما الأموال التي يجوز حجزها لمصلحة الدائن فقد نصت على ذلك المادة (٢٦٠) مرافعات عراقية بقولها "أموال المدين جميعها ضامنة للوفاء بديونه" هذا يعني أن المشرع أعطى الحق للدائن طالب الحجز حق الحجز على ما يشاء من أموال مدينيه إلا إنه إستثنى بعض الأموال من الحجز لاعتبارات مختلفة منها إعتبارات إنسانية واقتصادية واجتماعية وهذه الاستثناءات هي التي أشارت إليها المادة (٢٤٨) مرافعات عراقية سابقة الذكر وبما إن المال هو المحل الذي يرد عليه الحجز الاحتياطي فمن الضروري أن تتوفر في هذا المال شروط معينة وهي كالآتي :

- ١- أن يكون الحق الذي وضع الحجز الاحتياطي لأجله ذو طابع مالي لأن الحقوق غير المالية لا تصلح أن تكون محلاً للحجز.
- ٢- أن يكون من الأموال الجائز الحجز عليها أي من الأموال التي يجوز التصرف بها.
- ٣- أن يكون المال المحجوز عليه ملكاً للمدين لأن المدين يضمن التزاماته بأمواله وليست بأموال الغير^(٢٤).

فضلاً عن ذلك هناك قيود على الدائن في الحجز الاحتياطي منها :

- أ- أن لا يتعسف في استعمال حقه ولا يسبب ضرراً للمدين.
- ب- لا يجوز نزع ملكية عقارات المدين إلا إذا لم تكتفِ المنقولات بذلك^(٢٥).
- ج- أن لا يتجاوز الحجز القدر الضروري لوفاء الدين المطالب به.

٢٣ - ينظر قرار محكمة استئناف بغداد الرصافة بصفتها التمييزية المرقم ١٤٣ / ١ / حقوقية ٣ / ١٩٧٠ في ٣ / ٢ / ١٩٧٠ بقوله... ((لدى التدقيق والمداولة وجد أن التلاجة والطباخ هما من الأدوات اللازمة لممارسة مهنة صاحب المطعم فلا يجوز حجزها عملاً بحكم المادة (٧ / ٢٤٨) مرافعات عراقية - أشار إليه : جمعة سعدون الربيعي، المرشد إلى إقامة الدعاوى المدنية، المكتبة القانونية، ط١، بغداد، ١٩٩٢، ص٨٤. وينظر أيضاً ما نصت عليه المادة (٣١) من قانون المحاماة العراقي المعدل رقم (٧٣) لسنة ١٩٦٥ على عدم جواز حجز أو بيع كتب المحامي وموجودات مكتبة الضرورية لممارسة المهنة.

٢٤ - فاروق يونس، المدخل في شرح قانون أصول المحاكمات المدنية والتجارية الفلسطيني رقم (٢) لسنة ٢٠٠١ ط ١، ٢٠٠٢، ص٦٠٥. وينظر أيضاً أ. د : عباس العبودي، شرح أحكام قانون المرافعات المدنية، مصدر سابق، ص٣٥٩.

٢٥ - ينظر نص المادة (٣٧٩) من قانون الإجراءات المدنية الجزائري، الصادر بالأمر رقم ٦٦ - ١٥٤، لسنة ١٩٦٦.

خلاصة الكلام أن هناك أموالاً استثنائها المشرع من الحجز الاحتياطي، لدوافع انسانية واجتماعية واقتصادية لغرض الحفاظ على إستقرار المعاملات وتحقيق العدالة والأمن القضائي.

المبحث الثاني: تمييز الحجز الاحتياطي عن غيره من المصطلحات القانونية

"الحجز الاحتياطي يُعد وسيلة من وسائل الحماية القضائية المؤقتة التي تتخذها المحكمة المختصة بناءً على طلب الدائن لحماية حقه وهذه الصورة من صور الحماية القضائية تشابه في حكمها من أنظمة أخرى ترمي إلى الهدف نفسه وهو التحفظ على أموال المدين، إلا إنها تختلف عنها من حيث طبيعتها وخصائصها والنتيجة التي تنتهي إليها كالحجز التنفيذي والحجز الاستحقاقى والحجز الإداري"، وعليه سنقسم هذا المبحث على ثلاثة مطالب كان المطلب الأول بعنوان (تمييز الحجز الاحتياطي عن الحجز التنفيذي)، أما المطلب الثاني بعنوان (تمييز الحجز الاحتياطي عن الحجز الاستحقاقى)، واخيراً المطلب الثالث (تمييز الحجز الاحتياطي عن الحجز الإداري)، والتفاصيل على النحو الآتي..... :

المطلب الأول: تمييز الحجز الاحتياطي عن الحجز التنفيذي

يتشابه الحجز الاحتياطي والحجز التنفيذي في الهدف حيث أن كل منهما يهدف إلى التحفظ على أموال المدين ضماناً لاستيفاء حق الدائن ولكن هناك اختلافات بينهما تتلخص بالآتي...

١- من حيث الأساس القانوني :- إن الحجز الاحتياطي يستند إلى نصوص المواد (٢٣١-٢٤٩) مرافعات عراقي، بينما الحجز التنفيذي يستند إلى قانون التنفيذ، كذلك فالحجز بوصفه وسيلة إجرائية غايتها التحفظ على أموال المدين^(٢٦)، حيث لا يقصد به التنفيذ حالاً وإنما يقصد به الاحتياط أي منع المدين من قبل المحكمة من التصرف وذلك لتأمين حقوق الحاجز^(٢٧)، وإن لم يتوفر بيد الدائن سند تنفيذي^(٢٨).

٢٦ - د. محمد محمود ابراهيم، أصول التنفيذ الجبري، دار الفكر العربي، (بلا سنة طبع)، ص ٣٧٤.

٢٧ - لمزيد من التفصيل ينظر : يوسف نجم جبران، طرق الاحتياط والتنفيذ، دار المطبوعات الجامعية، بيروت، ط ٢،

١٩٨١، ص ٣٢٥.

٢٨ - ينظر نص المادة (٢٣١) مرافعات عراقي.

٢- من حيث طبيعة كل منهما: الحجز الاحتياطي هو إجراء تحفظي مؤقت هدفه منع المدين من تهريب أمواله واخفائها، بينما الحجز التنفيذي هو إجراء تنفيذي تقوم به دائرة التنفيذ تنفيذاً لحكم قضائي أو أي سند تنفيذي آخر لاستحصال مبلغ الدين^(٢٩).

٣- لا يشترط في الحجز الاحتياطي اتخاذ مقدمات التنفيذ لأن الغرض منه هو ضبط المال ومباغته المدين لمنعته من تهريب المال المراد حجزه، بخلاف الحجز التنفيذي والذي تستلزم إجراءاته اتخاذ مقدمات وإعلان المدين به بوصفه نتيجة لوجود السند التنفيذي بيد طالب الحجز^(٣٠).

المطلب الثاني: تمييز الحجز الاحتياطي عن الحجز الاستحقاقى

هناك نوع من الحجز الاحتياطي نظمه قانون المرافعات المدنية العراقي وهو ما يعرف بالحجز الاستحقاقى وهو يختلف عن الحجز الاحتياطي في مفهومه من حيث الهدف وعائدية الأموال التي يرد عليها، فقد نصت المادة (٢٣٢) مرافعات عراقي على إن "كل من يدعي حقاً عينياً أو حقاً في حيازة منقول أو عقار أن يطلب الحجز الاحتياطي بالشروط المذكورة في المادة السابقة على ذات المنقول أو العقار المنازع فيه ولو كان في يد الغير الخارج عن الحجز"^(٣١).

يتبين من هذا النص أن قانون المرافعات العراقي "أجاز الحجز الاحتياطي الاستحقاقى لمن يدعي حقاً عينياً أو حقاً في حيازة منقول أو عقار متنازع فيه سواء كانت بيد المحجوز عليه أو بيد شخص آخر، وبالتالي فإنه يكون لصاحب الحق في هذا الحجز أن يطلب توقيعه في مواجهة أي شخص ولو لم يرتبط معه في أي علاقة قانونية كالغاصب مثلاً لتلافى التصرف بهذا الحق محل الحجز"^(٣٢).

٢٩ - أ. د. عباس العبودي، شرح أحكام قانون المرافعات المدنية، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ٢٠٠٠، ص ٣١٥. ولزيد من المعلومات بشأن الحجز التنفيذي، ينظر د. آدم وهيب النداوي، أحكام قانون التنفيذ، ط ١، بغداد، ١٩٨٤، ص ١٣٣.

٣٠ - أ. د. عباس العبودي، شرح أحكام قانون المرافعات المدنية دراسة مقارنة ومعززة بالتطبيقات القضائية، مصدر سابق، ص ٣٥٥.

٣١ - ينظر بالمعنى نفسه نص المادة (٣١٨) مرافعات مصري، ونص المادة (٨٧٧) قانون أصول المحاكمات المدنية اللبناني.

٣٢ - د. أحمد ابو الوفا، مصدر سابق، ص ٨٥٦.

إذن الحجز الاستحقاقى يتقرر وفقاً لما للمالك من حق تتبع أمواله المنقولة^(٣٣)، تحت يد حائز وقد أجاز قانون المرافعات العراقية توقيع هذا الحجز على المنقول والعقار، بينما قصرته بعض التشريعات محل المقارنة على المنقول فقط^(٣٤).

ومن الجدير بالذكر بأن المشرع العراقي في قانون المرافعات المدنية أجاز توقيع الحجز

الاستحقاقى لصالح كل من :-

١ - الدائن الممتاز.

٢ - المالك صاحب دعوى الاستحقاق بوصفه مالكا للمال الذي يدعى استحقاقه بوجه

حائزه أو غاصبه.

المطلب الثالث: تمييز الحجز الاحتياطي عن الحجز الإداري

يلجأ المشرع عادة فيما يتعلق بتحصيل أموال الدولة التي في ذمة الغير المتعامل معها من المواطنين كالضرائب وغيرها من الأموال إلى سن القوانين التي تنظم الطرق أو الوسائل التي يجب إتباعها في ذلك، والذي يتحدد فيه ما يجب على الإدارة اتخاذه من قرارات وإجراءات تتعلق بتحصيل أموالها بوصفها دائماً كما في استحصال الديون التي في ذمة الغير المرتبط معها بعلاقات قانونية إدارية كانت أم مدنية، والملاحظ بأنه لا يوجد في العراق قانون خاص ينظم قواعد الحجز الإداري وإنما هنالك بعض القوانين التي تنظم تحصيل الديون الحكومية من المدنيين كقانون تحصيل الديون الحكومية رقم (٦٥) لسنة ١٩٨٢.

ومن الجدير بالذكر فقد بينت المادة (١) من قانون تحصيل الديون الحكومية الأموال والمبالغ التي يضيف عليها هذا القانون فضلاً عن الفوائد والإضافات والغرامات المتعلقة بها، كما حددت المادة الثانية الجهات المخولة بتحصيل تلك المبالغ والصلاحيات المسموح لهم بموجب هذا القانون والتي من بينها اتخاذ قرار الحجز على أموال المدين إذا امتنع عن تسديد الديون بعد مرور مدة الإنذار الذي وجه إليه وهي (١٠) أيام اعتباراً من اليوم التالي لتبليغه به واتخاذ إجراءات الحجز مع مراعاة أحكام قانون التنفيذ رقم (٤٥) لسنة ١٩٨٠ أثناء اتخاذ تلك الإجراءات.

فالخلاصة يمكن تمييز الحجز الإداري عن الحجز الاحتياطي بالنقاط الآتية.

١ - "إن اتخاذ إجراءات الحجز الإداري تقوم أساساً على قرارات وأوامر إدارية تتخذها الإدارة، بينما في الحجز الاحتياطي تتخذ الإجراءات بناءً على أمر من القاضي المختص في نظر الطلب

٣٣ - يعرف الحجز الاستحقاقى : بأنه الحجز الذي بموجبه يمارس حق التتبع في الأموال المنقولة : أشار إلى هذا

التعريف : يوسف نجم جبران، مصدر سابق، ص ٣٨٢.

٣٤ - ينظر بهذا الخصوص المادة (٨٧٨) أصول محاكمات مدنية لبناني.

الذي تقدم به الدائن طالب الحجز وفقاً للشروط والحالات التي ينص عليها قانون المرافعات المدنية العراقية " (٣٥).

٢- "تقوم الإدارة في الحجز الإداري باتخاذ إجراءات الحجز بوصفها ممثل السلطة العامة في إجراءاته وفي الوقت نفسه تكون في مركز الدائن طالب الحجز أي إنها ذات صفة مزدوجة، بينما في الحجز الاحتياطي فإن قواعد قانون المرافعات المدنية تمنع طالب الحجز الدائن من اتخاذ إجراءات الحجز بنفسه وإنما عليه أن يلجأ إلى السلطة المخولة قانوناً باتخاذها وهي المحكمة المختصة بذلك" (٣٦).

٣- "يختلف الحجز الإداري عن الحجز الاحتياطي من حيث محل الحجز فالحجز الإداري يرد على الأموال التي حددها القانون الخاص به لتحصيل أموال الدولة كالضرائب والإيرادات والرسوم بجميع أنواعها والمبالغ المستحقة للدولة مقابل الخدمات العامة التي تقدمها والتي وردت على سبيل الحصر، بينما في الحجز الاحتياطي فإن محل الحجز في قانون المرافعات المدنية هي جميع أموال المدين بوصفها ضامنة لديونه استناداً إلى القاعدة العامة المنصوص عليها في القانون المدني عدا ما استثني منها القانون" (٣٧).

المبحث الثالث: إجراءات الحجز الاحتياطي

لقد بينت المادة (٢٣٤ / ١) مرافعات عراقية الإجراءات الواجب اتباعها من قبل الشخص الذي يريد طلب الحجز وهو "أن يكون طلب الحجز الاحتياطي بعريضة يقدمها الدائن وتكون مشتملة على أسمه وأسم المدين وأسم الغير إن وجد وشهرتهم ومحال إقامتهم والسند الذي يستند إليه في طلب الحجز ومقدار الدين المطلوب الحجز من أجله ويوقع الدائن على هذه العريضة مع بيان تاريخها".
أما الفقرة الثانية من المادة ذاتها فقد تطلبت وجوب تقديم طالب الحجز كفالة رسمية أو تأمينات نقدية، وفي كل الأحوال فإن المال المطلوب الحجز عليه هو إما أن يكون بيد المدين نفسه أو بيد (الغير) أو ما يسمى بالشخص الثالث على أن هناك أحكاماً خاصة تنظم عملية الحجز الاحتياطي، ولغرض تفصيل هذا المبحث بشكل دقيق فقد قسمناه على ثلاثة مطالب كان الأول بعنوان (إجراءات الحجز الاحتياطي على الأموال الموجودة لدى المدين) أما المطلب الثاني فقد جاء تحت

٣٥ - ينظر نص المادة (٢٣١) مرافعات عراقية.

٣٦ - د. نبيل اسماعيل عمر، التعليق على قانون الحجز الإداري، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٨٦، ص ٩. ود. أحمد أبو

الوفا، مصدر سابق، ص ٨٨٢.

٣٧ - ينظر نص المادة (٢٦٠) مدني عراقية، والمادة (٢٤٨) مرافعات عراقية، والمادة (٦٢) تنفيذ عراقية.

عنوان (إجراءات حجز ما للمدين لدى الغير) وهو الشخص الثالث، أما أحكام الحجز الاحتياطي فقد كانت عنواناً للمطلب الثالث، والتفاصيل على النحو الآتي.

المطلب الأول: إجراءات الحجز الاحتياطي على الأموال الموجودة لدى المدين

"يستلزم القانون في طلب الحجز الاحتياطي أن يتم بعريضة يقدمها طالب الحجز إلى المحكمة المختصة بنظر الدعوى المتعلقة بالمال الذي يراد أن يكون المال المحجوز ضماناً للوفاء به، على أن تقدم كفالة رسمية أو تأمينات عينية من قبل طالب الحجز لضمان الضرر الواقع على المدين إذا ظهر أن الدائن غير محق في دعواه" (٣٨).

وبعد أن يقوم القاضي بتدقيق الطلب فله أن يجيبه أو يرفضه وفقاً لتقديره لكفاية الأدلة أو عدم كفايتها (٣٩)، "وإذا قررت المحكمة وضع الحجز الاحتياطي قامت بتنفيذه وبتبليغ المحجوز عليه، فإذا كان المحجوز عليه عقاراً يتم الحجز بوضع إشارة الحجز على قيده في دائرة التسجيل العقاري" (٤٠)، "ويجوز للمحكمة أن تقرر وضع الحجز الاحتياطي بناءً على طلب طالب الحجز قبل إقامة الدعوى أو بنفس عريضتها عند إقامتها أو اثناء السير في الدعوى أو بعد صدور الحكم فيها" (٤١).

فإذا قررت المحكمة وضع الحجز قبل إقامة الدعوى فإن القانون يلزم طالب الحجز برفع دعوى بتأييد حقه في الحجز خلال مدة محددة بالقانون، أما إذا قررت المحكمة الحجز الاحتياطي بناءً على طلب عريضة الدعوى أو اثناء السير فيها هنا يكفي بتبليغ أمر الحجز إلى المحجوز على أمواله (٤٢).

فضلاً عن ذلك فعلى طالب الحجز أن يحدد المال الذي يرغب في الحجز عليه لاسيما وأن المدين قد يعتمد في إخفاء أمواله وخاصة إذا لم يكن الدائن على علم بأموال مدينه المنقولة وغير المنقولة، فإن محكمة التمييز العراقية قد أعطت للدائن طالب الحجز الحق في أن يُعيّن الأموال الذي يرغب الحجز عليها وذلك عندما قضت في أحد قراراتها والذي جاء فيه بأنه... "للدائن الحق بتعيين نوع الأموال التي يرغب

٣٨ - د. آدم وهيب النداوي، المرافعات المدنية، العاتك لصناعة الكتاب، ط٣، القاهرة، ٢٠١١، ص٣١٨. وينظر أيضاً م. م ايناس هاشم رشيد، وم. م وعود كاتب عبد، أحكام الحجز الاحتياطي في القانون العراقي، بحث منشور في مجلة جامعة كربلاء العلمية، المجلد التاسع / العدد / ٤، ٢٠١١، ص٣.

٣٩ - ينظر نص المادة (٢٣٣) مرافعات عراقي.

٤٠ - ينظر نص المادة (٢٣٩) مرافعات عراقي.

٤١ - ينظر نص المادة (٢٣٦) مرافعات عراقي.

٤٢ - ينظر نص المادة (٢٣٧ / ٣) مرافعات عراقي.

في الحجز عليها"^(٤٣)، وأن اتخاذ إجراءات الحجز الاحتياطي تختلف باختلاف طبيعة المال المراد حجزه لأن هناك إجراءات خاصة حددها قانون التنفيذ العراقي رقم (٤٥) لسنة ١٩٨٠ فيما يتعلق بالأموال المنقولة والعقارية^(٤٤).

المطلب الثاني: إجراءات حجز ما للمدين لدى الغير (الشخص الثالث)

بيّننا فيما سبق الإجراءات التي حددها القانون بشأن الحجز على أموال المدين التي توجد تحت يده وهي تختلف عن الإجراءات المتبعة في حجز أمواله التي تقع تحت يد الغير ولكن البحث في الإجراءات المتعلقة بالحجز الاحتياطي على أموال المدين الموجودة لدى الغير أو في ذمته يقتضي منا تعريف هذا الحجز ومن هو الغير أو الشخص الثالث في هذا الحجز، فالحجز هنا معناه منع هذا الغير من الوفاء للمدين أو تسليمه ما في حيازته من مالٍ منقولٍ كان إم عقاراً إستيفاءً لحق الحاجز من المال المحجوز أو من ثمنه بعد بيعه^(٤٥).

أما الشخص الثالث المحجوز تحت يده المال فهو ذلك الشخص الذي صدر قرار الحجز على الأموال التي تحت يده والذي تربطه بالمدين علاقة مديونية، وقد وصفته محكمة التمييز العراقية في قرار لها بأنه "كل شخص يوجد المال المحجوز تحت يده عند الحجز"^(٤٦).

"فضلاً عن ذلك فإن موقف الشخص الثالث الموجود المال المحجوز تحت يده بعد تبليغه بقرار الحجز بالنسبة لعائدية ذلك المال إلى المدين فهو إما أن يقر بذلك أو ينكره أو يسكت، فإذا أقر بأن الأموال المحجوزة لديه تعود إلى المدين هنا لا يلزم حضوره في جلسة المرافعة، وإذا أنكر وجود أموال لديه

٤٣ - ينظر قرار محكمة تمييز العراق المرقم / ٧٢٦ مدنية ثالثة / ٧٣ الصادر بتاريخ ١٩٧٣/٩/٨ مشار إليه لدى : ابراهيم المشاهدي، المختار في قضاء محكمة التمييز، قسم المرافعات المدنية، ج ١، منشورات الكندي، بغداد، مطبعة الزمان، ١٩٩٨، ص ٧٥.

٤٤ - ينظر نصوص المواد (٦٥ و ٨٦) من قانون التنفيذ العراقي.

٤٥ - د : أحمد ابو الوفا، مصدر سابق، ص ٢٨٠.

٤٦ - ينظر قرار محكمة تمييز العراق رقم ٨٨٤ / مدنية أولى / ٧٨، ١١٢، مدنية أولى / ٧٩. والصادر بتاريخ ٢٠ / ٩ / ١٩٧٩، مشار إليه لدى : ابراهيم المشاهدي، مصدر سابق، ص ٢١٣. وللمزيد من التفاصيل ينظر د. نشأت عبد الرحمن الأخرس، شرح قانون أصول المحاكمات المدنية " دراسة مقارنة "، ج ١، ط ١، الإصدار الأول، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٨، ص ٣٦٥.

تعود إلى المدين وجب على الدائن اثبات وجودها لديه، أما إذا سكت الشخص الثالث فيعد سكوتة دليلاً على وجود المال المحجوز لديه وعائديته للمدين ما لم يثبت المدين خلاف ذلك" (٤٧).

المطلب الثالث: أحكام الحجز الاحتياطي

لقد عالج المشرع العراقي الحجز الاحتياطي بأحكام خاصة لاسيما ما تعلق منها بإبطاله وتأييده ورفع الطعن فيه وتناولها كالاتي...

فيما يخص إبطال الحجز الاحتياطي فهناك صورتان الأولى بإبطال الحجز الاحتياطي بناءً على طلب المدين أو المحجوز تحت يده الأموال وهذه الحالة وردت في المادة (٢٣٧) من قانون المرافعات المدنية حيث الزم المشرع طالب الحجز بإقامة دعوى لتأييد الحجز خلال ثمانية أيام من تاريخ تبليغ المدين أو الشخص المحجوز تحت يده بأمر الحجز الاحتياطي وإلا أبطل بناءً على طلب المحجوز على أمواله أو المحجوز تحت يده.

أما الصورة الثانية وهي إبطال الحجز الاحتياطي بحكم القانون، "فإذا لم يقم طالب الحجز الاحتياطي الدعوى بتأييد حقه أو لم يبلغ المحجوز على أمواله فيبطل الحجز بعد مضيء ثلاثة أشهر بحكم القانون ويعد كأنه لم يكن، وأن حالتي الإبطال المذكورتين في أعلاه يشملان فقط وضع الحجز الاحتياطي قبل إقامة الدعوى ولا تشمل حالات وضع الحجز اثناء السير بالدعوى أو بعد صدور الحكم" (٤٨).

أما تأييد الحجز الاحتياطي فإذا صدر الأمر بإيقاع الحجز الاحتياطي قبل إقامة الدعوى بأصل الحق فعلى طالب الحجز أن يقيم الدعوى لتأييد حقه في الحجز خلال المدة المذكورة (٤٩)، وإذا نجح طالب الحجز بأثبات دعواه فعلى المحكمة أن تؤيد أمر الحجز الاحتياطي، وعندها يصبح هذا الحجز بمثابة حجز تنفيذي (٥٠). وهنا يترتب على الحجز الاحتياطي مجموعة آثار منها بقاء الأموال المحجوزة عليها ملكاً للمحجوز عليه وكذلك يتم قطع التقادم اضافة إلى أن الحجز الاحتياطي يتحول إلى حجز تنفيذي (٥١).

٤٧ - د. أياد عبد الجبار الملوكي، قانون المرافعات المدنية، شركة العاتك لصناعة الكتاب، القاهرة، (بلا سنة طبع)،

ص ١٦٨.

٤٨ - د. عماد حسن سلمان، شرح قانون المرافعات المدنية، مكتبة السنهوري، لبنان، بيروت، ٢٠١٩، ص ٢٨٥.

٤٩ - ينظر نص المادتين (٢٣٧) و (٢٣٨) مرافعات عراقي.

٥٠ - محمد عبد جازع، الحجز الاحتياطي وإشارة عدم التصرف، مكتبة صباح، بغداد، ٢٠١١، ص ٣١٢.

٥١ - أ. د. عباس العبودي، شرح أحكام قانون المرافعات المدنية، دراسة مقارنة ومعززة بالتطبيقات القضائية، مصدر

سابق، ص ٣٦٤.

"وفيما يخص رفع الحجز الاحتياطي فيعد أيقاع الحجز الاحتياطي على أموال المدين يترتب على ذلك منع المدين من أن يتصرف بتلك الأموال أو ينقلها إلى محل آخر بدون إذن المحكمة إذ لا يجوز رفع الحجز الاحتياطي إلا من قبل المحكمة التي وضعته".

واخيراً من أحكام الحجز الاحتياطي هو الطعن في هذا الأمر ويكون بطريقتين (التظلم ثم التمييز)^(٥٢).

إذن يتبين أن للحجز الاحتياطي مجموعة أحكام خاصة به من حيث الإبطال بصورتيه أو تأييده أو رفعه أو الطعن فيه عن طريق التظلم أو التمييز ولكن وفق شروط ومحددات قانونية منصوص عليها في التشريعات الإجرائية.

الخاتمة

بعد أن تطرقنا إلى موضوع الحجز الاحتياطي من حيث تعريفه وشروطه وخصائصه وتمييزه عن غيره وأحكامه فقد توصلنا إلى مجموعة من النتائج والمقترحات، وهي على النحو الآتي:

أولاً : النتائج :-

- ١- تبين بأن الحجز الاحتياطي هو صورة من صور الحماية القضائية لا تتخذه المحكمة من تلقاء نفسها بل بناء على طلب من الدائن الحاجز.
- ٢- تبين بأنه لإجراء الحجز الاحتياطي لا بد أن يكون الدين معلوماً ومستحق الاداء وغير مقيد بشرط لكي يمكن الحجز عليه.
- ٣- تبين بأن الحجز الاحتياطي هو وسيلة عاجلة للمحافظة على حق الدائن الحاجز لكي لا يقوم المدين بتهديب أمواله أو التصرف بها للغير.
- ٤- يجب تقديم طلب لغرض الحصول على أمر الحجز الاحتياطي مع كفالة رسمية أو تأمينات نقدية.
- ٥- هناك أوجه شبه واختلاف بين الحجز الاحتياطي مع غيره من الحجوزات كالحجز الإداري والتنفيذي والاستحقاق.
- ٦- إن للحجز الاحتياطي طبيعته القانونية التي تميزه عن غيره بوصفه إجراءً تحفظياً الهدف منه تحقيق العدل واستقرار التعاملات والحفاظ على النظام العام.

٥٢ - للمزيد في هذا الموضوع ينظر د. أحمد ابو الوفا، نظرية الأحكام في قانون المرافعات، ط ١، (بلا سنة طبع)

ثانياً : المقترحات :-

- ١- ندعو مشرعنا الموقر إلى التشديد على الشخص الثالث (الغير) الذي تحت يده المال المراد الحجز عليه عند إثبات الدائن بأن الأموال موجودة لدى الغير وإقامة المسؤولية المدنية والجزائية في حالة التواطؤ مع المدين.
- ٢- إعادة النظر في الأموال التي لا يجوز الحجز عليها الواردة في المادة (٢٤٨) مرافعات عراقي فهي أموال كثيرة ومتعددة.
- ٣- ضرورة التركيز على هذا الاجراء الحيوي واتخاذ الإجراءات السريعة في الحجز والتنفيذ على أموال المدين حفاظاً عليها وخوفاً من تهريبها حماية لمصلحة الدائن.

المصادر

أولاً : الكتب اللغوية :-

- ١- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري الافريقي، لسان العرب، الدار المصرية للتأليف والترجمة، (بلا سنة نشر).
- ٢- الفيروز أبادي، قاموس المحيط، دار الفكر العربي، القاهرة، (بلا سنة طبع).
- ٣- المنجد في اللغة والأعلام، ط ٣٠، دار الشرق، بيروت، (١٩٨٨).
- ٤- لويس معلوف، المنجد في اللغة والادب، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، ١٩٦٦.

ثانياً : الكتب القانونية :-

- ١- ابراهيم المشاهدي، المختار في قضاء محكمة التمييز، قسم المرافعات المدنية، ج ١، منشورات الكندي، بغداد، مطبعة الزمان، ١٩٩٨.
- ٢- د. أحمد أبو الوفا، إجراءات التنفيذ في المواد المدنية والتجارية، ط ٩، منشأة المعارف، الاسكندرية، ١٩٨٦.
- ٣- د. أحمد مليجي، تحديد نطاق الولاية القضائية في الاختصاص القضائي، دار النهضة العربية، القاهرة، (بلا سنة طبع).
- ٤- د. أحمد مليجي، التنفيذ وفقاً لقانون المرافعات، دار النهضة العربية، القاهرة، (بلا سنة طبع).
- ٥- د. آدم وهيب نداوي، أحكام قانون التنفيذ، ط ١، بغداد، ١٩٨٤.
- ٦- د. آدم وهيب نداوي، المرافعات المدنية، بغداد، ١٩٨٨.
- ٧- د. آدم وهيب نداوي، المرافعات المدنية، العاتك لصناعة الكتاب، ط ٣، القاهرة، ٢٠١١.
- ٨- د. أياد عبد الجبار الملوكي، قانون المرافعات المدنية، شركة العاتك لصناعة الكتاب، القاهرة، (بلا سنة طبع).
- ٩- جمعة سعدون الربيعي، المرشد إلى إقامة الدعاوى المدنية، المكتبة القانونية، ط ١، بغداد، ١٩٩٢.
- ١٠- حسين المؤمن، نظرية الأثبات، المحررات، الأدلة الكتابية، ج ٣، (بلا سنة طبع).
- ١١- صادق حيدر، شرح قانون المرافعات المدنية، مكتبة السنهوري، بغداد، ٢٠١١.
- ١٢- أ. د. عباس العبودي، شرح أحكام قانون أصول المحاكمات المدنية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦.

١٣- أ. د : عباس العبودي، شرح أحكام قانون المرافعات المدنية " دراسة مقارنة ومعمزة بالتطبيقات القضائية"، ط ١، دار السنهوري، بغداد، ٢٠١٦.

١٤- أ. د. عباس العبودي، شرح أحكام قانون المرافعات المدنية، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ٢٠٠٠.

١٥- د. عماد حسن سلمان، شرح قانون المرافعات المدنية، مكتبة السنهوري، لبنان، بيروت، ٢٠١٩.

١٦- فاروق يونس، المدخل في شرح قانون أصول المحاكمات المدنية والتجارية الفلسطينية رقم (٢) لسنة ٢٠٠١، ط ١، ٢٠٠٢.

١٧- د. محمد حسين، طرق التنفيذ في قانون الإجراءات المدنية الجزائرية، الجزائر، ١٩٨٢.

١٨- د. محمد محمود ابراهيم، أصول التنفيذ الجبري، دار الفكر العربي، (بلا سنة طبع).

١٩- محمد عبد جازع، الحجز الاحتياطي وإشارة عدم التصرف، مكتبة صباح، بغداد، ٢٠١١.

٢٠- مدحت المحمود، شرح قانون المرافعات المدنية رقم (٨٣) لسنة ١٩٦٩ وتطبيقاته العملية، ط ٤، المكتبة القانونية، بغداد، ٢٠١١.

٢١- د. نبيل اسماعيل عمر، التنفيذ الجبري في المواد المدنية والتجارية، دار الجامعة الجديدة، ١٩٩٥.

٢٢- د. نبيل اسماعيل عمر، التعليق على قانون الحجز الإداري، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٨٦.

٢٣- نزيه نعيم شلالا، الحجز الاحتياطي " دراسة مقارنة بين الفقه والاجتهاد والنصوص القانونية"، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، لبنان، ١٩٩٩.

٢٤- د. نشأت عبد الرحمن الأخرس، شرح قانون أصول المحاكمات المدنية " دراسة مقارنة"، ج ١، ط ١، الإصدار الأول، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٨.

٢٥- يوسف نجم جبران، طرق الاحتياط والتنفيذ، دار المطبوعات الجامعية، بيروت، ط ٢، ١٩٨١.

ثالثاً : الرسائل والبحوث الجامعية :-

١- م. م ايناس هاشم رشيد، وم. م وعود كاتب عبد، أحكام الحجز الاحتياطي في القانون العراقي، بحث منشور في مجلة جامعة كربلاء العلمية، المجلد التاسع / العدد ٤ / ٢٠١١.

٢- د. وجدي راغب، نحو فكرة عامة للقضاء الوقي في قانون المرافعات، بحث منشور في مجلة العلوم القانونية والاقتصادية، العدد ١/ ١٩٧٣.

٣- سليم رشاد ناصر، اشكالات الحجز التحفظي في قانون أصول المحاكمات المدنية والتجارية الفلسطينية " دراسة مقارنة " رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة القدس / كلية الحقوق، ٢٠١٢.

رابعاً : القوانين :-

- ١- قانون المرافعات المدنية العراقية رقم (٨٣) لسنة ١٩٦٩ المعدل.
- ٢- قانون المرافعات المدنية والتجارية المصري رقم (١٣) لسنة ١٩٦٨ المعدل.
- ٣- قانون المرافعات والتنفيذ اليمني رقم (٢٨) لسنة ١٩٩٢.
- ٤- قانون الإجراءات المدنية الجزائري رقم (٨) لسنة ١٩٧٥.
- ٥- قانون المسطرة المدنية المغربي رقم (٤٤٧) لسنة ١٨٧٤.
- ٦- قانون اصول المحاكمات المدنية الاردني رقم (٢٤) لسنة ١٩٨٨.
- ٧- قانون اصول المحاكمات المدنية اللبناني رقم (٩٠) لسنة ١٩٨٣.
- ٨- قانون المرافعات المدنية الفرنسي رقم (١١٢٣) لسنة ١٩٧٥.
- ٩- قانون الاثبات العراقي رقم (١٠٧) لسنة ١٩٧٩ المعدل.
- ١٠- قانون التنفيذ العراقي رقم (٤٥) لسنة ١٩٨٠ المعدل.

تأريخ موجز للدراسات العربية والإسلامية في جامعة وارسو من انتهاء

الحرب العالمية الثانية إلى سقوط الحقبة الاشتراكية

A Brief History of Arabic and Islamic Studies at the
University of Warsaw from the End of World War II to
the Fall of the Socialist Era

د. مارتشين غرودزكي^(١)

Marcin Grodzki (PhD)

الملخص

يسعى هذا البحث الأكاديمي الموجز إلى إبراز دور الدراسات العربية والإسلامية في جامعة وارسو بعد الحرب العالمية الثانية وتسليط الضوء على تأريخها، مع إيلاء أهمية خاصة لأهم مراحل ومحطات التطور في نشاط وعمل هذه المؤسسة التعليمية البولندية العريقة. يعد قسم الدراسات العربية والإسلامية في جامعة وارسو حالياً أكبر مركز جامعي بحثي وتعليمي في مجال الحضارة والثقافة واللغة العربية والعلوم الإسلامية وأهمها تأثيراً على المجتمع البولندي في مجال كسب المعرفة عن الشرق الأوسط. وقبل المضي قدماً في الحديث عن فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، ولاستعراض الخلفية التاريخية، يتطرق المقال بصورة مختصرة إلى فترة ما قبل الحربين العالميتين الأولى والثانية، والتي مهدت الطريق للدراسات العربية المستقبلية في بولندا.

الكلمات المفتاحية: الدراسات العربية والإسلامية، الاستشراق، جامعة وارسو، جامعة ياغيلونسكي،

العلاقات الثقافية العربية-الإسلامية

١ - جامعة وارسو - قسم الدراسات العربية والإسلامية كلية الاستشراق - بولندا

Abstract

The history of Arab-Islamic studies in Poland dates back to the early 19th century when the first major centre for the oriental studies was established in Vilnius university. The university was closed in 1832 due to the repressive measures taken by the Russian Caesar against the Poles and Lithuanians at that time. Between World Wars I and II, three prominent centres were set up for the Middle Eastern studies in Lviv (currently located in Ukraine), Krakov, and Warsaw. These academic traditions paved the way for the modern Arab-Islamic studies in Poland. In 1919, Professor Tadyosh Kovaliski established the first institute for the Islamic studies – Faculty of the Oriental Languages Philology in Yagyloniski University. The Institute of Oriental Studies - Warsaw University in which Department of Arabic and Islamic studies was established later, to be the largest research centre for the Arabic and Islamic studies in Poland, was set up in 1932, i.e. between the world war I and II. In it, Arabic studies developed upon the arrival of professor Yousif Bilaviski in Warsaw – a graduate of Yagyloniski, who was a student of the Founding Father of the Polish Arabic studies.

Keywords: Arab-Islamic studies, Oriental studies, University of Warsaw, Jagiellonian University, Arab-Islamic cultural relations

المقدمة

يعود تاريخ الدراسات العربية والإسلامية في بولندا إلى بدايات القرن التاسع عشر الميلادي، عندما أنشئ مركز كبير للدراسات الشرقية في جامعة فيلنيوس أولاً، إلا أن هذه الجامعة أغلقت في عام ١٨٣٢ نتيجةً للإجراءات القمعية التي اتخذها نظام القيصر الروسي بحق البولنديين والليتوانيين آنذاك. وبين الحربين العالميتين الأولى والثانية، أنشئت ثلاثة مراكز قوية أخرى لدراسات الشرق الأوسط: في مدينة لفوف (حالياً في دولة أوكرانيا)، وكراكوف، ووارسو. وقد مهدت هذه التقاليد الأكاديمية الطريق للدراسات العربية والإسلامية الحديثة في بولندا الحديثة. في عام ١٩١٩، أسس البروفيسور تاديوش كوفالسكي أول معهد في بولندا يُعنى بالدراسات الإسلامية – كلية فقه اللغات الشرقية في جامعة ياغيلونسكي. أما معهد الدراسات الشرقية في جامعة وارسو، والذي أنشئ فيه في وقت لاحق قسم الدراسات العربية والإسلامية ليصبح أكبر مركز للأبحاث في مجال الدراسات العربية والإسلامية في بولندا، فتأسس عام ١٩٣٢، أي ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية. وتطورت الدراسات العربية فيه بعد وصول البروفيسور يوزيف بيلافسكي إلى وارسو – خريج جامعة ياغيلونسكي، الذي كان طالباً "للولد المؤسس" للدراسات العربية البولندية – البروفيسور تاديوش كوفالسكي (جامعة ياغيلونسكي).^(٢)

² - <http://arabistyka.uw.edu.pl/historia> ، <http://orient.uw.edu.pl/o-wydziale>

وقد قسم البحث الى فصلين. الفصل الأول فقد شمل السياق التاريخ ، وقد حتى الحروب التي شنت على بولندا ، والتي كانت عاملا مهما في دخول علم الاستشراق في مؤسستها التعليمية. والفصل الثاني قد اكمل ما جاء بالفصل الذي سبقه حيث المقدمات التي ساعدت على نشوء قسم خاص ومستقل للدراسات العربية والإسلامية. والذي من خلاله كان الوجه الحقيقي للدراسات العربية المستقلة. والذي من خلاله كان الوجه الحقيقي للدراسات العربية المستقلة. وقد واجه الباحث بعض الصعوبات في الحصول على المصادر وذلك للتغيرات السياسة التي حصلت في بولندا والدول العربية.

ونأمل ان يضيف هذا البحث بعض المعلومات الأساسية في العلاقة الثقافية بين الشعبين ، وباكورة عمل مشترك بينهما لوضع أسس صحيحة للتعامل والتوافق العلمي.

الفصل الأول

السياق التاريخي :

قبيل الحرب العالمية الثانية، التي اندلعت في سبتمبر ١٩٣٩ مع اجتياح كل من ألمانيا النازية على بولندا من الغرب وروسيا البولشيفية من الشرق، كانت هناك أربعة مراكز حكومية علمانية للدراسات الشرقية في جمهورية بولندا - وهي حسب الترتيب الأبجدي: في كراكوف، ولفوف (حاليا في أوكرانيا)، ووارسو، وفيلنيوس (حاليا في ليتوانيا)، كانت تقدم دورات وتخصصات مختلفة. وبما أن البحث في هذه الفترة يتجاوز نطاق هذا المقال، فإننا لا ندرج هنا سوى عدد قليل من المعلومات التمهيدية حول بدايات الدراسات الشرقية البولندية في فترة ما بين الحربين العالميتين، مع التركيز على توضيح السياق التاريخي لتطورها بعد الحرب.

من حيث التنظيم، فإن الدراسات الشرقية في وارسو أحدث سنا من تلك الموجودة في كراكوف - تم إنشاء المعهد الشرقي في وارسو، كما ذكر، فقط في عام ١٩٣٢. وبينما كان "الروح الطيبة" في كراكوف هو البروفيسور تاديوش كوفالسكي (منذ عام ١٩٣٣ شغل منصب أستاذ كامل، وأصبح منذ يونيو ١٩٣٩ أميناً عاماً للاتحاد البولندي للدراسات الشرقية، ومنذ عام ١٩٤٧ رئيساً الجمعية الشرقية البولندية)، بينما بالنسبة لوارسو قبل الحرب وفروتسواف ووارسو بعد الحرب فكان العقل المدبر هو البروفيسور أنانياش زايتشكوفسكي^(٣).

^٣ - معظم المعلومات التفصيلية في المقالة مقبسة من المصادر التالية في تأريخ الاستعاب البولندي: مارينك م. دزيكان، الدراسات العربية والإسلامية في جامعة وارسو بعد عام ١٩٤٥، مجلة الدراسات العربية والإسلامية (الجزء الأول)، عدد ٦، ١٩٩٨، ص. ١٧٦-١٨٣. مارينك م. دزيكان، الدراسات العربية والإسلامية في جامعة وارسو بعد عام ١٩٤٥، مجلة الدراسات العربية والإسلامية (الجزء الثاني)، عدد ٧، ١٩٩٩، ص. ١١٤-١٢٥. زيغنيف لاندوفسكي، الدراسات العربية في جمهورية بولندا الشعبية (١٩٤٥-١٩٩٠) النشوء والتاريخ والتحديث، دار إيبيستيمي للنشر، لوبلين ٢٠٢١. زيغنيف لاندوفسكي، المستعربون في بولندا (١٩٤٥-١٩٩٠)، دار إيبيستيمي للنشر، لوبلين ٢٠٢٣.

بعد افتتاح معهد الدراسات الشرقية بجامعة وارسو عام ١٩٣٢، تولى منصب المدير الأول فيه ستانيسلاف شاير، وكان مقره الأول قصر ستاشيتش في مركز المدينة، وتضمن أقساما علمية حول الدراسات المصرية والهندية والصينية والتركية. وقد شمل هذا الاختصاص الأخير (الدراسات التركية) في الوقت نفسه الأدب واللغة العربية والفارسية أيضا. وفي العام الدراسي ١٩٣٣/١٩٣٤م دخل المعهد أول طلبة وبدأوا دراستهم في الحلقات الدراسية المذكورة. وقد تم إنشاء معهد الدراسات التركية في وارسو إلى حد كبير بفضل جهود البروفيسور أنانياش زايتوشكوفسكي، وهو متخصص متعدد المواهب في قضايا الشرق الأوسط، والذي عمل كعالم الدراسات التركية والعربية والإيرانية في آن واحد. ثم أنشئت مكتبة معهد الدراسات الشرقية واحتوت في عام ١٩٣٦ على ١٢٠٠ كتاب من مختلف الاختصاصات. في نهاية ثلاثينيات القرن العشرين، لم يكن مطلوبًا من المرشحين للدراسة اجتياز امتحانات القبول في الجامعة - فإن قبولهم تم فقط على أساس شهادات المدرسة الثانوية والدرجات التي حصلوا عليها. استغرقت الدراسة ١١ فصلاً دراسياً، أي أربع سنوات، ونال الخريجون درجة الماجستير. خلال الدراسة، استمرت الفصول الدراسية مع محاضري اللغات الشرقية لمدة ثلاثة فصول دراسية، على سبيل المثال: كانت دروس اللغة التركية تتألف من ٤ ساعات في الأسبوع (في العام الدراسي ١٩٣٨/١٩٣٩ كان يقوم بإدارتها موسى كاظم صبري). كما كان المحاضر الثاني (يدعى أ. خري) يعمل مدرسا للغة العربية بالتناوب في كل من جامعة يان كازيميرز في لفوف (حاليا أوكرانيا) وجامعة وارسو في الأعوام ١٩٣٠-١٩٣٨. بالإضافة إلى ذلك، فإن الكليات اللاهوتية لكلتا الجامعتين أقامت دروسا متوازية في الحضارة الإسلامية واللغات الشرقية الأخرى (الحية منها والميتة). في العام الدراسي ١٩٣٨/١٩٣٩، أقيمت محاضرات في الدراسات الشرقية في كلية العلوم الإنسانية بجامعة يوزيف بيلسودسكي في وارسو (هكذا سُميت جامعة وارسو آنذاك) لطلابها في مبنى المعهد الشرقي (الذي ضم أيضًا مكتبته) في شارع كرولفوسكي وسط وارسو. وقد شملت أيضا دروسًا في العلوم الهندية والعلوم الصينية ولغات الشرق القديم.

تبعات الحرب ونشوء الاستشراق الحديث في بولندا

وقد أدت الحرب في بولندا (١٩٣٩-١٩٤٥) إلى دمار مادي شامل تقريبا للبنية التحتية للبلاد بأكمله وخسائر بشرية واسعة النطاق (لقى مصرعه ما يقارب ٦ ملايين بولندي) مما أدى إلى فقدان القدرة على استعادة الموارد والكوادر البشرية الجامعية من قبل الحرب، الأمر الذي تسبب في، من بين مشاكل أخرى، إحداث فجوة فعلية ونوعية بين الأجيال من المستشرقين والباحثين الجامعيين في مجال الشرق الأوسط. وقد قُصفت وُثبتت وفُجرت وأُحرقت المباني والمرافق والممتلكات الجامعية بشكل ممنهج وكامل تقريبا من قبل العدوين الألماني والروس، وُثم، بعد انتهاء الأعمال الحربية وانتفاضة وارسو الدامية، قام البولنديون على حسابهم وبجهودهم فقط بجمع واسترجاع وشراء ما تبقى من الكتب والوسائل التعليمية ببطء وتدريج

وإعادتها إلى الجامعة التي تم إعادة إعمار مبانيها واحدا بواحد لعقود طويلة من الزمن، على غرار وارسو كلها. في نهاية عام ١٩٤٥، كانت كليتنا الاستشراق بجامعة وارسو وجامعة ياجيلونسكي توظفان ما مجموعه سبعة باحثين فقط نجوا من طواحين الحرب وغطرستها: بروفيسوران، ودكتوران، وثلاثة مساعدين. في الفترة الأولى كانوا يعملون في مبان ومرافق جامعية شبه مدمرة، ومجردة - في كثير من الأحيان - حتى من النوافذ والأبواب، بدون مجار وصرف صحي أو وسائل التدفئة شتاء.

وحلت نقطة التحول الكبيرة في مسار الدراسات الشرقية في جامعة وارسو عام ١٩٥٨، حيث بدأ العمل في قسم الدراسات التركية يوزيف بيلافسكي. قبل ذلك الوقت، لم يكن تخصص الدراسات العربية إلا جزءا من المجالات العلمية الأخرى ذات الصلة - مثل الحضارة واللغة التركية أو الدراسات الإيرانية. ولكن بفضل جهود يوزيف بيلافسكي، تم في عام ١٩٦٤ إنشاء وحدة جامعية مستقلة جديدة داخل معهد الدراسات الشرقية سُميت من ذلك الحين بشعبة الدراسات العربية، ونتيجة لذلك اكتسبت الدراسات العربية وجودًا مستقلًا.

في عام ١٩٦٦، كان معهد الدراسات الشرقية بجامعة وارسو هو المؤسسة البحثية والتدريسية الوحيدة في بولندا التي كانت تغطي مجمل الدراسات الشرقية بأكملها، وكانت آفاق تطويره تحدد تنمية الدراسات الشرقية البولندية بشكل عام، لأن المؤسسات التعليمية الأخرى - قسم فقه اللغة الشرقية بجامعة ياجيلونسكي في كراكوف ومعهد الدراسات الشرقية التابع للأكاديمية البولندية للعلوم في وارسو - كان لها طابع بحثي وتدرسي مختلف: لم يكن معهد الدراسات الشرقية التابع للأكاديمية البولندية للعلوم مؤسسة تعليمية وتعامل بشكل أساسي مع الأبحاث التركية، بينما غطى قسم فقه اللغة الشرقية بجامعة ياجيلونسكي باهتماماته وتدرسه منطقة الشرق الأوسط فقط. على الرغم من أن مكنتات معهد الدراسات الشرقية بجامعة وارسو كانت تضم ٥٥ ألف مجلد في ذلك الوقت، إلا أنه يجب الاعتراف بأن مجموعات الكتب هذه كانت عشوائية إلى حد كبير.

فيما يخص خطة مجالات البحث الأكاديمي (حتى عام ١٩٨٠) فكان يشمل، بين أمور أخرى، الموضوعات العلمية التالية:

١. اللغة العربية الفصحى، والمعجمية العربية، واللهجات العربية؛
٢. الأدب العربي الكلاسيكي والمعاصر والنظرية الأدبية؛
٣. الفلسفة العربية الإسلامية؛
٤. الفولكلور والموسيقى العربية؛
٥. الاتجاهات الاجتماعية والدينية في العالم العربي المعاصر.

في الأول من أبريل ١٩٦٩، ونتيجة للاضطرابات السياسية في بولندا، تم تغيير اسم الوحدة إلى قسم الدراسات العربية والإسلامية. بالإضافة إلى ذلك، تم السماح بتوسيع نطاق البحث ليشمل الدراسات الإسلامية بالذات. ثم، في عام ١٩٧٣، وبسبب بعض المشاكل التنظيمية في الموظفين، تم دمج الدراسات العربية بصفة مؤقتة ضمن قسم الشرق الأوسط وأفريقيا، والذي كان يرأسه أيضاً البروفيسور يوزيف بيلافسكي. ومن الجدير بالذكر أن قسم الدراسات العربية كان أكبر وحدة تنظيمية في جامعة وارسو في ذلك الوقت.

في عام ١٩٧٥، تم إنشاء كلية اللغات الحديثة، ودخل معهد الدراسات الشرقية في تكوينها وأصبح أكبر وحدة تنظيمية من وحداتها، وفيه العدد الأكبر من الأقسام، وعدد كبير من الكوادر العلمية والبحثية، إلى جانب مئات الطلبة. وقد أشار هذا التباين في الهيكل إلى تزايد الصراعات داخل الكلية الجديدة. أما في المعهد نفسه، فتم دمج الوحدات الأصغر في ثلاث أقسام أكبر حجماً. وتم حل القسم الرابع فيه - قسم القضايا الآسيوية المعاصرة في عام ١٩٨١. بعد هذه الإصلاحات الإدارية، أصبح معهد الدراسات الشرقية يضم ١١ تخصصاً: فقه اللغة الهندية، والدراسات الأفريقية، والدراسات العربية والإسلامية، والدراسات المصرية، وفقه لغات الشرق الأدنى القديم، والدراسات الإيرانية، والدراسات اليابانية، والدراسات المنغولية، والدراسات السامية، والدراسات الصينية، والدراسات التركية. وشمل قسم الشرق الأوسط وأفريقيا برئاسة البروفيسور يوزيف بيلافسكي الدراسات العربية والإسلامية، والدراسات التركية، والدراسات الإيرانية، فضلاً عن الدراسات الأفريقية، والدراسات الإثيوبية، والدراسات العبرية، والتي أصبحت شعباً داخلية في تكوين القسم.

الفصل الثاني: نشوء قسم الدراسات العربية والإسلامية في جامعة وارسو

في عام ١٩٧٧، تم من جديد تغيير اسم شعبة الشرق الأوسط وأفريقيا إلى شعبة الشرق الأوسط والمغرب العربي، وذلك لأن المتخصصين في الأمور الأفريقية تمكنوا من إنشاء شعبة خاصة بهم للغات والثقافات الأفريقية. في الأول من مارس عام ١٩٧٩، ونتيجة للقرار السياسي الذي اتخذته مجلس عمداء كلية فقه اللغات الأجنبية في جامعة وارسو، تم لأسباب سياسية عزل البروفيسور يوزيف بيلافسكي من منصب كرئيس لشعبة الشرق الأوسط والمغرب العربي (وذلك رغم حصوله في نفس السنة على العضوية في الأكاديمية الوطنية العراقية للعلوم^(٤))، وحل محله لفترة وجيزة بروفيسور الدراسات السامية فيتولد تايلوخ. في

٤ - ثم، بعد تغيير إدارة الجامعة، تم إلغاء هذا القرار الإداري، موضحاً في بيان صادر عن الجامعة أنه كان "قراراً خاطئاً وغير مبرر له". تُعد أهمية ودور البروفيسور بيلافسكي في تطوير الدراسات العربية والإسلامية في بولندا بعد الحرب العالمية الثانية بالغ الأهمية، بل وحاسماً. وقد جعل البروفيسور مجال الإسلام وقضايا الفلسفة العربية أحد المواضيع الرئيسية لدراساته ومنشوراته. وتشمل قائمة منشوراته العلمية عدد ٢٢٧ كتاباً ومقالةً وبخناً عليماً نُشرت بين أعوام ١٩٥٠ و ١٩٨٤.

العام الدراسي ١٩٨٠/١٩٨١، أصبح رئيسةً لشعبة الدراسات العربية البروفيسورة كريستينا سكارزينسكا-بوخينسكا، أول خريجة لدراسات ماجستير لدى يوزيف بيلافسكي، كما تم القرار بالعودة إلى الاسم السابق للشعبة وهو شعبة الدراسات العربية والإسلامية. وبعد ذلك، لسنوات طويلة، شغل البروفيسور يانوش دانيتسكي منصب رئيس قسم الدراسات العربية والإسلامية لمدة ٢٥ عامًا، ومنذ عام ٢٠٠٦ أصبحت ترأسه البروفيسورة كاتارزينا باخنيك. في ٢٣ يناير ٢٠٠٨، تم تحويل معهد الدراسات الشرقية إلى كلية الدراسات الشرقية، وفي ٢٤ فبراير ٢٠٠٩، بموجب قرار مجلس جامعة وارسو، تم تغيير اسم شعبة الدراسات العربية والإسلامية إلى قسم الدراسات العربية والإسلامية، وهو حاليًا من أكبر ثلاث وحدات علمية في جامعة وارسو.

كانت الحقبة من ١٩٨٠ إلى ١٩٨٩ فترة نشاط علمي متزايد لموظفي معهد الدراسات الشرقية، والذي كان يعمل به في عام ١٩٨٠ حوالي ٧٠ باحثًا ودرس فيه ما يقرب من ٣٥٠ طالبًا. وكما ذكرنا، منذ عام ١٩٨١، تولى الدكتور يانوش دانيتسكي (والذي نال درجة دكتوراه الدولة عام ١٩٨٢، والأستاذية عام ١٩٨٩) منصب رئيس لشعبة الدراسات العربية والإسلامية لربع من القرن. ولكن في بداية الثمانينيات، تأثرت الحياة الجامعية باضطرابات سياسية وعسكرية عميقة شملت كافة أنحاء البلاد والقطاعات والمجالات، وبالتدريج غرقت الحياة الجامعية، وحياة البلاد بأكملها، في حالة من الفوضى السياسية والاقتصادية؛ وفي الخريف لعام ١٩٨١ اندلعت إضرابات طلابية، والتي انتهت قبيل فرض الأحكام العرفية في ١٣ ديسمبر ١٩٨١، مما جمد العمل الجامعي والتدريسي تقريبًا.

وبعد عودة الأمور السياسية إلى الهدوء النسبي، في عام ١٩٨٦، كان معهد الدراسات الشرقية في جامعة وارسو يتألف من خمس شعب: فقه لغات الشرق القديم، وشعبة الدراسات المصرية، والدراسات العبرية، والدراسات العربية والإسلامية، ودراسات الشرق الأوسط والشرق الأقصى، واللغات والثقافات الأفريقية. تم تدريس أكثر من ٢٠ لغة من آسيا وأفريقيا. وكان يعمل بالمعهد ٨٠ موظفًا للبحث والتدريس ودرس فيه حوالي ٣٠٠ طالب. هذا، وقد شهدت شعبة الدراسات العربية والإسلامية تطوراً هائلاً خلال العقود القليلة الماضية، حيث ارتفع عدد الطلاب فيها عدة مرات - من خريج واحد أو اثنين سنويًا في أوائل الستينيات إلى أكثر من عشرين خريجًا سنويًا في الثمانينيات والتسعينيات.

منذ بداية استقلاله التنظيمي والإداري (كقسم)، نجح قسم الدراسات العربية والإسلامية في وارسو في توظيف العديد من المحاضرين العرب الأصليين في نفس فترات التوظيف الزمنية كان معظمهم من سوريا ومصر والعراق، وعادة ما كانوا يقدمون دروسًا بالفصول الدراسية للطلاب الدارسين في كل سنوات الدراسة، الأمر الذي أصبح طريقة مخططة من قيادة القسم "لتعريف" الطلبة باللهجات وطرق النطق المختلفة

لغة العربية. وبما أن الدراسات الأفريقية أصبحت تخصصاً مستقلاً منفصلاً داخل معهد الدراسات الشرقية بجامعة وارسو (بعد إنشاء قسم الدراسات الأفريقية)، وليست تخصصاً ضمن الدراسات العربية من ناحية التركيب الإداري، فإن منهج الدراسات العربية لم يتضمن اللغات الأفريقية، ولكن، من ناحية أخرى، تم تدريس اللغة العربية في قسم الدراسات الأفريقية كلفة إضافية وكانت تجرى فيه بعض الأبحاث العلمية في مجال الإسلام في القارة الأفريقية.

الوجه الحديث للدراسات العربية في وارسو

منذ عام ١٩٩٣، ينشر قسم الدراسات العربية والإسلامية مجلة الأكاديمية باللغات الأجنبية تحت عنوان "دراسات العربية والإسلامية" (تم نشر ١٤ عددًا حتى الآن)، وفي عام ٢٠١١ بدأ رئيس تحرير المجلة البروفيسور يانوش دانيتسكي ومديرة قسم الدراسات العربية والإسلامية البروفيسورة كاتارزينا باخنيك العمل على سلسلة جديدة تحت عنوان "منشورات الدراسات العربية والإسلامية" والتي تنشر أعمالاً أصلية في مجال الدراسات العربية والإسلامية.

من الجدير بالذكر أن مقر قسم الدراسات العربية والإسلامية يقع وارسو عاصمة بولندا الإدارية والسياسية، والتي تتمحور فيها وحولها جميع أهم دوائر الدولة ومؤسساتها والوزارات الحكومية المركزية وسفارات الدول العربية والإسلامية، فكان خريجوا القسم من المستعربين والمستشرقين وكأئهم من ذوي الامتياز الخاص حيث كانوا يقدون خدماتهم لمختلف الجهات والأطراف من الترجمات والاستشارات والخدمات التجارية في شتى المجالات باعتبارهم همزة الوصل بين الدولة البولندية وبلاد الشرق، مما سمح لهم كذلك بإقامة علاقات شخصية مباشرة مع شخصيات بارزة في الحياة السياسية والاقتصادية والدبلوماسية في ذلك الوقت، الأمر الذي سهل بدوره مختلف الإجراءات خاصة في أيام الحقبة الاشتراكية، ومنها على سبيل المثال لا الحصر: تسهيل الحصول على المنح الدراسية للموظفين والطلبة في الشرق الأوسط، وإسراع إجراءات توظيف الطلاب أثناء إقامتهم في الدول العربية في البعثات الدبلوماسية البولندية (وذلك في مناصب مختلفة، منها كترجمين أو منسقين أو مساعدين). كما سهل ذلك شراء الكتب ومواد التدريس من مكتبة المطبوعات المستوردة الموجودة في ذلك الوقت في قصر الثقافة والعلوم وسط وارسو. وكان موظفو القسم والطلاب يشاركون في كثير من الأحيان في حفلات الاستقبال الدبلوماسية والأمسيات التي نظمتها سفارات الدول العربية بمناسبة الأعياد الوطنية والزيارات الرسمية وغيرها من المناسبات الهامة، كما تمت استضافة كبار المسؤولين من الدولة والبعثات الدبلوماسية في جامعة وارسو للمشاركة في الندوات والفعاليات والمؤتمرات والمهرجانات، وحتى كانوا غالبًا ما يتعاونون في تنظيمها. إنه أمر أصبح دافعاً إضافياً قوياً لتطوير العلاقات بين الموظفين والطلبة، والأهم من ذلك، بين الجامعة ونظيراتها في الدول العربية. ومع التطور السريع للدراسات العربية في وارسو

في السبعينيات والثمانينيات والتسعينيات من القرن العشرين، كانت منشورات القسم وأعماله الأدبية والعلمية والتربوية، بما في ذلك الترجمات، ذات سمعة و أهمية كبيرة.

خلال الفترة من نهاية الحرب العالمية الثانية وحتى بدايات القرن الحادي والعشرين، خرّج قسم الدراسات العربية والإسلامية مئات من الخريجين الأكفاء (أصحاب دبلوم اللسانس والماجستير والدكتوراه)، وواصل الكثير منهم العمل في مهنتهم كمستعربين ومستشرقين داخل البلاد وخارجه. وكانت تُنشر في وارسو مجلّتان دوريتان في مجال العالم العربي والإسلامي - "المجلة السنوية للدراسات الشرقية" و"مجلة استعراض الشرق"، وكانت كلتاها في معظم ذلك الوقت تحت إشراف الهيئة المختصة في الأكاديمية البولندية للعلوم. حتى سقوط جمهورية بولندا الشعبية، أصبح خريجو قسم الدراسات العربية والإسلامية في وارسو هم من العناصر المهمة العاملة في مختلف وسائل الإعلام (مثلا في هيئة التحرير بالقسم العربي في الإذاعة البولندية الرسمية، والعديد من الصحف والجرائد وأقسام العلاقات العامة والتلفزيون البولندي والشركات التجارية، بما في ذلك مجلة "الصدّاقة" الليبية والبولندية) وفي قطاع الترجمات الأدبية (حيث أن وارسو احتضنت معظم أكبر دور النشر في بولندا)، وجعل كل ذلك من جامعة وارسو بشكل عام ومن كلية الاستشراق بشكل خاص على المستوى العلمي والاجتماعي المركز الأكثر ديناميكية وحماسا للدراسات العربية في بولندا.

يبلغ عدد مجموعة المستعربين ذوي الخبرة العملية في بولندا اليوم نحو ١٠٠٠-١٥٠٠ شخص، على الرغم من أن معظمهم لم يعودوا نشطين مهنيا لأسباب عديدة (بما في ذلك السن، واختيار العمل في مهن أخرى، وانعدام الاتصال باللغة لفترة طويلة، وما إلى ذلك). خلال الفترة قيد الدراسة في هذا البحث، تراوح عدد المستعربين من بضعة أشخاص (في الأربعينيات والخمسينيات من القرن العشرين) إلى حوالي ١٠٠٠ شخص (في الثمانينيات والتسعينيات وبدايات القرن الحادي والعشرين). ووصل عدد الخريجين إلى ذروته في أواخر السبعينيات والثمانينيات، ثم بدأت مجموعاتهم في الانخفاض، لكن هذا الهبوط شمل بشكل رئيسي الفترة التالية من التاريخ البولندي بعد سقوط الاشتراكية. وقد تجاوزت أكبر دفعة من خريجي الدراسات العربية في جامعة وارسو حاجز بضعة وعشرين خريجاً في عام دراسي واحد. إننا نقدم هنا أرقاماً تقريبية فقط، لأسباب سأشرحها لاحقاً. وكان المستعربون بكل التأكيد يشكلون نخبة ثابتة من المتخصصين ذوي المؤهلات العالية والفريدة، ولذلك، على الرغم من قلة عددهم في نطاق المجتمع بأكمله (ويبلغ تعداد الشعب البولندي نحو ٣٨ مليون نسمة)، فقد لعبوا دوراً مهماً في الحياة الاجتماعية والاقتصادية للبلاد.

من الناحية التاريخية، كان مسار التاريخ العالمي بعد الحرب العالمية الثانية، في عهد جمهورية بولندا الشعبية - مترابلاً بشكل وثيق بمسألة إنهاء الاستعمار وفك الاستقطاب الجيوسياسي للعالم، مما ساهم خلال

حقبة جمهورية بولندا الشعبية، بين أسباب أخرى، في رعاية الدولة البولندية للتطوير السريع للدراسات العربية في بولندا. إن عملية إنهاء الاستعمار السريعة، التي بدأت في عام ١٩٦٠ من قبل الأمم المتحدة، شملت العديد من الدول الاستعمارية في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. وكانت أغلب هذه الدول من البلاد الأفريقية والآسيوية، وقد ساهم الاهتمام السياسي بها من جانب دول الكتلة الاشتراكية في ترسيخ الدراسات العربية في جمهورية بولندا الشعبية كتخصص مستقل وحقل من العلوم الشرقية. تم إنشاء أقساما ومعاهد، وتم استحداث الوظائف، وزيادة حصص القبول.

اللغة العربية ليست فقط واحدة من اللغات الرسمية الست للأمم المتحدة واللغة الخامسة الأكثر انتشارا في العالم: بل يتحدث بها ما يقرب من ٤٠٠ مليون شخص ويفهمها إلى حد كبير (على الأقل من الناحية الدينية) أكثر من مليار شخص. إنها اللغة الأولى في ٢٣ دولة تمتد من الخليج العربي إلى المحيط الأطلسي ومن البحر الأبيض المتوسط إلى المحيط الهندي. علاوة على ذلك، فإن العالم الناطق باللغة العربية، وكذلك العالم الإسلامي الأوسع، هم أسرع الشعوب نمواً من حيث الديموغرافيا. ومن ثم، كان من مصلحة جمهورية بولندا الشعبية بشكل واضح تثقيف مجموعة اجتماعية كبيرة قادرة ليس فقط على الترجمة من وإلى اللغة العربية، بل وفهم الثقافة، وإقامة الاتصالات والتعاون مع ممثلي العالم العربي والإسلامي. وكان إتقان القدرة على فهم هذا الجزء غير المستقر من العالم والتواصل معه بشكل فعال يهدف أيضاً إلى ضمان الأمن في الاتصالات الدولية وكان في المصلحة الاقتصادية والسياسية الواضحة لجمهورية بولندا الشعبية والبلدان الأخرى في المعسكر الاشتراكي. وفي وقت لاحق، في سبعينيات وأوائل ثمانينيات القرن العشرين، سمح هذا بزيادة كبيرة في عدد طلاب الدراسات العربية، وفي الوقت نفسه قام العديد من المستعربين - الطلاب والخريجين والمحاضرين - بالتدريب والدراسات والعمل المهني الطويل الأمد في الدول العربية، مما أدى في الواقع إلى تغيير كبير في صورة الدراسات الجامعية.

ولذلك حظيت الدراسات العربية في بولندا - إلى حد ما - بأولويات وحتى امتيازات، على سبيل المثال: كان بإمكان المستعربين أن يتعاونوا (مقابل أجور بعمولات صعبة معفاة من الضرائب) مع المجلة الوحيدة في بولندا التي كانت تنشرها دولة أخرى (ليبيا)، وهي مجلة "الصدّاقة". علاوة على ذلك، هناك بطبيعة الحال قيمة علمية ومعرفية وفكرية متأصلة في تعلم اللغة العربية، وهي تلعب دوراً في تشكيل الثقافة والتوعية الاجتماعية، الأمر الذي شكل ليس فقط طلاب الدراسات العربية، بل أيضاً، على سبيل المثال، المشاركين في الدورات اللغوية التي كانت تنظمها جمعية الصداقة البولندية العربية. لقد أدركت السلطات البولندية في ذلك الوقت - من وجهة نظر أيديولوجية واقتصادية وسياسية - الفوائد التي يمكن أن تجلبها الاستثمارات في الدراسات العربية. وبالإضافة إلى النفوذ والهيبية، فقد ترجمت هذه الاستثمارات والإنجازات إلى دخل مالي محدد وقابل للقياس: تدفق العملة من الدول العربية، وتطور أسواق السلع التصديرية (مثل

مصانع السكر، ومصانع الأسلحة، والخدمات، والتعليم، وما إلى ذلك)، ولهذا السبب تمت زيادة حدود قبول الطلبة في الدراسات العربية. هذا المنظور الحكيم الطويل الأمد بات واضحاً أمام عوين صناع القرار والباحثين حتى قبل الحرب العالمية الثانية. في عام ١٩٣٨، كتب البروفيسور تاديوش كوفالسكي: "من بين العلوم الإنسانية، فإن ما يسمى بالدراسات الشرقية [...] هو مجال يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالحياة العملية واحتياجات الدولة بشكل واضح وبصفة خاصة".

على مدى ما يقرب من نصف قرن من الزمان، شهدت الدراسات العربية في بولندا بشكل عام، وفي جامعة وارسو بشكل خاص، "عصرها الذهبي": فترة من الازدهار التي انتهت مع انتهاء الحقبة الاشتراكية في التسعينيات، ولكن ظلت نتائجها الإيجابية من النشاط العلمي والتعليمي أثماره موجودة بين صفوف متعلمة ومتقفة من خريجي هذه الدراسات. لقد خرّج جميع مراكز العلوم الاستشرقية البولندية حتى الآن ما يزيد على ألف خريج من الدراسات العربية، وهم استخدموا مؤهلاتهم في مختلف مجالات الممارسة في عملهم المهني: في المؤسسات الحكومية (الجامعات والوزارات)، والشركات (مثل بوديمكس، ودرومكس، وتسيكوب، وغيرها)، والبعثات الدبلوماسية والثقافية والتجارية الأجنبية، ودور النشر والمتاحف والمكتبات، وكذلك في أوساط المترجمين المحلفين والأدبيين. في تأريخ الدراسات الشرقية البولندية ككل، كانت هذه مرحلة تاريخية خاصة أثرت على الشكل الحالي للدراسات الشرقية والمؤسسات التي تديرها، وبنيتها، ونطاق نشاطها وموظفيها، وبالتالي فإن البحث والتحليل وتوصيف الظواهر المتعلقة بنشاطها ووجودها في هذه الفترة التاريخية يشكل جزءاً مهماً من تاريخ العلوم البولندية.

في عهد جمهورية بولندا الشعبية، كان للدراسات العربية كمؤسسة تأثير ملحوظ على تطوير الدراسات الشرقية في بولندا، وبناء الوعي الاجتماعي للبولنديين (التعددية الثقافية)، والحياة الاقتصادية للبلاد (بما في ذلك التعامل مع عقود التصدير وإبرامها)، والسياسة الخارجية للبلاد (التعاون الدولي مع الدول العربية، والدبلوماسية) وأثرت بشكل مباشر على الوضع السياسي في البلاد (بفضل الدراسات العربية حصلت السلطات على موارد مالية - على سبيل المثال ضمان ائتماني بملايين الدولارات بالعملة الأجنبية من بولندا إلى العراق - للحفاظ على النظام السياسي في البلاد خلال الأزمة الاقتصادية). وفي الوقت نفسه، كان للمستعربين (خريجي الدراسات العربية، وليس فقط أعضاء هيئة التدريس) تأثير هام على الحياة السياسية والاقتصادية والعلمية والثقافية ليس فقط في بولندا، بل أيضاً في بعض المناطق الأخرى في العالم، على سبيل المثال، في مجال النشاط العلمي (أصبح بعض من الخريجين محاضرين بارزين في الجامعات بالولايات المتحدة ودول أوروبا الغربية). ولم يكن هذا بالطبع حكراً على المستعربين البولنديين" فحسب - وفي الواقع، وبالمقارنة مع المستعربين السوفييت أو الروس، كنا متأخرين كثيراً: ففي الاتحاد الروسي، كان رئيس

الاستخبارات ورئيس الوزراء والوزير ذو النفوذ الاستثنائي لفترة طويلة من الزمن، رجلاً مستعرباً - إيفجينيف بريماكوف. وفي بريطانيا، كان المستعربون ولا يزالون من بين السياسيين والمسؤولين الأكثر نفوذاً في مختلف الوزارات التي تشكل العلاقات الخارجية للبلاد. حتى وقت قريب، كان الأمر مشابهاً في الولايات المتحدة.. وبالعودة إلى قسم الدراسات العربية والإسلامية في كلية الاستشراق بجامعة وارسو، فهو يقدم حالياً دراسات في مختلف مجالات واختصاصات الدراسات العربية والإسلامية، ولكن إجراءات القبول فيه لا يتم إلا بشكل مركزي من قبل كلية الدراسات الشرقية، وفي الآونة الأخيرة من قبل جامعة وارسو مركزياً. ويتم قبول الطلب للدراسة سنوياً، ومنذ عام ٢٠٠٧ / ٢٠٠٨ تم تقسيمها إلى دراسات المرحلة الأولى (دراسات اللسانس مدتها ٣ سنوات) والمرحلة الثانية (دراسات الماجستير مدتها سنتان). كذلك في العام التالي، وبشكل مؤقت، بدأ تسجيل قبول الطلبة للدراسات بدوام جزئي (دراسات مسائية) للمرحلة الأولى. كما يضم قسم الدراسات العربية والإسلامية أيضاً طلاب الدكتوراه الذين يجرون بحوثاً أدبية ولغوية في مجال الدراسات العربية والإسلامية.

حالياً، الاتجاهات البحثية الرئيسية في قسم الدراسات العربية والإسلامية هي: الدراسات الأدبية، وتاريخ الأدب الكلاسيكي والمعاصر، ودراسات الترجمة، ودراسات فقه اللغة، ولهجات اللغة العربية، والدراسات الإسلامية، والفلسفة الإسلامية، وتاريخ الفكر السياسي الإسلامي، وثقافة الجزيرة العربية قبل الإسلام، والثقافة العربية الإسلامية الكلاسيكية، وإثنولوجيا العالم العربي، والعادات اليومية، وتاريخ ومشاكل العالم العربي السياسية، والتاريخ العرقي، وتاريخ الدراسات العربية والإسلامية، والثقافة الشعبية في العالم العربي، ومنهجية تدريس اللغة العربية.

كما يحتوي قسم الدراسات العربية والإسلامية على أكبر مكتبة عربية في بولندا. ويصدر سنوياً المجلة العلمية المشهورة دولياً "الدراسات العربية والإسلامية". ومن بين موظفيه، بالإضافة إلى الأساتذة المذكورين أعلاه، تجدر الإشارة إلى البروفيسور ماريك دزيكان، والبروفيسورة آنا ليفيتسكا، والبروفيسور مارتشين غرودزكي، والدكتورة ماجدالينا كوباريك، والدكتورة ماجدالينا بينكر، والدكتور عبد القادر مصلح، والماجستيرة أمل الشبخة، والماجستيرة جؤانا موشياتيفيتش، والماجستير داليا نظمي. يمكن وصف الكوادر العلمية والتعليمية في قسم الدراسات العربية والإسلامية في جامعة وارسو، بعضويتهم وهيئة البحث والتدريس الحالية، على أنهم جميعهم طلاب للبروفيسور يوزيف بيلافسكي وورثته في مجال الدراسات الشرقية، باعتباره الأب المؤسس للدراسات العربية والإسلامية في وارسو، التي أصبحت من ذلك الحين تُسمى "بمدرسة بيلافسكي".

الخاتمة

توصل البحث الى النتائج الاتية:

- يُعد قسم الدراسات العربية والإسلامية في جامعة وارسو حاليًا أكبر مركز للدراسات التي تخصص العالمين العربي والإسلامي وأكثرها تطورًا ويحتل مكانة مرموقة في بولندا، وهي الدولة التي يبلغ عدد سكانها قرابة ٣٨ مليون نسمة، ومن المتوقع أن تنضم إلى مجموعة العشرين للدول المتقدمة عام ٢٠٢٦.
- هذا ومع التطور الاقتصادي والتجاري والعلمي يزداد الطلب وبشدة على خريجي قسم الدراسات العربية والإسلامية ذوي الكفاءات والمهارات العلمية والمهنية واللغوية العملية العالية، والذين يشكلون نواة لكوادر السلك الدبلوماسي البولندي في الدول العربية والإسلامية، حيث يعملون دبلوماسيين وسياسيين وباحثين وأكاديميين و مترجمين للأدب العربي ومترجمين محلفين، وفي مناصب ووظائف مختلفة في القطاعين العام والخاص داخل البلاد وخارجها.
- وكان الهدف الاسمي لهذا هو إبراز تاريخ الدراسات العربية والإسلامية في وارسو وتراثها بإيجاز، والذي لولاه لما كان لهذا القسم أن يحقق نجاحاته وإنجازاته الحالية. ومن الجدير بالذكر أن كلية الاستشراق التي يتبع لها القسم ضمن أقسام عديدة أخرى قد قامت بتغيير اسمها في أواخر عام ٢٠٢٥م - حيث كان الاستشراق يرتبط بشكل أو بآخر بمرحلة الاستعمار - إلى كلية الثقافات الآسيوية والإفريقية في محاولة للتأكيد على الطابع الثقافي والحضاري للدراسات التي يتناولها نشاط الكلية الأكاديمي بشكل عام

المصادر والمراجع:

١. زيغنيف لاندوفسكي، "الدراسات العربية في جمهورية بولندا الشعبية (١٩٤٥-١٩٩٠)
٢. زيغنيف لاندوفسكي، "المستعربون في بولندا (١٩٤٥-١٩٩٠)"، دار إيبستيمي للنشر، لوبلين ٢٠٢٣.
٣. فلادسلياق كوتفيتش، "ندوات المستشرقين البولنديين، وارسو- فيلنيوس (١٩٣١-١٩٣٢)،
٤. ماريك م. دزيكان، "الدراسات العربية والإسلامية في جامعة وارسو بعد عام ١٩٤٥"،
٥. مارية كوزلوفسكا - المؤتمر الرابع والثلاثون للمستشرقين البولنديين - الذكرى التسعون للجمعية الشرقية البولندية (١٩٢٢-٢٠٢٢م) - الجمعية الشرقية البولندية - وارسو ٢٠١٢
٦. مجلة الدراسات العربية والإسلامية (الجزء الأول)، عدد ٦، ١٩٩٨.
٧. مجلة الدراسات العربية والإسلامية (الجزء الثاني)، عدد ٧، ١٩٩٩.
٨. مجلة المستشرقين العدد ٥، الجمعية الشرقية البولندية، ١٩٣٤.
٩. محمد حسين و ريشارد كوروفسكي - دورة موجزة في اللغة العربية - المكتبة البولندية للغات - فييدزار بوفسيتشنا - بولندا - وارسو ١٩٧٣
١٠. يان رايخمان - دراسات الشرقية في الأدب البولندي - مجموعة مقالات - معهد أوسولينسكيشالوطني - بولندا - فروتسواف ١٩٧٠
١١. النشوء والتأريخ والتحديث"، دار إيبستيمي للنشر، لوبلين ٢٠٢١.

1. <http://arabistyka.uw.edu.pl/historia>
2. <http://orient.uw.edu.pl/o-wydziale>
3. <https://pto.orient.uw.edu.pl>

الإحالة في العقد الاستشاري

Assignment in the consulting contract

م. د علي حازم اهيبيل⁽¹⁾

Lect. Ali Hazem Ahabiel (PhD)

الملخص

العقود الإدارية هي وسيلة الإدارة في سدّ احتياجاتها وإشباع الحاجات العامة التي يتطلبها سير المرفق العام في انتظام واطراد، فبالعقود تتحقق الأهداف المبتغاة من انعقادها، سواء أكان في جانبها المالي أم الفني، فليس الأعمال جميعها يمكن للإدارة أن تقوم بها بنفسها بالإمكانات المتوافرة لديها، فبعض الأعمال تحتاج لتنفيذها خبرة فنية عالية المستوى، وهي ما تفقده الإدارة في أغلب الأحيان؛ لذلك تلجأ إلى التعاقد مع استشاري ذو خبرة فنية عالية في المجال المراد التعاقد من أجله، فتهيؤ ورقة بيانات، ومن ثم توجه دعوة لمن تجد فيه القدرة والخبرة في التنفيذ، بذلك ظهر هذا النوع من العقود الإدارية الذي يطلق عليه العقد الاستشاري، والذي أختلف في نقطة انعقاده والاثار المترتبة عليه عن باقي العقود الإدارية، والإحالة في العقد الاستشاري تنقل أو تحول جزء من تنفيذ المشروع المزمع تنفيذه، أو لغرض تقديم استشارة في موضوع معين الى شخص من خارج جهة الإدارة، أو لشركة متخصصه بهذه الاستشارات، وسبب ذلك هو افتقار جهة الإدارة المتعاقدة على الخبرة المطلوبة في تنفيذ مشروع ما.

الكلمات المفتاحية: العقد الإداري، الإحالة، العقد الاستشاري.

١- مستشار قانوني في وزارة التربية/ المديرية العامة لتربية محافظة كربلاء المقدسة alihazimahbail@gmail.com

Abstract

Administrative contracts are the administration's means of meeting its needs that are required by the regular and consistent functioning of the public facility. Through contracts 'the objectives sought from administrative contracts are achieved 'whether in their financial or technical aspects. Not all tasks can be carried out by the administration itself with the capabilities available to it. Some tasks need to be implemented. High-level technical expertise 'which is what management often loses; Therefore 'you resort to contracting with a consultant with high technical experience in the field for which you want to contract 'so you prepare a data sheet and then send an invitation to whoever you find has the ability and experience in implementation. Thus 'this type of administrative contract appeared ' which is called the consulting contract 'and the point of its conclusion differed. And its consequences.

Keywords: administrative contract 'referral 'consulting contract

المقدمة

أولاً: - فكرة البحث

إنَّ الإدارة وهي بصدد إبرامها للعقود الإدارية الاستشارية التي أصبحت من المسائل المهمة، والملحة في المواضيع التي تفتقد فيها الإدارة الى الخبرات، والكفاءات، والادوات اللازمة، فواجب الإدارة هو إشباع الحاجات العامة من طريق المرفق العام، الذي لا بدّ من سيره بانتظام واطراد، فقد تحتاج الإدارة وهي في سبيل اشباع حاجات المواطنين العامة من الاستعانة بمتخصصين تفقدهم ضمن كوادرها، والاستعانة بمؤلاء المتخصصين بطريق التعاقد معهم لأجل الحصول على خدمات تحتاجها الإدارة هي خدمات ذات طبيعة استشارية، أو أن الإدارة تفتقد الادوات، والمستلزمات لتنفيذ مشروع يشبع الحاجات العامة، أو أن الإدارة في بعض الأحيان تترك عمل معين لأصحاب اختصاص؛ لأن تلك الأعمال تخرج عن المهام الملقاة على عاتقها، وتتماز تلك الجهات بامتلاكها العقول المتخصصة، وذات الكفاءة العالية في مجال تنفيذ مشروع معين، فتلجأ الإدارة الى العقد الاستشاري لإتمام تلك الأعمال، والعقود الإدارية بصورة عامة ومن ضمنها العقد الاستشاري تخضع لقيود عدّة، فلا يوجد لها مثيل في نطاق العقود التي يبرمها الأفراد في إطار القانون الخاص؛ لأنّ الإدارة تستهدف المصلحة العامة، وهذه القيود تتجسد في إبرام العقد الإداري من جوانب عدّة تظهر في ضوء النظام القانوني لأساليب اختيار المتعاقد مع الإدارة، وإجراءات، ومراحل العملية التعاقدية، فنلاحظ أنّ الإدارة غير مطلقة الحرية باختيار من تريد التعاقد معه في بعض العقود، وتكون لها حرية محدودة في بعضها الآخر، فهي تكون مقيدة بقيود يجب عليها إتباعها؛ من أجل الوصول

إلى أفضل اختيار ممكن أن يتمتع به المتعاقد معها من ناحية الكفاءة الفنية المطلوبة لتنفيذ المشروع الذي تفتقر جهة الإدارة إليها .

لذلك، يقع على عاتق اللجنة المختصة بإحالة العقد الاستشاري في الدعوة المباشرة واجب اختيار أفضل استشاري من الناحية الفنية للتعاقد معه، ووفقاً لما يرسمه القانون لها، لتصدر هذه اللجنة قرارها بالإحالة، وهذا القرار هو قرار إداري تجتمع فيه مقومات القرار الإداري كافة، من حيث الجهة المصدرة له، وإقراره من قبل جهة أخرى مختصة بالتصديق عليه، إذ لا يمكن استبداله بعد إقراره.

ثانياً: - أهمية البحث

تتضح أهمية البحث في إحالة العقد الاستشاري لكونها تساعد في تحسين الكفاءة، وتوفير الوقت، والتكاليف على اختلاف أنواعها، فيمكن للمستشارين أن يقوموا بتقديم رؤى جديدة، وحلول مبتكرة مستندين بذلك إلى خبراتهم المتراكمة، وتظهر الأهمية كذلك في ضوء التعريف بقرار الإحالة في العقود الاستشارية، وبيان الطبيعة القانونية لهذا القرار، وبيان الآثار المترتبة على قرار الإحالة، حتى يتضح لنا من هي الجهة المختصة بالطعن بقرار الإحالة أمامها.

ثالثاً: - إشكالية البحث

تظهر لنا إشكالية البحث في ضوء الإجابة عن الأسئلة التالية، هل قرار الإحالة في العقد الاستشاري هو قرار إداري نهائي؟ أم هو قرار إداري مركب؟ وما هي الجهة المختصة بالإحالة في العقود الاستشارية؟ وهل لقرار الإحالة آثار قبل توقيع العقد الاستشاري وبعد توقيعه؟

رابعاً: - منهج البحث

سيتم اتباع المنهج التحليلي القائم على تحليل بعض نصوص تعليمات تنفيذ العقود الحكومية، وكذلك شروط الوثائق القياسية، وبيان آراء الفقه، وموقف القضاء من قرار الإحالة.

خامساً: - خطة البحث

سنقسم هذا البحث على مطلبين، المطلب الأول سنتناول فيه تعريف الإحالة في العقد الاستشاري لغةً واصطلاحاً في فرع، وبحث التكليف القانوني لقرار الإحالة في العقد الاستشاري في فرع ثانٍ. وأما الثاني سنبحث فيه الآثار القانونية لقرار الإحالة في فرعين، الأول يتضمن الآثار القانونية للإحالة قبل اعتماد قرار الإحالة في العقد الاستشاري، وفي الثاني سنبين فيه تلك الآثار بعد اعتماد قرار الإحالة في العقد الاستشاري.

المطلب الأول: مفهوم الإحالة في العقد الاستشاري

الإحالة في العقود الإدارية ليست هي المرحلة الأخيرة في إبرام العقد الإداري، فبعد أن توصي لجنة الإرساء بإحالة العقد يتم بعد ذلك المصادقة على قرار الإحالة من قبل لجنة المصادقة والمراجعة، ومن ثم يبلغ من أُحيل عليه العقد الاستشاري بذلك، ويبلغ المستشارين الآخرين بقرار الإحالة لفتح باب الاعتراض على قرار الإحالة، وفي فترة (٧) أيام من تاريخ التبليغ بقرار الإحالة.

ومن أجل الإلمام بمفهوم قرار الإحالة في العقد الاستشاري، لا بدّ من التطرق إلى تعريفها، ومن ثمّ معرفة التكييف القانوني لقرار الإحالة، فهناك خلاف فقهي بين فقهاء القانون الإداري، وفقهاء القانون المدني حول الطبيعة القانونية لقرار الإحالة، هل هو عقد ينقذ بمجرد الإحالة، أم أنه لازال في طور الانعقاد ويحتاج إلى إجراءات أخرى ليتم انعقاده؟

وهذا ما سنتناوله في فرعين، الأول نتناول فيه تعريف الإحالة في العقد الاستشاري لغهً واصطلاحاً، وفي الثاني سنبين التكييف القانوني لقرار الإحالة في العقد الاستشاري تبعاً كالاتي:

الفرع الأول: تعريف الإحالة في العقد الاستشاري

يُعدُّ إبرام العقد الاستشاري من أسهل طرق التعاقد واسرعها واقصرها مدّةً؛ لأن جهة الإدارة وهي بصدد إبرامه تكون متحررة من القيود المفروضة عليها، فالإدارة هنا تكون حرة في اختيار من ترغب التعاقد معه، ومن تجد فيه الكفاءة اللازمة لتنفيذ المشروع والعمل المطلوب منه كاستشاري^(٢)، لذلك فإن إبرام العقد الاستشاري بالنسبة إلى جهة الإدارة يعد من أكثر الأساليب فعالية؛ لكونه يوفر لجهة الإدارة الوقت فضلاً عن تقليل النفقات، وهذا ما يمنحها مساحة واسعة من الحرية في اختيار الاستشاري من بين الاستشاريين الذين وجهت لهم الدعوة المباشرة، وهذا الأسلوب يمكنها من مواجهة الحالات الطارئة لتنفيذ الأعمال التي تكون لازمة لغيرها كأعمال الصيانة والترميم، ويتم إبرام وتنفيذ هذا النوع من العقود في ضوء الأسلوب " ...، توجيه الدعوة المباشرة مجاناً إلى ما يقل عن (٣) ثلاثة من المقاولين أو المهنيين أو الاستشاريين المعتمدين لرصانتهم وقدرتهم وكفاءتهم الفنية والمالية لتنفيذ مشاريع أو تعاقدات الجهات الرسمية.." ^(٣).

٢ - د. عبد العزيز عبد المنعم خليفة، الاسس العامة في العقود الإدارية، ط ١، المركز القومي للإصدارات القانونية، ٢٠٠٨،

ص ١٨١.

٣ - نص المادة ٣/ خامسا) من تعليمات تنفيذ العقود الحكومية رقم (٢) لسنة ٢٠١٤.

والعقد الاستشاري عُرف تعريفات عدة منها: "هو عقد يتعهد بموجبه الاستشاري على تقديم استشارة في مجال وتخصص معين إلى الإدارة مقابل مبلغ مالي"^(٤)، وعرفه آخر بأنه "الاتفاق بين الإدارة واستشاري متخصص في مجال معين يقدم بموجبه الاستشاري استشارة فنية أو ذهنية مقابل حصوله على أجر"^(٥)، إلا أن التعريف الأنسب له هو من عرفه على أنه "العقد الذي تبرمه الإدارة مع شخص آخر طبيعي، أو معنوي من أشخاص القانون العام أو الخاص، ويكون الهدف منه تقديم الاستشارات بأحد المجالات، أو الاختصاصات التعاقدية التي تحتاجها الإدارة، وفقاً للقانون، ولشروط العقد المتفق عليها بين الطرفين"^(٦)، والعقد الإداري الاستشاري ذو أهمية بالغة؛ لأنه يقلل من الأخطاء الواقعة من قبل دوائر الدولة؛ لأن دوائر الدولة لا تملك الخبرات التي يمتلكها بعض الاستشاريين في نطاق معين، وتجنب الإدارة الكلف العالية الناتجة من أخطاء التنفيذ^(٧)، وتعتمد العقود الإدارية على الوثيقة القياسية التي عرفتها وزارة التخطيط العراقية بأنها "وثائق دولية ذات طابع عراقي تراعي مصالح العمل ومقدم العطاء لأنها تتضمن التعليمات والأحكام لكل نوع من الأعمال كذلك تتضمن الامتثال لمبادئ الاقتصاد والشفافية في التنفيذ"^(٨)، عند اختيار الاستشاري.

أما إحالة العقد الاستشاري، فالإحالة وفقاً للمفهوم اللغوي، تُعرّف على إنها "جعل الأمر مقصوراً للمحال إليه مطلوباً منه، وصول الشيء فتحول، واحال الشيء على فلان جعله مقصوراً عليه، وحال الشيء تحول من حال إلى حال"^(٩)، والإحالة حسب قول بعضهم من أصحاب المعجمات أنها (احال الغريم: زجاء عنه إلى غريم آخر، والاسم الحوالة يقال أحلت فلاناً بما له عليّ، وهو كذا درهماً على رجل آخر لي عليه كذا درهماً أحياله إحالة) (١٠).

ومن شروط العقد الاستشاري كما نصت عليها تعليمات تنفيذ العقود الحكومية رقم (٢) لسنة

٢٠١٤ هي:

- ٤ - حيدر محسن حسين، الالتزامات المتقابلة للإدارة والمقاول في عقود الفيديك دراية مقارنة)، رسالة ماجستير مقدمة الى مجلس كلية القانون، جامعة الكوفة، ٢٠١٧، ص٧٦.
- ٥ - المرجع نفسه، ص٨٠.
- ٦ - د. صعب ناجي عبود الدليمي، الوثيقة القياسية في العقود الاستشارية، مجموعة محاضرات القيت على طلبة الدكتوراه- القسم العام، للعام الدراسي ٢٠٢١-٢٠٢٢، معهد العلمين للدراسات العليا، النجف الاشرف، العراق، ص٣.
- ٧ - المرجع نفسه، ص٥.
- ٨ - د. صعب ناجي عبود الدليمي، مدد عقد المناقصات العامة، مجموعة محاضرات القيت على طلبة الماجستير في القانون العام، ٢٠١٩-٢٠٢٠، معهد العلمين للدراسات العليا، النجف، العراق، ٢٠١٩، بلا صفحه.
- ٩ - محمد علي النجار، المعجم الوسيط، الجزء الاول، مجمع اللغة العربية، مطبعة مصر، ١٩٦٠، ص٢٠٧.
- ١٠ - جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، اعداد يوسف الخياط، دار لسان العرب، بيروت، بلا سنة طبع، مادة(حول)، ص٧٦١.

١. أن تكون الخدمة الاستشارية المطلوب تجهيزها ذا طابع تخصصي غير محتكرة.
 ٢. أن يتعلق موضوع الخدمة بأمن وسيادة الدولة التي تفتضيها ظروف الضرورة القصوى.
 ٣. أن تكون مواصفات الخدمة المطلوبة ذات تقنية عالية أو متطورة.
 ٤. أن تكون الجهة الاستشارية المراد التعاقد معها من الجهات الرصينة والمعتمدة جهة رصينة.
 ٥. أن يتم تحديد الاحتياجات والمواصفات معد من قبل جهة فنية مختصة مقترنة بمصادقة لجنة المراجعة والمصادقة.
 ٦. أن يتم التأكد من دقة المواصفات المطلوبة ومطابقتها للشروط المطلوب التعاقد عليها من قبل جهة فاحصة رصينة.
 ٧. موافقة اللجنة القطاعية في مجلس الوزراء مسبوقاً بتوصية لجنة المراجعة والمصادقة مع الإشارة إلى وجوب صدور قرارها خلال (١٤) يوم من تاريخ تغيير طلب الإدارة ويعد سكوتها عن البت فيه خلال المدة المذكورة موافقه ضمنية^(١١).
- وقد اختلفت التسمية التي تطلق على الإحالة في العقود بين القضاء والفقهاء، فالفقه العراقي يستعمل كلمة إحالة تارة وإرساء تارة أخرى، والإرساء لغةً تعني رساء الشيء: ثبت، رست السفينة وقفت عن السير في أحد الموانئ^(١٢)، وهذا الخلاف الحاصل بين الفقه والقضاء في العراق جاء على خلاف ما هو مستقر عليه في فرنسا ومصر، إذ استعمل في كلا البلدين كلمة (الارساء) فقط^(١٣).
- ولكن من المفضل استعمال كلمة الإحالة بدلاً من الإرساء في العراق؛ لأنَّ المشرع العراقي أستخدمها في القوانين والتعليمات الخاصة بالمنقصات، والمزايدات العامة التي تجريها الدوائر الحكومية؛ ولأنَّ مصطلح الإحالة هو الأقرب إلى الواقع العملي منها إلى الإرساء.
- أمَّا التعريف الاصطلاحي المتفق عليه للإحالة فهي "أفصاح الإدارة عن إرادتها بقبول الإيجاب الصادر من أحد أصحاب العطاء، بغية ترتيب التزامات متبادلة بعد اعتماده من قبل الجهة الإدارية المختصة"^(١٤).

١١ - نص المادة ٣/سابعاً/و) من تعليمات تنفيذ العقود الحكومية رقم ٢ لسنة ٢٠١٤.

١٢ - محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، المطبعة الاميرية، القاهرة، ١٩٢٠، ص ٣٤٣.

١٣ - محمد عبود ناجي البهادلي، أثر تغيير الظروف في المرحلة السابقة على إبرام العقد الإداري دراسة مقارنة، رسالة ماجستير قدمت الى كلية القانون - جامعة المستنصرية، ٢٠١٣، ص ٢١.

١٤ - د. عبد المطلب عبد الرزاق الهاشمي، النظام القانوني للإحالة في العقود الإدارية، اطروحة دكتوراه مقدمة الى جامعة

بغداد - كلية القانون، ١٩٩٧، ص ١١

ويمكن لنا إن نورد تعريفاً للإحالة في العقد الاستشاري بأنها هي: إفصاح الإدارة عن إرادتها بقبول الإيجاب الصادر من أحد الاستشاريين المحددين في كتاب الدعوة (أصحاب العطاء) الموافق للوثيقة القياسية المعلن عنها، بغية ترتيب التزامات متبادلة بعد اعتماده من قبل الجهة الإدارية المختصة.

الفرع الثاني: التكييف القانوني لقرار الإحالة في العقد الاستشاري

من المعلوم أنَّ العقد الإداري يمرُّ بمرحلتين قبل صيرورته تاماً، الأولى منه تتم فيها أعمال تمهيدية، تتجسد ببيان الاهتمام، وكتاب الدعوة المباشرة للاستشاريين، واستلام العطاءات المقدمة لأجله، وشروط المفاضلة^(١٥)، وأما في المرحلة الثانية فتتم فيها عملية إبرام العقد الإداري، وعليه لا بد من بيان طبيعة قرار الإحالة، وتكييفه قانوناً في مرحلة الاعمال التمهيدية لأبرام العقد الإداري الذي يدخل العقد الاستشاري من ضمن أنواع هذا العقود، وما بين إبرام هذا العقد، فالإجراءات الإدارية التي تدخل في مرحلة تكوين العقد، وتستهدف إبرامه هي قرارات إدارية قابلة للانفصال عنه والتي يدخل ضمنها قرار الإحالة الصادر من لجنة البت^(١٦)، لاسيما أنَّ المشرِّع العراقي جعل عمل لجنة الإحالة مجرد توصيات ترفع الى جهة مختصة للمصادقة عليها واعتمادها^(١٧).

وعُدَّت تعليمات تنفيذ العقود الحكومية أنَّ قرار الإحالة يكون نافذاً من تاريخ تبليغ المناقص الفائز به، واستلامه رسمياً^(١٨)، ولا يمكن الاعتراض على قرار الإحالة، إلاَّ بعد التبليغ بكتاب الإحالة وذلك خلال سبعة أيام عمل من تاريخ التبليغ^(١٩)، لذلك فإن الاعتراض على قرار الإحالة لا يتم إلاَّ بعد صدور قرار المصادقة، والتبليغ به^(٢٠).

وبناءً على ما تقدم يمكن لنا التساؤل عن ما هي المبادئ الحاكمة والناظمة لقرار الإحالة؟ وما هو التكييف القانوني لقرار الإحالة في العقد الاستشاري؟ هل هو قرار إداري أم أنَّه يحتاج إلى تصديق حتى يوصف بهذا الوصف؟ وهل هو من القرارات القابلة للانفصال عن العقد الإداري؟ ومن ثمَّ يمكن الطعن به على وجه الاستقلال بدعوى الإلغاء أمام القضاء الإداري؟

تحكم الإحالة مبادئ ثلاثة أساسية هي (التلقائية، والإجبارية، والنهائية)، فالتلقائية في الإحالة تعني عدم تمتع لجنة الإحالة (لجنة البت)، بأي سلطة تقديرية من أجل تحديد المنافس الذي يجب التعاقد معه،

١٥ - ينظر: نص المادة ٣/خامساً) من تعليمات تنفيذ العقود الحكومية رقم ٢ لسنة ٢٠١٤.

١٦ - د. مهدي مختار نوح، الايجاب والقبول في العقد الإداري، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ٢٠٠٥، ص ٦٦١.

١٧ - ينظر: نص المادة ٥/اولاً) من تعليمات تنفيذ العقود الحكومية رقم ٢ لسنة ٢٠١٤.

١٨ - ينظر: نص المادة ١٥) من ضوابط رقم ٣) من تعليمات تنفيذ العقود الحكومية رقم ٢ لسنة ٢٠١٤.

١٩ - ينظر: نص المادة ٧/ثانياً) من تعليمات تنفيذ العقود الحكومية رقم ٢ لسنة ٢٠١٤.

٢٠ - د. احمد بدر سلامة، العقود الإدارية، عقد البوت، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٣، ص ٥.

إذ تلتزم اللجنة في إحالة الدعوة على المتنافس الذي قدم في عرضه السعر الأقل، والمواصفات الأفضل حسب المعايير المبينة في ورقة البيانات^(٢١).

وأما الإلزامية في الإحالة فهي تشير إلى إن لجنة الإحالة تكون مجبرة على إحالة الدعوة إلى صاحب العطاء الأفضل (الاستشاري)، وذلك بعد الاطلاع على توصية لجنة التحليل والالتزام بما ورد فيها حتى لو كان فيها مسوغ مقبول، وهذا المبدأ مقرر لأجل انتظام عمليات الدعوة المباشرة، وشفافيتها في مواجهة المتنافسين المحددين في كتاب الدعوة^(٢٢)، لكن هذا المبدأ لا يجري على إطلاقه؛ وذلك لوجود حالات معينة تحتم على اللجنة أن تتخذ قرارها بالإحالة، وتكون سبباً لإلغاء الدعوة أو تمديدها، من هذه الحالات التقدم بعرض وحيد للإدارة، أو إذا كانت قيمة العروض المقدمة تزيد على السعر المقدر من جانب الإدارة، أو إذا اقتضت المصلحة العامة الاستغناء عن الدعوة نهائياً^(٢٣). وهي غير ملزمة بالتبرير لمقدمي العطاءات سبب إلغاء الدعوة.

وأما مبدأ النهائية في الإحالة، فهو يشير إلى أنه متى ما تمت الإحالة فيجب أن تكون باتة، ولا رجعة فيها، إذ لو ترك الباب مفتوحاً أمام الرجوع عن الإحالة، فأن ذلك سيحل بمبدأ المساواة بين المتقدمين، ويقلل من هيبة الجهة المتعاقدة وشأنها، وكذلك يتناقض مع مبدأ التلقائية أنف الذكر^(٢٤).

ويرد على هذا المبدأ الاستثناء القائل أنه من الممكن أن تكون الإحالة موقوفة على شرط تقديم بعض الوثائق الفنية، أو مثلاً كانت الشركة (الاستشارية) خارج البلد المتعاقد، وشرط الإحالة يتوقف على أن تفتح الشركة فرعاً لها في الدولة المتعاقدة حتى تتم الإحالة، وعلى هذا الأساس يمكن للجنة أن تعلق قرارها حتى إتمام الشروط المذكورة أو أن تعود عن قرارها^(٢٥).

وأما ما يتعلق بالتكليف القانوني لقرار الإحالة، فيمكن في بادئ الامر بيان هل يُعدُّ قرار الإحالة من القرارات القابلة للانفصال، أم أنها قرارات تأتي في طبيعتها الانفصال؟
والقرارات الإدارية القابلة للانفصال عُرِّفت بأنها "قرارات داخلية في عمل قانوني مركب، رغم ذلك يمكن تمييزها عن العملية القانونية المتصلة بها، وفصلها عنها لأغراض رقابة القضاء الإداري على تلك القرارات"^(٢٦).

٢١ - د. صعب ناجي عبود الدليمي، محاضرات في مدد عقد المناقصات العامة، مرجع سابق القيت، بلا صفحة.
٢٢ - عاطف سعدي محمد، عقد التوريد بين النظرية والتطبيق، بلا دار نشر، ٢٠٠٥، ص ٣٣٢.
٢٣ - د. مهند مختار نوح، مرجع سابق، ص ٦٧١.
٢٤ - د. محي الدين القيسي، القانون الإداري العام، ط ١، منشورات الحلبي الحقوقية، ٢٠٠٧، ص ١٣٤.
٢٥ - د. علي احمد حسن الهبيبي، نكول من أحيلت عليه الناقصة العامة عن اتمام إجراءات التعاقد، بحث منشور في مجلة كلية الحقوق - الجامعة المستنصرية، (المجلد ٤)، العدد ٢٣-٢٤،
٢٦ - د. ماهر صالح علاوي، القرار الإداري، دار الحكمة للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٩١، ص ١٨٨.

وعليه، فالقرارات القابلة للانفصال توجد في العمليات المركبة التي تشمل إجراءات تمهيدية، ومساعدة عدّة، التي تؤدي إلى اتخاذ القرار النهائي، الذي لا يمكن إصداره إلا بعد اتخاذ قرارات متتابعة لتحقيق العملية، ومن ثمّ لا توجد مثل هذه القرارات القابلة للانفصال في العمليات البسيطة المحصورة التي تعتمد قراراً واحداً لأجراء العملية^(٢٧).

ولذلك، يمكن عدّ القرارات الصادرة من قبل اللجنة المشكّلة من قبل الإدارة لغرض إبرام العقود الإدارية، ومن ضمنها قرار الإحالة الخاص بالعقد الاستشاري هي قرارات إدارية منفصلة عن العقد الإداري ذاته، ومن ثمّ تخضع حسب الأصول إلى الطعن أمام محكمة القضاء الإداري من قبل صاحب المصلحة (الاستشاري)؛ بسبب تجاوز السلطة شأنه شأن أي قرار إداري آخر تتخذه الإدارة، وهذا ما اتجهت إليه المحكمة الإدارية العليا في أحد أحكامها بالقول " ليس من شك في أنّ قرار لجنة البت بإرساء المناقصة أو المزايدة إنما هو في طبيعته قرار إداري نهائي، إذ تجتمع فيه مقومات القرار الإداري من حيث كونه صادراً من جهة إدارية مختصة بما لها من سلطة عامة بمقتضى القوانين واللوائح، بقصد إحداث مركز قانوني تحقيقاً لمصلحة عامة، وليس أبلغ في الدلالة على صدق هذا النظر من أن جهة التعاقد إنما تلتزم حال انصراف إرادتها إلى إبرام العقد بالتعاقد مع المناقص أو المزايد الذي عينته لجنة البت، وليس لها أن تستبدل به غيره" (٢٨)

ولذلك، فالقرارات التي تقوم الإدارة بإصدارها في مرحلة سابقة على العقد الإداري هي في حقيقتها قرارات تنفصل عنه، إذ تعدّ من حيث الموضوع قرارات إدارية نهائية أصدرتها الإدارة بوصفها سلطة عامة لا سلطة تعاقد، الأمر الذي يدخل الطعن عليها في نطاق دعوى الإلغاء^(٢٩)، وهذا ينطبق على موضوع بحثنا.

وأما موقف القضاء الإداري العراقي من قرار الإحالة، فقد عدّ القضاء الإداري قرار الإحالة الصادر من اللجنة المختصة قراراً إدارياً قابلاً للانفصال، ويقبل الطعن به بشكل مستقل أحياناً، أو ضمن دعوى الإلغاء أحياناً أخرى، ففي إحدى قرارات الهيئة العامة لمجلس شورى الدولة، ذهبت فيه إلى عدّ إجراءات المزايدة التي تمت في غير المكان المخصص لمحل المزايدة قانوناً، وخارج الوحدة الإدارية التي يقع المحل فيها

٢٧ - د. جورجى شفيق ساري، القرارات القابلة للانفصال في القانون الإداري، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٢،

ص ١٧٩.

٢٨ - د. محمد فؤاد عبد الباسط، القضاء الإداري، دار الجامعة الجديدة للنشر، القاهرة، ٢٠٠٧، ص ٢٣١.

٢٩ - د. عبد العزيز عبد المنعم خليفة، الاسس العامة في العقود الإدارية، ط ١، المركز القومي للإصدارات القانونية، ٢٠٠٨،

ص ١٢٢.

إجراءات باطلة، وأنّ القرار الذي اتخذته محكمة القضاء الإداري بإلغاء قرار الإحالة صحيحاً يستوجب التصديق^(٣٠).

وعليه، فقرار الإحالة إجراء تمهيدي مؤقت لا يكون نهائياً، إلاّ بعد التصديق عليه من قبل الجهة الإدارية المختصة بالمصادقة، بمعنى إنّ الإحالة على من هو صاحب أفضل عطاء، وإنّ كان يتم بقرار إداري، إلاّ إنّّه لا تتم عملية التعاقد، ولا يكون منعقداً، إلاّ بعد اعتماد ذلك القرار من قبل الجهة المختصة به^(٣١).

وعليه، فإنّ قرار لجنة البت بالإحالة هو قرار إداري، يتم بموجبه الإحالة على صاحب العطاء (الاستشاري) الأنسب، بعد أن تستند تلك اللجنة إلى ما يبرر هذا القرار، وبطبيعة الحال فإنّ قرار الإحالة لا ينتج الآثار التعاقدية، وإنّ كان ممهّداً للتعاقد، وشرطاً ضرورياً من الشروط تكوين العقد، إلاّ أنّه لا يؤدي إلى إبرام العقد بحد ذاته، إلاّ بعد اعتماد قرار الإحالة من الجهة الإدارية المختصة، وبذلك، يُعدّ قرار الإحالة منشئ، وليس كاشف للعملية التعاقدية؛ لأنّها غير موجودة بعد^(٣٢).

ولذلك، فإنّ من حق اللجنة المختصة بالإحالة اعتماد قرار الإحالة، وإتمام إجراءات الاعتماد على قرار الإحالة، ولها كذلك عدم إتمامه، لما تتمتع به من سلطة تقديرية ممنوحة لها بموجب القوانين^(٣٣).

ومما أسلفنا نستشف إلى أنّه يمكن بيان التكييف القانوني لقرار الإحالة بشكل عام، وقرار الإحالة الخاص بالعقد الاستشاري بشكل خاص، أنه قرار إداري يخضع للطعن امام محكمة القضاء الإداري؛ لأنه قرار إداري قابل للانفصال عن العملية العقدية، وذو طبيعة مركبة، وهو عمل منتج لآثاره القانونية، إلاّ أنّ تلك الآثار موقوفة على تحقق شرط تصديقه من السلطة المختصة بذلك

المطلب الثاني: آثار قرار الإحالة في العقد الاستشاري

إن قرار مصادقة لجنة المصادقة والمراجعة على توصيات لجنة الإرساء في العقد الاستشاري هو قرار صادر من السلطة الإدارية، إذ يشكل هذا القرار عنصراً جوهرياً في إبرام العقد الاستشاري، كون القرار يؤدي إلى إيجاد علاقة تعاقدية بين جهة الإدارة والاستشاري، وبذلك يرتبط الإيجاب بالقبول ما بين طرفي العقد، والمصادقة على قرار الإحالة في العقد الاستشاري تجعل من تمت دعوته للتعاقد مرشحاً لتوقيع العقد أكثر من غيره، لذلك فقرار المصادقة على الإحالة يعد قراراً منشئاً للعقد ولا يعد كاشفاً عنه كما

٣٠ - قرار الهيئة العامة لمجلس شوري الدولة المرقم ١٣ / اداري - تمييز / ١٩٩٠ في ٢ / ٩ / ١٩٩٠.

٣١ - د. سليمان محمد الطماوي، الاسس العامة للعقود الإدارية دراسة مقارنة، ط ١، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠٨،

ص ٢٨٨.

٣٢ - د. محمود خلف الجبوري، العقود الإدارية، بيت الحكمة، بغداد، ١٩٨٩، ص ٦٣.

٣٣ - د. صعب ناجي عبود الدليمي، محاضرات في مدد عقد المناقصات العامة، مرجع سابق، بلا صفحة.

ذهبت إلى ذلك محكمة التمييز الاتحادية، ففي مرحلة المصادقة على قرار الإحالة يمثل القبول النهائي لجهة الإدارة بالإيجاب الصادر من قبل مقدم العطاء.

وأن توقيع العقد بين جهة الإدارة وبين الاستشاري لا يمكن أن يعدو أن يكون إجراء الفائدة منه تحديد اللحظة الزمنية التي تكشف مدة البدء بتنفيذ العقد المبرم بين طرفيه، ومن ثم لأن أي إخلال من قبل جهة المتعاقد مع الإدارة سوف يترتب عليه آثاراً قانونية منها توقيع جزاءات تتخذ ضد من أخل بإكمال التعاقد، وهذا يترتب المسؤولية على اختلاف أنواعها، ولا يمكن للإدارة بعد ذلك أن تعدل في شروط العقد الاستشاري إلا بعد موافقة الطرف المتعاقد معها، ولا يمكن لها أن تفسر شروط العقد بإرادتها وإنما يكون ذلك عن طريق القضاء المختص، سواء كان العادي أم الإداري.

وقرار الإحالة لا يُعدُّ الخطوة الأخيرة في انعقاد العقد، إنما يُعدُّ إجراءً تمهيدياً يتم في ضوئه إحالة إبرام العقد الإداري على من توافرت فيه الشروط المطلوبة في ورقة البيانات، ورشحته اللجنة المختصة بالإحالة بعد استنادها إلى ما يبرر ذلك التشريح وفقاً لنظام دقيق، ومحدد تسير عليه عملية إبرام العقد^(٣٤).

السؤال المطروح هنا هل يترتب قرار إحالة العقد الاستشاري الصادر من اللجنة المختصة بإصداره آثاراً قانونية لمجرد صدوره، أم يتطلب لترتيب مثل تلك الآثار أن يصدر قراراً باعتماده من جهة التعاقد؟ وتأسيساً على ذلك سنبين هذه الآثار في فرعين، الأول سنتطرق فيه إلى الآثار القانونية لقرار الإحالة في العقد الاستشاري قبل الاعتماد، والفرع الثاني سنتناول فيه تلك الآثار بعد اعتماده من قبل لجنة البت.

الفرع الأول : الآثار القانونية لقرار الإحالة في العقد الاستشاري قبل اعتماده

من مميزات القرار الإداري، أنه ذو قوة تنفيذية بمجرد صدوره من الجهة الإدارية المختصة بإصداره، ومن ثمَّ يترتب عليه آثاره القانونية حالاً ومباشرة، والذي يُمكن أن يعدُّ مبدأ حاكماً يحكم القرارات الإدارية كافة^(٣٥)، عليه، فإنَّ قرار الإحالة الصادر من قبل اللجنة المختصة به (لجنة البت)، يستتبعه العديد من الإجراءات التمهيدية، وهذه الإجراءات لا تستوي من حيث الأهمية مع قرار الإحالة، وكان حرياً بنا بيان ما أهمية قرار الإحالة؟ وماهي آثاره القانونية المترتبة عليه؟ وهل هو قرار إداري بالمعنى الدقيق، أم مجرد أعمال تمهيدية أو توصيات ترفع إلى جهة أخرى إدارية تختص بالمصادقة عليه، إن شاءت أخذت به، وإن شاءت عدلته أو رفضته؟

٣٤ - ينظر: نص المادة ٧/عاشراً) من تعليمات تنفيذ العقود الحكومية رقم (٢) لسنة ٢٠١٤.

٣٥ - د. عادل سعيد فهميم، القوة التنفيذية للقرار الإداري، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، بدون سنة طبع، ص ١١٧.

تذبذبت آراء الفقهاء، ورجال القضاء إجابةً على هذا السؤال باختلاف التشريعات، فالقضاء في فرنسا نجده بموقف مجلس الدولة الفرنسي الذي أستقر قضاؤه على أنه لا يجوز الطعن بداءة في قرارات اللجنة الخاصة بالإحالة (لجنة البت)، إذ اشترط لأجل الطعن أن يكون القرار خاص باعتماد المناقصة، وهذا ما ينطبق على العقد الاستشاري موضوع البحث، أما الموقف المصري، فقد بينه مجلس الدولة المصري في فتوى سابقة عدت في ضوئها قرار الإحالة قراراً نهائياً، ويترتب عليه الآثار القانونية للقرار الإداري النهائي، ثم عدل عن ذلك في موضع آخر خاص متعلق باختصاص لجنة البت، فأفتى قائلاً إن لجنة البت تقوم بتقديم توصيات إلى جهة إدارية مختصة بالاعتماد^(٣٦).

وأما الموقف الفقهي، من قرار الإحالة فقد ذهب جانب من الفقهاء، إلى القول بأن قرار اللجنة المختصة بالإحالة (لجنة البت)، في العقود الإدارية، ومنها العقد الاستشاري، هي قرارات إدارية يجوز الطعن فيها أمام القضاء الإداري؛ لأن تلك القرارات لا يمكن للجهة الإدارية المختصة بالتعاقد الخروج عنها، إلا في حالات محددة، وإن يُسبب هذا الخروج^(٣٧)، فمنهم من يرى أن قرار الإحالة تسبقه مراحل تمهيدية تدور خلالها المباحثات، والمفاوضات، وهذا التبادل فيها وجهات النظر لا يمكن أن يتولد عنه رابطة قانونية^(٣٨)، وهناك مسألة تثار في هذا المضمار، ألا وهي حالة سكوت الإدارة عن اعتماد قرار الإحالة، فهل يعد ذلك السكوت قبولاً يترتب آثاراً قانونية؟

للإجابة على هذا السؤال يمكن عد سكوت الإدارة قبولاً في حالة وجود نص قانوني يعد في ضوئه سكوت الإدارة قبولاً يولد في حد ذاته الرابطة التعاقدية، إذا ما عرفنا أن سكوتها هو الشرط الذي حدده القانون لترتيب الآثار القانونية، فمجرد انقضاء المدة المحددة لاعتماد الإحالة يتحقق الشرط، أما إذا لم تحدد مدة الاعتماد بقرار الإحالة، فيعد سكوت الإدارة مدة غير معقولة قبولاً لقرار الإحالة الصادر من اللجنة المختصة بالإحالة ودراسة العطاءات (لجنة البت)، في العقود مرتباً لآثاره القانونية، شريطة وجود نص قانوني صريح بذلك، إذ لا يمكن أن يُلزم صاحب العطاء بصورة تحكيمية من قبل جهة الإدارة المختصة بتحميلها مسؤولية عقدية لمجرد سكوتها مدة معينة، فيعد سكوتها قبولاً من جانبها مرتباً لآثاره القانونية^(٣٩).

٣٦ - د. حسين درويش عبد العال، النظرية العامة في العقود الإدارية، ط ١، بلا دار نشر، ١٩٥٨، ص ١١٤.
 ٣٧ - د. إبراهيم طه الفياض، العقود الإدارية النظرية العامة للعقود الإدارية في القانون الكويتي والمقارن، ط ١، جامعة الكويت، مكتب الفلاح، ١٩٨١، ص ١١١.
 ٣٨ - أحمد حافظ نجم، القانون الإداري دراسة قانونية لتنظيم نشاط الإدارة العامة، ج ٢، ط ١، دار الفكر العربي، بدون سنة طبع، ص ٩٣.
 ٣٩ - شيشير، نيفوت، فيرستون، احكام العقد في القانون الانكليزي، دار الجبل، بيروت، سروري بوكشوب، الخرطوم، ١٩٨٧، ص ١٠٩.

ووفقاً لما بينا سابقاً يمكن أن نتوصل إلى نتيجة مفادها، أن قرار الإحالة ينتج آثاراً قانونية لكنها موقوفة على شرط تصديقه من قبل الجهة المختصة بالتصديق، فإذا تحقق الشرط أنتج قرار الإحالة آثاره.

الفرع الثاني : الآثار القانونية لقرار الإحالة في العقد الاستشاري بعد اعتماده

إنّ من الدعامات الأساسية في العقود الإدارية- المناقصات بأنواعها ومنها العقود الاستشارية والمزايدات - هي آلية الإحالة، فلا يمكن للجهة الإدارية أن تتعذر من أجل الخروج على القواعد الحاكمة لتلك الآلية، وإلاّ أصبح تصرفها حرياً بالطبع به، ومن ثمّ إلغاؤه من قبل القضاء الإداري، وبما أنّ اللجنة المختصة بالإحالة ملزمة بالإحالة على أفضل العطاءات المقدمة عملاً بقاعدة آلية الإحالة، فهل الجهة الإدارية المختصة بإبرام العقد الإداري ملزمة بالتعاقد مع صاحب هذا العطاء (الاستشاري)؟ ومن الآراء من يجيب على ذلك بالقول أنّه (لو أجبنا على هذا السؤال بالإيجاب لكن قرار الإحالة هو آخر عمليات التعاقد، لكن هذا ليس صحيحاً كما نعلم، ومن ثمّ فإنّ هذه السلطة المقيدة يوازيها حق خطير للإدارة هو حق هذه الجهة في عدم إتمام العملية التعاقدية، والعدول عنها بإلغاء الدعوة... (٤٠).

وعليه، يمكن القول أنّ قرار الإحالة بعد تمام التكوين مرتباً لآثاره القانونية، وواجب النفاذ من تاريخ تصديقه من قبل الجهة المختصة بذلك، ولا يمكن الاحتجاج به على صاحب العطاء إلاّ من تاريخ علمه به، وبما لا ريب فيه أنّ قرار الإحالة كونه إفصاح الجهة الإدارية المختصة في الشكل الذي يتطلبه القانون عن إرادة ملزمة بما لها من سلطة بقصد إحداث أثر قانوني هو قبول الإيجاب الصادر من صاحب العطاء، ولأجل أنّ يرتب قرار الإحالة أثره ويحتج به تجاه الجهة الإدارية، لا بُدّ من وصوله إلى علم الموجب (صاحب العطاء- الاستشاري)، في المدة المحددة لسريانه^(٤١)، فإذا وصل الإخطار بالقبول بعد هذه المدة لا يمكن أن ينتج أثره إلاّ إذا قبل صاحب العطاء ذلك، وتصديق الجهة الإدارية لقرار الإحالة لا يُعد فقط عنصراً أساسياً في تكوين العقد، بل يكون في الوقت نفسه شرطاً واقفاً لتحقيق القوة الملزمة للعقد، ومن ثمّ يمتنع عليها سحب موافقتها.

وأما موقف محكمة التمييز الاتحادية من قرار الإحالة في العقود الإدارية، الداخلة ضمنها قرار الإحالة الخاص بالعقد الاستشاري، فقد قضت في أحد أحكامها بأنّ العقد ينعقد من تاريخ مصادقة الجهة الإدارية المختصة على قرار الإحالة، أذ جاء في حكمها على "أما من حيث الموضوع فتبين ان المدعي بعطاء فيما يتعلق بالمناقصة موضوع الدعوى الخاصة بنقل النفط الاسود قدم تأمينات أولية، والتقدم الى

٤٠ - د. محمد سليمان الطماوي، مرجع سابق، ص ٢٩٦.

٤١ - د. محمد سليمان الطماوي، مرجع سابق، ص ٢٩٨.

المناقصة بعبء يعتبر إيجاباً، وقد اوصت لجنة دراسة العروض المحلية بإحالة المقاوله الى المدعي بموجب الكتاب (٤٢) والمؤرخ في ١٦/٤/٢٠٠٧، وقد تمت الموافقة على الإحالة وفق العطاء المقدم بموجب الكتاب (٦١ في ١٦/٤/٢٠٠٧) الصادر من مجلس إدارة الشركة للإسمنت الشمالية، وهذه الموافقة هي القبول وبارتباط القبول بالإيجاب يكون عقد المقاوله قد انعقد بين طرفي الدعوى، وإن كان لم ينظم تحريراً بعد، وإن الطلب المؤرخ (٢٠٠٧/٥/٣) المقدم من قبل المدعي بعد ان تمت الموافقة على الإحالة بتاريخ ١٦/٤/٢٠٠٧، وذلك لإلغاء العطاء للأسباب الواردة فيه طلب غير وارد قانوناً؛ لأنه قدم بعد انعقاد عقد المقاوله بين الطرفين، مما يترتب على تقدن ان المدعي عليه الحق بمصادرة التأمينات الأولية موضوع الدعوى وفقاً لمقتضيات الفقرة (١٦) من شروط الاشتراك في المناقصة موضوع الدعوى^(٤٢)، ووفق هذا الحكم قضت محكمة التمييز بأن العقد يعد منعقداً عندما يتلاقى إيجاب المتعاقد مع قبول الجهة الإدارية المختصة، لذلك، فالعقد يُعد منعقداً، وناهداً من تاريخ تبليغ المتعاقد بقرار الإحالة، أو من تاريخ توقيع الطرفين على صيغة التعاقد أيهما سبق على صيغة التعاقد، ما لم يَخص على خلافه في صيغة التعاقد، هذا هو موقف القانون المدني من العقد الإداري، وقرار الإحالة^(٤٣).

إلا أننا نرى أن هذا الحكم من قبل محكمة التمييز الاتحادية التي ترى أن العقد ينعقد بمجرد صدور قرار الإحالة، معللة ذلك بالتقاء الإيجاب بالقبول في تلك اللحظة، وينعقد العقد تبعاً لذلك، فلماذا يتم بعد قرار الإحالة توقيع العقد مع صاحب العطاء (الاستشاري في العقود الاستشارية)، فكان الأحرى الاكتفاء فقط بقرار الإحالة، ولا حاجة لتوقيع العقد بين الإدارة والمتعاقد معها.

والنكول هو سبب الآثار المترتبة بعد اعتماد قرار الإحالة في العقد الاستشاري، والنكول يحدث بعد صدور قرار المصادقة على الإحالة في العقد الاستشاري وتبليغه بذلك، أي أن النكول كونه من الأسباب التي ترتب آثاراً قانونية بعد اعتماد قرار الإحالة ينشأ بعد قيام الرابطة العقدية بين جهة الإدارة والاستشاري، وهو يمثل "امتناع المتعاقد عن اتمام تشكيلات معينة تطلب القانون استيفائها بعد صدور قرار المصادقة والتبليغ به، مما يعني أن النكول يشكل انتهاكاً للالتزامات التعاقدية"^(٤٤).

وعرف النكول على أنه " انتهاك المتعاقد لالتزامه بإتمام إجراءات التعاقد بعد صدور قرار مصادقة إحالة المناقصة وتبليغه به"^(٤٥).

٤٢ - قرار محكمة التمييز الاتحادية بالعدد ١٠٦٤/استئنافية منقول/٢٠٠٨ في ١٣/٥/٢٠٠٨.

٤٣ - احمد حافظ نجم، مرجع سابق، ص ١٠٧.

٤٤ - ينظر: نص المادة (٣٢) من قانون بيع وإيجار اموال الدولة لعام ١٩٨٦.

٤٥ - د. علي احمد حسن، مرجع سابق، ص ١٠.

ويمكن تعريف النكول عن إبرام العقد الاستشاري على أنه هو انتهاك الاستشاري المتعاقد مع جهة الإدارة لالتزاماته التعاقدية الموضوعية منها والشكلية بعد صدور قرار الإحالة عليه وتبليغه به. ومن أسباب نكول الاستشاري هو امتناعه عن توقيع العقد بعد صدور قرار الإحالة عليه، فجهة الإدارة وبعد قرار الإحالة يقع على عاتقها تنظيم العقد الاستشاري لتوقيعه من قبل من ارتضته الإدارة في تنفيذ العقد المزمع تنفيذه، فهي المسؤولة عن صياغة بنود العقد وفق القانون، فضلاً عن تلك التي يتفق عليها الطرفان الضامنة للتنفيذ السليم للعقد^(٤٦)، ومن الجزاءات المعروفة في المجال القانوني بالنسبة للاستشاري الناكل من توقيع العقد هو وضعه في القائمة السوداء، ففي هذا الإجراء يتيح لجهة الإدارة من إبعاد الاستشاريين غير المرغوب فيهم من توجيه الدعوة المباشرة إليهم، فالإدارة تحتفظ بقوائم تتضمن فيها أسماء هؤلاء الاستشاريين غير المرغوب فيهم، ففي حال ارادت جهة الإدارة توجيه دعوة مباشرة إلى الاستشاريين فيتم الرجوع إلى هذه القائمة؛ لمعرفة الأسماء التي منعت من توجيه الدعوة إليهم^(٤٧).

الخاتمة

ونحن في نهاية مشوارنا البحثي لموضوع إحالة العقد الاستشاري ، فقد توصلنا إلى مجموعة من الاستنتاجات والمقترحات سنذكر أهمها آملين أن تحقق المطلوب من الخوض في مضمار هذا الموضوع وأن تكون انطلاقة للباحثين في هذا الموضوع، وهذا ما سنبينه في فقرتين مستقلتين:

أولاً:- الاستنتاجات

- ١- إن قرار الإحالة ليس هو الإجراء الأخير في إبرام العقد الخاص بالعقود الاستشارية، وإنما تتبعها إجراءات أخرى، منها تبليغ الاستشاري بقرار الإحالة، وعملية توقيع العقد الاستشاري.
- ٢- تحكم الإحالة في العقد الاستشاري ثلاثة مبادئ أساسية هي (التلقائية، الإلزامية، النهائية).
- ٣- قرار الإحالة من القرارات القابلة للانفصال، والجهة المختصة بالطعن به قبل التصديق عليه هي محكمة القضاء الإداري، أما بعد التصديق على قرار الإحالة وتوقيع العقد تصبح محكمة البداية هي المحكمة المختصة بنظر المنازعات التي تنشأ بمناسبةه .
- ٤- النكول من تنفيذ العقد الاستشاري يعد من آثار قرار الإحالة بعد المصادقة عليه، ومن ثم يعد من أهم أسباب وضع الناكل في القائمة السوداء.

ثانياً:- المقترحات

٤٦ - ينظر: نص المادة ٥/ثالثاً) من تعليمات تنفيذ العقود الحكومية رقم ٢) لسنة ٢٠١٤.

٤٧ د. محمود خلف الجبوري، مرجع سابق، ص ٣٤٢.

- ١- نأمل من المشرع العراقي إصدار تشريع ينظم إجراءات العقود الإدارية، وبالأخص العقود الاستشارية يواكب به التطورات التكنولوجية عند إعداد هذا القانون.
- ٢- نقترح على مجلس القضاء الأعلى إصدار تعميم إلى المحاكم كافة تُشير فيه إلى امتناع تلك المحاكم من نظر الطعن في قرارات الإحالة قبل أن تصبح هذه الإحالة قطعية، كون الإحالة لا تعد الإجراء النهائي ليصبح العقد كاملاً إنما يتبعه إجراء آخر هو المصادقة عليه وتبليغه ومن ثم انتظار الاعتراض على قرار الإحالة.
- ٣- نأمل من جهات الإدارة في حال إعداد صياغة العقد الاستشاري أن تأخذ بنظر الاعتبار ويصوره مهمة الإشارة إلى القوانين والتشريعات الحاكمة للعقد ولا سيما إذا كان الاستشاري جهة من الخارج، وضرورة التشديد ان يكون العقد خاضعاً لقوانين الإدارة وتحديد المحاكم المحلية الجهة المختصة بنظر مثل هكذا نوع من المنازعات، ولا يترك ذلك الى التحكيم لما فيه تمرب وغموض بسبب تعارض قوانين الإدارة مع قوانين دولة المتعاقد معها.

المصادر والمراجع

أولاً: - المعاجم

- (١) أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، اعداد يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت، ، بلا سنة طبع ، مادة(حول) .
- (٢) محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، المطبعة الاميرية، القاهرة، ١٩٢٠ .
- (٣) محمد علي النجار، المعجم الوسيط، الجزء الاول، مجمع اللغة العربية، مطبعة مصر، ١٩٦٠ .

ثانياً: - الكتب القانونية

- (١) د. ابراهيم طه الفياض، العقود الإدارية(النظرية العامة للعقود وتطبيقاتها في القانون الكويتي والمقارن)، ط١، جامعة الكويت، مكتبة الفلاح، ١٩٨١ .
- (٢) أحمد حافظ نجم، القانون الإداري دراسة قانونية لتنظيم نشاط الإدارة العامة، ج٢، ط١، دار الفكر العربي، بدون سنة طبع.
- (٣) احمد بدر سلامة، العقود الإدارية، عقد البوت، دار النهضة العربية ، القاهرة، ٢٠٠٣ .
- (٤) د. جوجي شفيق ساري، القرارات القابلة للانفصال في القانون الإداري، دار النهضة العربية، القاهرة ، ٢٠٠٢ .
- (٥) د. حسين درويش عبد العال، النظرية العامة في العقود الإدارية، الطبعة الاولى، بلا مكان طبع، ١٩٨٥ .
- (٦) د. سليمان محمد الطماوي، الاسس العامة للعقود الإدارية(دراسة مقارنة)، ط١، دار الفكر العربي، القاهرة ، ٢٠٠٨ .
- (٧) شيشر، نيفوت، فيرستون، ١٩٨٧، احكام العقد في القانون الانكليزي، دار الجبل، بيروت، سروي بوكشوب، الخرطوم .
- (٨) د. صعب ناجي عبود الدليمي، ، محاضرات صوتية في المدد في عقد المناقصات العامة، القيت على طلبة الدراسات العليا قسم القانون العام - مرحلة الماجستير، معهد العلمين، ٢٠٢٠ .
- (٩) د. صعب ناجي الدليمي، ، محاضرات القيت على طلبة الدكتوراه في العقود العامة للأشغال ، القانون - القسم العام، جامعة كربلاء ، ٢٠١٧ .
- (١٠) د. عادل سعيد فهم، ، القوة التنفيذية للقرار الإداري، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، بدون سنة طبع.
- (١١) د. عاطف سعدي محمد، ، عقد التوريد بين النظرية والتطبيق، بلا دار نشر، ٢٠٠٥ .

(١٢) د. عبد العزيز عبد المنعم خليفة،، ، الاسس العامة في العقود الإدارية، الطبعة الاولى، المركز القومي للاصدارات القانونية، ٢٠٠٨ .

(١٣) د. ماهر صالح علاوي، القرار الإداري، دار الحكمة للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٩١ .

(١٤) د. محمد ماهر ابو العينين، العقود الإدارية وقوانين المزايدات والمناقصات، ك١، دار النهضة العربية، بلا سنة طبع.

(١٥) د. محمود خلف الجبوري، ، العقود الإدارية، بيت الحكمة - جامعة بغداد، ١٩٨٩ .

(١٦) د. محي الدين القيسي، القانون الإداري العام، منشورات الحلبي الحقوقية، ط١، ٢٠٠٧ .

(١٧) د. مهند مختار نوح، الايجاب والقبول في العقد الإداري، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ٢٠٠٥ .

(١٨) د. يوسف سعد الله خوري، القانون الإداري العام، الجزء الاول، بدون دار نشر، دمشق، ١٩٩٨ .

ثالثاً: البحوث القانونية

د. علي احمد حسن، نكول من أحيلت عليه المناقصة العامة عن اتمام إجراءات التعاقد ، بحث منشور في مجلة كلية الحقوق، الجامعة المستنصرية، المجلد (٤)، العدد ٢٣-٢٤، ٢٠١٤ .

رابعاً: - الرسائل والاطاريح

(١) عبد المطلب عبد الرزاق الهاشمي ، النظام القانوني للإحالة في العقود الإدارية، اطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، ١٩٩٧ .

(٢) محمد عبود ناجي، أثر تغيير الظروف في المرحلة السابقة على ابرام العقد الإداري(دراسة مقارنة)، رسالة قدمت إلى كلية القانون - جامعة المستنصرية، ٢٠١٣ .

خامساً: - القوانين والتعليمات

تعليمات تنفيذ العقود الحكومية رقم(٢) لسنة ٢٠١٤ .

سادساً: - القرارات القضائية

(١) قرار المحكمة الإدارية العليا بالطعنين (٣٠٢ و٥٤٦ لسنة قضائية ١٧، في ١٩٧٥/٤/٥)، نقلاً عن الدكتور محمد فؤاد عبد الباسط.

(٢) قرار الهيئة العامة لمجلس شورى الدولة المرقم(١٣/اداري - تمييز/٩٠ في ١٩٩٠/٩/٢)، قد عد مكان اجراء المزايدة من الاجراءات الجوهرية وعد الالتزام بتطبيق هذا الاجراء ينتج عنه خللاً جوهرياً يعد سبباً كافياً لإبطال الإحالة.

(٣) قرار محكمة التمييز الاتحادية بالعدد ١٠٦٤/استئنافية منقول/٢٠٠٨، ت٩٥٧ .

الأحكام القانونية للقرار الإداري المعاكس (دراسة مقارنة)

Legal Provisions of the Adverse Administrative Decision (Comparative Study)

م.م. أثير حمزة حسن الشريفي^(١)

Assit. Lect. Atheer Hamza Hassan Al-Sharifi

الملخص

يعد القرار الإداري المعاكس أحد وسائل الإدارة في إنهاء قراراتها الإدارية الفردية المنشئة للحقوق، إذ أن هذا القرار هو قرار إداري جديد يحل محل القرار السابق بهدف إلى إلغاء أو تعديل القرار الإداري السليم السابق، بشرط أن تنصرف آثاره إلى المستقبل دون الرجوع بها إلى الماضي، على أن يحاط هذا القرار بالعديد من الضمانات المتمثلة بالشكلية في إصداره أو بأحترام حق الدفاع أو بوجوب تطبيق مبدأ التنسب؛ لما لها من تأثير مباشر على حقوق الأفراد واستقرار المعاملات والمراكز القانونية تجاه المخاطبين به سواء كان ذلك بالعراق أم في الدول المقارنة (فرنسا ومصر)، فالقرار الإداري مهما بقى نافذاً وساري المفعول، لا بد وأن يصل في مرحلة ما إلى نهاية هذا القرار، لذلك تلجأ الإدارة إلى إصدار قرارها الإداري المعاكس، الذي يجسد ضمانته ضرورية وأساسية وجوهية في حماية المراكز القانونية للأفراد أمام تعسف الإدارة حيالهم.

الكلمات المفتاحية: القرار الإداري المعاكس، خصائصه، الضمانات القانونية، الآثار القانونية.

Abstract

A reversal administrative decision is a means by which the administration creates individual administrative decisions. This decision is a new

١ - الجامعة المنتسب إليها الباحث و البريد الالكتروني الخاص به.

administrative decision that replaces the previous decision, aiming to revoke and amend the previous valid administrative decision. Its effects extend to the future without reference to the past. This decision must be surrounded by numerous safeguards, including formalities in its issuance, respect for the right to defense, and the requirement to apply the principle of causation. These safeguards have a direct impact on individual rights and the stability of transactions and legal positions of those addressed by it, whether in Iraq or other comparable countries. No matter how valid and effective an administrative decision remains, it must eventually reach its end. Therefore, the administration resorts to issuing its reversal administrative decision, which embodies a necessary, fundamental, and essential guarantee in protecting the legal positions of individuals against administrative abuse.

Keywords: reversal administrative decision, characteristics, legal guarantees, legal effects.

المقدمة

أولاً: موضوع البحث

أن القرار الإداري المعاكس يعد أحد القرارات الإدارية الذي من خلاله تقوم الإدارة بإلغاء أو تعديل القرارات الإدارية الفردية السليمة التي أصدرتها سابقاً، وأنشئت بموجبها مراكز قانونية جديدة للمخاطبين بها، دون الرجوع في آثار ذلك القرار على الماضي، واقتصر سريان آثاره على المستقبل فقط؛ وذلك احتراماً للحقوق والمراكز القانونية المكتسبة، ويمثل القرار الإداري المعاكس نهاية غير طبيعية للقرار الإداري السابق الذي حل محله، وبذلك يبقى القرار الإداري السابق محتفظاً بآثاره التي تكونت في الماضي، لكن ذلك لا يتماشى مع القرارات الإدارية التنظيمية، إذ بإمكان الإدارة أن تنهي هذه القرارات في أي وقت تشاء؛ لأنها غير منشئة للحقوق، كما يجب على الإدارة مراعاة الضمانات القانونية الخاصة بإصدار هذا القرار فيما يتعلق بالضمانات الشكلية، واحترام حق الدفاع، وتسبب القرار الإداري المعاكس، ويتجسد السبب الرئيسي لقيام الإدارة بإصدار القرار الإداري المعاكس هو ماتقتضيه المصلحة العامة والاعتبارات القانونية، والواقعية التي دفعت الإدارة إلى مراجعة قراراتها الإدارية الفردية السليمة التي أصدرتها سابقاً.

ثانياً: أهمية البحث.

تتجسد أهمية البحث في تسليط الضوء على أحد الوسائل القانونية التي تمتلكها الإدارة في إنهاء قراراتها المشروعة في العراق والدول المقارنة (فرنسا ومصر)، إذ يمثل القرار الإداري المعاكس إلغاءً ضمناً للقرار الإداري الفردي السليم السابق، مع بقاء آثار القرار الإداري السابق سليمة ونافذة في مواجهة المخاطبين بها، وانصراف آثار القرار الجديد (القرار الإداري المعاكس) إلى المستقبل، بالإضافة إلى ضرورة معرفة أهمية الضمانات القانونية الكفيلة بإصدار القرار الإداري المعاكس، كما تكمن أهميته في معرفة الخصائص والمميزات التي قد تجعله مختلفاً في بعض الجزئيات عن غيره من القرارات الإدارية.

ثالثاً: مشكلة البحث.

أن مجرد القول بأن القرار الإداري المعاكس يمثل وسيلة الإدارة في إنهاء أو تعديل قراراتها الفردية السليمة التي أصدرتها سابقاً، من دون المساس بالآثار التي تكونت في الماضي، يثير تساؤلات عدة، ما هو مفهوم القرار الإداري المعاكس؟ وماهي الخصائص التي يتصف بها؟ وهل أن القرار الإداري المعاكس عند صدوره يوفر ضمانات كافية في مواجهة المعنيين به؟ وما هو الموقف الفقهي والقانوني والقضائي من تلك الضمانات، سواء كان ذلك في العراق أم في الدول محل المقارنة (فرنسا ومصر)؟ كما تبرز مشكلة البحث أيضاً في الآثار القانونية المتولدة من جراء إصدار القرار الإداري المعاكس، فما هي هذه الآثار؟ وما هو مدى سرياتها تجاه المخاطبين بها، سواء كان ذلك بالنسبة للماضي أم للمستقبل؟ وهل هنالك موقف قانوني أو قضائي تجاه هذه الآثار أم لا؟

رابعاً: هدف البحث.

يهدف موضوع البحث إلى معرفة الآليات القانونية التي تلتزم بموجبها الإدارة عند إصدارها للقرار الإداري المعاكس فيما يتعلق بالحقوق والمراكز القانونية التي نتجت من القرار الإداري الفردي السليم السابق، بالإضافة إلى معرفة الضمانات القانونية التي تحول دون تعسف الإدارة عند إصدارها لتلك القرار، ويهدف البحث أيضاً إلى بيان الآثار القانونية التي يرتبها القرار الإداري المعاكس، مع بيان الموقف الفقهي والقانوني والقضائي لهذه الآثار والضمانات.

خامساً: منهجية البحث.

اقتضى موضوع البحث الاعتماد على المنهج التحليلي من خلال تحليل الآراء الفقهية والنصوص القانونية المتعلقة بالقرار الإداري المعاكس، مع الاستعانة قدر الإمكان بالقرارات القضائية النازمة له، سواء كان ذلك بالعراق أم بالدول محل المقارنة، ومن أجل الإلمام بجميع مفاصل البحث تم الأخذ بالمنهج المقارن؛ لغرض الاطلاع على ما آلت إليه تشريعات الدول المقارنة، بخصوص تنظيمها للآثار والضمانات الخاصة بإصدار القرار الإداري المعاكس.

سادساً: خطة البحث.

لغرض الإحاطة التامة بموضوع الأحكام القانونية للقرار الإداري المعاكس (دراسة مقارنة)، سنقسم موضوع البحث على ثلاثة مطالب، سنخصص المطلب الأول منه إلى بيان: مفهوم القرار الإداري المعاكس، وسنبين في المطلب الثاني منه: الضمانات القانونية للقرار الإداري المعاكس، وسنبحث في المطلب الثالث: الآثار القانونية للقرار الإداري المعاكس، وينتهي البحث في خاتمة تضمنت جملة من الاستنتاجات والمقترحات.

المطلب الأول: مفهوم القرار الإداري المعاكس:

في حالة كانت القرارات الإدارية غير مشروعة يمكن للإدارة سحب قراراتها الإدارية المعيبة، أما الإلغاء فيكون في حالة إذا أصبح القرار الإداري لا يواكب التطور الحاصل في المرفق العام ويصبح غير ملائم للمراكز القانونية الحديثة فيمكن إلغاء قراراتها الإدارية السابقة وإصدار قرار إداري جديد صريح أو ضمني (قرار إداري عكسي)، وفقاً للشروط والإجراءات المحددة قانوناً، وتتجسد أهمية القرار الإداري المعاكس بالدرجة الأساس في حماية مبدأ المشروعية من القرارات الإدارية غير المشروعة والمحصنة بفوات ميعاد السحب والإلغاء، كما إن الآثار التي يرتبها هذا القرار يتصف بعدم رجوعيتها على الماضي أي أنها تسري على المستقبل فقط، لاسيما إلى أن هذا القرار يتصف بالعديد من الخصائص شأنه شأن بقية القرارات الإدارية الأخرى، من حيث وجوب خضوعه لنص قانوني يحكمه، بالإضافة إلى استقلاليته عن القرار الأصلي وصدوره من الجهة الإدارية المختصة بإصداره، لذا سنقسم هذا المطلب على فرعين سنتطرق في الفرع الأول: إلى بيان تعريف القرار الإداري المعاكس، وسنبين في الفرع الثاني: خصائص القرار الإداري المعاكس.

الفرع الأول: تعريف القرار الإداري المعاكس:

يعد القرار الإداري المعاكس الوسيلة الأساسية التي تستطيع الإدارة من خلاله إنهاء قراراتها الفردية السليمة، ولا يجوز لها سحب أو إلغاء أو المساس بتلك القرارات؛ حفاظاً على استقرار الأوضاع والمراكز القانونية بالنسبة للحقوق المكتسبة من جراء هذه القرارات، إلا أنه يمكن للإدارة أن تضع نهاية لهذه الحقوق مستقبلاً عند قيامها بإصدار القرار الإداري المعاكس، وعرف هذا القرار بالعديد من التعريفات الفقهية، أذ عرفه الفقيه الفرنسي Basset بأنه "القرار الذي يصدر بموجب نص قانوني ويسعى إلى تعديل أو إلغاء قرار فردي سليم ونهائي للمستقبل"^(٢)، وعرفه أيضاً الفقيه الفرنسي Muzellec "بأنه القرار الذي تصدره الإدارة ليحل محل قرار سابق"^(٣)، كما عُرف القرار الإداري المعاكس من قبل الفقه المصري بأنه "قرار إداري جديد ومستقل يؤدي إلى إلغاء القرار السليم وفقاً للشروط التي يحددها القانون"^(٤)، وعرفه آخر

٢ - نقلاً عن: رحيم سليمان الكبيسي، حرية الإدارة في سحب قراراتها، اطروحة دكتوراه، كلية الحقوق جامعة القاهرة، ٢٠٠٠، ص ٥٠.

٣ - د. حسني درويش عبد الحميد، نهاية القرار الإداري عن غير طريق القضاء، ط ٢، دار أبو المجد، القاهرة، ٢٠٠٨، ص ٥٥٠.

٤ - د. أحمد حافظ نجم، القانون الإداري، ط ١، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨١، ص ٤٩.

بأنه " إلغاء أو تعديل القرار السليم الذي انشأ حقاً أو مزايا يكون بقرار من نوع جديد يسمى بالقرار المضاد، ووفقاً للشروط والإجراءات التي نص عليها القانون"^(٥).

أما في العراق فقد عرف القرار الإداري المعاكس بأنه " قرار إداري جديد متكامل العناصر ينهي بصورة صريحة أو ضمنية آثار قرار إداري فردي سليم ومنشئ لحق كلياً أو جزئياً بأثر يمتد للمستقبل عن طريق اتباع قاعدة توازي الشكل عند عدم وجود نص "^(٦)، كما عُرف أيضاً بأنه " القرار المعاكس لقرار إداري مشروع أصدرته الإدارة"^(٧)، في حين عرفه آخر بأنه " قرار إداري يتضمن تعديلاً أو إلغاء لقرار إداري سابق صدر من الجهة ذاتها وبذات الإجراءات"^(٨)، وهناك من عرفه بأنه " القرار الصادر من الإدارة يتم بمقتضاه إنهاء قرار إداري فردي سليم الذي رتب حقاً لصاحب الشأن وفقاً للشروط والإجراءات التي ينص عليها القانون وبالنسبة للمستقبل"^(٩).

واستناداً لما سبق يتضح لنا من هذه التعريفات بأن الفقه الفرنسي والمصري والعراقي أكدوا على أن القرار الإداري المعاكس (العكسي) يكون من اختصاص الجهة الإدارية التي أصدرته فهو إما أن يلغي أو يعدل آثار القرارات الإدارية السابقة عليه، وبالنسبة للمستقبل.

وتأسيساً على ما تقدم يمكن أن نعرف القرار الإداري المعاكس بأنه (قرار إداري جديد تصدره الإدارة، لغرض إلغاء أو تعديل قرارها الإداري السابق الذي رتب حقاً لصاحب الشأن وفقاً للقانون وبالنسبة للمستقبل).

الفرع الثاني: خصائص القرار الإداري المعاكس:

يعد القرار الإداري المعاكس من القرارات الجوهرية، إذ أنه يمكن للإدارة معالجة قراراتها الإدارية الفردية السليمة التي أصدرتها، وبما أن هذا القرار يختلف في الأثر القانوني عن غيره من القرارات الإدارية التي

٥ - د. ثروت بدوي، تدرج القرارات الإدارية، دار العربية للموسوعات، القاهرة، ١٩٨٢، ١٢٢.

٦ - صادق محمد علي الحسيني، القرار الإداري المضاد - دراسة مقارنة، رسالة ماجستير، جامعة بابل، كلية القانون، ٢٠٠٤، ص ٧.

٧ - د. ميسون علي عبد الهادي، القرار الإداري المضاد وحماية الحقوق المكتسبة في ظل أحكام مجلس الدولة، بحث منشور في مركز دراسات المرأة، جامعة بغداد، ٢٠١٩، ص ٤.

٨ - د. مازن ليلو راضي، حماية الأمن القانوني في النظم القانونية المعاصرة، ط ١، المركز العربي، القاهرة، ٢٠٢٠، ص ٢٤٥.

٩ - خليل عبد القادر حسين، القرار الإداري المضاد وأثره على الحقوق المكتسبة دراسة تحليلية مقارنة - أطروحة دكتوراه، جامعة السليمانية كلية القانون، ٢٠٢١، ص ٣٣.

تصدرها الإدارة بإرادتها المنفردة، فهو يتصف بجملة من الخصائص والمميزات التي اتفق عليها الفقه الإداري ومنها.

أولاً: الإستقلالية

من الممكن إصدار القرار الإداري المعاكس من سلطة أخرى غير تلك السلطة التي أصدرت القرار الإداري السابق، بوصفه قرار إداري مستقل عن القرار الأصلي^(١٠)، إلا أن ذلك لا يمنع ذات السلطة التي أصدرت القرار الإداري الأول من أن تمارس حقها في إصدار القرار الإداري المعاكس، بنفس الإجراءات التي أصدرت بها القرار السابق، فمن الممكن أن تقوم السلطة التي أصدرت القرار الإداري الخاص بتعيين موظف، أن تصدر قراراً آخر بعزله من وظيفته، كما أنه لا بد من وجود نص قانوني يمنح الجهة الإدارية التي أصدرت القرار الإداري الفردي السليم صلاحية إصدار قرار إداري جديد معاكس للقرار الإداري السابق، يحدد بموجب القانون كيفية تطبيق القرار الإداري المعاكس فيما يتعلق بإلغاء أثر القرار الإداري السابق، واقتصار أثر القرار الإداري المعاكس الجديد على المستقبل^(١١).

ثانياً: عمل قانوني.

من المسلم به فقهاً أن الإدارة تمارس نشاطها من خلال نوعين من الأعمال، فهي إما أن تكون أعمال مادية لا يكون الغرض من ورائها أحداث أي أثر قانوني بشكل مباشر^(١٢)، وإما أن تكون أعمالاً قانونية تسعى الإدارة من ورائها أحداث أثر قانوني معين^(١٣)، بالإضافة إلى اختلاف طبيعة كل عمل عن الآخر، فالعمل المادي تارة يكون إرادياً تنفيذاً لقرار الإدارة يهدم المنازل الآيلة للسقوط، وقد يكون غير إرادي كما في حوادث المركبات الخاصة بالإدارة، ونتيجة لذلك فإن العمل المادي لا يرتب آثاراً قانونية وبالتالي فهي تخرج من أمكانية الطعن بما بالإلغاء أمام محاكم القضاء الإداري^(١٤).

أما بالنسبة للقضاء الإداري الفرنسي والمصري أشاروا إلى إمكانية الطعن بالإلغاء فيما يتعلق بجميع القرارات التي تصدر من الإدارة سواء كانت هذه القرارات مادية أو قانونية، أما في العراق فقد ذهب القضاء الإداري إلى وصف القرار الإداري المعاكس بأنه عمل قانوني؛ كونه يرتب آثاراً قانونية تتمثل أما

١٠ - ينظر: د. حسني درويش عبد الحميد، تحية القرار الإداري عن غير طريق القضاء، مصدر سابق، ص ٥٦٣.

١١ - ينظر: د. دعاء عبد المنعم شفيق، نظرية القرار الإداري المضاد، أطروحة دكتوراه، جامعة الزقازيق، كلية الحقوق، ٢٠٠٠،

ص ١٢٥.

١٢ - ينظر: د. عصام عبد الوهاب البرزنجي ود. علي محمد بدير و د. ياسين السلامي، مبادئ واحكام القانون الإداري، ط ١،

دار السنهوري، بغداد، ٢٠١٥، ٤١١.

١٣ - ينظر: د. عبد الغني بسيوني عبد الله، القانون الإداري، دون طبعة، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩١، ص ٥٤٤.

١٤ - ينظر: د. مازن ليلو راضي، القضاء الإداري، دون طبعة، منشورات جامعة دهوك، بغداد، ٢٠١٠، ص ١٨٨ - ١٨٩.

بانشاء مركز قانوني أو تعديل مركز قانوني قائم أو إلغاء له، ومن ثم فإن الاعمال المادية لا تعد من قبيل القرارات الإدارية؛ كونها لا تؤدي إلى أحداث آثار قانونية^(١٥)، وتجدر الإشارة إلى أن القرار الإداري المعاكس هو إجراء قانوني يصدر من الجهة الإدارية التي أصدرت القرار الإداري السابق، وإن جميع التصرفات المادية التي تصدرها الإدارة لا يكون الغرض منها إنهاء قراراتها الفردية السليمة؛ إلا وفقاً للشروط الشكلية والموضوعية الخاصة بإصدار القرار الإداري المعاكس^(١٦)، كما يرتب القرار الإداري المعاكس عند صدوره من الجهة الإدارية أثراً قانونية مختلفة، فهي أما أن تتمثل بإنشاء مركز قانوني جديد كالقرار الإداري المعاكس بتعيين موظف، أو تعديل مركز قانوني كالقرار الإداري المعاكس بترقية موظف، أو إنهاء مركز قانوني كالقرار الإداري المعاكس بإلغاء تعيين موظف دون تعيين موظف آخر يحل محله^(١٧).

ثالثاً: صدوره بالإرادة المنفردة.

تختلف الجهة الإدارية التي تصدر القرار الإداري المعاكس، سواء أكانت هذه الجهة مركزية متمثلة بسلطات الإدارة المركزية، أم لا مركزية تتمثل بسلطات الإدارة المحلية، وبذلك فإن القرار يعد أدارياً عندما يكون صادراً من إحدى الجهات الإدارية في الدولة، أما بالنسبة للقرارات الأخرى والتي تصدر من السلطات القضائية والتشريعية فأنها لا تعد من قبيل القرارات الإدارية^(١٨)، كما أن الإدارة لا تملك الاختصاص الأصلي في إصدار القرارات الإدارية إلا بعد توفر شرطين أساسيين الأول: وجود نص قانوني يمنحها صلاحية إصدار القرارات الإدارية، والثاني: أن تكون متمتعة بالشخصية المعنوية في إصدار تلك القرارات^(١٩)، كما أن القرار الإداري المعاكس يصدر بالإرادة المنفردة للإدارة دون الأخذ بنظر الاعتبار إرادة الطرف الأخر، والتي تتطلب توافق إرادتين كما هو الحال في العقود الإدارية، لذا فإن القرار الإداري

١٥ - ينظر: عبد الأمير حسون مسلماني، الاتجاهات الحديثة في القضاء الإداري، ط١، منشورات زين الحقوقية، بيروت،

٢٠١٦، ص ١١٨ - ١٢٢.

١٦ - ينظر: د. سليمان محمد الطماوي، النظرية العامة للقرارات الإدارية، دون طبعة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦١، ص

٦٠٢ - ٦٠٣.

١٧ - ينظر: د. محمود حلمي، القرار الإداري، ط١، دار الاتحاد العربي، القاهرة، ١٩٧٠، ص ٣٢٧.

١٨ - ينظر: د. عصام عبد الوهاب البرزنجي ود. علي محمد بدير و د. ياسين السلامي، مبادئ واحكام القانون الإداري،

مصدر سابق، ص ٤١٦.

١٩ - ينظر: د. ماهر صالح علاوي، الوسيط في القانون الإداري، دون طبعة، دار ابن الاثير للطباعة والنشر، بغداد، ٢٠١٢،

ص ٣٠٢.

من الممكن أن يصدر من فرد واحد أو أكثر يشتركون معاً في إصدار القرار كونهم ممثلين عن الجهة الإدارية المختصة في إصدار ذلك القرار كون أن إصداره يعبر عن إرادة طرف واحد وهي الجهة الإدارية (٢٠). ولما تقدم يتضح لنا أن القرار الإداري المعاكس يجب أن يصدر من الجهة الإدارية المختصة بإصداره، سواء أكانت هذه الجهة الإدارية هي التي أصدرت القرار السابق أم الجهة الإدارية الأعلى منها، لإمكانية الطعن به بالإلغاء أمام القضاء الإداري.

المطلب الثاني: الضمانات القانونية للقرار الإداري المعاكس:

من الوسائل القانونية التي تلجأ إليها الإدارة في تعديل أو إلغاء أو سحب قراراتها السابقة هو إصدارها للقرار الإداري المعاكس، نظراً لما تتمتع به الإدارة في هذا الشأن من سلطتها التقديرية، إلا أن هذه السلطة لم تكن مطلقة وإنما مقيدة بالعديد من الضمانات التي تهدف إلى حماية الحقوق المكتسبة للأفراد والحفاظ على مبدأ المشروعية في إصدار القرار المعاكس كونها تشكل حاجزاً قانونياً يحول دون تعسف في استخدام سلطتها عند إصدارها للقرار الإداري المعاكس، وهذه الضمانات تتجسد في أتباع الشكلية واحترام حق الدفاع للمخاطب بالقرار الإداري، وكذلك تسبب القرار الإداري المعاكس، لذا سنقسم هذا المطلب على ثلاثة فروع: نخصص الفرع الأول لبيان: شكلية إصدار القرار الإداري المعاكس، ونخصص الفرع الثاني لبيان، احترام حق الدفاع، ونبحث في الفرع الثالث: تسبب القرار الإداري المعاكس.

الفرع الأول: شكلية إصدار القرار الإداري المعاكس:

بصورة عامة أن القرار الإداري المعاكس لا يختلف عن بقية القرارات الإدارية الأخرى، إذ لا يشترط فيه أن يصدر وفق شكلية معينة، فمن الممكن أن يصدر بصيغة مكتوبة وهي الصفة الغالبة في إصدار القرارات الإدارية أو بصيغة شفوية، ويتجسد الغرض من إتباع الشكلية في كتابة القرار الإداري المعاكس وفق نص القانون، فالموظف الذي يتم تعيينه بمرسوم جمهوري لا بد أن يكون عزله بمرسوم جمهوري أيضاً (٢١)، كما يجب أن يكون القرار الإداري المعاكس صادراً بعبارة واضحة لا تختمل الغموض، وأن يكون صادراً من الموظف المختص بإصداره، ومعبراً عن إرادة الجهة الإدارية مصدره القرار (٢٢)، ونتيجة لذلك فإن

٢٠ - ينظر: د. محمد طه حسين الحسيني، الوسيط في القانون الإداري، دون طبعة، ج٣، منشورات زين الحقوقية، بيروت،

٢٠١٧، ص ٤١ - ٤٢.

٢١ - ينظر: د. حامد مصطفى، مبادئ القانون الإداري العراقي، دون طبعة، شركة الطبع والنشر الأهلية، بغداد، ١٩٨٦، ص

٢٥٨.

٢٢ - ينظر: ليث حسن علي، النظام القانوني للشكل والإجراءات في القرار الإداري — دراسة مقارنة، رسالة ماجستير، كلية

القانون، جامعة بغداد، ١٩٨٣، ص ٥٠.

القرار الإداري الفردي السليم السابق إذا كان صادراً بصورة مكتوبة، يجب أن يكون القرار الإداري المعاكس الجديد مكتوباً أيضاً وهذا ما أشارت إليه محكمة القضاء الإداري في مصر في حكمها في عام ١٩٥٣ بأنه "... أن القرار المكتوب لا يلغيه إلا قرار مكتوب أيضاً..."^(٢٣)، كما أكد المشرع العراقي إلى اتباع الشكلية فيما يتعلق بأهمية كتابة القرارات الإدارية عند فرض الجزاء التأديبي إذ نص في المادة (١٠/ثانياً) من قانون انضباط موظفي الدولة والقطاع العام رقم (١٤) لسنة ١٩٩١ المعدل، على أنه " تتولى اللجنة التحقيق تحريراً مع الموظف المخالف المحال عليها ولها في سبيل إداء مهمتها سماع وتدوين أقوال الموظف والشهود... وتحرر محضراً يثبت ما اتخذته من إجراءات..."، أما فيما يتعلق بصدور القرار الإداري المعاكس بشكل شفوي، فقد أكد الفقه إلى إمكانية إصدار القرار الإداري المعاكس بشكل شفوي بشرط أن يتم إثبات وجود الواقعة المراد اتخاذ ذلك القرار بشأنها^(٢٤)، كما ذهب البعض إلى أن القرار الإداري المعاكس يجب أن يصدر بذات الطريقة التي صدر فيها القرار الإداري السابق^(٢٥).

الفرع الثاني: احترام حق الدفاع:

يعد حق الدفاع من الضمانات الجوهرية التي نصت عليها العديد من الدساتير والقوانين سواء كان ذلك في التشريع العراقي أو في تشريعات الدول المقارنة، إذ يترتب على عدم مراعاة حق الدفاع عند مواجهة الموظف المخالف عدم مشروعية القرار الإداري مما يجعله جديراً بالإلغاء، كما يعد هذا الحق من الضمانات الأساسية للموظف العام التي تجب فيها الضمانات الأخرى أساسها المقررة بموجب القانون^(٢٦). لذا فقد عرف حق الدفاع بأنه " تمكين المتهم من أبداء دفاعه في التهمة المنسوبة إليه فتسمع أقواله وما يبديه من دفوع"^(٢٧)، كما عرفه آخر بأنه " حق المتهم في الرد على ما هو منسوب إليه بالوسائل الممكنة"^(٢٨)، وتمثل العلة الغائية من ضرورة توافر حق الدفاع في إفساح المجال أمام المتهم (الموظف

٢٣ - ينظر: د. موسى شحادة، أهمية القواعد الشكلية والإجرائية في إعداد القرارات الفردية، بحث منشور في مجلة أبحاث اليرموك، العدد ٣، ٢٠٠١، ص ٤٥١.

٢٤ - ينظر: صادق محمد علي الحسيني، القرار الإداري المضاد دراسة مقارنة - ، مصدر سابق، ص ٨٠.

٢٥ - ينظر: د. حمدي ياسين عكاشة، القرار الإداري في قضاء مجلس الدولة المصري، دون طبعة، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٨٧، ص ٢٢٠.

٢٦ - ينظر: د. عبد الفتاح عبد الحليم عبد البر، الضمانات التأديبية في الوظيفة العامة دراسة مقارنة - ، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٩، ص ٢٩٤.

٢٧ - د. مصطفى أبو زيد فهمي، القضاء الإداري ومجلس الدولة، ط ٤، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٧٩، ص ٤٩٤.

٢٨ - د. عبد الفتاح عبد الحليم عبد البر، الضمانات التأديبية في الوظيفة العامة دراسة مقارنة - ، مصدر سابق، ص ٢٩١.

المخالف) للتعبير عن وجهة نظره بما يقدم من دفع وادلة ومستندات تدفع التهمة المنسوبة إليه سواء كان ذلك أمام اللجنة المختصة بالتحقيق أم أمام المحكمة^(٢٩)، كما يجد هذا المبدأ تطبيقاً صريحاً له في مجال القرارات الإدارية المنشئة وغير المنشئة للحقوق، ويعد من قبيل القرارات التي لا تولد حقوق للموظف هي تلك القرارات المتعلقة بالجزاء التأديبية بالنسبة للقرار الإداري المعاكس^(٣٠)، لذلك يشترط لتطبيق مبدأ حق الدفاع أن يكون هناك جزاء يفرض على الموظف؛ نتيجة لارتكابه فعل يشكل مخالفة تأديبية تقتضي فرض الجزاء^(٣١).

ويجد حق الدفاع الأساس القانوني له في العراق والدول محل المقارنة، في العديد من الدساتير و القوانين الخاصة بتنظيم الوظيفة العامة، ففي فرنسا نجد المادة (١٩) من قانون الوظائف الفرنسي رقم (٦٣٤) لعام ١٩٨٣، أشارت إلى وجوب احترام حق الموظف بالدفاع عما ينسب إليه من تهم، وكذلك في نص آخر أكد بصورة صريحة على أهمية مراعاة هذا الحق إذ جاء فيه " لكل الموظفين المدنيين والعسكريين وكل المستخدمين والعمال في جميع الإدارات العامة لهم حق الاطلاع الشخصي والسري على كل الملاحظات والوثائق التي يحتويها ملفهم سواء قبل توقيع الجزاء التأديبي أو النقل أو قبل صدور قرار التأخير في الترقية بالأقدمية"^(٣٢).

أما بالنسبة إلى المشرع المصري فقد أشار أن حق الموظف بالدفاع هو حقاً دستورياً إذ نص عليه في دستور جمهورية مصر لعام ٢٠١٤ المعدل على أنه " حق الدفاع أصالة أو بالوكالة مكفول، واستقلال المحاماة وحماية حقوقها ضمان لكفالة حق الدفاع..."^(٣٣)، كما أشار الدستور أيضاً إلى حق الدفاع في نص المادة (٩٦) إذ جاء فيها " المتهم برئ حتى تثبت إدانته في محاكمة قانونية عادلة، تكفل له فيها ضمانات الدفاع عن نفسه..."، وبذلك فأن حق الدفاع يكفل الحماية القانونية والدستورية لحقوق الموظف المشروعة، وفقاً لما جاء بقرار المحكمة الدستورية العليا المصرية إذ جاء فيه " ... أن حق الدفاع يمثل

٢٩ - ينظر: د. حسني درويش، حماية القرار الإداري عن غير طريق القضاء، مصدر سابق، ص ٥٨٨.

٣٠ - ينظر: د. ميثاق حيطان حامد الدليمي، سلطة الإدارة في إنهاء القرار الإداري، رسالة ماجستير، كلية الحقوق، جامعة

الشرق الأوسط، ٢٠١٥، ص ٢١٨.

٣١ - ينظر: محمد بن إبراهيم بن عبد الله، القرار الإداري المضاد في النظام السعودي دراسة مقارنة - ، رسالة ماجستير، جامعة

الأمم محمد بن سعود الإسلامية، ٢٠١٠، ص ٨٨.

٣٢ - المادة ٦٥ - من قانون الموازنة الفرنسي الصادر في عام ١٩٠٥.

٣٣ - ينظر: نص المادة ٩٨ - من دستور جمهورية مصر لعام ٢٠١٤ المعدل.

ضمانة أساسية يوفر الدستور من خلالها الفاعلية لأحكامه...^(٣٤)، كما أكد المشرع المصري على حق الموظف بالدفاع عن نفسه بوصفه ضرورة أساسية لدفع التهم المنسوبة إليه سواء كان ذلك أمام الجهات التحقيقية أو أمام المحاكم المختصة وفقاً لما جاء بنص المادة (١٥٩) من قانون الخدمة المدنية المصري رقم (٨١) لسنة ٢٠١٦، على أنه "... وسماع أقواله وتحقيق دفاعه..." كما أشارت إلى هذا الحق أيضاً اللائحة التنفيذية رقم (١٢١٦) لسنة ٢٠١٧، إذ جاء فيها " للموظف المحال إلى التحقيق الاطلاع على كافة أوراق التحقيق وتقديم ما يشاء من مستندات تؤيد دفاعه"^(٣٥)، وما يؤكد ذلك الأحكام الصادرة من المحكمة الإدارية العليا، من ذلك حكمها الصادر عام ١٩٧٩ الذي جاء فيه " لا يجوز توقيع عقوبة على العامل إلا بعد التحقيق معه كتابة وسماع أقواله وتحقيق دفاعه، ويجب أن يكون القرار الصادر بتوقيع العقوبة مسبباً"^(٣٦)، وأيضاً حكمها الصادر في عام ١٩٨٣ إذ جاء فيه "... ضرورة إجراء التحقيق مع من تجري محاكمته تأديبياً... وضرورة توفير الضمانات التي تكفل له الإحاطة بالالتزام وما إلى ذلك من وسائل التحقيق للدفاع نفيًا وإثباتاً"^(٣٧).

أما في العراق فقد كفل المشرع العراقي حق الموظف بالدفاع بأعباءه حق دستوري من ذلك ما نصت عليه المادة (١٩ / رابعاً) من دستور جمهورية العراق لعام ٢٠٠٥، إذ جاء فيها " حق الدفاع مقدس ومكفول في جميع مراحل التحقيق والمحاكمة" ونص على حق الدفاع أيضاً قانون انضباط موظفي الدولة والقطاع العام رقم (١٤) لسنة ١٩٩١ المعدل من أنه "... وتحرر محضراً تثبت فيه ما اتخذته من إجراءات وما سمعته من أقوال..."^(٣٨)، ويلاحظ من هذا النص بأن عبارة (ما سمعته من أقوال) هي إشارة صريحة إلى ممارسة الموظف لحقه في الدفاع، كما أشارت إلى ذلك أيضاً المحكمة الإدارية العليا في قراراً لها جاء فيه "... وجدت المحكمة بأن المادة (١٠) من قانون الانضباط نصت على أنه.... ولها في سبيل أداء مهمتها سماع وتدوين أقوال الموظف... وهذا يعني وجوب سماع أقوال الموظف من اللجنة التحقيقية ولا

٣٤ ينظر: حكم المحكمة الدستورية العليا المصرية في الطعن رقم ٢٦/ لسنة ١٣ قضائية - ، الصادر في ١٦ مايو ١٩٩٢،

منشور في مجموعة أحكام المحكمة الدستورية العليا لعام ١٩٩٤، ج٥، مجلد ٢٤، ص ٣٤٤.

٣٥ - ينظر: نص المادة ١٥٦ - من اللائحة التنفيذية رقم ١٢١٦ لسنة ٢٠١٧ الخاصة بأصدار قانون الخدمة المدنية المصري

رقم ٨١ - لسنة ٢٠١٦.

٣٦ - ينظر: د. حسني درويش، نهاية القرار الإداري عن غير طريق القضاء، مصدر سابق، ص ٥٨٩.

٣٧ - أشار له: د. محمد فؤاد عبد الباسط، القرار الإداري، دون طبعة، دار الفكر العربي، الإسكندرية، ٢٠٠٠، ص ١٥٢.

٣٨ - ينظر: نص المادة ١٠/ثانياً - من قانون انضباط موظفي الدولة والقطاع العام رقم ١٤ - لسنة ١٩٩١ المعدل.

يجوز الاكتفاء بتدوين أقواله، وحيث أن اللجنة لم تستمع إلى الموظف... وبذلك تكون العقوبة غير صحيحة من حيث الإجراءات...^(٣٩).

ونستنتج مما تقدم بأن المشرع العراقي قد سائر كل من المشرع الفرنسي والمصري بضرورة أتاحة الفرصة للموظف بممارسة حق الدفاع بما ينسب إليه من التهم من قبل الجهات التحقيقية المختصة؛ لأنه يمثل ركيزة أساسية وجوهرية في صحة القرارات الإدارية بما فيها القرار الإداري المعاكس، إذ يترتب على عدم مراعاته عدم مشروعية تلك القرارات مما يجعلها معرضة للإلغاء عند الطعن بما أمام القضاء الإداري.

الفرع الثالث: تسبب القرار الإداري المعاكس:

أن تسبب القرار الإداري المعاكس يعد من الضمانات الجوهرية والأساسية، إذ من خلاله يمكن للإدارة الإفصاح عن المبررات القانونية والواقعية التي دعت إلى إصدار القرار الإداري المعاكس، وبذلك فقد عرف التسبب بالعديد من التعريفات الفقهية، إذ عرفه الفقيه الفرنسي vedel بأنه "التزام قانوني تفصح الإدارة بمقتضاه عن الأسباب القانونية والواقعية التي دفعتها إلى إصدار القرار الإداري"^(٤٠)، كما عرفه آخر بأنه "مظهر خارجي من مظاهر شروط صحة الشكل في القرار الإداري، تقوم الإدارة من خلاله بذكر الأسباب القانونية والواقعية التي دفعتها لأصدار القرار، ويترتب على إغفاله في الحالات الوجوبية بطلان القرار الإداري"^(٤١).

ومما لا شك فيه فأن تسبب القرارات الإدارية بصورة عامة والقرار الإداري المعاكس بصورة خاصة له أهمية كبيرة، سواء أكان ذلك تجاه الإدارة أم أمام الأفراد المخاطبين بالقرار الإداري المعاكس أم أمام القضاء، فأهميته بالنسبة للإدارة تظهر في احترامها لمبدأ المشروعية وخضوعها للقانون، والأصل ان الإدارة غير ملزمة بتسبب قراراتها إلا إذا الزمها القانون بذلك؛ لأنها متى ما سببت قراراتها فأنها تكون ملزمة بإصدار القرار ذاته في حالة عدم وجود تلك الأسباب مستقبلاً، كما أن التسبب يجعل من الإدارة مصدره القرار رقيقة على نفسها لغرض تجنب أي خطأ ممكن أن تقع فيه^(٤٢).

٣٩ - ينظر: قرار المحكمة الإدارية العليا المرقم ٢٢٠٦/قضاء موظفين/تميز/٢٠١٧ - ٢٠١٧، المورخ في ١٤/١٢/٢٠١٧، قرار غير منشور.

٤٠ - ينظر: د. موسى شحادة، أهمية القواعد الشكلية والإجرائية في إعداد القرارات الفردية، مصدر سابق، ص ٤٥٣.

٤١ - سمية محمد كامل، الشكل في القرارات الإدارية دراسة مقارنة - ، دون طبعة، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ٢٠١٤،

ص ٩١.

٤٢ - ينظر: بيداء أبراهيم قادر، التنظيم القانوني لتسبب العقوبات الانضباطية دراسة مقارنة - ، رسالة ماجستير، كلية الحقوق،

جامعة النهدين، ٢٠٠٨، ص ١٥.

أما بالنسبة إلى أهميته للأفراد تتجسد في أن التسبب يمكنهم من معرفة أسباب إصدار القرار الإداري المعاكس عندما يكون ماساً بحقوقهم، بالإضافة إلى أنه يؤدي إلى تسهيل مهمة الاثبات عند عدم مشروعية القرار الإداري المعاكس في حالة الطعن به أمام المحاكم الإدارية المختصة، كما أن التسبب يوفر الحماية القانونية الكافية للأفراد من تعسف الإدارة عند إصدارها للقرار الإداري المعاكس^(٤٣)، أما بالنسبة لأهميته للقضاء فهو يعد وسيلة أساسية وضرورية في إصدار القرارات الإدارية؛ لأنها تمكن القاضي الإداري من معرفة فيما إذا كانت الإدارة قد راعت اختصاصها في إصدار تلك القرارات أم لم تراعي ذلك^(٤٤)، بالإضافة إلى أن قيام الإدارة بتسبب قراراتها الإدارية يساهم مساهمة فعالة في التخفيف عن كاهل القضاء فيما يتعلق بتقليل عدد الدعاوى المقامة أمام المحاكم؛ لأن معرفة صاحب الشأن بالأسباب التي دعت الإدارة إلى إصدار قرارها الإداري ومدى صحة تلك القرارات المراد الطعن بها أمام القضاء^(٤٥).

ولما تقدم نرى بأن التسبب له أهمية كبيرة إذ يجب على الإدارة أن تلتزم بتسبب قراراتها الإدارية، بما في ذلك القرار الإداري المعاكس لما له من دور إيجابي في حماية حقوق الأفراد من تعسف الإدارة، والتخفيف عن كاهل القضاء الإداري.

ومن الجدير بالذكر أن تسبب القرارات الإدارية يشترط فيه توافر جملة من الشروط، إذ يشترط فيه أن يكون واضحاً ومفهوماً من قبل صاحب الشأن المخاطب بالقرار الإداري المعاكس^(٤٦)، كما يشترط فيه أن يكون كافياً ومحققاً للغرض الذي صدر من أجله القرار الإداري المعاكس، بالإضافة إلى أنه يشترط فيه أن يكون معاصراً للقرار أي أن يتوفر التسبب وقت صدور القرار الإداري المعاكس^(٤٧)، كما يجب أن يكون التسبب مباشراً، أي أن ذكره وارد في صلب القرار الإداري المعاكس^(٤٨).

٤٣ - ينظر: دعاء عبد المنعم شفيق، نظرية القرار الإداري المضاد، مصدر سابق، ص ١٩٦.

٤٤ - ينظر: د. ميثاق قحطان حامد الدليمي، سلطة الإدارة في إنهاء القرار الإداري، مصدر سابق، ص ٢١١.

٤٥ - ينظر: محمد خالد شهاب المعاضيدي، القرار الإداري المضاد، دون طبعة، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ٢٠١٦، ص

٨٦.

٤٦ - ينظر: د. سليمان محمد الطماوي، القضاء الإداري، قضاء الإلغاء، الكتاب الأول، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠١٥،

ص ٧٦٢.

٤٧ - ينظر: د. مصطفى أحمد الديداوني، الإجراءات والأشكال في القرار الإداري دراسة مقارنة - ، دون طبعة، الهيئة العامة

المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢، ص ١٨٧.

٤٨ - ينظر: د. سليمان محمد الطماوي، النظرية العامة للقرارات الإدارية دراسة مقارنة - ، ط٧، دار الفكر العربي، القاهرة،

٢٠٠٦، ص ٢٦٩.

أما بالنسبة إلى الأساس القانوني للتسبب في العراق والدول المقارنة، فقد نصت عليه العديد من التشريعات المتعلقة بالوظيفة العامة، إذ ذهب المشرع الفرنسي في قانون تسبب القرارات الإدارية الفرنسي الصادر عام ١٩٧٩، إلى وجوب تسبب القرارات الإدارية وفقاً لما انتظم النص عليه بأنه " يجب أن تكون القرارات الإدارية مسببة ومستندة إلى القواعد العامة المقررة في القوانين والأنظمة"^(٤٩)، كما أن موقف مجلس الدولة الفرنسي لم يكن بمعزل عن تسبب القرارات الإدارية المعاكسة، وإنما أشار إلى إلزامية تسبب تلك القرارات عند إصدارها بإلغاء القرارات الإدارية السليمة والسابقة المنشئة للحقوق من ذلك قراره الصادر في ١٧/١١/١٩٨٢، حيث جاء فيه " إلغاء عقوبة عزل الموظف؛ كونها جاءت خالية من التسبب"^(٥٠).

وفي مصر نجد أن المشرع المصري أكد هو الآخر على ضرورة تسبب القرارات الإدارية المتعلقة بفرض الجزاءات التأديبية في الكثير من النصوص القانونية، منها قانون الخدمة المدنية المصري رقم (٨١) لسنة ٢٠١٦، إذ نص على أنه "... ويجب أن يكون القرار الصادر بتوقيع الجزاء مسبباً"^(٥١)، كما أشارت إلى ذلك أيضاً المادة (١٦٣) من اللائحة التنفيذية رقم (١٢١٦) لسنة ٢٠١٧، والتي جاء فيها " يعلن الموظف كتابةً بقرار الجزاء الموقع عليه وأسبابه، وذلك خلال سبعة أيام من تاريخ صدوره...."، وفي ذات الصدد ذهب قانون تنظيم الجامعات المصرية رقم (٤٩) لسنة ١٩٧٢، إلى وجوب تسبب القرارات التأديبية^(٥٢)، وهذا ما أخذت به المحكمة الإدارية العليا المصرية في حكمها إذ جاء فيه " القرار التأديبي يجب أن يقوم على سبب يبرره بحيث يقوم على حالة واقعية أو قانونية يسوغ تدخل الإدارة بتوقيع الجزاء، ويجب أن يكون توقيع الجزاء مسبباً"^(٥٣).

أما بالنسبة إلى موقف المشرع العراقي من تسبب القرارات الإدارية وبضمنها القرار الإداري المعاكس، فقد أكدت على ذلك العديد من القوانين، منها قانون الخدمة المدنية رقم (٢٤) لسنة ١٩٦٠ المعدل، إذ نص على أنه " لا ينقل الموظف من محل وظيفته إلا بعد قضائه مدة لا تقل عن ثلاث سنوات.... ولا

٤٩ - ينظر: نص المادة ٣ - من قانون تسبب القرارات الإدارية الفرنسي الصادر ١٩٧٩ والنافذ في عام ١٩٨٠.

٥٠ - نقلاً عن: د. غازي فيصل مهدي، شرح أحكام قانون انضباط موظفي الدولة والقطاع العام رقم ١٤ - لسنة ١٩٩١،

دون طبعة، بغداد، ٢٠٠١، ص ٥٧.

٥١ - ينظر: نص المادة ٥٩ - من قانون الخدمة المدنية المصري رقم ٨١ - لسنة ٢٠١٦.

٥٢ - نصت المادة ١١٢ - من قانون تنظيم الجامعات المصرية رقم ٤٩ - لسنة ١٩٧٢، على أنه " لرئيس الجامعة توقيع عقوبة

التنبيه واللوم المنصوص عليها في المادة ١١٠ - على هيئة التدريس الذي يخلون بواجباتهم أو بمقتضيات وظائفهم، وذلك بعد سماع أقوالهم وتحقيق دفاعهم، ويكون قراره في ذلك مسبباً ونهائياً"

٥٣ - ينظر: حكم المحكمة الإدارية العليا المصرية في الطعن رقم ٤٤١٦ لسنة ٤٤ قضائية عليا - ، جلسة ٢٠٠٢/٣/٣.

يجوز نقله قبل ذلك إلا بمقتضى المصلحة العامة أو ضرورة صحية، ويجب أن تستند مقتضيات المصلحة العامة إلى أسباب معينة تذكر في أمر النقل...^(٥٤)، كما أشار قانون أنضباط موظفي الدولة والقطاع العام رقم (١٤) لسنة ١٩٩١ المعدل، إلى تسبب القرارات الخاصة بفرض العقوبات الانضباطية في المادة (٨/سابعاً وثامناً)^(٥٥).

أما بالنسبة إلى موقف القضاء الإداري العراقي من تسبب القرارات الإدارية، فهناك العديد من القرارات القضائية التي توجب تسبب القرارات الإدارية بصورة عامة وبالأخص القرارات الإدارية الخاصة بفرض العقوبات الانضباطية، من ذلك قرار المحكمة الإدارية العليا العراقية بأنه " يكون قرار فرض العقوبة غير صحيح إذ خلا من أسباب فرضها"^(٥٦)، كذلك قرارها الذي جاء فيه " يكون القرار باطلاً إذا لم يكن مستنداً إلى أسباب قانونية وموضوعية صحيحة"^(٥٧)، كما أشارت المحكمة الإدارية العليا إلى ضرورة وجود أسباب تبرر إصدار القرار الإداري، وفقاً لما جاء بقرارها " لا يصح تخفيض العقوبة المفروضة بحق الموظف مالم توجد أسباب تبرر ذلك"^(٥٨).

ويتضح مما سبق بأن المشرع العراقي والمصري أشاروا إلى أن تسبب القرارات الإدارية يقتصر على القرارات التأديبية الخاصة بتوقيع العقوبات الانضباطية على الموظفين، وهو بذلك لم يساير المشرع الفرنسي الذي أكد على إلزام الإدارة بتسبب القرارات الصادرة منها فيما يتعلق بنهاية القرارات الإدارية المشروعة.

المطلب الثالث: الآثار القانونية للقرار الإداري المعاكس:

كما هو معلوم أن جميع القرارات الإدارية تخضع إلى مبدأ عدم سرريان أثرها إلى الماضي إلا إذ نص القانون على خلاف ذلك، أو كانت نتيجة إلغائها بموجب قرار قضائي، ومن تلك القرارات هو القرار

٥٤ - ينظر: نص المادة ٣٦ - من قانون الخدمة المدنية رقم ٢٤ - لسنة ١٩٦٠ المعدل.

٥٥ - نصت المادة ٨/سابعاً وثامناً - من قانون أنضباط موظفي الدولة والقطاع العام رقم ١٤ - لسنة ١٩٩١ المعدل، على أنه

سابعاً: الفصل "ويكون بتنحية الموظف عن الوظيفة مدة تحدد بقرار الفصل يتضمن الأسباب التي استوجبت فرض العقوبة عليه..."
ثامناً: العزل: "ويكون بتنحية الموظف عن الوظيفة نهائياً ولا تجوز إعادة توظيفه في دوائر الدولة والقطاع الاشتراكي، وذلك بقرار مسبب من الوزير...."

٥٦ - ينظر: قرار المحكمة الإدارية العليا العراقية رقم ١٤٧ / قضاء إداري / تمييز / ٢٠١٦ - ، المؤرخ في ١٣/٩/٢٠١٨، المكتب

الفني، قرارات مجلس الدولة وفتاواه لعام ٢٠١٨، ص ٣٥١.

٥٧ - ينظر: قرار المحكمة الإدارية العليا العراقية رقم ١٤١١ / قضاء إداري / تمييز / ٢٠١٨ - ، المؤرخ في ١٣/٢/٢٠٢٠،

المكتب الفني، قرارات مجلس الدولة وفتاواه لعام ٢٠٢٠، ص ٤٣٦ - ٤٣٧.

٥٨ - ينظر: قرار المحكمة الإدارية العليا العراقية رقم ٥٨٤ / قضاء موظفين / تمييز / ٢٠١٨ - ، المؤرخ في ١٢/٨/٢٠٢٠،

المكتب الفني، قرارات مجلس الدولة وفتاواه لعام ٢٠٢٠، ص ٣١٥.

الإداري المعاكس حيث لا تسري آثاره إلى الماضي وإنما تسري إلى المستقبل فقط، لما فيه من احترام لقواعد المشروعية من جانب واستقرار الحقوق والمراكز القانونية المكتسبة من جانب آخر، وهذا ما تبناه الكثير من فقهاء القانون الإداري، وما استقرت عليه أحكام مجلس الدولة الفرنسي والمصري والعراقي على أعمال قاعدة عدم رجعية أو سريان القرار الإداري المعاكس إلى الماضي، واقتصر آثاره على المستقبل، لذلك سنقسم هذا المطلب على فرعين، سنتطرق في الفرع الأول إلى بيان: عدم سريان أثر القرار الإداري المعاكس إلى الماضي، وسنخصص الفرع الثاني إلى بيان: انصراف أثر القرار الإداري المعاكس إلى المستقبل فقط.

الفرع الأول: عدم سريان أثر القرار الإداري المعاكس على الماضي:

من المسلم به فقهاً وقضاءً عدم سريان أثر القرار الإداري المعاكس إلى الماضي، واقتصر آثاره إلى المستقبل مع بقاء الآثار التي رتبها القرار الإداري السابق سليمة ونافاذة من الناحية القانونية؛ كون أن القرار الإداري المعاكس يُعد قراراً إدارياً جديداً ومستقلاً عن القرار الأول وبمجرد صدوره يمثل نهاية طبيعية للقرار الإداري الأول الذي حل محله، ونتيجة لذلك تطرق الفقه القانوني الإداري إلى العديد من التعريفات لمبدأ عدم سريان أثر القرار الإداري المعاكس إذ عرف بأنه "سريان القرار الإداري بأثر مباشر من تاريخ نفاذه وعدم انسحابه على ما تم من مراكز قانونية قبل ذلك"^(٥٩)، كما عرف بأنه "عدم جواز تطبيق القرار الإداري على الأعمال والوقائع القانونية التي تمت قبل التاريخ المحدد لبدء سريانه، وإنما ينحصر سريانه على ما يحدث من وقائع وأعمال بعد تاريخ السريان"^(٦٠)، وبذلك فإن الآثار التي يربتها القرار الإداري المعاكس تسري على المستقبل ابتداءً من تاريخ صدور القرار، وهو مما يتلائم مع مبدأ تطبيق الأثر الفوري والمباشر للقانون بالنسبة للمراكز القانونية التي تكونت في ظل القرار الإداري السابق^(٦١)، ولعل من أهم المبررات القانونية الخاصة بعدم رجعية أو سريان القرارات الإدارية وبضمنها القرار الإداري المعاكس هو ما يقتضيه استقرار المعاملات والمراكز القانونية، إذ أن مجرد القول أو الأخذ بمبدأ رجعية القرارات الإدارية، فلا نكون أمام استقرار في تلك المعاملات، كما يجعل من الإدارة سلطة عليا في إلغاء الأوضاع القانونية الفردية المكتسبة في الماضي، فمبدأ عدم رجعية هذه القرارات يمثل ضماناً أساسية وجوهية في عدم

٥٩ - د. شريف يوسف خاطر، القرار الإداري، ط٢، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٩، ص ١٠١.

٦٠ - د. آداء حدود، الوجيز في القانون الإداري، دون طبعة، دون دار نشر، دبي، ٢٠٠٤، ص ٣٥٣.

٦١ - ينظر: حسام محسن عبد العزيز، القرار الإداري المضاد وأثره على مبدأ الأمن القانوني دراسة مقارنة - ، بحث منشور في

مجلة نينوى للدراسات القانونية، كلية القانون، جامعة الموصل، العدد صفر، ٢٠٢٤، ص ٢٦٧.

المساس بالمراكز القانونية للأفراد التي تولدت لهم من القرارات الإدارية السابقة^(٦٢)، ومن المبررات أيضاً هي ضرورة مراعاة مقتضيات العدالة والمنطق، فمبدأ عدم انصراف تلك القرارات على الماضي يعد من مقتضيات تحقيق العدالة بين الأفراد وعدم التأثير عليهم فيما يتعلق بحقوقهم والتزاماتهم الناشئة من جراء تنفيذ القرار الإداري السابق عليهم^(٦٣)، أما بالنسبة إلى السبب الرئيسي في عدم سريان أثر القرارات الإدارية على الماضي يتجسد في احترام الحقوق المكتسبة لصاحب الشأن، فإذا اكتسب حقاً في ظل نظام قانوني لا يسمح بموجبه المساس بذلك الحق حتى وأن تغيرت الأوضاع القانونية التي عن طريقها اكتسب ذلك الحق، ونتيجة لذلك يعد اكتساب الأفراد لحقوقهم القانونية ضمانه جوهرية لهم فلا يجوز المساس بها إلا بموجب القانون^(٦٤).

أما بخصوص موقف الفقه والقضاء الإداري في العراق والدول المقارنة، من مبدأ عدم سريان أثر القرار الإداري المعاكس إلى الماضي، فقد أشار الفقه الفرنسي إلى أن القرار الإداري المعاكس لا يمتد من ناحية الأثر إلى الماضي، وإنما تبقى الآثار التي رتبها القرار السابق نافذة حين صدور القرار الإداري المعاكس، وهذا ما أكده الفقيه بونارد بأنه "القرار السابق على القرار المعاكس يستمر نافذاً ومنتجاً لآثاره كاملة إلى وقت صدور القرار المعاكس، على أن تبقى الآثار التي تمت قبل صدور القرار الأخير سليمة وقائمة قانوناً" كما شار إلى ذلك أيضاً الفقيه Muzellec بأنه "القرار المعاكس يقتصر على إنهاء القرار السابق بالنسبة للمستقبل مع ترك آثاره التي تمت في الماضي سليمة"^(٦٥)، وهذا ما أخذ به مجلس الدولة الفرنسي في حكمه الصادر في عام ١٩٨١ إذ جاء فيه "... عدم استطاعة الإدارة الرجوع في القرار؛ لأنه منشئاً حقوقاً لصاحب الشأن؛ ولأنه كان سليماً"^(٦٦)، وأيضاً حكمه الصادر في ٢٠٠٨/٨/١٦ إذ جاء فيه

٦٢ - ينظر: د. محمد رفعت عبد الوهاب، القضاء الإداري، الكتاب الأول، دون طبعة، منشورات الحلبي الحقوقية بيروت،

٢٠٠٣، ص ٦٠.

٦٣ - ينظر: د. أحمد عبد الحسيب عبد الفتاح، الأثر الرجعي في القضاء الإداري والدستوري، دون طبعة، دار النهضة العربية،

القاهرة، ٢٠١٢، ص ٢٥٩.

٦٤ - ينظر: خليل عبد القادر حسين، القرار الإداري المضاد وأثره على الحقوق المكتسبة دراسة مقارنة - ، مصدر سابق، ص

٢١٣.

٦٥ - ينظر: د. حسني درويش، نهاية القرار الإداري عن غير طريق القضاء، مصدر سابق، ص ٥٩٤.

٦٦ - أشار له د. محمد خالد المعاصيدي، القرار الإداري المضاد، مصدر سابق، ص ١٢٣.

"...، أن مبدأ عدم الرجعية في القرار الإداري يعني تطبيق نصوصه القانونية على المراكز القانونية للأفراد التي تم انشاؤها قبل دخولها حيز النفاذ..."^(٦٧).

أما في مصر اتجه الفقه إلى عدم جواز سريان القرار الإداري المعاكس إلى الماضي، إذ لا يمكن تطبيق ذلك القرار على الأوضاع والمراكز القانونية التي اكتسبت قبل بدأ سريان القرار الإداري المعاكس^(٦٨)، بالإضافة إلى أن جميع القرارات الإدارية، سواء أكانت قرارات فردية أم لائحية تسري في مواجهة المعنيين بها مباشرة بمجرد صدورهما، ومن ثم لا تكون لها صفة الرجعية بالنسبة لأثارها إلى الماضي^(٦٩)، وهذا ما أشارت إليه المحكمة الإدارية العليا المصرية في حكمها الذي جاء فيه "...، أن القاعدة الأساسية التي يستند إليها في نفاذ القرارات الإدارية ومنها القرارات التنظيمية أو القرارات الفردية هو أن يقتزن بتاريخ صدورهما بحيث تسري هذه الأحكام بالنسبة للمستقبل فقط، ولا تسري على الماضي بأثر رجعي..."^(٧٠)، كما أكدت ذلك أيضاً في حكم آخر لها جاء فيه "...، أن الأصل في نفاذ القرارات الإدارية هو أن تقتزن القرارات بتاريخ صدورهما بحيث تسري على المستقبل، ولا تسري على الماضي بأثر رجعي، وذلك حفاظاً على الحقوق المكتسبة للأفراد والمراكز الذاتية واستقرار المعاملات في المجتمع..."^(٧١).

أما بخصوص موقف الفقه والقضاء الإداري العراقي فهو الآخر أقر بعدم إمكانية سريان القرار الإداري المعاكس على الماضي، معتبراً إياه من المبادئ العامة للقانون التي لا يمكن الاتفاق على مخالفتها، لأن الأصل في أثارها تسري إلى المستقبل فقط، وليس لها أي أثر رجعي إلى الماضي، حفاظاً على الحقوق الفردية واستقرار المعاملات والمراكز القانونية المكتسبة التي كانت سائدة في ظل صدور القرار الإداري

67 – Les grads: arrest de jurisprudence administrative, edition 15, Paris, 2005, p 392.

٦٨ - ينظر: د. محمد فؤاد المهنا، القانون الإداري المصري والمقارن، ج ١، دون طبعة، مطبعة نصر، القاهرة، ١٩٥٨، ص

٦٣٠.

٦٩ - ينظر: د. محمد رفعت عبد الوهاب، القضاء الإداري، دون طبعة، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، ٢٠٠٥، ص ٤٠٠.

٧٠ - ينظر: حكم المحكمة الإدارية العليا المصرية في الطعن رقم ٦٧٤٨ لسنة ٤٧ قضائية - ، المؤرخ في جلسة ٢٠٠١/٥/١١.

مجموعة أحكام المحكمة الإدارية العليا لعام ٢٠٠١، ص ١٠٩.

٧١ - ينظر: حكم المحكمة الإدارية العليا المصرية في الطعن رقم ٣٢٠٦ لسنة ٤٩ قضائية - ، المؤرخ في جلسة ٢٠٠٥/٥/٢.

مجموعة مجلس الدولة لأحكام القضاء الإداري، المجلد الأول، القاهرة، ص ٦٤.

السابق^(٧٢)، وهذا ما أخذ به مجلس الدولة العراقي في قرار صادر للمحكمة الإدارية العليا إذ جاء فيه " لا يسري القرار الإداري بأثر رجعي "^(٧٣).

ويجد هذا المبدأ أساسه في العديد من النصوص الدستورية والقانونية التي تؤكد على عدم سريان أثر هذا القرار على الماضي، من ذلك ما جاء في القانون الإداري الفرنسي إذ نص على أنه " لا يجوز للقرار الإداري أن يكون له أثر رجعي إلا إذا أجاز القانون ذلك صراحة أو إذا نص القانون على خلاف ذلك لتحقيق مصلحة عامة"^(٧٤)، وفي نص آخر أشار إلى ذلك " أن القوانين لا تسري إلا على المستقبل وليس لها أثراً رجعية"^(٧٥)، كذلك الحال في مصر إذ أشار إلى هذا المبدأ في المادة (٢٢٥) من دستور جمهورية مصر لسنة ٢٠١٤ المعدل، التي نصت على أنه " لا تسري أحكام القوانين إلا على ما يقع من تاريخ العمل بها..."، ونص على ذلك أيضاً القانون المدني المصري رقم (١٣١) لسنة ١٩٤٨ المعدل، في المواضيع الخاصة بالتقادم والأهلية القانونية^(٧٦)، أما في العراق فقد ذهب إلى ما ذهب إليه المشرع المصري من حيث الإخذ بمبدأ عدم رجعية القوانين حسب ما جاء بنص المادة (١٩) من دستور جمهورية العراق لعام ٢٠٠٥، إذ نصت على أنه " ليس للقوانين أثر رجعي مالم ينص على خلاف ذلك، ولا يشمل هذا الاستثناء قوانين الضرائب والرسوم" والملاحظ من هذه النصوص القانونية أنها لم تشر بصورة صريحة إلى عدم سريان القرار الإداري المعاكس إلى الماضي، وإنما تناولت القوانين فقط، وبالتالي فمن الممكن أن تكون هذه النصوص القانونية أساساً لمبدأ عدم سريان أثر القرار الإداري المعاكس، لأن المشرع عندما ينص في الدستور أو في القوانين على هذا المبدأ يكون بذلك قد راعى مسألة تدرج القواعد القانونية، مما يترتب عليها من خضوع القاعدة القانونية الأدنى مرتبة للقاعدة القانونية الأعلى مرتبة، ونتيجة لذلك لا يمكن للإدارة أن تقوم بأصدار قرارات إدارية معاكسة ذات أثر رجعي إلى الماضي، احتراماً لما تقرره من

٧٢ - ينظر: د. مازن ليلو راضي، النظرية العامة للقرارات والعقود الإدارية، منشأة المعارف، الإسكندرية، ٢٠١٢، ص ٥٨.

٧٣ - ينظر: قرار المحكمة الإدارية العليا رقم ٩٩٣/ قضاء موظفين/ تمييز/ ٢٠٢١ - المؤرخ في ٢٩/٥/٢٠٢٢، المكتب الفني،

قرارات مجلس الدولة وفتاواه لعام ٢٠٢٢، ص ٤١٥.

٧٤ - ينظر: نص المادة ٢/١١١ - ٤ - من القانون تنظيم القضاء الإداري الفرنسي لسنة ٢٠٠٠.

٧٥ - ينظر: نص المادة ١ - من القانون المدني الفرنسي لعام ١٨٠٤ المعدل.

٧٦ - ينظر: نص المادة ٦ و ٧ - من القانون المدني المصري رقم ١٣١ - لسنة ١٩٤٨ المعدل.

نصوص قانونية ناظمة لهذا المبدأ، وبذلك فمن باب أولى أن كل ما يطبق على التشريعات العادية يطبق على القرارات الإدارية كونها أدنى مرتبة منها^(٧٧).

الفرع الثاني: انصراف أثر القرار الإداري المعاكس إلى المستقبل:

يخضع القرار الإداري المعاكس إلى مبدأ آخر وهو انصراف أثره إلى المستقبل فقط فيما يتعلق بالمراكز القانونية التي ستكتسب في المستقبل، وبذلك فإن هذا القرار عند صدوره أما أن يؤدي إلى إلغاء أو تعديل القرارات الإدارية الفردية السليمة^(٧٨) التي صدرت في الماضي، سواء أكان ذلك بصورة كلية أو جزئية، على أن تبقى الآثار التي انتجتها سليمة، لذا عُرف هذا المبدأ بأنه " انصرافه إلى المستقبل ابتداءً من تاريخ صدوره، مع بقاء كافة الآثار التي ولدها القرار الملغى سليمة ومنتجة لجميع آثارها"^(٧٩)، وبذلك فإن الفقه والقضاء الإداري في فرنسا أكد على أن هذا القرار يسري بأثر مستقبلي ابتداءً من تاريخ صدوره^(٨٠)، على القرارات الإدارية الفردية فيما يتعلق بآثارها الفردية بالنسبة للمستقبل، ومن ثم لا يجوز للإدارة أن تتعرض لها بالمستقبل، سواء أكان ذلك بالإلغاء أم بالتعديل^(٨١)، كما أشار إلى ذلك أيضاً الفقيه الفرنسي (البير albere) بأن " إلغاء قرار تعيين موظف يكون عن طريق اتخاذ إجراءات فصله وأحالاته إلى المعاش طبقاً للقوانين والأنظمة السائدة وقت صدور القرار"^(٨٢)، وأيضاً الفقيه الفرنسي Muzellec الذي أكد على " أن القرار الإداري المعاكس يقتصر على إنهاء آثار القرار السابق بالنسبة للمستقبل مع ترك آثاره التي تمت في الماضي سليمة"^(٨٣)، وبذات المعنى ذهب الفقيه الفرنسي Devolve من أنه " إنهاء القرار المشروع بأثر للمستقبل عند اتخاذ الإجراءات المعاكسة"^(٨٤)، وهذا ما استقر عليه قضاء مجلس الدولة الفرنسي في العديد من القضايا الخاصة بفصل الموظفين وأحالتهم إلى المعاش من ذلك حكمه في

٧٧ - ينظر: د. علاء عبد المعتال، مدى جواز الرجعية وحدودها في القرارات الإدارية، دون طبعة، دار النهضة العربية، القاهرة،

٢٠٠٤، ص ٥٢.

٧٨ - يعرف القرار الإداري الفردي بأنه "القرار الإداري الذي ينشئ مركزاً قانونياً خاصاً بفرد معين" أشار له د. حمدي ياسين

عكاشة، القرار الإداري في قضاء مجلس الدولة المصري، مصدر سابق، ص ٢٤٥.

٧٩ - ينظر: د. سليمان محمد الطماوي، النظرية العامة للقرارات الإدارية، مصدر سابق، ص ٦٩٢.

٨٠ - ينظر: د. أحمد حافظ نجم، القانون الإداري، ج ٢، دون طبعة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩١، ص ٥٠.

٨١ - ينظر: محمد خالد شهاب المعاضبي، القرار الإداري المضاد، مصدر سابق، ص ١٣٤.

٨٢ - ينظر: عبد الحميد عبد المهدي، أثر تغير الوقائع على مشروعية القرار الإداري دراسة مقارنة -، سالة ماجستير، كلية

القانون، جامعة بغداد، ف ١٩٨٣، ص ٤٣.

٨٣ - ينظر: د. حسني درويش، حماية القرار الإداري عن غير طريق القضاء، مصدر سابق، ص ٥٩٤.

٨٤ - د. أبراهيم طه الفياض، القانون الإداري، ط ١، مطبعة الفلاح، الكويت، ١٩٨٨، ص ٤١٢.

الذي جاء فيه " أن القرار المنشئ لحق لا يمكن إلغائه إلا بقرار جديد يخضع للشروط التي يتطلبها القانون، وبالتالي لا يمكن سحب قرار التعيين إلا بقرار عزل الموظف أو أحالته إلى المعاش " (٨٥).

أما في مصر فإن الفقه والقضاء الإداري المصري سلك مسلك الفقه والقضاء الإداري الفرنسي بخصوص اقتصار سريان آثار القرار الإداري المعاكس إلى المستقبل فقط، لذلك ذهب الفقه إلى القول " أن القرار المعاكس يعتبر قرار جديد ومنفصل عن القرار الأول وصدوره يعتبر نهاية للقرار الأول الذي يحل محله، ومن ثم تتوقف آثاره بالنسبة للمستقبل ويبقى منتجاً لآثاره بالنسبة للماضي دون المساس به " (٨٦)، كما أكدوا على أن " القرار المضاد سواء صدر بإلغاء القرار الأول صراحة أو ضمناً فإن أثره ينصرف إلى المستقبل " (٨٧)، وهذا ما أشار له قضاء مجلس الدولة المصري وفقاً لما جاء بحكم المحكمة الإدارية العليا " عدم رجعية القرارات الإدارية، حتى وأن كان الأصل في نفاذ تلك القرارات يكون بتاريخ صدورها، وبذلك فهي تسري على المستقبل ولا تسري بأثر رجعي على الماضي... " (٨٨).

أما في العراق نجد أن الفقه والقضاء الإداري لم يخرج عن ما انتهى إليه الفقه والقضاء الإداري في الدول محل المقارنة، إذ اتفق الفقه على أن " القرار الإداري يكون نافذاً من تاريخ صدوره وينتج آثاره للمستقبل من لحظة صدوره ولا يسري بآثاره على الماضي " (٨٩)، في حين ذهب آخر إلى أنه من الممكن أن يتم إنهاء آثار القرار الإداري الفردي السليم بالنسبة للمستقبل مع عدم المساس بتلك الآثار التي تمت في الماضي (٩٠)، وهذا ما أشارت إليه المحكمة الإدارية العليا في قرارها الذي جاء فيه " لا يسري القرار الإداري بأثر رجعي " (٩١).

٨٥ - أشار له د. أحمد يسري، أحكام المبادئ في القضاء الإداري الفرنسي، دون طبعة، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩١،

ص ٢١.

٨٦ - ينظر: دعاء عبد المنعم شفيق، نظرية القرار الإداري المضاد، مصدر سابق، ص ٤٥٦.

٨٧ - د. حمدي ياسين عكاشة، القرار الإداري في قضاء مجلس الدولة المصري، مصدر سابق، ص ٣٢٩.

٨٨ - ينظر: حكم المحكمة الإدارية العليا المصرية في الطعن رقم ٣٢٥٦ لسنة ٤٩ قضائية - ، جلسة ٢٠٠٥/٢/٢٠، مجموعة

قرارات المحكمة الإدارية العليا المصرية لعام ٢٠٠٥.

٨٩ - د. ماهر صالح علاوي الجبوري، الوسيط في القانون الإداري، دون طبعة، دار ابن الأثير للطباعة والنشر، الموصل،

٢٠١٢، ص ٣٨٣.

٩٠ - ينظر: د. نجيب خلف أحمد الجبوري، القانون الإداري، ط ٢، مكتبة يادكار، السليمانية، ٢٠١٨، ص ٣١٦.

٩١ - ينظر: قرار المحكمة الإدارية العليا رقم ٩٣٣/قضاء موظفين/تميز/ ٢٠٢١ - ، المؤرخ في ٢٩/٥/٢٠٢٢، المكتب الفني،

قرارات مجلس الدولة وفتاواه لعام ٢٠٢٢، ص ٤١٥. مشار له مسبقاً في ثنايا البحث.

ومن الجدير بالذكر أن القرارات التنظيمية التي تصدرها الإدارة لا تخضع لمبدأ عدم إمكانية المساس بآثارها التي حصلت في الماضي، إذ أن على الإدارة أن تعدل أو تلغي أو تستبدل تلك القرارات بغيرها في أي وقت وفقاً لمقتضيات المصلحة العامة، لأن القرارات التنظيمية بمجرد صدورها لا تنشئ مراكز ذاتية، وإنما تنشئ مراكز قانونية عامة وموضوعية^(٩٢).

واستناداً إلى ما سبق بيانه نرى بأن كل من الفقه والقضاء الإداريين في العراق والدول المقارنة، اتفقوا على أن القرار الإداري المعاكس يقتصر سريلانه من حيث الآثار التي يربتها على المستقبل فقط، وعدم إمكانية الرجوع بها على الآثار التي تمت في الماضي، إلا ما استثني منها بنص قانوني صريح؛ لغرض الحفاظ على المراكز القانونية المكتسبة.

الختام

بعد أن فرغنا من بحث موضوع (الأحكام القانونية للقرار الإداري المعاكس - دراسة مقارنة)، تمكنا من الوصول إلى جملة من الاستنتاجات والمقترحات وهي:

أولاً: الاستنتاجات:

١. أن الأثر القانوني المترتب على إصدار القرار الإداري المعاكس، يتجسد في انصراف آثار ذلك القرار للمستقبل فقط، دون الرجوع بها على ما نتج من القرارات الفردية السابقة من حقوق ومراكز قانونية مكتسبة دون القرارات التنظيمية، وذلك لغرض استقرار المراكز القانونية واحترام مبادئ العدالة والمنطق.
٢. أن ضمانات احترام حق الدفاع والتسبب عند إصدار القرار الإداري المعاكس، تعد من الأسس الجوهرية التي يجب الأخذ بها حتى وأن لم ينص عليها القانون، إذ يترتب على عدم مراعاتها أو أغفالها عدم مشروعية القرار الإداري المعاكس، مما يجعله عرضة للطعن به بالإلغاء أمام القضاء الإداري لما لهما من مساس مباشر بالمراكز القانونية.
٣. تكون السلطة المختصة بإصدار القرار الإداري المعاكس هي ذاتها التي أصدرت القرار الأول أو السلطة الرئاسية لها، ما لم ينص القانون على أناطة ذلك الأختصاص لجهة أخرى.
٤. أن كل من المشرع العراقي والمصري اتفقوا بأن يكون تسبب القرارات الإدارية قاصراً على القرارات التأديبية الخاصة بتوقيع العقوبات الانضباطية على الموظفين، دون أن يكون هناك إلزام على الإدارة بتسبب قراراتها المتعلقة بنهاية القرارات الإدارية المشروعة.

٩٢ - ينظر: د. مازن ليلو راضي، القانون الإداري، دون طبعة، دار المطبوعات الجامعية، الاسكندرية، ٢٠٠٥، ص ٢٣١.

ثانياً: المقترحات:

١. نقتح على المشرع العراقي أن يقرر الزامية التسبب عند إصدار القرارات الإدارية بما في ذلك القرار الإداري المعاكس، لما له من أهمية كبيرة تتجسد في دقة العمل الإداري والحفاظ على حقوق الأفراد أمام القضاء أو أمام الجهات الرقابية المختلفة.
٢. ندعو المشرع العراقي إلى النص صراحة ببطلان جميع الإجراءات الخاصة بأصدار القرارات الإدارية الخاصة بفرض العقوبات الانضباطية وما ينتج عنها من آثار عند الإخلال بضمانة الدفاع والتسبب.
٣. نوصي المشرع العراقي بأدراج نص يتضمن معالجة قانونية للأثار الناتجة عن القرارات الإدارية الفردية السابقة، عند صدور القرار الإداري المعاكس واقتصار سريانه على المستقبل فقط، فيما يتعلق بأحترام الحقوق المكتسبة واستقرار المراكز القانونية للأفراد المخاطبين بذلك القرار.

المصادر

أولاً: الكتب القانونية.

١. د. أبراهيم طه الفياض، القانون الإداري، ط ١، مطبعة الفلاح، الكويت، ١٩٨٨.
٢. د. أحمد حافظ نجم، القانون الإداري، ج ٢، دون طبعة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩١.
٣. د. أحمد حافظ نجم، القانون الإداري، ط ١، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨١.
٤. د. أحمد عبد الحسيب عبد الفتاح، الأثر الرجعي في القضاء الإداري والدستوري، دون طبعة، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠١٢.
٥. د. أحمد يسري، أحكام المبادئ في القضاء الإداري الفرنسي، دون طبعة، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩١.
٦. د. آداء حدود، الوجيز في القانون الإداري، دون طبعة، دون دار نشر، دبي، ٢٠٠٤.
٧. د. ثروت بدوي، تدرج القرارات الإدارية، دار العربية للموسوعات، القاهرة، ١٩٨٢.
٨. د. حامد مصطفى، مبادئ القانون الإداري العراقي، دون طبعة، شركة الطبع والنشر الأهلية، بغداد، ١٩٨٦.
٩. د. حسني درويش عبد الحميد، نماية القرار الإداري عن غير طريق القضاء، ط ٢، دار أبو المجد، القاهرة، ٢٠٠٨.
١٠. د. حمدي ياسين عكاشة، القرار الإداري في قضاء مجلس الدولة المصري، دون طبعة، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٨٧.
١١. د. سليمان محمد الطماوي، القضاء الإداري، قضاء الإلغاء، الكتاب الأول، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠١٥.
١٢. د. سليمان محمد الطماوي، النظرية العامة للقرارات الإدارية (دراسة مقارنة)، ط ٧، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠٦.
١٣. د. سليمان محمد الطماوي، النظرية العامة للقرارات الإدارية، دون طبعة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦١.
١٤. سمية محمد كامل، الشكل في القرارات الإدارية (دراسة مقارنة)، دون طبعة، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ٢٠١٤.
١٥. د. شريف يوسف خاطر، القرار الإداري، ط ٢، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٩.

١٦. عبد الأمير حسون مسلماني، الاتجاهات الحديثة في القضاء الإداري، ط ١، منشورات زين الحقوقية، بيروت، ٢٠١٦.
١٧. د. عبد الغني بسيوني عبد الله، القانون الإداري، دون طبعة، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩١.
١٨. د. عبد الفتاح عبد الحلیم عبد البر، الضمانات التأديبية في الوظيفة العامة (دراسة مقارنة)، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٩.
١٩. د. عصام عبد الوهاب البرزنجي ود. علي محمد بدير و د. ياسين السلامي، مبادئ واحكام القانون الإداري، ط ١، دار السنهوري، بغداد، ٢٠١٥.
٢٠. د. علاء عبد المعتال، مدى جواز الرجعية وحدودها في القرارات الإدارية، دون طبعة، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٤.
٢١. د. غازي فيصل مهدي، شرح أحكام قانون انضباط موظفي الدولة والقطاع العام رقم (١٤) لسنة ١٩٩١، دون طبعة، بغداد، ٢٠٠١.
٢٢. د. مازن ليلو راضي، القانون الإداري، دون طبعة، دار المطبوعات الجامعية، الاسكندرية، ٢٠٠٥.
٢٣. د. مازن ليلو راضي، القضاء الإداري، دون طبعة، منشورات جامعة دهوك، بغداد، ٢٠١٠.
٢٤. د. مازن ليلو راضي، النظرية العامة للقرارات والعقود الإدارية، منشأة المعارف، الإسكندرية، ٢٠١٢.
٢٥. د. مازن ليلو راضي، حماية الأمن القانوني في النظم القانونية المعاصرة، ط ١، المركز العربي، القاهرة، ٢٠٢٠.
٢٦. د. ماهر صالح علاوي الجبوري، الوسيط في القانون الإداري، دون طبعة، دار ابن الأثير للطباعة والنشر، الموصل، ٢٠١٢.
٢٧. د. ماهر صالح علاوي، الوسيط في القانون الإداري، دون طبعة، دار ابن الاثير للطباعة والنشر، بغداد، ٢٠١٢.
٢٨. محمد خالد شهاب المعاضيدي، القرار الإداري المضاد، دون طبعة، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ٢٠١٦.
٢٩. د. محمد رفعت عبد الوهاب، القضاء الإداري، الكتاب الأول، دون طبعة، منشورات الحلبي الحقوقية بيروت، ٢٠٠٣.

٣٠. د. محمد رفعت عبد الوهاب، القضاء الإداري، دون طبعة، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، ٢٠٠٥.

٣١. د. محمد طه حسين الحسيني، الوسيط في القانون الإداري، دون طبعة، منشورات زين الحقوقية، بيروت، ٢٠١٧.

٣٢. د. محمد فؤاد المهنا، القانون الإداري المصري والمقارن، ج ١، دون طبعة، مطبعة نصر، القاهرة، ١٩٥٨.

٣٣. د. محمد فؤاد عبد الباسط، القرار الإداري، دون طبعة، دار الفكر العربي، الإسكندرية، ٢٠٠٠.

٣٤. د. محمود حلمي، القرار الإداري، ط ١، دار الاتحاد العربي، القاهرة، ١٩٧٠.

٣٥. د. مصطفى أبو زيد فهمي، القضاء الإداري ومجلس الدولة، ط ٤، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٧٩.

٣٦. مصطفى أحمد الديداوني، الإجراءات والأشكال في القرار الإداري (دراسة مقارنة)، دون طبعة، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢.

٣٧. د. نجيب خلف أحمد الجبوري، القانون الإداري، ط ٢، مكتبة يادكار، السليمانية، ٢٠١٨.

ثانياً: الرسائل والأطاريح.

١. بيداء إبراهيم قادر، التنظيم القانوني لتسبب العقوبات الإنضباطية (دراسة مقارنة)، رسالة ماجستير، كلية الحقوق، جامعة النهدين، ٢٠٠٨.

٢. خليل عبد القادر حسين، القرار الإداري المضاد وأثره على الحقوق المكتسبة (دراسة تحليلية مقارنة)، أطروحة دكتوراه، كلية القانون، جامعة السليمانية، ٢٠٢١.

٣. دعاء عبد المنعم شفيق، نظرية القرار الإداري المضاد، أطروحة دكتوراه، كلية الحقوق، جامعة الزقازيق، ٢٠٠٠.

٤. رحيم سليمان الكبيسي، حرية الإدارة في سحب قراراتها، أطروحة دكتوراه، كلية الحقوق جامعة القاهرة، ٢٠٠٠.

٥. صادق محمد علي الحسيني، القرار الإداري المضاد (دراسة مقارنة)، رسالة ماجستير، جامعة بابل، كلية القانون، ٢٠٠٤.

٦. عبد الحميد عبد المهدي، أثر تغير الوقائع على مشروعية القرار الإداري (دراسة مقارنة)، رسالة ماجستير، كلية القانون، جامعة بغداد، ١٩٨٣.

٧. ليث حسن علي، النظام القانوني للشكل والإجراءات في القرار الإداري — دراسة مقارنة، رسالة ماجستير، كلية القانون، جامعة بغداد، ١٩٨٣.
٨. محمد بن إبراهيم بن عبد الله، القرار الإداري المضاد في النظام السعودي (دراسة مقارنة)، رسالة ماجستير، جامعة الأمام محمد بن سعود الإسلامية، ٢٠١٠.
٩. ميثاق قحطان حامد الدليمي، سلطة الإدارة في إنهاء القرار الإداري، رسالة ماجستير، كلية الحقوق، جامعة الشرق الأوسط، ٢٠١٥.

ثالثاً: البحوث القانونية.

١. حسام محسن عبد العزيز، القرار الإداري المضاد وأثره على مبدأ الأمن القانوني (دراسة مقارنة)، بحث منشور في مجلة نينوى للدراسات القانونية، كلية القانون، جامعة الموصل، العدد صفر، ٢٠٢٤.
٢. موسى شحادة، أهمية القواعد الشكلية والإجرائية في إعداد القرارات الفردية، بحث منشور في مجلة أبحاث اليرموك، العدد ٣، ٢٠٠١.
٣. ميسون علي عبد الهادي، القرار الإداري المضاد وحماية الحقوق المكتسبة في ظل أحكام مجلس الدولة، بحث منشور في مركز دراسات المرأة، جامعة بغداد، ٢٠١٩.

رابعاً: الدساتير والقوانين.

١. دستور جمهورية العراق لعام ٢٠٠٥.
٢. دستور جمهورية مصر العربية لعام ٢٠١٤ المعدل.
٣. القانون المدني الفرنسي لعام ١٨٠٤ المعدل.
٤. قانون الموازنة الفرنسي الصادر في عام ١٩٠٥ المعدل.
٥. القانون المدني المصري رقم (١٣١) لسنة ١٩٤٨ المعدل.
٦. قانون الخدمة المدنية العراقي رقم (٢٤) لسنة ١٩٦٠ المعدل.
٧. قانون تنظيم الجامعات المصرية رقم (٤٩) لسنة ١٩٧٢ المعدل.
٨. قانون تسبيب القرارات الإدارية الفرنسي الصادر ١٩٧٩ والنافذ في عام ١٩٨٠.
٩. قانون انضباط موظفي الدولة والقطاع العام رقم (١٤) لسنة ١٩٩١ المعدل.
١٠. قانون تنظيم القضاء الإداري الفرنسي لسنة ٢٠٠٠.
١١. قانون الخدمة المدنية المصري رقم (٨١) لسنة ٢٠١٦.

خامساً: الأنظمة والتعليمات.

١. اللائحة التنفيذية رقم ١٢١٦ لسنة ٢٠١٧ الخاصة بإصدار قانون الخدمة المدنية المصري رقم (٨١) لسنة ٢٠١٦.

سادساً: القرارات القضائية.

١. حكم المحكمة الدستورية العليا المصرية في الطعن رقم (٢٦/ لسنة ١٣ قضائية)، الصادر في ١٦ مايو ١٩٩٢، منشور في مجموعة أحكام المحكمة الدستورية العليا لعام ١٩٩٤.
٢. حكم المحكمة الإدارية العليا المصرية في الطعن رقم (٦٧٤٨ لسنة ٤٧ قضائية)، المؤرخ في جلسة ١١/٥/٢٠٠١. مجموعة أحكام المحكمة الإدارية العليا لعام ٢٠٠١.
٣. حكم المحكمة الإدارية العليا المصرية في الطعن رقم (٤٤١٦ لسنة ٤٤ قضائية عليا)، جلسة ٣/٣/٢٠٠٢.
٤. حكم المحكمة الإدارية العليا المصرية في الطعن رقم (٣٢٥٦ لسنة ٤٩ قضائية)، جلسة ٢/٢/٢٠٠٥، مجموعة قرارات المحكمة الإدارية العليا المصرية لعام ٢٠٠٥.
٥. حكم المحكمة الإدارية العليا المصرية في الطعن رقم (٣٢٠٦ لسنة ٤٩ قضائية)، المؤرخ في جلسة ٢/٥/٢٠٠٥. مجموعة مجلس الدولة لأحكام القضاء الإداري لعام ٢٠٠٥.
٦. قرار المحكمة الإدارية العليا المرقم (٢٢٠٦/ قضاء موظفين/ تمييز/ ٢٠١٧)، المؤرخ في ١٤/١٢/ ٢٠١٧، قرار غير منشور.
٧. قرار المحكمة الإدارية العليا العراقية رقم (١٤٧/ قضاء إداري/ تمييز/ ٢٠١٦)، المؤرخ في ١٣/٩/٢٠١٨، المكتب الفني، قرارات مجلس الدولة وفتاواه لعام ٢٠١٨.
٨. قرار المحكمة الإدارية العليا العراقية رقم (١٤١١/ قضاء إداري/ تمييز/ ٢٠١٨)، المؤرخ في ١٣/٢/٢٠٢٠، المكتب الفني، قرارات مجلس الدولة وفتاواه لعام ٢٠٢٠.
٩. قرار المحكمة الإدارية العليا العراقية رقم (٥٨٤/ قضاء موظفين/ تمييز/ ٢٠١٨)، المؤرخ في ١٢/٨/٢٠٢٠، المكتب الفني، قرارات مجلس الدولة وفتاواه لعام ٢٠٢٠.
١٠. قرار المحكمة الإدارية العليا رقم (٩٩٣/ قضاء موظفين/ تمييز/ ٢٠٢١) المؤرخ في ٢٩/٥/٢٠٢٢، المكتب الفني، قرارات مجلس الدولة وفتاواه لعام ٢٠٢٢.

سابعاً: المصادر الأجنبية.

1. Les grads: arrest de jurisprudence administrative, edition 15, Paris, 2005.

الاثار الاقتصادية والاجتماعية لمشروع طريق التنمية

The economic impacts of it and its development road project

د. طالب حسين فارس (١)

Prof. Talib Hussein Fares (PhD)

د. شيماء رشيد محسن (٢)

Asst. Prof. Shaima Rashid Mohsen (PhD)

م. مروه حسن هادي (٣)

Asst. Lect. Marwa Hassan Hadi

الملخص

يعد ميناء الفاو الكبير حجر الزاوية لطريق التنمية والمشاريع المرتبطة به، بما في ذلك المناطق الاقتصادية والصناعية التي تتمتع بأهمية اقتصادية كبيرة. يُتوقع أن يسهم هذا المشروع في تعزيز التنمية الاقتصادية والاجتماعية في العراق من خلال إنشاء بنية تحتية متكاملة تشمل الطرق والجسور والسكك الحديدية والمطارات، بالإضافة إلى تطوير الموانئ الحالية وتطوير ميناء الفاو الذي يمثل نقطة انطلاق مشروع طريق التنمية. يرتبط هذا المشروع بشكل مباشر بالطرق التجارية العالمية، مما يعزز من مكانة العراق كممر اقتصادي حيوي في المنطقة بفضل موقعه الاستراتيجي الذي يربط بين ثلاث قارات. كما يعد مشروع طريق التنمية

١ - جامعة كربلاء - كلية الادارة والاقتصاد

٢ - جامعة كربلاء - كلية الادارة والاقتصاد

٣ - جامعة كربلاء - كلية الادارة والاقتصاد

حلاً استراتيجياً للعديد من التحديات التي تواجه الدول المستفيدة، حيث يسعى لتحقيق تنمية مستدامة وشاملة، مما يحوّل العراق إلى أكبر مركز لوجستي عالمي في المنطقة ويجعله نقطة محورية لحركة النقل في الشرق الأوسط. من المتوقع أن يسهم المشروع في تنوع مصادر الدخل من خلال إيرادات متجددة ومتنوعة، بالإضافة إلى توفير فرص عمل وتقليل معدلات البطالة، مما يعزز من تحقيق أهداف التنمية المستدامة في العراق.

الكلمات المفتاحية: ميناء الفاو الكبير، طريق التنمية، التنمية الاقتصادية، التنمية الاجتماعية، التنمية

المستدامة

Abstract

The term: the port of Al-Kabir is the cornerstone of the development process and related projects, including the economic and industrial areas that enjoy great economic importance. This project is expected to contribute to the promotion of economic and social development in Iraq through the construction of integrated infrastructure including roads, bridges, railways and airports, as well as the development of existing ports and the establishment of the Alfao port, which represents the starting point of the development project. This project is directly connected to international trade routes, which enhances Iraq's position as a vital economic hub in the region thanks to its strategic location that connects three continents. The project is also considered a strategic solution to many of the challenges facing the beneficiary countries, as it seeks to achieve sustainable and comprehensive development, which will turn Iraq into the largest global logistics center in the region and make it a pivotal point for mobility in the Middle East.

Keywords: Al-Faw Grand Port, Development Road, economic development, social development, sustainable development

المقدمة

يعد النقل مصدراً هاماً للتنمية الاقتصادية الوطنية، لتوسيع المعرفة باقتصاديات النقل لا بد من التعرض لقطاع النقل المتمثل في النقل البري والنقل البحري والنقل الجوي وخاصة قطاع النقل البحري وموضوعات النقل الاقتصادي ودراسة النقل نظراً لأهميته الاقتصادية في نقل التجارة العالمية وبما أن النقل والتجارة هما عملة ذات وجه واحد، فإن النقل وسيلة لتحفيز التجارة الخارجية، تعمل الدول النامية جاهدة على تطوير جميع أنواع وسائل النقل، بما في ذلك السفن التجارية والناقلات والشاحنات البرية والسكك الحديدية وجميع وسائل النقل التي تستخدم الأساليب التكنولوجية.

وتعد البنى التحتية للنقل محكراً رئيساً من محركات التنمية المستدامة. بجميع جوانبها الاقتصادية والاجتماعية والبيئية، وأن مشروع طريق التنمية هو مشروع يساعد على إضافة إيرادات جديدة على الموازنة العراقية إلى جانب الإيرادات النفطية وهذا ما سيسهم في دفع عجلة النمو والتنمية الاقتصادية في العراق

لما سوف يخلقه هذا المشروع من مشاريع. وفرص عمل. وتكامل إقتصادي. مع تعزيز ودعم العلاقات الإقتصادية والدبلوماسية مع دول الجوار، ولن نتطرق إلى أهمية النقل فقط لأن طريق التنمية هو مشروع متكامل. يضم العديد. من الأوجه الإقتصادية التي ستدعم الإقتصاد العراقي، ولاشك أن هذا المشروع في حال تطبيقه. على حسب ما خطط له فسيكون. أحد أسباب. تحقيق التنمية. المستدامة في العراق. على الرغم من أن ظروف العراق الاقتصادية والسياسية والاجتماعية تؤدي إلى ضعف البنية التحتية، إلا أن موقع العراق الاستراتيجي وقدرته المالية سواء من خلال الموازنة أو من خلال الاستثمار الأجنبي او عن طريق القروض الخارجية فهو قادر على تحقيق ما خطط له. في هذا المشروع من ممرات برية وسكك حديدية ومحطات ومناطق إستراحة للركاب. وأيضاً مناطق. صناعية وكل هذا سيعزز من دور. العراق الإستراتيجي.

أولاً: أهمية البحث

تتجلى أهمية البحث في دوره الحيوي ضمن مشروع طريق التنمية الاستراتيجي، الذي يربط ميناء الفاو الكبير عبر ممر ملاحى عميق، مما يعزز من كفاءة النقل البحري ويساهم في تطوير البنية التحتية الاقتصادية للمنطقة. كما يعزز هذا المشروع من أهمية النقل المستدام، خاصة النقل البري الذي يشمل السيارات والقطارات. يجسد طريق التنمية استكمالاً لمسيرة النقل البحري المرتبطة بميناء الفاو الكبير، ويتيح فرص عمل واسعة للعاملين في المحطات، مما يساهم في إنشاء مسار اقتصادي متكامل. وبالتالي، يساهم هذا المشروع في دفع عجلة التنمية الاقتصادية والاجتماعية، ويظهر تأثيره على التنمية المستدامة في العراق من خلال تنفيذ خطة العمل الموضوعية لطريق التنمية، بالإضافة إلى إنشاء منطقة صناعية مجاورة لميناء الفاو الكبير.

ثانياً: مشكلة البحث

يعاني العراق من ضعف عام في البنية التحتية، وخاصة في مجال الطرق والجسور، حيث يتضح ذلك في معظم الطرق سواء كانت داخلية أو خارجية. كما أن هناك نقصاً في توفر القطارات الكهربائية السريعة التي تُستخدم في العديد من الدول المتقدمة. لذا، تتمثل مشكلة الدراسة في أن العراق لا يواكب التطورات المتسارعة في قطاع النقل.

ثالثاً: فرضية البحث

إن وجود طريق التنمية هو الطريق الإستراتيجي المرتبط بميناء الفاو الكبير عن طريق النفق المائي. المغمور سيكون شرياناً حيوياً للإقتصاد العراقي فسيحقق عائدات إقتصادية كبيرة ويخلق فرص عمل وتنمية مستدامة تمتد منافعها على. عموم. المنطقة، مما. يعزز. من وضع العراق ويكون. صورة. مثالية للتكامل الإقتصادي.

رابعاً: أهداف البحث

١. بيان الآثار التنموية المتوقعة عند بدء إستخدام طريق التنمية في العراق.
٢. دراسة التنوع الإقتصادي الذي يخلقه طريق التنمية.
٣. إبراز المشاريع المرتبطة مع طريق التنمية. وآثارها الإقتصادية

المبحث الاول: المسار التاريخي لمشروع طريق التنمية:

إن فكرة وجود مشروع طريق التنمية ليس وليد اللحظة فهي منذ بداية القرن الماضي (القرن العشرين) فقد كان مقترح سكة حديد (برلين-بغداد-بصرة) كانت ألمانيا تسعى إلى السيطرة على العالم من خلال الإتصال والتواصل بثلاثة طرق السكك الحديدية الذي كان وما زال له القدرة على حمل الاثقال وأيضاً الحركة البحرية والحركة البرية التي لم تكن بهذا التطور والسهولة، فضلاً عن الخطوط الجوية التي كانت في بدايته فبقى الحمل الأكبر من عمليات نقل الأشخاص والبضائع عن طريق سكك الحديد، وكانت الطرق البحرية تخضع لمزايجيات الدول المسيطرة على المضائق والقنوات المائية ثم جاءت نظرية ماكندر (Halford J. Mackinder) او ما تسمى بنظرية قلب العالم (world heart) فقد حدد ماكندر أن العالم هو عبارة عن ثلاثة أقسام هو العالم بأكمله و جزيرة العالم وقلب العالم وحدد بداية قلب العالم من الدول الإسكندنافية وإنتهائه بالبصرة، لذا فهذا الخط البياني الموجود ٧٥% من التجارة بالعالم تمر من خلاله فمن سيطر على هذا الخط قد سيطر على العالم، لذا أصبح الموقع الإستراتيجي يزيد من أهمية البلد لدى البلدان المحتلة الراغبة في زيادة سيطرتها على العالم، من الجدير بالذكر أن سكة حديد برلين-بغداد هي سكك حديدية تاريخية لها أهمية دولية وكانت تربط اوربا بآسيا الصغرى وهذا الخط هو جزء من تاريخ النقل والتجارة بين القارتين الاوربية والآسيوية وهنا يمكن ربط مشروع طريق التنمية بسكة حديد برلين بغداد، من خلال الهدف المشترك وهو تسهيل التجارة ونقل البضائع بين العراق ودول الجوار وبين آسيا واوربا أي بين القارتين الاوربية والآسيوية^(٤).

تتلخص فكرة مشروع طريق التنمية بربط موانئ العراق بخطوط سكك حديدية مزدوجة بموانئ البحر المتوسط (ميناء مرسين التركي، مينائي طرطوس واللاذقية في سوريا، وسيُضاف ميناء العقبة الأردني في مرحلة لاحقة) وذلك ضمن اتفاقية مشتركة بين البلدان المعنية، إذ يتم عند الحدود العراقية ربط العربات المقطورة القادمة من ميناء الفاو الكبير بكامل حمولتها بقاطرة تركية او سورية في رحلة الذهاب والعكس في رحلة الإياب، لذلك وبحسب الحكومة العراقية فإن من أهم ركائز المشروع هو إكمال مراحل ميناء الفاو الكبير

٤ - شيرين هادي عودة واخرون الرؤية المستقبلية لميناء الفاو الكبير ومكاسب الاقتصاد العراقي، وقائع المؤتمر العلمي الحادي عشر

مركز دراسات البصرة والخليج العربي ٢٠٢١، ص ٤٠.

المطلب الاول: مستقبل طريق التنمية

مشروع طريق التنمية هو مبادرة عراقية تتضمن إنشاء أنظمة للسكك الحديدية وطريق بري سريع، مما يشكل ممراً متعدد الوسائط يمتد لحوالي ١٢٠٠ كم. يهدف هذا المشروع إلى الربط بين ميناء الفاو الكبير والحدود التركية، مما يعزز التنمية الاقتصادية المستدامة في العراق. ستساهم أنظمة النقل، المتمثلة في السكك الحديدية والطريق السريع، بالتعاون مع ميناء الفاو الكبير، في إنشاء اتصال فعال بين دول الشرق الأقصى والشرق الأوسط وأوروبا^(٥).

سيتم تصميم نظام السكك الحديدية الجديد لنقل الركاب بكفاءة وأمان بسرعة تصل إلى ٣٠٠ كم/ساعة، بينما ستصل سرعة نقل البضائع إلى ١٤٠ كم/ساعة. سيعمل القطار بالتوازي مع الطريق السريع الجديد لتلبية الطلب المتوقع. يُعد مشروع طريق التنمية مشروعاً اقتصادياً متكاملًا، حيث يتضمن خط سكك حديدية وطريقاً برياً مخصصاً لشاحنات النقل، بالإضافة إلى استخدامه لنقل الأشخاص. كما يشمل المشروع مناطق صناعية وسكنية وسياحية. في مؤتمر عُقد في بغداد في ٢٧ مايو ٢٠٢٣، والذي حضره عدد من الدول المجاورة للعراق وممثلون عن البنك الدولي والاتحاد الأوروبي، أعلنت الحكومة العراقية عن عزمها على تنفيذ هذا المشروع الاستراتيجي^(٦). أن المشروع سيمر بثلاث مراحل وهي كالآتي^(٧)

- المرحلة الاولى تنتهي في ٢٠٢٨: تشير البيانات إلى أن طول الطريق السريع بين جنوب العراق والحدود التركية نحو ١١٩٠ كم، وطول سكك الحديد ١١٧٥ كم، وسيتم نقل ٣,٥ مليون حاوية بضائع في هذه المرحلة أي ما يقارب ٢٢ مليون طن سنويًا وكل هذا سيكون بحلول ٢٠٢٨.
- المرحلة الثانية تنتهي ٢٠٣٨: سيتم زيادة الطاقة الاستيعابية لتصل ٧,٥ مليون حاوية وأن تكون سكك الحديد ثنائية المسار لتستوعب ٨٠-٩٠ قطارًا يوميًا يعمل بالكهرباء، ومن المخطط اكمال المدن الصناعية في هذه المرحلة

٥ - مالك دحام الجميلي وملياء محسن الكناني، العلاقات العراقية الكويتية وإشكالية ميناء مبارك، دراسات دولية العدد ٥٢ -،

5 - Sima Shine, Yoel Guzan sky, and Eldad Shavit, Iran and Saudi Arabia Renew Relations, iNSS Insight No. 1695, March 14, 2023

3 - نسرین ریاض شنشول، طريق التنمية والآفاق المستقبلية للإقتصاد العراقي. مركز حورابي للبحوث والدراسات

• المرحلة الثالثة تنتهي في ٢٠٥٠: في هذه المرحلة يتم تحقيق التكامل الإقتصادي مع كل دول الجوار حيث من المتوقع ان يكون طريق التنمية يصل بين كل من (الكويت، السعودية، الأردن، سوريا، إيران، وتركيا التي سوف تكون بالمرحلة الاولى).

وفيما يلي أهم الخطوات العملية التي تم إتخاذها على أرض الواقع فيما يخص مشروع طريق التنمية -١ تم وضع اللمسات الأخيرة من قبل الاستشاري المختص وقدم (تقرير الجدوى النهائي) فتم إختيار مسار السكك الحديد (RW1) ومسار الطريق السريع (HWB) كأفضل المسارات في ٢٠٢٣/١/٥.

٢- تمت الموافقة من قبل السلطات العراقية ووزارة النقل والشركة العامة للسكك الحديدية العراقية على مساري السكك الحديدية والطريق السريع المقترحين وهما HWB و RW 1، وكان ذلك في ٢٠٢٣/٣/٣٠.

٣- تم التوقيع من قبل صاحب القرار مع الإستشاري ما يسمى بالملحق رقم ١ للعقد رقم ٢/٢٠٢١ وهذا الإتفاق يضم العمل على إعداد التصميم الاولي والتفصيلي للطريق الجديد الذي يربط ميناء الفاو الكبير بفيشخابور، وكان ذلك في ٢٠٢٣/٨/٣.

إن مشروع طريق التنمية العراقي، الذي تم تقدير كلفته ب١٧ مليار دولار وسيتم العمل به بالتعاون مع العديد من الدول منها تركيا والسعودية وقطر والكويت والعديد من الدول لم يتم الإعلان عنها جميعها لكنها تصل قرابة ٢٥ دولة، وسيتم إنجاز المشروع على مراحل حتى يكتمل بالشكل النهائي مع جميع المشاريع الأخرى المصاحبة لميناء الفاو الكبير في ٢٠٥٠.

هدف العراق من هذا المشروع هو إستحصال الفائدة من موقع العراق الجغرافي المميز إذ سيسهل نقل البضائع من الشرق الاوسط وآسيا إلى أوروبا من خلال طريق تركيا المرتبط بفيشخابور، من خلال طريق التنمية سيكون الوصول إلى شبكة النقل الاوروبية عملية أكثر سهولة، وهذا الطريق يتضمن إنشاء مدينة صناعية متكاملة من خلال إعادة توطين الصناعة المحلية بدلاً من الإستيرادات من الخارج وهذا سيساعد في دعم الإقتصاد العراقي ويعزز في عملية خلق التنوع الإقتصادي عن طريق إيجاد مصادر ايراد غير نفطية لتغذية وتمويل الموازنة العراقية، فسيحقق (٣-٤,٥) مليار دولار عند اكتمال المشروع وملحقاته وحسب النشاط الإقتصادي العالمي وحركة التجارة العالمية، وينتج عن ذلك خلق إقتصاد أكثر مرونة واستدامة.^(٨) كما تكمن أهمية المشروع في إستخدام مواد بناء صديقة للبيئة المحيطة. وحسب الحكومة العراقية، فإن من

٨ - حافظ عبد الأمير أمين، الحجيمي، سهيلة الكبيسي، منذر عليوي حميد. طريق الحرير وطريق التنمية: نقيضان أم مكملان

في استدامة الإقتصاد العراقي، ٢٠٢٣، ص ٢١٤

أهم الركائز للمشروع هو إكمال مراحل ميناء الفاو الكبير وإنشاء المدينة الصناعية الذكية • Smart Industrial City، و احداث تنمية مكانية كون الطريق يمر في الحدود الإدارية ولأحدى عشرة محافظة عراقية فضلاً عن عدد من المدن الرئيسية على شكل محطات عددها خمس عشرة محطة، وبذلك سيكون له دور مهم لإقتصاد مستدام لا يعتمد على النفط ويسهم في التكامل الإقليمي، ويرى البعض أن هذا المشروع يُعد بمثابة إحياء لمشروع (البصرة - برلين) الذي كان قد اتفق عليه الإمبراطور الألماني (فيلهلم الثاني) • والسلطان العثماني (عبد الحميد الثاني) • قبل أكثر من قرن من الزمان وذلك بهدف ربط الشرق الاوسط مع القارة الاوربية، ويُعد تطوير قطاع النقل المتهالك أكبر مكسب للعراق والذي سيتيح نخضة في مُعظم القطاعات الأخرى^(٩) سيصل طول الطريق السريع إلى (١١٩٠) كم مسار HWB، وسيكون الطريق الجانبي بعرض ثلاثة أمتار وعرض الخط (٣,٦٥) م، وسيضم (٢٦) منطقة خدمة مقسمة إلى (١٨) منطقة خدمة للشاحنات و (٨) مناطق خدمة للمركبات (٢٤) منطقة إستراحة مجهزة بالخدمات كافة التي يحتاجها المسافر، واحد عشر موقفاً للسيارات متعددة الوسائط، و(٢٦) نقطة تبادل مع المواصلات العامة و(١٣) نقطة فحص، و(١٥) محطة ركاب مصنفة إلى (٣) محطات رئيسة و(٨) محطات وسط و(٤) محطات صغيرة.

أما طول السكك الحديدية هو (١١٧٦) كم مسار RW 1، وسوف تستوعب قطارات فائقة السرعة ستصل إلى (١٤٠) كم/س لنقل البضائع و ٣٠٠ كم/س لنقل المسافرين وسوف تستوعب لنقل المسافرين ويستوعب الطريق (٨٠-٩٠) قطاراً يومياً. ومن ضمن متطلبات إنجاز المشروع إقامة (١٥) محطة للركاب واحدى عشرة محطة شحن البضائع، و(٤) مناطق متعددة الوسائط، وكذلك إنشاء عدد من المطارات التي ستكمل المشروع، وسبعة مراكز لصيانة القطارات و (٢٤) محطة كهرباء كون القطارات ستكون كهربائية وبفاصل (٥٠) كم بين محطة وأخرى، وصناديق البريد المتوازي تنشأ على طول الطريق وبفاصل (٥٠) كم بين صندوق وآخر، ويضم الطريق مراكز للتدريب والصيانة في البصرة وبغداد والموصل، ومراكز تحكم العمليات. في. البصرة. وبغداد، ويسير الطريق البري بموازية طريق السكك. قد تم إختيار مسار الطريق خارج مراكز المدن وفي المناطق الصحراوية للاستفادة من طبيعة التضاريس وتخفيض تكاليف المشروع خلال الاستغناء عن الانفاق الممكن حفرها لو كان الطريق يمر في مراكز المدن، تبين لنا الخريطة (١) أسماء المحافظات العراقية التي سيمر بها طريق التنمية:

الخريطة (١) المحافظات العراقية التي سيمر بها طريق التنمية



المصدر: الموقع الالكتروني للأمانة العامة لمجلس الوزراء <https://cabinet.iq>

المطلب الثاني: : إستراتيجيات التنفيذ والتعاقد لكل من السكك الحديدية والطريق السريع

أولاً: إستراتيجية التنفيذ والتعاقد للسكك الحديدية

يُلاحظ من خلال الجدول (١) أن التصور الاولي لإستراتيجية التنفيذ والتعاقد للسكك الحديدية تمتد

خلال المدة (٢٠٢٥ - ٢٠٣٠)

الجدول (١): إستراتيجية التنفيذ والتعاقد للسكك الحديدية

وصف القطاع	طول كم	وصف نطاق العمل	وقت اعلان المناقصة	بدء العمل	الانتهاء من العمل
١. الفاو-البصرة-الناصرية	٢٧١ كم	هندسة مدنية سكك حديد	٢٠٢٥/٧-٦	٢٠٢٥/٨	٢٠٢٩/٥
٢. الناصرية-الديوانية-النجف	٢٢٦ كم	هندسة مدنية سكك حديد	٢٠٢٥/٨-٢	٢٠٢٥/٩	٢٠٢٩/٦
٣. النجف-الحلة-كربلاء-بغداد	١٦٣ كم	هندسة مدنية سكك حديد	٢٠٢٥/٩-٣	٢٠٢٥/١٠	٢٠٢٩/٧
٤. بغداد-سامراء-بيجي	١٩٩ كم	هندسة مدنية سكك حديد	٢٠٢٥/١٠-٤	٢٠٢٥/١١	٢٠٢٩/٨
٥. البيجي-الموصل	١٦٨ كم	هندسة مدنية سكك حديد	٢٠٢٥/١١-٥	٢٠٢٥/١٢	٢٠٢٩/٩
٦. الموصل-ربيعة-فيشخابور	١٥٢ كم	هندسة مدنية سكك حديد	٢٠٢٥/١٢-٦	٢٠٢٦/٦	٢٠٢٩/١٠
٧. محطة ركاب البصرة	-----	مرافق وابنية المحطة	٢٠٢٥/١٢-٦	٢٠٢٦/٦	٢٠٢٩/٨
٨. محطة ركاب بغداد	-----	مرافق وابنية المحطة	٢٠٢٦/٧-٦	٢٠٢٦/٦	٢٠٢٩/٩

٢٠٢٩/١٠	٢٠٢٦/٢	٢٠٢٦/٨-٢	مرافق وابنية المحطة	-----	٩. محطة ركاب الموصل
٢٠٢٩/٩	٢٠٢٧/٨	٢٠٢٧/٧-٦	منظومة كهرباء- الاعمدة-منظومة تغذية علوية	٦٦٠ كم	١٠. منظومة الطاقة: الفاو : بغداد
٢٠٢٣٠/١٠	٢٠٢٧/٩	٢٠٢٧/٨-٢	منظومة كهرباء- الاعمدة-منظومة تغذية علوية	٥١٩ كم	١١. منظومة الطاقة: بغداد- فيشخابور
٢٠٣٠/١٢	٢٠٢٧/٨	٢٠٢٧/٨-٣	منظومة الإشارات والإتصالات ومراكز السيطرة ومنظومات السلامة والامن	١٠١٧٩ كم	١٢. منظومة الإشارات والإتصالات ومراكز السيطرة من الفاو إلى فيش خابور
				١٠١٧٩	المجموع:

المصدر: من إعداد الباحثة بالإعتماد على (وزارة النقل، قسم التخطيط والمتابعة، ٢٠٢١).

ثانياً: المعالم الرئيسية للسكك الحديدية

تتميز شبكة السكك الحديدية في العراق بنمطها الشريطي، حيث تتكون من خطوط رئيسية تتفرع منها خطوط فرعية قليلة العدد وقصيرة الطول. يُعد هذا النمط نقطة البداية أو المرحلة الأولى لتطوير شبكات السكك الحديدية في أي منطقة. تمتد خطوط السكك الحديدية في العراق بمحاذاة الطرق البرية الرئيسية، مما يستدعي الاستفادة من هذا الوضع لتوسيع نطاق خدمات السكك الحديدية إلى مناطق واسعة من البلاد، من خلال إنشاء طرق برية فرعية تؤدي إلى المحطات الرئيسية.^(١٠)

الجدول (٢): المعالم الرئيسية للسكك الحديدية في العراق للمدة (٢٠١٥-٢٠٢٠)

١٠١٧٩ كم	الطول الإجمالي للسكك الحديدية
١٥ كم	محطات البضائع
٣ كم	المناطق متعددة الوسائط
١٥ كم	محطات الركاب
٤ كم	مراكز الصيانة وخطوط تعابر القطارات
٣ كم	مراكز التدريب

١٠ - سماح صباح علوان التحليل الجغرافي لكفاية السكك الحديدية في العراق للمدة من ٢٠٠٩- ٢٠١٨ .- مجلة الاداب ،

٢ كم	مراكز التحكم في تشغيل القطارات
٢٠ كم	مراكز صيانة لخطوط السكك الحديدية
٧٨ كم	المواقع الموازية
٢٠ كم	المحطات الكهربائية الثانوية

المصدر: من إعداد الباحثة بالإعتماد على: وزارة التخطيط الجهاز، المركزي للإحصاء، تقرير إحصاءات النقل المائي للفترة (٢٠١٥-٢٠٢٠).

سيتم إعتماد مسار السكك الحديدية التي يتم إختيارها لمبدأ تقليل طول المسار وزيادة عدد السكان المخدومين على طول المدن الرئيسة والمراكز المأهولة الرئيسة من الجنوب إلى الشمال:

- سيكون عدد السكان المستفيدين (المخدومين) في المحافظات ٦٦,٣% أي ما يقارب ٢٨ مليون من أصل ٤٥ مليون من مجموع سكان العراق أي أكثر من نصف حجم السكان
- وسيكون عدد المستفيدين (المخدومين) في الاقضية والنواحي التي يمر من خلالها طريق التنمية هو ٣٢,٥% أي ما يقارب ١٤ مليون من أصل ٤٥ مليون من مجموع سكان العراق.
- سيخدم هذا المشروع كل سكان العراق سواء عن طريق النقل او تحسين المستوى الإقتصادي للعراق بصورة عامة، الكلفة الاولية لإنشاء المشروع سكك الحديد: ١٠,٦ مليار دولار امريكي (باستثناء المراكز متعددة الوسائط والوحدات المتحركة للسكك الحديدية).

ثالثاً: أنواع المحطات للسكك الحديدية (١١)

١- محطات شحن أنموذجية ومناطق متعددة الوسائط:

- محطات شحن عددها ١١ محطة.
- مناطق متعددة الوسائط عددها ٤: وهي محطات في منطقة الفاو ضمن المنطقة الصناعية لميناء الفاو الكبير.
- مجموع المحطات. الأنموذجية ١٥ محطة.

٢- محطات الركاب الأنموذجية:

- محطات صغيرة الحجم عددها ٤ محطات.
- محطات متوسطة الحجم عددها ٨ محطات.
- محطات رئيسة عددها ٣ محطات.
- مجموع محطات الركاب ١٥ محطة.

إن هذه المحطات موزعة في المحافظات التي يمر بها طريق التنمية وهذه المحطات المخصصة للركاب تبعد عن مراكز المدن لكل محافظة بالمسافة الموضحة الآتية:

١. محطة الفاو تبعد (١٤,١) كم عن مركز محافظة البصرة.
٢. محطة البصرة تبعد (١٢) كم عن مركز المحافظة.
٣. محطو الناصرية تبعد (٢٧,٧) كم عن مركز المحافظة.
٤. محطة السماوة تبعد (١٠,٣) كم عن مركز المحافظة.
٥. محطة الديوانية تبعد (١١) كم عن مركز المحافظة.
٦. محطة النجف تبعد (٨) كم عن مركز المحافظة.
٧. محطة الحلة تبعد (٢٧,٨) كم عن مركز المحافظة.
٨. محطة كربلاء تبعد (٩,٣) كم عن مركز المحافظة.
٩. محطة بغداد تبعد (٣٧) كم عن مركز المحافظة.
١٠. محطة سامراء تبعد (٨,٤) كم عن مركز المحافظة.
١١. محطة تكريت تبعد (٥,٨) كم عن مركز المحافظة.
١٢. محطة بيجين تبعد (٤) كم عن مركز المدينة.
١٣. محطة الموصل تبعد (٨,١) كم عن مركز المحافظة.
١٤. محطة ربيعة تبعد (٥,٦) كم عن مركز المدينة.
١٥. محطة الحدود العراقية-التركية "فيش خابور" تبعد (٢٨,٣) كم عن مركز زاخو.

٣- مراكز الصيانة والتخزين لوحات سكك الحديد:

- الفاو مركز لصيانة القطارات الخاصة بالبضائع.
- بغداد مركز لصيانة القطارات الخاصة بالبضائع.
- الموصل مركز لصيانة القطارات الخاصة بالبضائع.
- البصرة مركز لصيانة القطارات السريعة المخصصة للركاب.
- الموصل مركز لصيانة القطارات السريعة المخصصة للركاب.

٤- المباني الوظيفية. على طول مسار. السكك. الحديدية:

- مراكز خاصة للتدريب في المدن الرئيسية (البصرة-بغداد-الموصل)
- مراكز تحكم بالعمليات: في مدينتي (البصرة-بغداد).
- مراكز صيانة لخطوط السكك الحديدية والهندسة المدنية (يكون موقعها بمسافة ١٠٠ كم)

- المواقع الموازية: تكون على مسافة كل ٥٠ كم.
- محطات كهرباء ثانوية وسوف تكون موزعة بمعدل محطة لكل ٥٠ كم^(١٢)

المبحث الثاني: - الأثار الاجتماعية لمشروع طريق التنمية

اولاً:- أثر مشروع طريق التنمية في المدن.

يرتكز مشروع طريق التنمية على خطة التنمية الوطنية (٢٠٢٤-٢٠٢٨) التي نصّت على تأسيس مدن إقتصادية جديدة ومحاور لوجستية تتوزّع بين محافظات البصرة وذي قار وبغداد وكركوك وغيرها، ممّا يهيئ بيئة حضرية جاذبة للإستثمار ويسمح بتوسّع النشاط الصناعي والتجاري داخل المدن، فقد أجزت وزارة التخطيط إعادة تأهيل الطريق الرابط بمدينة بسماية السكنية جنوبي بغداد بطول (٧ كلم)، ما سهّل حركة السيارات وسلامتها، وقلّل الإختناقات المرورية وحسّن مداخل العاصمة والمناطق المتّصلة بها^(١٣)، في حين أظهر تقرير البنك الدولي أنّ تأهيل حوالي (٣١٧٩ كلم من الطرق الرئيسة ضمن المشروع أدّى إلى تحسين سرعة النقل بين المدن بنسبة ملحوظة، وتسهيل وصول السكان إلى الخدمات الأساسية مثل الصحّة والتعليم، ممّا إنعكس إيجاباً على مؤشّرات التوظيف والنمو الإقتصادي في المدن المتّصلة بالطريق^(١٤).

ثانياً:- أثر مشروع طريق التنمية في الفقر.

لطالما يمثل مشروع طريق التنمية إحدى المبادرات الحيوية التي تسعى الحكومة العراقية من خلالها إلى تحسين البنية التحتية وتنشيط الإقتصاد الوطني ومد جسر الربط بين مختلف المناطق والفئات الإجتماعية، ممّا يساهم في تآكل حواجز الفقر وتعزيز فرص التنمية المستدامة عبر آليات متعدّدة، ففي البداية يُعد تطوير شبكة الطرق والمواصلات عاملاً رئيساً في تحسين الوصول إلى الأسواق والخدمات العامّة ومراكز العمل، إذ إنّ تحسين حركة البضائع والأفراد يُخفّض من تكاليف النقل ويُحسّن من ديناميكية السوق المحلية، ممّا يؤدّي إلى زيادة الإنتاجية وتوفير فرص عمل جديدة للفئات الأكثر ضعفاً في المجتمع، وهذا بدوره يساهم في خفض معدّلات الفقر وتعزيز التكافؤ الإقتصادي داخل العراق^(١٥)، كما أنّ المشروع لا يقتصر تأثيره على البُعد الإقتصادي فقط بل يمتدّ إلى البُعد الإجتماعي من خلال تسهيل الوصول إلى الخدمات الأساسية مثل التعليم والرعاية الصحية، فبتحسين شبكة الطرق يصبح من الممكن تقليص الفوارق بين المناطق الحضرية

١٢ - المصدر وزارة النقل-دائرة سكك الحديد-قسم مشروع طريق التنمية -.

١٣ - وزارة التخطيط العراقية، خطة التنمية الوطنية ٢٠٢٤-٢٠٢٨ -.

14 - World Bank. Transport Corridors Project P131550 - [Internet].

Washington, DC: World Bank; 2024 [cited 2025 Apr 22]. Available from:

<https://projects.worldbank.org/en/projects-operations/project>.

١٥ - وزارة النقل العراقية، تقرير التنمية الوطنية ٢٠٢٠.

والنائية، مما يتيح للفئات المهمشة فرصة الاستفادة من البرامج التنموية الاجتماعية والاقتصادية، وبالتالي يتم رفع مستوى المعيشة للمواطنين في مختلف المحافظات، إذ إنّ الربط الفعال بين المراكز الحيوية والمناطق الأقل نمواً يعمل على زيادة فرص حصول الأفراد على معارف ومهارات جديدة من خلال تسهيل تنقلهم والوصول إلى المؤسسات التعليمية والتدريبية^(١٦)، إضافةً إلى ذلك يشجّع مشروع طريق التنمية على إستقطاب الإستثمارات المحلية والأجنبية نظراً لإيجاد بيئة أكثر إستقراراً وجاذبية للمستثمرين، فالإستثمار في القطاعات الصناعية والزراعية والخدمية يتأثر بشكل كبير بمدى كفاءة البنية التحتية المتاحة، وحين تتوفر بنية تحتية متطورة تنخفض تكاليف الإنتاج والتوزيع، ويصبح من الممكن للشركات توسيع نطاق أعمالها وزيادة معدلات الإنتاج، مما يؤدي إلى خلق المزيد من فرص العمل وتحسين الدخل العام للأسر التي تعتمد على هذه الأنشطة الاقتصادية، وبذلك يساهم المشروع في بناء قاعدة إقتصادية قوية تضع أسساً لتقليص الفقر بشكل مباشر وغير مباشر^(١٧)، ومع ذلك فإنّ تحقيق التأثير الإيجابي يعتمد بشكل كبير على جودة التخطيط والتنفيذ والإدارة، إذ إنّ عدم التنسيق بين الجهات المعنية أو ضعف الرقابة على سير العمل قد يؤدي إلى توزيع غير عادل للموارد أو ظهور آثار سلبية مثل النزوح السكاني أو التأثيرات البيئية المترتبة على أعمال البناء الواسعة النطاق، ومن هنا تبرز أهمية وضع آليات صارمة للمتابعة والتقييم لضمان تحقيق الأهداف التنموية المرجوة وتفاذي المخاطر المحتملة التي قد تعيق الوصول إلى النتائج المستهدفة^(١٨)، علاوة على ذلك يتطلّب الإستفادة الكاملة من المشروع وجود رؤية تنموية متكاملة تُعنى بتحسين مستوى الحياة في المناطق النائية من خلال دمج السياسات الإقتصادية والاجتماعية والبيئية ضمن إستراتيجية شاملة، إذ يمكن أن يعمل الطريق الجديد كحلقة وصل تعيد تفعيل الإقتصاد المحلي، وتساهم في تحفيز النشاط التجاري وبناء قدرات المجتمع المحلي على تنظيم وتطوير مشاريع مجتمعية صغيرة تندمج في إطار التنمية الوطنية، وهذا النوع من التكامل يُعد الخطوة الأساسية نحو تقليل الفجوات الإقتصادية والاجتماعية التي تتفاقم في ظل الظروف الأمنية والسياسية المتقلّبة التي يشهدها العراق^(١٩)، وفي سياق آخر فإنّ الإستثمار في البنية التحتية لطريق التنمية يمكن إعتباره محفزاً لتطوير قطاعات أخرى مثل السياحة والزراعة والصناعة التحويلية، إذ إنّ تحسين شبكات النقل يعزّز من القدرة التنافسية للمنتجات المحلية في الأسواق الإقليمية والدولية، مما يخلق بيئة إقتصادية ديناميكية تجذب المزيد من الإستثمارات وتُعزّز من دوره كمحفّز للتنمية الاجتماعية

١٦ - البنك الدولي، دراسة البنية التحتية والنمو الإقتصادي في الشرق الأوسط ٢٠٢١.

١٧ - منظمة التعاون الإقتصادي والتنمية، تقرير التنمية الاجتماعية ٢٠٢٢.

١٨ - وزارة النقل العراقية، المصدر نفسه.

١٩ - البنك الدولي، دراسة البنية التحتية والنمو الإقتصادي في الشرق الأوسط ٢٠٢١.

والاقتصادية، وفي هذه الحالة تصبح طرق التنمية عاملاً مساهماً في تمكين الفئات الفقيرة من الوصول إلى فرص اقتصادية كان يصعب عليها الحصول عليها سابقاً، مما يؤدي إلى توزيع أكثر عدلاً للثروة الوطنية، كما يجب الإشارة إلى أن نجاح المشروع لا يعتمد فقط على البعد الفني والاقتصادي بل يشمل أيضاً الجانب المؤسسي الذي يتطلب تضامناً جهود الجهات الحكومية والقطاع الخاص والمجتمع المدني لضمان مراقبة تنفيذ المشروع وتقييم آثاره بصفة مستمرة، ما يساهم في تعديل السياسات في الوقت المناسب وتصحيح المسارات في حال ظهور أي إنحراف، وهذه العملية تعد من أهم عوامل النجاح في تحقيق الأهداف التنموية التي تسعى إلى خفض معدلات الفقر وتعزيز جودة الحياة لدى المواطنين^(٢٠)، في ضوء ما تقدم يمكن القول بأن مشروع طريق التنمية يحمل في طياته إمكانيات كبيرة لتحقيق تأثير إيجابي ملموس على مستويات الفقر في العراق وذلك من خلال تحسين البنية التحتية للنقل، وتسهيل حركة البضائع والخدمات، وتنشيط الأنشطة الاقتصادية، وتعزيز الوصول إلى الخدمات الأساسية، إلا أن هذه الفوائد لن تتحقق إلا في حالة وجود تخطيط إستراتيجي متكامل وإدارة حازمة وتنفيذ متقن يراعي جميع الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والبيئية، مما يخلق من المشروع منصة شاملة تساهم في بناء اقتصاد قوي ومجتمع متماسك قادر على مواجهة تحديات التنمية وتحقيق الرفاه الشامل للمواطنين.

المبحث الثالث: رؤية إستراتيجية لمشروع طريق التنمية العراقي

اولا العلاقة بين مشروع طريق التنمية مع النمو الاجتماعي والاقتصادي للعراق:

Relationship between Development Road Project and Socio-Economic Growth of Iraq

تعد المعلومات الاجتماعية والاقتصادية المستقبلية بيانات حيوية للتنبؤ بالطلب والاتجاهات، مثل حجم السكان العراقيين وعدد العاملين في القطاع الصناعي واتجاه الناتج المحلي الإجمالي. في هذا السياق، سيتم توضيح العلاقة بين مشروع طريق التنمية والنمو الاجتماعي والاقتصادي في العراق. تُقدّر عدد سكان العراق بحوالي ٤٣ مليون نسمة في عام ٢٠٢٣، حيث يعيش ٩ ملايين منهم في العاصمة بغداد. وقد شهد عدد السكان في العراق زيادة ملحوظة، ومن المتوقع أن تستمر هذه الزيادة حتى عام ٢٠٥٠. يُتوقع أن يصل عدد السكان إلى ٥٠ مليون نسمة بحلول عام ٢٠٣٠، و٧٠ مليون نسمة بحلول عام ٢٠٥٠. يُفترض أن يتزايد عدد السكان بوتيرة ثابتة، مما يسهل توقع النمو السكاني. أما بالنسبة للناتج المحلي الإجمالي، فهو يمثل إجمالي القيمة السوقية للسلع والخدمات النهائية التي تُنتج في البلاد خلال فترة زمنية معينة، وعادةً ما يُحسب على أساس سنوي. عند مراجعة بيانات الناتج المحلي الإجمالي من عام ٢٠١٠ إلى

٢٠ - منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية، تقرير التنمية الاجتماعية ٢٠٢٢.

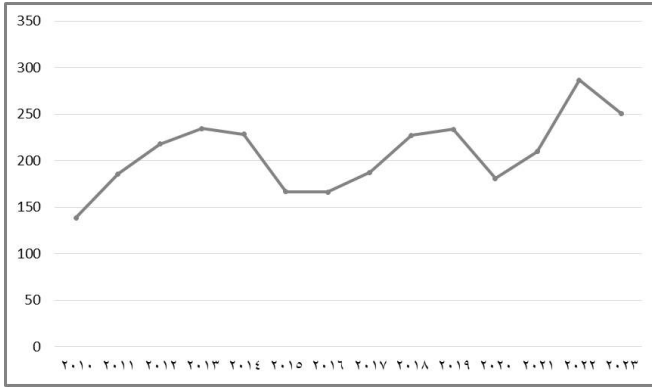
عام ٢٠٢٣، نلاحظ أن التغيرات في الناتج المحلي لم تكن منتظمة، لكنها قابلة للتوقع، حيث شهدت زيادات وانخفاضات مرتبطة بعوامل متعددة الجدول (٣) الناتج المحلي الإجمالي العراقي للمدة (٢٠٢٣-٢٠١٠)

السنة	الناتج المحلي الإجمالي (مليار دولار امريكي)
٢٠١٠	١٣٨,٥٢
٢٠١١	١٨٥,٧٥
٢٠١٢	٢١٨,٠٠
٢٠١٣	٢٣٤,٦٤
٢٠١٤	٢٢٨,٤٢
٢٠١٥	١٦٦,٧٧
٢٠١٦	١٦٦,٤٤
٢٠١٧	١٨٧,٢٢
٢٠١٨	٢٢٧,٣٧
٢٠١٩	٢٣٣,٦٤
٢٠٢٠	١٨٠,٩٠
٢٠٢١	٢٠٩,٦٩
٢٠٢٢	٢٨٦,٦٤
٢٠٢٣	٢٥٠,٨٤

<https://data.albankaldawli.org/indicator/NY.GDP.MKTP.CD?locatio>

إن الناتج المحلي الإجمالي منذ عام ٢٠١٠ إلى عام ٢٠٢٣ شهد تقلبات كبيرة بسبب التغيرات في أسعار النفط عالميًا.

الشكل (١) الناتج المحلي الإجمالي بالدولار الأمريكي من (٢٠١٠-٢٠٢٣)



الشكل: من إعداد الباحثة أتت عن بيانات مجموعة البنك الدولي

وعلى أساس التغيرات في الناتج المحلي الإجمالي تم توقع نسبة الناتج المحلي الإجمالي للسنوات المقبلة من

قبل الشركة الإيطالية التي صممت دراسة الجدوى للمشروع فكانت التوقعات كالتالي

الجدول (٤) توقعات الناتج المحلي الإجمالي للعراق للسنوات المقبلة

السنة	الناتج المحلي الإجمالي المتوقع من دون استثمار	الناتج المحلي الإجمالي المتوقع مع وجود استثمار
٢٠٢٨	٢٣٨,٦٥	٢٥٠,٩٩
٢٠٣٨	٣٢٥,٤٩	٣٥٨,١٩
٢٠٥٠	٤٣٤,٢٢	٤٧٧,٤٣

الجدول: من إعداد الباحثة بالاعتماد على توقعات الشركة الإيطالية التي صممت دراسة الجدوى لمشروع طريق التنمية.

تعتمد الحكومة العراقية في تمويل الموازنة على عائدات النفط، لكن من المتوقع عند تشغيل طريق التنمية في المرحلة الأولى عام ٢٠٢٨ سيزيد من نسبة الناتج المحلي الإجمالي وكذلك في المرحلتين التاليتين في عامين ٢٠٣٨ و ٢٠٥٠، فوجود نظام متعدد الوسائط يطور من القطاعات الاقتصادية المختلفة (صناعة، زراعة، بناء، سياحة، خدمات لوجستية، وغيرها) ويجعل الناتج المحلي الإجمالي أقل اعتماداً على الإيرادات النفطية.

ثانياً: الآفاق المستقبلية لمشروع طريق التنمية في العراق:

في واقع الحال العراق يعاني من مشكلة الاعتماد على الإيرادات النفطية في تمويل الموازنة العراقية، إلا إن مشروع طريق التنمية يصب على تحويل مسارات الاقتصاد العراقي إلى اقتصاد متنوع، ومن أجل أن يُحقق مشروع طريق التنمية أهدافه الاقتصادية والاجتماعية لابد من العمل على تحقيق التنمية المكانية

للمحافظات التي يمر بها مشروع طريق التنمية والعمل على ربط النشاطات القائمة في هذه المحافظات مع طريق التنمية، وأيضاً إضافة مناطق صناعية ومناطق سكنية لزيادة الإنتاج.

إن ما يمكن أن تقدمه مسارات طريق التنمية على المستوى المكاني والخدمي في المحافظات التي يمر فيها المشروع وأيضاً للمدن الجديدة، ويتم ذلك بالإعتماد على المسار المكاني للطريق وليس على الجزء المخصص لمسارات السكك الحديدية والطريق البري، وفيما يأتي توضيح لأهم نقاط الآفاق المستقبلية لمشروع طريق التنمية في العراق:

أولاً: إقامة مدن إقتصادية

تتمثل هذه المدن برؤية طموحة لمستقبل العراق الحضري لأنها تجمع بين التقدم والتطور التكنولوجي وبين النشاطات الإقتصادية المستدامة التي تسعى لتحقيق نمو إقتصادي مستدام وتحسن من نمط الحياة لأفراد المجتمع، فالمدن الذكية مجموعة من الحلول التكنولوجية تعمل على معالجة البيانات لتحسين المناطق الحضرية، تكون المدن ذكية عندما تستطيع أن تعمل بعدد من التقنيات الحديثة التي تسهل جميع ميادين الحياة بالأخص توفير الطاقة النظيفة فهي مدن يتم فيها استخدام التكنولوجيا المتقدمة لتوفير الخدمات الحكومية وأيضاً توفير بنية تحتية متطورة ودعم الإستدامة البيئية، ومن أهم ميزات المدن الإقتصادية الذكية هي الكفاءة في إدارة الموارد المتاحة من موارد طبيعية وبشرية، وتقلل هذه المدن من الإنبعاثات الكربونية وتوفر بيئة مريحة وآمنة للسكن وللمدن الذكية عناصر متعددة: (٢١)

- بنية تحتية ذكية: تتمثل بشبكات طاقة متجددة، نظم نقل ذكية، إدارة النفايات الذكية وأنظمة ري ذكية.
- خدمات حكومية ذكية: يتم تقديم الخدمات الحكومية عن بعد أي بإستخدام شبكة الانترنت وتسهيل الإجراءات وان يكون التواصل بين المواطنين والحكومة أكثر سهولة.
- تعزيز الإقتصاد المستدام: من خلال تشجيع الإبتكار والريادة، العمل على دعم المشاريع الصغيرة والمتوسطة وتحقيق التنوع في مصادر الدخل.
- دعم الإقتصاد المعرفي والموارد البشرية لخلق بيئة مجتمعية ذكية: ويتم من خلال تقديم خدمات رعاية وصحة وتعليم ذكي وتأهيل للمواطنين فوجود ايدي ماهرة وخبرات وكفاءات يعود بمنافع

٢١ - نادية خليفة الراوي، &، فاطمة نصر. الأهدب، المدن الذكية. المؤتمر الهندسي الثاني لثقافة المهن الهندسية بالزاوية. جامعة

الزاوية. ليبيا، ٢٠١٩. ص. ٢١٣.

إقتصادية كبيرة على المجتمع العراقي^(٢٢). تعتمد هذه المدن على أساليب إعلام واتصال متطورة تدفع المجتمع إلى تعلم إستخدام التكنولوجيا والتطور فتصل بالمجتمع إلى قدرات تمكنه من إستغلال التكنولوجيا وإستخدام التقنيات المتطورة، وقد تم إصطلاح تسمية المجتمع الذكي وهو المجتمع الذي يعمل بإمكانات تكنولوجيا رقمية وتكنولوجيا الذكاء الصناعي، وإستخدام الشبكات الرقمية لتحسين جودة الحياة، يمكننا أن نرى للمجتمع الذكي وجود في مدينة بغداد وباقي المحافظات العراقية فهناك مجتمع ذكي يعمل بإستخدام التكنولوجيا لتسهيل مهام الحياة وإستخدام شبكة الانترنت وإستخدام "انترنت الأشياء" وهي طريقة للتعرف والوصول إلى شيء معين عند إصاق عنوان ال IP لشيء ما وتعرف عليه من خلال الإنترنت، والهدف من بناء مدن إقتصادية مستدامة ذكية ليس هدفاً بذاته، بل وسيلة لتحقيق أهداف التنمية.

تنشيط الصناعة الوطنية القائمة والمتوقفة

إن الأهمية الإستراتيجية لمشروع طريق التنمية هو تسهيل عملية الإنتقال بين المناطق وتسهيل حركة النقل التجاري والصناعي فتنشيط الصناعة الوطنية القائمة والمتوقفة سيؤدي دوراً مهماً في التنمية الإقتصادية، فالقطاع الصناعي يحقق قيمة مضافة ويساعد في تحقيق الاكتفاء الذاتي من غذاء وكساء وتشغيل أيدي عاملة وتقليل البطالة، فالدعم للنشاطات الصناعية والإرتقاء بمستويات الصناعة الموجودة من الأهداف الأساسية التي تحقق تنمية مستدامة وهي أحد أهداف مشروع طريق التنمية، المناطق الصناعية في العراق تقع على مسار مشروع طريق التنمية مما يعزز من أهمية تنشيط هذه الصناعات لتكون جزءاً من الخطة التنموية للمشروع، وهناك عدد من الصناعات القائمة في العراق التي هي بحاجة إلى تقديم دعم لتحقيق زيادة في القيمة المضافة والصناعات هي:

١. الصناعات الغذائية: وهي من القطاعات الأساسية التي تدعم الأمن الغذائي وترتبط بين الزراعة والصناعة فهي عملية تحويل منتجات زراعية إلى منتجات صناعية، وفي العراق هناك مجموعة من الصناعات الغذائية التي بحاجة إلى دعم وهي
٢. صناعة الألبان: هناك مجموعة من المصانع للألبان في مختلف محافظات العراق مثل (ألبان أبو غريب، مصانع ألبان أربيل ونيوى والموصل ومعمل الجزيرة والبصرة وبابل) إلا أن هذه المعامل لا تسد الإكتفاء الذاتي، إذ لاتسد سوى ١٥% من حاجة المجتمع وبعد بناء معمل لإنتاج الألبان في الديوانية وشراء أبقار جديدة تزيد من الإنتاج من أبقار الفريزن والأبقار الأسترالية عام ٢٠١٦

٢٢ - بمجت رشاد شاهين،، محسن جبار. عوده، دور البيئة المعلوماتية في بناء المدينة الذكية. مجلة الهندسة. جامعة بغداد. كلية

الهندسة. بغداد. العراق، - المجلد ٢٢ - العدد ٧، ٢٠١٦، ص ١٦

أدت إلى وصول نسبة الإكتفاء الذاتي في العراق من منتجات الألبان إلى ٢٥٪، وهذا يدل على أهمية تقديم الدعم للمشاريع الصناعية وتنشيطها لتحقيق الإكتفاء الذاتي

٣. صناعة الزيوت النباتية: تنتج شركة الإتحاد للصناعات الغذائية المحدودة الزيوت النباتية في مصنع تكرير الزيوت النباتي وأنشئ في ٢٠١٧ في محافظة بابل قضاء المدحتية وأسهم هذا المصنع بتحقيق الإكتفاء الذاتي من الزيوت بنسبة ١٠٠٪ بتغطية حاجة البطاقة التموينية والأسواق المحلية وتصدير الفائض

٤. صناعة السكر: هذه الصناعة من الصناعات المتميزة في العراق لجودتها، وأنشأت شركة الإتحاد للصناعات الغذائية المحدودة أكبر مصنع لتكرير السكر في عام ٢٠١٢ في محافظة بابل حسب مواصفات عالمية فالطاقة الإنتاجية للمصنع هي ٤٠٠٠ طن يوميًا، أي ١,٤ مليون طن سنويًا وهي كمية كافية لسد حاجة البطاقة التموينية والسوق المحلية بالكامل ويتم تصدير الفائض إلى الخارج فحاجة العراق هي ٩٥٠ طن من السكر والمصنع طاقته الإنتاجية أكبر بكثير

٥. مصانع التعليب: وهي عديدة ومتنوعة في أغلب المحافظات العراقية مثل مصنع تعليب كربلاء وهو من أهم المشاريع في قطاع الصناعة الغذائية ولو تم إعادة تشغيله لانتج مجموعة متنوعة من المنتجات المعلبة (٢٣).

٦. مصانع التصفية المائية ومصانع المشروبات: وهي شركات ومصانع عديدة ومتنوعة وتختلف بالأحجام، فهناك مصانع صغيرة جدًا في داخل المناطق لتصفية المياه وهناك مصانع كبيرة وذات إنتاج ضخم مثال مصانع شركات دجلة للمشروبات الغازية ومصانع كرونجي في كركوك وشركتي الشهير والنهرين في بغداد والعديد من هذه المصانع التي تسد حجم الطلب المحلي.

الاستنتاجات:

١. يعد مشروع طريق التنمية فرصة كبيرة للعراق لتعزيز دوره الإقليمي وزيادة ترابطه مع الدول المجاورة. إذا تم التغلب على التحديات الأمنية والسياسية، فإنه يمكن أن يُحدث تأثيرًا إيجابيًا كبيرًا على الاقتصاد العراقي ويعزز التجارة الإقليمية.
٢. يوفر مشروع طريق التنمية عددًا كبيرًا من فرص العمل، مما يعزز قدرة العراق على تقليل اعتماده على النفط من خلال فتح آفاق جديدة للتجارة والاستثمار. كما يساهم في تحسين البنية التحتية ويعزز الاستقرار الاقتصادي في المنطقة.

٢٣ - صليحة، يعقوب. دور الصناعات الصغيرة والمتوسطة في تنمية الصناعة العربية. مجلة الحقوق والعلوم الإنسانية. دراسات

٣. يمثل مشروع طريق التنمية مفتاحًا للتنمية الاقتصادية في العراق، نظرًا لترابطه مع العديد من المشاريع والقطاعات التنموية. يخلق هذا المشروع ارتباطًا اقتصاديًا بين القطاعات المختلفة، مما يحول الاقتصاد العراقي من اقتصاد أحادي الجانب إلى اقتصاد متنوع. هذا التنوع يسهم في خلق اقتصاد مستدام وزيادة الإيرادات المالية من قطاعات اقتصادية متنوعة، مما يؤدي إلى زيادة الناتج المحلي الإجمالي وتقليل التقلبات الاقتصادية وتأثيرها على الاقتصاد العراقي نتيجة لتقلبات أسعار النفط عالميًا.

٤. لمشروع طريق التنمية تأثيرات إيجابية على المجتمع والعلاقات الاجتماعية.

التوصيات

١. من الضروري أن تتعاون السلطات العراقية مع الشركة العامة لسكك حديد العراق والسلطات التركية لتحديد نقطة الالتقاء بين خطي السكك الحديدية العراقية والتركية، وضمان توافق النظامين وقدرتهما على التشغيل المشترك.
٢. يجب على السلطات العراقية وضع خطة عمل فعالة لمعالجة التحديات الرئيسية التي تعيق تقدم المشروع، مع التركيز على استكمال الخطة الوطنية لإمدادات الطاقة الكهربائية وتلبية احتياجات شبكة السكك الحديدية الجديدة.
٣. ينبغي على السلطات العراقية تحديد قائمة بالجهات الحكومية المعنية، بما في ذلك الوزارات والمحافظات والبلديات، التي ستشارك في الموافقة على المسار النهائي للمشروع، مع مراعاة الجدول الزمني الحرج.
٤. يتعين على السلطات العراقية مراعاة تأثيرات المشروع على المجتمعات المحلية والحصول على جميع الموافقات والتصاريح اللازمة.

١. شيرين هادي عودة واخرون الرؤية المستقبلية لميناء الفاو الكبير ومكاسب الاقتصاد العراقي، وقائع المؤتمر العلمي الحادي عشر مركز دراسات البصرة والخليج العربي ٢٠٢١، ص ٤٠.
٢. مالك دحام الجميلي ولياء محسن الكناني، العلاقات العراقية الكويتية وإشكالية ميناء مبارك، دراسات دولية العدد (٥٢)، ص ٢١
٣. نسرين رياض شنشول، طريق التنمية والآفاق المستقبلية للإقتصاد العراقي. مركز حمورابي للبحوث والدراسات الإستراتيجية، ٢٠٢٣، ص ٤
٤. حافظ عبد الأمير أمين، الحجيمي، سهيلة الكبيسي، منذر عليوي حميد. طريق الحرير وطريق التنمية: نقيضان أم مكملان في استدامة الإقتصاد العراقي، ٢٠٢٣، ص ٢١٤
٥. سولاف سليم، المدن الذكية وعلاقتها بالتنمية المستدامة. مجلة الإستراتيجية والتنمية ، المجلد ٩ عدد خاص. الجزء ٢
٦. رفيف محمود، الاثار الاقتصادية لطريق التنمية دور في تعزيز التنمية المستدامة، رسالة ماجستير، بغداد، ٢٠٢٥، ٩٩
٧. (وزارة النقل-دائرة سكك الحديد-قسم مشروع طريق التنمية)
٨. وزارة التخطيط العراقية، خطة التنمية الوطنية (٢٠٢٤-٢٠٢٨).
٩. وزارة النقل العراقية، تقرير التنمية الوطنية ٢٠٢٠.
١٠. البنك الدولي، دراسة البنية التحتية والنمو الاقتصادي في الشرق الأوسط ٢٠٢١.
١١. منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية، تقرير التنمية الاجتماعية ٢٠٢٢.
١٢. نادية خليفة الزاوي، & ، فاطمة نصر. الأهدب، المدن الذكية. المؤتمر الهندسي الثاني لنقابة المهنة الهندسية بالزاوية. جامعة الزاوية. ليبيا، ٢٠١٩، ص ٢١٣.
١٣. بهجت رشاد شاهين، ، محسن جبار. عوده ، دور البيئة المعلوماتية في بناء المدينة الذكية. مجلة الهندسة. جامعة بغداد. كلية الهندسة. بغداد. العراق ، (المجلد ٢٢) العدد ٧، ٢٠١٦، ص ١٦
١٤. صليحة، يعقوبن. دور الصناعات الصغيرة والمتوسطة في تنمية الصناعة العربية. مجلة الحقوق والعلوم الإنسانية. دراسات إقتصادية، ٢٠١٦، ص ١٢١

15. World Bank. Transport Corridors Project (P131550)

[Internet]. Washington, DC: World Bank; 2024 [cited

2025 Apr 22]. Available from:

<https://projects.worldbank.org/en/projects-operations/project>

16. Sima Shine, Yoel Guzan sky, and Eldad Shavit, Iran and Saudi Arabia Renew Relations, iNSS Insight No. 1695, March 14, 2023

حرية التعبير عن الرأي لأعضاء السلطة التشريعية في العراق Freedom to express opinions for members of the legislative authority in Iraq

م. بان صاحب عبد المنعم^(١)

Lect. Ban Sahib Abdel Moneim

الملخص

إن حرية التعبير عن الرأي من الحريات الأساسية التي منحها المشرع الدستوري لجميع الافراد ومنهم اعضاء السلطة التشريعية وان هذه الحرية نص عليها الدستور العراقي لسنة ٢٠٠٥ والنظام الداخلي لمجلس النواب وهناك ضمانات دستورية لحرية التعبير عن الرأي وهو مبدأ سمو الدستور ومبدأ المساواة ومبدأ الفصل بين السلطات وأن سلب حرية التعبير عن الرأي والذي يشمل الحرية الفكرية يؤدي الى الاكراه أي سلب ارادة الفرد ومن صور الاكراه هو الاكراه الفكري ويعد هذا النوع من الاكراه من أخطر المشكلات التي واجهتها الانظمة الديمقراطية لذا فان المشرع منح عضو السلطة التشريعية الحصانة من أجل ضمان حرية المناقشات وإبداء الرأي والتصويت حتى يؤدي العضو وظيفته النيابية دون خوف أو وجل، أما الحصانة الإجرائية فإن الغرض منها هو عدم انتهاء عضوية النائب أثناء دور الانعقاد ومارست المحكمة الاتحادية العليا في العراق الرقابة على دستورية القوانين كوسيلة لضمان الحريات ومنها حرية التعبير عن الرأي المنصوص عليها دستوريا فألغت العديد من النصوص التشريعية لمخالفتها القواعد الدستورية المشتملة على الحقوق والحريات الأساسية.

١- جامعة كربلاء- كلية القانون

وتأسيساً على ما تقدم تم تناول تلك الدراسة في مبحثين، فضلاً عن المقدمة والخاتمة، معتمدين في بحثنا على المنهج الوصفي التحليلي والتاريخي، وقد خصص المبحث الأول الى مضمون حرية التعبير عن الرأي، أما المبحث الثاني فقد استعرض التكييف القانوني لحرية التعبير عن الرأي لأعضاء السلطة التشريعية، قد توصلنا في هذه الدراسة الى ان تكون الضمانات لحرية التعبير عن الرأي لأعضاء السلطة التشريعية منظمة بقانون خاص وذلك لتوضيح موقف الحصانة البرلمانية منها.

الكلمات المفتاحية: حرية التعبير عن الرأي، عضو البرلمان، السلطة التشريعية، الاكراه الفكري، القواعد الدستورية.

Abstract

Freedom to express opinion is one of the basic freedoms granted by the constitutional legislator to all individuals, including members of the legislative authority, and this freedom is stipulated in the Iraqi Constitution of 2005 and the bylaws of the House of Representatives. There are constitutional guarantees for freedom to express opinion, which is the principle of the supremacy of the constitution, the principle of equality, the principle of separation of powers, and that the deprivation of freedom Expressing an opinion, which includes intellectual freedom, leads to coercion, that is, taking away the will of the individual. One of the forms of coercion is intellectual coercion. This type of coercion is considered one of the most serious problems faced by democratic systems. Therefore, the legislator granted a member of the legislative authority immunity in order to guarantee freedom of discussion, expression of opinion, and voting so that the member performs his job. parliamentary elections without fear or apprehension. As for procedural immunity, its purpose is not to terminate the membership of the representative during the session. The Supreme Federal Court in Iraq exercised oversight over the constitutionality of laws as a means of guaranteeing freedoms, including the constitutionally stipulated freedom to express opinions. It canceled many legislative texts for violating the constitutional rules included. On fundamental rights and freedoms.

Based on the above, this study was dealt with in two sections, in addition to the introduction and conclusion, relying in our research on the descriptive and analytical and historical method approach. The first section was devoted to the content of freedom of expression of opinion, while the second section reviewed the legal conditioning of freedom of expression of opinion for members of the legislative authority. In this study, we have concluded that the guarantees for freedom of expression of opinion for members of the

legislative authority are regulated by a special law in order to clarify the position of parliamentary immunity from it.

Keywords: Freedom of expression, member of parliament, legislative authority, intellectual coercion, constitutional rules.

المقدمة

أولاً: موضوع البحث

من بين المفاهيم التي أثارت جدلاً كبيراً حول مضامينها وتحديد أطرها، واختلفت حولها المذاهب الفلسفية والسياسية، هي الحقوق والحريات، وهل لها أكثر من مضمون، ومتى تبدأ، وإلى أين تنتهي... إلخ وهل مفهوم الحريات العامة يمكن أن يترادف مع المفهوم الحديث لحقوق الإنسان، نظراً للتقارب أو التداخل بين المفهومين؟ وإذا كان يتعذر الوصول إلى تحديد دقيق وفصل تام بين هذه المفاهيم بسبب اختلاف الفقه حولها، إلا أن ذلك لم يمنع البعض من محاولة التمييز وإبراز بعض الفروق بين هذه المفاهيم، وفقاً لتجاهات ونظرات مختلفة.

لقد اجتهد الفقهاء في محاولة تصنيف أو تقسيم للحريات العامة، أو تجميعها في مجموعات معينة، ويقدر ما تنوعت هذه الحريات وتعددت تقسيماتها وتباينت بحيث يتعذر الوقوف على تقسيم واحد أو نهائي مقبول بالإجماع، وذلك بسبب عدم وجود اتفاق جذري بينهم حول مفهوم الحرية وما يثيره من إشكالية، إلا أنه بصورة عامة تم تقسيمه إلى حريات عامة وحرريات سياسية.

وبالنظر إلى التقسيمات المتعددة والمختلفة للحريات العامة الفردية، ومع تباين وجهات النظر حول مدى اعتبار الحرية السياسية صورة من ذلك التقسيم من عدمه، نرى - كما يقرر البعض - أن كلا النوعين من الحريات يعمل في مجال معين، مغاير ومختلف عن الآخر، إلا أن ذلك لا ينفي وجود العلاقات الوطيدة بين النوعين وما لها من تكامل وارتباط وتساند، بحيث أضحت الوجود الفعلي لإحدى النوعين من الحريات يستلزم توفر وممارسة النوع الآخر.

ولأعضاء السلطة التشريعية وفقاً للقانون حرية بالتعبير عن آرائهم ويمتلك الأعضاء حصانة تحميهم من الملاحقة القانونية، إلا أن هذه الحرية ليست مطلقة وهذه الحصانة من الممكن أن يتم سحبها في حالات معينة حددها القانون، وسنبين في هذه الدراسة حدود حرية التعبير عن الرأي لأعضاء السلطة التشريعية في العراق.

ثانياً: أهمية البحث

تكمن أهمية البحث في أهمية الموضوع بحد ذاته، ولاسيما مع الغموض الذي يكتنف نطاق حرية التعبير عن الرأي وترادفها مع الحصانة التي يسوء فهمها في بعض الاحيان من قبل الاعضاء، الامر الذي يستوجب بيان نطاق حرية التعبير والقيود الدستورية الواردة عليه.

ثالثاً: مشكلة البحث

تكمن اشكالية البحث فيما نلاحظه من قيود على حرية التعبير عن الرأي لأعضاء السلطة التشريعية في العراق من جهة، وما نلاحظه لخروج عن مبدأ الحرية من جهة اخرى، لذا ارتأينا ان نبين نطاق هذه الحرية ودور السلطة القضائية في تكييف هذه الحرية من اجل تمكين العضو من ممارسة مهامه والدفاع عنها بحرية دون قيود.

رابعاً: أهداف البحث

يهدف هذا البحث الى بيان مضمون حرية التعبير عن الرأي وتمييزها عن الحريات السياسية لأعضاء السلطة التشريعية، وكذلك دراسة مدى كفاية التشريعات العراقية في توفير الحماية القانونية لحرية التعبير عن الرأي لأعضاء السلطة التشريعية.

خامساً: منهج البحث

للإحاطة بدراسة حرية التعبير عن الرأي عند اعضاء السلطة التشريعية، تم اتباع المنهج الوصفي التحليلي لتحليل النصوص القانونية الخاصة بتنظيم هذه الحرية، كما ارتأينا ان نتبع المنهج التاريخي للرجوع الى التشريعات العراقية السابقة والمنظمة لحرية التعبير عن الرأي.

سادساً: هيكلية البحث

لتحقيق الاهداف المرجوة من هذه الدراسة، سيتم تقسيمه على مبحثين ومقدمة وخاتمة ، نتناول في المبحث الاول مضمون حرية التعبير عن الرأي من خلال تقسيمية على مطلبين تنطرق في المطلب الاول الى نطاق حرية التعبير عن الرأي واختص المطلب الثاني بتوضيح دور الاكراه الفكري في منع حرية التعبير عن الرأي.

اما المبحث الثاني نبين فيه التكييف القانوني لحرية التعبير عن الرأي لأعضاء السلطة التشريعية في العراق وذلك في مطلبين، تناول المطلب الاول دور الحصانة البرلمانية في تعزيز حرية التعبير عن الرأي لأعضاء السلطة التشريعية في حين تضمن المطلب الثاني موقف القضاء الدستوري من حرية التعبير عن الرأي لأعضاء السلطة التشريعية ، ثم نختم الدراسة بخاتمة تتضمن اهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: مضمون حرية التعبير عن الرأي

تختلف الحرية عن الفوضوية كما يختلف الإنسان عن غيره من المخلوقات، حيث إن الله سبحانه وتعالى ميز الإنسان بالعقل فإذا سلب منه هذه النعمة فلا مسؤولية على تصرفاته ، لهذا انتهى الفقهاء إلى وضع ضوابط وحدود لحرية التعبير عن الرأي وتلخص في وضع حدود وضوابط لحماية الافراد والاسر والجماعات والمجتمعات وتقييد الحرية لحماية المقومات الاساسية للمجتمع فلا يباح هدم أحد هذه المقومات أو المساس بها، وأن يكون لحرية التعبير عن الرأي غاية نبيلة لتحقيق المصلحة العامة ويتمثل ذلك في صدق الرأي وصحة الوقائع والتناسب بين العقد والوقائع محل النقد^(٢)، وتحظى حرية التعبير عن الرأي بأهمية خاصة في المجتمعات الديمقراطية، ففي الدول الديمقراطية يرغب الناخبون في الاستماع إلى نطاق واسع من الآراء ، وفي الحصول على حقائق وتفسيرات ووجهات نظر متباينة حتى عندما يرون أن الآراء المطروحة مستهجنة على المستوى السياسي أو الأخلاقي أو الشخصي ربما لا تنقل هذه الآراء مباشرة عبر الصحف والإذاعة والتلفزيون، وإنما تعرض عادةً في الروايات والقصائد والأفلام والرسوم الكاريكاتيرية كذلك يمكن التعبير عنها رمزيًا بحرق علم أو حرق بطاقة الانتماء للبلد، ويهتم أفراد الدولة الديمقراطية أيضًا بالمشاركة الفعالة لعدد كبير من المواطنين في الحوار السياسي بدلًا من التلقي السلبي للسياسة الصادرة من السلطات العليا^(٣)، وبناء على ذلك سوف نقسم هذا المبحث على مطلبين اذ نبين في المطلب الأول نطاق حرية التعبير عن الرأي، اما المطلب الثاني نتطرق فيه الى دور الاكراه الفكري في منع حرية التعبير عن الرأي، وعلى النحو الاتي:-

٢ - د. عبد الغني بسيوني ، النظام السياسي ، الدار الجامعية للنشر والطباعة ، بغداد ، ١٩٨٥ ، ص ٣٤٠.

٣ - د. امير موسى، حقوق الانسان ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط ١، بيروت ، ١٩٩٤ ، ص ١٦٦.

المطلب الأول: نطاق حرية التعبير عن الرأي

ذهب بعض الفقهاء الى القول إن الحكومة التي لا تكفل حرية كلام شاملة لن تكون حكومة شرعية على الإطلاق ولا ينبغي أن توصف بأنها «ديمقراطية»، الديمقراطية من هذه الوجة تتطلب أكثر من مجرد الالتزام بالانتخابات وممارسة حق الاقتراع العام، فالحماية الشاملة لحرية الكلام شرط أساسي لأي دولة ديمقراطية تستحق هذا الوصف، إذ بدونها لا تكون الحكومة تشاركية فعلياً وحرية الكلام شرط للحكومة الشرعية، فالقوانين لا تكون شرعية الا إذا طبقت من خلال عملية ديمقراطية، ولا تكون العملية ديمقراطية إذا منعت الحكومة أي شخص من التعبير عن معتقداته بشأن ما يجب أن تكون عليه هذه القوانين والسياسات وتخضع هذه الحرية الى الدساتير التي تضمن وتكفل حرية الرأي للأفراد بصورة عامة^(٤)، وسنبين التنظيم الدستوري لحرية التعبير عن الرأي والقيود الواردة عليه وذلك في فرعين وكما يلي:-

الفرع الأول: التنظيم الدستوري لحرية التعبير عن الرأي

يشير مصطلح حرية التعبير الى العديد من المفاهيم مثل حرية الرأي و حرية الصحافة ووسائل الاعلام وحرية المعلومات وحرية الاجتماع والتجمع وحرية الاتصالات والحق في الخصوصية وحرية الفكر والدين وحرية التعليم وسواها، في حين نكرس اهتمامنا لدراسة حرية التعبير عن الرأي^(٥).

والإطار الدستوري لحرية التعبير عن الرأي يشير إلى مجموعة من الآليات التي تتيح للفرد التمتع بحقوقه المنصوص عليها في الدستور، فضلاً عن الوسائل التي تحمي هذه الحقوق من أي انتهاك من خلال وضع ضوابط قانونية لضمانها، وتعرف هذه النصوص بالضمانات الدستورية، والتي تتمثل بوجود دستور مدون بالإضافة الى المبادئ التي يتحتم توافرها في كل دولة تمتلك دستوراً وتتمثل بمبدأ سيادة القانون ومبدأ المساواة ومبدأ الفصل بين السلطات، اذ ينبغي على كل دولة تتجه الى تحقيق الديمقراطية ان تسعى الى توفير ضمانات جديدة تكفل احترام حقوق الانسان وحرياته العامة وتتعهد باحترامها، وفي صدارة هذه الضمانات وجود دستور مدون يتضمن القواعد الدستورية التي تضمن هذه الحقوق والحريات، ويعد الدستور المدون ولاسيما الدستور الجامد الضمانة الاولى من ضمانات وسائل حرية التعبير عن الرأي التي تكفل احترامها،

٤ - د.عبد الغني بسيوني , مصدر سابق, ص ٣٥٠.

٥ - بصائر محمد البياتي، انتهاكات حق التعبير، دراسة خاصة عن التدوين الالكتروني، مجلة جامعة النهرين، المجلد ١٧ -، العدد ٢

٣١، ٢٠١٥، ص ٣١.

اذ يعد الدستور أعلى التشريعات في الدولة ويقع في قمة الهرم القانوني ويسمو على القواعد القانونية الأخرى جميعاً وينبغي على السلطات في الدولة جميعها ان تلتزم بأحكامه والا عدت تصرفاتها غير مشروعة^(٦).

فالدستور يفرض احترامه على السلطات الثلاث لأنه يعتبر المؤسس وسندها الشرعي في ممارسة سلطاتها، لذا لا يجوز لأي منها مخالفة سندها أو أساس وجودها، بالإضافة إلى ذلك يضطلع الدستور بدور حيوي في حماية حقوق وحرية الأفراد أمام السلطة الحاكمة، وكذلك في مواجهة التعسف الذي قد ينجم عن القوانين الصادرة عن المشرع العادي، كما يعتبر الدستور وسيلة للتربية السياسية، حيث يساهم في رفع مستوى الفرد إلى مرتبة المواطن الواعي بحقوقه وواجباته، ويدرك من خلال النصوص الواضحة للدستور دور السلطة السياسية ومكانتها في المجتمع من ناحية أخرى، ومن ثم فإن النص على وسائل حرية التعبير عن الرأي في صلب الدستور يكون الغرض منه اثبات وجود هذه الحقوق أصلاً وتمكين المواطن من المطالبة بها وازدحام المزيد من الاحترام عليها وبخلاف ذلك فإن النص على هذه الوسائل في التشريعات الأخرى دون ذكرها في صلب الدستور يجعلها في حالة من عدم الثبات نتيجة للتغييرات التي يمكن ان تحدث على القوانين العادية بعكس ما تتطلبه الدساتير من شروط خاصة لتعديلها^(٧).

واتجهت الدساتير الحديثة نحو تضمين الحريات ضمن صلبها وذلك بهدف إسباغ القوة الدستورية على هذه الحريات في مواجهة المشرع، بحيث يتمتع عليه أن يصدر أي تشريع ينتهكها وهو ما يعد ضمناً للحريات في مواجهة المشرع، وفي هذا المجال ومسايرة للدعوات الدولية للاعتراف بحرية التعبير عن الرأي عملت الدول على النص في دساتيرها على احترام حرية التعبير^(٨).

وعند استقرار الدساتير العراقية منذ تأسيس الدولة العراقية في القانون الاساسي لعام ١٩٢٥ وذلك في المادة (١٢) اذ نصت على ان (للعراقيين حرية إبداء الرأي، والنشر)، ونصت المادة (١٠) من الدستور لمؤقت لعام ١٩٥٨ على ان (حرية الاعتقاد والتعبير مضمونه وتنظم بقانون) وكذلك ماجاء به الدستور العراقي المؤقت لسنة ١٩٦٠ في المادة (٣١) حين نصت على ان (حرية الراي مكفولة..)، والمادة (٢٩) من الدستور المؤقت لعام ١٩٦٤ التي نصت على ان (حرية الرأي والبحث العلمي مكفولة ولكل إنسان حق التعبير عن رايه ونشره بالقول أو الكتابة أو التصوير أو غير ذلك في حدود القانون). وكذلك ماجاءت

٦ - د. محمد بشير الشافعي، قانون حقوق الانسانمصادره وتطبيقاته الوطنية والدولية -، ط٦، منشأة المعارف، الاسكندرية،

٢٠٠٨، ص٦٣.

٧ - د. السيد صبري، مبادئ القانون الدستوري، ط٤، المطبعة العالمية، ١٩٤٩، ص٢٢١.

٨ - د. منتصر سعيد حمودة، قانون الاعلام الدولي. دراسة مقارنة بالفقه الاسلامي، دار الفكر الجامعي، الاسكندرية، ٢٠١٢،

ص١٢٩.

به المادة (٢٦) من الدستور العراقي المؤقت لسنة ١٩٧٠، اضافة الى المادة (١٣) من قانون ادارة المرحلة الانتقالية لسنة ٢٠٠٤، والمادة (٣٨) من دستور العراق النافذ لسنة ٢٠٠٥، فهذه النصوص الدستورية هي ضمانات دستورية لحرية التعبير عن الرأي.

فضلاً عن ذلك فإن حرية التعبير عن الرأي تعد من الحقوق الأساسية الهامة التي يجب أن تحترم في أي دولة تلتزم بتلزام بحقوق الإنسان، فحق حرية التعبير عن الرأي يعني قدرة الفرد على تبني الآراء والأفكار التي يراها دون أي ضغط أو إجبار، بالإضافة إلى القدرة على التعبير عن هذه الآراء باستخدام جميع الوسائل والأساليب المتاحة، ومن أجل ضمان ممارسة هذه الحرية لا بد من توافر شرطين أساسيين^(٩):-

١- غياب الموانع والقيود على السلوك أو النشاط المنوي القيام به.

٢- غياب التهديد الذي لا يستطيع أي شخص عاقل مقاومته.

من هنا نجد أن أهم ضمانات يجب أن يتمتع بها الشخص وهو يمارس حقه في التعبير عن آرائه ومعتقداته وتفكيره أن لا تكون هنالك قيود تمنعه من ممارسة هذا الحق، لذلك لا بد من وجود حماية تشريعية يستند لها، وهذا ما يسمى بالحماية القانونية، أيضاً لا بد من وجود نوع آخر من الحماية قائمة على عدم تعرض أي إنسان لتهديد ووعيد بغض النظر عن طبيعة ذلك التهديد جراء ممارسته لحقه في التعبير عن رأيه، إن ممارسة هذا الحق يتطلب توفير بيئة ديمقراطية بعيدة عن أساليب الدولة البوليسية التي تسعى إلى مراقبة الأفراد وتطبيق العقوبات عليهم مجرد اختلاف آرائهم عن توجهاتها. ، حتى وإن كانت تملك تشريعات وطنية تنص على حرية التعبير عن الرأي، وأن الضمانات لا تقتصر فقط على الضمانات المقدمة للأشخاص الذين يعبرون عن ذواتهم وأفكارهم ومعتقداتهم سواء كانت بشكل شخصي أو مهني ، بل أيضاً على الضمانات المقدمة للآخرين مقابل هذه الحرية في التعبير عن الرأي ، فإذا كانت حرية الفرد في اعتناق الرأي الذي يختاره لا تقبل بطبيعتها أي قيد ، فإن إطلاق الحق في التعبير عن الرأي لا يعني أنه لا يحمل معه واجبات ومسؤوليات معينة تسمح بفرض بعض القيود التي تستلزم حماية مصالح الآخرين أو مصلحة الجماعة ككل، وعلى ألا تفرغ تلك القيود الحق في التعبير عن مضمونه، أي يجب أن تقتصر على ما تقتضيه في الدول الديمقراطية حماية الأمن القومي أو النظام العام أو الآداب العامة أو حقوق الغير وسمعتهم^(١٠).

٩ - محمد الخلو، الرسالة، مجلة فصلية تصدر عن المركز الوطني لحقوق الإنسان، العدد ١١ - ، ٢٠١١، ص ١.

١٠ - د.هالة شعشاعة، الحريات المدنية والسياسية، مركز وائل للمنشورات، ط١، ٢٠٠٥، ص ٦٣٢.

ومن الضمانات الأخرى لحرية التعبير عن الرأي هو مبدأ الفصل بين السلطات وهو ما أخذ به الدستور العراقي في المادة (٤٧)، يراد بمبدأ الفصل بين السلطات اسناد خصائص السيادة التي يختلف بعضها عن البعض الى افراد او هيئات مختلفة ومستقل بعضها عن بعض، ولما كان الشعب هو مصدر السلطات فهو الذي يسند هذه السلطات الى الهيئات المختلفة^(١١).

وايضا من الضمانات الأخرى لحماية حرية التعبير عن الرأي هو مبدأ المساواة، ويعد مبدأ المساواة حجر الزاوية وبؤرة الارتكاز في كل تنظيم قانوني للحقوق والحريات، وهو من الديمقراطية بمثابة الروح من الجسد وبغيره ينتفي معنى الديمقراطية وينهار كل مدلول للحرية، اذ تقرر اغلب النظم الديمقراطية ان تنظيم الحريات العامة والحقوق وماقد يتضمنه هذا التنظيم من تحديد او اطلاق لايمكن ان يتحقق الا بقوانين عامة مجردة تكفل المساواة بين الافراد جميعهم، ويراد بالمساواة عدم التمييز والفرقة بين الافراد الذين تتوافر فيهم شروط واحدة ويوجدون في ظروف واحوال محددة، فاذا اتحدت الشروط والظروف في عدد من الافراد، وجب عندئذ ان تتحقق المساواة بينهم وان يتمتعوا جميعاً بحماية قانونية متساوية^(١٢).

الفرع الثاني: القيود الواردة على حرية التعبير عن الرأي

تعد حرية التعبير عن الرأي إحدى الحريات الدستورية المسلم بها إلا أن هذه الحرية ليست مطلقة بل تحدها بعض القيود التي تهدف لتجنب التعرض لحقوق الآخرين أو المساس بالنظام العام، لذلك جرت الدساتير والقوانين على وضع الضوابط التي تلحق حرية التعبير عن الرأي وتتباين هذه الضوابط والقيود وفقاً للاختلافات في الأنظمة السياسية لكل دولة وكذلك بناءً على مستوى الحرية أو الحدود المسموح بها للتعبير عن الرأي، حيث تعمل الدول الديمقراطية على توسيع نطاق حرية التعبير عن الرأي، بينما تقوم الأنظمة الشمولية بتقليص هذه المساحة بشكل كبير مما لا يتناسب مع أهمية ودور حرية التعبير في المجتمع^(١٣).

وقيد الدستور العراقي لعام ٢٠٠٥ والتشريعات الداخلية والانظمة والتعليمات حرية التعبير عن الرأي وجعلت لها ضوابط قانونية وليس حرية مطلقة وبما ان حرية التعبير عن الرأي من الحقوق الاساسية لدى

١١ - د. ماجد راغب الحلو، القانون الدستوري، دار الجامعة الجديدة، الاسكندرية، ٢٠٠٦، ص ٢١١.

١٢ - احمد فاضل حسين، ضمانات مبدأ المساواة في بعض الدساتير العربية، اطروحة دكتوراه، كلية القانون، جامعة بغداد،

٢٠٠٥، ص ٩٦.

١٣ - د. عبد الفتاح بيومي حجازي، المبادئ العامة في جرائم الصحافة كالمشر، دراسة متعمقة في جرائم الرأي، دار الفكر العربي،

الاسكندرية، ٢٠٠٦، ص ٧.

جميع الشعوب ومنهم المجتمع العراقي كان لابد ان يضع المشرع القيود القانونية لهذه الحرية حتى لا تخرج من نطاق الحق الى الفوضى والتعدي على حقوق الاخرين وبعد الدستور العراقي لعام ٢٠٠٥ من الدساتير المهمة التي عبرت عن احتياجات المجتمع العراقي وتناولت حرية التعبير عن الرأي مقارنة بالأنظمة السابقة التي كانت تقيد هذه الحريات وتمنعها، وتعد حرية التعبير عن الرأي هي الحرية الام وتتفرع منها باقي الحريات الشخصية التي ركز عليها الدستور العراقي وتكفل بحماية هذا الحق، ومن هذه القيود هي:-

اولاً / القيود الاخلاقية : ويتضمن هذا القيد عدم الإساءة للمعتقدات وأفكار الاخرين والمنع من التجاوز على معتقدات الاخرين من خلال النشر او الكتابة او المطبوعات او بصورة شفوية او بأحد وسائل التعبير عن الراي، وكانت المواد الدستورية واضحة بمنح الافراد من ذلك من خلال المادة (٢/٢) من الدستور العراقي النافذ والذي تنص على أن (يضمن هذا الدستور الحفاظ على الهوية الاسلامية لغالبية الشعب العراقي، كما ويضمن كامل الحقوق الدينية لجميع الافراد في حرية العقيدة والممارسة الدينية كالمسيحيين والآيزديين والصابئة المندائيين) والمادة (٣) من الدستور العراقي النافذ نصت على ان (العراق بلد متعدد القوميات والأديان والمذاهب...) ان الدستور لم يفرض فكراً ومعتقداً او ديناً معيناً إنما اعطى حرية التعبير عن الراي في المجال الديني والفكري وتلقي المعلومات ونشرها ولكنه وضع قيوداً دستورية بمنع التعرض لدياناتهم ومذاهبهم والاساءة اليهم بأي وسيلة تعبير عن الرأي كانت وتكون حرية التعبير عن الآراء الدينية بحدود القانون ولا تتعدى حقوق الاخرين باحترام ومن الديانات الأخرى مع مراعاة هذه الأمور القيود والضوابط وعدم تجاوزها.

ثانياً: القيود الخاصة باحترام النظام العام : قيد النظام العام حرية التعبير عن الرأي وحددها وفقاً لمتطلبات معينة قد وضعها فقهاء القانون لغرض حماية المصالح العليا للبلد وألا تتحول الى حرية مطلقة تسبب الأضرار بالمصالح العامة، وعرف النظام العام أنه (هو مجموعة من القواعد القانونية الذي تهدف إلى حماية المصالح العليا للمجتمع بصورة مباشرة أكثر ما تهدف إلى حماية مصالح الأفراد في المصالح السياسية والاقتصادية والاجتماعية والقانونية)، ويفهم من النظام العام بأنه الأمن العام والسكينة العامة والصحة العامة وبهذا المفهوم الذي قيد حرية التعبير عن الرأي ضمنه هذه الحدود واهمها احترام الامن العام ومنع نشر الافكار الارهابية ومنع الترويج للأحزاب المحظورة ومنع المراسلات وكشف المعلومات الماسة بأمن الدولة^(١٤).

١٤ - سيفان باكراد ميسروب، الحريات الفكرية وضماناتها القضائية، دراسة مقارنة، اطروحة دكتوراه، كلية القانون، جامعة

ثالثاً / عدم مخالفتها لمبادئ الديمقراطية واسسها: قيد الدستور العراقي حرية التعبير عن الرأي بعدم تعارضها مع مبادئ الديمقراطية وحقوق الانسان ومبادئ الديمقراطية واسعة جداً ومن هذه المبادئ هي العدل والتعددية والحرية الفردية والقرار السياسي والمساواة وحرية الاعلام وقرار الحقوق، واما حقوق الانسان فهي الحقوق الجوهرية والأصلية التي نادى بها المجتمعات منذ الازل ومن مبادئ حقوق الانسان هو الحق في الحياة والتنقل والسفر وحق التعبير عن الرأي والمساواة والعدل وما تضمنته المواثيق الدولية في الاعلان العالمي لحقوق الانسان والحقوق الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وحق الطفل والمرأة، وقد نص عليه الدستور العراقي النافذ في المادة(٢) في الفقرة (ب) (لا يجوز سن قانون يتعارض مع مبادئ الديمقراطية)، ومنع الدستور من إصدار تشريعات تتعارض مع مبادئ الديمقراطية وحقوق الإنسان وإلغاء أي تشريع يتعارض مع مبادئ الديمقراطية وحرية التعبير عن الرأي، وكذلك أكد الدستور في أغلب مواده بأنه لا يجوز سن تشريع القوانين الذي يتعارض مع مواده أو يتعارض مع الشريعة الإسلامية وحقوق الإنسان والديمقراطية. وبهذا نلاحظ انه من الطبيعي أنه يجب احترام حقوق وحرية الآخرين عند ممارسة حرية التعبير عن الرأي، بحيث لا يتم الاعتداء على شرف ومكانة الأفراد وإلا كان السلوك المستخدم ينطبق عليه نص تجريم غيره من النصوص التجريبية نتيجة التعرض لحقوق الأفراد سواء في حرمة حياتهم الخاصة والمساس بسمعتهم أو بسبب التحريض على أعمال غير مشروعة تلابسها مخاطر واضحة تتعرض لها مصالح محمية، أو بإساءة استعمال حرية التعبير بالإهانة أو السب ويخضع للمساءلة عن جريمة القذف أو كما تخضع الدول حرية التعبير عن الرأي لعدد من القيود والضوابط للحيلولة دون المساس بالنظام العام أو المصلحة العامة^(١٥).

المطلب الثاني: دور الاكراه الفكري في منع حرية التعبير عن الرأي

إن سلب حرية التعبير عن الرأي والذي يشمل الحرية الفكرية يؤدي الى الاكراه، اي سلب ارادة الفرد ومن صور الاكراه هو الاكراه الفكري ويعد هذا النوع من الاكراه من أخطر المشكلات التي واجهتها الانظمة الديمقراطية وحصر السلطة والنفوذ وقوة المال بأيادي قليلة لا تؤمن بالعدالة ولا بالقيم المنصفة للإنسان فمنذ أن وعى الإنسان قيمة الحرية وعاش في كنفها وتنفس هواءها النقي بدا مستنقراً ومستعداً ومؤهلاً لتقديم القرابين المطلوبة منه مهما بلغ ثمنها في مقابل دحر الجبرية والإكراه فالأخير هو نوع من الإذلال غير المقدر عليه من أصحاب العقول الحرة، والقهر هو تحطيم للكينونة الاعتبارية للفرد والأمة وهو في الآخر إلغاء قسري للوجود الإنساني برمته فأينما تجدد حربا بين قومين أو شعبين أو أمتين ستجد حالة

الإكراه سببا في إشعال فتيل الحرب بينهما ولأهمية الإكراه الفكري واثرها على حرية التعبير عن الرأي، سنقسم هذا المطلب على فرعين، نتناول في الفرع الأول مفهوم الإكراه الفكري وفي الفرع الثاني نتناول وسائل الإكراه الفكري وعلى النحو الآتي:-

الفرع الأول: مفهوم الإكراه الفكري

عالج القانون المدني العراقي الإكراه في مواضع عدة وقد عرف الإكراه بأنه (اجبار الشخص بغير حق على ان يعمل عملاً دون رضاه)^(١٦)، هذا التعريف يركز على التأثير الخارجي غير المشروع الذي يمارس على ارادة الفرد، مما يدفعه الى القيام بتصرفات لم يكن ليقوم بها بملء ارادته.

اما شرح القانون المدني فقد عرفه بعضهم بأنه (اجبار شخص على عمل شيء بلا حق) وهذا التعريف لا يعدو ان يكون ترديداً للنصوص القانونية من جهة وتعريفاً لغوياً من جهة اخرى، ويذهب البعض الآخر في تعريفه للإكراه الى تحديد عناصره بأنه (ضغط تتأثر به ارادة شخص فيندفع الى التعاقد)^(١٧)، بينما يعرفه آخرون بأنه (ضغط غير مشروع على ارادة شخص تبعث في نفسه رهبة تدفعه الى التعاقد)^(١٨).

والواضح ان هذين التعريفين خاصان بالعقود فقط والحقيقة ان للإكراه ذات المعنى في القانون المدني والجنايائي فالسائد انهما يمثلان مفهوماً واحداً من ناحية العناصر المطلوبة فيه وإن اختلفا من حيث الاثر القانوني فمن حيث انهما يمثلان معنى واحداً في العناصر المطلوبة فيه فان الإكراه بمعناه العام ينطوي على عنصرين : عنصر مادي هو الطرق التي تستعمل للتأثير في ارادة الغير وعنصر معنوي هو انتزاع الارادة، فالعنصر الاول دائرته في المواد المدنية تتطابق مع دائرته في المواد الجنائية ، فالقانون المدني والقانون الجنائي لم يبينا وسائل الإكراه بل هي متروكة لتقدير القاضي ، اما العنصر المعنوي فهو واحد في النطاقين المدني والجنايائي ذلك ان الارادة هي المستهدفة بالإكراه وسلامتها شرط لكي تكون منتجاً للآثار القانونية في كلا القانونين^(١٩).

١٦ - المادة ١١١٢ - من القانون المدني العراقي رقم ٤٠ - لسنة ١٩٥١ المعدل.

١٧ - د.عبد الرزاق السنهوري ، شرح القانون المدني ، النظرية العامة للالتزامات ، ج ١ ، نظرية العقد ، دار الفكر للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٣٤ ، ص ٤١٩.

١٨ - د.حسن علي الذنون ومحمد سعيد الرحو ، الوجيز في النظرية العامة للالتزام ، ج ١ ، مصادر الالتزام ، دار وائل للنشر ، عمان ، ط ١ ، ٢٠٠٢ ، ص ٩٧.

١٩ - د.رؤوف عبيد ، مبادئ القسم العام في التشريع العقابي ، دار الفكر العربي ، ط ٤ ، ١٩٧٩ ، ص ٦٠٢.

اما من حيث اختلاف الاثر القانوني للإكراه في القانون المدني عن اثره في القانون الجنائي ، فان هذا الاختلاف نابع من اختلافهما في طبيعة المصلحة التي يحميها والهدف الذي يتوخاه كل منهما في احكامه فاذا كان المشرع المدني يحمي حرية الارادة في التعاقد ويعد الاكراه عيباً من عيوبها فلا يعتد بالرضا الصادر عنها ، كما انه يمنع من انعقاد العقد او بطلانه وكل ذلك حماية للروابط التعاقدية، فان المشرع الجنائي يحمي الحرية المعنوية للأفراد او الحق الشخصي في ان تكون ارادته كما يشاء وليس وفقاً لإرادة الاخرين^(٢٠).

في القانون الجنائي لم يتناول المشرع تعريف الإكراه بشكل محدد بل اكتفى بتنظيم آثاره القانونية في الحالات التي افترضها المشرع سواء من خلال الامتناع عن المسؤولية^(٢١)، أو تجريم أفعال معينة أو تشديد العقوبة أو إبطال القيمة القانونية لبعض الأدلة.

وفي الواقع، يقوم الباحثون بتعريف المصطلحات والتعليق على القانون، وهو أمر لا يختص به المشرع. ولم يقدم واضعو القانون الجنائي تعريفاً عاماً للإكراه بل اعتمدوا على تعريفات تتعلق بالأحكام التشريعية المختلفة المرتبطة به وأدوارها المتعددة وآثاره القانونية.

وعرف بعض الفقه العربي وجزء من الفقه الفرنسي الاكراه على أنه (إجباراً غير ضروري ولا يمكن التنبؤ به يجبر الشخص على ارتكاب جريمة وهو سبب يمنع المسؤولية)^(٢٢)، إذا كان هذا التعريف ينطبق على الدور القانوني للإكراه في إطار المسؤولية الجنائية فإنه يؤدي إلى الإعفاء من هذه المسؤولية.

فالغاية او القصد ليس بوسيلة الاكراه، لكنه انتشر في الشخص نفسه الذي حرض عليه، وذهب قسم آخر من الفقهاء إلى تعريفه على انه (حرمان المرء من حرية الاختيار كلياً أو جزئياً تبعاً للظروف يؤثر على إرادته بقدر ما يمكن القول إن المرء مسؤول جنائياً عن أفعاله)^(٢٣)، كما ان القوة تعبر عن وسائل الاكراه الظاهرة في حين للإكراه مضمون نفسي وهو حالة نفسية ضاغطة تؤثر على الفرد بشكل اعمق.

أما مصطلح الاكراه الفكري تحديداً فلا يوجد تعريف صريح له في القوانين العراقية اذ ان التعريفات من مهمة الفقه والقضاء ومع ذلك فإن الدستور العراقي لعام ٢٠٠٥ ينص في المادة (٣٧\ثانياً) على ان "تكفل

٢٠ - مأمون محمد سلامة ، اجرام العنف ، مجلة القانون والاقتصاد ، ٢٤ ، س٤٤ ، ١٩٧٤ ، ص٦.

٢١ - المادة ٦٢ - من قانون العقوبات العراقي رقم ١١١ - لسنة ١٩٦٩ تنص على انه "ال يسأل جزائياً من اكرهته على ارتكاب الجريمة قوة مادية او معنوية لم يستطع دفعها".

٢٢ - د.مصطفى ابراهيم الزلي، موانع المسؤولية الجنائية في الشريعة الاسلامية والتشريعات الجزائية العربية، مكتب القبطان ، بغداد

، ط١ ، ١٩٩٨ ، ص١٨٦.

٢٣ - د.احمد فتحي سرور ، القانون الجنائي الدستوري ، دار الشروق ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠١ ، ص١٩٩.

الدولة حماية الفرد من الاكراه الفكري والسياسي والديني" وهذا يشير الى التزام الدولة بحماية الافراد من أي ضغوط أو تأثيرات تمارس على عليهم لتغيير افكارهم او معتقداتهم دون ارادتهم.

وبالتالي يمكننا فهم الاكراه الفكري على انه (ممارسة ضغوط غير مشروعة على تفكير الفرد، بهدف تغيير او توجيه آرائه بما يتعارض مع ارادته الحرة)

الفرع الثاني: وسائل الاكراه الفكري

تختلف وسائل الإكراه الفكري من حيث شدتها وآثارها، لكنها جميعاً تعمل على تقويض حرية التعبير عن الرأي، وان الوسائل المستعملة في الإكراه قد تكون مادية (حسية) أو معنوية (نفسية) فالأولى تكون بالضغط المادي كالضرب وهي نادرة الوقوع خاصة في المجتمعات المتحضرة ، أما الوسائل المعنوية فهي الأكثر شيوعاً وتكون في شكل تهديد لا يتسم بالقوة المادية لكنه يوقع في نفس المكره أن خطراً جسيماً يحدق بنفسه أو بماله (٢٤).

ومن هذه الوسائل هي الوسائل المادية ويؤثر الإكراه البدني على الإرادة فيمنع الشخص منها ويعدمها ثم يتضح لنا أنه من المستحيل أن ننسب إلى ذلك الشخص أنه يتصرف بطريقة معينة وأن أعضاء جسده تصرفت بطريقة معينة، أي أنه من المستحيل أن ننسب إليه أنه يتصرف بحرية، فهناك قوة غير منضبطة تفقد السيطرة على أعضاء جسده وسخر منها بطريقة معينة، الإكراه الجسدي لديه إمكانية لجميع الحالات التي يتم فيها التحكم في جسد الشخص بواسطة قوة تسخره بطريقة معينة، أي كان نوع أو مصدر القوة الذي أدى إلى تآكل الإرادة (٢٥).

في الواقع وبسبب غياب الإرادة في حالة الإكراه المادي، يشمل جميع الحالات التي يتم فيها التحكم في جسم الشخص بواسطة قوة تستخدمه بطريقة معينة ، بغض النظر عن نوع أو مصدر القوة التي تمنع الإرادة ، بل إنه في الإكراه الجسدي لا توجد إرادة ولكن هذه النتيجة لا تتحقق إلا من خلال القوة الجسدية. والقوة التي من هذا القبيل ترجع الى مصادر مختلفة ، فقد يكون مصدر القوة من فعل الطبيعة كمن تضطره عاصفة الى العودة الى ارض دولة بعد صدور قرار بالإبعاد او ان يصاب الشخص المدعو للشهادة بمرض يحول دون ذهابه الى المحكمة لإداء الشهادة (٢٦)، وقد يكون مصدر القوة من فعل الإنسان ومثال ذلك ان يسجن شخص شاهداً وبمنعه بذلك من الذهاب الى احدى المحاكم لأداء شهادة دعي اليها قانوناً، وهناك أيضاً أولئك الذين يقبضون على أصابع الآخرين ويطبعون بصماتهم على مستندات تثبت ديناً أو عقوداً

٢٤ - د.عبدالرحمن الجوراني ، موانع المسؤولية الجنائية ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ط١ ، ١٩٦١ ، ص١١٥ .

٢٥ - د.حسن علي الذنون ومحمد سعيد الرحو ، مصدر سابق، ص٣٥٧ .

٢٦ - د.عبدالرحمن الجوراني ، المصدر السابق، ص١١٦ .

مزورة ، او عندما يتم تعطيل قدرة الشخص على المقاومة من خلال إعطائه المخدرات مما يتيح للمعطي التأثير عليه وإجباره على تغيير أفكاره وإرادته او تهديد النائب تحت قوة السرقة من اجل فرض معتقدات وافكار مغايرة لأفكاره أو إجباره بوسيلة مادية كالضرب من اجل فرض اراء معينة عليه او أفعال الحيوانات (٢٧).

ومنه ما يكون من فعل السلطة كما لو اجبر احد اعضاء السلطة التشريعية على تغيير افكاره او اعتناق فكر آخر او تغيير رأيه السياسي، ففي الكثير من الحالات يحدث كبت لهذه الآراء تحت قوة السلاح من الاحزاب المتنفذة من أجل فض ارغامه على تغيير رأيه وعدم منحه الحرية للتعبير عن افكاره.

في الواقع لا قيمة لأي تفرقة تتعلق بصورة الإكراه لأن هذه التفرقة تتعلق فقط بالسبب فالقوة سواء كانت ناتجة عن فعل الإنسان أو الطبيعة أو الحيوان هي مجرد وسيلة لتحقيق نتيجة واحدة وهي إكراه الإرادة فالعبرة لا تكمن في الوسيلة نفسها بل في النتيجة التي تتمثل في الإكراه أي العجز أو الشلل الذي يصيب الإرادة، كل وسيلة تهدف إلى تعطيل الإرادة في موقف معين سواء كان ذلك بدفع الشخص للقيام بعمل أو بتعطيله عن أداء عمله تماما، فإنها تخلق حالة من الإكراه المادي، ومن هنا تتساوى مصادر القوة لأن آثارها واحدة حيث تتمحي الإرادة في جميع الحالات (٢٨).

من بين الوسائل الأخرى للإكراه الفكري يأتي الإكراه المعنوي يراد به (قوة معنوية توجه الى شخص لا يستطيع مقاومتها وتؤدي الى اضعاف الإرادة لديه الى درجة تنهي الاختيار، مما يؤدي به الى ارتكاب الجريمة ويقع عادة بطريق التهديد بشر يحل بالجاني اذا لم يرتكب الجريمة مثل السجن الذي يخلي سبيل السجين تحت عملية التهديد بقتله ان لم يفعل ذلك) (٢٩)، حيث لا يحرم هذا النوع الشخص من إرادته بل يحد من حرية اختياره فهو لا يؤثر على وجود الإرادة بل يحتفظ بها ويقلص نطاق الاختيارات المتاحة بحث الإكراه المعنوي الشخص على التوجه نحو سلوك معين، مع العلم أنه ليس من المستحيل جسدياً الامتناع عن هذا التصرف وعلى عكس الإكراه المادي لا يمنع الإكراه المعنوي من إسناد التصرف إلى الشخص الذي يتعرض له، ما يميز الإكراه المعنوي هو أن مصدره دائماً بشري ويستند إلى التأثير على الإرادة وتوجيهها نحو النتيجة المطلوبة، بينما في الإكراه الجسدي تكون الإرادة معدومة بشكل تام ويستخدم الجسد كعائق فإن الإكراه

٢٧ - مأمون محمد سلامة، مصدر سابق، ص٣٦.

٢٨ - د.رؤوف عبيد، مصدر سابق، ص٦٥.

٢٩ - د.محمود نجيب حسني ، شرح قانون العقوبات القسم العام - ، الطبعة السابعة ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ٢٠١٢ ،

المعنوي يحافظ على وجود الإرادة ولكنه يقيد حرية الاختيار مما يدفع الشخص إلى التصرف وفقاً لتوجيهات هذا الإكراه^(٣٠).

ولالإكراه المعنوي شكلان الأول يتطلب استعمال قوة مادية للتأثير في الإرادة ومن الأمثلة على ذلك هو حبس شخص أو تعذيبه لحمله على توجيه ارادته الى سلوك معين او فكر معين وتلحق بالقوة المادية كل وسيلة تؤثر في الإرادة دون ان تعدمها كتعذيب متهم لحمله على الاعتراف اما الشكل الثاني فتفترض استعمال قوة معنوية للتأثير في الإرادة ومثال ذلك تهديد عضو السلطة التشريعية بضرر جسيم كقتله او قتل شخص عزيز عليه ان لم يغير فكره السياسي مثلا او انتمائه الديني او تغيير فكره الثقافي وغير ذلك^(٣١).

يقترّب الشكل الأول الإكراه المعنوي من الإكراه المادي لأنه يفترض مسبقاً استخدام القوة المادية لكنه يختلف عن الإكراه البدني في أنه لا يصل إلى درجة السيطرة على أعضاء الجسم وتوجيهها للقيام بفعل معين أو الامتناع عنه، أي تنفيذ الإرادة ولكن فقط التأثير على الإرادة من خلال شل حرية فكر الشخص وفرض الإرادة على اتجاه معين من خلال إخطاره في شكل متصور من الألم الذي من المتوقع أن يفشل في التحول كما هو مطلوب^(٣٢).

نستنتج مما سبق ان وسائل الاكراه الفكري المادي والمعنوي تكمن في سلب ارادة الفرد في الفكر، ولا ترتكز على الوسيلة التي يتم فيها فعل الاكراه انما على نتيجة الاكراه وهو نقيض حرية التعبير عن الرأي.

المبحث الثاني: التكييف القانوني لحرية التعبير عن الرأي لأعضاء السلطة التشريعية

لا يخفى على احد انه ولغرض تفعيل عمل تلك المجالس النيابية يدور الجدل و تطرح الافكار ولعل مما يتصل بذلك اتصالا حتميا، الحرية التي يتمتع بها النائب البرلماني والتي يستطيع من خلالها أن يقترح ما يشاء من الآراء وأن يناقش من يشاء من الوزراء لا بل قد يبدي هذا النائب رأياً يؤدي الى تناقضه مع رأي الوزير كما انه قد يصطدم بناخبيه اذا ما تخلى عن وعد قطعه على نفسه أو قد يبدي رأياً يتعارض مع اتجاه حزب سياسي معين وعندئذ قد يحاول البعض ثني هذا النائب عن ممارسة نيابته من خلال كيد الاتهامات له هذه الاتهامات التي قد تقترن بإجراءات جنائية يكون هدفها جميعا الحيلولة دون مباشرة هذا النائب لنيابته، مما تقدم ظهرت الحاجة إلى وسيلة قانونية ترد عن النائب مثل هذه الاتهامات حتى تتحقق حرية العضو في إبداء رأيه وان يمارس عمله دون اية قيود تحد من حريته وتحفظ له أستقلاليته بالشكل الذي يبعده عن أي تهديد او تقييد او ضغوطات تمارس عليه والمضي دون اعاقته عن متابعة اعماله على اكمل وجه،

٣٠ - د.احمد فتحي بجنسي ، المسؤولية الجنائية في الفقه الاسلامي ، دار القلم ، ١٩٦١ ، ص ٢٠٠.

٣١ - د.حسن علي الذنون ومحمد سعيد الرحو ، مصدر سابق، ص ٣٥٩.

٣٢ - د.احمد فتحي سرور ، مصدر سابق، ص ٢٠٦.

وهذه الوسيلة هي ما أصطلحت الدساتير على تسميتها بالحصانة البرلمانية^(٣٣)، وقبل بيان نطاق هذه الحصانة لا بد من التطرق الى النصوص القانونية التي تمنح العضو حرية التعبير عن الرأي، وهو ما سنتناوله في المطلبين الآتيين:-

المطلب الاول: دور الحصانة البرلمانية في تعزيز حرية التعبير عن الرأي لأعضاء السلطة التشريعية

يعد البرلمان إحدى السلطات الثلاث في الدولة وفي العصر الحاضر كما يعتبر البرلمان احد عناصر النظام الديمقراطي وابرز مؤشراته، وللبرلمان تعاريف عدة، منها يمكن تعريفه بأنه "المؤسسة السياسية هي هيئة تتكون من مجلس واحد أو عدة مجالس، يضم كل منها عدداً كبيراً نسبياً من الأعضاء، وتتمتع بسلطة المناقشة واتخاذ القرارات" وهذا ما يميز البرلمان عن اللجان التي تتكون من عدد قليل من الأعضاء وعن المجالس أو الجمعيات الاستشارية التي تتمتع بسلطة المشاركة فقط دون القدرة على اتخاذ قرارات، وعرف ايضا بأنه "جهاز التمثيل الشعبي الذي يحقق الشعب من خلاله ارادته وسيادته"^(٣٤).

وعضو البرلمان شخص يمارس سلطة محددة بموجب الدستور والقوانين المعنية الاخرى امام هذه السلطة، ويعد عضو البرلمان ممثلاً أو وكيلاً أو نائباً عن الشعب بأكمله في تحقيق المصلحة العامة وبمجرد دخوله البرلمان يتخلى عن صفته كممثل لدائرته ليصبح ممثلاً لمصالح الأمة بأكملها ويناط به تحقيق المصلحة العامة وذلك من خلال مهام وواجبات البرلمان التشريعية والرقابية والمالية بأنواعها وفقاً لأحكام الدستور والقانون واللائحة الداخلية المنظمة لسير العمل في مجلس النواب.

الحصانة البرلمانية نوعان هي الحصانة الموضوعية تعني عدم مسؤولية أعضاء البرلمان عن الأقوال أو الأفكار والآراء التي تصدر منهم أثناء ممارستهم لوظائفهم النيابية ولهذا يقال لها الحصانة ضد المسؤولية البرلمانية، أما الحصانة الإجرائية فتعني عدم جواز اتخاذ أي إجراءات جنائية ضد أي من أعضاء البرلمان في غير حالة التلبس بالجريمة إلا بعد إذن المجلس التابع له ولهذا يطلق عليها الحصانة ضد الإجراءات الجنائية. وي طرح موضوع الحصانة البرلمانية في نطاق القانون الدستوري ولهما بشأن مدى مخالفته لمبادئ الديمقراطية في جانب المساواة بين جميع المواطنين أمام القانون وهو مبدأ تكرسه جميع الدساتير، وثانيهما مبدأ ضرورة

٣٣ - د. حنان محمد القيسي ، حقوق وواجبات أعضاء مجلس النواب في العراق، بيت الحكمة ، جمهورية العراق ، بغداد ،

٢٠١١، ص ١٣٢.

٣٤ - د. عبد الكريم علوان، النظم السياسية والقانون الدستوري، ط ١ ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، ٢٠١٠، ص ٧٣.

تأمين حرية ممثلي الشعب واستقلاليتهم عن طريق منحهم بعض الضمانات التي تجعلهم في وضع متميز عن بقية المواطنين^(٣٥).

والحصانة البرلمانية (الموضوعية) تمثل استثناء من القانون العام اقتضته ضرورة جعل السلطة التشريعية بمنأى عن اعتداءات السلطات الأخرى وهي إن كانت في الظاهر تخل بمبدأ المساواة بين الأفراد إلا أن عدم المساواة هنا لم يقرر لمصلحة النائب بل لمصلحة سلطة الشعب ولحفظ كيان التمثيل النيابي وصيانة ضد أي اعتداء، ولكن ليس معنى ذلك أن يصبح أعضاء البرلمان بهذه الحصانة فوق القانون لاحتساب عليهم ولا رقيب فالحصانة ليست طليقة من كل قيد أو حد فهي عندما تقررت إنما كان ذلك لهدف محدد وواضح لا يجوز تجاوزه أو الخروج عليه والا تعرض عضو البرلمان للمسؤولية كاملة^(٣٦).

تعد الحصانة البرلمانية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بتطبيق القانون الجنائي وقانون أصول المحاكمات الجزائية بشكل خاص. ويرجع السبب في ذلك إلى أن الحصانة تشمل مفهومين مختلفين: الأول هو عدم المسؤولية المطلقة عن الأقوال والأفكار التي يصدرها البرلماني أثناء تأدية مهامه النيابية مما يمنع إمكانية إقامة دعوى قضائية نهائياً في هذه الحالة، والثانية الحصانة الشخصية للبرلماني وهي تحميه من الملاحقة والتوقيف في حال ارتكابه فعلاً جرمياً بوصفه مواطناً عادياً وتعد هذه الحصانة طارئة على قواعد الإجراءات فهي لا تلغيها وإنما تؤخر إعمالها^(٣٧).

لا يخفى على احد انه لم تعرف التجربة البرلمانية في العراق (الحصانة البرلمانية) سوى مرتين، الأولى وفقاً للقانون الأساسي العراقي لعام ١٩٢٥ اذ اشارت المادة (٦٠) منه للحصانة البرلمانية، بالقول (١). لكل عضو حرية الكلام التامة ضمن حدود ونظام المجلس الذي ينتسب إليه ولا تتخذ أية إجراءات قانونية ضده من أجل تصويت أو بيان رأي أو إلقاء خطبة في مداوات المجلس ومباحثاته. ٢. لا يوقف، ولا يحاكم أحد من أعضاء مجلس الأمة ما لم يصدر من المجلس الذي ينتسب إليه، قرار بالأكثرية بوجود الأسباب الكافية لاتهامه، أو ما لم يقبض عليه حين ارتكابه جناية مشهودة، وإذا أوقف أحد الأعضاء لسبب ما أثناء عطلة المجلس فعلى الحكومة أن تعلم المجلس بذلك عند اجتماعه مع الإيضاحات وبيان الأسباب). إن هذه الحصانة لاتشمل حرية الرأي والنقاش خارج المجلس من ناحية، من ناحية ثانية يشترط في نقاشه وكلامه ان يتعلق بالوظيفة البرلمانية للعضو^(٣٨)، مثلاً يشترك في عمل إحدى لجان المجلس التي تمتد

٣٥ - جعفر صادق ، ضمانات حقوق الانسان ، رسالة ماجستير ، كلية القانون، جامعة بغداد، ١٩٩٠، ص ١٠٥.

٣٦ - د. عصام علي الدبس ، القانون الدستوري ، دار الثقافة والنشر والتوزيع ، عمان . الأردن ، ٢٠١١، ص ٢٦٧.

٣٧ - د. رياض الداودي ، الحصانات البرلمانية ، دراسة مقارنة في الدساتير العربية ، محاضرة القايت في الندوة المنعقدة في الجزائر

بتاريخ ١٢/٣/١٩٨١، ونشرت في وقائع الندوة البرلمانية، دمشق، ١٩٨١، ص ٣.

٣٨ - روبين بطاط، الحصانة البرلمانية، مجلة القضاء، العدد ١ -، السنة الثانية، ١٩٣٥، ص ٢.

عملها خارج المجلس، عدا هذه الأحوال فإنه مسؤول عما يصدر منه من أقوال و آراء وتصريحات كما لو حرر أحد الأعضاء مقالاً في إحدى الصحف، أو القى خطاباً في مكان خارج المجلس، أو نشر منشوراً فإنه امر يعاقب عليه القانون ولكن بعد الحصول على إذن من قبل المجلس^(٣٩).

أما الدساتير العراقية المتعاقبة فلم تشر إلى الحصانة البرلمانية لعدم وجود برلمانات في حينها، واكتفت بالنص على الحصانة الفردية لرئيس الدولة ونوابه وأعضاء مجلس قيادة الثورة المنحل أو السيادة مع اختلاف التسميات حسب المراحل الزمنية إضافة إلى الحصانة التي يتمتع بها بعض الموظفين من ذوي الدرجات الخاصة^(٤٠)، والمرة الثانية فقد جاءت الإشارة إلى الحصانة البرلمانية في دستور الجمهورية العراقية المؤقت لعام ١٩٧٠^(٤١)، في الفصل المخصص للمجلس الوطني إذ جاء في المادة (٥٠) منه "أ- لا يسأل أعضاء المجلس الوطني عما يبدونه من آراء ومقترحات أثناء ممارستهم مهام وظائفهم. ب- لا يمكن ملاحقة أي عضو من أعضاء المجلس الوطني أو إلقاء القبض عليه من أجل جريمة أثناء دورات الانعقاد بدون إذن من رئيس مجلس قيادة الثورة، إلا في حالة التلبس بجناية"^(٤٢).

وفي عام ١٩٨٠^(٤٣)، تم تعديل الدستور فقد صدر قانون المجلس الوطني رقم (٥٥) لذات العام و أشار هذا القانون وتعبيرات تكاد تكون متطابقة مع الدستور السابق على الحصانة البرلمانية في المادتين (٧ و ٨)^(٤٤)، وحين تعدل الدستور مرة ثانية عام ١٩٨٥ فقد تم تعديل نص المادة (٥٠) وأصبح بموجبها لا يمكن ملاحقة أي عضو من أعضاء المجلس أو إلقاء القبض عليه من أجل جريمة أثناء دورات الانعقاد أو خارجها دون إذن من رئيس مجلس قيادة الثورة المنحل إلا في حالة التلبس بجناية بعد اعطاء الإذن بالملاحقة أو إلقاء القبض واستناداً إلى هذه الفقرة يعد ذلك بمثابة رفع الحصانة عن العضو، وبعد عام ٢٠٠٣ توجه العراق للأخذ بالنظام البرلماني الديمقراطي حيث جاء دستور ٢٠٠٥ الذي أشار إلى موضوع الحصانة في

٣٩ - د. محمد عزيز ، النظام السياسي في العراق، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٥٤، ص ٢٧٠.

٤٠ - د. محمد عزيز ، المصدر السابق، ص ٢٧٩.

٤١ - دستور جمهورية العراق المؤقت لسنة ١٩٧٠، تم نشره في الوقائع العراقية العدد ١٩٠٠، بتاريخ ١٧-٧-١٩٧٠.

٤٢ - المادة ٥٠ - من الدستور العراقي لسنة ١٩٧٠.

٤٣ - دستور جمهورية العراق رقم ٥٥ لسنة ١٩٨٠ المعدل.

٤٤ - المادة ٧ - من قانون المجلس الوطني رقم ٥٥ - لسنة ١٩٨٠ تنص على أخلا يسأل أعضاء المجلس عما يبدونه من آراء وما يوردونه من وقائع، أثناء ممارستهم عملهم في المجلس. - وكذلك المادة ٨ - تنص على أولاً - لا يمكن ملاحقة أي عضو من أعضاء المجلس أو إلقاء القبض عليه من أجل جريمة أثناء دورات الانعقاد بدون إذن من المجلس، إلا في حال التلبس بجناية.

ثانياً - لا يمكن ملاحقة أي عضو من أعضاء المجلس أو إلقاء القبض عليه خارج دورات الانعقاد من أجل جريمة بدون إذن من رئيس المجلس، إلا في حالة التلبس بجناية. -

المادة ٦٣ منه^(٤٥)، كما ورد النص نفسه في المادة (٢٠ / أولاً) من النظام الداخلي لمجلس النواب لسنة ٢٠٢٢ "لايسال العضو عما يديه من آراء أو ما يورده من وقائع أثناء ممارسة عمله في المجلس".
والهدف من الحصانة هو تمكين النائب من التعبير بحرية تامة عن إرادة الأمة حيث يعد النائب ممثلاً لإرادة الشعب، لذا فإن أي تقييد لإرادته يعد تقييداً لإرادة الأمة نفسها وعليه فإن كل حماية يوفرها المشرع للنائب لممارسة مهامه بحرية إنما هي في الواقع حماية للأمة، فقد كان النواب في السابق يتعرضون لمختلف أنواع التهديدات والضغوط كما كانت توجه إليهم التهم الزائفة مما كان يقيد قدرتهم على أداء مهامهم المهنية بفاعلية.

ونصت المادة (٣) من النظام الداخلي لمجلس النواب العراقي لسنة ٢٠٢٢ على ان (تكفل أحكام هذا النظام حرية التعبير عن الرأي والفكر لجميع أعضاء مجلس النواب أيًا كانت اتجاهاتهم أو انتماءاتهم السياسية أو الحزبية بما لا يتعارض واحكام الدستور، وتضمن حرية المعارضة الموضوعية والنقد البناء، وتحقيق التعاون بين مجلس النواب والمؤسسات الدستورية الخرى). فهذا النص يشير الى منح العضو حرية في التعبير عن الرأي دون قيود.

وكذلك فإن الحصانة البرلمانية تنبع من ضرورة واقعية وهي أن كل مجلس سياسي يحتاج لتأمين سير عمله بشكل منتظم لحماية تنعكس على أعضائه فيجب أن يتاح لعضو البرلمان التعبير عن رأيه عما يعتقد أو يؤمن به دون خوف أو وجل من ملاحقة السلطة التنفيذية أو الأفراد له أمام القضاء وعلى هذا الأساس تتأمن حرية المناقشات السياسية في البرلمان، فالحصانة تعد بحق مبدأ من أقدم المبادئ الدستورية إذ لو أجاز لسلطة من السلطات أو لأحد من الأفراد مؤاخذه النائب عن أفكاره وآرائه لحد ذلك من حريته واستقلاله وحال بينه وبين أداء واجباته ورسالته على الوجه الذي يرتضيه منه ممثلوه أو على الوجه الذي يرتضيه ضميره^(٤٦).

إن النائب في العراق يتمتع بحصانة مطلقة وعامة وشاملة فهي حصانة مطلقة لا يجوز تقيدها وعامة غير قابلة للتخصيص وشاملة غير مجزأة عن الآراء التي يبديها سواء أكانت هذه الآراء سياسية أم قانونية أم

٤٥ - اذ نصت المادة ٦٣ من الدستور العراقي لسنة ٢٠٠٥ على أولاً تحدد حقوق وامتيازات رئيس مجلس النواب ونائبيه واعضاء المجلس بقانون. ثانياً أ. يتمتع عضو مجلس النواب بالحصانة عما يدلي به من آراء في اثناء دورة الانعقاد ولا يتعرض للمقاضاة امام المحاكم بشأن ذلك ب. لايجوز القاء القبض على العضو خلال مدة الفصل التشريعي الا اذا كان متهماً بجناية، وبموافقة الاعضاء بالاغلبية المطلقة على رفع الحصانة عنه أو اذا ضبط متلبساً بالجرم المشهود في جناية. ج. لايجوز القاء القبض على العضو خارج مدة الفصل التشريعي الا اذا كان متهماً بجناية، وبموافقة رئيس مجلس النواب على رفع الحصانة عنه، أو اذا ضبط متلبساً بالجرم المشهود في جناية. - ٤٦ - د.رياض الداودي ، مصدر سابق ، ص٣.

اجتماعية ولعل إطلاق النص يدعو إلى القول إلى إن النائب في العراق يتمتع بحصانة عن الأقوال والآراء تحمل معنى القذف والسب والشتن في طياتها فهو حر في إبداء آرائه وأقواله.

لكن نستطيع القول إن النظام الداخلي لمجلس النواب العراقي لسنة ٢٠٢٢ وضع بعض القيود التي يمكن الإشارة إليها في هذا المجال فالنائب ملزم عندما يريد أن يبدي رأياً أو يوجه سؤالاً أو استجواباً أن لا يستعمل أيأمن ألفاظ السباب أو الشتائم الماسة بالأشخاص المراد سؤالهم أو استجوابهم ، مثل نص المادة (٤٢) من النظام الداخلي لمجلس النواب العراقي لسنة ٢٠٢٢ التي ذكرت إن للنائب حرية التعبير عن وجهة نظره مع وجوب المحافظة على احترام المؤسسات الدستورية للدولة وهيبتها واحترام مجلس النواب وراثسته وأعضائه ولا يأتي بأمر محل بالنظام العام الواجب في الجلسة، أما المادة (٥٨) من النظام نفسه فبينت أسلوب الاستجواب ، الذي لا يجوز أن يتضمن أموراً مخالفة للدستور أو القانون أو عبارات غير لائقة أو أن يكون متعلقاً بأمر لا تدخل في اختصاص الحكومة أو أن تكون في تقديمه مصلحة خاصة أو شخصية للمستجوب.

وعلى ذلك يمكن القول أن هذه الحصانة ماهي إلا امتياز دستوري يمنح لعضو البرلمان كي يباشر وظيفته النيابية على أكمل وجه أو أنها سبب قانوني خاص قرره المشرع الدستوري لمنع عقاب هذا العضو عما يبديه من قول أو رأي طالما أن ذلك يتم في إطار وحدود وظيفته البرلمانية. وبالتالي تعد الحصانة البرلمانية هي أهم الضمانات الدستورية الممنوحة لأعضاء البرلمان فهي تكفل لهم فرصة التعبير الحر والمطلق عن الإرادة الوطنية التي يمثلونها وينطقون باسمها ، وتوفر لهم الحماية من تعنت السلطة التنفيذية معهم ، والتي قد تلجا من تأجيل أو منع معارضة عضو البرلمان لها إلى الضغط عليه عن طريق التوقيف أو الملاحقة أو المحاكمة الكيدية^(٤٧).

وبهذا نستنتج إن الغرض من الحصانة هو ضمان حرية المناقشات وإبداء الرأي والتصويت حتى يؤدي العضو وظيفته النيابية دون خوف أو وجل، أما الحصانة الإجرائية فإن الغرض منها هو عدم انتزاع العضو من مقعده أثناء دورة الانعقاد.

المطلب الثاني: موقف القضاء الدستوري من حرية التعبير عن الرأي لأعضاء

السلطة التشريعية

ان الدستور العراقي لسنة ٢٠٠٥ كفل احترام حرية التعبير عن الرأي، وهذه الحرية هي لجميع الافراد سواء كانوا اعضاء في الحكومة ام مواطنين وان موضوع كفالة احكام الدستور من اهم الموضوعات

الدستورية التي تلقت اهتماما كبيرا لدى فقهاء القانون الدستوري لان الموضوع شديد الارتباط بتحقيق الديمقراطية الحقيقية، لذا ولاهية حرية التعبير عن الرأي فإنه لا بد من وجود قضاء دستوري يكفل احترام هذا الحق ويمنع الاعتداء عليه ويفرض اي قانون يتعارض مع الدستور وهكذا اصبح من المسلمات في الفقه الدستوري عدم امكانية قيام دولة الحق والمؤسسات إلا بوجود قضاء دستوري يكون حاميا لنصوص الدستور وأحكامه وفي الوقت نفسه رقيباً لأداء المؤسسات الدستورية العاملة في إطار الدولة، لذلك فإن اجتهادات القضاء الدستوري تعد الركيزة الأساسية لوجود دولة القانون وديمومتها متى ما كانت هذه الاجتهادات حامية فعلاً للحقوق والحريات الأساسية للأفراد ولتنوعهم العرقي والعائدي في إطار مجتمعاتهم الوطنية^(٤٨).

تعد الرقابة القضائية على دستورية القوانين من الأدوات الأساسية والضرورية لحماية الدستور من تجاوزات السلطات، وهي الضمان الفعال لحماية حقوق الإنسان وحرياته الأساسية من أي انتهاك أو تجاوز، وغالباً ما تعهد هذه الرقابة إلى محاكم دستورية متخصصة تضم أفراداً ذوي كفاءة عالية، وفي العراق، وبعد التغيير الذي حدث في عام ٢٠٠٣ أعيد إحياء المحكمة الاتحادية العليا بموجب قانون إدارة الدولة العراقية للمرحلة الانتقالية، حيث أصدر مجلس الوزراء الأمر المرقم ٣٠ لسنة ٢٠٠٥ الذي أنشأ قانون المحكمة الاتحادية العليا، لاحقاً، صدر دستور العراق المعمول به في عام ٢٠٠٥، الذي نص على تشكيل هذه المحكمة وتحديد اختصاصاتها في المواد (٩٢، ٩٣، ٩٤) منه. ومنذ تشكيلها، بدأت المحكمة بممارسة مهامها كأعلى هيئة قضائية اتحادية في العراق.

ومارست المحكمة الاتحادية العليا في العراق الرقابة على دستورية القوانين كوسيلة لضمان الحريات والحقوق المنصوص عليها دستورياً، فألغت العديد من النصوص التشريعية لمخالفتها القواعد الدستورية المشتملة على الحقوق والحريات الأساسية^(٤٩).

وان المحكمة الاتحادية العليا في العراق طبقت مبدأ المساواة التي جاء به الدستور العراقي لسنة ٢٠٠٥ في المادة (١٤) منه، والملاحظ على اجتهادات المحكمة الاتحادية العليا أنه استند على مبدأ المساواة في الحقوق التي تجعل العراقيين متساوين أمام القانون من دون التمييز بينهم بسبب العرق أو القومية أو اللون أو الدين أو المنصب السياسي أو الوضع الاقتصادي أو الاجتماعي، فأحكام المحكمة الاتحادية التي تخص حرية التعبير عن الرأي ما هي الا تطبيق لمبدأ المساواة وتطبيق للعدالة.

٤٨ - د.محمود علي أحمد مدني، دور القضاء الدستوري في استجلاء المفاهيم الدستورية دراسة مقارنة - ط ١، دار النهضة

العربية، مصر، ٢٠١٦، ص ٥٥.

٤٩ - جعفر ناصر حسين، دور المحكمة الاتحادية في العراق، مجلة التشريع والقضاء، السنة ٢ - العدد ٢٥ -، ٢٠١١، ص ١٦.

وفي قرار للمحكمة الاتحادية العليا جاء فيه (تجد المحكمة الاتحادية العليا أن المواد (١ و ٣) بفقراتها (١ و ٢ و ٣ و ٥ و ٧) المطعون بدستوريتها من أمر سلطة الائتلاف المؤقتة المرقم (١٩) لسنة ٢٠٠٣ لا تتعارض مع مواد أحكام مواد دستور جمهورية العراق لعام ٢٠٠٥ لعدم علاقتها بموضوع أمر سلطة الائتلاف ومواده، اما بالنسبة الى المادتين (٣٨/ اولاً و ثالثاً) و(٤٦) من الدستور المذكور فتأكد من خالهما ضرورة وجود قانون يتم من خلاله كفالة الدولة لحرية التعبير عن الرأي بكل الوسائل وحرية الاجتماع والتظاهر السلمي على أن لا يخل ذلك بالنظام العام والآداب وعلى أن لا يتم تقييد الحقوق والحريات الواردة في الدستور إلا بموجبه او بناء عليه (أي القانون) وعلى أن لا يمس ذلك التقييد جوهر الحق والحرية). وبهذا تجد المحكمة الاتحادية العليا إن لمفهوم الحق في الحرية بصوره المختلفة ومنها التعبير عن الرأي أهمية خاصة إذ عن طريقه تصل الديمقراطية لمداها بحسبان أن قوامها فكر حر ورأي جريء ينبض بإرادة الشعب صاحب السيادة والسلطة وبهما ينعم المجتمع بالأمن والاستقرار فلا تقمع لشعب كلمة ولا يصادر فيها رأي ولا تقيد حريته في التعبير عن الافكار التي لا تتناسب وطبيعته، كما وترى المحكمة الاتحادية العليا في القرار ذاته إن حرية التعبير عن الرأي ليست ثابتة في جميع الأوقات والأماكن بل تتغير وفقاً للزمان والمكان، حيث تتأثر بالظروف والسياقات المحيطة بها، وعلى أساس ذلك فلا يجوز المساس بما يهدر جوهر الحق والحرية او ينتقص من محتواهما، إلا اذا ترتب على استعمالهما خطر واضح ينذر بوقوع ضرر كبير من شأنه المساس بالأمن او الاستقرار او الوحدة الوطنية او تعطيل عمل المرافق العامة^(٥٠).

كما تناولت المحكمة الاتحادية العليا موضوع الحصانة البرلمانية لأعضاء مجلس النواب في قرارها المرقم (٩٠/اتحادية/٢٠١٩) الصادر في عام ٢٨/٤/٢٠٢١، حيث اشارت المحكمة الى ان الحصانة البرلمانية تهدف الى حماية النائب من الملاحقة القانونية او التضييق عند التعبير عن آرائه وافكاره المتعلقة بأعمال المجلس، ومع ذلك اكدت المحكمة ان هذه الحصانة ليست مطلقة.

كما يجب أن تكون الضوابط الموضوعية لممارسة واستخدام الحقوق والحريات، بما في ذلك حرية التعبير عن الرأي ضمن إطار الدستور وأحكامه، ومن خلال المشرع فقط، هذا يضمن أن يتم استخدام

هذه الحقوق بشكل سلمي دون الإضرار بالنظام العام والآداب وفقاً للحدود الزمانية والمكانية والعددية والعقابية المناسبة لتحقيق التوازن والانسجام بينها وبين المصلحة العامة^(٥١).

يتضح من قرارات المحكمة الاتحادية في العراق أنها تسعى الى تحقيق توازن دقيق بين حماية حرية التعبير عن الرأي لأعضاء السلطة التشريعية وضمان عدم استغلال هذه الحرية بما يضر بالمصلحة العامة او مخالفة القوانين النافذة.

الخاتمة

بعد الانتهاء من هذه الدراسة، تم التوصل الى النتائج والتوصيات الآتية:

أولاً / النتائج :-

١. إن حرية التعبير عن الرأي حرية مقدسة علينا الحفاظ عليها وصونها ودعم مسيرة حقوق الإنسان من خلالها ودفع التجربة الديمقراطية ونشر الوعي حولها لغايات ضمان هذه الحرية.
٢. وفقاً للدستور العراقي لسنة ٢٠٠٥ فأن هناك ضمانات دستورية لحرية التعبير عن الرأي وهو مبدأ سمو الدستور ومبدأ المساواة، ومبدأ الفصل بين السلطات.
٣. من الطبيعي أنه يجب احترام حقوق وحرقات الآخرين عند ممارسة حرية التعبير عن الرأي، بحيث لا يتم الاعتداء على شرف واعتبار الأفراد، وإلا كان السلوك المستخدم ينطبق عليه نص تجريم غيره من النصوص الجزائية نتيجة التعرض لحقوق الأفراد سواء في حرمة حياتهم الخاصة والمساس بسمعتهن أو بسبب التحريض على أعمال غير مشروعة تلابسها مخاطر واضحة تتعرض لها مصالح محمية، أو بإساءة استعمال حرية التعبير عن الرأي بالإهانة أو السب.
٤. إن سلب حرية التعبير عن الرأي والذي يشمل الحرية الفكرية يؤدي الى الاكراه، اي سلب ارادة الفرد، ومن صور الاكراه هو الاكراه الفكري، ويعد هذا النوع من الاكراه من أخطر المشكلات التي واجهتها الانظمة الديمقراطية.
٥. تعد الحصانة البرلمانية هي أهم الضمانات الدستورية الممنوحة لأعضاء البرلمان فهي تكفل لهم فرصة التعبير الحر والمطلق عن الإرادة الوطنية التي يمثلونها وينطقون باسمها ، وتوفر لهم

٥١ - د.علي يوسف الشكري، المحكمة الاتحادية العليا في العراق بين عهدين، ط٢، الذاكرة للنشر والتوزيع، بغداد، ٢٠١٦ ،

الحماية من تعنت السلطة التنفيذية معهم ، والتي قد تلجأ من تأجيل أو منع معارضة عضو البرلمان لها إلى الضغط عليه عن طريق التوقيف أو الملاحقة أو المحاكمة الكيدية.

٦. إن الغرض من الحصانة هو ضمان حرية المناقشات وإبداء الرأي والتصويت حتى يؤدي العضو وظيفته النيابية دون خوف أو وجل، أما الحصانة الإجرائية فإن الغرض منها هو عدم انتزاع العضو من مقعده أثناء دور الانعقاد.

٧. مارست المحكمة الاتحادية العليا في العراق الرقابة على دستورية القوانين كوسيلة لضمان الحريات ومنها حرية التعبير عن الرأي المنصوص عليها دستوريا، فألغت العديد من النصوص التشريعية لمخالفتها القواعد الدستورية المشتملة على الحقوق والحريات الأساسية.

٨. يجب أن تكون الضوابط الموضوعية لممارسة واستخدام الحقوق والحريات، بما في ذلك حرية التعبير عن الرأي، ضمن إطار الدستور وأحكامه، ومن خلال المشرع فقط، وهذا يضمن أن يتم استخدام هذه الحقوق بشكل سلمي دون الإضرار بالنظام العام والآداب، وفقاً للحدود الزمانية والمكانية والعددية والعقابية المناسبة، لتحقيق التوازن والانسجام بينها وبين المصلحة العامة.

ثانياً / التوصيات :-

١. نوصي ان تكون الضمانات لحرية التعبير عن الرأي لأعضاء السلطة التشريعية منظمة بقانون خاص وذلك لتوضيح موقف الحصانة البرلمانية منها.
٢. التأكيد على الحصانة البرلمانية كوسيلة لحماية النواب في التعبير عن آرائهم داخل المجلس دون خوف من الملاحقة القانونية، شريطة عدم استغلالها للإفلات من المساءلة القانونية.
٣. توفير بيئة آمنة لأعضاء السلطة التشريعية للتعبير عن رأيهم والالتزام بعدم تقييد آراء النواب أو منعهم من مناقشة القضايا الوطنية بحرية داخل المجلس.
٤. التجارب الديمقراطية التي يتم من خلالها دعم حرية التعبير عن الرأي مختلفة ومتفاوتة من تجربة لأخرى، لذلك علينا عدم الوقوع في المحذور الذي نشاهده في تجارب غريبة للتعامل مع حرية التعبير عن الرأي من عدم احترام الرموز الدينية والتمسك بمبدأ انتهاء حريرتنا عند بدء حرية الآخرين، أو التعبير بشكل يخذل الحياء العام والآداب العامة.

٥. ضمان استقلال القضاء في الفصل في القضايا المتعلقة بحرية التعبير عن الرأي لأعضاء البرلمان، ومنع أي تدخل سياسي في هذه القضايا.
٦. واخيرا يحدونا الامل في قضائنا الدستوري بأن يمارس دورا انشائيا ، ويتجاوز التطبيق الحرفي لنصوص الدستور بحيث تصل الى التأثير في كثير من امور الحياه الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ليقضي بعدم دستورية التشريعات التي تتصل بحقوق وحرريات الاعضاء في السلطة التشريعية بالإضافة الى النصوص التشريعية التي تعالج جوانب مختلفة من حياة الافراد الاجتماعية والاقتصادية وصولا لتحقيق الأمن القانوني للمجتمع.

اولاً: الكتب القانونية

١. د. احمد فتحي بهنسي ، المسؤولية الجنائية في الفقه الاسلامي ، دار القلم ، ١٩٦١ .
٢. د. احمد فتحي سرور ، القانون الجنائي الدستوري ، دار الشروق ، القاهرة ، ط ١ ، ٢٠٠١ .
٣. د. السيد صبري، مبادئ القانون الدستوري، ط ٤، المطبعة العالمية، ١٩٤٩ .
٤. د. امير موسى، حقوق الانسان، مركز دراسات الوحدة العربية، ط ١، بيروت، ١٩٩٤ .
٥. د. حسن علي الذنون ومحمد سعيد الرحو ، الوجيز في النظرية العامة للالتزام ، ج ١، مصادر الالتزام ، دار وائل للنشر ، عمان ، ط ١ ، ٢٠٠٢ .
٦. د. حنان محمد القيسي ، حقوق وواجبات أعضاء مجلس النواب في العراق ، (د ، ط) ، بيت الحكمة ، جمهورية العراق ، بغداد ، ٢٠١١ .
٧. د. رؤوف عبيد ، مبادئ القسم العام في التشريع العقابي ، دار الفكر العربي ، ط ٤ ، ١٩٧٩ .
٨. د. رياض الداودي، الحصانات البرلمانية، دراسة مقارنة في الدساتير العربية، محاضرة القيت في الندوة المنعقدة في الجزائر بتاريخ ١٢/٣/١٩٨١، ونشرت في وقائع الندوة البرلمانية، دمشق، ١٩٨١ .
٩. د. عبد الرزاق السنهوري ، شرح القانون المدني ، النظرية العامة للالتزامات ، ج ١ ، نظرية العقد ، دار الفكر للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٣٤ .
١٠. د. عبدالرحمن الجوراني ، موانع المسؤولية الجنائية ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ط ١ ، ١٩٦١ .
١١. د. عبد الغني بسيوني، النظام السياسي، الدار الجامعية للنشر والطباعة، بغداد، ١٩٨٥ .
١٢. د. عبد الفتاح بيومي حجازي، المبادئ العامة في جرائم الصحافة كالنشر، دراسة متعمقة في جرائم الرأي، دار الفكر العربي، الاسكندرية، ٢٠٠٦ .
١٣. د. عبد الكريم علوان، النظم السياسية والقانون الدستوري، ط ١، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ٢٠١٠ .
١٤. د. عصام علي الدبس، القانون الدستوري، دار الثقافة والنشر والتوزيع، عمان. الأردن، ٢٠١١ .
١٥. د. علي يوسف الشكري، المحكمة الاتحادية العليا في العراق بين عهدين، ط ٢، الذاكرة للنشر والتوزيع، بغداد، ٢٠١٦ .
١٦. د. ماجد راغب الحلوة، القانون الدستوري، دار الجامعة الجديدة، الاسكندرية، ٢٠٠٦ .

١٧. د. محمد بشير الشافعي، قانون حقوق الانسان، مصادره وتطبيقاته الوطنية والدولية، ط٦، منشأة المعارف، الاسكندرية، ٢٠٠٨.
١٨. د. محمد عزيز، النظام السياسي في العراق، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٥٤.
١٩. د. محمود علي أحمد مدني، دور القضاء الدستوري في استجلاء المفاهيم الدستورية (دراسة مقارنة)، ط١، دار النهضة العربية، مصر، ٢٠١٦.
٢٠. د. محمود نجيب حسني، شرح قانون العقوبات - القسم العام، الطبعة السابعة، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠١٢.
٢١. د. مصطفى ابراهيم الزلمي، موانع المسؤولية الجنائية في الشريعة الاسلامية والتشريعات الجزائرية العربية، مكتب القبطان، بغداد، ط١، ١٩٩٨.
٢٢. د. منتصر سعيد حمودة، قانون الاعلام الدولي، دراسة مقارنة بالفقه الاسلامي، دار الفكر الجامعي، الاسكندرية، ٢٠١٢.
٢٣. د. هاشم القاسم، المدخل الى علم الحقوق، المطبعة العالمية، دمشق، ١٩٧١.
٢٤. د. هالة شعشاعة، الحريات المدنية والسياسية، مركز وائل للمنشورات، ط١، ٢٠٠٥.

ثانياً: الرسائل والاطاريح

- ١- احمد فاضل حسين، ضمانات مبدأ المساواة في بعض الدساتير العربية، اطروحة دكتوراه، كلية القانون، جامعة بغداد، ٢٠٠٥.
- ٢- جعفر صادق، ضمانات حقوق الانسان، رسالة ماجستير، كلية القانون، جامعة بغداد، ١٩٩٠.
- ٣- سيفان باكراد ميسروب، الحريات الفكرية وضمائنها القضائية، دراسة مقارنة، اطروحة دكتوراه، كلية القانون، جامعة الموصل، ٢٠٠٧.

ثالثاً: البحوث المنشورة

١. بصائر محمد البياتي، انتهاكات حق التعبير، دراسة خاصة عن التدوين الالكتروني، مجلة جامعة النهدين، المجلد (١٧)، العدد (٢)، ٢٠١٥.
٢. جعفر ناصر حسين، دور المحكمة الاتحادية في العراق، مجلة التشريع والقضاء، السنة (٢)، العدد (٢)، ٢٠١١.
٣. روبين بطاط، الحصانة البرلمانية، مجلة القضاء، العدد (١)، السنة الثانية، ١٩٣٥.
٤. مأمون محمد سلامة، اجرام العنف، مجلة القانون والاقتصاد، ع٢٤، س٤٤، ١٩٧٤.
٥. محمد الحلوة، الرسالة، مجلة فصلية تصدر عن المركز الوطني لحقوق الإنسان، العدد (١١)، ٢٠١١.

رابعاً: الدساتير والملتون

- ١- الدستور العراقي لعام ٢٠٠٥.
- ٢- دستور جمهورية العراق رقم ٥٥ لسنة ١٩٨٠ المعدل.
- ٣- الدستور العراقي لسنة ١٩٧٠.
- ٤- قانون المجلس الوطني رقم (٥٥) لسنة ١٩٨٠.
- ٥- قانون العقوبات العراقي رقم (١١١) لسنة ١٩٦٩
- ٦- القانون المدني العراقي رقم (٤٠) لسنة ١٩٥١.

خامساً: القرارات القضائية

- ١- قرار المحكمة الاتحادية العليا العدد (٢٣/اتحادية/ ٢٠٢٠).

شعر فرج الخطاب (دراسة تأويلية)

The Poetry of Faraj Al-Hattab (An Interpretive Study)

م.د. زهراء عبد الحميد غالي زغير^(١)

Lect. Zahraa Abdul Hamid Ghali Zughair (PhD)

م.م. حنان مرزوك شدهان^(٢)

Asst. Lect. Hanan Marzouk Shadhan

الملخص

إنَّ البحث في مغزى النصوص بحاجة إلى الحفر في ما وراء الخطابات التي تعمل على اشراك المتلقي؛ وذلك يكون بشحد ذهنه، وتنشيط خياله، وتحريك مشاعره؛ حتى يكون طرفاً فاعلاً في الخطاب، ليتحول إلى مؤول متأثر منفعل بفعل قصديات الخطاب، فعلى سبيل المثال البحث في البنى الصغرى والبنى الكبرى، والتي تعد من آليات الانفتاح والانغلاق الدلالي في مضامينها وسياقاتها داخل الخطابات، لذا فإن البحث في الفكر المعرفي والتأويلي عند الشاعر فرج الخطاب ظهر واضحاً عن طريق الدلالة الظاهرة على سطح النصوص، والتي تجتمع وترتبط بعلاقة أخرى كامنة في العمق تؤيد ما ظهر منها. الكلمات المفتاحية: التأويل، البنى الصغرى، البنى الكبرى، فرج الخطاب.

Abstract

Exploring the meaning of texts requires delving beyond the discourses that engage the recipient. This is achieved by sharpening their mind,

١ - جامعة كربلاء - كلية العلوم الانسانية

٢ - جامعة كربلاء - كلية طب الاسنان

stimulating their imagination, and stirring their emotions. This enables them to become an active participant in the discourse, transforming them into an interpreter influenced and reactive by the discourse's intentions. For example, exploring microstructures and macrostructures, which are mechanisms of semantic openness and closure in their contents and contexts, can be explored. Therefore, exploring the cognitive and interpretive thought of the poet Faraj al-Hattab clearly emerges through the apparent meaning on the surface of the texts, which are intertwined and linked by another underlying relationship that supports what is revealed.

Keywords: Interpretation, Microstructures, Macrostructures, Faraj Al-Hattab

المقدمة

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْحَمْدَ مِفْتَاحاً لِذِكْرِهِ، وَسَبِيباً لِلْمَزِيدِ مِنْ فَضْلِهِ، وَذَلِيلاً عَلَى آيَاتِهِ وَعَظَمَتِهِ،
وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى خَيْرِ الْأَنْبَاءِ مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفَى سَيِّدِ الْوَرَى، وَعَلَى آلِهِ أَوْلَى الْفَضْلِ وَالنُّهَى سُفْنِ النِّجَاةِ،
وَأَعْلَامِ الْهُدَى، وَعَلَى صَاحِبِهِ مِمَّنْ ارْتَضَى.

يعد التأويل من المصطلحات التي كانت ولا زالت محط اهتمام الدارسين والنقاد؛ لأنه يعد قضية شائكة ومتشابكة مع بعضها البعض الآخر، لأنها متداخلة في أكثر من مجال، وهذا في حد ذاته يتجلى في مدى ملاءمته للنص أثناء مقارنته له، إذ غدا منهجاً وهاجساً نقدياً يورق النقاد من حيث اتساع مجالاته وتنوع استعمالاته التي تتعدى حدود النص، إذ يقتحمه ويكسر الحواجز كلها ليصل إلى عمقه عبر حلقة تأويلية مستعصية على الفهم قصد استكمال معناه، وكشف بواطنه؛ من أجل الوصول إلى المعنى المتخفي في البنى العميقة، سواء أكانت هذه البنى كبرى أم صغرى، معتمداً على بعض الآليات التي تساعده على استكشاف بواطن النص، و جاء البحث معنوناً بـ (شعر فرج الخطاب - دراسة تأويلية-)، وقد وقع اختياري على دراسة شعر فرج الخطاب؛ لأمرين: الأول: إن الشاعر صاحب فكر؛ وله أثر في الساحة الأدبية ولا سيما في فترة التسعينيات، فكانت أشعاره معبرة عن واقع وتجربة معاشة، والأمر الثاني: يتمثل بعدم وجود دراسات حول هذا الشاعر، ماعدا دراسة (قصيدة النثر في العراق فرج الخطاب نموذجاً) للدكتور عباس اجريدي لفته، والتي سلط فيها الضوء على أهمية قصيدة النثر، وعلى الشاعر لأنه من المؤسسين لهذا النوع من الشعر.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن ينتظم في تمهيدٍ و مبحثين تسبُقهما مقدمةٌ وتقفوها خاتمة، جاء التمهيدُ للتعريف أولاً: بمصطلح التأويل لغة واصطلاحاً، وثانياً: للتعريف بالشاعر فرج الخطاب، أمّا المبحث الأول فجاء بعنوان البنى التأويلية الكبرى، وجاء المبحث الثاني بعنوان البنى التأويلية الصغرى، ثم

ختمت البحث بخاتمة عرضت فيها أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة، وألحقت بنبذة للمصادر والمراجع التي اعتمدها.

أما المصادر التي اعتمدت في البحث فكان ديواني (هواء قلق، ويجر هدوءه بوقار) الأساس الذي أخذت منه النصوص الشعرية؛ وذلك لاحتواء الديوانين على نصوص ذات شعرية عالية، مغلفة بغموض العبارة، واكتنازها المعاني العميقة، فضلاً عن الكتب النقدية التي استدعاها البحث، والمقالات التي كانت لها إسهاماتها في رفد البحث.

التمهيد

أولاً : تعريف بالتأويل

التأويل في اللغة من ((أول) الأَوَّل الرجوع آل الشيء يُؤوَلُ أولاً ومآلاً رَجَعَ وأَوَّل إليه الشيء : رَجَعَهُ ، وَأَوَّلَ الكلامَ وتَأَوَّلَهُ : دَبَّرَهُ وقَدَّرَهُ وأَوَّلَهُ وتَأَوَّلَهُ: فَسَّرَهُ وقوله عز وجل وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ أَي لم يكن معهم علم تأويله ، وفي التنزيل العزيز هذا تأويل رؤياي من قبل وآل مآله يُؤوَلُ إيالة إذا أصلحه وسأسه))^(٣).

أمّا في الاصطلاح فالتأويل (الهرمنيوطيقا) يأتي على معاني عدة حسب من عرف به، فعند ابن رشد هو ((اخراج دلالة اللفظ من دلالاته الحقيقية إلى دلالاته المجازية من غير أن يخل ذلك بعادة لسان العرب في التجوز بتسمية الشيء بشيبيهه في تعريف أصناف الكلام المجازي))^(٤) ، يعني عدم الإخلال بمعناه عند اخراجه، في حين جاء معنى التأويل على رأي علي بن محمد الأمدي ((نقل اللفظ كما اقتضاه ظاهره؛ وكما وضع له في اللغة إلى معنى آخر؛ فإن نقله قد صح، وإن كان ناقله بخلاف ذلك الطرح ولم يلتفت إليه وحكم لذلك النقل أنه باطل))^(٥) ، وفي رأي السيوطي هو ((أن تقوم بترجيح أحد الاختيارات المحتملة بدون القطع))^(٦) ، وهذا يعني أمرين: الأول أن التأويل يحتمل أكثر من معنى، والأمر الثاني: أن النص الذي ينطلق الباحث في تأويله يجب أن لا يكون فيه قطع إلى معنى بحد ذاته، حسب الشروط والخصائص المتوفرة في النص.

٣ - لسان العرب ، ابن منظور (ت ٧١١هـ) : ١/١٣٠ - ١٣١ (مادة أول).

٤ - فصل المقال وتقرير فيما بين الحكمة والشريعة في الاتصال ، للقاضي أبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد (ت ٥٩٥هـ) : ١٨.

٥ - الإحكام في أصول الأحكام ، العلامة علي بن محمد الأمدي (ت ٦٣١هـ) : ١/٤٢.

٦ - الإتيان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) : ١/١٧٣.

فالقضية الأساسية التي تتناولها الهرمنيوطيقاً^(٧)/ التآويل، هي تفسير النص بشكل عام، سواء أكان هذا النص نصاً تاريخياً أم نصاً دينياً، والتركيز على علاقة المفسر بالنص هو نقطة البدء والقضية الملحة عند فلاسفة الهرمنيوطيقا، ولكنها أهملت إلى حد كبير في الدراسات الأدبية منذ أفلاطون حتى العصر الحديث^(٨)، وبما أن التآويل من المقتضيات اللغوية التي تربط بين المقصد والهدف داخل العبارة، فقد تنبه لذلك المختصون في البلاغة، فقسموا الكلام على ضربين بحسب التطابق بين اللفظ والدلالة فقالوا: ((ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده... ووضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده... ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض))^(٩)، وهذا يعني ((وجود إرهاصات وحقائق خفية تحتاج إلى تنقيب من أجل إخراجها إلى الوجود ثانية))^(١٠)، إذن فالتأويل يكمن في رؤية خاصة للغة؛ لأنه يمثل فاعلية تتعالق بجهد ذات، والتعرف على حقيقتها عن طريق الكشف عن أنساقها وعلائقها المعرفية^(١١).

ثانياً : نبذة تعريفية بالشاعر فرج الخطاب

ولد الشاعر فرج خطاب حمدان في مدينة ميسان سنة ١٩٦٧م، انتقلت عائلته في السبعينيات إلى بغداد فعاش طفولته فيها، يقال له فرج خطاب في الأكاديمية، لكن في الوسط الشعري يقال له فرج الخطاب، تخرج من المعهد التقني الطبي من قسم التحليلات المرضية، ينتمي إلى جيل الشعر التسعيني في العراق، مع مجموعة من الشعراء منهم (جمال علي الحلاق، عباس اليوسفي، عبد الأمير جرس، حسين علي يونس، علي سعدون، حسن السليمان، أحمد الشيخ علي وغيرهم)، اصدر مجموعته الأولى سيول أليفة عام ١٩٩٦م، ثم المجموعة الثانية بعنوان لصوص عام ١٩٩٧م، ثم أصدر بياناً شعرياً (بيان الرؤية) - البيان التسعيني - بالاشتراك مع الشاعر جمال علي الحلاق، وكذلك أصدر مجموعة مشتركة مع الشاعر

٧ - للاطلاع أكثر: ((مصطلح الهرمنيوطيقا مصطلح قديم بدأ استخدامه في دوائر الدراسات اللاهوتية ليشير إلى مجموعة القواعد والمعايير التي يجب أن يتبعها المفسر لفهم النص الديني (الكتاب المقدس). والهرمنيوطيقا . بهذا المعنى . تختلف من التفسير الذي يشير إليه المصطلح Exegesis على اعتبار أن هذا الأخير يشير إلى التفسير نفسه في تفاصيله التطبيقية بينما يشير المصطلح الأول إلى «نظرية التفسير». ويعود قدم المصطلح للدلالة على هذا المعنى إلى عام ١٦٥٤م، وما زال مستمراً حتى اليوم خاصة في الأوساط البروتستانتية وقد اتسع مفهوم المصطلح في تطبيقاته الحديثة، وانتقل من مجال علم اللاهوت إلى دوائر أكثر اتساعاً تشمل كافة العلوم الإنسانية كالتاريخ وعلم الاجتماع والانتروبولوجي وفلسفة الجمال والنقد الأدبي والفولكلور)) ينظر: إشكاليات القراءة وآليات التآويل، نصر حامد أبو زيد: ١٣.

٨ - ينظر: المصدر نفسه.

٩ - دلالات الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ): ٣٠٢-٣٠٣.

١٠ - لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطايي: ١٤١.

١١ - ينظر: التآويل فك خداع اللغة، بولحية صبرينة (بحث): ٩٩.

عباس اليوسفي (مختارات لسبع وعشرين شاعراً عراقياً من شعراء التسعينيات) مع مقدمة تعد اليوم الوثيقة التي جمعت هذا العدد من الشعراء في تلك الفترة، وفي عام ١٩٩٨م غادر الشاعر العراق إلى الأردن، وبقي حوالي عامين، وأصدر خلال هذه الفترة مجموعة شعرية بعنوان (هواء قلق)، وخلال تواجدته في الأردن عمل في الصحافة، ثم غادر في عام ٢٠٠٠م إلى الولايات المتحدة، فدرس اللغة الانكليزية وأتقنها، عمل في وظائف مختلفة، درس البكالوريوس في سنة ٢٠٠٣م في قسم الأديان في جامعة أريزونا، أكمل دراسة الماجستير وكان موضوع الدراسة بعنوان (تطور الطقوس الشيعية في العراق زيارة عاشورائية والأربعين) سنة ٢٠١٢م، وهي الرسالة الأولى في الأكاديمية الغربية باللغة الانكليزية، وتم ترجمتها إلى الفارسية، ثم أكمل دراسة الدكتوراه وكان التخصص الأساسي هو دراسات شرق الأوسط وشمال أفريقيا، والتركيز على الأدب والمجتمع والسياسة واللغة، وكان عنوان الدراسة هو (هيمنة المؤسسة الثقافية الرسمية في العراق خلال سنوات التسعينيات على الإنتاج الثقافي) وانحصرت الدراسة في قصيدة النثر في فترة الحصار والدكتاتور^(١٢).

و يمكننا أن نقول إن الشاعر فرج الخطاب يعد من الأسماء ذات الأهمية في القصيدة التسعينية، فمنذ البدايات الأولى التي وضعت الخطوة الأخرى في جادة الصواب وهو يراقب بتمهل التطور الذي وصلته القصيدة، وكان يعي مقدار ما أنجزته القصيدة العربية من انجاز هائل على المستويات كافة، فالثقافة التي يتمتع بها الشاعر فرج الخطاب جعلته من أبرز النقاد الشباب الذي تصدى في جريدة الثورة آنذاك وفي صفحتها الثقافية على وجه التحديد لمقالات الدكتور خالد علي مصطفى الذي كان مؤمناً بالمقولة: كلما جاءت أمة جديدة لعنت الأمة التي سبقتها^(١٣).

أهم الدراسات التي نشرها الشاعر^(١٤):

- ١ - البحث عن الذات المحضنة في مجموعة (النوم في محطة الباص) لعبد الخالق قيطان، نشرت في تاريخ ٣٠ / ١٠ / ٢٠٢٠.
- ٢ - أسلوب المناجاة في مجموعة (مرد روعي) للشاعر عباس اليوسفي، ١٤ نشرت في تاريخ ١٠ / ٢٠٢٠.
- ٣ - حرية الذات ومفهوم السعادة المطلقة في نظرية المعرفة الصوفية عند الغزالي، نشرت في تاريخ ٦ / ٥ / ٢٠١٧.

١٢ - ينظر : نادي الشعر - يحتفي بالشاعر فرج الخطاب ، الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق (مقطع على اليوتيوب).

https://youtu.be/sDcQGItQ4xk?si=XcVJPBU_8rphBpUe

١٣ - ينظر : قصيدة النثر في العراق فرج الخطاب نموذجاً ، د. عبس أجيدي لفته ، (بحث) : ١٤٥ .

١٤ - ينظر : الحوار المتمدن ، فرج الخطاب (مقال) <https://m.ahewar.org/index.asp?i=7566>

٤- داعش ودولة الخلافة الإسلامية - آخر نتاجات الحرب الباردة - نشرت في تاريخ ٩ / ٩ / ٢٠١٦ .

٥- النظريات الحديثة لدراسة علم الأديان ، نشرت في تاريخ ١٣ / ٨ / ٢٠١٤ .

المبحث الأول: البنى التأويلية الصغرى

البنى التأويلية الصغرى وهي البنى التي تحقق المقاصد الموضوعية والفنية ، على أساس وجودها كجزئية ضمن جزئيات كلية داخل النص الأدبي، وهذه الجزئية تأتي بأشكال مختلفة، كالطباق، والمقابلة، والمفارقة، والتهكم (الساخر)، والحذف التأويلي ، والتخالف، والتناقض، والمساواة، وغيرها من الأشكال، وتعتمد هذه الأشكال على نوعيتها، التي تتأرجح ما بين الانغلاق في النص والانفتاح على خارجه؛ لأنها متمسمة بالتوسع والانفتاح^(١٥)، وهذه الازدواجية في حضور آليات الانغلاق الدلالي في النص، وآليات انفتاحه، تمثل مظهراً من مظاهر الفراسة العربية، وتحدياتها لإمكانيات اللغة غير المحدودة في حجب مضامينها وامتناعها عن مكاشفتها لمحتواها، عبر المنحى البلاغي التأويلي، الذي بني على التواصل الواضح ، والتواصل الغامض^(١٦)، فالبحث في الفكر المعرفي والتأويلي عند الشاعر فرج الخطاب ظهر واضحاً عن طريق الدلالة الظاهرة التي تجتمع وترتبط بعلاقة أخرى كامنة في العمق، ومن النماذج الشعرية التي حملت بنية تأويلية في مفرداتها ما جاء في قصيدته (انطولوجيا الحب)^(١٧):

قبل اندلاع الحب

لم أحلم بالمستقبل

يبني خياما قلقة

أو عناصر شديدة الانفجار...

لم أحلم بأطفال يجبؤون

أعمارهم

أو أشجار تأكل أوراقها

بلا أقراص مخدرة....

١٥ - ينظر: القارئ في الحكاية - التعاضد التأويلي في النصوص الحكائية - ، أمبرتو إيكو ، ترجمة أنطوان أبو زيد : ٢٤٣ ،

نظرية التأويل التقابلي من التأصيل إلى التجريب ، سليمة جلال : ٢٤١-٢٤٢ .

١٦ - ينظر : بلاغة الغموض وآليات التأويل للخطاب، معمر حجيج، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية العدد الثامن، جامعة

الحاج لخضر باتنة، جوان ٢٠١٢ .

١٧ - هواء.. قلق، فرج الخطاب : ٥٨-٦٠ .

.....
.....
لا أحد يثق بك

أيها البرق

كنا نراقب الفوانيس

ونمعن بالنقاط الصور

صور بيضاء

بيضاء فقط....

توحي البنية السطحية في المقطع الأول إلى بنية عميقة تكمن خلف هذه البنية فلفظة (الحب) ما هي إلا رمزٌ للفظه أخرى لم يصح بقولها الشاعر في ذاتها، لكن يمكن أن نؤولها تأويلاً يحمل الدلالة التي كان يريد إيصالها للمتلقى، وذلك التأويل ينطلق من الكلمة الأولى التي بدأ الشاعر فيها نصه، وهي كلمة (الاندلاع)، والمعروف أن هذه الكلمة متمركزة في كلمة (الحرب) وليس الحب فالانطلاق من مفردة واحدة لم تكن مقصودة بعينها، والتوجه نحو هدف أراد الشاعر تحقيقه وإيصاله إلى الجمهور، وتحقيق هذا الهدف في مقصدية ضمن تأويلات (الحرب وما تركت في نفس المجتمع من محسوسات وملمسات من أحلام وأطفال وأشجار ...)^(١٨)، والارتكاز على الأصوات اللغوية، وطريقة توزيعها في نسيج العبارة يشكل تأثيراً في إيقاعها شدةً ولينا، فتكون ذات إيقاع قوي متمثلاً بغلبة الأصوات المجهورة، لأنها ذات جرس وقوة، وتكون ذات إيقاع رخو إذا كانت بنية الأصوات الرخوة والليننة والضعيفة غالبية عليها^(١٩) فقوة الأصوات إنما نابعة من قوة الموقف الذي سجله الشاعر عن تلك الحرب وما سلبته منهم، والتأويل الآخر يكمن في توظيف الاستعارة عن طريق المستقبل وبنائه للحيام المضطربة القلقة، ثم تحبئة الأعمار، وهل الأعمار تحبئ؟ وهذه كلها من المفارقات التي تحمل دلالات ذات معاني توشي بإشارات إلى الوضع المضطرب الذي نضطر معه إلى الحفاظ على حياة الأجيال، عبر بناء الوطن الأمن الذي يمكن أن يوفر لهم أبسط أسباب العيش؛ ليمكنوا من ممارسة طفولتهم بحرية وفرح ومرح، بدل تطميس هذه الأشياء في غياهب الحياة وضياح العمر.

ثم يجسد الشاعر (البرق) بشخصية يدخل في حوار معها لا استجابة فيها للطرف الثاني، عبر فن الاستعارة عن طريق استعارة (الثقة) التي هي لازمة من لوازم الإنسان، فالمعنى السطحي الظاهر للعيان هو

١٨ - هواء.. قلق، فرح الخطاب : ٥٨-٦٠.

١٩ - ينظر: التناسب البياني في القرآن الكريم، أحمد أبو زيد : ٢٢٣.

تولد الضوء من البرق بصورة أكبر ومساحة أوسع ؛ في مقابل انخفاض عن المساحة مع ضوء الفوانيس، فالتأويل الذي يحتمل هذه المفردات وما ينتج عنها من نور وضياء وكشف عن الأشياء المحسوسة في الفضاء السماوي والأرضي، ومحاوله الحصول على صور بيضاء فقط لا غير، يمكن أن ينطلق نحو هدف في المفردة الأولى غير مقصودة (البرق) لأن البرق منقطع الوجود في السماء في عالم صعب الوصول إليه، لكن في المفردة الثانية (الفوانيس) والتي هي ثابتة وموجودة وملموسة في الأرض مع قلة نورها، لكنها كافية لإنارة الطريق له وسط الظلام، فالقضية حسية في البحث عن صورة بيضاء في ظاهرها، لكن في عمقها صورة سوداء، فيحاول الهروب من صورة سوداوية قائمة مظلمة، وسببها الواقع السياسي الذي فرض عليهم، جراء الحروب المتكررة، فالخروج من شرنقة الصورة السوداء هو الحلم في البحث عن الصورة البيضاء التي فقدت والخلود فيها.

وفي نص آخر يحمل عنوانه مفارقة تأويلية، فضلاً عن اكتنازه بالمقابلات التأويلية، يقول في قصيدته (

اصطبلات العقل) (٢٠):

يرحلون

كأنهم ماضون صوب

الارتقاء...

يحملون تفاهاتهم

إرثهم الذي نازعتهم عليه

الملائكة....

يسيرون بحذر،

بعيون تنلصص الطريق

وكان الطريق

اعوجاج آخر

لن تستقيم....

وكان ما بقي من مشهد الموت

يتفنن في اجتياح

أخير

لماذا إذن كل هذه الأناشيد

السخرية

لتمجيد

الرحيل...؟

تتداخل الدلالات في النص الشعري ، لتأخذ تأويلات متعددة بتعدد المفردات التي وظفها الشاعر في النص، وقبل الدخول إلى النص وكشف البنى الصغرى الظاهرة ، التي أضمرت خلفها بنى مخفية في العمق، نلاحظ المفارقة التأويلية في العنوان الذي وضعه الشاعر، فمن غير المقبول والمستساغ أن تكون مفردة (اصطبل) مناسبة وملائمة لمفردة (العقل)، فالمفارقة الساخرة توحى بشيء يمكن أن يتأول إلى ظهور سفاهة العقول، وكثرة انحطاط العقول، وهذا المنطلق يتجه نحو تحقيق هدف الشاعر في إثبات مسألة ضياع الارتقاء وانحداره نتيجة فقدان الفكر السليم في الزمن النقي.

وهناك طباق حركي تمثل بالمكوث والرحيل، والاستقامة والاعوجاج، ومحاولة ربط هذه المسألة بقضية توريث الأرض للبشر، وحوار الملائكة مع الله عز وجل في كيفية جعل من يفسد ويسفك الدماء في الأرض، فالأفعال التي عضد بها النص تشير في دلالاتها إلى الحركة وعدم الثبات والاستقرار في دائرة واحدة وهذه هي صفات الأفعال الاستمرارية وعدم الثبات، فالأفعال (يرحلون، يحملون، يسيرون) في بنيتها السطحية توحى بالانتقال وعدم المكوث في هذه الأرض على الرغم من الصراع الذي كونه الشاعر مع الملائكة حول المكوث في هذه الأرض، لكن تأويلاتها توحى بمعاني عميقة، بدأت تدريجياً بفعل (الرحيل) أي اتخاذ القرار، ثم فعل (يحملون)، ثم فعل (يسيرون) نحو تحقيق هدف منشود، هو التخلص من هذه الأرض والانتقال إلى أرض أخرى، وهو يشير في هذا الانتقال إلى الهجرة ، التي هاجر فيها كثير من العراقيين، تخلصاً من الاضطهاد والعنف الذي كان يمارس عليهم من النظام، فهم في واقع الأمر متمسكون بهذه الأرض التي حاربوا للبقاء عليها، ففي هذا المسير/ الطريق أما اعوجاج أو استقامة، ويمكن إن يكون إرثهم إشارة إلى ماضي وحضارة وادي الرافدين ، فالطباق الحركي في المفردات إنما وظف من أجل بيان استحالة استقامة هذا الطريق المعوج ، ليدخلنا في دائرة التساؤل حول استمرار تمجيد العنف والاضطهاد المؤدي إلى الرحيل، وجعله نشيداً يردد، فمع استحالة التخلص من هذه المأساة، إلا أن المحاولة مجدية في الخروج من تحت سيطرة هذا النظام في سبيل التخلص من واقع مؤلم، لكن في المقابل هناك من يتحدى الموت/ السلطة، ويثبت بعدم الرحيل.

ونلاحظ وجود مفارقة تأويلية أيضاً في قول الشاعر الآتي^(٢١):

وبين الأبصار والعمى

يتدحرج الشك

كنيزك إلى الهاوية....

هؤلاء وحدهم

يتحدون البقاء

بلا أمل للرحيل

المفارقة بين مفردة (الإبصار) والتي لا يقصد بها العين الباصرة للأمر المادية، إنما قصد بها بصيرة العقل والتحكم والتدبر، ومفردة (العمى) التي لا يقصد بها فقدان النظر، إنما قصد بها غياب الحق ونكرانه وجحوده، والتخلي عن الحق واللجوء إلى الظلم، في مفارقة قائمة على التدحرج ما بين الاثنين، إلى هاوية، وهؤلاء هم وحدهم من يتحدون الرحيل، لكن التنقل ما بين ظلام ونور يكشف تأويلية في هذه المفردات، عبر التدحرج والعبور إلى مسارات أخرى، مسارات مزعزعة، مضطربة وقلقة، فالتدحرج ما بين الظلام والضياء يوحى إلى الحياة التي كان يحياها هؤلاء، وليس نتيجة لهذا الواقع سوى التدحرج نحو الموت، لكن ما يثبت شجاعة هؤلاء استمرارهم وبقائهم في تحدٍ للواقع.

وفي نص آخر يضم ثم يفصح في دلالات متعددة، في قوله^(٢٢):

من أعلى الجبل

تتهاوى أحلامي

إذن سأحمل الهاوية

للقمة

أترك سيزيف

للحجر....

بين الصمت

والصراخ،

أنشغلُ

بالقلق...

لستُ أول من سيرحل

ولا آخروهم كذلك
لستُ وسطاً
ولا أحبُّ الانتظار

كشفت لنا البنية السطحية (الهبوط من أعلى الجبال والتهاوي) عن بنية مفارقة تأويلية عميقة عكس ما موجود في البنية السطحية، ففي هذا السقوط تحدٍ للواقع، والنهوض هنا كسر لأفق التوقع عند المتلقي، فالشاعر بدأ بقوة، ثم انكسار، ثم قوة، فانطلق باتجاه إقناع المتلقي بأنه لا فرار مما يعيشه، ولا مناص للخلاص منه، فالتأويل كمن في عنصر المفاجأة في قوله (إذن سأحمل الهاوية للقمة)، فالمفارقة في حمل الكليات كلها وليس جزء لتلك الأحلام التي تماوت وسقطت من الجبال، ومفردة (القمة) تعني في معناها السطحي بلوغ أعلى مكان في الجبال، لكن في بنيتها التأويلية العميقة هي أحلامه و طموحاته بتغيير الواقع.

ثم يوظف أسطورة سيزيف^(٢٣) كجزء من بنية النص، ولم تكن هذه الأسطورة سوى كناية عن شخصية تاريخية، شخصية الحاكم، فسيزيف هو بطل اللاجدوى، ذلك الذي يعبر عنه عن طريق عواطفه وكذلك عن طريق آلامه، فاحتقاره للآلهة، وكرهه للموت، وشغفه بمذه الحياة، هو مقابل لما موجود في شخصية الحاكم، قد تسبب له بهذا العذاب الرهيب الذي أدى لأن يكرس كل كيانه في سبيل لا شيء، فهذا هو الثمن الذي يجب أن ندفعه مقابل أهواء هذه الأرض، فلم نجد أحداً يحدثنا عن سيزيف في عذابه ومعاناته، فإن كل ما نتخيله هو مجهود جسد مشدود يحاول رفع صخرة كبيرة ودفعها نحو الأعلى، فتتزلق تلك الصخرة منحدره نحو الأسفل ويعيد تسلق ذلك الجبل، فنرى الوجه المتوتر، وذلك الخدّ الملتصق بالحجر، ومساعدة الكتف التي تتلقى الكتلة المغطاة بالطين، ونرى القدم التي تسندها، وتتحيل الاستعادة بطول الذراع، وذلك الأمان الإنساني الذي تمثله هاتين اليدين اللتين يغطيهما الطين، وفي نهاية هذا الجهد الطويل الذي يقبسه فضاء بلا سماء وزمان بلا عمق، يتم الوصول إلى الهدف، ويراقب سيزيف الصخرة وهي تتدحرج نحو الأسفل خلال لحظات معدودة، لا يريد للزمن أن يسجلها، تتدحرج تلك الصخرة نحو ذلك العالم السفلي، الذي يتوجب عليه رفعها منه نحو القمم مرة أخرى، ويعاود النزول إلى السهل^(٢٤)، وعبر هذا، فإن ما يهمني من توظيف الشاعر لشخصية سيزيف تحديداً هو هذه الوقفة

٢٣ - أسطورة سيزيف: هو شخصية من الميثولوجيا الإغريقية كان قدرها أن تحمل صخرة إلى أعلى قمة في الجبل وما أن تصل تتدحرج الصخرة إلى الأسفل، ثم تعود شخصية سيزيف بحملها من جديد وتبقى هكذا إلى ما نهاية. ينظر: أسطورة سيزيف - المعرفة، (مقال)

<https://www.marefa.org/>

٢٤ - ينظر: أسطورة سيزيف، لمى الأخرس، لوسي خير بك، نبيل سلامة، هفال يوسف، ديمة عبود (مقال)

وتلك العودة، هو ذلك الوجه القريب من الصخور والمتألم ليصبح هو نفسه كالصخرة فتتحجر روحه، فمشاهدة ذلك الإنسان وهو يعاود النزول بخطى ثابتة ومثقلة نحو ذلك العذاب الذي لا نهاية له؛ لأن هذه الساعة التي تشبه المتنفس، والتي تعود بالتأكيد مع عودة العذاب، هي ساعة الإدراك؛ لأن كل لحظة من تلك اللحظات التي يغادر فيها القمم ويتجه هابطاً نحو المنحدر، تجعله أسمى من مصيره، وأقوى من صخرته، وهكذا كانت هذه الأيام المأساوية التي يعيشها الشاعر، صورة مجسدة للمعاناة التي ضاع فيها عمر سيزيف وهو يحاول رفع الصخرة لتسقط ويعاود الكرة مرات ومرات في ظل أمل مزروع في أثناء الصعود؛ ولأن الشاعر يدركها ويعيشها، وإلا ما الذي يعنيه ألمه؟ لو لم يكن الأمل بالنجاح يرافقه في كل خطوة؟

فالشاعر ينجز عمله اليوم، وفي كل يوم من أيام حياته، المهام نفسها والانجازات نفسها، ومصيره لا يقل عنه عبثيةً، وهذا المصير لا يكون مأساوياً إلا حين يدرك فإن الشاعر هو ذلك الذي يدرك البعد الكامل لوضعه التعيس، والذي به يفكر أثناء نزوله، والاستبصار الذي من المفترض أن يورقه يستهلك انتصاره في الوقت نفسه، وإذا كان الهبوط يتم أحياناً بأسى، فإنه من الممكن أن يتم أيضاً بغبطة، وحين يكون نداء السعادة ملحاً، فإنه من الممكن أن ينبثق الحزن من قلب الإنسان، عندئذٍ تنتصر الصخرة، فـ(هذا الحزن هو) الواقع بحد ذاته؛ لأن الحزن الذي لا حد له أثقل من أن يحتمل، هو صعوبة تغير واقع ليس في يدك تبديله أو تغييره، فذكر هذه الشخصية التاريخية الأسطورية لم يكن سوى رمز يخفي فيه الكلام الموجه إلى السلطة؛ منعه خوفه عن الإفصاح عما في داخله، فنجد الحوار ينطلق باتجاهين عن شخصيتين، تارة يكون الشاعر مع حوار / المونولوج ، وتارة يكون الشاعر مع شخصية أخرى، ونلاحظ الشاعر يفصل في قضية الإفصاح عن اليأس والتعبير ثم يدهش المتلقي ويكسر المتوقع بالنهوض وبسرعة؛ لتدارك الأمر، ومقاومة اليأس، واللجوء إلى الأمل (القمة) كأنه يتحدى الخصم هذا في الجانب الأول، وفي الجانب الثاني نجد الأمل متأرجحاً ومتذبذباً ، وهو نابع من أعماقه بدليل قوله :

أنشغل

بالقلق...

لست أول من سيرحل...))، عاد مرة أخرى إلى المونولوج في ثنائية تضادية مضمرة في ثنايا الكلام، في (اليأس)، ثم (الأمل) ثم يخاطب نفسه قلقاً ويحاول أن يعزز قواه مخاطباً نفسه لست وسطاً، ولست

الأول أو الآخر، لا أحب الانتظار فهو يشد من أزره وعزيمته لتعزيز الأمل داخله. وتتداخل المفارقة مع الطباق في تأويلية تحمل ضجراً، وسط عتمة حالكة، في قول الشاعر^(٢٥):

ضجراً

أسيرُ فوق شوارع ضجرة

أراقب الأيام

وأحلم بصمت

بانتصاف

الظلام...

النور

والظلام

وأنا بينهما

أتلقت

ينطلق الشاعر من مفردة (الضجر) والتي تشير في معناها السطحي إلى الملل والسأم والضيق، لكن لو بحثنا في المعنى العميق لها لوجدناها تمثل ذات الشاعر الذي ضاقت روحه ونفسه بالهموم، حتى طفحت لديه الحالة الروحية، وقد تساوت فيها الرغبات ما بين النور والظلام، والموت والحياة، حتى غدا الفرد فيها راكضاً صوب هذه وهذه، دون المكوث والاستقرار على حالة واحدة؛ والسبب في ذلك نابع من اللامبالاة الساخرة من هذه الحياة التي يحياها، فتوظيف الاستعارة للشوارع وأكسابها صفة إنسانية في محاولة لإثبات دليل المعاناة التي كان يعيش الشاعر في ظلها حتى أسبغ صفات الإنسان إلى الجمادات، فأصبحت روحه ساكنة جامدة، لا حياة فيها، كذلك توظيف المراقبة للأيام، وهل يمكن أن نشعر بمهذ المراقبة؟ هذا يعطينا تأويلات كثيرة، منها أن الشاعر في حالة نزاع روحي ما بين الرغبة وعدمها، ومنها أن الشاعر أصبح في موقع المتنازل عن كل حقوقه كمواطن في بلده، ومنها أن الشاعر أراد التخلص من الكبت الداخلي الذي يكمن داخله، وأن الواقع القلق تحول عنده إلى ضجر في رسم صورة لليأس وما بقي من الأمل إلا قلة قليلة.

فالضجر هو ما دفع الشاعر السير في إطار محدد، فكّون وسط ذلك الضجر متخيلاً جمالياً يعمه الصمت، تمثل في صنع واقع ممزوج ما بين الظلام والنور، وهذا المزج في التلوين إنما في تأويله يشير إلى البحث عن حياة وإن كان فيها ظلم واضطهاد فإنه قابل للعيش بها، وهذا هو هدف الشاعر، والمقصد

الذي أراد تسجيله أن الواقع الذي يعيشه مظلماً كله لا فسحة للنور فيه، ولم يكن اللون في النص مجرد أداة تكميلية تم توظيفها، من أجل رسم صورة شعرية، أو من أجل بناء دلالة تعبيرية، أو حتى مجرد إضافة عنصر، يتشكل مع عناصر أخرى لرصد الظواهر الطبيعية، إنما هو بؤرة محورية مركزية، تحمل في طياتها أبعاداً أيديولوجية، أو تجارب شعرية مما جعل رمزيتها تعد كشفاً معرفياً وجمالياً بما يحمله من عناصر أيديولوجية ودلالية تغطي الأبعاد الفنية والمقاصد الحياتية فيسعى فيها إلى سبر أغوار النفس الإنسانية، واستدراجها إلى عالم الظهور^(٢٦)، والتخلص من الآلام والكبت الداخلي والقلق المتمركز في الروح. وفي مقطع آخر تتساوى الحياة عند الشاعر في لون واحد فقط لا غير^(٢٧):

البقاء في

الظلام

يشبه

الخروج

إلى العتمة...

هذه العتمة

لن تمنحني بياضها

قبل وقوعه في

المصب...

تحديد الانطلاقة من البنية السطحية مع ما تحمله من قرائن معضدة للمعنى، نحو رسم محدد ضمن إطار واحد، فنشاهد في بناء النص هنا جسوراً للمعاني الظاهرة والمضمرة، وهذه الجسور غير ممتدة إنما تتوقف ضمن دائرة واحدة مأطرة ومقيدة بالقيود الذي وضع الشاعر فيه، فالطباق في مفردة (البقاء) ومفردة (الخروج) لم يشكل كلاً في مستويين، إنما تكونا في مستوى واحد، فأصبح هناك مساواة في البقاء والخروج، فبناء المعنى عند الشاعر يستحضر عناصر محددة، ويستبعد عناصر أخرى، فلم يستحضر ما يدل في معانيه وألفاظه ما يشير إلى نور في تلك الدائرة، كما لم يشير إلى النور خارج تلك الدائرة، فالبقاء في الدائرة ومغادرتها في نقطة واحدة، فينتج الشاعر صوب هدف الارتقاء إلى مستوى يمكنه من إضافة نور في تلك الظلمة، في حوار داخلي يحاول أخذ البياض من تلك العتمة، ولكن لا يحصل عليه إلاً بمقابل، وفي حقيقة هذه المساواة والبحث عن رقعة بياض وسط عتمة سوداء يدل على المحاولات العديدة التي يحاول فيها

٢٦ - ينظر: من دلالات اللون المعجمية والمجازية ، وحمد أنور بادشاه : ١ .

٢٧ - يجز وقاره بحدوء : ٤٨ .

الشاعر التخلص من واقعه، وما بين هذه المحاولات يكمن الأمل واليأس في التغلب والنجاح على ذلك الواقع، بإصرار وعزيمة، فالبقاء وعدم المحاولة يعني عدم تحقيق الأحلام التي يروم الشاعر تحقيقها، وهذه الأحلام تتمثل بالعيش في فسحة من الحرية، والعيش الكريم في بلد حلّ به الظلام حتى غدت العتمة مصدر إضاءة له في كل الأزمنة.

المبحث الثاني: البنى التأويلية الكبرى

يقصد بالبنى التأويلية الكبرى كل ما يخص الأشكال التي تتجاوز المفردة والجملية، إلى أنساق وأبعاد مختلفة الجوانب، عن طريق توسيع أفق الإدراك والتأمل والتأويل؛ من أجل أن يغطي المستويات كلها، ويمكن أن تتمثل هذه الأشكال بأفعال القراءة التي يتم استحضار موادها من خارج حدود النص، في حدود مفتوح على فضاء أوسع من فضاء النص؛ لغاية تحقيق هدفها في فهم المادة أو إثراء المعنى أو توسيعه^(٢٨)، يعني كل ما يقع في السياق السياسي والنفسي والتاريخي والاجتماعي الذي أنتج فيه، فالتأويلية تعيد الاعتبار لمجموعة من المكونات التي تلعب دوراً فعالاً، ومهماً في توجيه النص وبناء معناه؛ وذلك يعود إلى أن التأويل ((يقوم على المعنى الشامل للنص الذي تقوم القراءة باستعادته؛ فيبدو للمشاهد السطحي أننا نفك ترميز نص الجمل لكن في الحقيقة نؤول معنى هذه الجمل من خلال منظور الفهم الذي يشمل النص. بعبارة أخرى القراءة ليست بقراءة الكلمات ولا بقراءة الجمل لكن نقرأها في إطار مقصد النص الكلي))^(٢٩)، فالنظر إلى النص الأدبي باعتباره يجسد خبرة حية تاريخية، تراكمية، لفترات زمنية مختلفة، تعمل على نقل وتنويع وتطوير هام، أو أخفاق في مفاصل معينة في مجتمع ما، فيتسع ويفتح ليصبح المجتمع ذاته نصاً، قائماً على نسق من المعاني الداخلية، فضلاً عن التعبيرات الخارجية، فالنص لا يشير إلى المدون اللغوي فقط، فهو أيضاً يشير إلى معنى كلي في بناء النص، من أحداث وأفعال اجتماعية وسياسية وأدبية^(٣٠)، وغيرها من الأحداث التي تكون المنبع والأساس الذي يستقي الأديب أو الشاعر مادته منها، فالشاعر فرج الخطاب ينطلق في نصوصه الشعرية إلى معاني ذات بعد دلالي عميق، نابع من معرفة ثقافية مختلفة في الجانب السياسي والاجتماعي والأدبي، ولعل من النصوص التي مثلت الجانب الاجتماعي في بعده المجتمعي الممزوج بالبعد السياسي ما جاء في قول الشاعر في قصيدته التي بعنوان (الحناءات الضجر)^(٣١) :

ليل آخر

٢٨ - ينظر: التأويلية العربية - نحو نموذج تساندي في فهم النصوص والخطابات-، محمد بازي : ٢٦٧.

٢٩ - نقلا عن الشعرية وانسجام الخطاب - لسانيات النص وشعرية جان كوهن- : مصطفى جوان : ٣٧.

٣٠ - ينظر : الهرمنيوطيقا واشكاليات التأويل والفهم في العلوم الاجتماعية ، د. احمد زايد : ٢٤٩-٢٥٠.

٣١ - يجر وقاره مهدوء : ٤٩-٥٠.

أمام مقصلة النهار
والمصائر المعلقة
تغتالها الريح...
الشاعر أيضاً
يتمسك بجذوة السواد
وهو ينساب بحدوء المتاهة...
لي رغبة في التوغل
إلى حيث قلب الغابة
أتأمل كائناتها الأليفة
والمتوحشة
والخنثى أيضاً
هكذا، أصرّح الآن
مفتوناً بروحي،
بعيداً عن عمودي الفقري
بعيداً عن انشغالي بالهدام
الكلام....

يقتحم الشاعر فضاء اللاحودية في سبيل بيان الموقف الشعري في تقسيم الفئات المجتمعية، وقبل ذلك الدخول في موقفه الشعري فإنه يسجل تأويلاً مفارقاً في عنوان القصيدة (انحناءات الضجر)، فهذا الانحناء ما هو إلا انحناء في جو محتقن بالرموز المتجهمة، في مجتمع بعيد عن روح الشاعر، والتطابق ما بين الليل والنهار جاء في مستوى واحد، فالتساوي ما بين الاثنين فيه إشارة إلى القتل والإبادة في الليل الذي يغطي بظلامه الأعمال السيئة كلها، فيكون بمثابة الغلاف الذي يبطن داخله الفساد والانتهاك كله، وكأنه بسواده قد وظف لهذه الأشياء التي في واقعها خارجة عن الأعراف الاجتماعية والدينية من أجل تغطية الأمور السياسية، ولم يتم الاكتفاء بهذا الغطاء إنما تم النزوح إلى النهار الذي يحمل بنوره وضياؤه دلالات الكشف والإفصاح، لكن ما يحصل في هذا النور هو قتل الحق بصمت تام، فالريح واغتيالها للأرواح لم تكن سوى دلالة لتلك الحكومات التي تقضي على كل من يعترضها أو يعترض طريقها، وتقسيم فئات المجتمع إنما كان لغاية وهدف سعى الشاعر إلى إثباته عبر التصريح بهذا التقسيم، الذي يقسم فيه حيوانات الغابة ((الأليفة والمتوحشة والخنثى))، هذا في ظاهر القول الشعري، لكن في

البعد التأويلي الاجتماعي أراد أن يبين الأقسام التي تتضمنها فئات المجتمع الذي يعيش فيه، ففئة في جانب الحق/ الأليفة، وفئة وسط بين الحق والباطل/ الخنثى، وفئة في جانب الباطل/ المتوحشة، وهي ما بين (المقاوم / الرافض) و (الظالم/ العنيف) و(المستسلم/ المغلوب على أمره)، فكأن روحه هنا لا تنتمي إلى هذا العالم، فيتخلص من هذا الواقع بالدخول في حدود الخيال والتمني (لي رغبة في التوغل في الغابة)^(٣٢)، والغابة هي (عالم آخر أو واقع نسجه في خياله ، واقع خال من القيود)، وداخل هذا العالم يتخلص من القيود التي تكبله، وتكبل هذه الفئات (فئة الحق، وفئة المغلوبة على أمرها)، والرابط بين الانحناء الذي وضعه في العنوان والقصيدة رابط متماسك، اسند القضية الاجتماعية التي بين فيها مدى المواجهات التي تواجهها هذه الفئات، في مقابل مواجهتها للطبقة السياسية، التي تحاول تقيد كل الحريات، ووضع العقبات في مسير هذه الفئات، فجعل من (العمود الفقري) الذي يمسك سائر جسد الإنسان و يقيده من أجل استقامته، انعكاساً لروحه، فهذا الانحناء هو انكسار ذاته، وهذا في التأويلية المعرفية هو انكسار لهذا الفئات التي تناضل وتقاوم من أجل حرياتها ، وفي قوله ^(٣٣):

عاجز

عن الحب،

عن الكره

روحي تستطيل

وقلبي يزخر بفقاعات الألم

الدوائر وحدها تتلوى في

الأفق

والحلم ينجب ألواناً

دوئماً

تفاصيل...

يستعمل الشاعر البنية السطحية معبراً للوصول للبنية العميقة التأويلية، فيلجأ إلى استعمال الانزياح والاستعارة والكنائية للتعبير عن معاني عميقة تمتد عن طريق تأويلها بالخروج من الواقع المأساوي الذي يعيشه ، فيا ترى أي واقع هذا الذي يعيش فيه ؟ أي واقع هذا الذي يحاول تجاوزه بحثاً عن عالم الحلم؟ يمكن أن يكون هذا الواقع معتماً ومؤملاً؛ لذلك يحاول الخروج منه، فيحاول خلق واقع له في عالم آخر

٣٢ - يجر وقاره مهدوء : ٤٩ - ٥٠ .

٣٣ - يجر وقاره مهدوء : ٤٠ .

يختلف تماماً عما يعيشه، فيصرح بعجزه عن التعبير؛ لأنه مكبل بقيود، وهو مستسلم تمام الاستسلام لا يقاوم (عاجز عاجز عن الحب، عن الكره) حتى نفسه أصبحت نداءً له في انقسام دائم (الروح تتبع الآخر، والقلب يزخر بالألم، كذلك أفكاره، أحلامه مستسلمة للواقع) وكل هذا يدور في خلجات نفسه دون تصريح كأنه في صراع نفسي (أشبه بالمونولوج)، وهذه الاغتراب الروحي لا يمثل الشاعر فقط، إنما يمثل كل من عاش في بلده وهو تحت سلطة نظام جائر، فجاءت الذاتية مزيج من الدوافع السياسية، ورضوخ الشعب للسلطة الحاكمة، والطغيان والظلم الشديد الذي يمنع الأفراد من التصريح العلني؛ لذلك كان اللجوء إلى الكبت والاستسلام، كل هذه تبعات الواقع المرير التي انعكست على نفس الشاعر، فقلبه يزخر بفقاعات الألم، وروحه تستطيل، أي تمدد وتتماهى في الأفق والابتعاد عن واقع مرير، فتتشظى أحلامه وبأسه، فما الذي دفعه إلى اليأس المطلق والإقرار بالعجز؟ وما الداعي إلى خلق عوالم أخرى له؟ الإخبار والإفصاح والإقرار بالعجز من الأمور الصعبة على الإنسان الطموح، ولا سيما إذا عبر عن عجزه صراحة أمام الملأ، وهذا يجلبنا إلى الأنساق السياسية والقضايا الاجتماعية و السياقات التاريخية والأخلاقية والإنسانية والقيم الحضارية، فيتناول الشاعر مختلف المنجزات الفكرية والمعرفية خلال فترة ما قبل سقوط بغداد، ووجوده خارج الوطن، ويطرح مادتها بما يعاني من ألم روحي وبعد معرفي وسياسي وثقافي عن وطنه، فيسرد تلك المعاناة التي عاشها في وطنه.

ومن النصوص التي تجسد الجانب الاجتماعي ما جاء في قصيدته التي بعنوان (الأسطوري) (٣٤):

غرفتي هجرتها الفئران
غرفتي المرعبة
لا يسكنها سواي
أنا الأسطوري الخالد....
أخرج مساءً نحو
صديقي الحلاق
والذي لم يخلق شيئاً
سوى حياته
مروراً بصديقي اليوسفي
والذي لم يكن يوسفياً

إلا بيوسفياته...
 لأخرج إلى الشارع
 منتظراً عبور قطيع الماشية
 كي أصل غرفتي
 غرفتي التي هجرتها الفئران
 لا يسكنها سواي
 أنا الأسطوري الخالد
 لم أكن أسطورياً
 يوماً
 إلا أنني كذلك....

يبدأ الشاعر من عنوانه الملفت للنظر (الأسطوري)، من هو الأسطوري؟ يوحي المعنى إلى تمجيد لذات الشاعر، الذي بقي صامداً أمام تحديات الحياة، ليدخل عن طريق وصف غرفته، والمعنى الظاهر عن هجرة الفئران لغرفته المعدمة، لكن هذا المعنى يكمن خلفه معنى آخر، فهذه الهجرة تعني معاني عدة في البنية العميقة، حاول الشاعر عبر المعنى الظاهر أن يعالج قضية اجتماعية شكلت بعداً أساسياً للرؤية الشعرية، وتعرض الشاعر لهذه القضايا من الأمور الطبيعية، التي يكون فيها لكل إيدولوجية رؤية خاصة، تصور عن طريقها قضايا المجتمع، فهجرة الفئران تعني الفقر والحرمان، فهو لا يملك أبسط مقومات العيش (الأكل)، فكما معروف أن الفئران تتواجد في الأماكن التي يتوفر فيها الطعام، وتغادر الأماكن التي تفتقر إلى الطعام، وقد وصف غرفته بالمرعبة ربما تكون مرعبة من حيث فقدانها للإنارة والإضاءة، وربما مرعبة لأنها خالية من أسباب العيش، وعبر عرض الشاعر لحياته، حاول أن يضمها الحياة الاجتماعية التي يحياها أصدقاؤه، والتي توضح علاقته بالصديق كعلاقة اختزال بالتفصيل، إذ توضح ما غمض من معانيه وتلائم العناصر المتضمنة في النص، وضمان ارتباطها ببعضها عن طريق استمرار دلالة معينة في الأجزاء اللاحقة للأجزاء السابقة^(٣٥)، عن طريق ذكر لبعض الحالات، فيصور لنا الوضع الذي يعيش فيه صديقه (جمال الحلاق)، فجمال لم يخلق سوى حياته — (الحلق) قص للشعر، وهذا يتأول في البنية العميقة في اقتصاص الشاعر فترات زمنية حملت وجه السلبية والمعاناة والفقر والحرمان الذي يعيشه أبناء تلك الفترة، ويشير كذلك إلى الحالة التي كان يحياها صديقه (عباس اليوسفي)، وتوظيف حالة هؤلاء لم

٣٥ - ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطاي: ١٤٤-١٤٥.

يكن سوى صورة مصغرة لحالات كثيرة يعيشها أبناء الشعب العراقي، فهذه القصيدة سلطت الضوء على فترة مهمة من فترات المجتمع العراقي خلال عام ١٩٩٨م (فترة الحصار).

ومن قوله أيضاً الذي يحمل دلالة عميقة تضرب في الجانب السياسي^(٣٦) :

ماذا سنفعل بالخيول...

أحلامنا

تجرها

العصافير...

المحور الذي انطلق منه الشاعر محور تساؤلي، وتراه للوهلة الأولى خطاب موجه بصورة اعتيادية، لكن الضربة الشعرية تكمن في تأويل المعنى العام الذي يهدف الشاعر إبرازه للمتلقي، فالمعروف أن الخيول تجر العربات، و ليس الأحلام ، كما أنه كيف يمكن للخيول جرّ ما هو شعوري ؟ فالنص في تأويله يشير إلى تأويلات عميقة مخفية خلف هذه الألفاظ القليلة، لكنها ذات معنى كبير وعميق ممتد للجذر ، فكلما زادت مراوغات النص كلما تراكمت دلالاته ، فثراء النص يعرف بمقاومة التأويل وقدرته على المراوغة، واستجابته المخادعة لأداة النقد، فكلما اعتمد الشاعر على إحدى دلالات النص، تبدد يقين الناقد مع مواصلته التفكيك، فالنص القوي لا يعطي نفسه بسهولة، ولا يبوح بأسراره وشبكة دلالاته، حتى أجد النص أكثر خيانة عندما يمارس غوايته ويتستر على الممنوع والمحرم والمسكوت عنه^(٣٧) ، فالخيل معروفة بالقوة والشجاعة، وفي دلالتها التأويلية تشير إلى الحكام الذين يمتلكون الشجاعة والقوة، والقيادة السليمة، والسيطرة على زمام الأمور، في مقابل تلك القوة نجد الحجم الصغير والبنية الضعيفة في العصفور، وهذه تتأول بالحكام الضعفاء، غير القادرين على قيادة بلدهم إلى الجادة الصحيحة، وفي الدلالة الكلية المعرفية لهذا النص هو السخرية من هؤلاء الحكام وتصغير من شأنهم، وهذا التصغير إنما صادر من تصرفاتهم وأعمالهم التي لا تدل إلا على فراغ عقولهم وسذاجتهم، ونتيجة ذلك باتت أحلام الجماهير صغيرة، لأنه لا يوجد من يتحمل تحقيق هذه الأحلام ما دام الضعف قد دب في مفاصل الدولة من حاكمها، الذي يمثل رأس الهرم في حفظ كيان الدولة وشعبها.

ومن النصوص الشعرية التي تحمل البعد الاجتماعي ما جاء في قصيدته (ظهيرة الانحراف)^(٣٨) :

بلا فصول

٣٦ - هواء قلق : ٨٨ .

٣٧ - النقد النقابي - قراءة في المفهوم والدلالات ، ماجد الغرابوي(مقال) <https://iraqpalm.com/a150>

٣٨ - بحر وقاره بحدوء : ٦٦ .

تخترق ذاكرة الورد

بلا ندى ،

كأن أعوامك الموغلة بالغياب

تختزن الربيع للقادم...

لماذا إذن تحترف البقاء

أسفل الكلمات

وتعجز عن إشهار ذاتك

بوجه الرحيل...؟

بقدر ما يشكل المعنى الظاهر دلالة مباشرة، يشكل المعنى العميق في بنيته دلالة غامضة تحمل عدداً من الاحتمالات تقع وراءه، فقد يجد فيها القارئ نوعاً من العبث اللغوي الذي يأتي به الشاعر في قصيدته، من أجل التغطية على مسألة في غاية الأهمية، وهو في زمن لا يستطيع البوح بما يدور في ذهنه، فيحاول خلق عالم افتراضي له يعمه الكلام، بدلاً من عالمه الذي أصبح الغياب والصمت هو سيد الموقف، عالماً يرى فيه هروباً من مواجهة الواقع، وانتكاسة شخصيته في البنية التأويلية يصور الحالة التي كان يعيش فيها مثقفو العراق خلال فترة التسعينيات من تصدير للحريات ، وفقدان للتعبير ، فيدخل الشاعر في محاورة افتراضية مع صديقه الشاعر (جمال الحلاق) ، ويحاول عبر هذه المحاورة أن يثبت قضية تخص ذاته كما تخص الشعراء الآخرين في بلاده ، الشعراء الذين وقفوا مكتوفي الأيدي عجزت كلماتهم عن هذا الوضع قبل أن تعجز ذواتهم ، حتى فقدت هذه الذات إشهار نفسها ، فلم تجد سوى الرحيل والهجرة من البلاد ، بدلاً من مواجهة نظام لا يعرف سوى سلاح القتل والفتك والبطش.

الخاتمة

توصلت الدراسة - بحمد الله - إلى مجموعة من النتائج يمكن أجمالها بما يأتي :

- يتمركز التأويل في رؤية خاصة، تتمثل هذه الرؤية بعلاقات فاعلة، متشابكة ومتراطة، ضمن حلقة واحدة، تؤدي إلى الكشف عن الذات وعلاقتها بما يحيط بها، لذا يحتل التأويل أكثر من معنى، بحسب رؤية المتلقي للنصوص الأدبية.

- امتلك الشاعر فرج الخطاب رؤية إبداعية، ثقافية، ظهرت عن طريق نتاجه الشعري، الذي ولد من رحم المعاناة، فجاء بمثابة سجل لفترة مهمة من فترات تاريخ العراق.

- تميزت أشعار فرج الخطاب بالكثافة والغموض والاكنتاز، ومسألة الغموض ربما تعود إلى الكتابة بصورة مشفرة حفاظاً على حياته، في ظل نظام قاتل للحريات.

- طغت على المفردات والتراكيب المفارقة والانزياح عن المعاني الحقيقية، إلى معاني ذات أبعاد تأويلية، فضلاً عن الاستعارة والطباق والمساواة والتضاد، في بنية تحمل تأويلاً عميقاً، معبرة عن رؤية عميقة، وذات متألمة.

- اتسعت الأبعاد والانساق والسياقات في احتواء الأفكار والرؤى التي حملها الشاعر فرج الخطاب، فجاءت متنوعة بتنوع القضايا التي تبناها وعبر عنها، ما بين قضايا في الجانب السياسي، وقضايا في الجانب الاجتماعي، فضلاً عن الجانب الأدبي، وقد طرح مادته الشعرية بما يعاني من ألم روحي، وتصوير للجوانب السياسية والثقافية والأدبية، عندما كان متواجداً داخل وطنه، وكذلك استطاع طرح هذه المادة وهو بعيد عن الوطن.

قائمة المصادر والمراجع

الكتب:

- ١- الإتيقان في علوم القرآن ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر محمد السيوطي (ت ٩١١هـ) ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥م.
- ٢- الإحكام في أصول الأحكام ، الإمام العلامة علي بن محمد الآمدي (ت ٦٣١هـ) ، علق عليه : العلامة الشيخ عبد الرزاق عفيفي ، دار الصميعة للنشر والتوزيع ، ط ١ ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- ٣- إشكاليات القراءة وآليات التأويل ، نصر حامد أبو زيد ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط ٤ ، ١٩٩٦م.
- ٤- التأويلية العربية (نحو نموذج تساندي في فهم النصوص والخطابات) : محمد بازي ، الدار العربية للعلوم ، بيروت ، ومنشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط ١ ، ٢٠١٠م.
- ٥- التناسب البياني في القرآن (دراسة في النظم المعنوي والصوتي) : أحمد أبو زيد ، مطبعة النجاح الجديدة ، الرباط - الدار البيضاء ، ١٩٩٢م.
- ٦- دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني بمصر ، ط ٣ ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- ٧- الشعرية وانسجام الخطاب (لسانيات النص وشعرية جان كوهن) : مصطفى جوان ، كنوز المعرفة ، الأردن - عمان ، ٢٠٢٠م.
- ٨- فصل المقال وتقرير فيما بين الحكمة والشريعة في الاتصال ، للقاضي أبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد (ت ٥٩٥هـ) ، قدم له وعلق عليه : د. ألبير نصري نادر ، ط ٢ ، دار المشرق ، بيروت - لبنان.
- ٩- القارئ في الحكاية - التعاضد التأويلي في النصوص الحكائية ، أمبرتو إيكو ، ترجمة أنطوان أبو زيد ، المركز الثقافي العربي ، لدار البيضاء ، ط ١ ، ١٩٩٦م.
- ١٠- لسان العرب ، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري (ت ٧١١هـ) ، دار صادر - بيروت ، ط ١٤١٤هـ.
- ١١- لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ، محمد خطابي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط ١ ، ١٩٩١م.
- ١٢- من دلالات اللون المعجمية والمجازية : وحمد أنور بادشاه ، قسم اللغة والأدب جامعة الدول العربي ، معهد البحوث ، والدراسات العربية - القاهرة - مصر - ٢٠١٨م.
- ١٣- هواء.. قلق ، فرج الخطاب ، منشورات دار ألواح ، مدريد - إسبانيا ، ط ١ ، ١٩٩٩م.

١٤- يجر وقاره بحدوء ، فرج الخطاب ، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع ، بيروت - الصنائع ، ط ١ ،
٢٠٠٢م.

المجلات والدوريات :

١٥- بلاغة الغموض وآليات التأويل للخطاب ، معمر حجيج ، جامعة باتنة ، مجلة الآداب والعلوم
الإنسانية العدد الثامن جوان ٢٠١٢م.

١٦- التأويل وفك خداع اللغة ، بولحية صبرينة (بحث) ، مجلة المعيار ، العدد ١ ، منشورات المركز
الجامعي ، الجزائر ، ٢٠١٠م.

١٧- قصيدة النثر في العراق فرج الخطاب نموذجاً ، د. عباس أجيدي لفته ، مجلة كلية التربية -
جامعة واسط ، العدد الحادي والأربعون ، الجزء الثاني / ٢٠٢٠م.

١٨- نظرية التأويل التقابلي من التأصيل إلى التجريب ، سليمة جلال ، مجلة فتوحات - جامعة
عباس لغرور ، خنشلة ، العدد ٢ ، جوان ٢٠١٥م.

١٩- الهرمنيوطيقا وإشكاليات التأويل والفهم في العلوم الاجتماعية ، د. احمد زايد ، حولية كلية
الإنسانيات والعلوم الاجتماعية - جامعة قطر ، العدد ١٤ ، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

شبكة الإنترنت :

٢٠- أسطورة سيزيف ، لمى الأخرس ، لوسي خير بك ، نبيل سلامة ، هفال يوسف ، ديمة عبود
(مقال)

http://www.maaber.org/issue_october10/mythology1_

٢١- أسطورة سيزيف - المعرفة ، (مقال)

<https://www.marefa.org>

٢٢- الحوار المتمدن ، فرج الخطاب (مقال)

<https://m.ahewar.org/index.asp?i=7566>

٢٣- النقد الثقافي - قراءة في المفهوم والدلالات ، ماجد الغرباوي

<https://iraqpalm.com/a1509>

٢٤- نادي الشعر - يحتفي بالشاعر فرج الخطاب ، الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق (مقطع

على اليوتيوب)

https://youtu.be/sDcQGItQ4xk?si=XcVJPBU_83phBpUe -

دور سعر الصرف في تعزيز القدرة التنافسية السياحية في ايران للمدة

٢٠٢١-٢٠١١

The Role of the Exchange Rate in Enhancing Tourism Competitiveness in Iran for the Period 2011-2021

أ.د. عمار محمود حميد الربيعي^(١)

Prof. Ammar Mahmoud Hamid Al-rubaie(PhD)

امير خضير عباس علي^(٢)

Ameer Khudair Abbas Ali

الملخص

لقد اصبح القطاع السياحي يحظى باهتمام كبير من قبل دول العالم من اجل تحقيق موارد مالية واسعة لما يميز هذا القطاع من حركة ذات سرعة عالية على المستوى الوطني والعالمي واصبحت الدول تسعى للوصول الى درجات عالية في القطاع السياحي من خلال التطوير والاهتمام بالموارد والمقومات التي ترفع من القدرة التنافسية في القطاع السياحي ، وفي هذه الدراسة حاول الباحث تحليل اثر سعر الصرف على القدرة التنافسية السياحية لدولة ايران ومدى تأثير سعر الصرف على مرتبتها علمياً في التنافسية السياحية التي تضمنتها التقارير الصادرة عن المنتدى الاقتصادي العالمي للتنافسية العالمية للسياحة والسفر. وقد استخدم الباحث بيانات المنتدى الاقتصادي العالمي الذي نشر اول تقرير لبيانات القدرة التنافسية السياحية

١- جامعة كربلاء- كلية الادارة والاقتصاد

٢- جامعة كربلاء- كلية الادارة والاقتصاد

لدول العالم عام ٢٠٠٧ وكل عامين ينشر تقريراً وقد تم ذكر ايران من عام ٢٠١١. اذ تبين من تحليل اثر سعر الصرف على مركز ايران من القدرة التنافسية السياحية من خلال أن ارتفاع سعر الصرف الاجنبي يؤدي الى ارتفاع القدرة التنافسية السياحية وانخفاض تكاليف السفر للمسافر اي ان العلاقة بينهما علاقة طردية ، وان لمؤشر القدرة التنافسية السياحية مؤشرات فرعية متمثلة بمؤشر البنية التحتية ، ومؤشر البيئة التمكينية ، ومؤشر الموارد الطبيعية ، ومؤشر التكنولوجيا وغيرها.

الكلمات المفتاحية: سعر الصرف، القدرة التنافسية السياحية.

Abstract

The tourism sector has received great attention from countries around the world in order to achieve extensive financial resources because of the high-speed movement that characterizes this sector at the national and global levels. Countries are seeking to reach high levels in the tourism sector through development and attention to resources and components that increase capacity. Competitiveness in the tourism sector. In this study, the researcher tried to analyze the impact of the exchange rate on the tourism competitiveness of the State of Iran and the extent of the impact of the exchange rate on its global rank in tourism competitiveness included in the reports issued by the World Economic Forum on the global competitiveness of tourism and travel. The analysis of the impact of the exchange rate on Iran's position of tourism competitiveness showed that a rise in the foreign exchange rate leads to an increase in tourism competitiveness, meaning that the relationship between them is a direct relationship, and that the tourism competitiveness index has sub-indices represented by the infrastructure index and the enabling environment index. Natural resources index, technology index, etc

Keywords: Exchange rate, tourism competitiveness

المقدمة

يعد سعر الصرف من اهم المتغيرات الاقتصادية التي لها دور وتأثير واسع على العلاقات الدولية والاقتصادات الوطنية ، و يحتل سعر الصرف حيزاً كبيراً في الدراسات الاقتصادية ، اذ ان له تأثيراً مباشراً على العلاقة بين الاسعار الخارجية والاسعار المحلية ، فهو المحدد الرئيس لأهمية العملة وقوتها الدولية كونها تتمتع بالاستقرار النسبي ولها مكانة مميزة وكبيرة في التجارة الدولية وتحظى بالقبول الدولي ، و يلعب سعر الصرف دوراً حيوياً في الاقتصاد ذلك لان له اثراً كبيراً في تكلفة السلع والخدمات المتبادلة بين الدول مما يكون له دور كبير في القدرة التنافسية الدولية، ويعد احد اهم الادوات التي تجلب المستثمرين والاستثمار الاجنبي للبلد اذ يمكن له ان يجذب المستثمرين او يثير القلق بشأن الاستثمارات المحتملة بسبب ما يحدث له من تقلبات ، وله تأثير بارز في ما يخص معدلات التضخم والاستقرار الاقتصادي ، اذ يمكن ان تسبب

تقلبات سعر الصرف من ارتفاع التضخم والتأثير على القدرة الشرائية للعملة المحلية او يعمل على رفع قوة العملة المحلية ويجعلها ذات قيمة عالمية.

اما بالنسبة للقدرة التنافسية فقد كسب مفهوم القدرة التنافسية اهتماماً كبيراً من المؤسسات الاقتصادية الدولية والاقتصاديين ، وباتت القدرة التنافسية هدف يسعى له الجميع الى تحقيقه ذلك من اجل الوصول الى زيادة المستوى المعيشي لكل فرد في المجتمع بالإضافة الى تحقيق الرفاهية ، اذ تعد التنافسية هي احد المؤشرات للقوة الاقتصادية للدولة ، فأصبحت كل دولة تعمل على إيجاد اساليب فعالة تمكنها من التصدي للتحديات التي تفرضها المنافسة الحالية ، من حيث توفير البيئة المناسبة للتنافس وتوفير الكفاءة في تحفيز الابتكار والابداع وجودة تحسين الخدمات على مختلف القطاعات ومن اهمها القطاع السياحي.

اهمية البحث :

تتجلى اهمية البحث في تركيز الضوء على تحليل دور سعر الصرف في تعزيز القدرة التنافسية السياحية للقطاع السياحي في ايران ، وخلق السياسات التي تقوم بتطوير القدرة التنافسية السياحية في ايران.

مشكلة البحث :

تتمحور مشكلة البحث في التساؤل الاتي (هل ان تغيرات سعر الصرف لها دور في تعزيز القدرة التنافسية السياحية للدولة).

فرضية البحث :

يستند البحث الى فرضية مفادها (ان لسعر الصرف دوراً في تعزيز القدرة التنافسية السياحية في ايران) (عدم وجود دور لسعر الصرف في تعزيز القدرة التنافسية السياحية في ايران)

اهداف البحث :

- ١- ابراز الجانب النظري لسعر الصرف والقدرة التنافسية السياحية.
- ٢- بيان السياسات المتبعة لسعر الصرف والقدرة التنافسية السياحية في ايران.
- ٣- تحليل دور سعر الصرف في تعزيز القدرة التنافسية السياحية في ايران وكيف له ان يرفع من مركزها السياحي بين الدول.

المبحث الاول / الاطار النظري لسعر الصرف والقدرة التنافسية السياحية

اولا : الاطار النظري لسعر الصرف

١- مفهوم سعر الصرف

يقصد بسعر الصرف (هو عدد الوحدات من العملة الاجنبية التي تدفع ثمنا لوحدة واحدة من العملة الوطنية)، وبعبارة اخرى عدد الوحدات التي يمكن مبادلتها من عملة دولة ما بوحدة واحدة من العملة الاجنبية^(٣)، وايضا يمكن تعريف سعر الصرف بأنه (هو سعر عملة واحدة مقابل عملة اخرى)^(٤).

٢- وظائف سعر الصرف

أ. الوظيفة التطويرية **Developmental function**: يستخدم سعر الصرف في

تطوير بعض الصادرات لسلع معينة التي يقل سعرها بالنسبة للأسعار العالمية وهذا يؤدي الى تشجيع هذه الصادرات كما يؤدي سعر الصرف بتعطيل واغلاق بعض الفروع الصناعية او استبدالها بالواردات التي كما قلنا تكون اسعارها اقل من الاسعار الوطنية ومن ثم يؤثر سعر الصرف على التركيب الجغرافي والتركيب السلعي للتجارة الخارجية للبلدان^(٥) ويمكن ضرب مثال على التبادل التجاري بين الولايات المتحدة واليابان فعند زيادة قيمة الدولار مقابل الين الياباني زاد توجه ورغبة الامريكيين على شراء السيارات اليابانية حيث يكون سعرها منخفض مقابل السيارات الامريكية

ب. الوظيفة القياسية **Standard function**: يقصد بهذه الوظيفة هو قياس الاسعار

الوطنية لسلعة ما مع سعر هذا السلعة في الاسواق الاجنبية ، حيث يكون اعتماد التجار والمنتجين على سعر الصرف من اجل معرفة وقياس الاسعار الوطنية لسلعة معينة مع اسعار السوق الاجنبي لهذه السلعة حيث يمثل سعر الصرف بالنسبة للدولار الحلقة التي تربط بين الاسعار العالمية والاسعار الوطنية.^(٦)

ج. الوظيفة التوزيعية **Distributive function** : فكما يمارس السعر داخل

الاقتصاد الوطني ووظيفة توزيعية ، فان سعر الصرف على المستوى الدول يمارس هذه الوظيفة

٣- حمدي عبد العظيم ، الاقتصاد الدولي والاندماج الاقتصادي المعاصر ، ط ١ ، مركز الدراسات الفقهية والاقتصادية ، 2013،

ص114

4- W.charles Sawyer , Richard L. Sprinkle, international economics ,third edition , pearson education inc upper saddle river , united states of America,2009,p 12

٥- عبد الرزاق بن الزاوي ، سعر الصرف الحقيقي ، ط ١ ، دار البازوري العلمية للنشر ، عمان ، ٢٠١٦، ص16-ص17

٦- صابرين عدنان والي ، ليمان علاء كاظم ، اثر تقلبات سعر الصرف للموازنة العامة للعراق للفترة (2004-2018) ، جامعة

القاسم الخضراء ،مجلة حاموراي ، العدد 35، 2020، ص113

ايضاً فالتجارة العالمية من خلال عملية التبادل تقدم للشروات الوطنية وظيفة توزيعية ، ان هناك حالتين في وظيفة سعر الصرف التوزيعية الحالة الاولى عند رفع قيمة عملة البلد هذا يجعل الدول المستوردة تعمل على دفع كمية اكبر على مستورداها وهذه الكمية تعادل نسبة رفع قيمة العملة لذلك البلد المصدر ، وعند حدوث العكس اذا انخفضت قيمة العملة لذلك البلد يؤدي الى دفع كمية اقل على مستورداها.^(٧)

٣- اهمية سعر الصرف

يمكن لنا ايراد مجموعة من النقاط والتي تبين اهمية سعر الصرف وكالاتي :

- أ. يحتل سعر الصرف في السياسة النقدية مركزاً محورياً حيث يمكن استخدامه كأداة او كمؤشر او كهدف لان سعر الصرف يمثل الاسعار والتكاليف سواء كان داخل البلد او خارجه، كذلك يمكن استخدامه كمؤشر على ميزان المدفوعات وعلى تنافسية البلد.^(٨)
- ب. تمثل اسعار الصرف بانها سلسلة تربط بين اقتصاد مفتوح وبقية اقتصادات دول العالم من حيث القدرة التنافسية للاقتصاد وكذلك ميزان المدفوعات ومعدل التضخم والنمو.
- ج. ج- ويمكن اعتبار سعر الصرف بمثابة مرآة تظهر بوضوح العلاقة بين صادرات الدولة ووارداتها، سواء كانت ملموسة أو غير ملموسة.
- د. د- كذلك يمثل سعر الصرف مركز الدولة مع العالم الخارجي في معاملاتها التجارية اذا ما ترك سعر الصرف حراً دون قيود
- هـ. و- السياسة المتبعة لسعر الصرف تكون ذات تأثير كبير على اسعار الصادرات والواردات في التجارة الخارجية بين الدول المتعاملة.^(٩)

٤- اشكال سعر الصرف

- أ. **سعر الصرف الاسمي Nominal exchange rate** :- يعرف سعر الصرف الاسمي بانه السعر الذي تتم به مبادلة عملة بعملة اخرى والذي يتم قياسه وتحديدته بطريقتين اما عن طريق الية العرض والطلب في سوق العملات للدول التي قامت بتحرير اسعار صرف

٧- سلام كاظم شاني الفتلاوي , ايهاب علي داوود النواب , استخدام متجه الانحدار الذاتي لقياس دور سعر الصرف في التضخم والنمو الاقتصادي -العراق حالة دراسية 2017-1988, مجلة اهل البيت , العدد 28, العراق , ص243.

٨- رائد عبد الخالق , واخرون , التمويل الدولي , دار الايام للنشر والتوزيع , الاردن , 2013, ص91

٩ - ابراهيم المصري , الاقتصاد الدولي , ط ١ , طباعة ونشر والتوزيع دار الحكمة , مصر , 2013, ص23

عملاتها المحلية , او بشكل مباشر عن طريق قرار السلطات النقدية للبلدان التي لاتزال حكوماتها تعمل على ممارسة الرقابة على اسعار الصرف. (١٠)

ب. **سعر الصرف الحقيقي Real exchange rate** :- يقصد به عدد الوحدات من

السلع الاجنبية اللازمة لشراء وحدة واحدة من السلع الوطنية ، ومثال على ذلك ان زيادة معدل الصادرات بالمزامنة مع ارتفاع تكاليف السلع المصدرة بالنسبة نفسها سوف لا يشجع بزيادة الصادرات لان هذا الارتفاع بتكاليف عناصر الانتاج لا يؤدي الى زيادة الارباح للمصدرين. (١١) ويتبع سعر الصرف الحقيقي من خلال سعر الصرف الاسمي معدلا بمقدار فروق الاسعار الدولية, (١٢) ويعد سعر الصرف الحقيقي احد مقاييس القدرة التنافسية للسلع , إذ إن العلاقة بين سعر الصرف الحقيقي والقدرة التنافسية علاقة عكسية فتتجاوب القدرة التنافسية عكسيا مع سعر الصرف الحقيقي كذلك يتأثر عكسيا مع السعر العالمي وطرديا مع الاسعار المحلية وعكسيا مع سعر الصرف الاسمي. (١٣)

ج. **سعر الصرف الحقيقي الفعلي Actual real exchange rate** :- يمكن بيان

هذا النوع من سعر الصرف بانه سعر يجمع بين سعر الصرف الاسمي وسعر الصرف الحقيقي ويمثل السعر المتوسط لأسعار عدة صرف ثنائية ، فلا بد وان يخضع هذا المعدل الاسمي للتصحيح وازالة الاسعار النسبية من اجل ان يكون سعر الصرف هذا مؤشراً يدل على تنافسية البلد اتجاه الدول الخارجية (١٤). وان تغير معدل الصرف الحقيقي الفعال يكون انعكاسا لمدى التحسن او هبوط وتدهور قيمة العملة الوطنية مقارنة لسلة من العملات الاخرى وبالخصوص عملات الدول التجارية او الشركاء التجاريين. (١٥)

ثانيا : الاطار النظري للقدرة التنافسية السياحية

١ - مفهوم القدرة التنافسية يمكن تعريف القدرة التنافسية بانها (مقدرة المنظمة على تخفيض وتقليص

كلفتها الكلية وامكانها تحقيق الارباح والعوائد على الرغم من تخفيض السعر مقارنة بالمنافسين

١٠ - محمد غياث شيخة ، التمويل ، دار رسلان ، دمشق ، 2021، ص172

١١ - فاروق بن صالح الخطيب ، واخرون ، دراسات متقدمة في النظرية الاقتصادية الكلية ، جدة ، 2013، ص285

١٢ - بيرجيت ستراكنبروك ، ترجمة هاني صالح ، الاقتصاد اليوم كيف يعمل ، ط١ ، العبيكان للنشر ، الرياض ، 2008، ص489

١٣ - سعد طه علام ، التنمية والمجتمع ، ط١ ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 2006، ص299

١٤ - علي سيد سماعيل ، معجم مصطلحات المصرفية الاسلامية والمعاملات المالية المعاصرة ، ط١ ، دار حميثرا للنشر والترجمة ،

مصر ، 2019، ص183

١٥ - عادل المهدي ، واخرون ، محددات معدل الصرف الاجنبي الحقيقي الفعال في الاقتصاد المصري ، المجلة العلمية للبحوث

والدراسات التجارية ، المجلد 37 ، العدد الاول ، القاهرة ، 2023، ص987

الآخرين وبذلك تكون قد حققت الميزة التنافسية من خلال توفير قيمة أكبر ومنتجات أرخص للزبون).^(١٦)

٢- أهمية القدرة التنافسية

أ. ان القدرة التنافسية معيار ايجابي على ان المنظمة في مركز قوي في السوق وذلك من خلال حصول هذه المنظمة على حصة في السوق تكون أكبر من منافسيها ، ويعني ذلك انه سيكون لها زبائن أكبر وأكثر رضاً وولاء من بقية المنافسين ، ويؤدي ذلك الى ان الزبائن يكونون اقل عرضة لعروض هؤلاء المنافسين من جهة وكذلك ارتفاع المبيعات والارباح من جهة اخرى.^(١٧)

ب. تمثل القدرة التنافسية مؤشراً أكثر أهمية للمنظمات الناجحة وذلك لوجود نماذج جديدة للميزة التنافسية بشكل مستمر لان النماذج القديمة اصبحت متاحة ومعروفة ومتواجدة بكثرة والمنافسين على علم تام بها.

ج. مثل القدرة التنافسية احد العوامل المهمة لإنتاجية وعمل المنظمات على اختلاف انواعها وذلك لتفاعل سائر العوامل والمتغيرات لدعم الميزة التنافسية ولأنها الاساس الذي تصاغ حوله الاستراتيجية التنافسية.^(١٨)

د. ان التنافسية اصبحت ترسخ مبدأ الجودة والتميز حيث لم تعد مجرد الانتاج باقل التكاليف وهو ما يسمح ويقبل بالمنافسة حتى اذا ارتفعت التكاليف حيث تحتاج تلك الجودة والتنوع الى موارد بشرية كفؤة تستطيع ان تسيطر على التكلفة والانتقان وابداع اشكال التميز في المنافسة.

هـ. مثل التنافسية الوسيلة الرئيسة للدول النامية والمتقدمة وذلك لزيادة التحديات بينهم الامر الذي اصبحت من خلاله التنافسية موضع الاهتمام من قبل الدول والمنظمات الدولية.^(١٩)

١٦ - ثامر البكري ، احمد هاشم السقال ، التحليل الاستراتيجي والميزة التنافسية ، الطبعة العربية ، دار امجد للنشر ، عمان ، 2015، ص113

١٧- احمد فتحي عبد المجيد قاسم ، القدرة التنافسية للاعمال والازدهار الاقتصادي المستدام في البلدان العربية ، ط ١ ، المركز العربي للابحاث ، بيروت ، ٢٠٢٢ ، ص٢١٧.

١٨- د. سعدون حمود جثير الربيعاوي ، واخرون ، ادارة التسويق اسس ومفاهيم معاصرة ، ط ١ ، دار غيداء للنشر والتوزيع ، الاردن ، 2015، ص561 ،

١٩- فريجة ليندة ، خروف منير ، عوامل تعزيز القدرة التنافسية للقطاع السياحي في الجزائر ، مجلة معهد العلوم الاقتصادية ، المجلد 23 ، العدد 02 ، الجزائر 2020، ص29

٣- مفهوم القدرة التنافسية السياحية

تعرف القدرة التنافسية السياحية بأنها السمات والقدرات الداخلية التي تتمتع بها الدولة وتهدف الى تعزيز رفاهية السكان وتتمتع بوجود اعداد كبيرة من السياح القاصدين اليها مقارنة بالدول المنافسة الاخرى، كذلك تعرف بأنها (القدرة على زيادة الإنفاق السياحي، وجذب الزوار بشكل متزايد مع تزويدهم بتجارب مرضية لا تنسى، والقيام بذلك بطريقة مربحة، مع تعزيز رفاهية السكان والحفاظ على رأس المال الطبيعي لوجهة الأجيال).^(٢٠)

٤- مؤشرات القدرة التنافسية السياحية

أ. **مؤشر البيئة التمكينية Enabling environment indicator**: يتفرع من هذا المؤشر خمسة مؤشرات مهمة للقدرة التنافسية السياحية ومن هذه المؤشرات هي بيئة الاعمال ، والامن والسلامة ، كذلك الصحة والنظافة ، وسوق العمل والموارد البشرية ، وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات ، اذ تبين هذه المؤشرات مدى القدرة التنافسية السياحية للدولة مقارنة بالدول الاخرى^(٢٢).

ب. **مؤشر البنية التحتية Infrastructure index** : يعد مؤشر البنية التحتية مهماً لقطاع السياحة بشكل كبير حيث ان اهم ما يميز الدول السياحية هي البنية التحتية للنقل البري والجوي والبحري ، ويبقى النقل الجوي مفضلاً بشكل كبير اذ جاء في تقارير منظمة السياحة العالمية ان السياح يستخدمون النقل الجوي بحوالي 45% وان لكل نوع من انواع النقل يقاس من خلال مؤشرات تكون خاصة به وكذلك الحال بالنسبة للنقل الجوي يقاس من خلال عدد المطارات وجودتها وعدد الرحلات الدولية وعدد شبكات الطيران. ومن جهة اخرى من الضروري وجود البنية التحتية للخدمات السياحية مثل الفنادق والغرف الفندقية في المنتجعات وضرورة وجود شركات تأجير السيارات والشقق السكنية وبذلك فان مؤشر البنية التحتية مهم جدا لرفع درجة القدرة التنافسية داخل البلد.^(٢٣)

20- Jorge ridderstaat , and others ,extending ourismcom petitiveness to human development, article in annals of tourism research, 2019 ,p2

21 - Goffi gianluca, A model of tourism destination competitiveness, turismo y sociedad, vol 14 , colombia, 2013,p123

٢٢- مصعب عبد العالي ، عدنان فرحان عبد الحسين ، تحليل وقياس مؤشرات تنافسية القطاع السياحي في دول مختارة للمدة 2007 - 2019) ، مجلة العلوم الاقتصادية ، المجلد 18 العدد 68، البصرة ، 2023

٢٣- عبد السلام محمد احمد ، التخطيط للسياحة المستدامة وانعكاسها على قدرتها التنافسية في المناطق شبه الصحراوية ، المجلة الالكترونية الشاملة ، العدد 15 ، ليبيا ، 2019، 14

ج. مؤشر سياسات السياحة والسفر والظروف المناسبة **Tourism and travel policies index**

يرتكز هذا المؤشر على قياس درجة القدرة التنافسية للدولة بالاهتمام بالسياحة والسفر وجعلها من اولوياتها كذلك قوة جواز السفر للدولة والانفتاح الدولي من جهة كذلك تاثيرات السفر التي تقدمها الى الاجانب بالاضافة الى عدد الدول التي يمكن لسكانها الدخول الى هذه الدولة بدون فيزا. ونرى ان الدول العربية تمتلك قوة تنافسية بالاسعار مثل اسعار الفنادق والتذاكر التي تعتبر منخفضة جدا اذا ما قورنت بالدول الاخرى وخاصة الدول الاوربية كذلك انخفاض اسعار الوقود والتكاليف المعيشية التي يكون تأثيرها مباشراً على السفر. (٢٤)

د. مؤشر الموارد الثقافية والطبيعية **Index of cultural and natural resources**

يتكون هذا المؤشر من عنصرين هما الموارد الطبيعية والموارد الثقافية

- المورد الطبيعي: هو الذي يزيد من القدرة التنافسية للدولة في جذب السياح اليها من خلال عدد المناطق والمواقع الطبيعية التي تكون مسجلة في التراث العالمي كذلك اعداد المحميات الطبيعية الموجودة في تلك الدولة , بالاضافة الى وجود انواع الطيور والبرمائيات المسجلة والمعروفة عالمياً وأيضاً جودة الطبيعة بجانب , وكل هذه الميزات التي يجب ان تتوفر في البلد السياحي تعطي قدرة تنافسية عالية للدولة وتجعلها منطقة جذب سياحي كبير. (٢٥)

- الموارد الثقافية: تعد الموارد الثقافية لاي دولة سياحية مهمة اذ تعتمد على عدد المناطق الثقافية التي تسجل في التراث العالمي وعدد المعارض وعدد الملاعب الرياضية والمؤتمرات السنوية, بجانب عدد الندوات الثقافية كذلك وجود الاماكن التاريخية والمواقع الاثرية والدينية والمتاحف وتعد سياحة المناطق التاريخية والثقافية دائمية اذا توفرت الظروف المناخية لحركة السياح وتنقلاتهم بالاضافة الى وجود الامن والسلامة. (٢٦)

٢٤- كمال شريط , مصدر سابق , ص225

٢٥- اسماء سلحة , زينب حمدي , مؤشرات السياحة والسفر للجزائر وفق تقرير تنافسية السياحة والسفر , مجلة الاجتهاد للدراسات القانونية والاقتصاد , المجلد: 09 العدد: 03 , الجزائر , 2020, ص 459-461

٢٦- احمد عبد الشافي سالم , تقييم القدرة التنافسية للقطاع السياحي المصري , المجلة العلمية لجامعة ١٦ أكتوبر , مجلد 4 العدد 1,

مصر , 2017, ص71

المبحث الثاني / السياسات المتبعة لسعر الصرف والقدرة التنافسية السياحية في ايران

اولا : السياسات المتبعة لسعر الصرف في ايران

خلال المدة من عام ٢٠٠٢ الى عام 2018

وفي سنة 2002 ادى تنفيذ سياسة توحيد سعر الصرف من خلال استخدام الدعم المالي من احتياطات البنك المركزي من النقد الاجنبي الى تقليل وتقليص الفجوة بين سعر الصرف الحر والرسمي بشكل كبير للغاية بالإضافة الى توفير استقرار نسبي في سوق الصرف الاجنبي , وقد تحملت الدولة التكلفة الكاملة لفرق سعر الصرف الناشئ عن توحيد بعض الواردات. بدأ سعر الصرف الحقيقي في السوق في الارتفاع لمدة عامين وانخفض على مدى السنوات الثلاث التالية, علاوة على ذلك، خلال هذه الفترة، شهد سعر الصرف الرسمي الحقيقي انخفاضاً مستمراً , وأعلنت حكومة خاتمي سياسات جديدة لسعر الصرف من خلال توحيد سعرين في عام 2001 واستمر حتى عام 2010. (٢٧)

وخلال الفترة (2001-2010) والتي تشمل الولاية الثانية لحكومة خاتمي والسنوات الخمس الأولى لحكومة أحمددي نجاد (2005-2013)، استمر سعر الصرف في الانخفاض وقد يشير انخفاض أسعار الصرف إلى تأثير معدلات التضخم المكونة من رقمين على أسعار الصرف الحقيقية اذ تتعرض أسعار الصرف لضغوط نتيجة انخفاض أسعار النفط وزيادة العقوبات الاقتصادية المرتبطة بالبرنامج النووي التي ادت الى ارتفاع التضخم ومن أجل السيطرة على التضخم المرتفع والآثار السلبية لأسعار الصرف المرتفعة على واردات رأس المال والسلع الأساسية، واصل الرئيس أحمددي نجاد الحفاظ على سياسة سعر الصرف الرسمي الاسمي الثابت وهي السياسة التي جلبت حوافز جديدة لتشكيل سوق سوداء للعملات الأجنبية، (٢٨) وحتى نهاية حكومة أحمددي نجاد واصل سعر الصرف الرسمي الحقيقي اتجاهه الهبوطي على وشك تسجيل معدلات تضخم مرتفعة بينما ارتفع سعر السوق بشكل حاد، و تم بعد ذلك اعتماد سعر الصرف العائم المدار من قبل البنك المركزي الايراني في سنة 2011 الذي يوجه 90% واكثر من العملة الصعبة الى الاسواق المحلية والذي يسمى بنظام (التعويم الموجه) وذلك من اجل دعم سعر موحد مقابل العملات الاجنبية وهذا

27 - IMF ،Oya Celasun ، Exchange Rate Regime Considerations in an Oil Economy: The Case of the Islamic Republic of Iran ،2003 ، p5.

28 - Hossein tavakolian ، Ilnaz Ebrahimi ، Exchange Rate Policy of Iran ، money and Economy ، vol 6 ، no 2 ، Iran ، 2012 ، p53.

ممكن البنك المركزي من تنظيم وإدارة السوق وكذلك ربط الاسعار بالمعدلات التي تقوم باستهدافها بالاعتماد على احتياطياتها من العملات الاجنبية وكذلك شراء وبيع العملات الاجنبية في الاسواق. (٢٩)

وخلال الأشهر الثمانية الأولى لعام عام 2018، وصل سعر صرف السوق غير الرسمية إلى أكثر من 120 ألف تومان مقابل دولار، وهو ما يظهر زيادة بأكثر من 180٪ في 8 أشهر. ولكي تتم السيطرة على الزيادة المستمرة لسعر الصرف وامتداده إلى أجزاء حقيقية ونقدية أخرى من الاقتصاد، أعلنت الحكومة الإيرانية عن نظام جديد يسمى نظام عملة المعاملات الجديد وحثت جميع الوكلاء الاقتصاديين على مواجهة نظامين جديدين. (٣٠) آلية سعر الصرف الطبقة. وفقاً لهذه الآلية ذات المستويين، والتي بدأت في أبريل 2018 تقريباً، كان سعر السوق غير الرسمي (أو سعر السوق الحرة) والسعر الثابت البالغ 42,000 تومان لكل دولار يعاملان في وقت واحد. وقد تم تخصيص السعر المدعوم أو الثابت لاستيراد السلع الأساسية (بما في ذلك المواد الغذائية والزراعة والسلع الوسيطة والأدوية وغيرها). كان على الأشخاص الذين يحتاجون إلى العملات الأجنبية الصعبة لأنواع أخرى من المعاملات استخدام سعر السوق الحرة، إذ استخدمت إيران سياسة تحرير سعر الصرف بهدف مواجهة الازمة الاقتصادية فأعطت التومان بالتعامل بحرية في تحديد قيمته. (٣١)

يحتفظ البنك المركزي الإيراني بنظام سعر صرف مزدوج المستوى. ويستخدم المعدل الثابت البالغ 42,000 تومان إيراني لكل دولار أمريكي في عام 2020 لتمويل واردات السلع الأساسية، مثل الغذاء والدواء، وفي عام ٢٠٢١ استخدمت إيران العملات الالكترونية كسياسة لتجاوز العقوبات المفروضة عليها من قبل الولايات المتحدة. (٣٢)

في عام ٢٠٢٣، واجهت إيران تحديات كبيرة في إدارة سعر صرف الريال نتيجة لعدة عوامل اقتصادية وسياسية. أدى تدهور سعر صرف الريال الإيراني بشكل ملحوظ، حيث تراجعت قيمته مقابل الدولار الأمريكي بنسبة تصل إلى ٥٥% خلال الأشهر الأولى من العام، حيث وصل إلى أكثر من ٥٥٠,٠٠٠

29- Naghshineh-Pour Amir , An Estimate for the Real Foreign Exchange Rate in Iran , Vesta Capital LLC , Iran , 2012, p1.

30- Dr.Mohsen mohammadi , Exchange Rate pass-through to price indices in Portugal , e-journal of International Relations , vol 12 , United Kingdom , 2021 , p145.

31 -Murat Aslan ,Exchange Rates in Iran: Past, Present and Future ,Center for Iranian Studies Ankara.vol107, Turkiye ,2018,p. Multi

٣٢- منظمة الاغذية والزراعة للامم المتحدة , تقرير التوقعات بخصوص المحاصيل وحالة الغذاء , ٢٠٢٤ , متوفر على شبكة الانترنت

نت على الرابط :

<https://www.fao.org/giews/countrybrief/country.jsp?code=IRN&lang=es>

ريال للدولار. يساهم هذا التراجع إلى حد كبير في ارتفاع معدلات التضخم، التي تؤدي بدورها إلى زيادة تكاليف السلع المستوردة، مما يخلق عبئاً على المستهلكين الإيرانيين. واجهت السياسة النقدية في إيران تحديات بسبب العقوبات الاقتصادية التي تعرقل الإيرادات الأجنبية، مما يزيد من الضغط على سعر الصرف. وقد بذلت الحكومة الإيرانية جهوداً لتحقيق استقرار الريال من خلال خطة جديدة، تشمل تحديد سعر الصرف في السوق الرسمية، إلا أن هذه الإجراءات لم تحقق الاستقرار المتوقع على الرغم من محاولات البنك المركزي السيطرة على التضخم والحد من تدهور العملة.^(٣٣)

ثانياً: السياسات السياحية المتبعة في إيران

- المرحلة الأولى التي تمتد (2005-2020)

قامت الحكومة الإيرانية بالعديد من السياسات والاجراءات التي دفعت قطاع السياحة الى الامام حيث عملت الحكومة الايرانية على تطوير البنى التحتية من طرق واماكن استراحات بالإضافة الى كثير من الفنادق والشقق السكنية , والتدريب والتأهيل للعاملين في السياحة ذلك من اجل تقديم خدمات جيدة وذات جودة عالية وتجربة ممتازة للسائحين ذلك من خلال عمل دورات وندوات تعليمية تقوي من السياحة في ايران حيث ادى ذلك الى زيادة الوافدين وكذلك تحسين نمط الحياة وزيادة وتطوير الرفاهية اذ عمل ذلك على زيادة القدرة التنافسية للسياحة الداخلية وخاصة السياحة الدينية ,^(٣٤) واحتلت ايران في سنة 2006 المرتبة 70 عالميا والمرتبة 13 بين الدول الاسلامية لعدد الوافدين الى ايران من اجل السياحة حيث وصل عدد السياح ما يقارب 700000 واحتلت المرتبة 77 فيما يخص عائدات السياحة التي وصلت الى 477 مليون دولار.^(٣٥)

وبعدما اتفقت ايران في سنة 2015 مع القوى العالمية الست بشأن البرنامج النووي الايراني قللت الحكومة الايرانية متطلبات التأشيرة وقامت بعمل تأشيرات عند الوصول للمسافرين من معظم البلدان وكان نتيجة هذه التغييرات ازداد النشاط السياحي في ايران وازداد عدد السياح الى نحو 5 ملايين سائح ولكن مع الامكانيات التي تمتلكها ايران يعد هذا العدد قليلا , وفي عام 2016 احتلت ايران المرتبة 34 من خلال

٣٣ - عباد عبادي , هناك ازمة في سوق الصرف الاجنبي في ايران , المجلس الاطلسي , ٢٠٢٣ .

<https://www.atlanticcouncil.org/blogs/iransource/theres-a-forex-market-crisis-in-iran-the-root-cause-of-its-problems-is-the-clerical-establishment/>

34- Roxana Faghri , Tourism Planning and Policy making of the Islamic Republic of Iran , Master Thesis , Lule University of Technology , 2008 , p14.

٣٥ - حسن ذو الفقاري , الامكانيات والقيود في ايران لتطوير قطاع السياحة , ندوة دولية حول الجغرافيا والبيئة والثقافة ,

٢٠١٠ , ص ٢ على الرابط

<http://web.deu.edu.tr/geomed2010/2007/Zolfaghari.pdf>

مساهمة السياحة في الناتج المحلي الاجمالي لكنها اقل من بعض الدول المجاورة مثل الامارات العربية المتحدة التي احتلت المرتبة 21 وتركيا التي احتلت المرتبة 14. (٣٦)

وفي سنة 2020 قامت الحكومة الايرانية ببعض السياسات والتدابير من اجل التخفيف من تأثيرات جائحة كورونا على قطاع السياحة حيث كان هدف هذه السياسات هو حماية القوى العاملة داخل الدولة من فقدان عملهم قدر الامكان وبعد تفشي هذه الظاهرة قامت الحكومة بفرض قيود على السفر والعمل بالحجر الصحي وهذا من شأنه ان يقلل من حجم النشاط السياحي للبلد وهذه الاجراءات عملت بما معظم الدول. (٣٧)

- المرحلة الثانية ٢٠٢١ - ٢٠٢٣

على الرغم من تمتع إيران بالعديد من المعالم السياحية في مختلف المجالات الطبيعية المتمثلة بالغابات والانهر والبحار وخاصة مناطق شمال ايران بالإضافة الى السياحة الدينية في ايران أنها أيضًا تحتل المرتبة 18 في العالم من حيث عدد السكان والاقتصاد ولها مكانة فريدة في خريطة السياحة العالمية. (٣٨)

ومع وصول الحكومة الإيرانية الجديدة إلى السلطة في أغسطس 2021 وحملة التطعيم، استأنفت صناعة السياحة عملياتها بعد توقف دام عامين. وتشمل الخطوات الأولى تطعيم العاملين في مجال الضيافة والسياحة، وإعطاء الأولوية للإقامة والفنادق، وتنفيذ سياسات السياحة الاستراتيجية مع الالتزام بالبروتوكولات الصحية. على الرغم من الانكماش الأولي في عام 2021، شهدت الصناعة السياحية تحسنا ملحوظا. وفي الربع الأخير من عام 2021، انتعشت صناعة السياحة الإيرانية بنسبة 40%، حيث ضخ السياح الأجانب 2.5 مليار دولار في الاقتصاد خلال هذه الفترة. (٣٩) وهذا يفوق النمو العالمي الذي بلغ 21.7% خلال الفترة نفسها. واكتسب هذا الانتعاش زخماً، خاصة في الربع الأول من عام 2022، مع رفع القيود على تأشيرات السياحة الأجنبية. وبجهود مشتركة بين وزارة الثقافة والتراث ووزارة الخارجية، تمت استعادة طرق السياحة الداخلية. تُظهر صناعة السياحة الإيرانية مرونة وثمناً، مما يشير إلى مسار إيجابي لاقتصاد البلاد والمشاركة العالمية في حقبة ما بعد الوباء. (٤٠)

36- Fahimeh Hateftabar , Previous source , p24

٣٧- تقرير منتدى الاقتصاد العالمي 2011 the travel & tourism competitiveness report

٣٨- مصادر سابق نفسه

39 - Fahimeh Hateftabar , the Study of Development in Tourism Industry. Iran as a Destination With Special attributes , Doctoral thesis ,Universite Of Paris , 2020 , p23

٤٠- احمد اميري , السياحة الى اين , ايران يوميا , ٢٠٢٢ , متوفر على شبكة الانترنت على الرابط :

<https://newspaper.irandaily.ir/7386/5/4874>

وقد بلغت حصة القطاع السياحي من الناتج المحلي الاجمالي الايراني ٤ مليار دولار %2.4 ومن المتوقع ان ترتفع الى %4 في عام 2023 وفقا لإحصائيات (منظمة التراث الثقافي)* وقبل الثورة كانت ايران احد افضل الدول في العالم بالجانب السياحي لكنها تناقصت بعد الحرب العراقية الايرانية وتعتبر ايران الدولة ذات المساحة الكبيرة وذات المعالم الثقافية والطبيعية المتنوعة وانها من أوائل البلدان في الشرق الأوسط والعالم التي سعت إلى استغلال صناعة السياحة وتطويرها ، ولهذا الغرض وضعت السياسات والتشريعات والمؤسسات والخطط، ولكن حتى الآن لم يكن الأمر كذلك ولم تصل الى التطور والتقدم المطلوب فلقد تأثرت صناعة السياحة في إيران بالسياسة أكثر من أي شيء آخر، ومرت بالعديد من التقلبات وفقاً للتطورات السياسية وقد أصبحت هذه القضية أكثر تأثيراً في مدة ما بعد الثورة الإسلامية في إيران فقد تطورت الامور السياسية في ذلك الوقت وكان تأثيره كبيراً على السياحة.^(٤١)

المبحث الثالث : تحليل تطور العلاقة بين سعر الصرف والقدرة التنافسية السياحية

في ضوء الجدول (١) بلغ سعر الصرف 10,616 تومان لكل دولار في عام 2011 وقد احتلت ايران المرتبة 114 عالميا في عام 2011 في المؤشر العام لتنافسية القطاع السياحي من مجموع 139 دولة مشاركة في التقرير اما بالنسبة للمؤشرات الفرعية اذ احتلت ايران المرتبة 131 لمؤشر البيئة التمكينية واحتلت المرتبة 103 لمؤشر البنية التحتية وبالنسبة لمؤشر الموارد الطبيعية والثقافية احتلت ايران المرتبة 91 ، اما في سنة 2013 نجد ان سعر صرف الدولار امام التومان قد ارتفع (انخفاض قيمة التومان) ليصل الى 18,414 تومان للدولار الواحد وهذا بدوره ادى الى ارتفاع المؤشر العام للتنافسية السياحية لتصل الى المرتبة 98 ، وفيما يخص المؤشرات الفرعية فقد احتلت ايران لمؤشر البيئة التمكينية لتصل الى الرتبة 112 اي انها تقدمت ب19 رتبة ، اما مؤشر البنية التحتية لإيران فقد وصلت الى الرتبة 96 أي انها تقدمت ب7 رتب ، كذلك الحال بالنسبة لمؤشر الموارد الطبيعية والثقافية ايضا وصل الى الرتبة 74 أي انه تقدم ب23 رتبة ، اما في سنة 2015 نلاحظ ان سعر صرف الدولار للتومان قد ارتفع ايضا ليصل الى 29,011 تومان للدولار الواحد أي ان التومان الايراني قد انخفض عن المستوى الذي كان عليه في سنة 2013 ، فقد بلغت رتبة المؤشر العام للقدرة التنافسية السياحية لإيران الرتبة 97 اذ ارتفعت برتبة واحدة عما كانت عليه في سنة 2013 بالإضافة الى المؤشرات الفرعية اذ تقدمت رتبة ايران لمؤشر البيئة التمكينية فقد وصلت الى الرتبة 96 أي انها تقدمت ب 17 رتبة عن سنة 2013 وبقيت رتبة مؤشر البنية التحتية

41- Ali jafari najadi , Tourism Marketing of iran, cross cultural Management journal , Volume 22 , Issue 2, india ,2020,p146

*هي منظمة حكومية دولية تأسست في عام ١٩٩٥ تعمل في خدمة الدول الأعضاء على تعزيز عملية صون وإعادة التأهيل لكافة أنواع التراث الثقافي في كل منطقة من العالم.

على ما هي عليه دون تغير اذ بقيت عند الرتبة 96 اما مؤشر الموارد الطبيعية والثقافية تقدم ب16 رتبة ليصل الى الرتبة 57, وفي عام 2017 نجد ان سعر الصرف للدولار قد ارتفع الى 33,226 تومان للدولار الواحد ونلاحظ ان التومان بقي متواصلاً بالهبوط والانخفاض ونجد في الوقت ذاته ان ايران وصلت عند الرتبة 93 لمؤشر القدرة التنافسية السياحية لسنة 2017 وقد تقدمت بأربع رتب , وبالنسبة للمؤشرات الفرعية فقد وصل مؤشر البيئة التمكينية الى الرتبة 73 اذ تقدم ب23 رتبة عن ما كان عليه في سنة 2015 اما مؤشر البنية التحتية فقد احتلت ايران المرتبة 74 بعدما كانت عند الرتبة 96 في عام 2015 تقدمت ب 22 رتبة بالإضافة الى مؤشر الموارد الطبيعية والثقافية اذ احتلت ايران الرتبة 69 حيث تراجعت في هذا العام بعدما كانت متقدمة ب12 رتبة في عام 2015, وفي عام 2019 فقد استمر سعر الصرف للدولار بالارتفاع حيث وصل الى 42,000 تومان للدولار الواحد فقد بقي التومان يتراجع واحتلت ايران الرتبة 89 في عام 2019 للمؤشر العام للقدرة التنافسية أي انها تقدمت ب اربع رتب , وبالنسبة للمؤشرات الفرعية تراجع مؤشر البيئة التمكينية عشر رتب اذ وصل الى 83 , وكذلك الحال بالنسبة لمؤشر البنية التحتية الذي تراجع ايضا ليصل الى الرتبة 94, ان مؤشر الموارد الطبيعية والثقافية تقدم بحوالي 12 رتبة اذ احتل الرتبة 57, اما في عام 2021 بعد جائحة كورونا (تم نشر تقرير للمنتدى الاقتصادي العالمي بعنوان مؤشر تنمية السياحة والسفر (TTDI) وهو تطوير وتحديث لمؤشر التنافسية السياحية (TTCI) حيث تم نشر ذلك بسبب جائحة كورونا، التي تسببت بغلق الطرق والحدود الدولية وانخفاض مستوى السياحة بشكل حاد)، ففي عام 2021 استقر عند 42,000 تومان لكل دولار، اما مؤشر تنمية السياحة والسفر بلغ 58 وهي اعلى من المركز السابق , كذلك بالنسبة للمؤشرات الفرعية لمؤشر البيئة التمكينية اذ بلغت في هذا العام المرتبة 80 بعد ما كانت تبلغ المرتبة 83، وبالسبة لمؤشر البنية التحتية احتلت المرتبة 90، واحتل مؤشر الموارد الطبيعية والثقافي المرتبة ٥٥ , وبالنسبة لعام 2023 لم يتم نشر تقرير للتنافسية السياحية الى الان من قبل المنتدى الاقتصادي العالمي، ومن خلال هذا التحليل للبيانات تبين ان لسعر الصرف تأثيراً كبيراً على القدرة التنافسية السياحية اذ نلاحظ ان القدرة التنافسية السياحية لدولة ايران ترتفع مع انخفاض وتراجع سعر الصرف الخاص بعملتها مقابل الدولار أي ان السياحة في ايران تكون ارخص في حال انخفاض سعر صرفها حيث تنخفض اسعار السلع بالنسبة للسياح الاجانب اذ تنخفض القدرة الشرائية في ايران وترتفع القدرة الشرائية للسياح الوافدين الى ايران.

(سعر الصرف ومؤشرات القدرة التنافسية السياحية في ايران للمدة من ٢٠١١-٢٠٢١)

الجدول (١)

السنة	سعر صرف الدولار امام التومان	المؤشر العام للتنافسية السياحية	اتجاه المؤشر	البيئة التمكينية	البنية التحتية	الموارد الطبيعية والثقافية
2011	10,616	114	-	131	103	91
2013	18,414	98		112	96	74
2015	29,011	97	↑	96	96	57
2017	33,226	93	↑	73	74	69
2019	42,000	89		83	94	57
2021	42,000	85	↑	80	90	55

1- Jennifer Blank, Thea Chiesa, The Travel & Tourism Competitiveness world Economic Forum, Geneva (2011,2013,2015,2017,2019)

2- Gomez pensado , the Travel and Tourism Development Index Geneva 2021

المصدر/ الجدول من اعداد الباحث بالاستناد الى:

3- البنك الدولي مؤشر سعر الصرف على الرابط

<https://data.albankaldawli.org/country/%D8%AA%D8%B1%D9%83%D9%8A%D8%A7>

ملاحظة

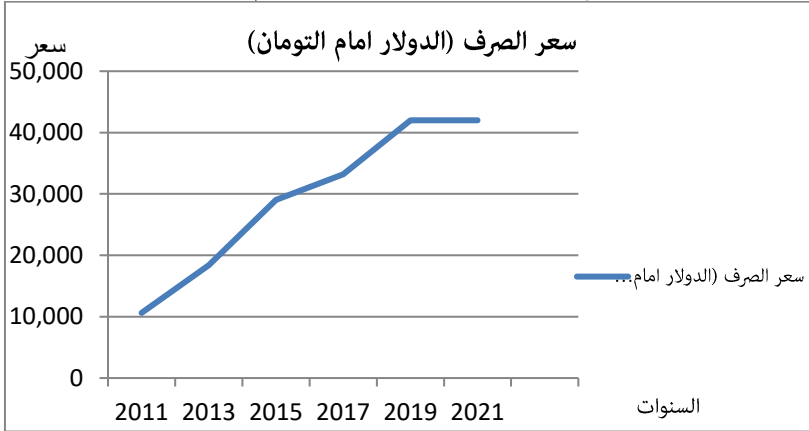
١- عام ٢٠٢١ تمثل مؤشر التنمية السياحية (TTDI)

٢- لم يتم ذكر ايران في تقارير ٢٠٠٧ و ٢٠٠٩

٣- لم يتم نشر تقرير لعام ٢٠٢٣ من قبل المنتدى الاقتصادي العالمي

يبين الشكل (١) اتجاه سعر صرف الدولار امام التومان اذ يتبين من الشكل ان المحور العامودي يمثل التومان للدولار الواحد والمحور الافقي يمثل الفترة الزمنية التي تغير خلالها سعر صرف الدولار مقابل التومان ونلاحظ من خلال الشكل البياني اتجاه سعر صرف الدولار من اسفل اليسار الى اعلى اليمين أي ارتفاع سعر صرف الدولار امام التومان أي ان سعر الصرف الاجنبي ارتفع خلال هذه المدة وانخفاض سعر الصرف المحلي (العملة المحلية لإيران) اذ نلاحظ من الشكل البياني ان سعر صرف الدولار في سنة 2011 بلغ 10,616 تومان للدولار الواحد واستمر سعر الصرف الاجنبي بالارتفاع الى ان وصل في سنة 2019 الى 42,000 تومان للدولار الواحد , ونلاحظ سعر الصرف في عام ٢٠٢١ بقي نفس السعر البالغ 42,000 تومان لكل دولار , ونلاحظ ذلك من خلال الشكل (١).

الشكل (١) اتجاه سعر صرف الدولار امام التومان

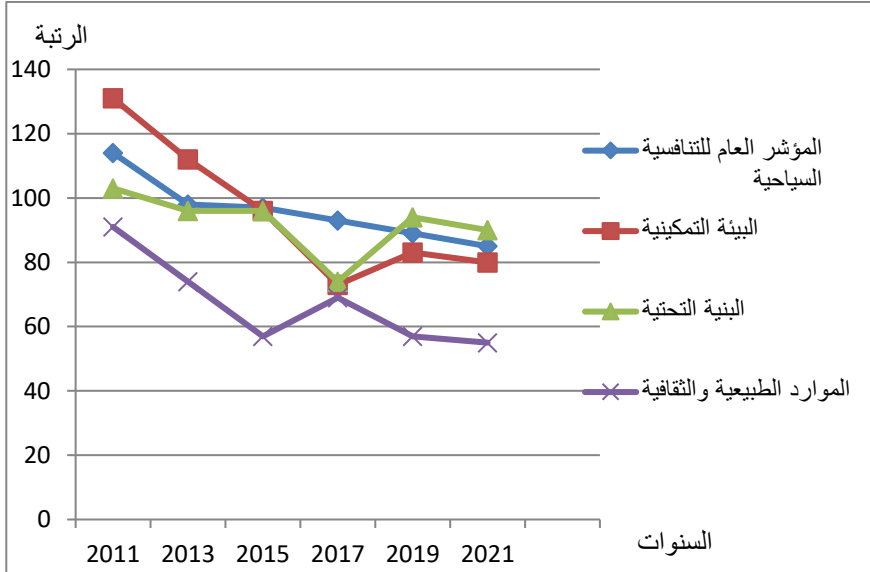


ويبين الشكل (٢) اتجاه مؤشر القدرة التنافسية السياحية واتجاه المؤشرات الفرعية لإيران ويتبين من الشكل ان المحور العامودي يمثل الرتبة التي تحتلها ايران فكلما قلت ارقام الرتبة دل ذلك على ارتفاع مؤشر القدرة التنافسية السياحية او المؤشرات الفرعية لإيران واحتلال ايران مراكز اعلى , اما المحور الافقي فيمثل الفترة الزمنية الممتدة من سنة 2011 الى سنة ٢٠٢١ فنلاحظ اتجاه مؤشر القدرة التنافسية السياحية والمؤشرات الفرعية من اعلى اليسار الى اسفل اليمين الذي يبين انه كلما قلت ارقام الرتبة هذا يعني ارتفاع المؤشرات فنلاحظ ان سعر صرف الدولار قد ارتفع من 10,616 تومان للدولار الواحد في سنة 2011 واستمر بالارتفاع مقابل انخفاض سعر صرف التومان الى ان وصل في سنة 2019 الى 42,000 تومان للدولار الواحد ونلاحظ انه كلما انخفض سعر الصرف التومان امام الدولار كلما ارتفعت رتبة مؤشر القدرة التنافسية السياحية والمؤشرات الفرعية وكلما قلت ارقام الرتبة كلما زاد المركز الذي تحتله ايران للمؤشرات الفرعية ومؤشر القدرة التنافسية السياحية الا باستثناء سنة 2019 عندما لاحظنا ان رتبة المؤشر العام للتنافسية السياحية ورتبة مؤشرين اثنين من المؤشرات الفرعية قد زادت ارقام رتبها الذي يعني ان ايران قد احتلت مراكز اقل من السنوات التي سبقتها وقد بينا ان ذلك حدث بسبب الظروف الاقتصادية الغير مؤاتية التي حدثت في تلك السنة جراء تأثير انخفاض سعر صرف التومان على الاداء الاقتصادي بشكل

عام , ومن خلال الشكل نلاحظ ارتفاع رتب المؤشر العام لتنمية السياحة والسفر والمؤشرات الفرعية لعام ٢٠٢١.

الشكل (٢)

(اتجاه المؤشر العام للتنافسية السياحية ومؤشراتها الفرعية لدولة ايران)



الشكل من عمل الباحث بالاستناد الى بيانات الجدول (١)

الاستنتاجات :-

- ١- ان لسعر الصرف دوراً في تعزيز وتحسين مؤشرات القطاع السياحي ويضمن مساهمة هذا القطاع مساهمة فاعلة في الهيكل الاقتصادي الكلي لايران.
- ٢- ان اهم المؤشرات الرئيسية للقدرة التنافسية السياحية الأكثر تأثيراً على مركز القدرة التنافسية السياحية للدولة هي البيئة التمكينية ، والبنية التحتية ، والموارد الطبيعية والثقافية والتي اذا تم الاهتمام بها وتم وضعها في تركيز الدولة سوف ترفع من الوجة السياحية للدولة وتعمل على زيادة الوافدين اليها.
- ٣- من خلال هذه الدراسة نستنتج ان ارتفاع سعر الصرف الاجنبي اي انخفاض قيمة العملة المحلية يكون ذو علاقة طردية مع القدرة التنافسية السياحية ، من خلال انخفاض اسعار السلع المحلية ، واسعار التأشيرة للدخول اليها والكثير من الخدمات التي تصبح اقل كلفة للسياح الأجانب الوافدين اليها وهذا يؤدي إلى زيادة السياح وارتفاع رتبة الدولة من القدرة التنافسية السياحية للدولة ، اما ارتفاع سعر الصرف المحلي اي ارتفاع قيمة العملة المحلي يكون ذو علاقة عكسية مع

القدرة التنافسية السياحية فيكون عكس ما ذكر سابقاً إذ يؤدي الى التأثير على القدرة التنافسية السياحية فيقوم بتخفيضها.

٤- حازت الجمهورية الاسلامية الايرانية على مراتب جيدة في قدرتها التنافسية تمثلت بمؤشر الموارد الطبيعية والثقافية كذلك بالنسبة لمؤشر البنية التحتية

التوصيات :-

- ١- صنع سياسات واستراتيجيات كذلك هيئة مستقلة تعمل على تطوير القدرة التنافسية السياحية في العراق ، وتقوم باصدار تقارير دورية تكون لها الاهتمام بقياس القدرة التنافسية السياحية والعمل على تقييمها ، وتكون قيادة هذه الهيئة عناصر كفوءة وخبراء ذوي مؤهلات وخبرات عالية.
- ٢- القيام بتحديد المقاصد السياحية التي تتميز الدولة بها والتي تجعل من هذا البلد ذو قدرة تنافسية في القطاع السياحي والعمل على تنميتها وتطويرها.
- ٣- وضع السياسات والاجراءات للعمل على رفع مستوى الاستقرار الامني والاقتصادي والسياسي للدولة وتمثل هذه الاجراءات تعزيز التعايش والتسامح السلمي بين الطوائف والاعراق ، القضاء على الفساد في جميع المستويات من اجل تكوين ثقة المواطنين.
- ٤- النهوض بالعرض السياحي من خلال توظيف امكانات القطاع الخاص والعام لاسيما تطوير المطاعم كافة والفنادق على مختلف الدرجات ذلك من اجل ان تتناسب مع كافة انواع السياح.

المصادر :

- ١- حمدي عبد العظيم , الاقتصاد الدولي والاندماج الاقتصادي المعاصر , ط ١ , مركز الدراسات الفقهية والاقتصادية , ٢٠١٣ .
- ٢- بن الزاوي, عبد الرزاق, سعر الصرف الحقيقي , ط ١ , دار اليازوري العلمية للنشر , عمان , ٢٠١٦ .
- ٣- والي , صابرين عدنان , ايمان علاء كاظم , اثر تقلبات سعر الصرف للموازنة العامة للعراق للفترة (٢٠٠٤-٢٠١٨) , جامعة القاسم الخضراء , مجلة هامورابي , العدد ٣٥ , ٢٠٢٠ .
- ٤- الفتلاوي, سلام كاظم شاني , ايهاب علي داوود النواب , استخدام متجه الانحدار الذاتي لقياس دور سعر الصرف في التضخم والنمو الاقتصادي -العراق حالة دراسية ١٩٨٨-٢٠١٧ , مجلة اهل البيت , العدد ٢٨ , العراق .
- ٥- رائد عبد الخالق , واخرون , التمويل الدولي , دار الايام للنشر والتوزيع , الاردن , ٢٠١٣ .
- ٦- ابراهيم المصري , الاقتصاد الدولي , ط ١ , طباعة ونشر والتوزيع دار الحكمة , مصر , ٢٠١٣ .
- ٧- شيخة , محمد غياث , التمويل , دار رسلان , دمشق , ٢٠٢١ .
- ٨- الخطيب , فاروق بن صالح, واخرون , دراسات متقدمة في النظرية الاقتصادية الكلية , جدة , ٢٠١٣ .
- ٩- بيرجيت ستراكنبروك , ترجمة هاني صالح , الاقتصاد اليوم كيف يعمل , ط ١ , العبيكان للنشر , الرياض , ٢٠٠٨ .
- ١٠- علام , سعد طه, التنمية والمجتمع , ط ١ , مكتبة مدبولي , القاهرة , ٢٠٠٦ .
- ١١- علي سيد سماعيل , معجم مصطلحات المصرفية الاسلامية والمعاملات المالية المعاصرة , ط ١ , دار حميثرا للنشر والترجمة , مصر , ٢٠١٩ .
- ١٢- عادل المهدي , واخرون , محددات معدل الصرف الاجنبي الحقيقي الفعال في الاقتصاد المصري , المجلة العلمية للبحوث والدراسات التجارية , المجلد ٣٧ , العدد الاول , القاهرة , ٢٠٢٣ .
- ١٣- البكري , ثامر , احمد هاشم السقال , التحليل الاستراتيجي والميزة التنافسية , الطبعة العربية , دار امجد للنشر , عمان , ٢٠١٥ .
- ١٤- احمد فتحي عبد المجيد قاسم , القدرة التنافسية للاعمال والازدهار الاقتصادي المستدام في البلدان العربية , ط ١ , المركز العربي للابحاث , بيروت , ٢٠٢٢ .

١٥- الربيعاوي، سعدون حمود جثير، واخرون، ادارة التسويق اسس ومفاهيم معاصرة، ط١، دار غيداء للنشر والتوزيع، الاردن، ٢٠١٥.

١٦- فريجة ليندة، خروف منير، عوامل تعزيز القدرة التنافسية للقطاع السياحي في الجزائر، مجلة معهد العلوم الاقتصادية، المجلد ٢٣، العدد ٠٢، الجزائر ٢٠٢٠.

١٧- مصعب عبد العالي، عدنان فرحان عبد الحسين، تحليل وقياس مؤشرات تنافسية القطاع السياحي في دول مختارة للمدة (٢٠٠٧ - ٢٠١٩)، مجلة العلوم الاقتصادية، المجلد ١٨ العدد ٦٨، البصرة، ٢٠٢٠ عبد السلام محمد احمد، التخطيط للسياحة المستدامة وانعكاسها على قدرتها التنافسية في المناطق شبه الصحراوية، المجلة الالكترونية الشاملة، العدد ١٥، ليبيا، ٢٠١٩.

١٨- اسماء سلكة، زينب حمدي، مؤشرات السياحة والسفر للجزائر وفق تقرير تنافسية السياحة والسفر، مجلة الاجتهاد للدراسات القانونية والاقتصاد، المجلد: ٠٩ العدد: ٠٣، الجزائر، ٢٠٢٠.

١٩- احمد عبد الشافي سالم، تقييم القدرة التنافسية للقطاع السياحي المصري، المجلة العلمية لجامعة ٦ أكتوبر، مجلد ٤ العدد ١، مصر، ٢٠١٧.

20- IMF، Oya Celasun، Exchange Rate Regime Considerations in an Oil Economy: The Case of the Islamic Republic of Iran، 2003.

21- Hossein tavakolian، Ilnaz Ebrahimi، Exchange Rate Policy of Iran، money and Economy، vol 6، no 2، Iran، 2012.

22- Naghshineh-Pour Amir، An Estimate for the Real Foreign Exchange Rate in Iran، Vesta Capital LLC، Iran، 2012.

23- Dr.Mohsen mohammadi، Exchange Rate pass-through to price indices in Portugal، e-journal of International Relations، vol 12، United Kingdom، 2021.

- Murat Aslan، Exchange Rates in Iran: Past, Present and Future، Center for Iranian Studies Ankara، vol107، Turkiye، 2018.

24- Roxana Faghri، Tourism Planning and Policy making of the Islamic Republic of Iran، Master Thesis، Lule University of Technology، 2008.

25- Fahimeh Hateftabar، the Study of Development in Tourism Industry. Iran as a Destination With Special attributes، Doctoral thesis، Universite Of Paris، 2020.

26- Ali jafari najadi، Tourism Marketing of iran، cross cultural Management jounal، Volume 22، Issue 2، india، 2020.

٢٧- احمد اميري , السياحة الى اين , ايران يوميا , ٢٠٢٢ , متوفر على شبكة الانترنت على
الرابط :

<https://newspaper.irandaily.ir/7386/5/4874>

٢٨- حسن ذو الفقاري , الامكانيات والقيود في ايران لتطوير قطاع السياحة , ندوة دولية حول
الجغرافيا والبيئة والثقافة , ٢٠١٠ , ص ٢ على الرابط

<http://web.deu.edu.tr/geomed2010/2007/Zolfaghari.pdf>

٢٩- عباد عبادي , هناك ازمة في سوق الصرف الاجنبي في ايران , المجلس الاطلسي , ٢٠٢٣ .

<https://www.atlanticcouncil.org/blogs/iransource/theres-a-forex-market-crisis-in-iran-the-root-cause-of-its-problems-is-the-clerical-establishment/>

٣٠- منظمة الاغذية والزراعة للامم المتحدة , تقرير التوقعات بخصوص المحاصيل وحالة الغذاء ,

٢٠٢٤ , متوفر على شبكة الانترنت على الرابط:

<https://www.fao.org/giews/countrybrief/country.jsp?code=IRN&lang=es>

التكييف القانوني للمشاركة المتناقصة

The Legal Characterization of Diminishing Musharakah

محمد حسين علي^(١)

Mohammad Hussein Ali

الملخص

تعد المشاركة المتناقصة من العقود المستجدة التي سبقت التشريع لتعبر عن التعاون المتنامي وتساير الواقع وتحقق مصالح ربما تعجز العقود التقليدية عن تحقيقها، إذ تتمثل الإشكالية الرئيسية لموضوع البحث في المشاركة المتناقصة فقداً لتنظيم قانوني خاص يحكمها في القانون العراقي (قانون المصارف الإسلامية) رقم (٤٣) لسنة (٢٠١٥) مما يعني أن النقص التشريعي أصاب المنظومة القانونية العراقية بشأن اليات العمل في المشاركة بشكل عام وما يتعلق بها، لكن هذا الأمر لا يكفي إذ إن الموضوع بحاجة إلى دراسة معمقة من جوانب عديدة لكونه يثير إشكاليات فرعية أخرى ومنها مدى فعالية النصوص القانونية الموجودة في اطار المنظومة التشريعية وعملها ودورها الفعال في تغطية احكام المشاركة وفقداً لتواجد تكييف قانوني للمشاركة المتناقصة، وعليه إن معالجة هكذا موضوع مهم يحتاج إلى تنظيم قانوني.

وفي الخاتمة يمكننا بيان أهم ما توصل له الباحث من الاستنتاجات والمقترحات وأهمها عدم وجود تنظيم قانوني خاص بالمشاركة المتناقصة في التشريع العراقي، وعدم وجود تكييف للمشاركة المتناقصة إذ إنها ليست شركة وإنما عقد وهذا العقد وإن كان يقترب من العقود غير المسماة ويندرج تحت طائفة العقود المسماة.

الكلمات المفتاحية: المشاركة - المتناقصة - المصارف الإسلامية - أساليب تمويلية - معاملات مالية

١ - جامعة اهل البيت (عليه السلام) - كلية التقنيات الطبية والصحية

Abstract

Diminishing Musharaia is one of the new contracts that preceded legislation to express growing cooperation, keep pace with reality, and achieve interests that traditional contracts may be unable to achieve. The main problem of the research topic in diminishing Musharaka is the lack of a specific legal regulation governing it in Iraqi law (Islamic Banking Law) No. 43 of 2015. This means that a legislative deficiency has afflicted the Iraqi legal system regarding the mechanisms of work in Musharaka in general and related matters. However, this matter is not sufficient, as the topic requires in-depth study from many aspects, as it raises other sub-problems, including the effectiveness of the legal texts existing within the framework of the legislative system, their operation, and their effective role in covering the provisions of Musharaka, and their lack of a legal classification for diminishing Musharaka. Therefore, addressing such an important topic requires legal regulation In conclusion. ,

we can state the most important conclusions and proposals reached by the researcher, the most important of which are the lack of a specific legal regulation for diminishing Musharaka in Iraqi legislation, and the lack of a classification for diminishing Musharaka, as it is not a company but rather a contract. This contract, although it is close to unnamed contracts, falls under the category of named contracts.

Keywords: Participation - Diminishing - Islamic banks - Financing methods - Financial transactions

المقدمة

تختلف المشاركة المتناقصة عن الاساليب التمويلية الأخرى باعتبارها من العقود الحديثة التي سبقت التشريعات وسأيرت الواقع لتعبر عن التعاون المتنامي بين جهات مختلفة ويحقق مصالح مهمة يحتاج إليها الناس ربما تعجز العقود التقليدية والإسلامية الأخرى عن تحقيقها، إذ إن المشاركة المتناقصة في المصارف الإسلامية "هو أسلوب تمويلي يقوم على أساس تقديم المصرف الإسلامي التمويل الذي يطلبه المتعامل معه (الشريك) في مشروع ذي دخل متوقع وذلك على أساس اتفاق يحصل المصرف بموجبه على حصة من صافي الدخل مع حقه في الاحتفاظ بالجزء المتبقي أو أي قدر منه ليكون ذلك الجزء مخصصاً لتسديد أصل ما قدمه المصرف من تمويل".

ولأن المشاركة المتناقصة لم يكييفها القانون وهذا يعد قصوراً تشريعياً لذا تناولنا موضوع التكليف، وأما التكليف فهو عملية قانونية. تعطي الوصف السليم الذي يحقق اتفاقاً تاماً و النتيجة التي ارتضاها طرفا المشاركة أثراً له بصرف النظر عن الوصف أو الاختلاف الذي أسبغاه عليه، فتكليف المشاركة المتناقصة تحديد وصفه القانوني من عمل القاضي لا من عمل الأفراد.

ثانياً / أهمية الدراسة:

تكمن أهمية البحث في ندرة المصادر القانونية المتخصصة فضلاً عن غياب التنظيم القانوني المحدد لطبيعة هذا العقد مما دعا إلى بذل المزيد من الجهود الحثيثة والمضنية للحصول على المصادر اللازمة لإثراء هذا البحث والتي امتدت إلى الدول العربية إلا أنها أثمرت بالحصول على العديد من المصادر ذات الطابع الفقهي.

ثالثاً / هدف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى تكييف المشاركة المتناقصة كونها تعمل على ترشيد الأموال العامة والخاصة وتبني اقتصاد يركز على القدرات الذاتية للمجتمع، وتحقيق العدل بين الجانبين في تحمل المخاطر واقتسام الأرباح، وتتنفي في ظلله سعر الفائدة الثابتة والمضمونة، وبه يتوصل إلى استراتيجية شاملة للخروج من الأزمة الاقتصادية الحالية.

رابعاً / اشكاليه الدراسة:

تتمثل الإشكالية الرئيسية لموضوع البحث بعدم وجود تنظيم قانوني خاص للقانون العراقي (قانون المصارف الإسلامية) رقم (٤٣) لسنة (٢٠١٥) مما يعني ان المنظومة القانونية العراقية أمام نقص تشريعي.

خامساً / منهجية الدراسة:

سنتبع في دراسة هذا الموضوع الموسوم التكييف القانوني للمشاركة المتناقصة (المنهج التحليلي المقارن) من خلال تحليل النصوص القانونية والآراء الفقهية واستقراء الاحكام القضائية التي تكون لها صلة بالموضوع.

سادساً / خطة الدراسة:

تتكون خطة البحث الموسوم (التكييف القانوني للمشاركة المتناقصة) من مطلبين نتناول في الأول مفهوم المشاركة المتناقصة أما في الثاني نتناول الطبيعة القانونية للمشاركة المتناقصة.

المطلب الأول / مفهوم المشاركة المتناقصة

الفرع الأول / تعريف المشاركة المتناقصة.

الفرع الثاني / خصائص المشاركة المتناقصة.

المطلب الثاني / الطبيعة القانونية للمشاركة المتناقصة.

الفرع الاول / المشاركة المتناقصة شركة.

الفرع الثاني / المشاركة المتناقصة عقد.

المطلب الأول: مفهوم المشاركة المتناقصة

المشاركة المتناقصة هي اسلوب تمويلي يقوم على أساس تقديم المصرف الإسلامي جزءاً من رأس المال إلى العميل (طالب العميل) ليدخل شريكاً في المشروع على أن يحصل المصرف حصة نسبية من صافي

الدخل المتحقق فعلاً مع حقه في الاحتفاظ بالجزء المتبقي من الربح أو قدر منه حسب الاتفاق ليكون ذلك الجزء مخصصاً لتسديد أصل ما قدمه المصرف من تمويل.

إن المشاركة المتناقصة في المصارف الإسلامية هي ذات صبغة تنموية، اهتم بها الباحثون كصبغة أساسية لتعبئة واستخدام الموارد في المصارف الإسلامية، لذلك تسعى إلى دراستها من أجل إن تكون ممثلاً بأنظمة وقوانين تحكمها، ويمكن إن يكون التمويل بالمشاركة المتناقصة بالصورة التي تنفذها المصارف الإسلامية هو أحد البدائل عن الفائدة المصرفية والغرض بيان هذه المطلب بشكل دقيق سوف نقسمه على فرعين:

الفرع الأول: تعريف المشاركة المتناقصة.

الفرع الثاني: خصائص المشاركة المتناقصة.

الفرع الأول: تعريف المشاركة المتناقصة

إن تعريف المشاركة المتناقصة يتطلب منا تعريف كل مصطلح تعريفاً فقهيّاً وتشريعياً للتعرف على حقيقته ومضمونه من أجل تحديد تعريف للموضوع لذا سوف نقسم التعريف إلى فقرتين نتناول فيه التعريف الفقهي والتعريف القانوني..

أولاً: التعريف الفقهي.

عرفت المشاركة المتناقصة بأنها مشاركة يعطى المصرف فيها الحق للشريك في الحلول محله في الملكية دفعة واحدة، أو على دفعات وفق ما تقتضيه الشروط المتفق عليها وطبيعة العملية على أساس اجراء ترتيب منظم لتجنب جزء من الدخل قسطاً لسداد قيمة حصة المصرف^(٢).

وفسر اتجاه معين على إن هذا التعريف هو عبارة عن شركة أحد اطرافها مصرف يشتركوا في رأس مال معين يشترط فيه المصرف أن يسترد حصته على شكل اقساط أو دفعة واحدة حسب ما تقتضيه الشروط المتفق عليها، فإذا كان الاسترداد على شكل اقساط نقل حصة المصرف في الشركة بالقدر الذي قبضة حتى يسترد المصرف ما قدمه من أموال في المشروع، عندئذ يقبض كامل ما اشترك به من رأس المال، علاوة على تحقيق هامش ربح للمصرف باعتباره شريكاً ليتمكن بعدها من الخروج من المشروع، بعد تحقيق التفعيل الاقتصادي المنشود، والمرجو للأموال المستثمرة^(٣).

يؤخذ على هذا التعريف ورود لفظ المشاركة فيه هو تعريف بالمعرف كان يجب لفظ المشاركة لا يرد في التعريف لأنه يدل بظاهره - في قوله يعطى فيها المصرف الحق للشريك... أن هذا الحق ممنوح من قبل

٢ - ينظر - د. محمد عثمان شير، المعاملات المالية المعاصرة في الفقه الإسلامي، ط ١، دار النفائس، الأردن، ١٩٩٦، ص ٢١٨.

٣ - ينظر - د. وائل محمد عربيات، المصارف الإسلامية والمؤسسات الاقتصادية، ط ١، دار الثقافة للنشر والتوزيع، المركز الرئيسي

: عمان - وسط البلد قرب الجامع الحسيني عمارة الحجيري، ٢٠٠٦، ص ٣٦.

المصرف منحه، وعطية مهداة منه وبالتالي له الحق في عدم إعطائه وتقديمه لأنه أشبه ما يكون عندها بالوهاب فهو مخير بين الإعطاء أو المنع ، وهذا على خلاف ماهية وحقيقة هذه الشركة... وعرفت المشاركة المتناقضة بأنها "أشتراك طرفين أو أكثر في رأس مال^(٤)، شرط فيها أن يكون لأحد الأطراف شراء حصص الأطراف الأخرى على دفعات وكلما اشترى شيئاً من حصة غيره زادت أرباحه بنسبة ما اشتراه ونقصت حصة الآخر بنسبة ما باعه له حتى يشتري كامل حصة غيره في الشركة وعندئذ تخلص الشركة كلها له"^(٥).

يفهم من خلال هذا التعريف تحديد مضمون المشاركة المتناقضة دون سواها من المشاركات لأن هذه الصورة ليس الوحيدة وان كانت الأكثر شيوعاً وان شراء الشريك لحصص شركائه الآخرين ليس بالضرورة أن يتم على دفعات فقد يتم الشراء دفعة واحدة فتنتهي المشاركة دون تناقص حصص الشركاء ويؤخذ على هذه التعريف بأنه لم يشير الى كيفية التمويل التي يقوم بها المصرف الذي من الممكن إن يكون طرفاً في المشاركة.

وعرفت المشاركة المتناقضة أيضاً "بأنها شركة بين طرفين أو أكثر في مشروع ذي منفعة مادية يتعهد فيها أحد الأطراف بشراء حصة البقية سواء كان الشراء من حصة الطرف المشتري في الدخل أم من موارد أخرى"^(٦).

وفسر البعض هذا التعريف بأنها عملية تتكون من الشركة في أول الأمر، ثم البيع والشراء بين الشريكين، ويجب ألا يشترط البيع والشراء في المشاركة، وإنما يتعهد الشريك بوعده منفصل عن الشركة ، وكذلك يقع البيع والشراء بعقد منفصل عن الشركة، ولا يجوز أن يشترط أحد العقدين في الآخر^(٧). ويؤخذ على هذا التعريف بأنه لم يشر إلى المصرف الذي يكون شريكاً ممولاً في المشروع كما يجب إلا يشترط البيع والشراء في المشاركة، وإنما هو اتفاق بين الطرفين بأن يسترجع الشريك ما قدمه المصرف من تمويل مع نسبة معينة من الإرباح.

٤ - ينظر - د. صلاح سعيد عبد الله المرزوقي، الشركة المنتهية بالتمليك وتطبيقاً في المصارف الإسلامية رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية / جامعة اليرموك، ٢٠٠٠، ص ٣٦.

٥ - ينظر - قرار مجمع الفقه الإسلامي المرقم ٣٦ ، نقلاً عن ، د. هشام احمد عبد الحي المصارف الإسلامية بلاط، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ٢٠١٠، ص ٣٩٢.

٦ - ينظر - نور الدين عبد الكريم الكواملة ، المشاركة المتناقضة وتطبيقاً المعاصرة في الفقه الإسلامي، ط١، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن ، ٢٠٠٨ ، ص ٣٦.

٧ - ينظر - محمود محمد حنفي محمود، الاحكام المتعلقة بالتورق في المصارف الإسلامية ، ط١، دار الفكر الجامعي، ٣٠ شارع سوتير - الإسكندرية ، ٢٠١٠، ص ٣٢٧.

وعرفت المشاركة المتناقصة، أيضاً "هي مشاركة يساهم فيها المصرف الإسلامي . في رأسمال شركة أو مؤسسة تجارية أو عقارية أو مصنع أو مزرعة أو أي مشروع تجاري آخر مع شريك أو أكثر، وعندئذ يستحق كل طرف من أطراف هذه الشركة نصيبه من الربح بموجب الاتفاق الوارد في العقد مع وعد من المصرف بالتنازل عن حقوقه بطريق بيع أسهمه إلى هؤلاء الشركاء على أن يلتزم هؤلاء الشركاء أيضاً بشراء تلك الأسهم، والحلول محله في الملكية سواء تم ذلك بدفعة واحدة، أم بدفعات متعددة، وحسبما تقتضيه الشروط المتفق عليها" (٨).

وهذا التعريف أيضاً عليه مأخذ وهي ورود لفظ المشاركة فيه أي عرف المعرف كان يجب لفظ المشاركة لا يرد في التعريف وهذا ليس تعريفاً بالحد وإنما هو تمثيل للمشاركة المتناقصة وشرح عنها، أو هو تعريف بالوصف وليس تعريفاً بالماهية لابل حتى ولو قلنا إنه تعريف إلا أنه يؤخذ عليه الإطالة والتفصيل، والأصل في التعاريف يجب ان تتسم بعدم الإطالة وأيضاً مما يؤخذ عليه تخصيصه خروج المصرف من هذه الشركة بصورة الأسهم في حين أن هذا الخروج قد يكون بصور أخرى غير صورة بيع الأسهم. ثانياً: التعريف القانوني.

عرفت المشاركة التمويلية المتناقصة بانها "المشاركة المتناقصة دخول البنك بصفة شريك ممول كلياً أو جزئياً في مشروع ذي دخل متوقع وذلك على اساس الاتفاق مع الشريك الآخر بحصول البنك على حصة نسبية من صافي الدخل المتحقق فعلا مع حقه بالاحتفاظ بالجزء المتبقي أو أي قدر منة يتفق عليه ليكون ذلك الجزء مخصصاً لتسديد اصل ما قدمه البنك من تمويل" (٩)، ومن أصحاب هذا الاتجاه النظام الأساسي للبنك العربي الإسلامي الدولي (١٠)، وقانون البنك الإسلامي الأردني.

ويؤخذ على هذا التعريف، إن هذا التعريف لا يخلو من المآخذ لعل ابرزها أن حصة المصرف الإسلامي من الإيراد الموزع في هذه المشاركة لا تنقص إلى أن يتم تسديد الشريك الآخر جميع ما قدمه المصرف من تمويل للمشروع مع ان حصته في المشروع تتناقص بنحسب المصرف ما يستحقه أو بعض ما يستحقه الشريك من ايراد المشروع، ويجب ان تنقص حصة المصرف من أرباح المشروع، بان تحسب على اساس المتبقي من نصيبه من المشروع بعد كل اقتطاع، لإن المصرف في البداية قد يكون شريكاً بكامل قيمة المشروع إذا كان ممولاً للمشروع تمويلاً كاملاً، ثم يكون شريكاً بقيمة مطروح منها مقدار القسط المقتطع.

٨ - ينظر - عبد الرزاق رحيم الهيتي، المصارف الإسلامية بين النظرية والتطبيق، ج ١، ط ١، دار اسامه، الأردن، ١٩٩٨، ص ٥٠١.

٩ - ينظر - نص المادة (٢)، من قانون البنك الإسلامي الأردني، رقم (١٣) لسنة (١٩٧٨).

١٠ - النظام الاساسي للبنك العربي الإسلامي الدولي : هو نظام شركة البنك العربي الإسلامي الدولي المساهمة العامة المحدودة الذي يقدمها المؤسسون لتسجيل الشركة بموجبها حسب احكام قانون الشركات. متاح على الموقع الالكتروني:

كذلك أن القول بأن المصرف يحتفظ بما يقتطعه إلى أن يتم إنهاء العملية بتسديد رأس مال المشروع كاملاً قول غير سليم ، لأن المصرف يستثمر ما يقتطعه من حصة الشريك لصالحه (١١) ، ينبغي على المصرف طرح ما يقتطعه من حصة الشريك من حصته في المشروع حيث تصبح في كل اقتطاع من حصة الشريك تتناقص بمقدار ما يقتطع، وذلك تبعاً لنقصان حصته في المشروع وزيادة حصة الشريك. ونرى بأنه يمكن تعريف المشاركة المتناقصة "هو اتفاق يقوم على أساس تقديم المصرف التمويل الذي يطلبه المتعامل معه ويشاركه في الناتج المتوقع الحصول عليه من المشروع على أن يسترد المصرف حصة على شكل أقساط من حصة الشريك مع تناقص حصة المصرف من الربح في المشروع عند خصم ما يستحق". ولعل من أهم اسباب تبني هذا التعريف هي..

١. لقد ذكرنا عبارة (اتفاق) لأبراز العلاقة العقدية بين المصرف والشريك (طالب التمويل).
٢. أما عبارة تقديم المصرف التمويل لأنه المصرف الإسلامي هو الذي يقوم بتمويل المشروع.
٣. وذكر عبارة (المتعامل) لأن هذا الشخص هو الذي يتعامل مع المصرف وطلب منه التمويل.
٤. أما كلمة (يشاركه) فإن المصرف الإسلامي لا يأخذ فائدة وأما يتشارك مع الطرف الآخر بما يحققه المشروع من الأرباح.
٥. ذكرنا الناتج المتوقع لأن المصرف يعمل دراسة عن المشروع لمعرفة مدى قدرته في الحصول على الأرباح لغرض مشاركة طالب التمويل.
٦. ذكر عبارة يسترد المصرف حصته على شكل اقساط مع تناقص حصته من الربح في المشروع وذلك بسبب استرداد المصرف التمويل الذي قدمه بشكل تدريجي مع تناقص حصته من الربح بما يعادل ما استرده من حصته التي قدمها تمويلاً للمشروع.

ويشمل هذا النوع من أشكال التوظيف المالي (١٢)، جميع الحالات التي يقوم فيها المصرف الإسلامي بتمويل شراء الأشياء المنتجة للدخل بطريقة العمل عليها أو إدارتها، كالسيارات التي يعمل عليها السائق لنقل الأشخاص أو المستشفى أو المزرعة أو المصنع أو غير ذلك على أساس إجراء ترتيب منظم حسب الاتفاق بين الطرفين المصرف الإسلامي (١٣)، والشريك كل حسب طبيعة عملة ومشروعة، لحفظ جزء من

١١ - ينظر - د. طلبة إبراهيم سعد على، احكام المعاملات المالية في المصارف الإسلامية ، دار الكتب القانونية - دار شتات للنشر البرمجيات، مصر، ٢٠٢٢، ص ١٩٥.

١٢ - ينظر - د. محمد محمود المكاوي، تفعيل المشاركة في البنوك الإسلامية، بلاط، دار الفكر والقانون للنشر والتوزيع، مصر،

ص ١٥.

١٣ - ينظر - د. طلبة إبراهيم سعد على، احكام المعاملات المالية في المصارف الإسلامية، مصدر السابق، ص ٣١.

الدخل المتحقق من المشروع إلى أن يصل من المقدار المساوي لأصل رأس المال الذي دفعة المصرف إبتداءً (١٤).

ولقد تعدد المسميات والألفاظ التي يمكن أن تطلق على المشاركة المتناقضة (١٥)، وهناك من ذهب إلى تسميته بالشركة أو المشاركة الآيلة للتمليك وإن هذه التسمية تطلق على المشاركة من وجهة طالب التمويل أو الشريك لأنه سيتملك المشروع أو العملية في نهاية الأمر بعد شرائه لحصص الشركاء الآخرين ومن ثم سينتهي عقد المشاركة بتملك طالب التمويل لمشروع محل عقد المشاركة (١٦).

وكذلك سميت المشاركة بالمضاربة المنتهية بالتمليك، وتطلق هذه التسمية على إحدى صور عقد المشاركة دون الصور الأخرى، "ويتم ذلك بأن يدفع المصرف الإسلامي كامل رأس المال لمشروع معين ويقدم الشريك العمل والربح مع وعد من المصرف بتمليك المشروع بطريقة المشاركة وحينئذ ينبغي أن يلتزم بشروط وضوابط المضاربة فإن لم يتحقق ربح فلا شيء للمضارب والخسارة على رب المال في رأس المال ويخسر المضارب جهده وعند تحقق ربح يقسم بينهما حسب اتفاقها" (١٧).

وهناك من اطلق عليها (المشاركة المنتهية بالتخارج)، تطلق هذه التسمية على عقد المشاركة و تنظر إلى الشريك الممول الذي سيخرج من المشاركة وفق شروط متفق عليها (١٨)، "ويتملك الشريك طالب التمويل المشروع إذ إن غرض المشاركة ابتداءً هو خروج أحد الأطراف ويتم ذلك عن طريق مساهمة المصرف الإسلامي في رأس مال الشركة مع شريك أو أكثر وعندئذ يستحق كل من الشركاء نصيبه من الأرباح بموجب الاتفاق مع وعد المصرف ببيع حصته إلى شركائه، والشركاء يعدون بشراء حصة المصرف والحلول محله في الملكية سواء على دفعة واحدة أم على دفعات حسب ما تقتضيه شروط الاتفاق" (١٩).

١٤ - ينظر - محمود ناصر الغريب، التمويل بالمشاركة في البنوك الإسلامية، ط١، جامعة المنصورة، كلية التجارة، مصر،

١٩٨٢، ص١٠٣.

١٥ - ينظر - خالد صالح اللحيدان، المشاركة المنتهية بالتمليك وتطبيقاتها في المصارف الاسلامية، رسالة ماجستير مقدمة الى

جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية، ٢٠٠٤، ص ٥٢.

١٦ - ينظر - د. وائل محمد عربيات، المصارف الإسلامية والمؤسسات الاقتصادية، مصدر سابق، ص ٤٢.

١٧ - ينظر - د. نزيه حمادة المشاركة المتناقضة بحث منشور. متاح على الموقع الإلكتروني:

almoslim.nede/note/٨٢٧٠٨

١٨ - ينظر - د. جاسم علي سالم الشامسي المشاركة المنتهية بالتمليك العقار، مجلة الحقوق، عدد (٢)، الكويت، ٢٠٠١،

ص٢٩٨.

١٩ - ينظر - د. جهاد عبد الله حسين أبو عويمر، الترشيد الشرعي للبنوك القائمة، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٨٦،

ص ٣٢٥.

وسميت أيضاً المشاركة بالاستثمار المنتهي بالتمليك، وإن هذه التسمية لا تعد هذا النوع من المعاملات مشاركة إذ جاء ما ترجمته إن الفكرة تدور حول عقود المبيعات الاستثمارية والتي بواسطتها يقوم المستثمرون بإعادة تجميع المبلغ الأصلي، زائدا نسبة مئوية ثابتة من العائد السنوي بعد بيع الأصل، الذي كان بمثابة عامل من عوامل توليد الدخل^(٢٠).

إن قيام الطرف الممول باستثمار أمواله في عقد المشاركة قد لا يؤدي إلى استرداد المال المستثمر^(٢١)، "مع نسبة مئوية من الإيراد السنوي لأن الشركاء يسعون للحصول على الربح ولكن قد يؤول مساعهم إلى الخسارة مما يقتضي أن يتقاسم الشركاء الربح والخسارة فلا يمكن تجاهل نية المشاركة في عقد المشاركة"^(٢٢). ونعتقد إن التسمية التي تتناسب مع هذا الموضوع هي المشاركة المتناقصة والمشاركة تدل على الاشتراك في المشروع أما التمويل لأن المصرف الإسلامي يقدم التمويل لطالبه (الشريك) ، و المتناقصة تعني تناقص حصة المصرف وبشكل تدريجي عند استردادها.

وتطلق هذه التسمية على عقد المشاركة عندما "يتفق المصرف الإسلامي مع عميله على المشاركة في التمويل الكلي أو الجزئي لمشروع ذي دخل متوقع وذلك على اساس اتفاق المصرف مع الشريك لحصول المصرف على حصة نسبية من صافي الدخل المتحقق فعلاً ، مع حقه بالاحتفاظ بالجزء المتبقي من الإيراد أو قدر منه يتفق عليه ليكون مخصصاً لتسديد أصل ما قدمه المصرف من تمويل"، وإن هذه التسمية هي الأدق لموضوع البحث.

الفرع الثاني: خصائص المشاركة المتناقصة

قبل أن تبدأ المصارف الإسلامية مسيرتها كان التصور النظري أن أنشطتها سوف تتركز أساساً في المشاركة، ثم تأتي صيغ الاستثمار الأخرى ذلك أن المشاركة تعد العلامة الفارقة لما فيها من خصائص أساسية لعمل المصرف الإسلامي، والتي تميزه عن أنشطة المصارف التقليدية، وعندما بدأت المصارف الإسلامية نشاطاتها استأثرت المشاركة بجانب مهم من تمويلاتها. فيما يأتي سنتعرف على أبرز الخصائص في المشاركة المتناقصة.

٢٠ - ينظر - محمود محمد حنفي محمود ، الاحكام المتعلقة بالتورق في المصارف الإسلامية، ط١، الفكر الجامعي، ٣٠ شارع سوتير - الاردن، ٢٠٠٧، ٣٢٣.

٢١ - ينظر - سرى محمد هوي مهدي ، عقد المشاركة المنتهية بالتمليك ، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية القانون جامعة بغداد ٢٠١٥، ص ١٠.

٢٢ - ينظر - زقاري امال، التمويل بعقد المشاركة في المصارف الإسلامية، مجلة دائر البحوث والدراسات القانونية والسياسية - مخبر المؤسسات الدستورية والظم السياسية، تصدر عن مجلس النشر في المركز الجامعي مرسل، العدد الرابع ٢٠١٨، ص ٣٥.

١- المشاركة المتناقصة حديثة النشأة، أذ إنها من صيغ الاستثمار وتوظيف الأموال التي استحدثتها المصارف الإسلامية كبديل عن الصيغة التقليدية المتبعة في المصارف والمعتمدة على النظام الربوي عن طريق الإقراض بفائدة^(٢٣)، "وقد يكون الغرض من المشاركة هو التمويل أو قد يكون بنية الاستثمار وذلك حسب وضع كل طرف من أطراف هذه الشراكة وغالباً ما يكون المصرف الإسلامي هو الطرف الممول - تمويلاً كلياً أو جزئياً ويكون الطرف الآخر هو طالب التمويل لأنشاء مشروع معين، تجاري، أو زراعي...^(٢٤)"، أو أنشاء بنايات عقارية، أو مصنع لتمويل أعمال حرفية مختلفة، وسميت هذه المشاركة. بالمشاركة المتناقصة بسبب عدم توفر عنصر الاستمرارية فيها بين جميع أطرافها، إذ إن الطرف الممول لا ينوي الاستمرار بالمشاركة إلى حين انتهاء الشركة، بل تنتهي بعد استرداد المصرف ما قدمه من تمويل، "وكان قانون البنك الإسلامي الأردني للتمويل والاستثمار رقم ١٣ لسنة ١٩٧٨ المشاركة المتناقصة من أوائل من طبق المشاركة المتناقصة إن لم يكن هو الأول"^(٢٥).

وقد صادق مؤتمر المصرف الإسلامي المنعقد بإمارة دبي في دولة الإمارات العربية المتحدة عام (١٩٧٩) على هذه المشاركة وعدها شكلاً جديداً من الشركات^(٢٦).

٢- المشاركة المتناقصة عقد بين مصرف إسلامي (ممول) و عميل (طالب تمويل) يدخل المصرف الإسلامي بهذه الصفة شريكا، مع العميل في مشروع أو دخل متوقع من خلال دراسة وتحليل وتقييم وتقديم جدوى اقتصادية تبين ذلك.

٣- إن المشاركة المتناقصة في المصارف الإسلامية، تقوم على اشتراك طرفيها في الربح بأي نسبة شائعة يتفق عليها، ولذلك يتنافى مع مقتضى المشاركة أي شرط أو صورة تقطع الاشتراك في الربح^(٢٧)، أما في حالة وقوع خسارة لا بد من ربط هذه الخسارة بقدر الحصص في ملكية رأس مال المشروع أو بقدر الالتزام بالضمان في المشاريع التي ليس فيها رأس مال؛ وذلك لأن حالة الخسارة

٢٣ - ينظر - يوسف سعيد يوسف ابو سلميه، المعوقات انتشار التمويل الإسلامي بصيغة المشاركة في فلسطين، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الاقتصاد والعلوم الادارية الجامعة الإسلامية، فلسطين، ٢٠٠٤، ص ١٦.

٢٤ - ينظر - نور الدين عبد الكريم الكواملة، المشاركة المتناقصة وتطبيقاً المعاصرة في الفقه الإسلامي مصدر سابق، ص ٢٩.

٢٥ - ينظر - صلاح سعيد عبد الله المرزوقي، الشركة المنتهية بالتمليك وتطبيقاً في المصارف الإسلامية، مصدر سابق، ص

٣٧.

٢٦ - ينظر - محمود عبد الكريم ارشيد، الشامل في معاملات وعمليات المصرف الإسلامية، ط ٢، دار النفائس للنشر والتوزيع

، الاردن، ص ٣٩.

٢٧ - ينظر - د. طلبة إبراهيم سعد على، احكام المعاملات المالية في المصارف الإسلامية، مصدر سابق، ص ٢٢٤.

تعد أمراً ضراراً على الحصص المملوكة ، فيتحمل كل مالك ما يلحق بحصته ولا ينقل ضمناً غيرهِ؛ لأن عيب الملك وضمانه على مالكة إلا إن المصرف لا يتحمل الخسارة في حالة وقوعها بل يتحملها طالب التمويل وحده لأن المصرف الاسلامي يعد ممولاً وعلى طالب التمويل إن يلتزم برد ما قدمه المصرف من تمويل مع نسبة معينة من الأرباح المتفق عليها^(٢٨).

٤- تعد المشاركة المتناقضة في المصارف الإسلامية من أبرز تطبيقات العقود المالية المركبة^(٢٩)، إذ يجمع بين عناصر أكثر من عقد عقد إيجار وعقد وكالة وقد يتضمن عناصر عقد الإيجار كما لو اجر احد الشركاء حصته في المشروع محل العقد إلى شريكه وقد يوكل أحد الشركاء بإدارة المشروع فتظهر عناصر عقد الوكالة، فالمشاركة المتناقضة منظومة عقدية مترابطة متتابعة الأجزاء متعاقبة المراحل وفقاً لنظام يحكمها كعامل واحد لا تقبل التفكيك والانفصال والتجزئة تهدف إلى تحقيق غرض تمويلي محدد اتجهت إرادة المتعاقدين وقصدهما إلى تحقيقه، وهناك من يميز بين امتزاج العقود واجتماعها فامتزاج العقود هو خلط عقدين أو خواص عقدين فأكثر في عقد واحد بحيث لا يمكن تمييز احدهما عن الآخر بل قد يمكن تغليب احدهما على الآخر مثل عقد البيع الايجاري فهو إجارة ابتداء وبيع انتهاء^(٣٠)، إذ يجمع بين عناصر عقدي الإجارة والبيع لكن لا يستقل أي منهما عن الآخر إذ أوجب المشرع العراقي تطبيق أحكام البيع بالتقسيط^(٣١)، أما العقود المجتمعة هي تلك الاتفاقيات التي تولد حقوقاً والتزامات مستمدة من أكثر من علاقة تعاقدية مسماة كان يجتمع فيها البيع والإيجار والوكالة..... الخ و لكل واحد من هذه العقود معالمه الواضحة وأركانها وشروطه المكتملة لكنها تقع داخل تلك الاتفاقية^(٣٢).

ونرى إن التمييز بين الامتزاج والاجتماع يقودنا إلى التمييز بين العقد المختلط والعقد المركب فالعقد المختلط هو ما كان مزيجاً من عقود متعددة اختلقت جميعاً فأصبحت عقداً واحداً. أما "العقد المركب فهو عقد واحد يحقق أغراضاً تهدف إليها في العادة عقوداً مختلفة، فالعقد المركبة اتفاقات تتكون من عدة عقود، مسماة اجتمعت في صفقه واحدة كالبيع والإيجار.... على سبيل الجمع

٢٨ - ينظر - د. نزيه حمادة ، العقود المركبة في الفقه الإسلامي، ط ١ ، دار العلم، دمشق، ٢٠٠٥، ص ٧.

٢٩ - ينظر - محمد الجزواني، استحداث العقود، ط ١، دار النهضة للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق، ٢٠٠٦ ٣٢.

٣٠ - ينظر - قانون المدني العراقي رقم (٤٠) لسنة (١٩٥١)، المادة (٤/٥٣٤).

٣١ - ينظر - محمد بن علي القرى، العقود المستجدة ضوابطها ونماذج منها ، مجلة مجمع الفقه الإسلامي، جدة.

العدد العاشر الجزء الثاني: ١٩٩٧، ص ٢٦.

٣٢ - ينظر - د. نزيه حماد، المشاركة المتناقضة واحكامها في ضوء ضوابط العقود المستجدة، مجلة مجمع الفقه الإسلامي، حدة،

عدد ١٣، جزء ٢، ٢٠٠١، ص ٥٠٥.

أو التقابل بحيث تعتبر موجبات تلك العقود وجميع الحقوق والالتزامات المترتبة عليها جملة واحدة لا تقبل التفريق والتجزئة بمثابة آثار العقد الواحد^(٣٣).

٥- المشاركة المتناقصة في المصارف الإسلامية من المشاركات المؤقتة الزمنية الذي يندمج فيها الزمن فيكون عنصراً جوهرياً فيه بحيث لا يتصور قيام المشاركة منفصلاً عن الزمن ويكون هو المعيار الذي يقدر به محل المشاركة^(٣٤)، وبعبارة أخرى هو العقد الذي يكون الزمن فيه مقياساً لتحديد التزامات وحقوق أطرافه^(٣٥)، إن العقد الزمني قد يكون مستمر التنفيذ كعقد الإيجار الذي يعتبر زمنياً بطبيعته، إذ يرد على منفعة الشيء ومقدار المنفعة يقدر بزمن الانتفاع كما يقدر به مقدار الأجرة لأن الأجرة تقابل الانتفاع^(٣٦)، وهو بذلك يختلف عن عقد البيع كأحد العقود الفورية إذ لا يكون الزمن عنصراً جوهرياً فيه ويرد على أداء يمكن تنفيذه في الحال، إن المشاركة التمويلية المتناقصة في المصارف الإسلامية عقد زمني يكون الزمن عنصراً جوهرياً فيه فالغاية التي يراد بلوغها من العقد لا يمكن أن تتحقق إلا بالزمن فلا، يتصور أن تنشأ المشاركة وتنتهي باسترداد المصرف المقابل الذي قدمه مع نسبة معينة من الأرباح^(٣٧).

٦- إن المشاركة المتناقصة في المصارف الإسلامية تتسم بالشخصية والموضوعية تنقسم العقود إلى عقود ذات طابع شخصي إذ يعتد فيها بشخص أو بصفة من صفات أحد المتعاقدين أو كليهما وذلك لأهمية هذه الشخصية أو هذه الصفة في التعاقد فهذا النوع من العقود يقوم على عنصر الاعتبار الشخصي، وعقود ذات الطابع الموضوعي إذ يعتد فيها بموضوع العقد ومحل دون أي اعتداد بشخص أي من المتعاقدين أو بصفاته إن مفهوم الاعتبار الشخصي^(٣٨)، في التعاقد يعني أن شخصية المتعاقد أو صفة معتبرة كانت عنصراً جوهرياً في التعاقد^(٣٩)، أي إن الاعتداد بالاعتبار

٣٣ - ينظر - در شمس الدين، الوكيل دروس في العقد وبعض احكام الالتزام، ط١، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٦٠، ص

٣٤ - ينظر - د. حسن على الذنون، دور المدة في العقود المستمرة، طبع وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ١٩٨٨، ص ٩.

٣٥ - ينظر - د. أنور سلطان، الموجز في مصادر الالتزام بلاط منشأة المعارف الإسكندرية، ص ١٩.

٣٦ - ينظر - د. حيدر فليح حسن، عقد المشاركة بالوقت بحث منشور في مجلة دراسات قانونية تصدر عن قسم الدراسات

القانونية في بيت المحكمة (بغداد)، عدد (٢٩)، ٢٠١٢، ص ١٩.

٣٧ - ينظر - د. حسن على الشاذلي، المشاركة المتناقصة وصورها في ضوء ضوابط العقود المستجدة، مجلة مجمع الفقه الإسلامي،

جدة، عند ١٣، جزء ٢، ص ٤٥٠.

٣٨ - ينظر - د. أنور سلطان، الموجز في مصادر الالتزام، مصدر سابق، ص ٣٦

٣٩ - ينظر - د. جليل حسن بشات الساعدي، الاعتبار الشخصي واثاره في انعقاد وتنفيذ العقد، مجلة العلوم القانونية تصدرها

كلية القانون / جامعة بغداد، المجلد ١٣، العددان الأول والثاني، ١٩٩٨، ص ١٤٩

الشخصي لا يمكن أن يتوقف فقط على الاعتراف بالشخص ذاته بل الغالب انه لا يراعي شخص التعاقد بقدر ما يعتد بصفة من صفاته، و يمكن القول إن الصفات الجوهرية التي قد تكون محل اعتبار في التعاقد تشمل جميع الصفات المتعلقة بالعقد وما يقتضيه حسن النية في تنفيذه، فلضمان تحقيق أهداف وغايات المشاركة المتناقضة التي تقوم على الثقة المتبادلة والتي تمثل جوهر المشاركة على المصرف التأكد من نزاهة طالب التمويل اذ تعد السمعة من الصفات الشخصية التي يعبا بها عند التعاقد^(٤٠) ، فالسمعة التجارية وهي ما يتمتع به الشخص من ثقة في الوسط التجاري تحدد مدى أهمية أئتمانه عند التعامل، وتزرع الثقة بقدرة الشريك على الوفاء بالتزاماته المالية دون الدخول في مشاكل أو منازعات قضائية، وقد يتطلب الأمر أن يكون الشريك من ذوي الكفاءة الإدارية، فقد أعد البنك الإسلامي الأردني برنامجاً لتمويل الحرفيين والمهنيين والصناعات الصغيرة في المهن الطبية والهندسية وذلك لمساعدة هذه الفئة على توفير المتطلبات المهنية^(٤١).

مما تقدم نرى أن الاعتراف المزدوج بأشخاص المتعاقدين هو السائد في المشاركة المتناقضة إذ يكون شخص كل من المتعاقدين وصفاته محل اعتبار يمتد طول مدة المشاركة.

المطلب الثاني: الطبيعة القانونية للمشاركة المتناقضة

تعد المشاركة المتناقضة من العقود المستجدة والتي لم تعرف قديماً بهذه الصورة والتي كانت تقتصر سابقاً على أنواع الشركات المعروفة والمبسوطة في كتب الفقهاء، ولم يوجد في قاموس الفقهاء ما يسمى بالمشاركة المتناقضة لكنها عرفت فيما بعد^(٤٢)، لذا لا بد من إعطائها "الوصف السليم الذي يتفق والنتيجة التي ارتضاها طرفا المشاركة أثراً له بصرف النظر عن الوصف الذي أسبغاه عليه"^(٤٣) ، فالتكييف القانوني من عمل القاضي لا من عمل الأفراد^(٤٤).

٤٠ - ينظر - خالد اللحيدان، المشاركة المنتهية بالتملك وتطبيقاً في المصارف الإسلامية، مصدر سابق ٢١٤.

٤١ - ينظر - د. جليل حسن بشارات الساعدي، الاعتبار الشخصي واثرة في انعقاد وتنفيذ العقد، مصدر سابق، ص ١٥١.

٤٢ - ينظر - د. فهد سعد الديبي الرشدي، دعم المشروعات الصغيرة بالمشاركة المتناقضة بحث منشور في مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، عدد (٨٣)، الكويت، ٢٠١٠، ص ٤١٥.

٤٣ - ينظر - خالد اللحيدان، مصدر سابق، ص ٢١١.

٤٤ - ينظر - د. عباس العبودي، شرح أحكام العقود المسماة في القانون المدني (البيع الإيجار)، ط ١، دار الثقافة للنشر والتوزيع،

الأردن، ٢٠١٢، ص ٢١.

إن المصارف الإسلامية ملتزمة بممارسة عمليات المشاركة ولذلك لا بد من إيجاد نظام تمويلي جديد يتمتع بالشرعية إلى جانب القدرة على تحقيق التمويل للمشروعات، وكان هذا النظام هو نظام المشاركة المتناقصة^(٤٥).

وغياب النص القانوني المحدد لتكليف المشاركة المتناقصة استلزم إسناد هذه المهمة إلى القضاء، "فالتكليف يعد عملاً قانونياً اجتهادياً تتولى المحكمة القيام به من تلقاء نفسها فهو من صميم عملها لا يتوقف على موافقة الخصوم"، لتحديد النظام القانوني واجب التطبيق على محل النزاع، لذلك أثرنا الخوض في تكليف المشاركة المتناقصة^(٤٦).

والسؤال الذي لا بد من طرحه للبحث فيه ما هو الوصف القانوني للمشاركة المتناقصة هل يمكن أن تعد شركة أم عقداً؟ أم هي تحتل المعنيين؟، أم قد تكون شركة وقد تكون عقداً؟ وإذا كانت المشاركة عقد هل هي عقد قرض أم هي صيغة جديدة لها طبيعتها الخاصة.

الفرع الأول: المشاركة المتناقصة شركة

الشركة هي اختصاص اثنين فأكثر بمحل واحد^(٤٧)، وقد عرف قانون الشركات العراقي رقم (٢١) لسنة (١٩٩٧) المعدل لسنة (٢٠٠٤)، في المادة الرابعة الفقرة الأولى منه على أنه الشركة هي "عقد يلتزم به شخصان أو أكثر بأن يساهم كل منهم في مشروع اقتصادي بتقديم حصة من مال أو من العمل....". وتقابل هذه المادة في القانون الأردني المادة (٥٨٢) من القانون المدني الأردني رقم (٤٣) لسنة (١٩٧٦)، كما عرفت مجلة الاحكام العدلية الشركة في المادة (١٣٢٩)^(٤٨).

والمشاركة تقوم بين المصرف والعميل على ان يقدم المصرف تمويلاً كلياً أو جزئياً بقصد انشاء مشروع متوقع الدخل واقتسام الأرباح والخسائر ثم يقوم العميل برد ما قدمه المصرف من تمويل وبشكل تدريجي حتى يكون المشروع بشكل كامل للعميل^(٤٩)، "وهذا ما أكدته المعيار رقم (١٢) والصادر عن هيئة المحاسبة والمراجعة والمجامع الفقهية التي استند إليها المعيار وبهذا التكليف فان رأس المال الذي يدفعه المصرف لا يشترط أن يكون أصلاً في المشروع بل قد يكون سيولة ويجوز أن يذهب لتشغيل المشروع والسلع الاستهلاكية

٤٥ - ينظر - د. سعدون العامري، الوجيز في شرح العقود المسماة، ج ١، ٣، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٤، ص ٥.

٤٦ - ينظر - د. وائل محمد عربيات المصارف الإسلامية والمؤسسات الاقتصادية، مصدر سابق، ص ٥٨.

٤٧ - ينظر - د. طلبة إبراهيم سعد على، احكام المعاملات المالية في المصارف الإسلامية، مصدر سابق، ص ٢٤٥.

٤٨ - ينظر - د جاسم علي سالم الشامسي، المشاركة المنتهية بالتملك العقار، مجلة الحقوق، عدد (٢) الكويت، ٢٠٠١، ص

٤٩ - ينظر - د. هشام احمد عبد الحي، المصرف الإسلامي، بلاط منشأة المعارف. جلال حزي وشركاه مصر، ٢٠١٠، ص

فيه التي تستخدم للتشغيل ويجوز الأخذ من رأس مال المصرف كذلك أجور العمال أو النفقات والمصاريف الإدارية وهذا التكييف تتحاجه كثير من المشاريع التي تنشأ جديدا وقد تكون بحاجة إلى سيولة لتشغيل المشروع واستكمال رأس مال المشروع مع العميل والعقد الذي يعقده المصرف مع العميل يجب أن ينصب على تنظيم عمل المشروع^(٥٠)، ولا يجوز ان يشترط فيه البيع لأنه أمر يتنافى مع مقتضاه بل لا بد أن يكون هناك عقد مستقل عن عقد المشاركة "وان يتم البيع الحصص بعقد مستقل ثالث ويكون البيع للحصة في رأس مال المشروع بالسعر الذي يتفق عليه عند البيع أو بقيمتها وقت البيع ولا يجوز أن يكون البيع بالقيمة الاسمية وتكون مصروفات المشروع على الأطراف كل بنسبته ولا يجوز أن تشترط على أحدهما ويجب تحديد النسبة فيها المستحقة لكل طرف من الأطراف ولا يجوز اشتراط مبلغ مقطوع وأجازه المعيار (١٢) بند (٥ / ٩) أحد الأطراف استئجار حصة شريكه باجره معلومة ولمدة محددة ويظل كل من الشريكين مسؤولا عن الصيانة الأساسية لحصته في كل حين".

وهذا الخطأ الذي وقع فيه المعيار الشرعي خطأ فاحشاً أجاز تأجير الحصص في الشركة وتكييف المشاركة على أساس أنها شركة . فالأصل في الشركة أن يمتزج المال ويصبح سلوكا للشركة واشترط في رأس المال ان يكون نقدا وان قدمت أعيان فيجب تقويمها لأن حصة الشريك في شركة تكون في رأس مال الشركة لا في أعيانها والقوانين الحديثة قسمت الشركات إلى مدنية وتجارية^(٥١)، و حسب قانون التجارة العراقي^(٥٢)، رقم (٣٠) لسنة (١٩٨٤) أعتمد معيارا موضوعياً مستمداً من النشاط الذي تزاوله الشركة حيث نصت المادة (٧) "أولاً: يعتبر تاجر كل شخص طبيعي أو معنوي يزاول باسمه ولحسابه على وجه الاحتراف عملاً تجارياً وفق أحكام هذا القانون "وتقابلها المادة (٩) من قانون التجارة الأردني رقم (١٢) السنة (١٩٦٦). ويرى الباحث من الأمور التي تأخذ على تكييف المشاركة على إنها شركة حيث يصبح في الشركة رأس مال الشريكين مملوكا للشركة ليس للأطراف المشاركة المصرف الممول والشريك طالب التمويل بينما في المشاركة المتناقصة يمول المصرف الشريك طالب التمويل للمشروع معين ويكون المشروع للشركاء، "غير إن في المشاركة سيكون على المصرف تحمل عنصر المخاطرة حيث سيبقى تحت رحمة صاحب المشروع، نعم له حق الرقابة والإدارة ولكن سيبقى بعيدا أكثر عن طبيعة المشروع وسيبقى مرتكزا على أمانة العميل وقيامه بالعمل الواجب أو بذل العناية المناسبة وعليه عبء اثبات التعدي والتقصير في حال حصلت خسارة حتى

٥٠ - حيث نصت المادة (١٣٢٩) من محلة الاحكام العدلية على أن الشركة " عبارة عن عقد شركة بين اثنين أو أكثر على كون رأس المال والربح مشتركة بينهم".

٥١ - ينظر - المادة (٢)، قانون البنك الإسلامي الاردني رقم (١٣) لسنة (١٩٧٨).

٥٢ - ينظر - د. علي السرتاوي، التمويل بصيغة المشاركة المتناقصة - تكييفها واثارها ورقة بحث مقدمة للمؤتمر الفقهي الناس

لشركة شوري للتدقيق الشرعي الكويت ٢٠١٩، ص ٩.

يرجع على الشريك بالضمان وعبء اثبات هذه الوقائع فيها صعوبة على أرض الواقع والشركة بطبيعتها هي عقد جائز يستطيع أحد اطرافها أن يطالب بالفسخ الا إذا قيدت بمدة فإنها تصبح لازمه للأطراف طيلة مدتها وهذه ميزة في شركة او يلاحظ ان شركة أخذت حكم الشخص الحكمي كما في القوانين الحديثة أي أصبحت لها ذمة مالية مستقلة وحق الشركاء وحصتهم تكون في رأس مال الشركة لا في أعيانها".

الفرع الثاني: المشاركة المتناقصة عقد

بدأ إن المشاركة المتناقصة هي عقد ولكن ما هو هذا العقد هل هو عقد قرض إم عقد تمويلي حديث. أولاً: المشاركة المتناقصة عقد قرض.

إن المشاركة المتناقصة قد أوجدها الفقه المصري الإسلامي المعاصر ليكون بديلاً عن عقد القرض بفائدة^(٥٣)، إلا إن هناك من يرى أن المشاركة المتناقصة ما هي إلا عقد قرض نقدي ربوي محض بل حتى إن القضاء قد أخطأ في تكليف المشاركة عندما كيفه على إنه عقد قرض ورتب عليه فوائد^(٥٤)، كان لزاما علينا الجنوح إلى إبراز ملامح الشبه والاختلاف بين المشاركة المتناقصة والقرض بفائدة للحيلولة دون الاشتباه بينهما.

فعقد "القرض هو أن يدفع شخصاً لآخر عينا معلومة من الأعيان المتلفة التي تستهلك بالانتفاع بها ليرد مثلها"^(٥٥)، والأصل في عقد القرض أن يكون من عقود التبرع ما لم يشترط المقرض على المقترض دفع الفائدة^(٥٦)، مقابل القرض حينئذ يندرج عقد القرض تحت طائفة عقود المعاوضة إن وجوب الفائدة في القرض يشترط وجوده في العقد^(٥٧)، وتبرر الفائدة المستحقة على مبلغ القرض بأنها تمثل قسط تأمين ضد المخاطر التي يتعرض لها المقرض إثر انخفاض القوة الشرائية للنقود واختلاف درجة الثقة في المقترض فضلا عن إنها تعطى للمقرض مقابل الخدمة التي يقدمها للمقترض^(٥٨)، ومتى ما توجهت إرادة المتعاقدين إلى

٥٣ - د. لطيف جبر كومان، الشركات التجارية دراسة قانونية مقارنة، ط ١. الجامعة المستنصرية، بغداد، ص ٢٦.

٥٤ - حيث نصت المادة (٩) على أنه ١ التجار هم: أ- الأشخاص الذين تكون مهنتهم القيام بأعمال تجارية. الشركات التي يكون موضوعها تجارياً ٢٠ أما الشركات التي يكون موضوعها مدنيا ولكنها اتخذت صفة الشركات المساهمة المحدودة والعادية تخضع لجميع التزامات التجار المعينة.

٥٥ - ينظر - د. وائل محمد عربيات، المصارف الإسلامية والمؤسسات الاقتصادية. مصدر سابق، ص ٥٧

٥٦ - حكم صادر في الاستئناف رقمي او دل لسنة ١٩٩٩م عن محكمة أبو ظبي الاستئنافية بتاريخ ١٨/٥/١٩٩٩م، مجلة الحقوق الكويت عدد (٢) ٢٠٠١، ص ٢٨١.

٥٧ - ينظر - المادة (٦٨٤) من القانون المدني العراقي تقابلها المادة (٦٣٦) من القانون المدني الأردني القرض تمل مال أو تبي مثلي لأخر على أن يرد مثله قدراً ونوعاً ووصفة إلى المقرض عند نهاية مدة القرض

٥٨ - بنظر - الفائدة هي العوض الذي يلتزم المقترض بدفعه المقرض في مقابل الانتفاع بالشيء المقترض د. محمد كامل مرسي

باشا شرح القانون المدني العقود المسماة، الجزء الثاني منشأة المعارف الإسكندرية، ٢٠٠٥، ص ٣٧٤.

اقتران عقد القرض بالفائدة فقد تكون اتفاقية أو قانونية فالقواعد القانونية المحددة لسعر الفائدة تترك للمتعاقدين حرية تحديد هذا السعر تارة وتفرض سعراً إلزامياً تارة أخرى.

فيجوز لطرفي عقد القرض الاتفاق على سعر الفائدة بما لا يزيد على (٧٪) (الفائدة الاتفاقية أما الفائدة فيما إذا انصب الاتفاق على استحقاق الفائدة دون تحديد سعرها حينئذ يميز القانون بين سعر القروض المدنية (٤٪) وفي القروض التجارية (٥٪)،^(٥٩) كما جاء في القانون المدني العراقي ويرجع هذا الاختلاف في سعر الفائدة القانونية إلى إن الأموال التي تستعمل في التجارة تريح أكثر من غيرها كما إنها أكثر عرضة للضيق^(٦٠).

وقد تتجاوز الفوائد الاتفاقية السعر الذي حدده القانون (٧٪) وعندها لا بد من تخفيضها لا إلى حد الفوائد القانونية بل إلى حد الفوائد الاتفاقية^(٦١)، لأن المتعاقدين باتفاقهم على أكثر الفوائد الاتفاقية قصدوا أن يكون سعر الفائدة أكثر من سعر الفوائد القانونية فوجب العمل باتفاقهم بقدر ما يسمح به القانون وإهماله فيما يزيد على ذلك^(٦٢).

أما بالنسبة للقانون الأردني لم يحدد نسب الفائدة كما حددها القانون العراقي وإنما اقتصر على الفائدة القانونية التي جاءت في قانون أصول المحاكمات المدنية الأردني حيث حدد الفائدة القانونية إن لا تتجاوز (٩٪) تتفق المشاركة المتناقصة مع عقد القرض بفائدة في إن كل منهما من عقود المعاوضة المستمرة ذات الطابع الشخصي ومن ثم يدق التمييز بينهم في فرضين وكلاتي:

٥٩ - ينظر - المادة (٦٩٢/١) من القانون المدني العراقي ان هذا النص قد ورد في المادة (٦٦٨/١) من المشروع التمهيدي ونصها على المس ض أن يدفع الفوائد المتفق عليها عند حلول مواعيد استحقاقها فإذا لم يكن هناك اتفاق على فوائد أعتبر القرض يغير (إلا إن الأستاذ منير القاضي إقتراح أن تعاد صياغة النص بالشكل الاتي لا تجب الفائدة القرض إلا إذا شرطت في العقد فأقرت لجنة المراجعة النص المقترح تحت رقم (٢٠٣) من المشروع النهائي مجموعة الأعمال التحضيرية الجزء الثالث ص ١٩١.

٦٠ - ينظر- د. حسني حسن المصري، الفوائد في النظم القانونية المقارنة وموقف المشرع الكويتي منها مجلة الحقوق الكويت، ملحق العدد الأول ٢٠٠٣، ص ٢٨.

٦١ - ينظر- المادة (١٧١) من القانون المدني العراقي والتي تنص.... فوائد قانونية قدرها أربعة في المائة في المسائل المدنية وخمسة في المائة في المسائل التجارية..... وهذا ما أخذت به الهيئة الاستئنافية في محكمة التمييز الاتحادية في قرارها. المرقم ٢٤٠٠ / الهيئة الاستئنافية منقول / ٢٠١٢ في ٢٠١٢/١١/٤ حيث جاء فيه تكون القوات القانونية بنسبة ٥٠٪ في المسائل التجارية اعتباراً من تاريخ المطالبة القضائية إذا كان محل الالتزام مبلغاً من النقود وكان معلوم المقدار وقت نشوء الالتزام..... مجلة التشريع والقضاء السنة الخامسة العدد الثالث ٢٠١٣، ص ١٤١

٦٢ - ينظر - د محمد كامل مرسي، شرح القانون المدني العقود المسماة، الجزء الثاني، منشأة المعارف الاسكندرية، ٢٠٠٥، ص

الفرض الأول: إذا قدم احد أطراف المشاركة المتناقصة و هو المصرف الإسلامي التمويل الكلي أو الجزئي لمشروع معين وبعد إن استرد ما قدمه من تمويل فضلاً ما يخصه من الأرباح المتحققة عن استغلال المشروع خلال فترة المشاركة فكأنما اقترض المال اللازم لتمويل المشروع ومن ثم استرده مع الفوائد المحتملة.

الفرض الثاني: يشتهب المشاركة المتناقصة، مع عقد القرض بفائدة ، "عندما يشترط المقرض على المقترض أن يرد القرض أقساطاً سنوية متساوية القسط الأول يتضمن عن فوائد مبلغ القرض كله مع جزء بسيط من رأس المال والقسط الثاني يتضمن فوائد ما بقي من مبلغ القرض مع جزء أكبر من رأس المال تعادل الزيادة فيه ما نقص من الفوائد" (٦٣)، وتدرج الأقساط متضمنة فوائد أقل ورأس مال أكبر إلى أن يصبح القسط الأخير متضمناً ما بقي من رأس المال مع فوائد قليلة هي فوائد هذا الباقي وهذه الصورة من شأنها أن تيسر على المقترض استهلاك رأس المال مع دفع الفوائد في الوقت نفسه عن طريق أقساط سنوية متساوية إذ تنقص الفوائد بقدر ما يستهلك المقترض من رأس المال (٦٤).

وعلى الرغم من التقارب الشديد بين عقد المشاركة المتناقصة والقرض بفائدة على النحو السابق إلا إن الاختلاف بينهم يبدو جلياً من خلال النقاط الآتية :-

أ- ترد المشاركة المتناقصة على العقارات مثلما يرد على المنقولات ولكن لا يتصور أن يكون محل العقد قابلاً للاستهلاك في حين إن طبيعة عقد القرض بفائدة تقتضي أن يرد على المثليات التي يقوم بعضها مقام بعض عند الوفاء (٦٥)، "والغالب أن يكون الشيء المثلي المقترض قابلاً للاستهلاك (نقود) إذ تنتقل ملكيته إلى المقترض ليستهلكه على أن يرد مثله ولا يأتي رد المثل إلا في المثليات فعقد القرض بفائدة يرد على المنقولات المادية دون العقارات لأنها في الغالب أموال قيمة تأتي بطبيعتها الإقراض".

ب- تعد نية المشاركة فيصل التفرقة بين المشاركة المتناقصة وعقد القرض بفائدة فلا بد من توافر قصد الاشتراك أي نية المشاركة (٦٦)، لدى الشركاء في نشاط ذي تبعة بأن يساهم كل شريك في هذه التبعة باقتسام الأرباح والخسائر فنية المشاركة في نشاط ذي تبعة تمثل العنصر النفسي من مقومات

٦٣ - حيث تنص المادة (١٧٢/١) من القانون المدني العراقي والتي تلص (يجوز للمتعاقدين أن يتفقا على سعر آخر الفوائد على أن لا يزيد هذا السعر على سبعة في المائة فإذا اتفقا على فوائد تزيد على هذا السعر وجب تحليصها إلى سبعة في المائة وتعيين رد ما دفع زائداً على هذا المقدار).

٦٤ - ينظر - د محمد كامل مرسي، شرح القانون المدني العقود المسماة، مصدر سابق، ص ٤٠٨٠

٦٥ - ينظر - عبد الرزاق أحمد السنهوري، الوسيط في شرح القانون المدني، العقود التي تقع على الملكية (المبني والشركة والقرض والدخل الدائم والصلح). منشأة المعارف الإسكندرية، ٢٠٠٤، ص ٣٤٤.

٦٦ - ينظر - سرى محمد هوي مهدي، عقد المشاركة المنتهية بالتملك، مصدر سابق، ص ٧٠.

المشاركة^(٦٧)، أي لا بد من أن تتجه إرادة كل شريك في المشاركة المتناقصة للتعاون مع كل الشركاء الآخرين في النشاط الذي ينطوي على قدر من المخاطرة على خلاف عقد القرض بفائدة إذ يكون للمقرض المطالبة بمبلغ القرض مع الفوائد بغض النظر عما حققه المقرض من ربح أو خسارة ومن ثم شتان بين المشاركة المتناقصة وعقد القرض بفائدة من حيث توافر نية المشاركة أو عدم توافرها.

ت- لا يقدم أطراف المشاركة المتناقصة على المشاركة إلا بعد دراسة جدية لجدوى المشروع محل المشاركة فالعلاقة بين الشركاء قائمة على أساس التعاون والمشورة في البحث عن أفضل السبل لتحقيق الربح إذ يتمتع كل شريك بحق الإدارة والرقابة والإشراف في حين إن المقرض يقدم على إبرام عقد القرض بفائدة دون النظر إلى الغرض الذي اقتضى المال لأجله أو ربحية المشروع أو جديته إذ ينعدم دور المقرض في استغلال مبلغ القرض وإدارة المشروع الذي وجد عقد القرض بفائدة من أجله^(٦٨).

ث- تكون يد الشريك في المشاركة المتناقصة يد أمانة ومن ثم لا يضمن إلا في حال التعدي أو التقصير أما في عقد القرض بفائدة حيث يمتلك المقرض مبلغ القرض على أن يرد مثله مع الفوائد ومن ثم يكون ضامنا فيد الشريك يد أمانة ويد المقرض يد ضمان^(٦٩).

ج- إن تبعة الهلاك في المشاركة المتناقصة على عاتق الشركاء فالشريك يحظى بمركز المالك لحصته في المشروع ومن ثم يتحمل تبعة الهلاك بقدر تلك الحصة فالمال يهلك على حساب المالك وهذا ما يباعد بينه وبين عقد القرض بفائدة إذ تقع تبعة الهلاك على أحد أطراف العقد فإن هلكت العين بعد العقد وقبل القبض تهلك على المقرض ولا ضمان على المستقرض، وبداية أن تنتقل تبعة الهلاك بعد القبض إلى المستقرض، فانتقال ملكية العين المقرضه ومن ثم تبعة هلاكها من المقرض إلى المستقرض يتوقف على ركن القبض وهذا من مقتضيات عينية عقد القرض بفائدة في القانون المدني العراقي^(٧٠).

٦٧ - ينظر - المادة (١/٦٤) من القانون المدني العراقي حيث تنص على ان الاشياء المثلية هي التي يقوم بعضها مقام بعض عند الوفاء وتقدر عادة في التعامل ما بين الناس بالعدد أو المقياس أو الكيل أو الوزن وتقالبها المادة (١/٥٦) من القانون المدني الاردني حيث تنص على ان الأشياء المثلية هي ما تماثلت احادها أو أجزاءها أو تقاربت بحيث يمكن أن يقوم بعضها مقام بعض عرفا بلا فرق يعتد به وتقدر في التعامل بالعدد أو المقياس، أو الكيل، أو الوزن).

٦٨ - ينظر- قرار صادر عن دائرة النقض المدنية دولة الإمارات العربية المتحدة منشور في المجلة العربية للفقهاء القضاء المملكة المغربية. العدد الأول، ١٩٨٤، ص ٣٢٤

٦٩ - ينظر- د. عبد الرزاق السنهوري، الوسيط في شرح القانون المدني، مصدر سابق، ص ٢٢١.

٧٠ - ينظر - د. وائل محمد عربيات، المصارف الإسلامية والمؤسسات الاقتصادية، مصدر سابق، ص ١٢٤.

ح- في المشاركة المتناقصة يكون الشريك مالكا لحصة في المشروع محل المشاركة ومن ثم يكون مسؤولاً عن تحمل عبء الخسارة وتبعية الهلاك بقدر تلك الحصة ، في حين إن عقد القرض بفائدة ينقل ملكية المال المقترض من المقرض إلى المقترض على أن يرد مثله الفوائد مما يعرض حق المقرض إلى عدة مخاطر كإنخفاض القوة الشرائية للنقود أو إفلاس أو إعسار المقترض أو عدم التزامه بسداد مبلغ القرض فالمخاطر التي يتعرض لها الشريك في المشاركة التمويلية المتناقصة تتميز عن المخاطر التي يتعرض لها المقرض في عقد القرض بفائدة^(٧١).

ثانياً: المشاركة المتناقصة عقد تمويلي حديث.

إن المشاركة لا يخلو تكييفها أما بشركة^(٧٢)، أو عقد والأصل يمكن بيان مفهوم المشاركة من خلال البحث في الفقه وهذا ما بيناه سابقا وهو مفهوم واسع يقبل نشوء صيغ جديد للمشاركات بالصيغ التي وردت في المراجع الفقهية وإن قبول بضوابط معينة من قبل الشركات المساهمة باعتبارها مؤسسات المالية الإسلامية هي شركات مساهمة^(٧٣)، والأصل أن هذه الصيغ الحديثة للمشاركة وتكييفها على أنها عقد جديد وتكون أحكامها وآثارها تتناسب مع خصوصيتها وطبيعتها وهذا عمل الفقهاء حيث تكون تتولد العقود مع الحاجة ومتطلبات المجتمع لها.

فالعقود لا ترد في أي مذهب أو مدرسه قانونيه على سبيل الحصر فالحق الشخصي يتجدد والعقود الجديدة قد يجتمع فيها أكثر من عقد فعلى سبيل المثال عندما ينزل الشخص في الفندق ويتعاقد معه هل هذا العقد عقد اجاره ام عقد بيع ام عقد خدمة فأنت تستأجر الجناح وتشترى الطعام ويقدم لك خدمة التنظيف في عقد واحد ولذا في كثير من القوانين الحديثة جعلته عقد مسمى جديد هو عقد الفندقية. حيث إن وهذه الصيغة من الصيغ المالية التي لها خصوصية فالأصل أن الأحكام التي تنطبق على هذه الصيغة التمويلية تكون مشروعة ومتوازنة بالشكل الذي يتفق و ارادة أطرافه، ليس فيها جبر لأي ارادة من الارادتين وبشكل ينظر إلى الصيغة بكل ما فيها على أساس أنها عقد ليس عقدين إنما واحد وفيه التزامات متقابلة لا يمكن استغناء بعضها عن البعض^(٧٤).

٧١ - ينظر - المادة (٤٢٧/١) من القانون المدني العراقي والتي تنص تكون اليد يد ضمان إذا حار صاحب اليد الشيء يقصد تملكه وتكون يد أمانة إذا حاز الشيء لا يقصد تملكه بل باعتباره نائباً عن المالك).

٧٢ - ينظر- المادة (٦٨٦/٢) من القانون المدني العراقي رقم (٤٠) لسنة (١٩٥١) وتقابلها المادة (١/٦٣٧)) من القانون المدني الأردني.

٧٣ - ينظر - سيف هشام صباح الفخري، صيغ التمويل الإسلامي، رسالة ماجستير مقدمة إلى مجلس كلية الاقتصاد جامعة حلب سورية ٢٠٠٩، ص ١٠.

٧٤ - ينظر- د. طلبة ابراهيم سعد على أحكام المعاملات المالية في المصارف الإسلامية، مصدر سابق، ص ٢٤٥.

"وهذا الكلام له مخاطر من الناحية القانونية والقضائية فالأصل أن الصيغ الإسلامية يجب أن تحول إلى مشاريع قوانين ومن ثم تنتقل بها إلى التقنين وسبب ذلك ان القضاء في حال النزاع ان كان للصيغة قانون خاص بها حكم بين المتنازعين بالأحكام الخاصة الواردة في القانون المختص بالصيغة فإن فقد وجود مثل هذا القانون فإن التقاضي والتحكيم يكون بناء على القواعد العامة وبناء على اقرب عقد ترد إليه الصيغ الجديدة وهذه اشكالية في الصناعة المالية الإسلامية فعلى سبيل المثال نجد أن صيغة التمويل التأجيري"^(٧٥)، قد وجد لها قانونا خاصا بها وتناقلته كثير من الدول العربية عن بعضها واصله كان أجنبيا فلما لا تقوم الهيئات العامة التي تعمل بالصناعة المالية الإسلامية على إيجاد مشاريع قوانين للصيغ الإسلامية حتى تقر وتصبح قانونا ويعطى لكل صيغة خصوصيتها وتصاغ أحكامها بشكل مشروع يحقق الهدف التي نشأت الصيغة من أجله^(٧٦).

ونرى بعد البحث أن المشاركة المتناقصة لا تستطيع بدون وجود قانون خاص بها وحصصها بالعقد وبيين طبيعة العقد والغرض من التعاقد وتسميته المشاركة المتناقصة ولو يكون فيه تضيق لان كثيرا من المشاريع ينقصها السيولة لا الأصول وقد نجد بعضها على خلاف ذلك ، لا بد من اتحاد و اشتراك لعقود عدة اتحدت لبلوغ الغاية الاقتصادية المتوخاة منه، فهذه الغاية هي التي تنشأ الرابطة بينهم في هذه المجموعة في شكل تجمع، بحيث يكون كل هذه المجموعة ضرورية لتحقيق تلك الغاية فلا بد من إيجاد التعايش بينهم لتكوين منظومة تتبلور فيها المشاركة.

الخاتمة

بعد ان انتهينا من البحث في بيان مفهوم المشاركة المتناقصة وتكييفها القانوني لا بد من عرض أهم ما توصلنا إليه من استنتاجات وما نراه من توصيات املين الأخذ بها على أرض الواقع وذلك على النحو الآتي.

أولا : الاستنتاجات:

١. لم ينظم القانون العراقي المشاركة، فقط هناك أشاره للمشاركة باعتبارها وسيلة من وسائل جذب الأموال في المادة (٢) ثانيا من قانون المصارف الإسلامية رقم (٤٣) لسنة (٢٠١٥).
٢. عدم تسمية المشرع عقد المشاركة المتناقصة في القانون إذ لا بد من وجود نص قانوني يسمي هذه العقد.

٧٥ - ينظر - د. علي السرطاوي التمويل بصيغة المشاركة المتناقصة تكييفها واثارها. مصدر سابق، ص ١٣.

٧٦ - ينظر - زقاري امال، التمويل بعقد المشاركة في المصارف الإسلامية، مصدر سابق ٢٠١٨، ص ٢٨.

٣. عدم وجود تكليف للمشاركة إذ إنها ليست شركة وإنما عقد وهذا العقد وإن كان يقترب من عقد القرض إلا إنه يختلف عنه من ناحية الفائدة الموجودة في القرض وغير موجودة في المشاركة.
٤. تتفق المشاركة الثابتة مع المشاركة المتناقصة في إن كل منهما يعد بديلاً شرعياً لنظام القرض السائد في المصارف التقليدية، في ظل نظام سعر الفائدة الربوية المحرمة.
٥. إن المشاركة المتناقصة والإجارة المنتهية بالتملك كلاهما معاملة مستحدثة.
٦. إن المشاركة المتناقصة غرضها تقديم التمويل اللازم للعميل (طالب التمويل) ودخولهم في مشروع معين بدل اللجوء إلى القرض الربوي.

ثانياً : المقترحات :

١. بما أن المشرع العراقي بين في أشاره بسيطة للمشاركة لذا نقترح على المشرع العراقي إيجاد للمشاركة المتناقصة تنظيم قانوني متكامل يبين فيه وبشكل واضح عناصره الجوهرية ويفصل أحكامه، لسد هذا النقص التشريعي ومعالجته لتنتقل المشاركة المتناقصة من طائفة العقود غير المسماة وتكون من العقود المسماة.
٢. نقترح على المشرع تكليف هذه المشاركة على أنها عقد وهذا العقد عقد تمويلي حديث يسمى بالمشاركة المتناقصة.
٣. نقترح على المشرع إن يتضمن هذا القانون كافة الإجراءات التي تسهل عمل المشاركة المتناقصة مع ضرورة الاعتماد على الجوانب الإلكترونية قدر الإمكان.
٤. يقترح الباحث على المشرع بإيجاد صيغة ثابتة لعقد المشاركة المتناقصة توافق الشروط و الضوابط اللازم توافرها في هذا العقد، حتى يتم توحيد العمل في المصارف الإسلامية جميعاً وتكون قدوة للمصارف التقليدية التي تسير على خطى المصارف الإسلامية.

المصادر

اولا :الكتب:

- ١- محمد محمود المكاوي، تفعيل المشاركة في البنوك الإسلامية ، بلاط دار الفكر والقانون للنشر والتوزيع، مصر، ٢٠٢١.
- ٢- د. محمد عثمان شبر، للمعاملات المالية المعاصرة في الفقه الإسلامي، ط١، دار النفائس، الاردن، ١٩٩٦.
- ٣- نور الدين عبد الكريم الكاملة، المشاركة المتناقصة وتطبيقاتها المعاصرة في الفقه الإسلامي، ط١، دار النفائس للنشر والتوزيع، الاردن، ٢٠١٠.
- ٤- محمود ناصر الغريب، التمويل بالمشاركة في البنوك، ط١، جامعة المنصورة، كلية التجارة، مصر، ١٩٨٢.
- ٥- د. جهاد عبد الله حسين أبو عويمر، الترشيد الشرعي للبنوك القائمة، دار الثقافة للطباعة و النشر، القاهرة، ١٩٨٦.
- ٦- محمد عبد الكريم أرشيد، الشامل في معاملات و عمليات المصارف الإسلامية، ص٢، دار النفائس للنشر والتوزيع، الاردن.
- ٧- د. نزيه حماد، العقود المركبة في الفقه، ط١، دار العلم، دمشق، ٢٠٠٥.
- ٨- محمد الخزواني، استحداث العقود ط١، دار النهضة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠٠٦.
- ٩- در شمس الدين، الوكيل دروس في العقد وبعض أحكام الالتزام، ط١، منشأة المعارف، الإسكندرية.
- ١٠- د. أنور سلطان، الموجز في مصادر الالتزام، بلاط، منشأة المعارف، الإسكندرية،
- ١١- د. سعدون العامري الوجيز في شرح العقود المسماة ج... ط٣، مطبعة العاني بغداد. ١٩٧٢.
- ١٢- د. حسن علي، الديون دور المدة في العقود المستمرة، طبع وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ١٩٨٨.
- ١٣- د. وائل محمد عربيات المصارف الإسلامية والمؤسسات الاقتصادية، ط١، دار الثقافة للنشر والتوزيع المركز الرئيسي : عمان - وسط البلد قرب الجامع الحسيني عمارة الحجيري، ٢٠٠٦.
- ١٤- د. طلبة إبراهيم سعد علي احكام المعاملات المالية في المصارف الإسلامية، دار الكتب القانونية دار شتات للنشر والبرمجيات ، مصر، ٢٠٢٢.

- ١٥- د. لطيف جبر كومان، الشركات التجارية دراسة قانونية مقارنة ، ط ١، الجامعة المستنصرية، بغداد.
- ١٦- د. هشام احمد عبد الحي المصرف الإسلامي ، بلاط منشأة المعارف، جلال حزبي وشركاه مصر ٢٠١٠.
- ١٧- د محمد كامل مرسي، شرح القانون المدني العقود المسماة، الجزء الثاني منشأة المعارف الاسكندرية، ٢٠٠٥.
- ١٨- عبد الرزاق أحمد السنهوري، الوسيط في شرح القانون المدني الجزء (٢)العقود التي تقع على الملكية الهيئة والشركة والقرض والدخل الدائم والصلح) منشأة المعارف، الإسكندرية ٢٠٠٤.
- ١٩- د. عبد الرزاق السنهوري، الوسيط في شرح القانون المدني. ج. العقود التي تقع على الملكية الهية والشركة والدخل الدائم والصلح) ، منشأة المعارف، الاسكندرية.٢٠٠٤.
- ٢٠- د. عباس العبودي. شرح أحكام العقود المسماة في القانون المدني البيع والإيجار) ط ٢ دار الثقافة للنشر والتوزيع الاردن، ٢٠١٢.

ثانياً: الرسائل والاطاريح:

- ١- سري محمد هوي مهدي ، عقد المشاركة المنتهية بالتملك ، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية القانون جامعة بغداد، ٢٠١٥.
- ٢- سيف هشام صباح الفخري، صيغ التمويل الإسلامي رسالة ماجستير مقدمة إلى مجلس كلية الاقتصاد جامعة حلب سورية ٢٠٠٩.
- ٣- عناب زكرياء، البنوك الإسلامية ودورها في تمويل القطاع الزراعي - دراسة تجرية السودان رسالة ماجستير مقدمة إلى مجلس كلية العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية / جامعة أم البواقي، الجزائر، ٢٠١٦.
- ٤- مصعب محمد صايل، صيغ الاستثمار في المصارف الاسلامية وأثرها على عملية الاستثمار، رسالة ماجستير مقدمة إلى مجلس كلية الامام الاعظم ، ٢٠١٢.
- ٥- سارة مرابط - صيغ وأساليب التمويل في نظام المشاركة وتنفيذها داخل البنوك الإسلامية رسالة ماجستير مقدمة إلى مجلس كلية العلوم ، جامعة العربي بن مهدي - أم البواقي، الجزائر، ٢٠١٣.
- ٦- يوسف سعيد يوسف أبو سلميه، معوقات انتشار التمويل المصرفي الإسلامي بصيغة المشاركة في فلسطين رسالة ماجستير مقدمه الى كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية الجامعة الإسلامية، فلسطين. ٢٠٠٤.

٧- محمد عبدالله بريكان الرشيدى، عقد الإجارة المنتهية بالتملك - دراسة مقارنة مع الشريعة الإسلامية رسالة ماجستير مقدمة إلى مجلس كلية الحقوق - قسم القانون الخاص جامعة الشرق الأوسط، الأردن.

ثالثاً: البحوث والمقالات:

١. د. جاسم على سالم الشامسي المشاركة المنتهية بالتملك العقار، مجلة الحقوق عدد (٢)، الكويت ، ٢٠٠١.
٢. د. علي السرطاوي التمويل بصيغة المشاركة المتناقصة - تكيفها وآثارها ورقة بحث مقدمة للمؤتمر الفقهي الناس لشركة شورى للتدقيق الشرعي الكويت ٢٠١٩.
٣. د. حسني حسن المصري، الفوائد في النظم القانونية المقارنة وموقف المشرع الكويتي منها مجلة الحقوق الكويت ملحق العدد الأول ٢٠٠٣.
٤. زقاري امال، التمويل بعقد المشاركة في المصارف الإسلامية، مجلة دوائر البحوث والدراسات القانونية والسياسية - مخير المؤسسات الدستورية والنظم السياسية تصدر عن مجلس النشر في المركز الجامعي مرسلبي، العدد الرابع ٢٠١٨.
٥. د. عجيل جاسم النشمي ، المشاركة المتناقصة وصورها في ضوء العقود المستجدة مجلة مجمع الفقه الإسلامي تصدر عن منظمة المؤتمر الإسلامي جدة ، العدد (١٣) ، ج (٢) ٢٠٠١.
٦. ابراهيم الدسوقي أبو الليل، تطورات حديثة في التمويل الائتماني مجلة الدراسات القانونية تصدر عن مجلس النشر في جامعة بيروت العربية العدد الثامن ، ٢٠٠٢.

رابعاً: القوانين والتعليمات:

١. قانون البنك الإسلامي الاردني رقم (١٣) لسنة (١٩٧٨).
٢. القانون المدني العراقي رقم (٤٠) لسنة (١٩٥١).
٣. القانون المدني الأردني رقم (٤٣) لسنة (١٩٧٦).
٤. قانون التجارة العراقي رقم (٣٠) لسنة (١٩٨٤).
٥. قانون الشركات العراقي رقم(٢١) لسنة(١٩٩٧) المعدل لسنة (٢٠٠٤).

خامساً: النشرات والقرارات:

١. حكم صادر في الاستئناف رقمي او د لسنة ١٩٩٩م عن محكمة أبو ظبي الاستئنافية بتاريخ ١٩٩٩/٥/١٨م، مجلة الحقوق الكويت عدد (٢) ٢٠٠١، ص ٢٨١

٢. قرار صادر عن دائرة النقض المدنية دولة الإمارات العربية المتحدة منشور في المجلة العربية للفقهاء والقضاء في المملكة المغربية ، العدد الأول، ١٩٨٤ ، ص ٣٢٤.

الاستثمار الأجنبي المباشر وتأثيره على الفقر والبطالة في العراق للمدة

(٢٠١٣-٢٠٢٣)

Foreign Direct Investment and Its Impact on Poverty and Unemployment in Iraq for the Period (2013–2023)

أ.م.د. عباس فاضل رسن التميمي^(١)

Asst. Prof. Abbas Fadhil Rasan Al-Tamimi (PhD)

الملخص

تناول البحث الاستثمار الأجنبي المباشر ومدى تأثيره على نسب البطالة والفقر في العراق كونه يعد احد الوسائل الرئيسة في عالم اليوم لتوفير قاعدة إنتاجية فاعلة تسهم في توفير فرص العمل التي يمكن من خلالها مواجهة البطالة التي سوف تؤدي بالنتيجة الى خفض مستوى الفقر، ولكن نتائج التحليل الاحصائي أظهرت نتائج معاكسة تدل على عدم تمكن العراق من توظيف هذا المتغير لمعالجة أوضاعه الاقتصادية والمالية المتردية ، اذ اظهرت ابرز الاستنتاجات تحقق تأثير موجب ذو علاقة طردية على كل من الفقر والبطالة وارتفاع نسبتهما في العراق مما يعد مؤشر خطير ذو نتائج عكسية على الأوضاع المالية والاقتصادية والإنسانية في البلاد ، وكانت ابرز التوصيات تنصب على العمل على توظيف الاستثمار الأجنبي المباشر الحقيقي لتوسيع القاعدة الإنتاجية وتوفير فرص عمل فعلية بدل السماح للمستثمر الأجنبي بالاستثمار بالأوراق المالية من خلال شراء اسهم بعض المنشآت القائمة والاستحواذ عليها دون اية إضافة للنتاج المحلي وفرص العمل مع تقليص حجم الإنتاج فيها.

١- جامعة المستقبل - كلية العلوم الادارية abbas.fadhil@uomus.edu.iq

Abstract

The research dealt with foreign direct investment and its impact on unemployment and poverty rates in Iraq, as it is one of the main means in today's world to provide an effective production base that contributes to providing job opportunities through which unemployment can be confronted, which will ultimately lead to reducing the level of poverty. However, the results of the statistical analysis showed opposite results indicating Iraq's inability to employ this variable to address its deteriorating economic and financial conditions. The most prominent conclusions showed a positive impact with a direct relationship on both poverty and unemployment and their high rates in Iraq, which is a dangerous indicator with negative results on the financial, economic and humanitarian conditions in the country. The most prominent recommendations focused on working to employ real foreign direct investment to expand the production base and provide actual job opportunities instead of allowing the foreign investor to invest in securities by purchasing shares of some existing establishments and acquiring them without any addition to the gross domestic product and job opportunities, while reducing the volume of production in them.

Keywords: Foreign Direct Investment, Poverty and Unemployment in Iraq

المقدمة

تعمل دول العالم بمختلف تصنيفاتها الاقتصادية والمالية على استقطاب رأس المال الأجنبي من خلال الاستثمار الأجنبي المباشر سواء كانت دول متقدمة أو ضمن فئة الدول الناشئة أو من الدول النامية وذلك لما يحققه هذا النوع من الاستثمار من ميزات متعددة للدول المضيفة، إذ تتمكن هذه الدول من الحصول على الأموال اللازمة لتطوير وتحديث قطاعاتها الاقتصادية المختلفة دون أية التزامات مقيدة لها كما يحدث في عمليات التمويل بالقروض الخارجية والتي تتعرض فيه الدولة الى نوع من التقييد وازعاف القرار مع تحمل أعباء الفوائد المترتبة على هذا النوع من التمويل في حين تكون العملية يسيرة بشكل أكبر عن طريق الاستثمار الأجنبي المباشر، اضافة الى ذلك إمكانية الحصول على التقنيات الإنتاجية المتقدمة التي ينقلها المستثمر الى داخل البلد، في حين يمكن توفير حجم واسع من فرص العمل لمواجهة البطالة في الدول المضيفة والتي تعد السبب الرئيس لانتشار مستوى الفقر وما يرتبط به من معضلات اجتماعية ونفسية وامنية، كما يتم استقطاب الكفاءات الإدارية والتشغيلية كذلك والتي تحقق بالحصلة النهائية إمكانية زيادة الناتج المحلي وتوفير المنتجات الحقيقية الملموسة محليا بمجودة عالية.

تناول بحثنا هذا حجم الاستثمار الأجنبي المباشر في العراق كمتغير مستقل وطبيعته ووسائل تفعيله ومدى فاعليتها في ظل البيانات الرسمية المتاحة لمعالجة البطالة والفقر في العراق، إذ تضمن المبحث الأول

مفهوم واهمية واهداف الاستثمار الأجنبي المباشر، في حين تناول المبحث الثاني -الفقر- كمتغير تابع من ناحية المفهوم والأسباب والانعكاسات مع بيان نوع الفقر المعتمد كمقياس وكيفية احتسابه، اما البطالة - فكانت المتغير التابع الثاني التي تم تناول تعريفها واسبابها وتصنيفاتها ضمن المبحث الثالث، وتم تخصيص المبحث الرابع للجانب التطبيقي الاحصائي واهم الاستنتاجات والتوصيات التي توصل اليها الباحث.

منهجية البحث

أولاً- المشكلة

تبع مشكلة البحث من الواقع الاقتصادي والمالي المتردي الذي يعيشه العراق وانتشار البطالة وارتفاع نسب الفقر بين مواطنيه ضمن حدود قوى العمل ، وهنا يطرح تساؤل رئيس مفاده هل حقق الاستثمار الأجنبي المباشر المعلن عنه في العراق عن الأهداف التي تعمل اغلب دول العالم على تحقيقها من خلال السماح للمستثمر الأجنبي بالاستثمار فيها لتقليل البطالة وخفض نسب الفقر؟ ، كما يبرز تساؤل اخر عن مدى مساهمة هذا الاستثمار في توفير فرص عمل حقيقية في القاعدة الإنتاجية بمختلف قطاعاتها الفاعلة؟ ، وهل تم العمل من خلاله على إيجاد منتج وطني بمواصفات معيارية؟.

ثانياً- الأهمية

تتمثل أهمية البحث في البحث بمجال النفوذ الاقتصادي العالمي المتمثل بالاستثمار الأجنبي المباشر وما يتيح هذا العنصر من إمكانيات مادية وتكنولوجية وبشرية للدول التي تحسن توظيفه لبناء اقتصاد متين يمتاز بالتنوع والاستقرار ويتمتع بنسب بطالة منخفضة تؤدي بدورها لتقليص نسب الفقر وتبعاته الاجتماعية والاقتصادية على البلاد بشكل عام.

ثالثاً- الاهداف

يهدف البحث الى الآتي:-

- ١- بيان حجم البطالة في العراق وانواعها وابرز أسبابها.
- ٢- اظهار نسب الفقر السائدة في البلاد ومدى مساهمة المستثمر الأجنبي في مواجهتها من خلال توفير فرص العمل الجديدة .
- ٣- قياس حجم الاستثمار الأجنبي المباشر في العراق وفق البيانات الدولية المعتمدة ونوعه ومدى فاعليته في تنمية الاقتصاد الوطني.
- ٤- وضع الحلول المناسبة للمعوقات التي يواجهها المستثمر في حالة وجودها .
- ٥- المساهمة في وضع الحلول العلمية والأكاديمية لمشكلتي البطالة والفقر في العراق من خلال توظيف رأس المال الأجنبي لتحقيق ذلك.

رابعاً - الفرضية

ينصب البحث على فرضيات العدم (H_0) الأربع الآتية:-

- ١- الفرضية الأولى- لا يوجد تأثير إيجابي للاستثمار الأجنبي المباشر على نسب الفقر في العراق
- ٢- الفرضية الثانية- لا توجد علاقة إيجابية ما بين الاستثمار الأجنبي المباشر والفقر في العراق.
- ٣- الفرضية الثالثة- لا يوجد تأثير إيجابي للاستثمار الأجنبي المباشر على البطالة في العراق.
- ٤- الفرضية الرابعة- لا توجد علاقة إيجابية ما بين الاستثمار الأجنبي المباشر والبطالة في العراق

خامساً - مجتمع وعينة البحث

يمثل العراق مجتمع البحث المستهدف في حين تم اختبار مستوى الاستثمار الأجنبي المباشر في القطاعات الإنتاجية المعلن عنها في قاعدة البيانات لمنظمة التعاون والتنمية-الاونكتاد - كعينة معتمدة.

سادساً - الحدود الزمانية والمكانية

الحدود الزمانية - يغطي البحث المدة الممتدة ما بين (٢٠١٣-٢٠٢٣) .
الحدود المكانية- يتناول البحث الواقع العراقي بحدوده الوطنية لقياس نسب الفقر والبطالة فيه.

سابعاً- المنهج المعتمد

تم اعتماد التحليل الكمي الاحصائي من خلال حجم البيانات المعتمد لكل متغير باستخدام تحليلي الانحدار والارتباط وقيم المعنوية الإحصائية لكل من (f, t)

المبحث الاول - الاستثمار الأجنبي المباشر

يعد الاستثمار الأجنبي المباشر احد الوسائل المهمة والستراتيجية لتحقيق النمو الاقتصادي المستهدف وإنجاز خطط التنمية التي تطمح اليها الدول النامية التي تعاني من محدودية رأس المال الاستثماري بل وحتى الدول التي تتوفر لديها هذا الجانب لتحقيق توسع اقتصادي يسهم في زيادة الناتج المحلي الإجمالي وتوفير المنتجات التي يتم الحصول عليها من خلال الاستيراد مع إمكانية الحصول على الخبرات واستقدام الكفاءات العلمية والفنية في مجال العمل الذي تطمح اليه الدول النامية.

١-١-١ المفهوم

اعتمد اغلب الباحثين تعريف صندوق النقد الدولي (IMF) ومنظمة التعاون والتنمية (OECD) للاستثمار الأجنبي المباشر (FDI) (OECD,2008:48) (WIR,2007:245) (Duce&España,2003:2) اذ يعرف بانه (الاستثمار الذي يهدف للحصول على مصلحة دائمة من قبل كيان مقيم -مستثمر مباشر- في اقتصاد ما من خلال مؤسسة قائمة على اقتصاد اخر -المؤسسة

المستثمرة-تمثل مصالح دائمة مع وجود علاقة طويلة الأمد ما بين المستثمر المباشر والمؤسسة المستثمرة استثمار مباشر مع درجة كبيرة من القدرة على التأثير في إدارة تلك المؤسسة.

كما يعرف من قبل هيئة الإحصاء الدولية (BPM5) بأنه (فئة من فئات الاستثمار الدولي الذي يعكس اهداف المقيم في اقتصاد ما -مستثمر مباشر- للحصول على مصلحة دائمة في مؤسسات البلد المقيم مع وجود علاقة طويلة الأمد بين المستثمر المباشر والمؤسسة المستثمرة استثمار مباشر مع درجة كبيرة من التأثير من قبله عندما يحصل المستثمر على ١٠% او أكثر من الأسهم العادية تمنحه قوة التصويت في مشروع خارج الحدود (Patterson et al,2004:5)، اذ يحدد صندوق النقد الدولي في دليل ميزان المدفوعات الإصدار الخامس هذه النسبة او أكثر كحد فاصل ما بين الاستثمار المحفظي والاستثمار المباشر ما بين المساهمين على ان يكون مقتني هذه النسبة من الأسهم شخص غير مقيم وفي حالة شرائه نسبة اقل من ١٠% تعد استثمار محفظي وفي حالة إضافة اسهم جديدة الى ملكيته يجب ان يصل حجم الممتلك منها بعملية الشراء اللاحقة يصل الى نسبة ١٠% بغض النظر عن الممتلك منها سابقا لتسجل في ميزان مدفوعات السوق كاستثمار اجنبي مباشر (FDI) (Duce&España,2003:3).

دائما ما يفضل المستثمر الأجنبي الاستثمار (المالي) الورقي على الاستثمار (المادي) الحقيقي (كلاهما استثمار مباشر وفق المعيار الدولي ١٠% للصف الأول) للأسباب الآتي (Davinci&Ievisaускаite,2010:11) :-

- أ- ان الاستثمار المالي قابل للتقسيم مما يمكن بيع وشراء أجزاء منه (اسهم) بينما يقتصر الاستثمار المادي لهذه الصفة .
 - ب- قابليته للتسويق بأدنى التكاليف مما يمنحه سيولة عالية بأسرع وقت واقل كلفة .
 - ت- المدة المخططة للاحتفاظ بالموجود المالي تكون متنوعة قصيرة او متوسطة او طويلة الاجل بينما النوع الثاني تحتاج الى مدة طويلة للاحتفاظ بها.
 - ث- الحصول على البيانات والمعلومات عن الموجودات المالية تكون متاحة وسهلة الوصول بكلف منخفضة بعكس الموجودات المادية التي تحتاج الى وقت وجهد اكبر .
- اما البلد المضيف فغالبا ما يفضل الاستثمار المادي كونه يوسع القاعدة الإنتاجية ويزيد حجم الناتج القومي المحلي ويوفر فرص عمل اكبر.

١-٢- الأهمية

تتمثل أهمية الاستثمار الأجنبي المباشر بالنقاط الآتية :-

- أ- يحفز الاستثمار الأجنبي المباشر الحكومات على تعديل البيئة الاقتصادية والاستثمارية من اجل جذب المستثمرين الأجانب من خلال الانفتاح المالي والتجاري بتدخل مباشر من المشرع

الحكومي من خلال تأثيره المعلوماتي والسياسي لتطمين المستثمر على استثماراته والمحافظة على قيمتها ويدفع باتجاه زيادة حجم النشاط الاقتصادي وتنويعه (Buthe&Milner,2008:741).

ب- يعد هذا النوع من الاستثمار الوسيلة الفعالة التي انتجت الروابط الاقتصادية المتنامية بين دول العالم في ظل العولمة المالية واسعة النطاق التي أدت الى خلق تكامل عالي المستوى ما بين الأسواق المالية الدولية حققت من خلاله نموا متسارعا بمعدلات نمو مرتفعة أكبر بكثير من معدلات النمو الاقتصادي والتجاري العالمي .

ت- قابلية الاستثمار الأجنبي المباشر على اتخاذ صيغ وأشكال متعددة منها ضخ رأس المال المباشر او إعادة استثمار الأرباح والارباح غير الموزعة وكذلك أرباح الفروع ومديونية الشركات الزميلة القصيرة والطويلة الاجل (Patterson et al,2004: 5-19).

١-٣- المنافع

يمكن تحديد منافع الاستثمار الأجنبي المباشر بالنقاط الاتية (OECD,2008:3):-

أ- يعد هذا النوع من الاستثمار مصدر للتنمية الاقتصادية والمساهمة في تحقيق النمو الاقتصادي مرتفع الوتيرة كما يسهم في زيادة الدخل القومي والنتاج المحلي الإجمالي .

ب- زيادة فرص العمل وتشغيل الايدي العاملة وتقليل البطالة وتطوير المهارات الفردية.

ت- تعظيم المنافع الاقتصادية من خلال الارتباطات الامامية والخلفية وتعزيز القدرة التصديرية

ث- خفض تكاليف الإنتاج من خلال تعزيز قدرات رأس المال البشري ودخول التكنولوجيا المتقدمة والمعدات والتقنيات الصناعية الحديثة.

ج- المساهمة بشكل أساسي بالاندماج في التجارة العالمية .

ح- خلق القدرات الإبداعية لامتلاك الميزة التنافسية في بيئة الاعمال.

خ- تطوير الشركات المعززة والمساهمة بتوسيع أنشطتها .

د- تحسين الواقع الاجتماعي والبيئي من خلال توظيف التكنولوجيا الخضراء.

ذ- يعد المحرك الرئيس لتحفيز وتحقيق الاندماج الاقتصادي الدولي.

١-٤- السلبيات

هنالك عدة سلبيات رافقت ظهور وانتشار الاستثمار الأجنبي المباشر (FDI) أهمها كما يأتي

(OECD,2002:6):-

أ- إمكانية تدهور ميزان المدفوعات من خلال ارسال الأرباح المتحققة للمستثمر للبلد الام.

ب- الافتقار للروابط الإيجابية مع المجتمعات المحلية .

- ت- الاضرار البيئية المحتملة وتحديدًا للصناعات الاستخراجية والثقيلة .
- ث- التأثير على القدرة التنافسية في الأسواق المحلية كون المستثمر الأجنبي يمتلك التقنيات الحديثة مما يمكنه من تحقيق المزاخمة الجزئية للمنتج المحلي .
- ج- الاعتماد المتزايد على الشركات الدولية يمكن ان يؤدي الى فقدان السيادة السياسية للبلد ويؤثر على استقلاليتها في اتخاذ القرار الاقتصادي الوطني.

٥-١- دليل المخاطرة القطرية الدولية (ICRG)

يصدر هذا الدليل من مؤشر الاستثمار العالمي (WID) ويعتمد المؤشرات الاتية (Alfaro,2003:7):-

- مستوى الفساد والقواعد القانونية وجودة البيروقراطية الاقتصادية.
- بيانات مصادرة الملكية.
- رأس المال البشري - يقاس من خلال متوسط عدد سنوات التعليم الثانوي من المجتمع الكلي للتعليم .

تعد هذه المؤشرات محددات مهمة لاستقطاب الاستثمار الأجنبي المباشر لاي بلد .

٦-١- الامنودج الاقتصادي الأساسي - الامنودج الاقتصادي السياسي الكامل

يمثل الجدول رقم (١) امنودج تقييم الاستثمار الأجنبي المباشر الذي يعرف بأسم (الامنودج الاقتصادي الأساسي - الامنودج الاقتصادي السياسي الكامل) ويتألف من مجموعة من نماذج التحليل (أربعة نماذج) التي تبدأ من امنودج التحليل الاقتصادي الأساس وتنتهي بأمنودج التحليل الاقتصادي - السياسي الكامل يتم من خلالها قياس حجم الاستثمار الأجنبي المباشر (FDI) الداخل لبلد ما وفق العوامل التي يتضمنها كل امنودج من النماذج الأربعة مع قياس مستوى اثر كل متغير منها على تدفق الاستثمار الأجنبي كنسبة مئوية من الناتج المحلي الإجمالي (GDP) اذ يبدأ الجدول بالامنودج الأول الذي يتكون من ثلاث عوامل هي - حجم السوق (Market size) والتنمية الاقتصادية (Economic Development) و نسبة نمو الناتج المحلي الإجمالي (GDP Growth) ، اما الامنودج الثاني فيضيف عوامل أكثر توسعا هي - اتفاقيات الاستثمار الثنائية (BITs) و السياسات المحلية (الداخلية) (Domestic political) وعدم الاستقرار السياسي (Political Instability) والقيود والحواجز (Constrains)- في حين أضاف الامنودج الثالث -عضوية الغات/منظمة التجارة العالمية (GATT/WTO) - اما الامنودج الرابع او الأخير فتضمن التدفق التراكمي لاتفاقيات التجارة التفضيلية (PTAs) اما (R^2) فهو مؤشر احصائي يدعى (معامل التفسير) وهو يظهر مقدار تفسير كل متغير للتغيرات بمتغير اخر وتحسب تلك النماذج وفق المعادلة الاتية (Duke&Milner,2008:748):-

$$FDI_{it} = a + Y1(\text{Market size}) + Y2(\text{Econ-Development}) + Y3(\text{GDP Growth})$$

١-٧- الاستثمار الأجنبي المباشر في العراق

يعد الاستثمار الأجنبي المباشر في العراق الوسيلة الأساسية لتحقيق النمو والتطور الاقتصادي كما يمكن توظيفه لزيادة القاعدة الإنتاجية ورفع مستوى الناتج المحلي الإجمالي كما يمكن ان يسهم في توفير فرص العمل ومواجهة البطالة والفقر من خلال توظيف رأس المال الأجنبي لتحقيق هذا الامر بعد ان عجزت الإيرادات النفطية الضخمة من تحقيق شيء على ارض الواقع .

ان المعضلة الرئيسية التي واجهها المستثمر الأجنبي هو النظام الإداري المتقادم الذي لا يتناسب وحجم التحديات التي يواجهها الاقتصاد العراقي كما انه أعاق بشكل واضح عمل المستثمر الأجنبي بسبب الإجراءات الروتينية المتعلقة بالامر اضع الى ذلك كارثة الفساد السياسي والإداري التي حلت بالبلاد والتي أدت الى عزوف المستثمر الأجنبي عن التوجه نحو الاستثمار في العراق الى جانب العديد من الضغوط التي تمارسها الدول المجاورة لبقاء العراق سوق استهلاكي لمنتجاتها.

ان البيانات المنشورة في قاعدة بيانات منظمة التعاون والتنمية (UNCTD) للاستثمار الأجنبي المباشر تعبر عن عمليات شراء الأسهم العراقية من قبل مستثمرين أجانب في شركات قائمة أصلاً ولم يحقق اية إضافة للنشاط الإنتاجي في البلاد ولكن تشريع صندوق النقد الدولي بهذا الشأن هو الذي منح هذه الصفة لعمليات تملك تلك الأسهم والتي تبلغ نسبة ١٠% من اسهم الشركة المستهدفة وهذا التشريع بحذ ذاته يعد فقرة مضللة لحقيقة هذا النشاط في الدول النامية مثل العراق لانه يسمح للاجنبي بالسيطرة على مشاريع قائمة برأس مال محلي دون مساهمة فعلية لرأس المال الأجنبي في تكوينه.

الجدول رقم (١) النموذج الاقتصادي الأساسي - النموذج الاقتصادي السياسي الكامل

Table 1 From Economic Baseline Model to Full Political-Economic Model				
	Model 1	Model 2	Model 3	Model 4 with Swapped Error
Constant FDI				0.217** (0.079)
GDP/PC			1.22** (.410)	1.08** (.381)
membership				1.06** (.381)
Bilateral Investment Treaties (BITs)	0.048** (0.014)	0.052** (0.017)	0.041*** (0.020)	0.041*** (0.017)
Domestic Political Constraints	1.75** (.680)	1.44** (.655)	1.15* (.638)	1.15* (.644)
Political instability	-0.029 (.0042)	-0.014* (.0080)	-0.015* (.0078)	-0.015* (.0075)
Market Size	-3.05** (1.40)	-1.89 (1.29)	-1.84 (1.30)	-1.84 (1.28)
Economic Development	-0.078 (.052)	-0.50 (.54)	-0.50 (.53)	-0.406 (.511)
GDP growth	0.007** (.008)	0.014** (.002)	0.033*** (.0094)	0.002** (.008)
Constant	-0.96e-08 (1.13e-7)	-8.13e-08 (1.13e-7)	-1.02e-7 (1.13e-7)	-1.12e-7 (1.13e-7)
R ²	+0.621	+0.694	+0.825	+0.694

Source-Buthe, Tim, Milner, V. Helen, Duk, Princeton universities, The politics of FDI into developing countries: Increasing FDI through international trade agreements, 2008, 750.

المبحث الثاني - الفقر

يعد الفقر من أبرز المتغيرات التي تمثل تحدياً جدياً لدول العالم النامية لما له من انعكاسات سلبية على الفرد والمجتمع وكذلك لما يمثله من تهديد للاستقرار الاسري والاجتماعي والذي من الممكن ان يسهم في ارتفاع مستوى الانحرافات السلوكية وضعف الانضباط بين أبناء البلد.

٢-١- المفهوم :-

يعرف الفقر بأنه (حالة الحرمان المادي الذي تتجلى اهم مظاهره في انخفاض الاحتياجات الاساسية من الغذاء وما يرتبط بها من تدهور الحالة الصحية والمستوى التعليمي ومتطلبات السكن عن مستواها الملائم والحرمان من تملك السلع الضرورية التي تعد معايير اساسية لوصف الفقر، فضلاً عن الافتقار الى الاصول المادية المولدة للدخل وفقدان الاحتياطي لمواجهة الحالات الصعبة كالمرض والاعاقة والبطالة والكوارث والازمات) (النجفي وعبد المجيد: ٢٠٠٨، ٤٠)، اما خط الفقر فيعرف بأنه (أدنى مستوى من الدخل

يحتاجه الفرد او الاسرة لكي يكون بالامكان توفير مستوى معيشي ملائم في بلد ما)
(www.Worldbank.org)

كما يعرف بأنه (عدم القدرة على توفير الحاجات الاساسية اللازمة لاستمرار الحياة من غذاء ودواء)
(Ahortor,2013:3)

في حين تعرفه المنظمة الدولية لحقوق الإنسان بأنه (وضع إنساني قوامه الحرمان المستمر أو المزمّن من الموارد، والإمكانات، والخيارات، والأمن، والقدرة على التمتع بمستوى معيشي لائق وكذلك من الحقوق المدنية والثقافية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية الأخرى) (Lodi,2007:3)

ان خط الفقر المعتمد عالميا هو (خط الفقر المطلق) والذي تم تحديده قبل ٢٠٠٧ هو (دولار واحد) بشكل عام الا ان التغيرات والمشاكل الاقتصادية واختلاف القوة الشرائية التي تعني (شراء نفس القدر من الحاجات الاساسية في بلدان مختلفة) دفعت كل من صندوق النقد الدولي والبنك الدولي الى رفع خط الفقر بمبلغ (١,٢٥) دولار اعتبارا من عام ٢٠٠٨ ، وفق هذا المعيار تعتبر لكسمبورغ الدولة الاعلى قيمة لخط الفقر بسبب ارتفاع الاسعار اذ يبلغ خط الفقر فيها (٤٢) دولار (Gylos&Ostiofo:2012.25) ، اما في الولايات المتحدة الامريكية فيبلغ (١٣) دولار للفرد (Rafalyon:2012,40) ، اما العراق فقد كان خط الفقر في ظل ظروف الحصار والعقوبات الاقتصادية الشاملة والتدهور الاقتصادي آنذاك يبلغ (٠,٥) دولار للفرد أي خمسون سنتا عند سعر صرف قياسي بلغ (٣٠٠٠) دينار للدولار الواحد نتيجة للواقع الاقتصادي آنف الذكر، اما في عام ٢٠٠٨ فقد بلغ (٢,٨٢) دولار للفرد لدى كل من صندوق النقد الدولي والبنك الدولي (www.Worldbank.org)

٢-٢ - اسباب الفقر

ينتشر الفقر من خلال عدة عوامل مسببة لهذه المشكلة الاجتماعية والأخلاقية وهذه العوامل هي (Phil:2007,3-5):-

أ- العوامل المرتبطة بالفرد

تعد العوامل ادناه من العوامل الاساسية كونها ترتبط بأسلوب تفكير وسلوكيات المجتمع وتركيبته الاجتماعية والعقائدية التي يصعب تغييرها بسهولة باتجاه القضاء على الفقر بمجرد توفر فرص العمل وخلق الوظائف وهذه العوامل هي :-

١- الجهل

ان الافتقار الى المعرفة او المعلومات التي تزيد من قدرة الفرد على تحقيق مستوى معيشي مقبول مثل معرفة الفلاح للحبوب الافضل المطلوبة في السوق مما تمكنه من توفير دخل اعلى في حالة استغلاله لهذه

المعلومة واستثمارها، لذا فإن الجهل وقلة المعرفة للمعلومة التي تتعلق بالعمل يؤديان الى انخفاض الدخل و خلق الفقر .

٢- المرض

تؤدي الاصابة بالمرض الى عدم القدرة على العمل والتغيب عنه مما ينتج عنه انخفاض انتاجية الفرد وانخفاض دخله كما يفقد مدخراته وثروته مع طول فترة المرض مما يخلق حالة من اليأس لدى الفرد.

٣- اللامبالاة

تعني عدم اهتمام الافراد بواقعهم المعيشي او شعورهم بالعجز ليدفعهم الى عدم القابلية على تجديد افكارهم ومعالجة الاخطاء التي حدثت في السابق وتصحيحها بأتجاه خلق ظروف جديدة تطور واقعهم المعيشي ، كما يدفعهم هذا الشعور بعدم الاهتمام بالحاجات الملحة التي تواجهها اسرهم ، وكذلك تؤدي بعض الافكار التي تنسب للدين مثل المفهوم الخاطيء لفكرة القدر وعدم سعي الفرد لكسب رزقه بقدر يتناسب مع احتياجاته بحجة ما يقدره الله سبحانه له.

٤- التضليل

ويقصد به تضليل اصحاب السلطة والنفوذ لافراد المجتمع عن اوضاعهم المادية بينما يتنعم بها هؤلاء على حساب طبقة عريضة وشريحة واسعة من افراد المجتمع مما يؤدي الى ضياع وتبديد ثروة المجتمع على ايدي هؤلاء.

٥- الاعتمادية

يدل هذا المفهوم على وجود حالة من الاتكالية لدى مجموعة من الناس على ما تقدمه الجمعيات الانسانية من مساعدات واعانات ، وكذلك المنح المقدمة لبعض شرائح المجتمع من قبل بعض المؤسسات الخيرية مما يدفع البعض منهم الى الميل الى البطالة وعدم الرغبة في العمل حين توفره.

ب- العوامل الاقتصادية

تمثل العوامل التالية عوامل ثانوية تشخيصية لجانب معين يرتبط بأداء مؤسسة معينة من مؤسسات الدولة وتتكون من العناصر الاتية (Phil:2007,6):-

١- الافتقار الى الاسواق

ان عدم توفر الاسواق المتخصصة والمتنوعة يحد من توفر فرص العمل مما يسهم في فقدان العديد من الافراد للدخل المناسب لسد احتياجاتهم وكذلك انخفاض اجور فئة اخرى منهم.

٢- ضعف البنى التحتية

يؤدي هذا العامل الى تحجيم مستوى الاستثمار بسبب ارتفاع التكاليف اللازمة لتوفير مستلزمات البنى التحتية والذي يخلق بدوره افواجا من العاطلين عن العمل .

٣- ضعف القيادة

ترتبط هذه الفقرة بسلم الادارة وتتعلق تحديدا بإدارة الاستراتيجية للبلد التي تفتقد الى الرؤيا الواضحة والبعد الواسع بتخطيطها الاقتصادي مما يخلق حالة من التخبط الذي يؤدي الى نتائج اقتصادية اقلها انتشار الفقر بالاضافة الى المضاعفات الاخرى كالتخبط الاقتصادي نتيجة انعدام القاعدة الانتاجية او التخطيط المتوازن اتجاه الدخل القومي.

٤- سوء اداء الحكومة

يرتبط هذا العامل بالاداء الحكومي وادارته لقطاعات اساسية معينة ، كما يرتبط بالعقيدة السلوكية لاصحاب السلطة ونظرتهم لمفهوم تحمل المسؤولية وشرف المهنة وقيمها.

٥- تديني فرص العمل

ان عدم القدرة او العجز عن توفير فرص العمل من قبل الدولة وفي كافة الانظمة (الرأسمالي والاشتراكي والمختلط) يؤدي بالنتيجة الى ارتفاع نسبة الفقر ، كما ان عدم قيام القطاع الخاص بواجبه المناط به يؤدي الى نفس النتائج.

٦- الافتقار الى المهارات

يمثل هذا العامل عنصرا مشتركا كنتيجة لعدم اهتمام المؤسسات المعنية بتطوير وتنمية الكوادر البشرية وكذلك تقاعس الافراد من العمل على تطوير مهاراتهم وقابلياتهم الانتاجية مما يزيد من فرصة الحصول على عمل مناسب يولد دخلا ملائما يسد الحاجات الأساسية.

٢-٣- انواع الفقر

هنالك عدة انواع من الفقر حسب الافتقار الى مقدار ونوع الحاجة ومدى اهميتها للفرد ويتضمن الفقر الانواع الاتية (Ahortor,2013:25):-

١- الفقر المطلق

يحدث هذا النوع من الفقر عندما يفتقر الفرد لايستطع مقومات البقاء والحاجات الضرورية لاستمرار الحياة كالماء الصالح للشرب والطعام الملائم والسكن المناسب والملابس اللائقة والعناية الطبية والعلاج الجيد والنقل.

٢- الفقر النسبي

يتحقق الفقر النسبي عندما يفقد الفرد القدرة على تحقيق مستوى معيشي معين حسب طبيعة ومستوى الحياة التي يعيشها اغلب سكان البلد الواحد من سكن وخدمات صحية ومقدار دخل لايسد الا الحاجات الاساسية فقط .

٣- الفقر الدخلي

يتجلى هذا الفقر نتيجة الدخل المنخفض الذي لا يحقق الاكتفاء الشامل للفرد من الحاجات الأساسية والكمالية اللازمة لمستوى معيشي معين .

٤- الفقر غير الدخلي

يتمثل بعدم القدرة على تحقيق مستوى معيشي أوسع يطمح اليه الفرد ويرتبط تحققه بتحقيق ثروة أوسع تزيد من امكاناته المالية وقدرته الشرائية لامتلاك موجودات مادية أكثر.

٥- الفقر الحقيقي

يتحقق هذا النوع من الفقر عندما يعتمد الفرد على دخل يومي (يوم بيوم) غير مؤكد لتحقيق ما يسد حاجته بصعوبة بالغة وجهد كبير مما يدفع الفرد بالشعور بعدم الاطمئنان والاستقرار المعيشي .

٦- الفقر المدقع

هو الحالة التي لا يستطيع فيها الإنسان عبر التصرف بدخله الوصول إلى إشباع حاجاته الغذائية لتأمين عدد معين من السعرات الحرارية التي تمكنه من مواصلة حياته عند حدود معينة والذي يقترب من الفقر المدقع وما يسمى بالفاقة.

٢-٤- آثار الفقر

يترك الفقر بمختلف انواعه عدة آثار سلبية على المجتمع تتمثل بالمشاكل والمعوقات الآتية (ILO,2005:22):-

١- العزلة الاجتماعية وعدم القدرة على التواصل مع الاقارب والاصدقاء بسبب عدم القدرة على تحقيق مستوى معيشي معين.

٢- الشعور بالضعف والعجز وفقدان الامل وفقدان القدرة على ترتيب الاوضاع العائلية نتيجة الحياة على مقدار محدود من المال يكتسب يوم بيوم.

٣- عدم القدرة على الحصول على المستلزمات الأساسية اللازمة للعيش المناسب من غذاء وماء نظيف وملابس ملائمة وتعليم ومستلزمات صحية وعلاج مناسب .

٤- فقدان القابلية على مواجهة الازمات والمصاعب المالية نتيجة للانقار للمدخرات.

٥- مواجهة التمييز العنصري المجتمعي نتيجة الطبقة الاجتماعية .

٦- الاضطرار على العمل بالمؤسسات غير الشرعية او التي تمارس اعمال غير قانونية.

٧- العجز عن الاشتراك بالمناسبات الاجتماعية التي تتطلب مستلزمات معينة.

كما اشار (Ludi,2007:7) للنتائج الآتية:-

٨- زيادة نسبة الولادات المشوهة جسديا او التي تعاني عوقا فكريا بين الفقراء.

٩- ارتفاع نسبة الجهل بين الطبقات الفقيرة وزيادة الاطفال المتسربين من المدارس بسبب الظروف المادية او نتيجة تعرضهم لامراض تسبب لهم ضررا في السمع او البصر او فقر الدم الشديد الذي يؤثر على مستوى التفكير.

١٠- خلق مجموعات من المشردين داخل المجتمع يعانون من سلوكيات وعادات غير حضارية تعكس صورة سيئة عن البيئة الاجتماعية التي يعيشونها، بالاضافة الى كونها بيئة خطيرة تمتاز بقابليتها على انتشار الجريمة وظهور الانحرافات السلوكية الضارة بأمن المجتمع واستقراره مع كونهم ضحية للظروف التي يتعرضون لها والتي يكرهون عليها في بعض الأحيان.

١١- ارتفاع نسبة الانتحار والموت المتعمد نتيجة الشعور بالضعف واللامبالاة ، كما تنتشر عملية تعاطي المخدرات والاتجار بها والتي تمثل وباء اجتماعيا وصحيا وامنيا لجميع افراد المجتمع.

٢-٥- مؤشرات قياس الفقر

يتم احتساب الفقر عن طريق المعادلة الآتية:- (النجفي وعبد المجيد: ٢٠٠٨، ٥١)

١- نسبة الفقر

يقيس هذا المؤشر نسبة الفقراء الموجودين في بلد ما من النسبة الكلية للسكان بالمعادلة التالية:-

$$\text{نسبة الفقر} = \frac{\text{عدد السكان تحت خط الفقر}}{\text{المجموع الكلي للسكان}}$$

٢- فجوة الفقر

يمثل هذا المؤشر اجمالي المبلغ اللازم لرفع مستويات الاستهلاك للفقراء الى مستوى خط الفقر المعتمد

(الفقر المطلق) ويتم احتسابه بالمعادلة التالية:-

$$APG = \sum(z - y_i)$$

APG = فجوة الفقر المطلق

Z = خط الفقر للفرد

YI = متوسط دخل الفرد اليومي

ويدل ايضا على (الفرق بين ما يحصل عليه الفرد كدخل وبين الحد المقرر لخط الفقر المطلق) الذي

يكون اكبر من دخل الفرد أي ان الفرد يعيش في هذه الحالة دون خط الفقر.

٢-٦- مستوى الفقر في العراق

يعاني العراق نسب فقر مرتفعة وتحديدا بعد الاحتلال عام ٢٠٠٣ رغم رفع الحصار الأمريكي عنه

ويعزى هذا الارتفاع الى تركيز الإيرادات النفطية على الموازنة التشغيلية رغم وجود موازنة استثمارية معدة

لتشغيل المصانع المتوقفة الا انها لم تحقق أي شيء يذكر لمدة عقدين ونيف من الزمن ، ومع وجود البديل الأفضل و الانحع المتمثل بالاستثمار الأجنبي المباشر الا ان عدم توفر مقومات الجذب الأساسية للمستثمرين وبرزها الاستقرار المالي والاقتصادي وكذلك وجود نظام اداري متطور وافتقار البلاد لقوانين وتشريعات تسهل عمل المستثمر حالت دون تحقيق نتائج ملموسة في هذا الجانب مع وجود محاولات محدودة من خلال التداول بالأسهم في سوق العراق للأوراق المالية (الباحث).

المبحث الثالث- البطالة

إن البطالة هي أحد المؤشرات الأكثر وضوحاً للنشاط الاقتصادي وعادة ما يرتفع معدل البطالة بشكل كبير خلال فترات الركود ثم ينخفض مع تعافي الاقتصاد وينظر الناس عادة إلى العامل العاطل عن العمل على أنه يعاني من اليأس والفقر المدقع، لذا فإن وسائل الإعلام تنشر البطالة المرتفعة باعتبارها مشكلة اجتماعية كبرى كونهم يفتقرون للدخل الذي يوفر لهم إمكانية تغطية حاجاتهم الأساسية مما يعكس سلبا على أوضاعهم الاجتماعية (Parker,2010:2).

٣-١- المفهوم

وفقاً لمبادئ منظمة العمل الدولية يكون الشخص عاطلاً عن العمل إذا كان لا يعمل (أ) وهو قادر على العمل (ب) ويبحث عن فرصة عمل في ذات الوقت (ج)، ومع ذلك فإن التنفيذ العملي لهذه المبادئ التوجيهية صعب بشكل عام اذ يتم تصنيف الأشخاص العاملين بسهولة نسبية في معظم البلدان فإن مسألة تصنيف الأشخاص غير العاملين باعتبارهم إما عاطلين عن العمل أو خارج قوة العمل وخاصة وفقاً للمعيار (ج) ليست مسألة مثيرة للجدال على سبيل المثال، يعد شرط البحث عن عمل جذاباً لأنه يتطلب إثباتاً نشطاً للارتباط بقوة العمل، ولكنه يصنف أيضاً عدداً كبيراً من غير الباحثين عن عمل باعتبارهم خارج قوة العمل. ويزعم بعض خبراء الاقتصاد أن التوافر والاستعداد للعمل كافيان للتمييز بين العمال في قوة العمل في حين أن متطلب البحث النشط عن عمل قد يكون ذا مغزى في البلدان الصناعية يختلف عن بقية الدول الأخرى اذ يعمل الجزء الأكبر من السكان في وظائف مدفوعة الأجر وحيث توجد قنوات واضحة لتبادل معلومات سوق العمل إلا أن هذا قد لا يكون الحال في العديد من البلدان النامية لان البحث أكثر تكلفة وسلوك البحث عن عمل أقل مغزى وخاصة في القطاعات الريفية الكبيرة (Byrne&Starbl,2001:1)، غالباً ما ينظر خبراء الاقتصاد إلى البطالة باعتبارها جانباً واحداً من عملية البحث التي تجري في سوق العمل لان الوظائف والعمال غير متجانسين في ظل أبعاد عديدة تخضع لها الوظائف الشاغرة المعلنة اذ يختلف العاملون من حيث الذكاء والإبداع والتعليم والتدريب والخبرة والحجم والقوة البدنية والبراعة اليدوية والقدرة على تحمل المهام المتكررة والتفضيلات بشأن بيئة عملهم لذا تختلف الوظائف في القدرات والتعليم والخبرة المطلوبة لأدائها، وكذلك في ظروف العمل والموقع وهنا تظهر الاختلافات في اتاحة فرص التقدم والحصول

على عمل في ظل التفضيلات المذكورة ويعد عاطلا عن العمل رغم وجود وظائف شاغرة لكنها لا تتسق مع إمكانياته التي يتمتع بها لمحدوديتها مما تحول دون إمكانية حصوله على فرصة عمل يمكن أن تؤدي الظروف الاقتصادية الكلية إلى سوق عمل غير فعالة حيث تكون البطالة أعلى من المعدل الطبيعي أو سوق عمل فعالة حيث تكون البطالة أقل من المعدل الطبيعي وهنا تتولد نوع من البطالة ناتج عن الفرق بين المعدل الفعلي والمعدل الطبيعي للبطالة يدعى البطالة الدورية (Parker,2010:4)

٣-٢- أنواع البطالة (RBA,2024:2)

١- البطالة الدورية

تنتج البطالة الدورية عن التغيرات في النشاط الاقتصادي خلال دورة الأعمال إذ ان الانكماش الاقتصادي يؤدي الى استغناء الشركات عن إنتاج الكثير من السلع والخدمات بسبب تراجع الطلب مما يدفعها لخفض التكاليف عند إذ ستعمل بعض الشركات على تقليل عدد الموظفين في قوتها العاملة. وهذا يزيد من عدد العمال العاطلين عن العمل

٢- البطالة الهيكلية

تنتج البطالة الهيكلية عن عدم التوافق بين الوظائف المتاحة والأشخاص الباحثين عن عمل وقد يكون هذا التباين بسبب عدم امتلاك الباحثين عن عمل للمهارات المطلوبة للوظائف أو بسبب وجود الوظائف الشاغرة على مسافة بعيدة جدًا عن الباحثين عن عمل.

٣- البطالة الاحتكاكية

تنتج البطالة الاحتكاكية عن انتقال الأشخاص بين الوظائف في سوق العمل، وكذلك عندما ينتقل الأشخاص ما بين قوة العمل وخارجها وقد يحتاج الأشخاص إلى استثمار الوقت والجهد للعثور على وظيفة مناسبة كما يمكن للشركات أن تقضي وقتًا في البحث عن مرشحين مناسبين لشغل الوظائف الشاغرة ونتيجة لذلك لا يتم مطابقة الأشخاص الباحثين عن وظائف مع الوظائف الشاغرة على الفور وقد يمرون بفترة من البطالة المؤقتة.

٤- البطالة الجزئية

تحدث البطالة الجزئية عندما يكون الأشخاص موظفين ولكنهم يرغبون في العمل ساعات أكثر لتوفر الوقت لديهم للقيام بذلك هؤلاء الأشخاص هم عادةً عمال بدوام جزئي يفضلون العمل لبعض الساعات الإضافية، أو يعملون عادةً بدوام كامل ولكنهم يعملون حاليًا بدوام جزئي.

٥- البطالة الموسمية

تحدث البطالة الموسمية خلال أوقات معينة من العام بسبب الأنماط الموسمية التي تؤثر على الوظائف ويأتي العديد من هؤلاء العمال من صناعات السياحة والزراعة .

٦- البطالة الخفية

تحدث البطالة الخفية عندما لا يتم احتساب الأشخاص رسميًا على أنهم عاطلين عن العمل ولكنهم ربما يعملون إذا سنحت لهم الفرصة على سبيل المثال قد يبحث شخص ما عن وظيفة لفترة طويلة ثم يفقد الأمل ويتوقف عن البحث ولكنه لا يزال يرغب في العمل.

٣-٣- أسباب البطالة

تنشأ البطالة نتيجة لأسباب مختلفة تأتي من جانب الطلب أو صاحب العمل وجانب العرض أو العامل قد يكون سبب انخفاض الطلب ارتفاع أسعار الفائدة والركود العالمي والأزمة المالية ومن جانب العرض تلعب البطالة الاحتكاكية والتوظيف الهيكلي دورًا كبيرًا في تحقيقها كما ان غياب التطوير المستمر لأفكار المشروعات الحديثة التي تساعد على تقديم العديد من الوظائف للأفراد القادرين على العمل تسهم بشكل فعلي في ارتفاع نسب البطالة بين افراد المجتمع ، كما يؤدي استخدام التكنولوجيا الحديثة الى خلق مستوى معين من البطالة مع عدم توفر الوظائف البديلة لليد العاملة التي يتم إحلال تلك التكنولوجيا بدلا عنها اضعف الى ذلك عدم الاستقرار السياسي والأمني والحروب والصراعات الداخلية والخارجية (عميس واخرون، ٢٠١٨ : ١٤٨).

٣-٤- اثر البطالة

يمكن أن يشعر العمال والاقتصاد الوطني بتأثير البطالة ويمكن أن يسبب تأثيرًا متتاليًا على كل منهما إذ تتسبب البطالة في معاناة العمال من صعوبات مالية تؤثر على الأسر والعلاقات والمجتمعات وعندما يحدث ذلك ينخفض الإنفاق الاستهلاكي وهو أحد محركات النمو الرئيسية في الاقتصاد مما يؤدي إلى الركود أو حتى الكساد إذا تُرك دون معالجة كما تؤدي البطالة إلى انخفاض الطلب والاستهلاك والقدرة الشرائية مما يؤدي بدوره إلى انخفاض الأرباح التي تحققها الشركات ويؤدي إلى خفض الميزانية وخفض القوى العاملة إذ إنها تخلق دورة مستمرة يصعب عكسها دون نوع من التدخل (CFA,2024:5).

٣-٥- البطالة في العراق

ظهرت ملامح البطالة المرتفعة في العراق بشكل واضح خلال المدة التي يغطيها البحث لعدة أسباب ابرزها الاحتلال الأمريكي للعراق وما خلفه من دمار للبنى التحتية واهم المنشآت الحيوية ومحطات توليد الطاقة ، اضعف الى ذلك تفكيك القاعدة الصناعية بشكل كامل ونهب مصادرها المتقدمة الى جانب ابعاد الكفاءات الفنية والمهنية وحتى الاكاديمية عن تلك المنشآت واحالة اغلبيهم الى التقاعد بعد اعتبارها دوائر منحلة ، كما ان استفاد العمالة الأجنبية كان هو الاخر احد الأسباب الرئيسية لخلق مستوى بطالة مرتفع

لا سيما ان هذا النوع من العمالة بات يسيطر على فرص العمل المحدودة أصلاً في كل المجالات دون مراعاة للوضع العراقي الراهن الى جانب ارتفاع عدد السكان الى الضعف مع عدم وجود دراسات دقيقة في مجال العمل لتغطية متطلبات الايدي العاملة التي ولدتها تلك الزيادة السكانية.

المبحث الرابع- الجانب التطبيقي

يتضمن الجدول رقم (٢) المبين ادناه بيانات سنوية للمدة الممتدة ما بين (٢٠١٣-٢٠٢٣) لكل من الاستثمار الأجنبي المباشر ونسب البطالة ومستوى الفقر في العراق من مصادر موثوقة متعددة ابرزها منظمة التعاون والتنمية للدول النامية (الاونكتاد) التابعة للأمم المتحدة ومركز المعلومات والاحصاء التابع لوزارة التخطيط في العراق، وقد تم اعتماد عام ٢٠١٣ سنة أساس كونها تتمتع بمستوى مناسب من استقرار الأوضاع في البلاد.

الجدول رقم (٢) بيانات الاستثمار الأجنبي المباشر ونسب الفقر والبطالة

السنة	الاستثمار الأجنبي المباشر- DFI-(مليون دولار)	نسب الفقر ٢٠٢٣-٢٠١٣	معدل البطالة ٢٠٢٣-٢٠١٣
٢٠١٣	٢٢٧	٠,٢١	8.058
٢٠١٤	٢٤٢	٠,٢٧	10.59
٢٠١٥	١٤٨	٠,٣	10.842
٢٠١٦	٣٠٤	٠,٢٤	10.82
٢٠١٧	٧٨	٠,١٨	13.02
٢٠١٨	١٨٨	٠,٢٠٥	13.49
٢٠١٩	١٩٤	٠,٣١٧	14.109
٢٠٢٠	١٤٧	٠,٢٢	15.778
٢٠٢١	١٣٥	٠,٢٣	16.173
٢٠٢٢	٢٣٨	٠,٢٥	15.511
٢٠٢٣	٢٧٩	٠,٢١	15.447

Suorce:-unctadstat.unctad.org/datacentre/dataviewer/US.Fd/2024

المصدر:-وزارة التخطيط- مركز المعلومات والاحصاء المركزي-٢٠٢٤

الجدول (٣) تحليل الأثر والعلاقة ما بين الاستثمار الأجنبي المباشر ونسبة الفقر في العراق

SUMMARY OUTPUT								
<i>Regression Statistics</i>								
Multiple R	0.1915							
R Square	0.0367							
Adjusted R Square	-0.0837							
Standard Error	0.0449							
Observations	10.0000							
ANOVA								
	<i>df</i>	<i>SS</i>	<i>MS</i>	<i>F</i>	<i>Significance F</i>			
Regression	1.0000	0.0006	0.0006	0.3045	0.5961			
Residual	8.0000	0.0161	0.0020					
Total	9.0000	0.0167						
	<i>Coefficients</i>	<i>Standard Error</i>	<i>t Stat</i>	<i>P-value</i>	<i>Lower 95%</i>	<i>Upper 95%</i>	<i>Lower 95.0%</i>	<i>Upper 95.0%</i>
Intercept	0.2194	0.0437	5.0169	0.0010	0.1185	0.3202	0.1185	0.3202
227	0.0001	0.0002	0.5518	0.5961	-0.0004	0.0006	-0.0004	0.0006

يظهر الجدول رقم (٣) نتائج التحليل الاحصائي لطبيعة العلاقة ومقدار الأثر ما بين الاستثمار الأجنبي المباشر ونسب الفقر في العراق اذ كانت العلاقة طردية موجبة بمقدار ١٩,١٥% وهي علاقة ضعيفة ولكنها ذات مؤشر خطير تدل على ان الزيادة في الاستثمار الأجنبي المباشر في العراق يؤدي الى ارتفاع نسب الفقر مما يدل على عدم جدوى هذا النوع من الاستثمار في معالجة نسب الفقر، في حين كان الأثر شبه معدوم اذ بلغ (0.0001) وهي نسبة قريبة للصفر ولكنها موجبة مما يؤشر الى نتائج سلبية جدا على الواقع المعيشي للافراد، اما قيمة (R^2) كعامل مفسر للظاهرة فيشير الى ان نسبة ٣% من أسباب الفقر يعود

سببه للاستثمار الأجنبي المباشر في حين تعود النسبة المتبقية لعوامل أخرى في حين كان المفترض ان تكون القيمة سالبة او صفرية على اقل تقدير في الحالات الاعتيادية

الجدول (٤) تحليل الأثر والعلاقة ما بين الاستثمار الأجنبي المباشر ومعدل البطالة في العراق

SUMMARY OUTPUT								
Regression Statistics								
Multiple R	0.2369							
R Square	0.0561							
Adjusted R Square	-0.0488							
Standard Error	2.7312							
Observations	11.0000							
ANOVA								
	df	SS	MS	F	Significance F			
Regression	1.0000	3.9911	3.9911	0.5351	0.4831			
Residual	9.0000	67.1344	7.4594					
Total	10.0000	71.1255						
	Coefficients	Standard Error	t Stat	P-value	Lower 95%	Upper 95%	Lower 95.0%	Upper 95.0%
Intercept	14.9270	2.6609	5.6097	0.0003	8.9076	20.9465	8.9076	20.9465
X Variable 1	-0.0093	0.0128	-0.7315	0.4831	-0.0382	0.0195	-0.0382	0.0195

يظهر الجدول رقم (٤) نتائج التحليل الاحصائي لطبيعة العلاقة ومقدار الأثر ما بين الاستثمار الأجنبي المباشر ونسب البطالة في العراق اذ كانت العلاقة طردية موجبة بمقدار ٢٣,٧% وهي علاقة ضعيفة ولكنها تعد نسبة مرتفعة في ظل الأوضاع الطبيعية كونها تدل على ان الزيادة في الاستثمار الأجنبي المباشر في العراق يؤدي الى ارتفاع نسب البطالة بعلاقة ذات طبيعة طردية مما يدل على عدم جدوى هذا النوع من الاستثمار في معالجة البطالة خلافا للواقع الفعلي في بقية دول العالم ، في حين كان الأثر شبه معدوم اذ بلغ (- ٠,٠٠٩) وهي نسبة قريبة للصفر أيضا مما يؤثر الى نتائج سلبية جدا على الواقع المعيشي للافراد ، اما قيمة (R²) كعامل مفسر للظاهرة فيشير الى ان نسبة ٥% من أسباب البطالة يعود سببه للاستثمار

الأجنبي المباشر في حين تعود النسبة المتبقية لعوامل أخرى في حين كان المفترض ان تكون القيمة سالبة او صفرية على اقل تقدير في الحالات الاعتيادية.

الاستنتاجات

- ١- ان التشريع الذي تبناه صندوق النقد الدولي حول تصنيف الاستثمار الأجنبي المباشر (FDI) بنسبة ١٠% من اسهم الشركات القائمة سبب ضررا بليغا بالاقتصاد العراقي كدولة نامية واطهر نسب استثمار غير حقيقية في قاعدة البيانات الدولية لدى منظمة التعاون والتنمية الاونكتاد.
- ٢- فشل هذا النوع من الاستثمار بمعايرته المعتمدة في تحقيق نمو اقتصادي في العراق مع عدم خلق قاعدة إنتاجية جديدة كان يمكن تحقيقها من خلال توظيف رأس المال الأجنبي لهذا الغرض.
- ٣- ارتفاع نسب البطالة التي خلقها هذا النوع من الاستثمار في بلدنا كونه سيطر على مصانع إنتاجية قائمة ولم يتمكن من بناء منشآت إضافية تخلق فرص عمل جديدة بل ما حدث هو العكس اذ قام المستثمر الأجنبي بتقليص اليد العاملة وتعطيل البقية بنسب مرتفعة تصل الى ٧٥% براتب اسمي فقط مما جعلهم تحت خط الفقر وهذا ما حدث في معمل سمنت كربلاء على سبيل المثال لا الحصر.
- ٤- ان ازدياد نسب الفقر هي نتيجة حتمية لارتفاع نسب البطالة وذلك لافتقار الافراد لفرصة عمل حقيقية بدخل مناسب يمكنه من تعدي عتبة الفقر ليس للعاطلين عن العمل فقط بل وحتى لمن يمتلك وظيفة دائمة تسبب له الاستثمار المعني بفقدان جزء كبير من دخله بدل الحصول على دخل اكبر على اقل تقدير.
- ٥- خلق الاستثمار المعني تراجعا في أداء المصانع والمنشآت الإنتاجية التي سيطر عليها من خلال شراء أسهمها من السوق المالي العراقي او التعاقد المباشر مع وزارة الصناعة بعد ان كانت ملكا للدولة (قطاع عام) وقد تمكن من تقليص حجم الإنتاج فيها لصالح المنتج الأجنبي رغم قدرة العراق على تحقيق الاكتفاء الذاتي الذي كان متحققا أصلا منها قبل الاحتلال عام ٢٠٠٣ .
- ٦- النتائج غير المنطقية تؤدي الى استنتاج مهم حول وجود غموض في عقود الاستثمار الأجنبي المباشر وكيفية صياغتها لصالح المستثمر الأجنبي على حساب العراق وشعبه.
- ٧- أظهرت نتائج البحث النظرية والاحصائية قبول فرضيات العدم الأربعة ورفض الفرضيات البديلة التي تشير الى عدم وجود تأثير وعلاقة إيجابية ما بين المتغير المستقل (الاستثمار الأجنبي المباشر) والمتغيرات التابعة (الفقر والبطالة) كون النتائج كانت ذو دلالة عكسية .

التوصيات

- ١- تبني سياسة التعاقد مع المستثمر الأجنبي في ظل الاستثمار الأجنبي المباشر على أساس بناء مصانع ومنشآت إنتاجية جديدة تسهم في زيادة حقيقتة للنتائج المحلي .
- ٢- العمل على تنويع القطاعات الإنتاجية المستهدفة التي يسمح للمستثمر الأجنبي الاستثمار فيها وفق خارطة قطاعية معدة بدقة وفق احتياجات البلد من السلع والأجهزة والمعدات .
- ٣- وضع شروط وضوابط تعاقدية تمنح النسبة الأكبر من العمالة في المشاريع الاستثمارية لصالح الفرد العراقي كما هو معتاد في بقية دول العالم .
- ٤- العمل على القضاء على البطالة من خلال تبني مشاريع استثمارية ذات كثافة عالية باليد العاملة مع مستوى دخل مناسب يضمن للفرد العراقي حياة كريمة مستقرة ماليا .
- ٥- إعادة صياغة العقود الاستثمارية مع المستثمر الأجنبي في المصانع الحكومية التي منحتها الدولة لهؤلاء المستثمرين بسبب الضرر الذي تسببت به بعض فقراتها وادت الى انعكاسات سلبية خطيرة على نسب الفقر والبطالة في العراق .
- ٦- صياغة عقود استثمارية رصينة مع المستثمر الأجنبي على ان تعد من جهات حكومية متخصصة وتكون واضحة في فقراتها ومعلنة بشكل رسمي مع إمكانية عرضها على المراكز البحثية في الجامعات العراقية واساتذتها المتخصصين في هذا المجال لخلق نوع من الحوكمة لهذه العقود ذات الطبيعة الاستراتيجية ضمن القطاعات الاقتصادية الرئيسة لخلق التنويع الاقتصادي المنشود والتوجه نحو مصادر الدخل غير النفطية المتاحة .

المصادر

المصادر العربية

١- عيسى، رحيمي، عادل، قرقاد، نصر الدين، العايب، ظاهرة البطالة: مفهومها، أسبابها وآثارها،
٢٠١٨.

٢- النجفي، سالم، عبد الحميد، احمد فتحي، السياسات الاقتصادية الكلية والفقر مع اشارة
خاصة الى الوطن العربي، الطبعة الاولى، بيروت لبنان، ٢٠٠٨.

٣- وزارة التخطيط، مركز المعلومات والاحصاء المركزي، ٢٠٢٤.

- 1- Ahoritor,Simon, Poverty Cusecs,2013.
- 2- Alfaro,Laura, Foreign Direct Investment and growth, Does the sector matter?, Harvard business school,2003.
- 3- Byrne,David,Strobl,Eric,Defining Unemployment in development countries :The case of Trinidad and Tobago, University of Nottingham,2001.
- 4- Barker,Jaffrey, Models of Unemployment ,2010.
- 5- Buthe,Tim,Milner,V.Helen,The political of Foreign Direct Investment into developing countries :Increasing FDI though international trade agreements ,Duke and Princeton university,2008.
- 6- Gylos,gaston,Stiogofa,yolia,When the mutireal price is high,2012 .
- 7- Lodi,Farcson, Poverty and financial policy ,2007.
- 8- Organization for Economic Co-operation and Development (OECD) ,Reports, 2002.
- 9- Organization for Economic Co-operation and Development (OECD) ,Reports,2008.
- 10-Patterson,Neil,Montanjees,Marie,Cardillo,Colleen, Foreign Direct Investment-Trades, Data, Availability, Concepts and Recording practices,2004.
- 11-Phil,Bartel,Factors of poverty-the big five, 2007 .
- 12-RBA, Reserve Bank of Australia ,2024.
- 13-http://www.worldbank.org,2024
- 14-unctadstat.unctad.org/datacentre/dataviewer/US.Fd,2024.

المصادر والمراجع

- ١- باقر طه، الحياة اليومية في العراق القديم، دار التراث، بغداد، ١٩٧٠.
 - ٢- جمال عبد الرزاق، تحديات البنية التحتية والتنمية السياحية المستدامة: دراسات حالة من العالم العربي، مجلة التنمية والبنية، المجلد ١٧، العدد (٣)، ٢٠٢١.
 - ٣- الحرف اليدوية في بابل: دراسة تحليلية، دار النشر العلمية، بغداد، ٢٠١٧.
 - ٤- دريد جوليان، الأدب في بلاد ما بين النهرين، دار الثقافة للنشر، بيروت، ١٩٩٨.
 - ٥- رفاه قاسم الإمامي، تأثير الجذب السياحي في الاقتصاد المحلي في العراق، دار النشر، بغداد، ٢٠١٣.
 - ٦- زغيب ناصر، مجلة دراسات الشرق الأوسط، العدد (١٢)، ٢٠٢٠.
 - ٧- زينب عبد الله، الفخار والحرف اليدوية في بابل، دار العلوم الشرقية، ٢٠١٨.
 - ٨- الإدارة العامة لتصميم وتطوير المناهج، الفندقية، المؤسسة العامة للتعليم الفني والتدريب المهني، الرياض، ٢٠٢٢.
 - ٩- محمد يوسف، دراسة تحليلية للاستقرار الأمني وتطوير القطاع السياحي، مجلة الاقتصاد والسياحة، العدد (١٤)، ٢٠١٩.
 - ١٠- المهدي أحمد، المنسوجات والزخارف في بابل، مجلة الفنون التقليدية، العدد (٨)، ٢٠٢١.
- المقالات والأبحاث الأكاديمية:
- ١- أحمد عبد الكريم / الانعكاسات البيئية للتنمية الاقتصادية في الوطن العربي :، مجلة الدراسات البيئية، العدد (١٢) ٤ لسنة ٢٠١٨
 - ٢- تقرير منظمة السياحة العالمية (UNWTO) عن السياحة والتنمية الاقتصادية.
 - ٣- الحفاظ على المواقع الاثرية والطبيعية :محمد علي الصالح، رؤية متكاملة للتنمية المستدامة:، مجلة التراث والثقافة، (٩) لسنة ٢٠١٧.
 - ٤- رفاه قاسم الإمامي : لتنمية السياحة في العراق وارتباطها بالتنمية الاقتصادية، رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم الاقتصاد بكلية الإدارة والاقتصاد، الأكاديمية العربية في الدنمارك، ٢٠١٣، ص. ٢٩.
 - ٥- سفر التكوين الفصل ١١ الكتاب المقدس : ترجمة اليسوعية، دار النشر المشرق، ١٩٥١.
 - ٦- طه باقر: كتاب تاريخ بابل، للمؤرخ العراقي، نشر دار الحرية للطباعة / بغداد سنة ١٩٥١.

٧- فندقة الإدارة العامة لتصميم وتطوير المناهج: المؤسسة العامة للتعليم الفني والتدريب المهني،
٢٠٢٢.

٨- مقالات منشورة في مجلة "Tourism Sustainable of Journal"

٩- موقع أثري وأهميتها في السياحة الثقافية"، مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة بابل، • العدد:
٤١، السنة: ٢٠٢١.

المواقع الإلكترونية

1. Gossling, S. (2019). "Sustainable tourism development: An overview." *Journal of Sustainable Tourism*.
2. .Kwortnik , R. J., & Thompson, G. M. (2009). "Unifying service marketing and operations management with service experience management. Journal of Service Research.
3. Richards, G. (2018). "Cultural tourism: A review of recent research. Annals of Tourism Research.

النسق السياسي المضمّر في شعر الناشئ الصغير (ت ٣٦٦هـ)

The Implicit Political Pattern in the Poetry of Al-Nashi' Al-Saghir (d. 366 AH)

م. د مصطفى طارق عبد الأمير الشبلي^(١)

Lect. Mustafa Tariq Abdul Amir Al-Shibli (PhD)

الملخص

يسلط هذا البحث الضوء على جانب مهم كان له حضورٌ في شعر الناشئ الصغير علي بن عبد الله بن وصيف بن يوسف (ت ٣٦٦هـ)، وهو النسق المضمّر، الذي يعمل على الاختفاء، والتوري، والانزواء في أعماق النص وفي بنيته العميقة وربما الصامتة، وخصصنا من انساق الشاعر المضمرة (النسق السياسي) الذي توارى وانزوى خلف خطاب الشاعر المدحي، والراثي لأئمة أهل البيت ﷺ، لأهميته فهو يظهر النسق الثقافي الذي كان سائدا عند السلطة الحاكمة، وقد تضمن البحث مقدمة، وتمهيد اشتمل على (مفهوم النسق المضمّر في اللغة والاصطلاح)، ثم المحور الأول وضم (نسق الرفض)، ثم المحور الثاني وجاء في: (نسق الأنا السلطوي)، ثم خاتمة ضمت أبرز النتائج التي توصل إليها البحث.

الكلمات المفتاحية: النسق المضمّر، الناشئ الصغير، النسق السياسي، نسق الرفض، الأنا السلطوي

Abstract

A brief research that sheds light on an essential aspect that had a presence in the juvenile poetry, Ali bin Abdullah Bin Waseef bin Yusuf (d. 366 AH). It is the tacit pattern that works to be implied via the depths of the text and may be in its silent structure. We devoted from the poet's tacit style,

١ - جامعة القاسم الخضراء/ كلية التربية mustafa.t.@s.uokerbala.edu.iq

the (political style), who hid behind the discourse of the praising and elegiac to the imams of the prophet's progeny peace be upon them, due to its importance as it shows the cultural pattern that prevailed during the reign of the ruling authority. The research included an introduction, and a preface that included (the concept of the implicit pattern in linguistic and idiomatic. Then the first axis included (the implicit political style opposing to the ruling authority). The second axis entitled (the implicit political style corresponding to the ruling authority), and then a conclusion that included the most prominent results of the research.

Keywords: Implicit pattern, Al-Nashi' Al-Saghir, political pattern, rejection pattern, authoritarian ego.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين، وبعد فإن مفهوم الأنساق المضمرة يعد من المفاهيم الحديثة التي بدأت تشغل حيزاً كبيراً ومهماً في الدراسات الأدبية الأكاديمية وذلك راجع للمخرجات التي تأتي بها الدراسة، من حيث كونها تركز على قضايا لم يجعلها الشاعر ظاهرة في شعره، فضلاً عن إعطائها صورة أخرى لواقع المجتمع وثقافته.

ومن الأمور المهمة التي ينبغي توفرها في دراسة الأنساق أن يكون الشاعر المختار للدراسة ذا ثقافات متعددة، ومن هنا صار توجيهي لديوان الناشئ الصغير الذي كان يمتلك ثقافات متعددة اختزنت في مخيلته، فضلاً عن تنقله في بيئات طبيعية مختلفة أغنت نتاجه الوصفي.

وبعد قراءة ديوان الشاعر للفحص عن النصوص التي قد تشتمل على أنساقٍ مضمرة وجدت أن أغلب النصوص التي قالها الشاعر وفي أغراض (الفخر، المدح، الهجاء، الزهد) تحمل أنساقاً سياسية واجتماعية ودينية مضمرة، ولتقييد البحث بعدد الأوراق فقد أخذت النسق السياسي المضمرة عينة للبحث، الذي تضمن مقدمة، وتمهيد اشتمل على (مفهوم النسق المضمرة في اللغة والاصطلاح)، ثم المحور الأول وضم (نسق الرفض)، ثم المحور الثاني وجاء في: (نسق الأنا السلطوي)، ثم خاتمة ضمت أبرز النتائج التي توصل إليها البحث.

التمهيد: النسق لغة: «النسق من كل شيء: ما كان على طريقة نظام واحد»^(٢). المضمرة لغة: أضمرت الشيء: أخفيته، وهو مضمرة^(٣).

النسق المضمرة اصطلاحاً: وهو «النسق الذي يعمل على الاختفاء والتواري والانزواء في أعماق النص وفي بنيته العميقة وربما الصامتة، وهو لا يضاف إلى النص من خارجه بل هو بنية تشكل جوهره الداخلي

٢ - لسان العرب، مادة نسق :- ٣٥٢/١٠.

٣ - لسان العرب، مادة ضم - ٤٩٣/٤.

عبر مخزون تراكمي وجد في مراحل متغيرة من التاريخ الثقافي، ويستخدم فيه أساليب تتنوع بين ما هو نصي وأيدلوجي، ويتخلله التورية الثقافية»^(٤).

المحور الأول: نسق الرفض.

نسق الرفض السياسي: هو فن من الفنون الذي يقوم على ما يتبناه الشاعر من أفكار ومعتقدات وما يعتمد من مبادئ تشكل المنطلقات الأساسية لموقفه الرفض للنظام السياسي والسلطة الحاكمة حيث يجسد فيها الشاعر واقع السلطة، والطريقة التي تعامل بها رعاياها، ويعتبر النسق بحاصة المضمّر منه خير شاهد ودليل على واقع السلطات والحكومات التي حكمت البشر^(٥).

والجدير بالذكر أن نشوء الرفض السياسي في العصر العباسي الذي عاش فيه الناشئ الصغير كان لعدة أسباب أهمها عند شعراء الشيعة هو الدفاع عن مظلومية أهل البيت عليهم السلام الذين هم أحق بالخلافة من غيرهم، وغير الشيعة كالشعراء الشعوبيين الذين رأوا أنهم أفضل من العرب والأحق منهم بالخلافة.

ولا يخفى أن الناشئ من شعراء الشيعة ومن الموالين لأهل البيت عليهم السلام فجاء (نسق الرفض) المضمّر في جملة من خطابه رافضاً لواقع السلطة وأساليبها وقد انزوى هذا النسق خلف الخطاب المدحي بالدرجة الأولى، ولا يخفى أنّ الناشئ الصغير عاش فترة من عمره في ضل حقبه عرفت بعداها لأهل البيت عليهم السلام، وانطلاقاً من ثقافته الدينية ومولاته لأهل البيت عليهم السلام فتراه أضمر الكثير من الأفكار الراضة للسلطة والخلافة في خطابه.

وقد استطاع الناشئ الصغير أن يبيث أفكاره الراضة للسلطة من خلال مدائحه ومراثيه لأهل البيت عليهم السلام.

ومن خطابه في هذا الاتجاه (الراض للسلطة) قوله في الإمامين الكاظمين عليهم السلام: (من الوافر)

ببغدادٍ وإن مُلئت قصورا	قبورٌ أغشت الأفاقَ نورا
ضريحُ السابعِ المعصومِ موسى	إمامٍ يحتوي مجداً وخيرا
بأكنافِ المقابرِ من قريشٍ	له جدتٌ غداً بهجاً نصيرا
وقبر محمد في ظهر موسى	يغشي نور بهجته الحضورا ^(٦)

٤ - الفن التشكيلي المعاصر في الوطن العربي: ٥٣، دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي: ٢٩٣.

٥ - ينظر: الرفض السياسي في القصيدة الجزائرية المعاصرة رسالة ماجستير - ١١.

٦ - ديوان الناشئ الصغير: ٢٦٠.

من الثقافات السائدة والمتجذرة عند معظم العرب هو أن السلطان وال خليفة من أولوياته وضرورياته هو أن يكون له قصر فخم وخدم في ذلك القصر، وهذه الثقافة يجب أن تتحقق برؤيتهم وإن كانت على حساب الرعية^(٧).

وقد جاء الخطاب المدحي متعرضاً إلى هذه الثقافات ولكن جاء هذه الانتقاد بصورة مضمرة منزوية خلف بعض من الخطابات المدحية للإمامين الكاظمين عليهما السلام فهذا الخطاب يحمل دلالات عدة فضلاً عن غرضه الأساس وهو المدح، ويبين لنا الصورة النموذجية للخليفة المتمثلة بشخص الإمام.

أما النسق المضمّر فهو يتمثل بالرفض والنقد للتصرفات اللا إنسانية واللامبالية والتي كانت تمارس على حساب الطبقة الفقيرة^(٨) وقد انزوى هذا الرفض خلف هذا الخطاب المدحي فهو يتمثل برفضه لكل ما تقوم به السلطة العباسية متمثلة بملوكها ووزرائها وأمراءها حيث أنها - أي الطبقة السياسية - بعد أن تجمع الثروة كانوا يغرقون في ملذاتهم ويهتمون ببناء القصور العظيمة التي ملئت بغداد، فصار عندهم بناء القصور ونسيان الطبقة المجتمعية الفقيرة نسقاً ثقافياً يمثل السلطة العباسية وواقعها.

ومن الشواهد الأخرى في هذا النسق (الرفض) قول الناشئ الصغير لعضد الدولة بن بويه:

(من الوافر)

رَأَيْتُ بِيَابِ دَارِكُمْ كِلَاباً تُعَدِّيَهَا وَتُطْعِمُهَا السِّبْخَالَا
فَهَلْ فِي الْأَرْضِ أَدْبُرٌ مِنْ أَدْيَبٍ يَكُونُ الْكَلْبُ أَحْسَنُ مِنْهُ حَالَا^(٩)

ويصّب هذا الخطاب في مصب الخطاب المتقدم الراض لواقع السلطة والثقافات السائدة في قصورهم، ومن الملاحظ أن الشاعر غرس تحت خطابه الجمالي المتمثل بالمدح ما هو غير جمالي في الثقافة العربية^(١٠) وذلك عندما زار قصور الخلفاء واطلع على ثقافتهم الخاصة المتجذرة في الثقافة العربية، وهو لا شك امتدح الخليفة ولكنه أضمر موقفه الراض لهذه الثقافة في تلك القصور.

ويدل على ذلك ما روته المصادر من أنّ البيتين نظمهما بسبب أنه عندما دخل على سيف الدولة، فأنشده قصيدة، وقد اعتذر سيف الدولة بضيق اليد يومئذ، وقال له: أعذر فما يتأخر عنا حمل المال

٧ - ينظر: تاريخ ووصف قلعة القاهرة: ١٦٧.

٨ - ينظر: الشخصية المهمشة في ضوء مجموعة ضوء العشب القصصية: ٤٧.

٩ - ديوان الناشئ الصغير: ٣٠٤.

١٠ - ينظر: نقد ثقافي أم نقد أدبي: ٣٣.

إلينا، فإذا بلغك ذلك فأتنا لنضاعف جائزتك، ونحسن إليك. فخرج من عنده فوجد على باب سيف الدولة كلابا تذبح لها السخال وتطعم لحومها، فعاد إلى سيف الدولة فأنشده البيتين (١١).

فظاهر الخطاب يدل على مدحه وكرمه إلى درجة أن كلابه تذبح لها السخال، وإن كان فيها وجه من المعاتبة للخليفة، وهذا الظاهر، ولكن هناك نسق ثقافي مضمّر قصده الشاعر وأشار به إلى سياسة الحكام اتجاه رعاياها.

فالشاعر يشير على الواقع السياسي المقيت الذي امتد إلى النظام الاجتماعي ونال من الطبقة الفقيرة، فهو يرفض الطبقة التي كانت تسود في ذلك المجتمع، وكذلك يجري لنا مقارنة بين واقع الأمراء والوزراء وواقع الذي مثل واقع المجتمع، فالنسق الثقافي السائد عند طبقة الوزراء يقتضي تفضيل كلاب الوزير على رعاياه من الطبقة الفقيرة في المجتمع.

ومن وجوه الرفض للسلطة التي وجدناها في شعر الناشئ الصغير هو بيان أفعالهم الشنيعة بحق أهل البيت ﷺ ثم الدعوة إلى أخذ الثأر من هؤلاء الخلفاء العباسيين والثورة عليهم، وقد انزوى هذا الوجه من الرفض في الخطابات الرثائية لأهل البيت ﷺ، ومن ذلك قوله: (من الطويل)

بني أحمد قلبي بكم يتقطع
عجبت لكم تفنون قتلاً بسيفكم
فما بقعة في الأرض شرقاً ومغرباً
ظلمتمم وقتلتمم وقتلتمم فيئكم
كأن رسول الله أوصى بقتلكم
وقوله في أهل البيت ﷺ:

(من الطويل)

ويخطفني ظنّي والمنون تصيب
عليكم وشبوا الحرب وهي ضروب
فخر على المحراب وهو خضيب
وأنشبن أظفاز بها وتيوب

١١ - ينظر: إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء: ٤/٥٥.

١٢ - ديوان الناشئ الصغير: ٢٦٦.

وَهَذَا تَوَزَّعَنَ الصَّوَارِمُ جِسْمَهُ فَخَرَّ بِأَرْضِ الطَّفِ وَهُوَ تَرِيبٌ^(١٣)

إن القراءة الثقافية لهذه الخطابات الرثائية تنبأ عن الموقف الراض لسيااسة الدولة الأموية والعباسية تجاه أئمة أهل البيت عليهم السلام، وتتجلى مواقف الرفض في بيان المآسي التي مرت على آل البيت عليهم السلام وهي: (الفناء بالسيف، والسطو، والتشريد، والظلم، ومخالفة الرسول) كل هذه العبارات ضمنها الشاعر ليشير إلى الواقع الثقافي التي كانت عليه تلك الحكومات الظالمة فهي مرفوضة في منظومة الشاعر الثقافية، ولا يكتفي بهذا الرفض بل نراه في النص الآخر يدعو إلى أخذ الثأر من هذه الحكومات والثورة عليها.

ولم يكتفي الناشئ الصغير بهذه الخطابات بل استعمل خطاب الزهد - الذي يعد من الأغراض العميقة التي ترمض النفس - كتحذير للخليفة ورفض لما يقوم به، ومن الشواهد على ذلك قوله في زهد أهل البيت عليهم السلام: (من الخفيف)

اسْتَمِعْ مَا أَتَى بِهِ جِبْرِيلُ
يَوْمَ صَامَ الْوَصِيِّ وَالْأَهْلُ لَدَى
وَحَبُوا فِي طَعَامِهِمْ ذَلِكَ الْيَوْمَ
فَتَلَا هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ ذَا حِي
وَابْتَدَأَ نُطْقَهُ هُنَالِكَ أَمْشَا
وَهَدَى نَسْلَهُ فَأَصْبَحَ إِمَامًا
إِنَّ الْإِبْرَارَ يَشْرَبُونَ بِكَأْسٍ

أَحْمَدَ الْمُصْطَفَى الْبَشِيرِ النَّذِيرِ
— تَعَالَى يُوفُونَ مِنْهُمْ نُذُورًا
مَ يَتِيمًا وَمُؤَسَّرًا وَقَفِيرًا
— مَنْ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ مَذْكُورًا
جَاءَ غَدًا بَعْدَهَا سَمِيعًا بَصِيرًا
شَاكِرًا مُؤْمِنًا وَإِمَامًا كَفُورًا
كَانَ فِيهِمْ مَرَاجِحُهَا كَافُورًا^(١٤)

بالرجوع إلى السيرة التاريخية لأئمة أهل البيت الخلفاء الشرعيين نجد الشاعر يشير إلى حادثة تاريخية تسالم عليها الجميع ونقلتها مختلف المصادر والمراجع وهي حادثة إطعام السائل الذي طرق باب الإمام علي عليه السلام ونزول سورة (هل أتى) بحقهم صلوات الله عليهم أجمعين^(١٥). فالشاعر غرس في هذا الخطاب الجمالي - الموحى في ظاهرة إلى جملة من الثقافات والقيم العالية - نسقا مضمرا تمثل بالرفض لواقع الخليفة والسلطة العباسية فتراه بزهد الأئمة صلوات الله عليهم يرفض صنوف البذخ وضروب التبذير والترف، عند

١٣ - ديوان الناشئ الصغير: ٢٤٥.

١٤ - ديوان الناشئ الصغير: ٢٥٧، والجدير بالذكر أنّ صدر البيت الرابع هكذا ورد في الديوان، وفيه خلل في الوزن، ويستقيم إذا قلنا: فَتَلَا هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ ذَا حِي -.

١٥ - ينظر: شواهد التنزيل لقواعد التفضيل: ٤٠٨/٢.

الخلفاء الذين اقتنوا الجوارِي وتحذوا الفرش من الخز والديباج والحريير والمسامير الفضة، وبإطعام الأئمة لليتيم والمسكين يرفض معاملة الخلفاء العباسيين للرعية حيث أنهم انغمسوا باللهو والجون. (١٦)

ومن الملاحظ في خطابات الناشئ الصغير تأكيده في أكثر من موضع على انتساب الأئمة المعصومين ﷺ إلى النبي محمد ﷺ، ومن ذلك قوله في ضمن قصيدة يصف بها الأئمة ﷺ:

هُمُ الْأَلُّ آلُ اللَّهِ وَالْقُطْبُ الْبِالْبُحْرِ
بِمَا فَلَّكَ التَّوْحِيدِ أَصْبَحَ دَائِرًا
أَيْمَةُ حَقِّ خَاتَمِ الرُّسُلِ جَدُّهُمْ
وَوَالِدُهُمْ مَنْ كَانَ لِلْحَقِّ نَاصِرًا
عَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَسَيِّدٌ
إِلَى قَرْنِهِ بِالسَّيْفِ مَا زَالَ بَاتِرًا
وَأُمُّهُمْ الزَّهْرَاءُ أَكْرَمُ بَرِّهِ غَدَا
قَلْبُهَا مَضْنِي عَلَى الْوَجْدِ صَابِرًا (١٧)

بالعودة إلى المصادر التاريخية نجد أن بني العباس سلكوا في سبيل الوصول إلى الخلافة مسلك من سبقهم بادعائهم قري النبي، وأن خلافتهم قائمة على العلم والحكمة الموروثة عن العباس عم الرسول ﷺ وورثته على حد قولهم (١٨).

وقد جرت في ذلك الكثير من المناظرات والمساجلات والأشعار - في إثبات هذه المسألة - بين العلويين وشيعتهم من جهة، وبين العباسيين وشيعتهم ومن تزلف إليهم من جهة أخرى، ومنهم الناشئ الصغير الذي كانت له جملة من المناظرات الشعرية الفقهية والعقائدية ومن ذلك قوله عن لسان المقابل مسترسلاً بتلك الآراء واصفاً صد أكثر الناس عن أمر رسول الله ﷺ، حيث يقول:

وإنه أرسل الداعي ليدعونا
وصد أكثرنا عن أمر داعيه

ولكن السلطة العباسية كانت تجابه هذه الأفكار بالبطش والتنكيل والرد عليهم بسياسة الحديد والنار، وهذا ما دعى الناشئ الصغير أن يضمن خطابه الجمالي المدحي نسقاً ثقافياً مضمراً وهو (نسق الرفض) لصلة هؤلاء بالنبي، مؤكداً على صلة الأئمة عليه السلام بالنبي وأهم هم الوريث الشرعي له.

المحور الثاني: نسق الأنا السلطوية:

تتمثل الأنا السلطوية في القدرة الضمنية أو المكتسبة من أجل ممارسة السطوة أو الهيمنة على مجموعة، وهي مظهر للقوة، وهي تسعى دائماً إلى تعالي الذات السلطوية، وإلغاء الآخر المختلف. (١٩)

١٦ - ينظر: تاريخ التمدن الإسلامي، مج: ١-٢/١٢٩.

١٧ - ديوان الناشئ الصغير: ٣١١.

١٨ - ينظر: الجذور التاريخية للوزارة العباسية: ١٥.

١٩ - ينظر: السلطة والقيادة: ١٦-١٨، النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية: ٢٧١.

وقد جسد الناشئ الصغير (الأنا السلطوية) لخلفاء العصرين الإسلامي والعباسي - حيث الخضوع للأقوى وترهيب الأضعف والتقليل من مكانة الناس واحتقارهم - في الكثير من خطاباته المدحية والرائية لأئمة أهل البيت عليهم السلام بخاصة مراتبه في الإمام الحسين عليه السلام.

فمن خطاباته المدحية لأهل البيت عليهم السلام الحاملة في طياتها نسقاً سياسياً مضمراً متمثلاً بـ (الأنا السلطوية) لمن خالف التنصيب الإلهي ونصب نفسه خليفة على الناس قوله في مدح الإمام علي عليه السلام:

(من المتقارب)

لَقَدْ كَفَرَ الْقَوْمُ إِذْ خَالَفُواكَ	أَلَا يَا خَلِيفَةَ حَايِرِ الْوَرَى
أَبُوكَ وَقَدْ سَمِعُوا النَّصَّ فِيكََا	أَدُلُّ دَلِيلٍ عَلَى أَهْمَم
وَنَكْتَهُمْ بَعْدَمَا بَايَعُواكَ	خِلَافَهُمْ بَعْدَ دَعْوَاهُمْ

وقوله في موضع آخر:

(من الطويل)

عَلِيَّ الَّذِي بِالشَّمْسِ أَرَزَّتْ دَلَائِلُهُ	أَلَا أَنَّ حَايِرَ الْخَلْقِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ
وَوَارِثُهُ عِلْمَ الْغُيُوبِ وَغَاسِلُهُ	وَصِيَّ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى وَنَجِيبُهُ
غَدَا عَقْلُهُ بِالرَّغْمِ مِنْهُ يُجَادِلُهُ	وَمَنْ لَمْ يَقْلُنْ بِالنَّصِّ فِيهِ مُعَانِدًا
عَلَى الْخَلْقِ حَتَّى تَضْمَحِلَّ بِوَاطِلُهُ	يُعْرِفُهُ حَقَّ الْوَصِيِّ وَقُضْلُهُ

لا يخفى أن نسق (الأنا السلطوية) من الأنساق الثقافية المتجذرة في نفوس القبائل العربية، فكانوا ينصبون الأكبر سناً على سبيل المثال، أو أن هناك بعض القبائل كانت ترى الخلافة لها ولا يحق أن تكون لغيرها.

وهذه الخطابات نموذج من الخطابات التي تنقلك في ظاهرها إلى جملة من الحوادث التاريخية كحادثة السقيفة وحادثة الغدير، وكيف أن القوم خالفوا التنصيب الإلهي للإمام علي عليه السلام ولم يلتزموا بوصية الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم والملاحظ إن هذا الخطاب الجمالي الثقافي توارى خلفه نسق ثقافي مضمّر كان سائداً في تلك الفترة وهو يشير إلى الثقافة السائدة في ذلك الوقت.

فالناشئ الصغير أضمر أنساقه وراء هذه الخطابات، وهو نسق مترسب في ذاكرته وتكونه الثقافي ولولاه لما وجد هذا النص الذي تم تشذيبه بالخطاب المدحي الجمالي^(٢٠)، وتمثل هذا المضمّر بـ (أنا السلطة) فهؤلاء القوم لم ينفع معهم حديث رسول الله بتنصيب علي بن أبي طالب عليه السلام، ولا حادثة

٢٠ - ينظر: النسق الثقافي و اثره في البناء النصي النثري الصوفي: ٩٥.

الغدير، وهذا الخروج على المنظومة الإلهية يكمن وراء الأنا المتكبرة التي ترفض الرضوخ وأن تكون مسودة من قبل شخص يصغرها سنا، فضلا عن الطابع القبلي، وما يؤكد هذه النسقية ما روي أن أبا قحافة كان بالطائف لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وبويع لأبي بكر، فكتب ابنه إليه كتابا عنوانه «من خليفة رسول الله إلى أبي قحافة». أما بعد فإن الناس قد تراضوا بي، فإنني اليوم خليفة الله، فلو قدمت علينا كان أقر لعينك قال: فلما قرأ أبو قحافة الكتاب قال للرسول: ما منعكم من علي؟ قال: هو حدث السن وقد أكثر القتل في قريش وغيرها وأبو بكر أسن منه»^(٢١)، فيتضح من هذا النص نسق (أنا السلطة) المتجذر في نفوس هؤلاء.

ويتعرض الشاعر في خطابه السياسية إلى خلافة بني العباس معلنا براءته منهم حيث يقول:

(من الطويل)

إِلَى اللَّهِ مِنْ مَيْلِي إِلَيْكُمْ لَتَائِبٌ إِلَيْكُمْ بَنِي الْعَبَّاسِ عَنِّي فَإِنِّي
وَأَقْصَيْتُكُمْ عَنْهُ ظُنُونٌ كَوَادِبُ تَرَكْتُمْ طَرِيقَ الْحَقِّ بَعْدَ اتِّصَاحِهِ
كِرَامٌ هُمْ فِي السَّابِقِينَ مَنَاقِبُ أَتَرَضُونَ أَنْ تُطَوَّى صَحَائِفَ عُصْبَةِ

ثم أخذ يعرض أمامنا مشاهد ظلم بني العباس لبني هاشم على الرغم من صلة الدم التي تربطهم فيعتبر خلافة بني العباس امتدادا لخلافة بني أمية التي كایدت وناصبت العداة لرسول الله ﷺ ولأهل بيته عليهم السلام حيث يقول من القصيدة نفسها:

أَفَيْقُوا مِنَ السُّكْرِ الَّذِي قَدْ طَحَا بِكُمْ فَكُمْ قَدْ صَحَا مِنْ سَكْرَةِ الْحَمْرِ شَارِبُ
لَئِنْ كَايَدَتْ نَصَبًا أُمَيَّةً هَاشِمًا فَكُلُّهُمْ مِنْ سَالِفِ الدَّهْرِ نَاصِبُ
فَأَبَاؤُهُمْ كَادُوا بِحَرْبِ مُحَمَّدٍ وَأَبْنَاؤُهُمْ لِلدَّيْنِ كُلِّ مُحَارِبُ
وَلَكِنْ بَنُو الْأَعْمَامِ مَا بَالَهُمْ بَعُغُوا عَلَيْهِمْ وَهُمْ فِي الْوَأَشْجَاتِ أَقَارِبُ^(٢٢)

والملاحظ إن ثقافة النسب أو الارتباط بالدم من الثقافة السائدة والمتجذرة حيث أنهم يرون إن الخلافة لا يمكن أن تنتقل لمن لا يرتبط معهم بالدم، وشكلت هذه الخطابات، وهنا يكمن العداة الذي كنهه الأمويون إن النبي كان من هاشم ولم يرسل من بني حرب جد الأمويين.

٢١ - الاحتجاج، للطبرسي: ١٢٥.

٢٢ - ديوان الناشئ الصغير: ٢٤٧.

فالخطاب أضمر نسقاً سياسياً متجذراً في نفوس العرب وهو أن الحكم يجب أن يكون لمن يرتبط معهم بالدم وهو يمثل نسق (الأنا السلطوية) لدى هذه القبائل، في حين أن الشاعر كان رافضاً لهذا النسق والملاحظ في الخطاب هو كسر السائد وهو النسق القبلي الذي تربطه أواصر الدم، وذلك بسبب الرضوخ لنسق الأنا المتجذر في نفوس هؤلاء المعادين للنبي وأهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين.

ومن الخطابات الأخرى التي غرس فيها الناشئ الصغير النسق المضمّر المعبر عن (الأنا السلطوية) قوله من قصيدة في أهل البيت عليه السلام:

(من الطويل)

هُمُ حَسَنَاتُ الْعَالَمِينَ بِفَضْلِهِمْ	وَهُمْ لِأَعَادِي فِي الْمَعَادِ دُنُوبُ
وَقَدْ حَفَظْتَ غَيْبَ الْعُلُومِ صُدُورَهُمْ	فَمَا الْغَيْبُ عَنْ تِلْكَ الصُّدُورِ يَغِيبُ
فَإِنْ ظَلِمْتَ أَوْ قُتِلْتَ أَوْ تَهَضَّ مَتُّ	فَمَا ذَاكَ مِنْ شَأْنِ الزَّمَانِ عَجِيبُ
وَسَوْفَ يَدِيلُ اللَّهُ فِيهِمْ بِأُوبَةِ	وَكُلٌّ إِلَى ذَاكَ الزَّمَانِ يَسُوبُ ^(٢٣)

لو رجعنا إلى التأريخ قليلاً نجد هناك ستة من الأئمة المعصومين عليهم السلام قد قتلوا في زمن الدولة العباسية وبأمر من الخليفة وذلك خوفاً من قيام ثورة شعبية ضد السلطة العباسية ولكيلا يتزعزع كرسي الخلافة.

وهذا الخطاب المدحي الذي خص به الشاعر أئمة أهل البيت عليهم السلام توارى خلفه النسق المضمّر الذي يشير إلى (الأنا السلطوية) المتجذرة عند خلفاء بني العباس، فالناشئ الصغير لا يتعجب من مقتل ستة من الأئمة المعصومين الذين هم كنوز العلم وجعل ظلمهم ومقتلهم نتيجة حتمية للأنا السلطوية المتجذرة في نفوس الخلفاء العباسيين.

الخاتمة

الحمد لله الذي ختم بالقران الكريم الكلام، وصير خاتم الانبياء محمداً سيد الانام، وجعل شريعته خاتمة الشرائع، وصلى الله على الأوصياء من بعده أهل بيته، والخلص من أصحابه، وبعد. فهذا نحن نصل إلى نهاية المطاف، لنردّون أهم النتائج التي توصلنا إليها في بحثنا هذا وهي كالآتي:

- ١- كان لتجوال شاعرنا الناشئ الصغير في جملة من البلدان الأثر في عكس الصورة الواقعية لثقافة هذه البلدان، والتي وظفها - أي الثقافة - في نصوصه الشعرية.
- ٢- يتضح من النصوص الشعرية، التنوع في المصادر الثقافية للشاعر فهي مصادر غذاها القرآن الكريم والحديث الشريف ومجالس الأدب التي كان يحضرها الشاعر، فضلاً عن المناظرات.

- ٣- تمثل دافع اختلاف الناشئ الصغير مع الخلفاء في الأساس الجانب الديني، يليه الدافع القومي، إذ كانت بغداد في زمنه خاضعة لسيطرة الأعاجم، فانبتق موقفه الراض لذلك الواقع من شعور بالانتماء لقوميته وانتصار لها.
- ٤- الأنساق التي أضمرها الناشئ الصغير في شعره والتي عالجهما البحث تتمثل النسق السياسي متمثلاً بـ (نسق الرفض، نسق الأنا السلطوي).
- ٥- تنوعت الأنساق الثقافية الظاهرة والمضمرة في شعر الناشئ الصغير، فشملت الأنساق الدينية، والاجتماعية، والسياسية.
- ٦- شكل الخطاب الراض للسلطة العباسية النسبة الأكبر في خطاب الشاعر المدحي والراثي لأهل البيت عليهم السلام.
- ٧- توسل الشاعر بحيل اللغة وخطابها المدحي والراثي لتمرير أنساقه المضمرة المخالفة للسلطة والرافضة لكل ما تقوم به تجاه رعاياها.

المصادر والمراجع

١. الاحتجاج: أحمد بن علي الطبرسي (ت ٦٢٠هـ)، تعليق وملاحظات: السيد محمد باقر الخراسان، دار النعمان/النجف الأشرف، ١٩٦٦م.
٢. إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء: محمد راغب الطباخ الحلبي (ت ١٣٧٠هـ—)، دار القلم العربي/حلب، ط ١٤٠٨/٢هـ.
٣. تاريخ التمدن الإسلامي: لجرجي زيدان، مراجعة وتعليق: د. حسين مؤنس، دار الهلال، القاهرة، ١٩٥٨م.
٤. تاريخ ووصف قلعة القاهرة: بول كازانوف، ترجمة، تحقيق: أحمد دراج، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ١٩٧٤/١م.
٥. الجذور التاريخية للوزارة العباسية: فاروق العمر، دار الشؤون الثقافية/بغداد، ١٩٨٦م.
٦. دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي: د. سمير الخليل، مراجعة وتعليق: د. سمير الشيخ، دار الكتب العلمية/بيروت، ١٩٧١م.
٧. ديوان الناشئ الصغير: جمعه: الشيخ محمد السماوي (ت ١٣٧٠هـ—)، تحقيق: هلال بن ناجي، الناشر: مؤسسة البلاغ/بيروت، ط ١٤٣٠/١هـ.
٨. الرفض السياسي في القصيدة الجزائرية المعاصرة، ديوان (وبقيت وحدك) للشاعر عبد الله عيسى خليح أنموذجاً، رسالة ماجستير، للباحثة: سهام مراني، ٢٠١٨ - ٢٠١٩م.
٩. السلطة والقيادة: محمد زيعور، منشورات شركة الرشاد برس/بيروت، ط ١، ١٩٩٠م.
١٠. الشخصية المهمشة في ضوء مجموعة ضوء العشب القصصية: أنور عبد العزيز، دار الخليج/عمان، ط ٢٠٢٠/١م.
١١. شواهد التنزيل لقواعد التفضيل: للحاكم الحسكاني (ق ٥)، مجمع إحياء الثقافة الإسلامي/قم، ط ١، ١٤١١هـ.
١٢. الفن التشكيلي المعاصر في الوطن العربي: شوكت الربيعي، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب/القاهرة، ط ١٩٨٨/١م.
١٣. لسان العرب: للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري (ت ٧١١هـ)، نشر: أدب الحوزة/قم، ١٤٠٥هـ.
١٤. النسق الثقافي و اثره في البناء النصي الثري الصوفي: خالد حوير الشمس، مركز الكتاب الأكاديمي/عمان، ط ٢٠٢٠/١م.

١٥. النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية: عبد الله الغدامي، المركز الثقافي العربي / الدار البيضاء،

ط٣ / ٢٠٠٥م.

تحليل توجهات المستثمرين في سوق العراق للأوراق المالية قبل وبعد

كوفيد-١٩

Analysis of investor trends in the Iraqi Stock Exchange before and after Covid-19

هيام حسن هادي الموسوي^(١)

Hiyam Hassan AL-Moussawi

أ.م.د. نور صباح حميد الدهان^(٢)

Asst. Prof. Noor Sabah Hameed Al-Dahan (PhD)

الملخص

تهدف هذه الدراسة الى تحليل توجه الاستثماري في بناء محفظة الأسهم المثلى قبل و بعد كوفيد -١٩ من خلال بناء محفظة الأسهم المثلى في سوق العراق للأوراق المالية على أساس دوري وبيان اي الأسهم دخلت واي الأسهم خرجت من التداول بالنسبة للأسهم المدرجة في سوق العراق للأوراق المالية ولقد تم بناء المحافظ الاسهم باستخدام نموذج المؤشر الواحد لشارب ومن اجل تحليل التوجه المستثمرين في بناء محافظهم الاستثمارية فقد جرى تحليلاً مفصلاً لعينة الدراسة المتمثلة ب٣٤ شركة مدرجة في سوق العراق للأوراق المالية وللمدة من شهر كانون الثاني ٢٠١٨ لغاية شهر كانون الاول ٢٠٢١ والتي تم اختيارها وفقاً للشروط المحددة. و تم استخدام بعض الاساليب الاحصائية و المالية فضلاً عن الاعتماد على برنامج EXCEL وبرنامج SPSS لاستخراج الاثر والارتباط بين

١- جامعة الفرات الاوسط التقنية/ المعهد التقني كربلاء
٢- جامعة كربلاء- كلية الادارة والاقتصاد

متغيرات الدراسة. و بناءا عليه خلصت الدراسة الى عدد من الاستنتاجات اهمها : هنالك تأثير واضح لجائحة كوفيد - ١٩ على توجه الاستثماري للشركات المتداولة و المدرجة في سوق العراق للأوراق المالية

الكلمات المفتاحية: نموذج المؤشر الواحد لشارب، كوفيد - ١٩ ، الاستثمار المالي

Abstract

This study aims to analyze the investment orientation in building the optimal stock portfolio before and after Covid-19 by building the optimal stock portfolio in the Iraqi Stock Exchange on a periodic basis and showing which stocks entered and which stocks exited from trading in relation to the stocks listed in the Iraq Stock Exchange. The stock portfolios are built using the Sharp single index model

In order to analyze the investors' orientation in building their investment portfolios, a detailed analysis was conducted of the study sample represented by 34 companies listed on the Iraqi Stock Exchange for the period from January 2018 to December 2021, which were selected according to the specified conditions. And some statistical and financial methods were used, in addition to relying on the EXCEL program and the SPSS program to extract the effect and the correlation between the study variables. Accordingly, the study concluded a number of conclusions, the most important of which are: There is a clear impact of the Covid-19 pandemic on the investment orientation of companies traded and listed on the Iraqi Stock Exchange.

Keywords: Sharp Single Index Model, COVID-19, Financial Investment.

المقدمة

تعد المحفظة الاستثمارية ذا أهمية كبيرة للمستثمرين والمؤسسات المالية ، إذ يعتمدونها في إدارة أموالهم من أجل الحد من المخاطرة و الحصول على العوائد المرغوبة وهنالك العديد من القضايا التي تواجه المستثمرين من بينها كيفية تخصيص الامثل للموارد بين مجموعة متنوعة من الأوراق المالية المختلفة وذلك من خلال المفاضلة بين العائد والمخاطرة و يسعى المستثمر العقلاني دائما إلى تقليل المخاطرة إلى أدنى حد و زيادة العوائد لذلك يتجه المستثمر نحو بناء محفظة استثمارية متكاملة التي تناسب احتياجاته على أفضل وجه فالغاية الاساسية من بناء هذه المحفظة الاستثمارية هو تطبيق سياسة التنوع عند اختيار مكونات المحفظة كمدخل أو كأسلوب فعال للوصول الى المحفظة المثلى

١- المنهجية العلمية

اولا :مشكلة الدراسة

في ظل الجائحة العالمية أدى انتشار وباء كوفيد - ١٩ وما يقابله من استجابة الصحة العامة إلى تباطؤ اقتصاد العالمي ككل. وبالنظر الى الخسائر غير المتوقعة للأسواق المالية العالمية وتغيرات التي طرأت على

توقعات المستثمرين بشأن العائد والمخاطرة وارتفاع التقلب بدرجة حادة جدا ، ففي بعض الحالات وصل إلى مستويات لم نشهدها منذ الأزمة المالية العالمية، في سياق عدم التأكد بما يخص التأثير الاقتصادي للجائحة. ومع ارتفاع التقلب الحاد، أدى ذلك إلى حدوث تراجع كبير في سيولة الأسواق المالية ، مما ساهم في حدوث تحركات مفاجئة في أسعار الموجودات. وعلى وفق ما تقدم تسعى هذه الدراسة للإجابة عن التساؤل التالي:

١- معرفة ما هو توجه المستثمرين في تكوين محافظهم الاستثمارية ؟

ثانيا : فرضية الدراسة

١- لا تتأثر توجهات المستثمرين في سوق العراق للأوراق المالية في تكوين محافظهم الاستثمارية في ظل جائحة كوفيد -١٩

ثالثا :اهمية الدراسة

تسعى الدراسة الحالية لتحقيق الهدف التالي:

أصبحت كيفية تنفيذ المحفظة المثلى للأسهم في ظل اختراق سوق الأسهم العالمية مصدر قلق للمستثمرين لذلك سوف نبين تأثير جائحة كوفيد على التوجه الاستثماري في بناء محفظة الأسهم المثلى.

رابعا :اهداف الدراسة

تسعى الدراسة الحالية الى تحقيق الاهداف التالية:

- ١- تقديم عرض معرفي تفصيلي عن تحليل التوجه الاستثماري في بناء محفظة الأسهم المثلى و الأساليب التبسيطية التي بينت كيفية بناءها
- ٢- قياس أثر التوجه الاستثماري في بناء محفظة الأسهم المثلى عبر عائدها و مخاطرها.

خامسا : مجتمع وعينة الدراسة

تمثل مجتمع الدراسة بجميع الاسهم المدرجة في سوق العراق للأوراق المالية. اما عينة الدراسة فقد تم اختيارها اعتمادا على شرط اساسي وهو استمرارية الشركات المدرجة في سوق العراق للأوراق المالية المتداول بها طول مدة المعاينة و استبعاد الشركات المشطوبة وغير الداخلة في المدة المعتمدة في الدراسة الحالية. ومن

خلال معاينة هذه الشركات المدرجة في السوق فقد تم اعتماد (٣٤) شركة بالاعتماد على شرط الاستمرارية ويمكن توضيح عينة الدراسة من خلال الجدول التالي :

جدول (١) عينة الدراسة

الشركة	القطاع	
المصرف العراقي الاسلامي	قطاع المصرف	١
المصرف التجاري العراقي		٢
مصرف الشرق الأوسط		٣
مصرف الاستثمار العراقي		٤
مصرف بغداد		٥
المصرف الاهلي العراقي		٦
مصرف الخليج		٧
المصرف المتحد		٨
مصرف بغداد		٩
مصرف اشور		١٠
مصرف الفلصور		١١
مصرف الائتمان العراقي		١٢
مصرف الموصل للاستثمار		١٣
الكيميائية و البتستيكية	قطاع الصناعة	١٤
الكادي للتعلقات البحرية		١٥
بعداد للمشروبات الغازية		١٦
العبيدة الحديثة		١٧
السجاد والقدوروات		١٨
فندق فلسطين	قطاع الفنادق والساحل	١٩
فندق بابل		٢٠
فنادق كركوك		٢١
الوطنية للاستثمار والسياحة		٢٢
فندق بغداد		٢٣
فنادق الفلصور		٢٤
العراقية للتكنولوجيا الزراعية	قطاع الزراعة	٢٥
اسفلة الشرق الأوسط		٢٦
التاج وتسويق النجوم		٢٧
العاب الكرخ السياسية	قطاع العمات	٢٨
النظية للمقاولات العامة		٢٩
بعداد العراقي للتقنيات العام		٣٠
المضوية العراقية		٣١
الموصل لعن الامت		٣٢
الامين للتأمين	قطاع التأمين	٣٣
اسيا سبيل للاتصالات	قطاع الاتصالات	٣٤

سادسا: مدة و بيانات الدراسة

اعتمادا على معطيات الدراسة فان البيانات كالاتي :

- ١- قيم اسعار الاغلاق الشهرية لمؤشر سوق العراق للأوراق المالية لجميع اسهم القطاعات المستمرة في التداول طول مدة الدراسة من كانون الثاني ٢٠١٨ و لغاية كانون الاول ٢٠٢١.
- ٢- اسعار الفائدة الشهرية لحوالات الخزينة العراقية للمدة من كانون الثاني ٢٠١٨ لغاية كانون الاول ٢٠٢١.

سابعاً : أساليب الدراسة

تم الاعتماد على العديد من الاساليب الاحصائية والمالية من أجل التوصل إلى نتائج الدراسة وبالاعتماد على المعادلات التي ذكرت في الجانب النظري كمعادلة استخراج العائد ومعادلة حساب المخاطرة الكلية وحساب البيتا ومعادلة حساب التباين والانحراف المعياري وحساب معدل القطع ومعادلة حساب Zi وحساب الاوزان لمداخلات المحفظة المثلى فضلاً عن الاعتماد على برنامج EXCEL وبرنامج SPSS لاستخراج الاثر والارتباط بين متغيرات الدراسة.

٣- مفهوم الاستثمار المالي

في اي عملية استثمار يدخل بها اي شخص يحقق منها ارباح او خسارة و نادراً ما يتوازن الدخل الحالي تماماً مع الرغبات الاستهلاكية للفرد، فعندما يزداد الدخل الحالي على رغبات الاستهلاك الحالية ، يميل الناس إلى ادخار الفائض ، أو التخلي عن الحياة الفورية لهذه المدخرات من أجل مبلغ أكبر من المال في المستقبل سيكون متاحاً للاستهلاك المستقبلي. هذه المقايضة بين الاستهلاك الحالي من أجل مستوى أعلى من الاستهلاك المستقبلي هي سبب الادخار ، وما تفعله بالمدخرات لجعلها تزداد بمرور الوقت هو الاستثمار. (4: 2010 , Reilly , et.al). و يعرف الاستثمار بصورة عامة على انه الاحتفاظ بالدولار لفترة من الزمن من أجل الحصول على مدفوعات مستقبلية من شأنها أن تعوض المستثمر عن وقت الاحتفاظ بالأموال ، وتعوضه عن معدل التضخم المتوقع خلال هذا الوقت وتعوضه ايضا من ناحية عدم التأكد من المدفوعات المستقبلية، يشمل هذا التعريف جميع أنواع الاستثمارات ، بما في ذلك استثمارات الشركات في المصانع والمعدات واستثمارات الأفراد في الأسهم أو السندات أو السلع أو العقارات. (4: 2012, Reilly & Brown). و عندما يستثمر الأفراد في الأسهم وسندات الشركات فإن هذا الاستثمار يدعى بالاستثمار المالي. يحدث هذا الاستثمار من خلال دخول المستثمرين أسواق الأوراق المالية ويقومون بتبادل النقد بالأدوات المالية ، و ان عملية تبادل النقد بين المستثمرين وعدم وصول رأس مال جديد إلى الشركات ، فلا يحدث أي استثمار حقيقي نتيجة لهذا النشاط. (6 : 2015 , Bodie & et.al). فإن من خلال هذه الأوراق المالية (الاسهم و السندات) يمكن للمستثمرين مطالبة بالدخل الناتج عن الموجودات العقارية (أو المطالبة بالدخل من الحكومة). إذا لم يتمكن المستثمر من امتلاك موجود حقيقي كصانع السيارات مثلا ، بإمكانه شراء أسهم في Ford أو Toyota (الموجودات المالية) وبالتالي المشاركة في الدخل الناتج عن إنتاج السيارات. و تستخدم الشركات الأموال التي تم جمعها من خلال شراء المستثمرين للأوراق المالية الصادرة عن الشركات لدفع ثمن الموجودات الحقيقية ، مثل المصانع أو المعدات أو التكنولوجيا أو المخزون. لذا فإن عوائد المستثمرين تأتي في النهاية من الدخل

الناتج عن الموجودات الحقيقية التي تم تمويلها من خلال إصدار تلك الأوراق المالية (Bodie & et.al, 2021: 2). ومما سبق يمكن تعريف الاستثمار المالي على (إنه تخصيص مبلغ ثابت من المال وتوقع نوعاً من الأرباح خلال إطار زمني محدد). (Chawaza , 2019 :1) اما الموجود المالي (هو مطالبة مالية على موجود يتم توثيقه عادة بواسطة شكل من أشكال التمثيل القانوني. من الأمثلة على ذلك حصة من الأسهم أو السندات) (Hirt & Block , 2005 :2). إذ يمكن أن يرتبط مصطلح "الاستثمار" بالأنشطة المختلفة ، ولكن الهدف المشترك في هذه الأنشطة هو توظيف الأموال خلال الفترة الزمنية التي تسعى إلى تعزيز ثروة المستثمر. الأموال التي سيتم استثمارها تأتي من الموجودات المملوكة بالفعل ، والأموال المقترضة والمدخرات. من خلال التخلي عن الاستهلاك اليوم واستثمار مدخراتهم ، يتوقع المستثمرون تعزيز إمكانياتهم الاستهلاكية في المستقبل من خلال زيادة ثروتهم. (Levišauskaite , 2010 :7)

أ: أدوات الاستثمار المالي

١- الأسهم

تعرف على أنها أوراق مالية تصدرها شركات مسجلة. و يمثل السهم حقوق الملكية في شركة ، وبالتالي فإن المساهم هو مالك جزء من الشركة. (Eakin & McNally, 2021 :239). إذ إن السهم هو مصطلح عام يستخدم لوصف شهادات الملكية لأي شركة ، و هو وحدة غير قابلة للتجزئة من رأس المال يعبر عن علاقة الملكية بين الشركة والمساهم. عادة ما يتم دفع توزيعات الأرباح الى حملة الاسهم سنويا ، وهذا يختلف باختلاف الشركة أو المؤسسة. و تعتمد أسهم الشركة على أنشطة الشركة المصدرة ، و كلما ازدهرت الشركة زادت حصتها. (chawaza , 2019 :3). و تسمح هذه الاوراق المالية للشركات والأفراد بتنوع مخاطرتهم ، وتحويل المخاطرة ، وتنوع ثروتهم ، وكسب عوائد أعلى على ثروتهم ، وتداول الأموال لفترات طويلة (ربما لانتهائية) من الزمن. (Knoop ، 2020 : 39)

٢- السندات

السند هو ورقة مالية تباع من قبل الشركات و الحكومات لجمع الأموال من المستثمرين اليوم في مقابل المدفوعات المستقبلية الموعودة (Berk & DeMarzo، 2017 :206). و هو أداة دين طويل الأجل يوافق من خلالها المقترض على سداد رأس المال مع الفائدة في تواريخ محددة في المستقبل (Brooks ، 2016: 175). و يتعرض مستثمرو السندات لمخاطرة أقل من المستثمرين في الأسهم لأن الوعد مدعوم بسلسلة من الحقوق القانونية ، على سبيل المثال الحق في الحصول على الفائدة السنوية قبل أن يتلقى أصحاب الأسهم أي أرباح ، وعادة ما يتم تعزيز ذلك بحقوق مصادرة موجودات الشركة إذا

تخلت الشركة عن وعدها ، وهناك غياب لأي قوة تصويت على إدارة الشركة (Arnold، 2012 : 221) . و في حالات التصفية أو إعادة التنظيم يكون حملة السندات مطالبة مسبقاً بوجودات الشركة ، و يحصلون على مبلغ الاساسي مع أي فائدة غير مدفوعة حيث ان معدل الفائدة ثابت ، و لا يمكن أن يختلف مقدارها مع أي اختلاف في أرباح الشركة. وبهذه الطريقة يشبه توزيع الأرباح على الأسهم الممتازة والذي يتم دفعه بسعر ثابت. (Sharan ، 2012 : 284)

٣- المشتقات المالية

على الرغم من أن النظام المالي مليء بالمخاطر ، إلا أنه يوفر أيضاً وسيلة للتعامل مع المخاطرة في شكل مشتقات ، و تكون المشتقات وسيلة لإدارة المخاطر المالية. و باستخدام المشتقات يمكن للشركات والأفراد نقل أي مخاطرة غير مرغوب فيها مقابل سعر ما إلى أطراف أخرى يرغبون في تحمل هذه المخاطرة. و على الرغم من وجود المشتقات بشكل ما لعدة قرون ، فقد تسارع نموها خلال العقود الماضية. اذ انه يتم استخدام المشتقات الآن بشكل كبير من قبل المؤسسات المالية و الشركات والمستثمرين المحترفين والأفراد ، و يتم تداول أنواع معينة من المشتقات بنشاط في الأسواق العامة. (Chance & Brooks , 2008 :1). و بصورة عامة المشتق هو ضمان السعر ، ولكن بعض المشتقات تضمن شيئاً آخر غير السعر ، مثل المشتقات الائتمانية هي ليست ضمانات الأسعار وإنما هي ضمانات الأداء ، إضافة إلى ضمانات أخرى مثل مشتقات الطقس التي تضمن الظروف الجوية مثل درجة الحرارة أو هطول الأمطار. ومع ذلك فإن الغالبية العظمى من المشتقات هي ضمانات للأسعار. إذ إن جميع مشتقات مجرد اتفاق بين المشتري المستقبلي والبائع المستقبلي أو الأطراف المقابلة. و يحدد كل مشتق سعراً مستقبلياً يمكن أو يجب بيع بعض الموجودات عن سلعة مادية (مثل الذرة أو الغاز الطبيعي) ، أو بعض التأمين المالي (مثل الأسهم أو السندات الحكومية) ، أو شيء أكثر تجريداً (مثل مؤشر الأسعار). و يحدد كل مشتق أيضاً تاريخاً مستقبلياً يجب أن تحدث فيه المعاملة أو قبله (Durbin, 2010 : 1). و يتم تداول المشتقات في البورصة أو في سوق خارج البورصة (OTC) وفي الواقع يتم إنشاء المشتقات من الفراغ و يتم إنشاؤها عندما يريد أحد الأطراف تداول مشتق معين يجد طرفاً آخر يأخذ الجانب الآخر من الصفقة ويتفاوض على السعر ويكمل الصفقة. فإن تداول المشتقات هو أيضاً لعبة محصلتها صفر ما يكسبه أحد طرفي العقد يخسره الآخر والعكس صحيح (Jarrow & Chatterjea ,2019:74).

ب: المحفظة الاستثمارية

هي مجموعة من الموجودات مثل الأسهم والسندات التي يملكها المستثمر. (Ross, et.ai, 2013).
 او هي مجموعة من الأوراق المالية ، مثل الأسهم والسندات ، التي يتم توحيدها وتعد اصلا واحداً. قد تشير
 المحفظة إلى مشتريات مستثمر واحد أو إلى ممتلكات تدار كوحدة واحدة من قبل مدير أو أكثر نيابة عن
 زبائنه (Booth, et.al,2016 :276). وتعرف بشكل أكثر تفصيلاً على انها مجموعة من
 الاستثمارات المالية المختلفة التي يحتفظ بها المستثمر في وقت ما ، قد تكون هذه الاستثمارات المالية الأسهم
 العادية ، والسندات ، والأسهم الممتازة ، وخطط الودائع الثابتة للشركات ، إلخ. (Sukanya,2012:
 104) وقد نشرت مجلة المالية عام ١٩٥٢ مقالاً بعنوان "اختيار المحفظة" للعالم الاقتصادي هاري ماركويتز.
 أصبحت الأفكار المقدمة في هذه المقالة تشكل أسس ما يشار إليه والمتعارف عليه باسم نظرية المحفظة
 الحديثة (MPT)، والتي توفر إطار عمل لإنشاء المحفظة الاستثمارية واختيارها بناءً على الأداء المتوقع
 للاستثمارات ومدى استعداد المستثمر لتحمل المخاطرة (FABOZZI ,et.al,2002:7).

٤- بناء محفظة مثلى باستخدام نموذج المؤشر الواحد

يعد إنشاء المحفظة المثلى مهمة سهلة إذا كانت هناك قيمة واحدة توضح الرغبة في إدراج أي ورقة مالية
 في المحفظة الاستثمارية (Mandal, 2013 :10) يرتبط اختيار أي سهم ارتباطاً مباشراً بنسبة ترينور.
 (Elton. et.al, 2014 :177) و (Andrade ، 2012 : 86) يقوم النموذج أولاً بتصنيف
 الأوراق المالية بناءً على نسبة ترينور، بعد ذلك يتم ترتيب جميع الأوراق المالية وفقاً لنسبة ترينور ، ثم يتم
 حساب معدل القطع ومقارنتها مع نسبة ترينور لتقرير ما إذا كانت ستستثمر في تلك الأوراق المالية أم لا.
 وفي الخطوة الأخيرة يوضح النموذج مقدار النسبة المئوية التي يجب استثمارها في الأوراق المالية المحددة لإنشاء
 محافظ. (Chauhan ,2014 :92). و كخطوة أولى نقوم بحساب نسبة ترينور كما في الصيغة الآتية:
 (Yadav & Shrama ، 2019 :989).

$$\hat{R} = (R_i - R_f) / \beta_i \dots \dots \dots 24$$

\hat{R}_i = عوائد الورقة المالية ، R_f = العائد الخالي من المخاطرة ، β = المخاطر النظامية للورقة المالية i .
 بعد حساب نسبة ترينور تنتقل إلى الخطوة التالية وهي حساب معدل القطع إذ إنه يتم ترتيب الأسهم
 على أساس نسبة ترينور. و يرغب مديرو المحافظ في تضمين الأسهم ذات النسب الأعلى. يعتمد اختيار
 الأسهم على معدل قطع بحيث تكون جميع الأسهم ذات النسب الأعلى من $\beta / (R_f - R_i)$ ؛ يتم
 تضمينها ويتم استبعاد الأسهم ذات النسب المنخفضة. يتم الإشارة إلى حد القطع * C. (2014 :112).
 (Singh & Gautam) وتحسب *C كما في المعادلة الآتية : (Chitre & Puri,2021:653)

$$C^* = \frac{6^2 m \sum_{i=1}^i \frac{(R_i - R_f) \beta_i}{6^2 e_i}}{1 + 6^2 m \sum_{i=1}^i \frac{\beta_i^2}{6^2 e_i}} \dots\dots\dots 25$$

$M^2 6 =$ التباين في مؤشر السوق ، $6^2 e_i =$ التباين في حركة السهم الذي لا يرتبط بحركة مؤشر السوق

؛ هذه هي مخاطرة الأسهم غير النظامية ، اي المخاطرة الخاصة

وعندما يكون معدل القطع أصغر أو يساوي نسبة ترينور في هذه الحالة ستكون الورقة المالية جزءًا من

المحفظة الأوراق المالية (6: Shah:2014)

$$(R_i - R_f) / \beta_i \geq C^*$$

اما عندما تكون C^* اكبر من نسبة ترينور فإن الورقة المالية لن تكون جزءًا من المحفظة.

$$(R_i - R_f) / \beta_i < C^*$$

أعلى قيمة ل (C) ، تؤخذ على أنها حد القطع C^* . الأسهم المصنفة أعلى من C^* لها نسبة ترينور مرتفعة مقارنة بحد القطع C^* ؛ وجميع الأسهم أقل من C^* لها نسبة ترينور منخفضة (48: 2012،

Saravanan & Natarajan) و بمجرد تحديد الأوراق المالية الموجودة في المحفظة المثلى ، يتبقى ان

نوضح كيفية حساب وزن كل ورقة مالية في المحفظة. ويتم حساب وزن كل ورقة مالية في المحفظة كما في

الصيغة الاتية (182: Elton. et.al، 2014)

$$X_i = (Z_i / \sum Z_i) \dots\dots\dots 26$$

يشير (X) إلى الأوزان على كل ورقة مالية ، أما Z_i تشير إلى الاستثمار النسبي في كل ورقة مالية.

(Nalini, 2014:76) و تحسب Z_i من خلال الصيغة التالية (8: Success &

(Ablodun

$$Z_i = \beta_i / 6 e_i^2 [[(R_i - R_f) / \beta_i] - C^*] \dots\dots\dots 27$$

٥- التغطية التحليلية للدراسة

بناء المحفظة الاستثمارية المثلى باستخدام نموذج المؤشر الواحد لشارب في ظل عدم السماح بالبيع

القصير

أولاً: بناء المحفظة الاستثمارية المثلى لعام ٢٠١٨

١- تحديد عائد ومخاطرة الاسهم وترينور للاسهم

يتم ترتيب الاسهم وبحسب مؤشر ترينور (من الأعلى إلى الأدنى) والذي بموجبه تتحدد نسبة مرغوبة

السهم للإدخال في المحفظة ويمكن عرضه من خلال الجدول (14) ويتضمن الجدول معدل العائد المتوقع

لكل سهم ومعامل بيتا () والناتج من قسمة التباين المشترك بين عوائد السهم وعوائد السوق على التباين بعوائد السوق ، فضلا عن معدل العائد الموجود الخالي من المخاطرة

جدول (١) معدل العائد المتحقق ومعامل بيتا ومعدل الفائدة على الأذونات الخريزة وترينور

الشركات عينة الدراسة لعام ٢٠١٨

الرقم	الشركة	Rf	Ri	beta	Trynor
1	فندق بغداد	5%	0.00157	-0.00101	47.95049505
2	النخبة للمقاولات العامة	5%	-0.0094	-0.2239	0.265297008
3	فنادق كربلاء	5%	-0.0058	-0.34559	0.161463005
4	اسياسيل للاتصالات	5%	0.09883	4.272965	0.011427662
5	الكندي للفاعات البطرية	5%	0.03165	3.114873	-0.005891091
6	فندق بابل	5%	0.02452	2.99777	-0.008499651
7	الكيميائية و البلاستيكية	5%	0.0179	2.116857	-0.015163991
8	مصرف الاهلي العراقي	5%	-0.0009	2.48369	-0.020493701
9	بغداد للمشروبات الغازية	5%	0.01061	1.685906	-0.023364292
10	العاب الكرخ السياحية	5%	-0.0011	1.67972	-0.030421737
11	الوطنية للاستثمارات السياحية	5%	0.00786	1.38225	-0.030486526
12	فندق المنصور	5%	0.00478	1.32323	-0.034173953
13	مصرف المنصور	5%	-0.0143	1.81111	-0.035503089
14	بغداد العراق للنقل العام	5%	0.0071	0.94335	-0.045476228
15	مصرف بغداد	5%	-0.0545	1.9255	-0.054271618
16	المصرف العراقي الاسلامي	5%	-0.0152	1.09271	-0.059668164
17	الموصل لمدن الاعاب	5%	-0.0228	1.15183	-0.063203771
18	مصرف الاستثمار العراقي	5%	-0.0316	1.09861	-0.074275676
19	فندق فلسطين	5%	-0.0108	0.78538	-0.077414755
20	المصرف التجاري	5%	-0.0018	0.62693	-0.082624854
21	مصرف الخليج	5%	-0.0527	1.13481	-0.090499731
22	مصرف المتحد	5%	-0.0718	1.31215	-0.092824753
23	العراقية للمنتجات الزراعية	5%	0.0135	0.3612	-0.101052049
24	السجاد و المفروشات	5%	0.00034	0.455001	-0.109142617
25	مصرف الموصل	5%	-0.0489	0.88252	-0.112088111
26	الخطاطة الحديثة	5%	-0.0303	0.706639	-0.113636524
27	المعمورة العقارية	5%	-0.0013	0.41031	-0.125027418
28	الامين للتأمين	5%	-0.0348	0.66044	-0.128399249
29	مصرف الشرق الاوسط	5%	-0.0728	0.88656	-0.138512904
30	مصرف اشور	5%	-0.1001	0.55344	-0.271194709
31	مصرف الائتمان العراقي	5%	-0.0399	0.28347	-0.317141144
32	مصرف سومر	5%	3.10E-05	0.07957	-0.627987935
33	انتاج وتسويق اللحوم	5%	-0.0303	0.12595	-0.637554585
34	اسماك الشرق الاوسط	5%	0.0148	0.03859	-0.912153408

يتضح من خلال الجدول (١) بان أعلى قيمة لمؤشر ترينور (٤٧,٩٥٠٤٩٥٠٥) لفندق بغداد وأقل

قيمة لمؤشر ترينور (-٠,٩١٢١٥٣٤٠٨) الشركة اسماك الشرق الاوسط.

٢- تحديد معدل القطع والاسهم المرشحة للمحافظة المثلى

بعد حساب مؤشر ترينور وترتيب الاسهم بموجبة يمكن حساب (Ci) وفقا لمعادلته في الجانب

النظري والتي هي الاساس المعتمد في تحديد الاسهم المؤهلة للدخول في المحافظة والاسهم التي يتم استبعادها

وتحديد معدل القطع الامثل (C^*) ويتم ادخال الاسهم ذات القيمة الاعلى لترينور بالمقارنة مع (C_i) واستبعاد الاسهم الاقل قيمة لمؤشر ترينور بالمقارنة مع C_i ومن خلال الجدول الاتي (٢)

الجدول (٢) تحديد معدل القطع والاسهم المرشحة للمحفظة المثلى

Ci	1+Q2 mΣB^ 2/ UNS	Q2m *Σ(Ri- Rf)B/ UNS	ΣB^2/ UNS	Σ(Ri- Rf)B/ UNS	B^2/ UNS	(Ri- Rf)B/ UNS	Trynor	UNSY	beta	Ri*	Rf	company	#
5E-07	1.00	5E-07	8E-06	4E-04	8E-06	4E-04	47.95	0.125	-0.001	0.00157	5%	بغداد فذوق	1
0.0225	1.093	0.025	68.81	18.26	68.81	18.25	0.265	7E-04	-0.224	-0.0094	5%	العامة للمقاولات الفخية	2
0.04	1.25	0.05	185	37.02	116.2	18.77	0.161	0.001	-0.346	-0.0058	5%	كربلاء فذوق	3
0.0188	1.649	0.031	480.5	22.93	364.3	4.163	0.011	0.05	4.273	0.09883	5%	للتصالات اميسول	4
0.0012	2.024	0.002	758.9	1.839	394.6	-2.32	-0.01	0.025	3.115	0.03165	5%	البطرية للقاحات الكندي	5
-0.005	2.48	-0.01	1096	-8.29	701.8	-5.97	-0.01	0.013	2.998	0.02452	5%	بابل فذوق	6
-0.007	2.707	-0.02	1265	-14.5	563	-8.54	-0.02	0.008	2.117	0.0179	5%	البيلاستكية والكيميائية	7
-0.008	1.89	-0.01	659.2	-10.5	96.24	-1.97	-0.02	0.064	2.484	-0.0009	5%	العراقي الاهلي صرف	8
-0.015	3.011	-0.05	1490	-34.5	1393	-32.6	-0.02	0.002	1.686	0.01061	5%	الغازية للمشروبات بغداد	9
-0.019	3.91	-0.08	2156	-55.8	762.6	-23.2	-0.03	0.004	1.68	-0.0011	5%	السياحية الوخ العباب	10
-0.023	4.188	-0.1	2361	-71.9	1599	-33.2	-0.03	0.001	1.382	0.00786	5%	السياحية للاستثمارات الوطنية	11
-0.021	3.162	-0.07	1601	-48.8	2.562	-0.09	-0.03	0.683	1.323	0.00478	5%	المنصور فذوق	12
-0.017	1.971	-0.03	719	-25.5	716.5	-25.4	-0.04	0.005	1.811	-0.0143	5%	المنصور صرف	13
-0.023	2.47	-0.06	1089	-42.4	372.4	-16.9	-0.05	0.002	0.943	0.0071	5%	العام للذوق العراق بغداد	14
-0.029	2.329	-0.07	984.2	-50.1	611.8	-33.2	-0.05	0.006	1.926	-0.0545	5%	بغداد صرف	15
-0.013	1.277	-0.02	205.1	-12.2	205.1	-12.2	-0.06	0.006	1.093	-0.0152	5%	الاسلامي العراقي المصرف	16
-0.015	1.341	-0.02	252.3	-15.2	47.16	-2.98	-0.06	0.028	1.152	-0.0228	5%	الالعباء لمدن الموصل	17
-0.036	1.955	-0.07	707.5	-52	660.4	-49	-0.07	0.002	1.099	-0.0316	5%	العراقي الاستثمار صرف	18
-0.042	2.282	-0.1	949.9	-71.5	289.6	-22.4	-0.08	0.002	0.785	-0.0108	5%	قاسطين فذوق	19
-0.028	1.557	-0.04	412.6	-32.6	123	-10.2	-0.08	0.003	0.627	-0.0018	5%	لتجاري المصرف	20
-0.024	1.374	-0.03	277.1	-24.1	154.1	-13.9	-0.09	0.008	1.135	-0.0527	5%	الخليج صرف	21
-0.039	1.733	-0.07	542.7	-50	388.7	-36.1	-0.09	0.004	1.312	-0.0718	5%	المتحد صرف	22
-0.034	1.575	-0.05	426	-39.9	37.38	-3.78	-0.1	0.003	0.361	0.0135	5%	الزراعية للمنتجات العراقية	23
-0.026	1.311	-0.03	230.3	-24.8	192.9	-21.1	-0.11	0.001	0.455	0.00034	5%	المقروشات والسجاد	24
-0.027	1.332	-0.04	245.8	-27	52.94	-5.93	-0.11	0.015	0.883	-0.04892	5%	الموصل صرف	25
-0.025	1.284	-0.03	210.1	-23.8	157.2	-17.9	-0.11	0.003	0.707	-0.0303	5%	الحديثة الخياطة	26
-0.041	1.519	-0.06	384.7	-46.3	227.5	-28.4	-0.13	7E-04	0.41	-0.0013	5%	العراقية المعمورة	27
-0.041	1.475	-0.06	352	-44.4	124.5	-16	-0.13	0.004	0.66	-0.0348	5%	للتأمين الامين	28
-0.028	1.265	-0.04	196.5	-26	71.97	-9.97	-0.14	0.011	0.887	-0.0728	5%	الاووسط الشرق صرف	29
-0.013	1.102	-0.01	75.52	-10.9	3.549	-0.96	-0.27	0.086	0.553	-0.10009	5%	اشور صرف	30
-0.007	1.022	-0.01	16.21	-4.98	12.66	-4.01	-0.32	0.006	0.283	-0.0399	5%	العراقي الائتمان صرف	31
-0.082	1.161	-0.1	118.9	-70.7	106.3	#####	-0.63	#####	0.08	3.10E-05	5%	سومر صرف	32
-0.079	1.145	-0.09	107.3	-67.4	1.051	-0.67	-0.64	0.015	0.126	-0.0303	5%	للحوم وتسويق انتاج	33
-0.001	1.002	-0	1.204	-0.81	0.153	-0.14	-0.91	0.01	0.039	0.0148	5%	الاووسط الشرق اسماك	34

يوضح من خلال الجدول (٢) بأن الاسهم المرشحة للدخول للمحفظة هي اسهم الشركات ذات معدل ترينور الأعلى من معدل القطع (C_i) وان معدل القطع الأمثل لعام ٢٠١٨ قد بلغ (0.04) وقد بلغ عدد الاسهم الداخلة في المحفظة الاستثمارية المثلى لعام ٢٠١٨ هي ٣ اسهم فقط من أصل ٣٤ سهم تمثلت (فندق بغداد، النخبة للمقاولات العامة، فنادق كربلاء).

3- تحديد الوزن الاستثماري لكل سهم في المحفظة المثلى

بعد أن حددنا الاسهم الداخلة في المحفظة الاستثمارية لعام ٢٠١٨ فان الخطوة اللاحقة تتمثل بتحديد الوزن ويتطلب ذلك حساب (Z_i) وبحسب المعادلات التي ذكرناها في الجانب النظري والنتائج الظاهرة في الجدول (٣)

جدول (٣) الوزن الاستثماري لكل سهم داخل في المحفظة الاستثمارية المثلى لعام (٢٠١٨)

Wi	Zi	Trynor-C*	الشركة	
0.003505513	-0.387293681	47.91050607	فندق بغداد	1
0.626720918	-69.24095651	0.225308031	النخبة للمقاولات العامة	2
0.36977357	-40.85307344	0.121474029	فنادق كربلاء	3

4- تحديد عائد ومخاطرة المحفظة المثلى

بعد أن تم تحديد الأوزان المثلى للاسهم الداخلة في المحفظة يمكن أن نحدد عائد ومخاطرة المحفظة الاستثمارية المثلى وكما في الجدول الآتي:

جدول (٤) نتائج عائد ومخاطرة المحفظة الاستثمارية المثلى المرجحة بأوزان مكوناتها

مخاطر المحفظة المثلى	عائد المحفظة المثلى					اسهم المحفظة المثلى
	Wi *Bi	Wi alpha	alpha	Wi UNSY	UNSYS	
0.00477275 Rp	0.000437989	4.09E-05	0.01168133	0.000437989	0.12494294	بغداد فندق
9.68E-05 SYSp		0.000446744	0.000712828	0.000456606	0.000728564	العامة للمقاولات النخبة
0.001274571 UNSYSp		0.001574868	0.004259007	0.000379976	0.00102759	كربلاء فنادق
0.001371355 VARp						

ثانيا : بناء محفظة استثمارية مثلى لعام ٢٠١٩

1 - تحديد عائد ومخاطرة الاسهم وترينور للاسهم

يتم ترتيب الاسهم من الأعلى إلى الأدنى بحسب مؤشر ترينور والذي بموجبه يتم تحديد نسبة مرغوبة السهم لادخاله في المحفظة الاستثمارية ويمكن عرضه من خلال الجدول (٥) ويحتوي الجدول على معدل العائد المتحقق لكل سهم ومعامل بيتا الذي ينتج من قسمة التباين المشترك بين عوائد السهم وعوائد السوق على التباين بعوائد السوق ، فضلا عن معدل العائد الحالي من المخاطر

جدول (٥) معدل العائد المتوقع ومعامل بيتا ومعدل الفائدة على الأذونات الخزينة وترينور للشركات

عينة الدراسة لعام ٢٠١٩

Trynor	beta	Ri	Rf	الشركة
0.172283116	-0.34304	-0.0091	5%	فندق كربلاء
0.138371226	-0.21464	0.0203	5%	الموصل لمدن الاعاب
0.103126896	-0.36266	0.0126	5%	بغداد العراق للنقل العام
0.072022786	-0.79697	-0.0074	5%	مصرف المتحد
0.061406008	0.31593	0.0694	5%	الامين للتأمين
0.051443596	-0.78727	0.0095	5%	مصرف المنصور
0.036572683	-0.17308	0.04367	5%	الخيطة الحديثة
0.035819857	-0.51759	0.03146	5%	الكندي للمقاحات البيطرية
0.03492074	1.51085	0.10276	5%	الكيميائية والبلاستيكية
0.033872133	-0.80302	0.0228	5%	الوطنية للاستثمارات السياحية
0.003553233	-0.91466	0.04675	5%	فندق بابل
-0.00349177	1.66105	0.0442	5%	مصرف الاهلي العراقي
-0.00705474	4.60683	0.0175	5%	مصرف بغداد
-0.01170645	3.57068	0.0082	5%	مصرف الاستثمار العراقي
-0.03119162	0.59952	0.0313	5%	العراقية للمنتجات الزراعية
-0.03196048	1.705231	-0.0045	5%	بغداد للمشروبات الغازية
-0.03218753	0.73631	0.0263	5%	النخبة للمقاولات العامة
-0.03752122	1.34324	-0.0004	5%	المصرف التجاري العراقي
-0.03768216	1.0156	0.01173	5%	اسياسيل للاتصالات
-0.05034981	0.71897	0.0138	5%	العاب الكرخ السياحية
-0.05362419	0.98836	-0.003	5%	المعمورة العقارية
-0.06881612	0.61628	0.00759	5%	فنادق المنصور
-0.0812372	0.60071	0.0012	5%	المصرف العراقي الاسلامي
-0.09413998	0.50563	0.0024	5%	مصرف الموصل
-0.10307078	0.43572	0.00509	5%	مصرف اشور
-0.10345516	0.5007	-0.0018	5%	انتاج وتسويق اللحوم
-0.11269929	0.65484	-0.0238	5%	مصرف الخليج
-0.11682992	0.81058	-0.0447	5%	مصرف سومر التجاري
-0.14482565	0.42672	-0.0118	5%	فندق فلسطين
-0.20856337	0.24453	-0.001	5%	فندق بغداد
-0.24621419	0.164694	0.00945	5%	السجاد والمفروشات
-0.32032401	0.21728	-0.0196	5%	مصرف الشرق الاوسط
-0.44772365	0.11927	-0.0034	5%	اسماك الشرق الاوسط
-1.84754522	0.02322	0.0071	5%	مصرف الائتمان العراقي

يتضح من خلال الجدول (٥) بان أعلى قيمة لمؤشر ترينور (٠,١٧٢٢٨٣١١٦) لفندق كربلاء

وأقل قيمة لمؤشر ترينور (-١,٨٤٧٥٤٥٢٢) لمصرف الائتمان العراق

٢- تحديد معدل القطع والاسهم المرشحة للمحفظة المثلى

بعد حساب مؤشر ترينور وترتيب الاسهم بموجبه يمكن حساب (C_i) وفقا لمعادلة رقم (٢٥)

وهي الاساس الذي يعتمد عليها في تحديد الاسهم المؤهلة للدخول في المحفظة الاستثمارية والاسهم التي

يتم استبعادها ، وبعد ذلك يتم تحديد معدل القطع الامثل (C^*) ويتم ادخال الاسهم ذات القيمة

الأعلى لمؤشر ترينور بالمقارنة مع (C_i) واستبعاد الاسهم الأقل قيمة لمؤشر تريتنور بالمقارنة مع C_i ومن خلال الجدول الاتي (٦)

الجدول (٦) تحديد معدل القطع والاسهم المرشحة للمحفظة المثلى

CI	$1+Q2m\Sigma B^2/UNSY$	Ri-Rf)B	$\Sigma B^2/Var$	$\Sigma(Ri-Rf)B/UNSY$	$\sqrt{2/UNSRf)B/U$	Trynor	UNSY	beta	Ri ⁺	Rf	company	#	
0.002354787	1.01385753	0.002	13.0731411	2.252281481	13.07	2.252	0.172	0.009	-0.343	-0.01	5%	كربلاء فندق	21
0.004656507	1.031309728	0.005	29.53747915	4.530472125	16.46	2.278	0.138	0.0028	-0.215	0.02	5%	الاعراب لمدين الموصل	32
0.006668211	1.062753614	0.007	59.20152275	6.685543834	42.74	4.407	0.103	0.0031	-0.363	0.013	5%	العراق للذوق بغداد	30
0.006003333	1.069589686	0.006	65.65064722	6.057644604	22.91	1.65	0.072	0.0277	-0.797	-0.01	5%	الشاهد صرف	8
0.001825604	1.026313028	0.002	24.82361086	1.767585998	1.91	0.117	0.061	0.0523	0.316	0.069	5%	التأمين الامني	33
0.003670233	1.076403692	0.004	72.07895507	3.727030345	70.17	3.61	0.051	0.0088	-0.787	0.01	5%	المصور صرف	11
0.003625783	1.076477602	0.004	72.14868104	3.682145077	1.98	0.072	0.037	0.0151	-0.173	0.044	5%	الحديثة الخياطة	17
0.000763139	1.021723641	8E-04	20.49400066	0.735582682	18.51	0.663	0.036	0.0145	-0.518	0.031	5%	البيطرية للمعدات الكندي	15
0.004066669	1.131231422	0.005	123.8032279	4.339946705	105.3	3.677	0.035	0.0217	1.511	0.103	5%	والبلابستيكية الكيمياوية	14
0.016056684	1.894709601	0.03	844.0656616	28.70071101	738.8	25.02	0.034	0.0009	-0.803	0.023	5%	الاسيادية للاستشارات الوط	22
0.013768967	1.97632325	0.027	921.0596699	25.67163202	182.3	0.648	0.004	0.0046	-0.915	0.047	5%	بابل فندق	20
0.000238357	1.301029793	3E-04	283.9903704	0.29255626	101.7	-0.36	-0	0.0271	1.661	0.044	5%	الوفاي الاهلي صرف	6
-0.00382908	2.308891149	-0.01	1234.802971	-8.348836694	1133	-7.99	-0.01	0.0187	4.607	0.018	5%	بغداد صرف	9
-0.006270117	3.181101496	-0.02	2057.642921	-18.8168677	924.5	-10.8	-0.01	0.0138	3.571	0.008	5%	الوفاي الاستثمار صرف	4
-0.006200984	2.012252673	-0.01	954.955352	-11.77164828	30.41	-0.95	-0.03	0.0118	0.6	0.031	5%	زراعة للمنتجات الوفاي	25
-0.017627365	2.231563964	-0.04	1161.852796	-37.10999261	1131	-36.2	-0.03	0.0026	1.705	-0	5%	الخاوية للمشروبات بغداد	16
-0.017927135	2.27622992	-0.04	1203.983955	-38.49637429	72.54	-2.33	-0.03	0.0075	0.736	0.026	5%	العامة للمقاولات الخبثية	29
-0.02439114	2.8796717	-0.07	1773.275189	-66.14854183	1701	-63.8	-0.04	0.0011	1.343	-0	5%	الوفاي التجاري المصرف	2
-0.025524816	3.123404665	-0.08	2003.211948	-75.2116317	302.5	-11.4	-0.04	0.0034	1.016	0.012	5%	للاصالات اسياسيل	34
-0.012407843	1.434068294	-0.02	409.4983901	-16.78650436	107	-5.39	-0.05	0.0048	0.719	0.014	5%	السيادية لوج العاب	28
-0.01879614	1.550349502	-0.03	519.1976403	-27.49111902	412.2	-22.1	-0.05	0.0024	0.988	-0	5%	العقارية المعمورة	21
-0.024148829	1.689235272	-0.04	650.221955	-38.48401235	238	-16.4	-0.07	0.0016	0.616	0.008	5%	المصور فنادق	31
-0.011985128	1.173065264	-0.01	163.2691169	-13.26352634	163.3	-13.3	-0.08	0.0022	0.601	0.001	5%	الاسلامي الوفاي المصرف	1
-0.015607152	1.227168374	-0.02	214.3097872	-18.06849421	51.04	-4.8	-0.09	0.005	0.506	0.002	5%	الموصل صرف	13
-0.010496503	1.118604083	-0.01	111.8906442	-11.07682211	60.85	-6.27	-0.1	0.0031	0.436	0.005	5%	أشور صرف	10
-0.011455201	1.124782601	-0.01	117.7194352	-12.15529361	56.87	-5.88	-0.1	0.0044	0.501	-0	5%	للحوم تدبير و إنتاج	27
-0.022772033	1.259423955	-0.03	244.7395805	-27.05626754	187.9	-21.2	-0.11	0.0023	0.655	-0.02	5%	الخليج صرف	7
-0.02216413	1.15180519	-0.03	143.2124438	-15.95547534	-44.7	5.217	-0.12	-0.015	0.811	-0.04	5%	التجاري سومر صرف	5
-0.025573112	1.20332158	-0.03	191.8227902	-29.03108354	236.5	-34.2	-0.14	0.0008	0.427	-0.01	5%	فلسطين فندق	19
-0.038368924	1.319317204	-0.05	301.246456	-47.75545467	64.76	-13.5	-0.21	0.0009	0.245	-0	5%	بغداد فندق	23
-0.017116461	1.085994357	-0.02	81.12675163	-17.53620804	16.36	-4.03	-0.25	0.0017	0.165	0.009	5%	والعرق و ثبات الاسجاد	18
-0.007952533	1.029574003	-0.01	27.90000285	-7.724265313	11.54	-3.7	-0.32	0.0041	0.217	-0.02	5%	الايديت الشرق صرف	3
-0.012575527	1.032479317	-0.01	30.64086521	-12.24903021	19.11	-8.55	-0.45	0.0007	0.119	-0	5%	الايديت الشرق اسماك	26
-0.009322435	1.020493319	-0.01	19.33331955	-8.974983728	0.228	-0.42	-1.85	0.0024	0.023	0.007	5%	الوفاي الاستثمار صرف	12

نلاحظ من خلال الجدول (٦) بأن الاسهم المرشحة للدخول للمحفظة الاستثمارية هي الاسهم ذات معدل ترينور الأعلى من معدل القطع (C_i) وان معدل القطع الأمثل لعام ٢٠١٩ بلغ (١٠٠٠١٦٠٥٦٦٨٤) حيث بلغ عدد الاسهم الداخلة في المحفظة الاستثمارية المثلى لعام 2019 (١٠) اسهم فقط من أصل ٣٤ سهم و تمثلت في اسهم الشركات التالية : (الموصل لمدين الاعراب، مصرف المتحد، بغداد العراق للنقل العام، الأمين للتأمين، فندق كربلاء، مصرف المنصور، الخياطة الحديثة، الكيمياوية والبلابستيكية، الوطنية للاستثمارات السياحية، الكندي للفلحاحات البيطرية)

3- تحديد الوزن الاستثماري لكل سهم في المحفظة المثلى

بعد أن تم تحديد الاسهم الداخلة في المحفظة الاستثمارية لعام ٢٠١٩ فان الخطوة التالية تتمثل بتحديد الوزن الاستثماري وذلك من خلال حساب قيمة (Z_i) وبموجب المعادلات التي ذكرناها في الجانب النظري والنتائج الظاهرة في الجدول (٧)

جدول (٧) الوزن الاستثماري لكل سهم داخل في المحفظة الاستثمارية المثلى لعام (٢٠١٩)

Wi	Zi	Trynor-C*	الشركة	
0.129140417	-5.953737714	0.156226432	فندق كربلاء	21
0.203509269	-9.382351709	0.122314542	الموصل لمدن الالعاب	32
0.222560628	-10.26067314	0.087070212	بغداد العراق للنقل العام	30
0.034901677	-1.609065821	0.055966102	مصرف المتحد	8
-0.005947296	0.274187117	0.045349324	الامين للتأمين	33
0.068412513	-3.154009939	0.035386912	مصرف المنصور	11
0.005090447	-0.234683961	0.020515999	الخيطة الحديثة	17
0.015333684	-0.706926118	0.019763173	الكندي لللقاحات البيطرية	15
-0.028514754	1.314610654	0.018864056	الكيمياوية والبلاستيكية	14
0.355513417	-16.39017198	0.017815449	الوطنية للاستثمارات السياحية	22

٤- تحديد عائد ومخاطرة المحفظة المثلى

بعد أن تم تحديد الأوزان المثلى للأسهم الداخلة في المحفظة الاستثمارية يمكن بعد ذلك أن نحدد

عائد ومخاطرة المحفظة الاستثمارية المثلى وكما في الجدول التالي:

جدول (٨) نتائج عائد ومخاطرة المحفظة الاستثمارية المثلى المرجحة بأوزان مكوناتها

مخاطر المحفظة المثلى	عائد المحفظة المثلى					اسهم المحفظة المثلى
	Wi *Bi	Wi alpha	alpha	Wi UNSY	UNSYS	
0.015160675 Rp	-0.044300328	-0.000892462	-0.006911	0.001162443	0.00900139	كربلاءفندق
0.00036836 SYSp	-0.043681229	0.00458565	0.022532878	0.000569457	0.002798189	الالعاب لمدن الموصل
0.003668822 UNSYSp	-0.080713837	0.003299703	0.014826085	0.000684923	0.003077467	العراق للنقل العام بغداد
0.004037182 VARp	-0.027815589	-0.00017961	-0.005146181	0.000967474	0.02772	المتحد مصرف
	-0.001878929	-0.000426001	0.071629427	-0.000310766	0.05225341	للتأمين الامين
	-0.053859119	0.000805468	0.011773696	0.000604281	0.0088329	المنصور مصرف
	-0.000881055	0.000233654	0.045900583	7.70E-05	0.0151306	الخيطة الحديثة
	-0.007936562	0.000516582	0.033689334	0.000221878	0.01447	لللقاحات الكندي البيطرية
	-0.043081516	-0.002993579	0.104983498	-0.0006182	0.02168	والبلاستيكية والكيمياوية
	-0.285484384	0.008897476	0.025027119	0.00031031	0.00087285	للاستثمارات الوطنية السياحية

المصدر: اعداد الباحثة اعتماداً على مخرجات الحاسبة الالكترونية

ثالثاً : بناء محفظة استثمارية مثلى لعام ٢٠٢٠

١- تحديد عائد ومخاطرة الاسهم وتربنور للاسهم

يمكن ترتيب الاسهم وبحسب مؤشر تربنور (من الأعلى إلى الأدنى) والذي بموجبة تتحدد نسبة مرغوبية السهم للإدخال في المحفظة ويمكن عرضه من خلال الجدول (٩) ويتضمن الجدول معدل العائد المتوقع لكل سهم ومعامل بيتا (والناتج من قسمة التباين المشترك بين عوائد السهم وعوائد السوق على التباين بعوائد السوق ، فضلاً عن معدل العائد الموجود الحالي من المخاطرة

جدول (٩) معدل العائد المتحقق ومعامل بيتا ومعدل الفائدة على الأذونات الخريزة وترينور

للشركات الدراسة لعام ٢٠٢٠

Trynor	beta	Ri	Rf	الشركة
1.551787689	-0.02713	0.0079	5%	اسماك الشرق الاوسط
1.413706494	-0.05574	-0.0288	5%	فنادق المنصور
1.138290143	-0.04129	0.003	5%	بغداد العراق للنقل العام
1.125506073	-0.06175	-0.0195	5%	مصرف سومر
0.072197593	-0.55265	0.0101	5%	العراقية للمنتجات الزراعية
0.034296107	-1.15465	0.0104	5%	الامين للتأمين
0.021645978	-0.22637	0.0451	5%	مصرف الاهلي العراقي
0.004685385	3.09473	0.0645	5%	المعمورة العقارية
-0.00883601	2.751242	0.02569	5%	بغداد للمشروبات الغازية
-0.01919177	1.65696	0.0182	5%	مصرف الشرق الاوسط
-0.02256717	0.65582	0.0352	5%	مصرف اشور
-0.02378798	1.37044	0.0174	5%	مصرف المتحد
-0.02689729	1.291208	0.01527	5%	الخياطة الحديثة
-0.02768166	1.54037	0.00736	5%	فندق بابل
-0.02829838	1.058718	0.02004	5%	الكيميائية و البلاستيكية
-0.03025924	1.913465	-0.0079	5%	اساسيل للاتصالات
-0.03595336	1.51029	-0.0043	5%	العب الكرخ السياحية
-0.03959708	0.43185	0.0329	5%	مصرف بغداد
-0.08809829	0.59252	-0.0022	5%	مصرف الائتمان العراقي
-0.09724504	0.52342	-0.0009	5%	انتاج وتسويق اللحوم
-0.10346892	0.644638	-0.0167	5%	الكندي للققاحات البيطرية
-0.11535501	0.333839	0.01149	5%	السجاد والمفروشات
-0.14586263	0.36267	-0.0029	5%	النخبة للمقاولات العامة
-0.14787862	0.42873	-0.0134	5%	فندق فلسطين
-0.15551421	0.34402	-0.0035	5%	فندق بغداد
-0.25150243	0.24294	-0.0111	5%	مصرف الاستثمار العراقي
-0.25410436	0.19126	0.0014	5%	مصرف الخليج
-0.26730359	0.19678	-0.0026	5%	المصرف العراقي الاسلامي
-0.31790784	0.20572	-0.0154	5%	الموصل لمدن العاب
-0.47833529	0.11101	-0.0031	5%	المصرف التجاري العراقي
-0.58925477	0.09232	-0.0044	5%	فنادق كربلاء
-1.46300716	0.0419	-0.0113	5%	الوطنية للاستثمارات السياحية
-2.86434464	0.02182	-0.0125	5%	مصرف المنصور
-4.37708195	0.01501	-0.0157	5%	مصرف الموصل للاستثمار

يتضح من خلال الجدول (٩) بان أعلى قيمة لمؤشر ترينور (١,٥٥١٧٨٧٦٨٩) لشركة اسماك الشرق

الايوسط وأقل قيمة لمؤشر ترينور (-٤,٣٧٧٠,٨١٩٤٥) لمصرف موصل للاستثمار.

٢- تحديد معدل القطع والاسهم المرشحة للمحافظة المثلى

بعد حساب مؤشر ترينور وترتيب الاسهم بموجبة يمكن حساب (Ci) وفقا لمعادلته في الجانب

النظري والتي هي الاساس المعتمد في تحديد الاسهم المؤهلة للدخول في المحافظة والاسهم التي يتم استبعادها

وتحديد معدل القطع الامثل (C^*) ويتم ادخال الاسهم ذات القيمة الاعلى لترينور بالمقارنة مع (C_i) واستبعاد الاسهم الاقل قيمة لمؤشر ترينور بالمقارنة مع C_i ومن خلال الجدول الاتي (١٠)

الجدول (١٠) تحديد معدل القطع والاسهم المرشحة للمحفظة المثلى

C_i	$1+Q2$ $m\sum B^A$ $2/UNSY$ Y	$Q2m\sum$ $(R_i-$ $R_f)B/$ $UNSY$	$\sum B^A2/$ $UNSY$	$\sum(R_i-$ $R_f)B/$ $UNSY$	B^A2/U NSY	$(R_i-$ $R_f)B/$ $UNSY$	Trynor	UNSY	beta	R_i^*	Rf	company	#
0.002	1.001	0.002	0.654	1.015	0.654	1.015	1.552	0.001	-0.027	0.008	5%	الارسط الشرق اسمالك	26
0.004	1.003	0.004	1.684	2.472	1.03	1.457	1.414	0.003	-0.056	-0.03	5%	المنصور فنادق	24
0.004	1.003	0.004	1.864	2.406	0.834	0.949	1.138	0.002	-0.041	0.003	5%	العام للنقل العراق بغداد	30
0.008	1.007	0.008	4.436	5.004	3.602	4.055	1.126	0.001	-0.062	-0.02	5%	سومر صرف	5
0.009	1.041	0.009	26.74	5.725	23.14	1.671	0.072	0.013	-0.553	0.01	5%	الزراعة للمنتجات البغ	25
0.008	1.246	0.01	158.5	6.313	135.4	4.642	0.034	0.01	-1.155	0.01	5%	للتامين الامني	33
0.006	1.213	0.007	137.3	4.685	1.984	0.043	0.022	0.026	-0.226	0.045	5%	العراقي الاهلي صرف	6
0.001	1.42	0.002	270.9	1.303	269	1.26	0.005	0.036	3.095	0.065	5%	العقارية المعمورة	31
-0.01	8.199	-0.06	4644	-37.4	4375	-38.7	-0.01	0.002	2.751	0.026	5%	ملازمة للمشروبات بغداد	16
-0.01	9.795	-0.1	5674	-63.6	1299	-24.9	-0.02	0.002	1.657	0.018	5%	الارسط الشرق صرف	3
-0.01	3.026	-0.04	1307	-25.1	7.796	-0.18	-0.02	0.055	0.656	0.035	5%	اشور صرف	10
-0	1.255	-0.01	164.4	-3.9	156.6	-3.73	-0.02	0.012	1.37	0.017	5%	المتحد صرف	8
-0.01	1.346	-0.01	223.1	-5.51	66.49	-1.79	-0.03	0.025	1.291	0.015	5%	الحديثة الخياطة	17
-0.01	1.664	-0.02	428.5	-11.8	362	-10	-0.03	0.007	1.54	0.007	5%	بابل فذقي	20
-0.01	1.635	-0.02	409.4	-11.4	47.35	-1.34	-0.03	0.024	1.059	0.02	5%	لاستيكية والكيمياوي	14
-0.01	1.715	-0.02	461.5	-13.9	414.2	-12.5	-0.03	0.009	1.913	-0.01	5%	للتنصلات اسياسيل	34
-0.02	2.313	-0.04	847	-28.1	432.8	-15.6	-0.04	0.005	1.51	-0	5%	السيادية الوحي العباب	28
-0.01	1.691	-0.02	445.7	-16.1	12.87	-0.51	-0.04	0.014	0.432	0.033	5%	بغداد صرف	9
-0.01	1.184	-0.02	118.4	-9.81	105.5	-9.3	-0.09	0.003	0.593	-0	5%	العراقي الائتمان صرف	12
-0.02	1.283	-0.03	182.9	-16.8	77.35	-7.52	-0.1	0.004	0.523	-0	5%	للحوم وتسويق الناج	27
-0.05	2.081	-0.11	697.6	-71.7	620.2	-64.2	-0.1	7E-04	0.645	-0.02	5%	البيطرية للفاحات الك	15
-0.05	2.03	-0.11	664.5	-69.3	44.24	-5.1	-0.12	0.003	0.334	0.011	5%	والمفروشات السجاد	18
-0.02	1.155	-0.02	99.86	-13.2	55.62	-8.11	-0.15	0.002	0.363	-0	5%	العامة للمقاولات الذ	29
-0.04	1.322	-0.05	207.5	-30.6	151.9	-22.5	-0.15	0.001	0.429	-0.01	5%	فلسطون فذقي	19
-0.05	1.425	-0.06	273.9	-41.4	122	-19	-0.16	1E-03	0.344	-0	5%	بغداد فذقي	23
-0.03	1.207	-0.03	133.6	-21.9	11.58	-2.91	-0.25	0.005	0.243	-0.01	5%	العراقي الاستثمار صرف	4
-0.01	1.037	-0.01	23.99	-6.07	12.42	-3.15	-0.25	0.003	0.191	0.001	5%	الخليج صرف	7
-0	1.016	-0	10.16	-2.72	10.16	-2.72	-0.27	0.004	0.197	-0	5%	الاسلامي العراقي العسر	1
-0.01	1.027	-0.01	17.68	-5.11	7.517	-2.39	-0.32	0.006	0.206	-0.02	5%	الالعاب لمدين الموصل	32
-0.01	1.027	-0.01	17.16	-7	9.647	-4.61	-0.48	0.001	0.111	-0	5%	العراقي التجاري العسر	2
-0.01	1.017	-0.01	11.03	-5.43	1.383	-0.82	-0.59	0.006	0.092	-0	5%	كربلاء فنادق	21
-0	1.003	-0	1.8	-1.42	0.417	-0.61	-1.46	0.004	0.042	-0.01	5%	السيادية للاستثمارات	22
-0	1.001	-0	0.666	-1.32	0.249	-0.71	-2.86	0.002	0.022	-0.01	5%	المنصور صرف	11
-0	1	-0	0.321	-1.03	0.072	-0.32	-4.38	0.003	0.015	-0.02	5%	للإستثمار الموصل صا	13

يتضح من خلال الجدول (١٠) بأن الاسهم المرشحة للدخول للمحفظة هي اسهم الشركات ذات معدل ترينور الأعلى من معدل القطع (C_i) وان معدل القطع الأمثل لعام ٢٠٢٠ قد بلغ (0.001) وقد بلغ عدد الاسهم الداخلة في المحفظة الاستثمارية المثلى لعام ٢٠٢٠ هي ٨ اسهم فقط من أصل ٣٤ سهم تمثلت (اسماك الشرق الاوسط ، فنادق المنصور ، بغداد العراق للنقل العام ، مصرف سومر ، الأمين للتأمين ، مصرف الاهلي العراقي ، العراقية للمنتجات الزراعية ، المعمورة العقارية).

٣-تحديد الوزن الاستثماري لكل سهم في المحفظة المثلى

بعد أن حددنا الاسهم الداخلة في المحفظة الاستثمارية لعام ٢٠٢٠ فان الخطوة اللاحقة تتمثل بتحديد الوزن ويتطلب ذلك حساب (Z_i) وبحسب المعادلات التي ذكرناها في الجانب النظري والنتائج الظاهرة في الجدول (١١)

جدول (١١) الوزن الاستثماري لكل سهم داخل في المحفظة الاستثمارية المثلى لعام ٢٠٢٠

Wi	Zi	Trynor-C*	الشركة	
0.235477922	-37.37861629	1.550365254	اسماك الشرق الاوسط	26
0.16445372	-26.10458102	1.41228406	فنادق المنصور	24
0.144657509	-22.96222716	1.136867708	بغداد العراق للنقل العام	30
0.413135605	-65.57913008	1.124083638	مصرف سومر	5
0.01866741	-2.963173592	0.070775159	العراقية للمنتجات الزراعية	25
0.024277594	-3.853706754	0.032873672	الامين للتأمين	33
0.001116679	-0.177256218	0.020223543	مصرف الاهلي العراقي	6
-0.001786439	0.28357058	0.00326295	المعمورة العقارية	31

٤- تحديد عائد ومخاطرة المحفظة المثلى

بعد أن تم تحديد الأوزان المثلى للاسهم الداخلة في المحفظة يمكن أن نحدد عائد ومخاطرة المحفظة الاستثمارية المثلى وكما في الجدول الآتي :

جدول (١٢) نتائج عائد ومخاطرة المحفظة الاستثمارية المثلى المرجحة بأوزان مكوناتها

رابعا : بناء محفظة استثمارية مثلى لعام ٢٠٢١

١- تحديد عائد ومخاطرة الاسهم وترينور للاسهم

يتم ترتيب الاسهم من الأعلى إلى الأدنى بحسب مؤشر ترينور والذي بموجبة يتم تحديد نسبة مرغوبة السهم للإدخاله في المحفظة الاستثمارية ويمكن عرضه من خلال الجدول (١٣) ويحتوي الجدول على معدل العائد المتوقع لكل سهم ومعامل بيتا الذي ينتج من قسمة التباين المشترك بين عوائد السهم وعوائد السوق على التباين بعوائد السوق ، فضلا عن معدل العائد الخالي من المخاطرة

جدول (١٣) معدل العائد المتوقع ومعامل بيتا ومعدل الفائدة على الأذونات الحزينة وترينور

للشركات عينة الدراسة لعام ٢٠٢١

الرقم	الشركة	Rf	Ri	beta	Trynor
1	مصرف سومر	5%	-0.0042	-0.0821	0.660170524
2	المصرف العراقي الاسلامي	5%	0.0248	-0.04532	0.556045896
3	مصرف الخليج	5%	0.0112	-0.09496	0.408593092
4	مصرف الشرق الاوسط	5%	0.057	0.07824	0.089468303
5	العاب الكرخ السياحية	5%	-0.0266	-0.91045	0.084134219
6	المصرف التجاري العراقي	5%	0.0387	-0.15063	0.075018257
7	مصرف بغداد	5%	0.0955	0.66163	0.068769554
8	النخبة للمقاولات العامة	5%	0.0247	-0.64632	0.039144696
9	المصرف المتحد	5%	0.0515	1.80496	0.000831043
10	المصرف الاهلي العراقي	5%	0.0444	0.96965	-0.00577528
11	السجاد والمفروشات	5%	0.04296	0.813261	-0.00865651
12	بغداد العراق للنقل العام	5%	0.0374	1.11427	-0.01130785
13	العراقية للمنتجات الزراعية	5%	0.0391	0.88496	-0.01231694
14	مصرف اشور	5%	0.0435	0.43354	-0.01499285
15	بغداد للمشروبات الغازية	5%	0.01091	2.064775	-0.01893185
16	الكيميائية والبيلاستيكية	5%	0.09567	-1.88419	-0.02423853
17	اسياسيل للاتصالات	5%	0.00934	1.659661	-0.02449898
18	فنادق المصور	5%	0.01686	1.13379	-0.0292294
19	المعمورة العقارية	5%	-0.0041	1.33598	-0.04049462
20	الكندي للمقاحات البيطرية	5%	0.01698	0.754607	-0.04375788
21	الموصل لمدن الاعاب	5%	-0.0016	0.63	-0.08190476
22	مصرف الائتمان العراقي	5%	-0.0019	0.55467	-0.09356915
23	مصرف الاستثمار العراقي	5%	0.0255	0.21584	-0.11351001
24	فندق بغداد	5%	0.00214	0.39702	-0.12054808
25	الخيطة الحديثة	5%	-0.0148	0.411299	-0.15754962
26	فنادق كربلاء	5%	0.01769	0.20467	-0.15786388
27	اسماك الشرق الاوسط	5%	-0.01	0.31094	-0.19296327
28	فندق فلسطين	5%	0.00509	0.19954	-0.22506766
29	مصرف المنصور	5%	-0.0083	0.24107	-0.24183847
30	انتاج وتسويق اللحوم	5%	-0.0015	0.19753	-0.26071989
31	فندق بابل	5%	0.00407	0.06611	-0.69475117
32	الامين للتأمين	5%	0.0153	0.04869	-0.71267201
33	الوطنية للاستثمارات السياحية	5%	0.01082	0.02663	-1.471273
34	مصرف الموصل للاستثمار	5%	0.0147	0.0171	-2.06432749

يتضح من خلال الجدول (١٣) بان أعلى قيمة لمؤشر ترينور (٠,٦٦٠١٧٠٥٢٤) لمصرف سومر وأقل قيمة لمؤشر ترينور (-٢,٠٦٤٣٢٧٤٨٥) لمصرف موصل للاستثمار

٢- تحديد معدل القطع والاسهم المرشحة للمحفظة المثلى

بعد حساب مؤشر ترينور وترتيب الاسهم بموجبه يمكن حساب (C_i) وفقا لمعادلة رقم (٢٥) وهي الاساس الذي يعتمد عليها في تحديد الاسهم المؤهلة للدخول في المحفظة الاستثمارية والاسهم التي يتم استبعادها ، وبعد ذلك يتم تحديد معدل القطع الامثل (C^*) ويتم ادخال الاسهم ذات القيمة الاعلى لمؤشر ترينور بالمقارنة مع (C_i) واستبعاد الاسهم الاقل قيمة لمؤشر ترينور بالمقارنة مع C_i ومن خلال الجدول التالي:

الجدول (١٤) تحديد معدل القطع والاسهم المرشحة للمحفظة المثلى

تحليل توجهات المستثمرين في سوق العراق للأوراق المالية قبل وبعد كوفيد - ١٩

Ci	$n \sum B^2$	(Ri-Rf)/ σ^2	UNF	B/UB σ^2	VaRf/B/U	Trynor	UNSY	beta	Ri [*]	Rf	company	#	
0.064	1.107	0.07	35.8	23.63	35.8	23.63	0.66	2E-04	-0.082	-0	5%	1	سومر صرف
9E-04	1.002	9E-04	0.551	0.307	0.551	0.307	0.556	0.004	-0.045	0.025	5%	2	الإسلامي العراقي المصرف
0.002	1.004	0.002	1.279	0.604	0.728	0.297	0.409	0.012	-0.095	0.011	5%	3	الخليج صرف
9E-04	1.003	9E-04	0.893	0.312	0.165	0.015	0.089	0.037	0.078	0.057	5%	4	الأوسط الشرق صرف
0.026	1.456	0.038	153.1	12.88	152.9	12.87	0.084	0.005	-0.91	-0.03	5%	5	السياحية الكرخ العباب
0.026	1.458	0.039	153.9	12.94	0.914	0.069	0.075	0.025	-0.151	0.039	5%	6	العراقي التجاري المصرف
0.002	1.032	0.002	10.72	0.743	9.809	0.675	0.069	0.045	0.662	0.096	5%	7	بغداد صرف
0.005	1.126	0.006	42.11	1.939	32.31	1.265	0.039	0.013	-0.646	0.025	5%	8	العامية للمقاولات الذخ
0.003	1.245	0.004	82.15	1.306	49.85	0.041	8E-04	0.065	1.805	0.052	5%	9	المصرف المتحد
-0	1.227	-0	76.03	-0.11	26.18	-0.15	-0.01	0.036	0.97	0.044	5%	10	العراقي الأهلي المصرف
-0	1.178	-0	59.68	-0.44	33.49	-0.29	-0.01	0.02	0.813	0.043	5%	11	والمفروشات السجاد
-0	1.769	-0.01	258.2	-2.83	224.7	-2.54	-0.01	0.006	1.114	0.037	5%	12	العام للذلل العراق بغداد
-0.01	1.79	-0.01	265.2	-3.04	40.49	-0.5	-0.01	0.019	0.885	0.039	5%	13	الزراعية للمنتجات الع
-0	1.168	-0	56.22	-0.73	15.73	-0.24	-0.01	0.012	0.434	0.044	5%	14	اشور صرف
-0.01	3.348	-0.04	788.1	-14.9	772.3	-14.6	-0.02	0.006	2.065	0.011	5%	15	الغازية للمشروبات بيع
-0.01	3.401	-0.05	805.6	-15.4	33.29	-0.81	-0.02	0.107	-1.884	0.096	5%	16	البلاستيكية والكيميائي
-0.01	2.239	-0.03	415.9	-10.2	382.6	-9.37	-0.02	0.007	1.66	0.009	5%	17	للاتصالات اسيسايل
-0.02	2.842	-0.05	618	-16.3	235.5	-6.88	-0.03	0.005	1.134	0.017	5%	18	المصور فنادق
-0.02	1.968	-0.03	324.8	-10.5	89.29	-3.62	-0.04	0.02	1.336	-0	5%	19	العراقية المعمورة
-0.01	1.409	-0.02	137.4	-5.72	48.09	-2.1	-0.04	0.012	0.755	0.017	5%	20	طوية لللقاحات الكند
-0.01	1.218	-0.01	73.09	-4.15	25	-2.05	-0.08	0.016	0.63	-0	5%	21	الاعباب لمدن الموصل
-0.01	1.17	-0.02	57.06	-5.05	32.06	-3	-0.09	0.01	0.555	-0	5%	22	عراقي الانتمان صرف
-0.01	1.115	-0.01	38.75	-3.76	6.688	-0.76	-0.11	0.007	0.216	0.026	5%	23	العراقي الاستثمار صرف
-0.03	1.263	-0.03	88.41	-10.6	81.72	-9.85	-0.12	0.002	0.397	0.002	5%	24	بغداد فندق
-0.03	1.306	-0.04	102.8	-13.2	21.05	-3.32	-0.16	0.008	0.411	-0.01	5%	25	الحدیثة الخياطة
-0.01	1.077	-0.01	26	-4.1	4.949	-0.78	-0.16	0.008	0.205	0.018	5%	26	كربلاء فنادق
-0.01	1.075	-0.01	25.1	-4.67	20.15	-3.89	-0.19	0.005	0.311	-0.01	5%	27	الأوسط الشرق اسماك
-0.02	1.111	-0.02	37.39	-7.77	17.24	-3.88	-0.23	0.002	0.2	0.005	5%	28	فلسطون فندق
-0.03	1.146	-0.03	49.06	-11.6	31.82	-7.7	-0.24	0.002	0.241	-0.01	5%	29	المنصور صرف
-0.06	1.317	-0.08	106.5	-27.2	74.72	-19.5	-0.26	5E-04	0.198	-0	5%	30	اللحوم وتسويق افتاح
-0.05	1.227	-0.06	76.04	-20.4	1.321	-0.92	-0.69	0.003	0.066	0.004	5%	31	بيال فندق
-0	1.006	-0	1.928	-1.35	0.606	-0.43	-0.71	0.004	0.049	0.015	5%	32	للناصين الامين
-0	1.002	-0	0.782	-0.69	0.176	-0.26	-1.47	0.004	0.027	0.011	5%	33	السياحية للاستثمارات
-0	1.001	-0	0.224	-0.36	0.048	-0.1	-2.06	0.006	0.017	0.015	5%	34	مستثمر الموصل صرف

يتضح من خلال الجدول (١٤) بأن الاسهم المرشحة للدخول للمحفظة هي اسهم الشركات ذات معدل ترينور الأعلى من معدل القطع (Ci) وان معدل القطع الأمثل لعام ٢٠٢١ قد بلغ (0.005) وقد بلغ عدد الاسهم الداخلة في المحفظة الاستثمارية المثلى لعام ٢٠٢١ هي ٨ اسهم فقط من أصل ٣٤ سهم تمثلت (مصرف سومر ، المصرف العراقي الاسلامي، مصرف الخليج ، مصرف الشرق الأوسط، العباب الكرخ السياحية، مصرف التجاري العراقي ، مصرف بغداد ، النخبة للمقاولات العامة).

3-تحديد الوزن الاستثماري لكل سهم في المحفظة المثلى

بعد أن تم تحديد الاسهم الداخلة في المحفظة الاستثمارية لعام ٢٠١٩ فان الخطوة التالية تتمثل بتحديد الوزن الاستثماري وذلك من خلال حساب قيمة (Zi) وبحسب المعادلات التي ذكرناها في الجانب النظري والنتائج الظاهرة في الجدول التالي

جدول (١٥) الوزن الاسثماري لكل سهم داخل في المحفظة الاستثمارية المثلى لعام ٢٠٢١

Wi	Zi	Trynor-C*	الشركة	
0.922288544	-285.6409419	0.655036261	مصرف سومر	1
0.02164289	-6.702994853	0.550911633	المصرف العراقي الاسلامي	2
0.009983345	-3.09193046	0.403458829	مصرف الخليج	3
-0.000574597	0.177957921	0.08433404	مصرف الشرق الاوسط	4
0.042847948	-13.27038945	0.078999957	العاب الكرخ السياحية	5
0.001368891	-0.423957791	0.069883994	المصرف التجاري العراقي	6
-0.00304602	0.943379296	0.063635292	مصرف بغداد	7
0.005489	-1.699991952	0.034010434	النخبة للمقاولات العامة	8

٤- تحديد عائد ومخاطرة المحفظة المثلى

بعد أن تم تحديد الأوزان المثلى للأسهم الداخلة في المحفظة الاستثمارية يمكن بعد ذلك أن نحدد عائد ومخاطرة المحفظة الاستثمارية المثلى وكما في الجدول التالي:

جدول (١٦) نتائج عائد ومخاطرة المحفظة الاستثمارية المثلى المرجحة بأوزان مكوناتها

مخاطر المحفظة المثلى	عائد المحفظة المثلى					اسهم المحفظة المثلى
	Wi *Bi	Wi alpha	alpha	Wi UNSY	UNSYS	
-0.016612044 Rp	-0.075719889	-0.013821026	-0.014985577	0.000173642	0.000188273	سومر صرف
4.46E-05 SYSp	-0.000980856	0.000302312	0.013968169	8.06E-05	0.0037248	الاسلامي العراقي المصرف
0.000557913 UNSYSp	-0.000948018	3.54E-06	0.000354326	0.000123705	0.01239111	الخليج صرف
0.000602551 VARp	-4.50E-05	-2.65E-05	0.046172527	-2.13E-05	0.03707784	الايوسط الشرق صرف
	-0.039010914	-0.001602068	-0.03738962	0.000232236	0.00542	السياحية الكرخ العاب
	-0.000206196	3.81E-05	0.027838931	3.40E-05	0.02482942	العراقي التجاري المصرف
	-0.002015338	-0.000257799	0.084634768	-0.000135944	0.04463	بغداد صرف
	-0.00354765	7.65E-05	0.013928959	7.10E-05	0.012930428	العامة للمقاولات النخبة

ويلاحظ من خلال هذه المحافظ الاستثمارية الاربعة للسنوات (٢٠١٨-٢٠٢١) هو أن هنالك بعض الأسهم دخلت في تكوين المحفظة قبل الجائحة ولكنها خرجت بعد الجائحة و هذه الأسهم التي دخلت في تكوين المحفظة الاستثمارية قبل الجائحة و خرجت بعد الجائحة هي (فندق بغداد ، فنادق كربلاء ، الموصل لمدين الالعاب ، مصرف المتحد ، مصرف المنصور ، الخياطة الحديثة ، الكندي للمقاولات البيطرية ، الكيمياوية والبلاستيكية ، الوطنية للاستثمارات السياحية) اما الأسهم الداخلة في المحفظة الاستثمارية بعد الجائحة وغير موجودة قبل الجائحة هي (اسماك الشرق الاوسط ، فنادق المنصور ، مصرف سومر ، العراقية للمنتجات الزراعية ، مصرف الاهلي العراقي ، المعمورة العقارية ، المصرف العراقي الاسلامي ، مصرف الشرق الأوسط ، العاب الكرخ السياحية ، المصرف التجاري العراقي).

ويلاحظ من خلال هذه الدراسة أن بعض الأسهم الداخلة في تكوين هذه المحافظ الاستثمارية تم تكرارها حيث انه تكررت شركة النخبة للمقاولات العامة في تكوين المحفظة الاستثمارية في عام ٢٠١٨ قبل الجائحة وكذلك دخل هذا السهم في تكوين المحفظة الاستثمارية لعام ٢٠٢١ بعد الجائحة وكذلك فنادق كربلاء تكررت حيث دخلت اسهمها في تكوين المحفظة الاستثمارية لعام ٢٠١٨ و ٢٠١٩ وذلك قبل الجائحة. وتكررت أسهم شركة بغداد العراق للنقل العام حيث دخلت تكوين المحفظة الاستثمارية قبل وبعد الجائحة وذلك للعامين ٢٠١٩ و ٢٠٢٠ على التوالي وكذلك الحال بالنسبة لشركة التأمين للتأمين. أما مصرف سومر فإن أسهمه دخلت في تكوين المحفظة الاستثمارية بعد الجائحة حيث تكرر هذا السهم في عام ٢٠٢٠ و ٢٠٢١ على التوالي. وبالنظر الى عوائد المحفظة الاستثمارية قبل وبعد الجائحة كوفيد-١٩ يلاحظ ان هنالك تأثيراً على الاستثمار ويمكن ملاحظة ذلك من خلال انخفاض العوائد اذ كانت قيم العوائد للمحفظتين خلال العامين (٢٠٢٠-٢٠٢١) سالبة. و يوضح الجدول الاتي (٣٨) اسهم الشركات التي دخلت في تكوين المحافظ الاستثمارية قبل الجائحة كوفيد - ١٩ للعامين (٢٠١٨-٢٠١٩) و اسهم الشركات التي دخلت في تكوين المحافظ الاستثمارية بعد الجائحة كوفيد - ١٩ للعامين (٢٠٢٠-٢٠٢١)

الجدول (١٧) الاسهم الداخلة بالمحفظة الاستثمارية قبل وبعد كوفيد - ١٩

ت	الأسهم الداخلة في المحفظة الاستثمارية قبل الجائحة للعامين 2018-2019	الأسهم الداخلة في المحفظة الاستثمارية بعد الجائحة للعامين 2020-2021
1	فندق بغداد	اسماك الشرق الاوسط
2	فنادق كربلاء	فنادق المنصور
3	النخبة للمقاولات العامة	النخبة للمقاولات العامة
4	الموصل لمداين الالعاب	العراقية للمنتجات الزراعية
5	بغداد العراق للنقل العام	بغداد العراق للنقل العام
6	المصرف المتحد	المصرف الاهلي
7	الأمين للتأمين	الامين للتأمين
8	مصرف المنصور	المعمورة العقارية
9	الخيطة الحديثة	مصرف سومر
10	الكندي للققاحات البيطرية	المصرف العراقي الاسلامي
11	الكيمياوية والبلاستيكية	مصرف الشرق الأوسط
12	الوطنية للاستثمارات السياحية	ألعب الكرخ السياحية
13		المصرف التجاري
14		مصرف الخليج
15		مصرف بغداد

ومن خلال الجدول (١٧) نجد ان بناء المحفظة الاستثمارية المثلى في عامين (٢٠١٨-٢٠١٩) بالمقارنة مع بناء المحفظة الاستثمارية المثلى في عامين (٢٠٢٠-٢٠٢١) نجد اختلافا كبيرا في بناء المحفظة الاستثمارية المثلى في سوق العراق للأوراق المالية ، وايضا تم ملاحظة ان التوجه الاستثماري تغير كثيرا بنسبة اكبر من

٩٢% مما يشير الى تغير النمط الاستثماري و التوجه لدى المستثمرين في سوق العراق للأوراق المالية ، مما يدل على انعكاس ازمة كوفيد -١٩ على سوق العراق للأوراق المالية و انعكس في مخرجات بناء محفظة الاوراق المالية.

الاستنتاجات

- ١- اثبت النتائج ان توجهات المستثمرين في تكوين محافظهم الاستثمارية تغيرت في ظل جائحة كوفيد -١٩ مقارنة بما قبلها وما بعدها.
- ٢- اثبتت نتائج القياس ان بناء المحفظة الاستثمارية المثلث باستخدام انموذج المؤشر الواحد تؤدي الى تحسين فاعلية اداء المستثمرين في بناء قراراتهم الاستثمارية عن طريق تحديد الاسهم الاعلى مرغوبه و بناء محافظهم الاستثمارية التي تتميز بأمثليه العائد والمخاطرة عبر مؤشر ترينور مقارنة مع معدل القطع.
- ٣- يتذبذب متوسط عائد سوق العراق للأوراق المالية بالارتفاع و الانخفاض خلال مدة الدراسة من (٢٠١٨-٢٠٢١) اذ بلغ متوسط عائد السوق في عام ٢٠١٨ والذي بلغ (٠,٠١٠١٠٨٢٥٣-) مقارنة مع متوسط عائد السوق في عام ٢٠٢١ والذي بلغ (٠١٠٨١٨٩١,٠) و هذا دليل على عدم استقرار سوق العراق للأوراق المالية خلال مدة الدراسة.
- ٤- مستويات المخاطرة بين الشركات متذبذبة بشكل واضح من سنة الى اخرى ولكن في الاجمال يلاحظ مخاطرة السوق في عام ٢٠١٨ كانت منخفضة بالمقارنة مع مخاطرة السوق في عام ٢٠٢١ اذ بلغت المخاطرة في عام ٢٠١٨ (٠٠٣٦٦٩٢٥١٦) ثم اخذت بالارتفاع لتصل في عام ٢٠٢١ الى (٠٥٤٥٥١٧٧,٠)

التوصيات

- ١- الاهتمام بالقطاعات الواعدة وبالأخص القطاعات المشاركة في بناء المحفظة الاستثمارية المثلث الخطرة المثلي ذات اعلى نسبة ترينور.
- ٢- يتوجب على المستثمرين اتقان عملية اختيار الأوراق المالية التي يقتضي إدخالها في بناء المحفظة الاستثمارية.
- ٣- يتحتم على الجهات الرسمية لسوق العراق للأوراق المالية بعقد دورات و ندوات تثقيفية وتدريبية من اجل الوصول الى حل للمشكلات التي يتعرض لها المستثمرين في بناء المحافظ الاستثمارية

٤- ارشاد المستثمرين الى دراسة القضايا التي تخص العائد والمخاطرة على مستوى كل القطاعات وذلك بغية الوصول إلى محفظة استثمارية مثلى قادرة على تخطي المخاطرة و التقلبات الاقتصادية التي تلحق بمختلف القطاعات.

٥- يجب النهوض بمستوى تقارير و نشرات سوق العراق للأوراق المالية ، بالإضافة الى الإحصائيات المقدمة من قبل الجهات المختصة والمتعلقة بمتغيرات الاقتصاد لمساعدة المستثمرين والباحثين في هذه المجالات.

٦- يستوجب على المستثمرين عند بناء محافظهم ادخال اسهم الشركات ذات العوائد الأعلى والمخاطرة الأقل

المصادر

- 1- Ablodun, Yahayah ,Ibraheem ; And Success ,Ikani ,Kingsley ; "Optimal Portfolio Construction Using Sharpe's Single Index Model-A Study Of Selected Stocks From Ngse" January 12, 2020.
- 2- Andrade, Pratibha Jenifer, "Construction Of Optimal Portfolio Of Equity, Using Sharpe's Single Index Model: A Case Study Of It Sector" International Journal Of Applied Financial Management Perspectives, Volume: 1, Number: 2, October–December' 2012.
- 3- Arnold , Glen ," Modern Financial Markets And Institutions A Practical Perspective" , 1st, Pearson Education Limited 2012.
- 4- Berk, Jonathan ; And Demarzo, Peter ;" Corporate Finance" , 4th , Pearson Education Limited, 2017.
- 5- Block , Stanley B ; Hirt , Geoffrey A ; and Danielsen , Bartley R , "Foundations of Financial Management" 14th , , The McGraw-Hill Companies, Inc., 2011.
- 6- Bodie ,Zvi ; Kane , Alex ; Marcus ,Alan J ; Perrakis , Stylianos ; Ryan , Peter J, And Switzer, Lorne N." Investments" 8th ,Mcgraw-Hill Ryerson Limited , 2015.
- 7- Bodie, Zvi ; Kane , Alex ; And Marcus , Alan J. " Investments" 11th , McGraw-Hill Education, 2021.
- 8- Booth ,Laurence; Cleary, Sean, And Rakita, IAN, "Introduction To Corporate Finance Managing Canadian Firms In A Global Environment",4th, John Wiley and Sons Ltd , 2016.
- 9- Brooks , Raymond M ," Financial Management Core Concepts" , 3rd, Pearson Education Limited 2016.
- 10- Chance , Don M , and Brooks, Robert , "An Introduction to Derivatives and Risk Management" , 7th,Thomson South -Western , 2008.
- 11- Chauhan , Apurva A " A Study on Usage of Sharpe's Single Index Model In Portfolio Construction With Reference To Cnx Nifty" Volume-3, Issue-10, Oct-2014 • ISSN No 2277-8160.
- 12- Chawaza, Betasha, Felix " Financial Investment (Bonds, Stocks & Shares) " Chawaza Foundation Worldwide, 2019.
- 13- Chitre ,Ujjwala ,And Puri, Dr. Yogesh " Optimal Portfolio Construction Using Sharpe Index Model On Nifty50 10 Years-Consistent Securities" ,Volume 9, Issue 7 July 2021 | Issn: 2320-2882.
- 14- Durbin , Michael ,"All About Derivatives" , 2nd , The McGraw-Hill Companies, Inc , 2011.
- 15- Eakins, Stan and McNally, William "Corporate Finance" Canadian Edition, Version 2.1,Boston Academic Publishing, Inc. d.b.a. Flat World, 2021
- 16- Elton , Edwin J ; Gruber , Martin J ; Brown , Stephen J And Goetzmann , William N , " Modern Portfolio Theory And Investment Analysis " 9th , John Wiley & Sons, Inc , 2014.
- 17- Elton , Edwin J ; Gruber , Martin J ; Brown , Stephen J And Goetzmann , William N , " Modern Portfolio Theory And Investment Analysis " 6th , John Wiley & Sons, Inc , 2009.

- 18- Fabozzi , Frank J ; Gupta, Francis And Markowitz, Harry M. "The Legacy of Modern Portfolio Theory" ,The Journal of Investing 2002.11.3:7-22.
- 19- Jarrow ,Robert A ; and Chatterjea, Arkadev, "An Introduction TO Derivative Securities, Financial Markets, and Risk Management" , 2nd ,World Scientific Publishing Co. Inc.,2019.
- 20- Knoop , Todd A ," Stocks and Bonds" ,ABC-CLIO, LLC. Greenwood ,2020.
- 21- Levišauskaite , Kristina , "Investment Analysis and Portfolio Management" Leonardo da Vinci programme project 2010.
- 22- Mandal ,Niranjan ,"Sharpe's Single Index Model And Its Application To Construct Optimal Portfolio: An Empirical Study" ,Great Lakes Herald Vol.7, No.1, March 2013.
- 23- Reilly , Frank.K And Brown, Keith C. "Investment Analysis & Portfolio Management" 10th,South-Western, Cengage Learning, 2012.
- 24- Reilly , Frank ; Brown, Keith C ; Hedges , Peggy L And Chang ,Philip C, "Investment Analysis and Portfolio Management" 1st ,Nelson Education Ltd,2010.
- 25- Ross, Stephen A; Westerfield , Randolph W and Jordan, Bradford D "Fundamentals Of Corporate Finance" 10th Ed, McGraw-Hill Irwin, 2013
- 26- Saravanan , A, and ,Natarajan P. " Optimal Portfolio Construction with Nifty Stocks(An analytical prescription for investors)" , Advances In Management Vol. 5 (8) Aug. (2012).
- 27- Shah ,Tirthank ," Constructing Optimal Portfolio: Sharpe's Single Index Model" Shanti Business School , 28 Jun 2014.
- 28- Sharan , Vyuptakesh , "Fundamentals Of Financial Management" , 3rd , Dorling Kindersley (India) Pvt. Ltd, 2012.
- 29- Singh, Saurabh and Gautam ,Jayant ,"The Single Index Model & The Construction Of Optimal Portfolio: A Case Of Banks Listed On Nse India" ,Risk governance & control: financial markets & institutions / Volume 4, Issue 2, 2014, Continued - 1
- 30- Yadav ,Miklesh Prasad and Shrama, Sudhi "A Manifestation of the Robustness of Sharpe Single Index Model" Jour of Adv Research in Dynamical & Control Systems, Vol. 11, 10-Special Issue, 2019.

دور التسويق الإلكتروني عبر وسائل التواصل الاجتماعي في سلوك

المستهلك - دراسة شركة زين للاتصالات - بغداد

The Role of Social Media Marketing on Consumer
Behavior - A Study of Zain Telecommunications
Company - Baghdad

عمر رشيد برع^(١)

Omar Rashid Bara

رسل توفيق عبدالجبار^(٢)

Rusul Tawfiq Abduljabbar

الملخص

يهدف هذا البحث إلى تحليل أثر التسويق الإلكتروني عبر وسائل التواصل الاجتماعي على سلوك المستهلك، من خلال دراسة ميدانية على عينة من مستهلكي شركة زين للاتصالات في بغداد. وتكمن مشكلة البحث في الغموض حول مدى فاعلية أدوات التسويق الرقمي في التأثير على السلوك الشرائي للمستهلك العراقي. وانطلقت الدراسة من فرضية مفادها وجود تأثير معنوي ذو دلالة إحصائية لأبعاد التسويق الإلكتروني (المحتوى التسويقي، التفاعل مع الجمهور، الإعلانات الممولة) على سلوك المستهلك. وتم الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي وجمعت البيانات من عينة عشوائية بسيطة عددها ٢٦٥ مستهلكاً تم اختيارهم بطريقة عشوائية بسيطة، وتم تحليل البيانات باستخدام برنامج SPSS. أظهرت

١- جامعة الآداب والعلوم والتكنولوجيا لبنان
٢- جامعة الجنان لبنان

النتائج أن جميع أبعاد التسويق الإلكتروني تؤثر بشكل معنوي ومباشر على سلوك المستهلك، وكان التفاعل مع الجمهور هو البعد الأكثر تأثيراً، يليه المحتوى التسويقي ثم الإعلانات الممولة. كما تبين أن النموذج الإحصائي المستخدم يتمتع بدرجة عالية من الثبات والصدق، ويفسر نسبة كبيرة من التباين في السلوك الاستهلاكي. بناءً على هذه النتائج، توصي الدراسة بضرورة تبني استراتيجية تسويقية رقمية شاملة تركز على التفاعل الفعّال والمحتوى الموجه، وتطوير الإعلانات الممولة بما يعزز تأثيرها في قرارات المستهلك. يساهم البحث في تقديم إطار تطبيقي يفيد الشركات العاملة في قطاع الاتصالات داخل السوق العراقي. أظهرت النتائج تأثيراً معنوياً لجميع الأبعاد، مع تفوق التفاعل كأكثرها تأثيراً. وتوصي الدراسة بتبني استراتيجيات رقمية أكثر تفاعلية وموجهة

الكلمات المفتاحية: التسويق الإلكتروني، سلوك المستهلك، وسائل التواصل الاجتماعي، شركة زين،

الإعلانات الممولة.

Abstract

This research aims to analyze the impact of social media marketing on consumer behavior, through a field study of a sample of Zain Telecommunications Company consumers in Baghdad. The research focused on three main dimensions of the independent variable: marketing content, audience interaction, and sponsored advertisements. The dependent variable (consumer behavior) was measured through indicators related to follow-up, interaction, purchase decision, and satisfaction. The researcher relied on the descriptive analytical approach, and a questionnaire was used as the primary tool to collect data from a sample of (265) consumers selected by a simple random method. The data were analyzed using SPSS. The results showed that all dimensions of social marketing have a significant and direct impact on consumer behavior, with audience interaction being the most influential dimension, followed by marketing content and then sponsored advertisements. The statistical model used also demonstrated a high degree of reliability and validity, explaining a significant proportion of the variance in consumer behavior. Based on these findings, the study recommends adopting a comprehensive digital marketing strategy that focuses on effective interaction and targeted content, and developing sponsored ads to enhance their impact on consumer decisions. The research contributes to providing an applied framework that benefits companies operating in the telecommunications sector in the Iraqi market.

Keywords: e-marketing, consumer behavior, social media, Zain, sponsored ads.

المقدمة

في ظل التحول الرقمي المتسارع الذي يشهده العالم، أصبح التسويق الإلكتروني عبر وسائل التواصل الاجتماعي أداة رئيسية تستخدمها الشركات في بناء علاقاتها مع الجمهور وتحقيق أهدافها التسويقية. إذ لم تعد القنوات التقليدية وحدها قادرة على مواكبة التغيرات السريعة في سلوك المستهلك، خاصة مع تزايد اعتماد الأفراد على المنصات الرقمية كمصادر رئيسية للمعلومات والتواصل والشراء. وتعد شركة زين للاتصالات في بغداد نموذجاً واضحاً لتبني هذه الاستراتيجيات الرقمية عبر منصات المختلفة للوصول إلى المستهلكين وتحفيز تفاعلهم. تتجه المؤسسات الحديثة إلى توظيف أدوات التسويق الرقمي ليس فقط بهدف الترويج، بل أيضاً لفهم أعمق لسلوك المستهلك، ورصد اهتماماته وتفضيلاته، وبناء ولاء طويل الأمد قائم على التفاعل والتجربة الشخصية. وتوفر وسائل التواصل الاجتماعي بيئة تفاعلية ديناميكية تمكن الشركات من تقديم محتوى مرئي وجذاب، وتنفيذ حملات دعائية مموله، وتعزيز الاستجابة المباشرة مع الجمهور، مما يسهم في التأثير الفعلي على قرارات الشراء وأنماط السلوك الاستهلاكي.

انطلاقاً من هذا الواقع، يهدف هذا البحث إلى دراسة أثر التسويق الإلكتروني عبر وسائل التواصل الاجتماعي، بأبعاده المتمثلة في (المحتوى التسويقي، والتفاعل مع الجمهور، والإعلانات الممولة)، على سلوك المستهلكين الذين يتعاملون مع شركة زين للاتصالات في بغداد. ويأتي هذا الاهتمام نتيجة إدراك الباحث لأهمية دمج الأدوات الرقمية ضمن الاستراتيجيات التسويقية، والتأثير المباشر الذي يمكن أن تحدثه على قرارات الأفراد وسلوكهم الشرائي. ويحاول البحث الإجابة عن تساؤلات تتعلق بمدى فاعلية هذه الأبعاد في تشكيل مواقف وتوجهات المستهلكين، باستخدام أدوات إحصائية دقيقة وتحليل ميداني يستند إلى بيانات واقعية من عينة تمثيلية.

الدراسات السابقة:

في ضوء التطورات المتسارعة في استخدام التسويق الرقمي، تناولت العديد من الدراسات الحديثة العلاقة بين التسويق عبر وسائل التواصل الاجتماعي وسلوك المستهلك. من بين أبرز الدراسات العربية، دراسة عبد القادر وخالد (٢٠٢٥) التي بحثت في أثر القيمة المدركة للتسويق عبر وسائل التواصل الاجتماعي على نية الشراء والسلوك الشرائي الاندفاعي، مشيرة إلى الدور الوسيط للمتعة العاطفية. أظهرت نتائجها وجود علاقة مباشرة ذات دلالة إحصائية بين القيمة المدركة وقرار الشراء عبر المنصات الرقمية، مما يعكس تأثيراً نفسياً وتسويقياً واضحاً لهذه الوسائل. كما قدمت دراسة عبد المجيد ونهلة (٢٠٢٥) تحليلاً لتأثير إعلانات المؤثرين على العلامة التجارية وسلوك المستهلك، وأكدت أن الإعلان القائم على الثقة بالمؤثرين يسهم بشكل فعال في تعزيز إدراك المستهلك للعلامة التجارية ودفعه نحو اتخاذ قرار شرائي. أما على الصعيد الأجنبي، فقد

أجرت Antczak (٢٠٢٤) دراسة شاملة عن تأثير التسويق الرقمي والإعلاني عبر وسائل التواصل الاجتماعي على سلوك المستهلك الشرائي، وتوصلت إلى أن استخدام المحتوى التفاعلي والإعلانات الممولة على المنصات الرقمية يعزز من ولاء العملاء ويزيد من معدل تكرار الشراء، لا سيما في الأسواق الإلكترونية سريعة التغيير. وبيّنت دراسة Armutcu وآخرون (٢٠٢٣) الدور الحاسم للتسويق الرقمي في توجيه سلوك السائح، موضحة أن التفاعل الرقمي والمراجعات عبر وسائل التواصل تسهم في تشكيل انطباعات المستهلك قبل اتخاذ قرارات السفر أو الشراء، وهو ما يعكس قوة التأثير المعلوماتي والاجتماعي لهذه الوسائط. تتقاطع نتائج هذه الدراسات مع موضوع البحث الحالي من حيث التأكيد على فعالية أدوات التسويق عبر وسائل التواصل الاجتماعي في التأثير على المستهلك، سواء من خلال المحتوى أو التفاعل أو الإعلانات، ما يدعم أهمية اختبار هذه الأبعاد في السياق العراقي وتحديد أثرها المباشر على سلوك مستهلكي شركة زين للاتصالات.

يتميز هذا البحث عن الدراسات السابقة بتركيزه على السياق المحلي من خلال تطبيقه على عينة من مستهلكي شركة زين للاتصالات في بغداد، وهو ما يمنحه بُعداً تطبيقياً مباشراً في بيئة تسويقية عربية لم تُتناول بشكل كافٍ في الأدبيات الحديثة. على خلاف الدراسات العربية السابقة التي ركزت غالباً على مفاهيم عامة كالإعلانات أو التسويق الإلكتروني بشكل تقليدي، يتناول هذا البحث أبعاداً محددة للتسويق الإلكتروني عبر وسائل التواصل الاجتماعي (المحتوى، التفاعل، الإعلانات الممولة) ويربطها بسلوك المستهلك باستخدام أدوات تحليل إحصائي ميداني. كما يختلف عن الدراسات الأجنبية من حيث دمج الخصائص الثقافية والسوق العراقية، مما يتيح فهماً أعمق لتفاعل المستهلك المحلي مع الحملات الرقمية، ويعزز من إمكانية اعتماد نتائجه في تطوير استراتيجيات تسويقية موجهة للشركات العاملة في العراق.

مشكلة البحث:

رغم الانتشار الواسع لاستخدام وسائل التواصل الاجتماعي من قبل الشركات والمؤسسات في تسويق منتجاتها وخدماتها، لا يزال من غير الواضح مدى فاعلية هذا النوع من التسويق في التأثير على سلوك المستهلك داخل السوق العراقي، خصوصاً في ظل التغيرات السريعة في توجهات الأفراد وتفضيلاتهم الرقمية. فالكثير من الحملات التسويقية الرقمية تُطلق دون دراسة كافية لأثرها الفعلي على قرارات الشراء ومدى تفاعل الجمهور معها، وهو ما يطرح إشكالية تتعلق بمدى إدراك الشركات لأهمية المحتوى والتفاعل والإعلانات الممولة في التأثير على سلوك المستهلكين. وبناءً على ذلك، تنبع مشكلة البحث من الحاجة إلى قياس وتحليل تأثير التسويق الإلكتروني عبر وسائل التواصل الاجتماعي بأبعاده الثلاثة على سلوك المستهلك في شركة زين للاتصالات ببغداد. تساؤل البحث الرئيسي: ما مدى تأثير التسويق الإلكتروني عبر

وسائل التواصل الاجتماعي (المحتوى التسويقي، التفاعل مع الجمهور، الإعلانات الممولة) على سلوك المستهلك في شركة زين للاتصالات - بغداد؟

أهمية البحث:

يسهم البحث في تعزيز الفهم الأكاديمي لعلاقة التسويق الإلكتروني عبر وسائل التواصل الاجتماعي بسلوك المستهلك، من خلال تحليل العلاقة بين ثلاثة أبعاد رئيسية (المحتوى التسويقي، التفاعل مع الجمهور، الإعلانات الممولة) والسلوك الشرائي للمستهلك. كما يُعنى الأديبات العربية في هذا المجال من خلال تطبيقه في بيئة محلية قلّما تناولتها الدراسات الحديثة، ويقدم نموذجًا يمكن البناء عليه في بحوث مستقبلية ذات طابع ميداني. كما يوفر البحث نتائج تطبيقية مهمة يمكن أن تستفيد منها إدارات التسويق في الشركات العراقية، وخاصة شركات الاتصالات، لفهم سلوك المستهلك الرقمي واتخاذ قرارات تسويقية مبنية على بيانات واقعية. كما يساعد في تحسين فعالية الحملات التسويقية على وسائل التواصل الاجتماعي من خلال التركيز على الأبعاد التي ثبت تأثيرها الفعلي، مما يسهم في زيادة رضا العملاء ورفع مستوى التفاعل والولاء للعلامة التجارية.

أهداف البحث:

١. تحليل أثر المحتوى التسويقي عبر وسائل التواصل الاجتماعي على سلوك المستهلك في شركة زين للاتصالات - بغداد.
٢. تحديد مدى تأثير تفاعل الشركة مع الجمهور عبر المنصات الرقمية في تشكيل قرارات وسلوك المستهلك.
٣. قياس تأثير الإعلانات الممولة عبر وسائل التواصل الاجتماعي في توجيه السلوك الشرائي لمستهلكي شركة زين.

متغيرات البحث:

يتضمن هذا البحث متغيرين رئيسيين: المتغير المستقل والمتغير التابع. يمثل التسويق الإلكتروني عبر وسائل التواصل الاجتماعي المتغير المستقل، ويشمل ثلاثة أبعاد رئيسية هي: المحتوى التسويقي الذي يشير إلى طبيعة المعلومات والعروض التي تنشرها الشركة عبر صفحاتها الرقمية ومدى جاذبيتها وملاءمتها لاحتياجات المستهلك؛ والتفاعل مع الجمهور الذي يعكس استجابة الشركة لتعليقات واستفسارات المستخدمين ومستوى التفاعل المتبادل؛ والإعلانات الممولة التي تمثل الحملات الإعلانية المدفوعة التي تستهدف جمهورًا محددًا عبر المنصات الاجتماعية. أما المتغير التابع فهو سلوك المستهلك، ويقاس من خلال مجموعة من المؤشرات المرتبطة بتفاعل المستهلك مع المحتوى الرقمي، وقراراته المتعلقة بالشراء أو الاشتراك، ومستوى رضاه

دور التسويق الإلكتروني عبر وسائل التواصل الاجتماعي في سلوك المستهلك
وولائه للعلامة التجارية. تهدف الدراسة إلى قياس العلاقة بين هذه المتغيرات لفهم كيف تؤثر أدوات التسويق
الرقمي في تشكيل توجهات وسلوك المستهلك في بيئة السوق العراقية.

فرضيات البحث:

الفرضية الرئيسية: يوجد تأثير ذو دلالة إحصائية للتسويق الإلكتروني عبر وسائل التواصل الاجتماعي
بأبعاده (المحتوى التسويقي، التفاعل مع الجمهور، الإعلانات الممولة) على سلوك المستهلك في شركة زين
للاتصالات - بغداد.

الفرضيات الفرعية:

1. يوجد تأثير ذو دلالة إحصائية للمحتوى التسويقي عبر وسائل التواصل الاجتماعي على سلوك
المستهلك في شركة زين للاتصالات - بغداد.
2. يوجد تأثير ذو دلالة إحصائية لتفاعل شركة زين مع الجمهور عبر وسائل التواصل الاجتماعي على
سلوك المستهلك.
3. يوجد تأثير ذو دلالة إحصائية للإعلانات الممولة عبر وسائل التواصل الاجتماعي على سلوك المستهلك
في شركة زين للاتصالات - بغداد.

مجتمع البحث وعينته:

تمثل مجتمع البحث جميع المستهلكين الذين يتعاملون مع شركة زين للاتصالات في مدينة بغداد، وهم
الأفراد الذين يتابعون حسابات الشركة على وسائل التواصل الاجتماعي أو يتفاعلون مع محتواها الرقمي
بشكل مباشر. ونظرًا لاتساع المجتمع الأصلي وعدم توفر قاعدة بيانات دقيقة بعدد المستخدمين الفعليين،
تم الاعتماد على أسلوب العينة العشوائية البسيطة لاختيار المشاركين في الاستبيان، بهدف ضمان تمثيل
متكافئ وغير متحيز لأفراد المجتمع. ولتحديد حجم العينة المناسب، تم استخدام قانون العينة الإحصائي
المعروف:

$$n = (z^2 \times p \times (1 - p)) / e^2$$
$$n = (1.96^2 \times 0.5 \times (1 - 0.5)) / 0.06^2$$
$$n = (3.8416 \times 0.25) / 0.0036 \approx 263$$

وبالتالي، تم اعتماد عينة حجمها ٢٦٥ مستهلكًا، وتم توزيع الاستبيان إلكترونيًا وورقيًا لضمان الوصول
إلى مختلف فئات المستهلكين.

أداة البحث:

اعتمدت هذه الدراسة على الاستبيان كأداة رئيسية لجمع البيانات الميدانية المتعلقة بمتغيرات البحث، وقد تم تصميمه وتوزيعه بما يتوافق مع أهداف الدراسة وفرضياتها. تكون الاستبيان من ثلاثة أقسام رئيسية: تضمن القسم الأول البيانات الديموغرافية للمستجيبين، مثل الجنس، العمر، المؤهل العلمي، المهنة، ومدة التعامل مع شركة زين، بهدف تحليل خصائص العينة. أما القسم الثاني فاشتمل على فقرات تقيس المتغير المستقل (التسويق الإلكتروني عبر وسائل التواصل الاجتماعي) بأبعاده الثلاثة: المحتوى التسويقي، التفاعل مع الجمهور، والإعلانات الممولة، حيث تم قياس كل بُعد من خلال أربع فقرات. بينما احتوى القسم الثالث على ثماني فقرات لقياس المتغير التابع (سلوك المستهلك). وقد تم بناء جميع فقرات الاستبيان باستخدام مقياس ليكرت الخماسي (من ١ = أعارض بشدة إلى ٥ = أوافق بشدة). بعد جمع البيانات، تم استخدام برنامج SPSS إصدار ٢٩ لتحليل النتائج إحصائياً، من خلال إجراء اختبارات الصدق والثبات، والتحليل الوصفي، والانحدار الخطي المتعدد، بهدف اختبار فرضيات الدراسة والتحقق من العلاقات بين المتغيرات.

منهجية البحث:

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي بوصفه الأنسب لطبيعة البحث وأهدافه، حيث تم استخدامه لتحليل العلاقة بين أبعاد التسويق الإلكتروني عبر وسائل التواصل الاجتماعي وسلوك المستهلك في شركة زين للاتصالات - بغداد. وقد مرت الدراسة بعدة خطوات منهجية بدأت بمراجعة الأدبيات النظرية والدراسات السابقة المتعلقة بموضوع البحث لصياغة الإطار النظري وتحديد المتغيرات والأبعاد ذات الصلة. ثم تم تصميم الاستبيان كأداة لجمع البيانات من عينة الدراسة المختارة بالطريقة العشوائية البسيطة، وتم التحقق من صدق الأداة وثباتها باستخدام معامل كرونباخ ألفا ومعاملات الارتباط، لضمان الاتساق الداخلي للفقرات. بعد ذلك، تم تطبيق مجموعة من الأساليب الإحصائية باستخدام برنامج SPSS، شملت التحليل الوصفي لحساب المتوسطات والانحرافات المعيارية والنسب المئوية، إضافة إلى اختبار الانحدار الخطي المتعدد لقياس أثر المتغيرات المستقلة على المتغير التابع، مع التأكد من تحقيق الفرضيات الأساسية للنموذج مثل طبيعية التوزيع وعدم وجود تعدد ارتباط خطي. تهدف هذه الخطوات إلى الوصول إلى نتائج علمية دقيقة تساهم في تفسير الظاهرة المدروسة بشكل موضوعي وموثوق.

مصطلحات البحث:

تتضمن مصطلحات البحث المفاهيم الأساسية التي اعتمد عليها الباحث في بناء النموذج النظري وتحليل البيانات، وتم تحديدها بما يتوافق مع أهداف الدراسة وطبيعة المتغيرات. يُقصد بالتسويق الإلكتروني

عبر وسائل التواصل الاجتماعي استخدام الشركات للمنصات الرقمية مثل فيسبوك، إنستغرام، وتويتير في الترويج للمنتجات والخدمات، وتوليد تفاعل مباشر مع الجمهور من خلال محتوى مرئي، تعليقات، وإعلانات ممولة أما المحتوى التسويقي فهو ما تنشره الشركة من معلومات أو عروض عبر المنصات الرقمية بهدف جذب اهتمام المستهلك وتحفيزه للتفاعل أو الشراء (عبد المجيد ونهلة، ٨: ٢٠٢٥). ويُعرف التفاعل مع الجمهور على أنه الاستجابة المتبادلة بين الشركة والمستهلك عبر المنصات الاجتماعية، مثل الرد على التعليقات أو تنفيذ استطلاعات رأي ومسابقات تسويقية (عبد القادر وخالد، ٢٠٢٥: ٤). بينما تشير الإعلانات الممولة إلى الرسائل الترويجية المدفوعة التي تستهدف جمهوراً محدداً بناءً على خصائص ديموغرافية أو سلوكية محددة لتحقيق تأثير مباشر على قرارات المستهلك (Rachmad, 2022: 4). وأخيراً، يُقصد بسلوك المستهلك مجموع الأنشطة الذهنية والسلوكية التي تصدر عن الفرد عند تعامله مع منتجات أو خدمات الشركة، ويشمل ذلك المتابعة، التفاعل، اتخاذ قرار الشراء، والرضا أو الولاء (Stephen, ٢٠١٦: 6٢).

الإطار النظري للبحث:

يشكل التسويق الإلكتروني عبر وسائل التواصل الاجتماعي أحد التحولات الأساسية في الفكر التسويقي المعاصر، حيث بات يمثل أداة استراتيجية تستخدمها المؤسسات للتواصل مع المستهلكين بشكل مباشر، وفعال، وتفاعلي. ويُعرف التسويق الإلكتروني عبر وسائل التواصل الاجتماعي بأنه استخدام المنصات الرقمية المختلفة مثل فيسبوك، إنستغرام، وتويتير، ويوتيوب، لتنفيذ أنشطة تسويقية تهدف إلى إيصال الرسائل، تعزيز العلاقة مع العملاء، وتحقيق الاستجابة السلوكية المرغوبة (Antczak, 2024، ٢٠١٩؛ Alghizzawi). وتبرز أهمية هذا النوع من التسويق في كونه منخفض التكلفة، عالي الانتشار، ويمنح المؤسسات مرونة عالية في الوصول إلى الجمهور المستهدف (Pillai et al., 2021: 45). يتكون التسويق الإلكتروني في هذا البحث من ثلاثة أبعاد أساسية:

١. المحتوى التسويقي، ويقصد به الرسائل النصية، المرئية، أو التفاعلية التي تنشرها الشركة عبر وسائل التواصل بهدف جذب انتباه المستهلك وتحفيزه للتفاعل أو الشراء. يعتمد هذا المحتوى على الوضوح، الجاذبية، والارتباط بحاجات واهتمامات الجمهور (عبد المجيد ونهلة، ٢٠٢٥).
٢. التفاعل مع الجمهور، وهو يشمل مدى استجابة الشركة لتعليقات المستخدمين، قدرتها على بناء حوار رقمي مع المستهلك، وتنفيذ أنشطة تفاعلية مثل المسابقات أو الاستطلاعات (عبد القادر وخالد، ٢٠٢٥). هذا التفاعل يُعد مؤشراً على شفافية العلامة التجارية ويعزز من ثقة المستهلك بها.

٣. الإعلانات الممولة، وهي الرسائل الترويجية المدفوعة التي تُوجه إلى فئات محددة من الجمهور بناءً على معايير ديموغرافية أو سلوكية، وتُعد من أكثر أدوات التسويق فعالية في التأثير المباشر على قرار الشراء (Rachmad, 2022: 66).

أما سلوك المستهلك، فهو يمثل المتغير التابع في هذا البحث، ويشير إلى جميع التصرفات، الاتجاهات، والقرارات التي يتخذها الفرد عند تفاعله مع المنتجات أو الخدمات، بداية من الوعي، ثم التفاعل، وصولاً إلى قرار الشراء والولاء لاحقاً (Stephen, ٢٠١٦: ٥). ويُعد فهم سلوك المستهلك أمرًا محوريًا في بناء حملات تسويقية فعالة وموجهة. وقد بيّنت دراسات متعددة أن سلوك المستهلك يتأثر بالرسائل الإعلانية، والتجربة الرقمية، ومدى ثقة الفرد بالمحتوى المنشور

تنطلق العلاقة النظرية في هذا البحث من فرضية أساسية مفادها أن التسويق الإلكتروني عبر وسائل التواصل الاجتماعي، بأبعاده الثلاثة، يؤثر بشكل مباشر وفعال على سلوك المستهلك. فالمحتوى الجيد يعزز الانتباه والاهتمام، والتفاعل المستمر يخلق نوعًا من القرب النفسي بين المستهلك والعلامة التجارية، أما الإعلانات الممولة فتدفع المستهلك نحو التفاعل الفوري أو اتخاذ قرار الشراء. وقد دعمت نتائج دراسات عربية وأجنبية هذه العلاقة، حيث أكدت أن الاستراتيجيات التسويقية الرقمية تملك القدرة على التأثير في السلوك الاستهلاكي وتوجيهه نحو مخرجات أكثر ولاءً وتكرارًا في التعامل (عبد القادر وخالد، ٢٠٢٥؛ عبد المجيد ونهلة، ٢٠٢٥؛ Antczak، ١٨؛ Armutcu et al, 2023). وعليه، يسعى هذا البحث إلى اختبار هذه العلاقة في بيئة محلية عبر نموذج تطبيقي يعتمد على التحليل الإحصائي لعينة من مستهلكي شركة زين في بغداد.

أولاً: مفهوم التسويق الإلكتروني عبر وسائل التواصل الاجتماعي

يعتمد التسويق الإلكتروني على استخدام التكنولوجيا الحديثة، وخاصة الإنترنت، بهدف الترويج للمنتجات والخدمات وتحويل الأسواق الافتراضية إلى واقع ملموس. ويُعد وسيلة فعالة لتحقيق الأهداف المشتركة بين الشركات والعملاء من خلال قنوات الاتصال الرقمية.

من المهم التمييز بين التسويق الرقمي والتسويق الإلكتروني؛ فعلى الرغم من التشابه بينهما، فإن التسويق الإلكتروني يُعد فرعًا من التسويق الرقمي، ويعتمد كليًا على الاتصال بالإنترنت. من أمثله: الإعلانات بنظام الدفع لكل نقرة (PPC)، والمزادات عبر الإنترنت، والأسواق التي تتيح بيع منتجات نادرة أو مستعملة من خلال مواقع إلكترونية تابعة للمنظمات.

في الوقت الحاضر، نادرًا ما تجد منظمة صناعية كبيرة لا تستخدم الإنترنت للترويج لنفسها. إذ يُمكن بسهولة ملاحظة الاتجاه العالمي نحو النمو الرقمي، والتوسع في الوصول إلى العملاء عبر منصات التسوق

الإلكترونية، مما يؤكد أهمية الحضور الرقمي في تعزيز التنافسية والاستمرارية في السوق. (Chaffey & Ellis-Chadwick, 2019: 23)

يُعرف التسويق الإلكتروني عبر وسائل التواصل الاجتماعي (Social Media Marketing) بأنه استخدام منصات التواصل مثل فيسبوك، إنستغرام، تويتر، تيك توك، ويوتيوب، لتسويق المنتجات أو الخدمات من خلال التفاعل المباشر مع الجمهور، وبناء علاقات، وتحقيق أهداف تسويقية تتراوح بين زيادة الوعي بالعلامة التجارية وحتى رفع المبيعات.

ويعد هذا النوع من التسويق من أهم أدوات العصر الرقمي، حيث يُمكن المسوّقين من الوصول إلى جمهور واسع وتقديم محتوى تفاعلي يُحفز سلوك الشراء ويؤثر فيه بشكل مباشر أو غير مباشر.

ثانياً: مفهوم سلوك المستهلك

سلوك المستهلك (Consumer Behavior)

يُعرّف سلوك المستهلك بأنه مجموعة الأنشطة والخطوات التي يقوم بها الفرد عند اختيار وشراء واستخدام المنتجات بهدف إشباع حاجاته ورغباته المتنوعة (Ahmed, 2009, pp. 47-48). أما الحسن (٢٠١٠) فيُعرفه بأنه الطريقة التي يتصرف بها الأفراد وقدرتهم على الحصول على السلع والخدمات، وكذلك كيفية استخدامها. ويتأثر المستهلك بعدة عوامل سلوكية، تشمل دوافعه، وخبراته، وشخصيته، وثقافته، بالإضافة إلى البيئة المحيطة به. كما تؤثر عليه عناصر خارجية مثل: الإعلانات، جودة المنتج، السعر، ورأي الغالبية في المجتمع واتجاهاتها المادية والفكرية (Al-Hassan, 2010, p. 211).

بينما يرى العبدلي (٢٠١٣) أن سلوك المستهلك يتمثل في تصرفات الأفراد الذين يحصلون على السلع والخدمات الاقتصادية ويستخدمونها بشكل مباشر، بما في ذلك القرارات التي تسبق هذه التصرفات وتوجهها. ويُعد سلوك المستهلك انعكاساً للطريقة التي يتعامل بها الأفراد مع عملية التبادل الاقتصادي (Al-Abdeli, 2013, p. 190).

أهمية فهم سلوك المستهلك

يُعد فهم سلوك المستهلك، وتحليل دوافعه ورغباته، والعوامل المؤثرة على قراراته الاستهلاكية، من الأهداف الأساسية التي تسعى إليها الأنشطة التسويقية والإعلانية. فالمستهلك دائماً يسعى إلى تحسين جودة السلع والخدمات التي يقطنها، ويعود ذلك إلى أن الأفراد ذوي المكانة الاجتماعية المرتفعة غالباً ما يتميزون عن غيرهم من خلال نمط استهلاكهم، والذي ينعكس في شكل مستويات معيشية أعلى.

ويُنظر إلى رفع مستوى المعيشة على أنه هدف اجتماعي يسعى إليه الأفراد، مما يجعل استهلاك المنتجات ذات الجودة العالية جزءاً من هذا الهدف، بل وأحد رموزه الأساسية (Al-Hassan, 2010, p. 218).

ثالثاً: أدوات التسويق الإلكتروني

١. التسويق بالاحتوى

يُقَال إن "الاحتوى هو الملك"، ويعود ذلك إلى دوره المحوري في إيصال الرسالة التسويقية بفاعلية. يختلف التسويق بالاحتوى عن مجرد تقديم المعلومات حول المنتج أو الخدمة؛ فبينما قد تكنفي بعض الشركات بعرض مزايا منتجاتها ومدى تميزها، فإن هذا لا يعني بالضرورة أنها تقدم قيمة حقيقية للعميل. بالمقابل، يركز التسويق بالاحتوى على تقديم معلومات مفيدة وذات قيمة مضافة للعميل، ما يعزز من ثقته بالشركة ويرفع من احتمالية تفاعله معها (فارس، ٢٠٢١ : ٥).

أبرز أدوات التسويق بالاحتوى:

- Google Analytics: أداة مجانية من جوجل تساعدك على تحليل أداء موقعك الإلكتروني وقياس مدى نجاح المحتوى التسويقي وحملاتك المختلفة.
- Google Keyword Planner: يتيح لك تحديد الكلمات المفتاحية المناسبة بناءً على حجم البحث وتنافسية الإعلانات، بعد إنشاء حساب في جوجل.
- Ahrefs: أداة مدفوعة تقدم تحليلاً دقيقاً للكلمات المفتاحية، وتكشف عن الفرص غير المباشرة التي يمكن الاستفادة منها في التسويق.
- Feedly: أداة مجانية تُستخدم لمتابعة أنشطة المنافسين واكتشاف الاتجاهات في المحتوى الخاص بمجال عملك.
- Sumo: تساعدك على تتبع أكثر المحتويات تداولاً عبر منصات التواصل الاجتماعي، ما يُلهمك في تطوير محتواك القادم (فارس، ٢٠٢١ : ٥).

٢. التسويق عبر محركات البحث (SEO)

تحسين محركات البحث أو ما يُعرف بـ SEO هو أحد أهم أدوات التسويق الرقمي. يعتمد على استخدام الكلمات المفتاحية التي يبحث عنها المستخدمون بهدف تحسين ظهور الموقع في نتائج البحث، خاصة عبر محرك البحث جوجل الذي يستحوذ على أكثر من ٩٠% من عمليات البحث اليومية. يُساهم الظهور في النتائج الأولى في زيادة عدد زيارات الموقع بشكل كبير. ويتطلب هذا النوع من التسويق بنية أساسية قوية، يأتي في مقدمتها محتوى عالي الجودة يُقدمه الموقع (فارس، ٢٠٢١ : ٧).

٣. أساسيات تحسين محركات البحث:

عند نشر أي محتوى على الموقع، يقوم محرك البحث بفهرسته وتصنيفه ضمن قاعدة بياناته، بحيث يُظهره في نتائج البحث المناسبة عند استخدام الزوار لكلمات مفتاحية مرتبطة به. ويعتمد هذا الترتيب على عدة عوامل، من أبرزها:

أمان الموقع: يفضل جوجل المواقع التي تستخدم بروتوكول "HTTPS" على تلك التي تستخدم "HTTP" غير الآمن.

٤. عوامل تحسين ترتيب المواقع في محركات البحث (SEO)

لضمان الظهور في نتائج البحث الأولى، لا يكفي فقط تقديم محتوى جيد، بل هناك مجموعة من العوامل التقنية والمحتوية التي تؤثر بشكل مباشر على تقييم محركات البحث لموقعك، ومن أبرزها:

- توافق الموقع مع الجوال (Mobile-Friendly): تُعطي محركات البحث الأولوية للمواقع المتوافقة مع الهواتف المحمولة، نظراً للزيادة الكبيرة في عدد مستخدمي الإنترنت عبر الجوال مقارنة بسطح المكتب.

- سرعة تحميل الصفحات: كلما كانت صفحات الموقع أسرع في التحميل، زادت فرص ظهوره في نتائج البحث وتحسنت تجربة المستخدم.

- حصريّة المحتوى: تفضل محركات البحث المحتوى الأصلي وغير المنسوخ، حيث تعتبره أكثر فائدة للمستخدمين.

- جودة المحتوى: يجب أن يكون المحتوى دقيقاً، موثقاً، ويلبي احتياجات المستخدمين.

- طول المحتوى: تشير الدراسات إلى أن المحتوى الأطول (عند توفر القيمة) يميل إلى الترتيب الأعلى، لأنه يغطي الموضوع بشكل أوسع.

- الروابط الخلفية (Backlinks): وجود روابط من مواقع موثوقة تشير إلى موقعك يُعزز من مصداقيته ويساهم في رفع ترتيبه.

- الصور المحسّنة: استخدام الصور ذات الجودة العالية والمضغوطة بشكل مناسب يُحسن من تجربة التصفح دون التأثير على سرعة الصفحة.

تحسين تجربة المستخدم (UX): تصميم سهل الاستخدام، وتنقل واضح داخل الموقع، يعزز من بقاء الزائر لفترة أطول ويقلل معدل الارتداد (فارس، ٢٠٢١ : ١٠).

٥. التسويق عبر البريد الإلكتروني

يُعد التسويق عبر البريد الإلكتروني من أقوى أدوات التسويق الرقمي وأكثرها فعالية، ويتميز بقدرته على الوصول المباشر إلى جمهورك المستهدف عبر صندوق الوارد، دون الحاجة لانتظار تفاعل المستخدم مع محركات البحث أو شبكات التواصل.

وما يجعل هذه الأداة ذات قيمة كبيرة هو أن البريد الإلكتروني يُستخدم يوميًا من قبل أكثر من ٤ مليارات شخص حول العالم. ولهذا، يعد الخبراء التسويق عبر الإيميل العمود الفقري لاستراتيجيات التسويق الرقمي الحديثة (فارس، ٢٠٢١ : ١٠).

رابعاً: العلاقة بين التسويق عبر وسائل التواصل الاجتماعي وسلوك المستهلك

أثرت منصات التواصل الاجتماعي بشكل كبير على سلوك المستهلكين، ويمكن تلخيص دورها في عدة نقاط: (منال ٢٠١٤-٢٠١٥، ٣)

١. تأثير المعلومات والمراجعات:

يعتمد المستهلكون على مراجعات وآراء الآخرين على المنصات قبل اتخاذ قرار الشراء، مما يعكس قوة التسويق الشفهي الرقمي (E-WOM)

٢. الإعلانات المستهدفة:

تتيح وسائل التواصل عرض إعلانات موجهة حسب الاهتمامات والعمر والموقع، مما يؤثر بشكل مباشر على نوايا الشراء.

٣. التفاعل مع العلامة التجارية:

التفاعل المستمر مع المحتوى (تعليقات، إعجابات، مشاركات) يزيد من ثقة المستهلك ويخلق ارتباطاً بالعلامة التجارية.

٤. دور المؤثرين (Influencers):

أصبح للمؤثرين دور كبير في تشكيل قرارات المستهلك، إذ ينظر إليهم كمصدر موثوق للمنتجات

٥. العروض والتجارب الفورية:

توفر المنصات محتوى ديناميكياً وفورياً يُشجع على اتخاذ قرارات سريعة، مثل الخصومات المحدودة والعروض الحصرية.

ثانياً: أهمية التسويق عبر وسائل التواصل الاجتماعي

١. الوصول السريع والواسع للجمهور المستهدف.

٢. القدرة على تخصيص الرسائل الإعلانية وفقاً لاهتمامات وخصائص الجمهور.

٣. خلق تفاعل دائم مع المستهلكين وتعزيز الولاء للعلامة التجارية.

٤. جمع بيانات تحليلية دقيقة لسلوك العملاء.

وقد أشار (Kaplan & Haenlein, 2010: 234): إلى أن وسائل التواصل الاجتماعي غيرت طريقة تفاعل المؤسسات مع الأسواق والمستهلكين، وأصبحت ضرورة استراتيجية لأي نشاط تسويقي حديث.

خامسا: سلوك المستهلك في البيئة الرقمية

سلوك المستهلك هو "مجموعة الأنشطة والتصرفات التي يقوم بها الفرد عند شراء أو استخدام أو تقييم منتج أو خدمة، بما يشمل العوامل النفسية والاجتماعية والثقافية التي تؤثر في قراراته" (Schiffman & Kanuk, 2010: 187).

في السياق الإلكتروني، أصبح المستهلك أكثر وعيًا وارتباطًا بالمجتمع الرقمي، ويتأثر بدرجة أكبر بمحتوى الفيديو، تقييمات المستخدمين، والتفاعل مع المؤثرين.

سادسا: نماذج ونظريات مرتبطة

١. نظرية التأثير الاجتماعي Social Influence Theory

تشير إلى أن الأفراد يتأثرون بآراء الآخرين الذين يحظون بالثقة أو السلطة، وهو ما يحدث مع المؤثرين على السوشيال ميديا (Deutsch & Gerard, 1955:65).

٢. نظرية التعلم الاجتماعي Social Learning Theory

تفيد بأن الأفراد يتعلمون من خلال ملاحظة سلوك الآخرين وتقليدهم، مما يفسر تقليد المستهلكين لسلوك المؤثرين (Bandura, 1977:5).

سابعا: وسائل التواصل الاجتماعي

وسائل التواصل الاجتماعي هو مفهوم ظهر بالتوازي مع تطور تكنولوجيا الإنترنت الذي ساهم في ظهور مفهوم الوسائط الاجتماعية هي تقنية الويب ٢ ، والتي تسمح بإنشاء مواقع الويب التي تسمح للمستخدمين بجمع معلومات حول المستخدمين الآخرين. بعبارة أخرى خلقت تقنية الويب.. أساسا لإنشاء البنية التحتية التي تتيح للمستخدمين التواصل مع المستخدمين الآخرين وتؤدي إلى تشكيل مفهوم الوسائط الاجتماعية والبنية التحتية ووسائل التواصل الاجتماعي هي "شبكة على الإنترنت" حيث يتم نشر المحتوى الذي ينتجه المستخدمون ومشاركته. يتم استخدامه بنشاط من قبل العديد من المؤسسات والأفراد. وبالتالي من السهل الوصول إليها بشكل أسرع. يمكن للمستخدمين مشاهدة المقالات والمحتويات والصور والأخبار والأحداث اليومية والأفكار من خلال وسائل Lefflang, Verhoff and

Freundt (التواصل الاجتماعي (٢٠١٤-١٢) تتطور وسائل التواصل الاجتماعي بسرعة وتكتسب ميزات جديدة اليوم، أصبح الناس قادرين على التفاعل والتواصل في جميع أنحاء العالم من خلال منصات ل، Twitter مثل Instagram و Pinterest و Facebook و YouTube. يتمتع مستخدمو وسائل التواصل الاجتماعي بمكانة فعالة وقوية عند استخدامها بشكل صحيح لأنهم لا يدفعون أي قيود في عصر المعلومات، أصبحت وسائل التواصل الاجتماعي جسرا يربط بين الأعمال والاتصالات. لهذا السبب، تم وضع العديد من تعريفات وسائل التواصل الاجتماعي. وبحسب هذا التعريف، يشترط لتكوين وسائل التواصل الاجتماعي ما يلي (Eastman, & Saulnier: ٢٠٢٠, ٢٣٥-٢٤٩)

يمكن أيضا تعريف وسائل التواصل الاجتماعي على أنها مجموعة من التطبيقات المستندة إلى الويب التي تمكن المستخدمين من تبادل المعلومات والأفكار والاهتمامات. وسائل التواصل الاجتماعي هي عبارة عن منصة تتيح للأفراد مشاركة أفكارهم وآرائهم عبر الإنترنت بناءً على هذا التعريف تلغي وسائل التواصل الاجتماعي مفهوم الوقت والمكان وتمكن مستخدميها من التواصل مع بعضهم البعض. تستخدم وسائل التواصل الاجتماعي في التسويق اليوم وهي أحد أدوات التسويق الرقمي بالإضافة إلى أنها عامل مهم في جذب العملاء ومشاركة المعلومات معهم والتواصل معهم بما (Gilani: ٢٠١٨, 5)

ثامنا: خصائص التسويق عبر الشبكات الاجتماعية (منال ٢٠١٤-٢٠١٥، ٣)

١. قابلية الإرسال الموجة: لقد مكنت الانترنت المؤسسات من تحديد زبائنها، حتى قبل القيام بعملية الشراء ، وذلك لأن التكنولوجيا الرقمية تجعل من الممكن لزائري موقع الويب أن يحددوا أنفسهم و يقدموا معلومات عن حاجاتهم ورغباتهم قبل الشراء ؛
٢. التفاعلية و يعني بها قدرة الزبائن على التعبير عن حاجاتهم و رغباتهم مباشرة للمؤسسة و ذلك استجابة للاتصالات التسويقية التي تقوم بها المؤسسة؛
٣. الذاكرة هي القدرة على الوصول إلى قواعد و مستودعات البيانات التي تتضمن المعلومات عن الزبائن المحددين و تاريخ مشترياتهم الماضية وتفضيلاتهم، مما يمكن المؤسسة المسوقة على الانترنت من استخدام تلك المعلومات في الوقت الحقيقي من أجل العروض التسويقية.
٤. الرقابة وهي قدرة الزبائن على ضبط المعلومات التي يقدمونها، بحيث يصرحون فقط بما يريدون دون إجبارهم على تقديم معلومات سرية بينهم أو لا يرغبون في التصريح بها

تاسعا: التسويق عبر وسائل التواصل الاجتماعي.

تعد وسائل التواصل الاجتماعي أداة اتصال تسويقية مهمة للوصول إلى العملاء والتفاعل معهم بأقل تكلفة وفي أوقات مختلفة من اليوم مما يجعلها أحد أهم الأهداف والاهتمامات الرئيسية للعديد من

العلامات التجارية (6: Hanaysha ٢٠١٦)، وأصبحت العلامات التجارية الناجحة تدرك قوة التسويق عبر وسائل التواصل الاجتماعي في التواصل والتفاعل مع أعداد أكبر من العملاء، والحفاظ. (، ٢٠١٠: Bulearca and Bulearca ٥٦). على العلاقات معهم

ويصور الباحثون وسائل التواصل الاجتماعي على أنها برامج متاحة على الإنترنت توفر منصة للعملاء للتعبير عن آرائهم ومشاركة المعلومات والخبرات السابقة لديهم باستخدام الشبكات الاجتماعية المختلفة والمدونات وغيرها (Kaplan and Haenlein 2010).

وقد مكنت كفاءة وسائل التواصل الاجتماعي المسوقين والعملاء من تعزيز خدمة العملاء وزيادة الوعي بالعلامة التجارية وبناء علاقات قوية بين العملاء والعلامة التجارية. وذلك من خلال عمليات تفاعل واتصال سريعة. كما ان استخدام أدوات وسائل التواصل الاجتماعي تتيح للعملاء الفرصة للتعبير عن آرائهم لعدد أكبر من الأفراد وأيضاً الوصول الي المعلومات المطلوبة بسرعة أكبر وتكلفة أقل.

الإطار العملي للبحث:

يمثل الإطار العملي للبحث الجانب التطبيقي الذي يستند إليه الباحث في اختبار فرضيات الدراسة والتحقق من مدى صحة العلاقات النظرية بين المتغيرات ضمن بيئة ميدانية واقعية. ويعتمد هذا الإطار على تصميم منهجي يشمل تحديد أداة جمع البيانات، واختيار العينة، وتحليل البيانات باستخدام الأساليب الإحصائية الملائمة. وقد تم في هذا البحث اعتماد الاستبيان كأداة رئيسية لقياس أبعاد التسويق الإلكتروني عبر وسائل التواصل الاجتماعي وسلوك المستهلك، حيث تم تطوير فقراته بناءً على دراسات سابقة ومعايير علمية. كما تم اختيار عينة الدراسة بطريقة عشوائية بسيطة من مستهلكي شركة زين في بغداد لضمان تمثيل موضوعي ودقيق للمجتمع المستهدف. وتضمن هذا الإطار مجموعة من التحليلات الإحصائية الوصفية والاستدلالية باستخدام برنامج SPSS، بهدف قياس الاتساق الداخلي للأداة، وتحليل التوزيع الديموغرافي للعينة، وتحديد مستوى توافر أبعاد التسويق الإلكتروني، فضلاً عن قياس أثر هذه الأبعاد على سلوك المستهلك وفقاً لنموذج الانحدار الخطي المتعدد.

تتمثل الخطوة الأولى من خلال قياس موثوقية ثبات وصدق الاستبيان:

جدول (١): نتائج معامل كرونباخ ألفا (Cronbach's Alpha)

المتغير	البعد/الوصف	عدد الفقرات	معامل كرونباخ ألفا
التسويق الإلكتروني عبر وسائل التواصل الاجتماعي	المحتوى التسويقي	4	0.893
	التفاعل مع الجمهور	4	0.911
	الإعلانات الممولة	4	0.861

0.927	12	التسويق الإلكتروني	المتغير المستقل (ككل)
0.953	8	سلوك المستهلك	المتغير التابع
0.935	20	(20) جميع الفقرات	الاستبيان ككل

المصدر: اعداد الباحث بالاعتماد على SPSS29

أظهرت نتائج اختبار الموثوقية باستخدام معامل كرونباخ ألفا (Cronbach's Alpha) مستوى عالٍ من الاتساق الداخلي بين فقرات الاستبيان، مما يشير إلى جودة الأداة المستخدمة في جمع البيانات. حيث بلغت قيمة معامل كرونباخ ألفا لُبعد المحتوى التسويقي ٠,٨٩٣، وللتفاعل مع الجمهور ٠,٩١١، بينما بلغت للإعلانات الممولة ٠,٨٦١، وهي جميعها تقع ضمن مستوى موثوقية مرتفع. كما بلغت قيمة معامل كرونباخ ألفا للمتغير المستقل ككل (التسويق الإلكتروني عبر وسائل التواصل الاجتماعي) ٠,٩٢٧، وهو ما يعكس تجانس الفقرات التي تقيس هذا المتغير. أما المتغير التابع (سلوك المستهلك) فقد حقق معاملًا قدره ٠,٩٥٣، مما يشير إلى مستوى موثوقية ممتاز. وبلغ معامل كرونباخ ألفا للاستبيان ككل ٠,٩٣٥، وهي نتيجة تؤكد أن أداة القياس تمتلك درجة عالية من الموثوقية ويمكن الاعتماد عليها في تحليل البيانات واختبار الفرضيات.

جدول رقم (2) معاملات الارتباط بين أبعاد الاستبيان والدرجة الكلية لقياس صدق الاتساق الداخلي (n = 265)

البند	معامل الارتباط مع الدرجة الكلية	الدلالة الإحصائية
المحتوى التسويقي	0.829	دالة عند مستوى ٠,٠١
التفاعل مع الجمهور	0.874	دالة عند مستوى ٠,٠١
الإعلانات الممولة	0.799	دالة عند مستوى ٠,٠١
التسويق الإلكتروني (المتغير المستقل)	0.917	دالة عند مستوى ٠,٠١
سلوك المستهلك (المتغير التابع)	0.944	دالة عند مستوى ٠,٠١

المصدر: اعداد الباحث بالاعتماد على SPSS29

أظهرت نتائج تحليل صدق الاتساق الداخلي باستخدام معاملات الارتباط (Pearson Correlation) بين كل بُعد من أبعاد الاستبيان والدرجة الكلية أنه توجد علاقات ارتباط موجبة وذات دلالة إحصائية قوية عند مستوى (٠,٠١)، مما يعكس اتساقًا داخليًا جيدًا بين الفقرات والبُنى المفاهيمية التي تقيسها. حيث بلغ معامل الارتباط بين بُعد المحتوى التسويقي والدرجة الكلية ٠,٨٢٩، بينما وصل معامل الارتباط لبُعد التفاعل مع الجمهور إلى ٠,٨٧٤، ولبُعد الإعلانات الممولة إلى ٠,٧٩٩. أما المتغير المستقل ككل (التسويق الإلكتروني عبر وسائل التواصل الاجتماعي) فقد حقق ارتباطًا قدره ٠,٩١٧ مع الدرجة الكلية، في حين بلغ معامل الارتباط للمتغير التابع (سلوك المستهلك) ٠,٩٤٤، وهو أعلى معامل

دور التسويق الإلكتروني عبر وسائل التواصل الاجتماعي في سلوك المستهلك في النموذج. تعكس هذه النتائج صدق بنائي جيد للاستبيان، وتؤكد أن الفقرات تقيس المفاهيم المستهدفة بدقة وفاعلية. وتمثل المرحلة التالية من خلال المعلومات الديمغرافية للعينة:

جدول رقم (3) التوزيع الديموغرافي لعينة الدراسة (n = 265)

المتغير الديموغرافي	الفئة	عدد الأفراد	(%) النسبة المئوية
الجنس	ذكر	158	59.6
	أنثى	107	40.4
العمر	أقل من ٢٥ سنة	66	24.9
	سنة 25 - 34	104	39.2
	سنة 35 - 44	58	21.9
المؤهل العلمي	سنة فأكثر 45	37	14.0
	إعدادية فأقل	31	11.7
	دبلوم	57	21.5
المهنة	بكالوريوس	138	52.1
	دراسات عليا	39	14.7
	طالب	48	18.1
	موظف حكومي	72	27.2
مدة التعامل مع زين	موظف قطاع خاص	97	36.6
	أعمال حرة	36	13.6
	أخرى	12	4.5
سنوات	أقل من سنة	43	16.2
	سنوات 1 - 3	79	29.8
	سنوات 4 - 6	91	34.3
	أكثر من ٦ سنوات	52	19.6

المصدر: اعداد الباحث بالاعتماد على SPSS29

بيّنت نتائج التوزيع الديموغرافي لعينة الدراسة، والبالغ عددها (٢٦٥) مستجيبًا، تنوعًا مقبولًا من حيث الخصائص السكانية للمشاركين، بما يعزز من مصداقية النتائج. من حيث الجنس، شكّل الذكور نسبة ٥٩,٦% (١٥٨ فردًا)، في حين شكّلت الإناث ٤٠,٤% (١٠٧ أفراد)، وهو توزيع متوازن نسبيًا. أما

فيما يخص الفئة العمرية، فقد تركزت النسبة الأكبر ضمن فئة (٢٥-٣٤ سنة) بنسبة ٣٩,٢%، تليها فئة أقل من ٢٥ سنة بنسبة ٢٤,٩%، ثم فئة (٣٥-٤٤ سنة) بنسبة ٢١,٩%، وأخيراً فئة (٤٥ سنة فأكثر) بنسبة ١٤,٠%. بالنسبة إلى المؤهل العلمي، فقد حصل أكثر من نصف أفراد العينة على شهادة البكالوريوس بنسبة ٥٢,١%، تليها فئة الدبلوم ٢١,٥%، ثم الدراسات العليا ١٤,٧%، وأخيراً الإعدادية فأقل بنسبة ١١,٧%. وتوزعت المهن بين موظفي القطاع الخاص بنسبة ٣٦,٦%، وموظفي القطاع الحكومي بنسبة ٢٧,٢%، والطلبة بنسبة ١٨,١%، والعاملين في الأعمال الحرة بنسبة ١٣,٦%، إضافة إلى فئة أخرى بنسبة ٤,٥%. أما من حيث مدة التعامل مع شركة زين، فقد كانت الفئة الأكثر تمثيلاً هي من يتعاملون مع الشركة لمدة (٤-٦ سنوات) بنسبة ٣٤,٣%، تليها فئة (١-٣ سنوات) بنسبة ٢٩,٨%، ثم فئة أكثر من ٦ سنوات بنسبة ١٩,٦%، وأخيراً فئة أقل من سنة بنسبة ١٦,٢%. تعكس هذه النتائج تبايناً جيداً في خصائص العينة، ما يسهم في دعم شمولية التمثيل وتحقيق أهداف البحث الميداني بدقة. تتمثل الخطوة التالي من خلال التحليل الوصفي لمتغيرات وابعاد الدراسة ونجد:

الجدول (٤): التحليل الوصفي لُبُعد المحتوى التسويقي

التقدير	(%) الأهمية النسبية	الانحراف المعياري	المتوسط	العبارة
مرتفع	82.4	0.66	4.12	المحتوى الذي تنشره زين على صفحاتها الاجتماعية ملفت وجذاب
مرتفع	79.0	0.71	3.95	المحتوى يتم تحديثه بانتظام ويلائم اهتماماتي كمستهلك
متوسط مرتفع	75.0	0.73	3.75	عروض زين المنشورة عبر وسائل التواصل تشجعي على الشراء أو الاشتراك
مرتفع	80.2	0.69	4.01	المحتوى يعكس صورة احترافية وواضحة عن خدمات الشركة
مرتفع	79.7	0.70	3.96	متوسط البعد (المحتوى التسويقي)

المصدر: اعداد الباحث بالاعتماد على SPSS29

أظهرت نتائج التحليل الوصفي لُبُعد المحتوى التسويقي أن تقييم المستجيبين لهذا البعد كان في المجمل إيجابياً، حيث بلغ المتوسط الحسابي الكلي ٣,٩٦، والانحراف المعياري ٠,٧٠، بنسبة أهمية نسبية بلغت ٧٩,٧%، مما يشير إلى مستوى مرتفع من إدراك المستهلكين لجودة المحتوى التسويقي الذي تقدمه شركة زين عبر وسائل التواصل الاجتماعي. وقد تبين أن أعلى عبارة تقييمًا كانت "المحتوى الذي تنشره زين على صفحاتها الاجتماعية ملفت وجذاب" بمتوسط ٤,١٢، وهو ما يعكس فاعلية الشركة في جذب انتباه الجمهور بصرياً وموضوعياً. كما حصلت عبارة "المحتوى يعكس صورة احترافية وواضحة عن خدمات الشركة" على متوسط ٤,٠١، ما يدل على أن المحتوى ينجح في إيصال صورة واضحة وهوية قوية للعلامة التجارية. رغم ذلك، أظهرت النتائج أن أقل العبارات تقييمًا كانت "عروض زين المنشورة عبر وسائل

التواصل تشجعي على الشراء أو الاشتراك" بمتوسط ٣,٧٥، ما يشير إلى أن جانب التحفيز المباشر للسلوك الشرائي من خلال العروض لا يزال بحاجة إلى تعزيز. من الناحية التسويقية، تعكس هذه النتائج قوة الشركة في الجانب الاتصالي والبصري للمحتوى، لكنها تشير أيضاً إلى ضرورة تطوير الرسائل الترويجية وتحسين جاذبيتها من حيث القيمة الفعلية التي تقدمها للمستهلك. يشير ذلك إلى أهمية أن توازن زين بين المحتوى الجذاب والقدرة على تحفيز القرار الشرائي عبر رسائل أكثر تخصيصاً وتفاعلاً مع احتياجات المستهلكين.

الجدول (٥): التحليل الوصفي لُبعد التفاعل مع الجمهور

العبارة	المتوسط	الانحراف المعياري	(%) الأهمية النسبية	التقدير
زين ترد على استفسارات وتعليقات المستخدمين على صفحاتها	4.24	0.62	84.8	مرتفع جداً
أشارك أحياناً بالإعجاب أو التعليق أو إعادة النشر لمحتوى زين	3.88	0.74	77.6	مرتفع
زين تستخدم مسابقات أو استطلاعات رأي تجديبي للتفاعل	3.71	0.78	74.2	متوسط مرتفع
أشعر أن تفاعلي مع منشورات زين يتم أخذه بعين الاعتبار	3.84	0.69	76.8	مرتفع
متوسط البعد (التفاعل مع الجمهور)	3.92	0.71	78.4	مرتفع

المصدر: اعداد الباحث بالاعتماد على SPSS29

تشير نتائج التحليل الوصفي لُبعد التفاعل مع الجمهور إلى أن استجابات عينة الدراسة جاءت إيجابية بدرجة ملحوظة، حيث بلغ المتوسط الحسابي الكلي لهذا البُعد ٣,٩٢، بانحراف معياري قدره ٠,٧١، وبأهمية نسبية بلغت ٧٨,٤%، مما يعكس تقدير المستهلكين لمستوى التفاعل الذي توفره شركة زين عبر منصات التواصل الاجتماعي. وقد حصلت العبارة "زين ترد على استفسارات وتعليقات المستخدمين على صفحاتها" على أعلى متوسط (٤,٢٤) وأهمية نسبية (٨٤,٨%)، وهو ما يشير إلى نجاح الشركة في بناء قنوات اتصال تفاعلية مباشرة مع الجمهور وتعزيز الشعور بالاستجابة. أما أقل العبارات تقييماً فكانت "زين تستخدم مسابقات أو استطلاعات رأي تجديبي للتفاعل" بمتوسط ٣,٧١، مما يوحي بوجود فرص غير مستغلة في الجانب التفاعلي الترفيهي أو التحفيزي، والذي يمكن أن يسهم في رفع معدلات التفاعل والارتباط العاطفي مع العلامة. من الناحية التسويقية، تُظهر هذه النتائج أن زين تؤدي بشكل جيد على مستوى الاستجابة والتواصل المباشر، إلا أن تعزيز المشاركة الطوعية للمستهلك يتطلب محتوى أكثر تنوعاً وتفاعلية، خاصة في مجال المسابقات والاستطلاعات، لزيادة شعور المستهلك بأهمية مشاركته وتأثيره في قرارات الشركة ومحتواها.

الجدول (٦): التحليل الوصفي لُبعد الإعلانات الممولة

التقدير	(%) الأهمية النسبية	الانحراف المعياري	المتوسط	العبرة
متوسط مرتفع	75.8	0.75	3.79	تصليتي إعلانات زين عبر وسائل التواصل بشكل متكرر
مرتفع	78.0	0.68	3.90	تصميم الإعلانات جذاب ويدفعني للاطلاع على الخدمة أو العرض
متوسط مرتفع	74.4	0.73	3.72	الإعلانات توضح فوائد ومميزات المنتجات أو العروض
مرتفع	76.2	0.70	3.81	تؤثر هذه الإعلانات في قراري بالاشتراك أو تغيير الخدمة
مرتفع	76.1	0.72	3.81	متوسط البعد (الإعلانات الممولة)

المصدر: اعداد الباحث بالاعتماد على SPSS29

أظهرت نتائج التحليل الوصفي لُبعد الإعلانات الممولة أن آراء المستجيبين تميل إلى الإيجابية بشكل عام، حيث بلغ المتوسط الحسابي الكلي ٣,٨١، والانحراف المعياري ٠,٧٢، بنسبة أهمية نسبية ٧٦,١٪، مما يعكس إدراكاً جيداً من قبل المستهلكين لفعالية الإعلانات المدفوعة التي تنشرها شركة زين على وسائل التواصل الاجتماعي. وبيّنت النتائج أن أعلى تقييم كان للعبرة "تصميم الإعلانات جذاب ويدفعني للاطلاع على الخدمة أو العرض" بمتوسط ٣,٩٠، وهو ما يدل على جودة التصميم البصري والقدرة على جذب انتباه الجمهور الرقمي. في المقابل جاءت العبرة "الإعلانات توضح فوائد ومميزات المنتجات أو العروض" في أدنى مستوى بين الفقرات بمتوسط ٣,٧٢، مما يشير إلى وجود مساحة لتحسين الجانب المعلوماتي داخل الإعلانات نفسها. كما أن تكرار الإعلانات وتأثيرها على قرار الاشتراك أو تغيير الخدمة حظي بتقدير متوسط مرتفع، مما يعكس فعالية نسبية ولكن غير حاسمة. تحليلياً، تشير هذه النتائج إلى أن شركة زين تنجح في تقديم إعلانات ممولة جذابة من حيث الشكل والتكرار، لكنها بحاجة إلى مزيد من التركيز على المحتوى الإعلاني ذاته من حيث الوضوح والإفناع، ليكون أكثر قدرة على التأثير المباشر في قرارات المستهلك، لا سيما في سوق يتمتع بمنافسة عالية من شركات الاتصالات الأخرى.

الجدول (٧): التحليل الوصفي لمتغير سلوك المستهلك

التقدير	(%) الأهمية النسبية	الانحراف المعياري	المتوسط	العبرة
مرتفع	82.0	0.66	4.10	أتابع باستمرار محتوى زين على وسائل التواصل
متوسط مرتفع	73.6	0.77	3.68	أشارك منشورات زين مع الأصدقاء أو العائلة
مرتفع	78.4	0.71	3.92	سبق أن اتخذت قراراً بالشراء أو الاشتراك بعد مشاهدة منشور من زين
مرتفع	77.4	0.69	3.87	غيرت رأيي حول إحدى خدمات زين بعد متابعتي محتواها الإلكتروني
مرتفع	81.0	0.67	4.05	أشعر بثقة أكبر عند التعامل مع زين بسبب تواجدها الفعال على الإنترنت

متوسط مرتفع	75.8	0.70	3.79	زادت رغبتى في البقاء مشتركاً مع زين نتيجة محتواها على التواصل الاجتماعي
مرتفع	77.8	0.72	3.89	أحسست بالرضا بعد تجربة خدمة تم الترويج لها عبر صفحات زين
مرتفع	78.8	0.68	3.94	التفاعل مع حملات زين الرقمية يؤثر في قراري بتجديد أو إنهاء اشتراكي
مرتفع	78.2	0.71	3.91	متوسط المتغير (سلوك المستهلك)

المصدر: اعداد الباحث بالاعتماد على SPSS29

أوضحت نتائج التحليل الوصفي لمتغير سلوك المستهلك أن تقييمات المستجيبين جاءت بدرجة مرتفعة، حيث بلغ المتوسط الحسابي العام ٣,٩١، والانحراف المعياري ٠,٧١، وبأهمية نسبية وصلت إلى ٧٨,٢%. تعكس هذه النتائج إدراكاً إيجابياً من قبل المستهلكين لتأثير أنشطة شركة زين على وسائل التواصل الاجتماعي في تشكيل سلوكهم. وقد حصلت العبارة "أتابع باستمرار محتوى زين على وسائل التواصل" على أعلى متوسط (٤,١٠) وأهمية نسبية بلغت ٨٢,٠%، مما يدل على ارتباط فعلي للمستهلك بالمحتوى المنشور من الشركة، ويؤكد على تكرار التفاعل الرقمي. كما جاءت عبارة "أشعر بثقة أكبر عند التعامل مع زين بسبب تواجدها الفعّال على الإنترنت" بمتوسط مرتفع (٤,٠٥)، ما يشير إلى أن التواجد الرقمي للنشط للشركة يعزز من الموثوقية في نظر المستهلك. في المقابل كانت أدنى الفقرات تقييماً هي "أشارك منشورات زين مع الأصدقاء أو العائلة" بمتوسط ٣,٦٨، ما يشير إلى أن المشاركة الاجتماعية لمحتوى الشركة ما زالت محدودة نسبياً، وقد ترتبط بطبيعة المحتوى أو نوعية العلاقة بين المستهلك والعلامة التجارية. كما أظهرت الفقرات الأخرى المتعلقة بالتأثير على قرار الشراء، والرضا، والرغبة في الاستمرار، تقييمات ضمن مستوى "مرتفع"، وهو ما يؤكد أن الحملات التسويقية الرقمية لشركة زين تؤثر فعلياً على مخرجات سلوك المستهلك. من منظور تسويقي، تُظهر النتائج أن التفاعل الرقمي والمحتوى الإلكتروني الذي تقدمه الشركة لا يقتصر أثره على جذب الانتباه فقط، بل يمتد إلى بناء الثقة، تعزيز الرضا، وتوجيه قرارات المستهلك نحو الولاء وتحديد الاشتراك، وهو ما يمثل مؤشراً قوياً على فعالية الأداء التسويقي الرقمي للشركة. تتمثل الخطوة التالية من خلال تقدير الانحدار المتعدد واختبار الفرضيات:

جدول رقم (8) نتائج نموذج الانحدار الخطي المتعدد لقياس أثر أبعاد التسويق الإلكتروني على سلوك المستهلك

(n = 265)

VIF	Sig.	t-value	Std. Error	B	المتغير المستقل
1.92	0.000**	4.484	0.062	0.278	المحتوى التسويقي
2.11	0.000**	5.441	0.059	0.321	التفاعل مع الجمهور
1.76	0.001**	3.404	0.057	0.194	الإعلانات الممولة
—	0.001**	3.356	0.213	0.715	(Constant) الثابت

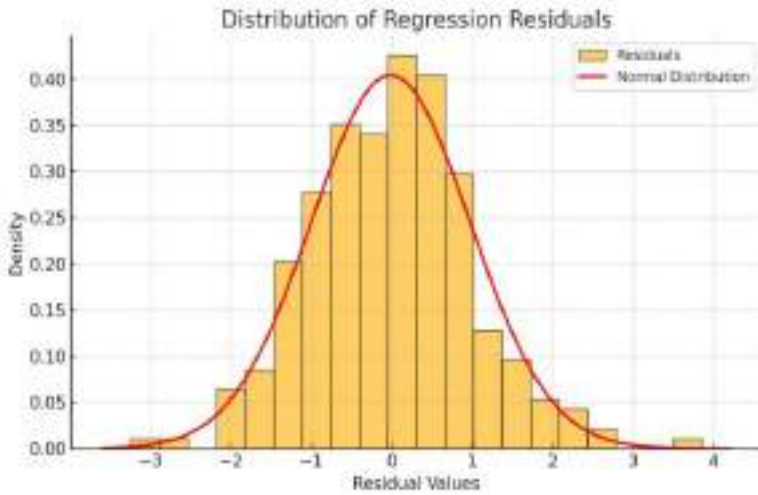
المصدر: اعداد الباحث بالاعتماد على SPSS29

المؤشر	القيمة
عدد العينة (n)	265
معامل التحديد (R^2)	0.682
معامل التحديد المعدل ($Adjusted R^2$)	0.676
قيمة F	95.812
مستوى الدلالة (Sig.)	0.000**
Durbin-Watson	1.91
معياري (VIF < 5) multicollinearity	تحقق

أظهرت نتائج تحليل الانحدار الخطي المتعدد فعالية نموذج البحث في تفسير العلاقة بين المتغيرات المستقلة (أبعاد التسويق الإلكتروني عبر وسائل التواصل الاجتماعي) والمتغير التابع (سلوك المستهلك). وبيّنت النتائج أن النموذج يفسر ما نسبته ٦٨,٢% من التباين في سلوك المستهلك، كما هو موضح في قيمة معامل التحديد ($R^2 = 0.682$)، وهي نسبة مرتفعة نسبياً تعكس قوة التفسير. كما بلغت قيمة معامل التحديد المعدل ($Adjusted R^2$) 0.676، وهي تؤكد استقرار النموذج حتى بعد تعديل عدد المتغيرات. كما أن النسبة المتبقية (٣١,٨%) من التباين في السلوك الاستهلاكي تُعزى إلى عوامل أخرى غير مضمّنة في النموذج الحالي، مثل العوامل الشخصية، والاقتصادية، وخصائص المنتج، والمتغير العشوائي، مما يشير إلى إمكانية توسيع النموذج في دراسات لاحقة لتشمل مزيداً من المتغيرات التفسيرية. من الناحية الإحصائية، أظهرت قيمة F (٩٥,٨١٢) دلالة إحصائية قوية للنموذج ككل، بمستوى دلالة أقل من ٠,٠١، مما يدل على معنوية العلاقة بين المتغيرات المستقلة والمتغير التابع. كما تشير قيمة Durbin-Watson (١,٩١)

إلى عدم وجود مشكلة ارتباط ذاتي بين بواقي النموذج، في حين أظهرت قيم VIF لجميع المتغيرات أنها أقل من ٥، مما يعني عدم وجود مشكلة تعدد ارتباط خطي (Multicollinearity) بين المتغيرات المستقلة. أما على مستوى المتغيرات الفردية، فقد تبين أن بُعد التفاعل مع الجمهور هو الأكثر تأثيراً على سلوك المستهلك، بمعامل انحدار ($B = 0.321$)، يليه المحتوى التسويقي ($B = 0.278$)، ثم الإعلانات الممولة ($B = 0.194$). وجميع القيم كانت ذات دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠١)، مما يؤكد أن كل بعد من هذه الأبعاد يؤثر بشكل معنوي ومباشر في سلوك المستهلك. وتشير هذه النتائج إلى أن استراتيجية التسويق الرقمي الفعالة، القائمة على التفاعل والمحتوى المصمم بعناية، يمكن أن تساهم في تشكيل سلوك المستهلك وتعزيز ولائه. والشكل التالي يبين توزيع البواقي:

الشكل (١): توزيع البواقي



المصدر: اعداد الباحث بالاعتماد على SPSS29

يوضح الشكل (١): توزيع البواقي أن بواقي نموذج الانحدار تتبع تقريباً توزيعاً طبيعياً، حيث تتركز القيم حول الصفر وتنخفض تدريجياً نحو الأطراف، بما يتوافق مع منحنى التوزيع الطبيعي المرسوم باللون الأحمر. يشير هذا إلى أن افتراض طبيعية البواقي (Normality of Residuals) قد تحقق بدرجة مقبولة، وهو أحد الشروط الأساسية لصحة نموذج الانحدار الخطي المتعدد.

الاستنتاجات والتوصيات:

اولاً: الاستنتاجات:

١. أظهرت الدراسة أن التفاعل مع الجمهور يعد العامل الأكثر تأثيراً في سلوك المستهلك، وهو ما أكدته قيمة معامل الانحدار الأعلى بين الأبعاد الثلاثة. إذ تبين أن الاستجابة

لتعليقات المستهلكين، وتشجيعهم على المشاركة، يعزز من ثقتهم ويزيد من ارتباطهم بالعلامة التجارية. هذه النتيجة تدعم الفرضية الفرعية الثانية، وتشير إلى أن بناء علاقة تفاعلية مع الجمهور لم يعد خيارًا إضافيًا، بل أصبح عنصرًا أساسيًا في استراتيجية التسويق الرقمي الناجحة.

٢. أظهر بُعد الإعلانات الممولة تأثيرًا معنويًا واضحًا على سلوك المستهلك، وإن كان بدرجة أقل من الأبعاد الأخرى. فقد تبين أن الإعلان المدفوع يسهم في تعزيز الوعي بالعلامة التجارية وتحفيز نية الشراء، لا سيما عندما يكون مصممًا بجاذبية ووضوح. تؤكد هذه النتيجة صحة الفرضية الفرعية الثالثة، وتدلل على أن الاستثمار في الحملات الإعلانية الرقمية يحقق نتائج ملموسة، لكنه يحتاج إلى أن يكون جزءًا من منظومة تسويق متكاملة تشمل المحتوى والتفاعل مع الجمهور.

٣. أكدت الدراسة أن التسويق الإلكتروني يُعد متغيرًا مؤثرًا في سلوك المستهلك، خاصة في بيئة رقمية متسارعة.

٤. تتوافق النتائج مع الأدبيات السابقة التي تشير إلى فاعلية المحتوى والتفاعل الرقمي في تشكيل الاتجاهات الشرائية.

ثانيًا: الاستنتاجات التطبيقية

١. توصل البحث إلى أن التسويق الإلكتروني عبر وسائل التواصل الاجتماعي بأبعاده الثلاثة (المحتوى التسويقي، التفاعل مع الجمهور، الإعلانات الممولة) يؤثر بشكل معنوي وإيجابي على سلوك المستهلك في شركة زين للاتصالات - بغداد، حيث أظهرت نتائج الانحدار الخطي المتعدد أن هذا التأثير مشترك يفسر نسبة كبيرة من التباين في السلوك الاستهلاكي. وقد انعكست هذه النتيجة في قوة معامل التحديد ($R^2 = 0.682$)، مما يدعم صحة الفرضية الرئيسية ويؤكد أهمية هذه الأدوات الرقمية في تشكيل توجهات وسلوكيات العملاء في البيئة العراقية.

٢. أثبتت نتائج التحليل أن المحتوى التسويقي الذي تنشره شركة زين على صفحاتها الاجتماعية يلعب دورًا فاعلاً في التأثير على سلوك المستهلك، من خلال جذب الانتباه وتعزيز الفهم والاقتناع بالخدمات المقدمة. حيث أظهرت معاملات الانحدار دلالة إحصائية واضحة لبُعد المحتوى، مما يؤكد صحة الفرضية الفرعية الأولى، ويعكس أن الرسائل التسويقية المصممة بعناية تسهم بشكل فعلي في توجيه اهتمام المستهلك ودفعه للتفاعل أو اتخاذ قرار شرائي.

٣. أثبتت البيانات الميدانية أن التفاعل هو أكثر الأبعاد تأثيراً، يليه المحتوى ثم الإعلان.
٤. تشير نتائج التحليل إلى ضرورة دمج استراتيجيات التسويق الاجتماعي ضمن ممارسات شركات الاتصالات بالعراق.

ثانياً: التوصيات:

وفق السابق يوصي البحث بما يلي:

١. في ضوء التأثير المشترك الإيجابي لأبعاد التسويق الإلكتروني عبر وسائل التواصل الاجتماعي على سلوك المستهلك، توصي الدراسة بأن تعتمد شركة زين استراتيجية تسويق رقمية متكاملة، تشمل تحسين المحتوى، وتعزيز التفاعل، وتوجيه الإعلانات الممولة، ضمن خطة مترابطة تراعي خصائص جمهورها المحلي وتستند إلى بيانات تحليل سلوك المستخدمين.
٢. استناداً إلى أهمية المحتوى التسويقي في جذب انتباه المستهلك وتحفيز تفاعله، يُوصى بأن تركز شركة زين على تطوير محتوى أكثر تخصيصاً وارتباطاً بحاجات جمهورها، مع الاهتمام بالوضوح والابتكار في الرسائل الترويجية، مع استخدام وسائط متعددة (نصوص، صور، فيديوهات قصيرة) تضمن وصول الرسالة بأعلى قدر من التأثير.
٣. نظراً إلى أن التفاعل مع الجمهور كان العامل الأكثر تأثيراً في تشكيل سلوك المستهلك، توصي الدراسة بتفعيل قنوات التواصل الرقمي بشكل أكبر، من خلال الرد السريع على استفسارات العملاء، تنفيذ حملات تفاعلية (استطلاعات، مسابقات)، وتعزيز المشاركة المجتمعية عبر المحتوى، بهدف بناء علاقة قائمة على الثقة والانتماء للعلامة التجارية.
٤. بما أن الإعلانات الممولة أثبتت فعاليتها في التأثير على نية الشراء رغم محدودية تأثيرها النسبي، توصي الدراسة بتطوير خطط إعلانية تستهدف شرائح أكثر دقة من العملاء باستخدام أدوات الاستهداف الذكي، مع تحسين صياغة الرسائل الإعلانية من حيث عرض القيمة والفائدة، لضمان تحقيق نتائج أقوى وأكثر ارتباطاً بسلوك الشراء الفعلي.

المراجع:

١. الدعور، رائد محمد علي، & عبده، محمد عادل أحمد. (٢٠٢٤). أثر التسويق الفيروسي على القرار الشرائي للمستهلك النهائي: دراسة ميدانية على عملاء المولات التجارية العاملة في مدينة إب. مجلة القلم للعلوم الإنسانية والتطبيقية، ١١(٤٦)، ٤٦٦-٥٠١.
٢. السيد عشري، إبراهيم، عبد الباري، جمعة العيسوي، & منى، تامر. (٢٠٢٣). العلاقة بين التسويق المباشر وتمكين العميل: بالتطبيق على عملاء مواقع التسوق الإلكتروني في جمهورية مصر العربية. المجلة المصرية للدراسات التجارية، ٤٧(٣)، ١٨٩-٢٢٩.
٣. عبد القادر، محمد، & خالد. (٢٠٢٥). أثر القيمة المدركة للتسوق عبر وسائل التواصل الاجتماعي على نية الشراء عبر الإنترنت والسلوك الشرائي الاندفاعي الإلكتروني: الدور الوسيط للمتعة العاطفية. المجلة الدولية للعلوم الإدارية والاقتصادية والمالية، ٤(١٢)، ٦٧١-٧٣٦.
٤. عبد المجيد، محمد، & نهلة. (٢٠٢٥). تأثير إعلان المؤثرين على العلامة التجارية وسلوك المستهلك. مجلة العمارة والفنون والعلوم الإنسانية.
٥. العلي، عقبة عبدالنافع. (٢٠٢٣). دور مواقع التواصل الاجتماعي في تشكيل ثقافة الشباب: دراسة تحليلية على عينة عشوائية من طلاب جامعة دمشق (يناير ٢٠٢٣-مارس ٢٠٢٣). مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية، ٤(٥)، ١٩٧-٢٣٣.
٦. فاطمة، فارس (٢٠٢١). دليلك الشامل إلى التسويق الإلكتروني. تاريخ الاسترداد ٢٩ أفريل ٢٠٢٢، من خمسرات للبيع وشراء الخدمات المصغرة
٧. منال خاف الله وسام قاتانية ٢٠١٩، أثر التسويق عبر مواقع التواصل الاجتماعي على قرار الشراء لدى المستهلك مذكرة قدمت لنيل شهادة الماجستير في علوم التسويق. جامعة ٨ مايو قالملة كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسويق
8. Alghizzawi, M. (2019). The role of digital marketing in consumer behavior: A survey. *Int. J. Inf. Technol. Lang. Stud*, 3(1), 24-31.
9. Antczak, B. (2024). The influence of digital marketing and social media marketing on consumer buying behavior. *Journal of Modern Science*, 56(2), 310-335.
10. Armutcu, B., Tan, A., Amponsah, M., Parida, S., & Ramkissoon, H. (2023). Tourist behaviour: The role of digital marketing and social media. *Acta psychologica*, 240, 104025.

11. Durgude, U., Sawant, S. B., & Chavan, A. A. (2023). Role of Social Media in Promoting Electronic Products: An Empirical Study. *Journal of Survey in Fisheries Sciences*, 10(2S), 195–203.
12. Pillai, R., Holla, N., & Srinivas, D. (2021). A study on Digital marketing and its impact on Consumer Behavior. *PalArch's Journal of Archaeology of Egypt/Egyptology*, 18(09), 78–85.
13. Rachmad, Y. E. (2022). Social Media Marketing Mediated Changes In Consumer Behavior From E-Commerce To Social Commerce. *International Journal of Economics and Management Research*, 1 (3), 227, 242.
14. Stephen, A. T. (2016). The role of digital and social media marketing in consumer behavior. *Current opinión in Psychology*, 10, 17–21.
15. □ Bandura, A. (1977). *Social Learning Theory*. Prentice Hall.
16. □ Chaffey, D., & Ellis-Chadwick, F. (2019). *Digital Marketing* (7th ed.). Pearson Education.
17. □ Deutsch, M., & Gerard, H. B. (1955). A study of normative and informational social influences upon individual judgment. *Journal of Abnormal and Social Psychology*.
18. □ Kaplan, A. M., & Haenlein, M. (2010). Users of the world, unite! The challenges and opportunities of social media. *Business Horizons*, 53(1), 59–68.
19. □ Mangold, W. G., & Faulds, D. J. (2009). Social media: The new hybrid element of the promotion mix. *Business Horizons*, 52(4), 357–365.
20. □ Schiffman, L. G., & Kanuk, L. L. (2010). *Consumer Behavior* (10th ed.). Pearson.
21. Al-Abdali, Qahtan and Samir, Promotion and Advertising, 1st ed., Dar Zahran for Publishing and Distribution, Amman, Jordan, 2013.

22. Al-Hassan, Issa Mahmoud, Commercial Promotion of Goods and Services, 1st ed., Zahran Publishing and Distribution House, Amman, Jordan, 2010
23. Kaplan, A. M. and M. Haenlein (2010). "Users of the world, unite! The challenges and opportunities of social media ".Business Horizons 53(1): 59-68
24. Bulearca, M. and S. Bulearca (2010). "Twitter: a viable marketing tool for SMEs?" Global business and management research 2(4): 296.
25. Hanaysha, J. (2016). "The importance of social media advertisements in enhancing brand equity: A study on the fast food restaurant industry in Malaysia." International Journal of Innovation, Management, and Technology 7(2): 46.
26. Eastman, T. & Saulnier, J. (2020). The case of e-learning commercialization: findings and recommendations from a national survey. Journal of Library Management, 60(3), 235-249.
27. Gilani B, Polat E, Wilkin C.(٢٠١٨) Leadership chaos: when power is in the hands of followers

التطبيق الوطني لاتفاقية رامسار للأراضي الرطبة (العراق أنموذجاً) National Implementation of the Ramsar Convention on Wetlands (Iraq as a Model)

أ.م.د. أسامة صبري محمد^(١)

Asst. Prof. Osama Sabri Mohammed (PhD)

م. سؤدد طه جدوع^(٢)

Lect. Su'addah Taha Jadoua

الملخص

تقع العديد من الأراضي الرطبة في مناطق برية كبيرة أو صغيرة، تقع ضمن دولة واحدة أو مشتركة بين دولتين أو أكثر، وقد تتكوّن بعضها من أحواض أو من دلتا الأنهار. ومع ذلك، فإن سلامة الأراضي الرطبة تعتمد أساساً على إمدادات المياه التي تغذيها الأنهار أو العيون والآبار. ولحماية هذه الأراضي من الأنشطة البشرية الضارة مثل النفايات الصناعية والزراعية، أو الاستغلال غير المنظم لمواردها، أو التوسع السكاني على حساب المناطق المغمورة، كان لا بد من تنظيم الجهود لحمايتها.

في عام ١٩٧٠، تم توقيع اتفاقية الأراضي الرطبة ذات الأهمية الدولية وخاصة كمناطق لمعاش الطيور المائية في مدينة رامسار الإيرانية، ورغم أن الاتفاقية كانت في بدايتها تركز على الأراضي الرطبة بوصفها موطناً دائماً أو مؤقتاً للطيور المائية، إلا أنها توسعت لاحقاً من خلال بروتوكولين إضافيين، أبرم الأول عام ١٩٨٢ والثاني عام ١٩٨٧. وقد تناولت الاتفاقية قضايا الحفاظ على البيئة الرطبة ومنع تدهورها، وحماية

١- جامعة القادسية- كلية القانون

٢- جامعة القادسية- كلية القانون

الكائنات الحية والنظم البيئية فيها، ومتابعة التغيرات التي تطرأ عليها. وأصبحت الاتفاقية وأنشطتها تُعرف باسم اتفاقية رامسار للأراضي الرطبة.

وقد انضم العراق إلى اتفاقية رامسار للأراضي الرطبة لعام ١٩٧٠ بتاريخ ٥ آذار/مارس ٢٠٠٧، حيث صدر قانون الانضمام إلى الاتفاقية برقم (٧) ونُشر في الجريدة الرسمية العدد ٤٠٣٥ في التاريخ نفسه. وتنص الاتفاقية على أن على الدولة المنضمة أن تُدرج على الأقل موقعاً واحداً من الأراضي الرطبة ضمن قائمة المواقع المحمية بموجب الاتفاقية. وقد سجّل العراق هور الحويزة كموقعٍ خاضع للاتفاقية عند انضمامه إليها، وفي عام ٢٠١٥ أضاف موقعاً آخر هو هور الحمارة.

ويُعد انضمام العراق إلى اتفاقية رامسار وسيلةً لحماية أهواره ليس فقط بوصفها مسؤوليةً عالمية، بل أيضاً كضمانٍ لحمايةٍ دولية. كما تلزم الاتفاقية الدول الأعضاء بوضع برامج وآليات وتشريعات تهدف إلى حماية هذه الأراضي من الآثار السلبية للأنشطة البشرية.

الكلمات المفتاحية: الأراضي الرطبة، اتفاقية رامسار، الحماية البيئية، الأهوار العراقية، المواقع المحمية

Abstract

Many wetlands are located on large or small areas of land that may lie within one state or be shared by two or more states. Some wetlands are formed in basins, while others develop in river deltas. The safety and sustainability of wetlands depend primarily on the water they receive, whether from rivers, springs, or wells. To protect these lands from harmful human activities—such as industrial and agricultural waste, unregulated exploitation of resources, or population expansion at the expense of submerged areas—international measures have become necessary.

In 1970, the Convention on Wetlands of International Importance Especially as Waterfowl Habitat was signed in the Iranian city of Ramsar. Although the Convention initially focused on wetlands as permanent or temporary habitats for waterfowl, its scope was later expanded through two additional protocols—the first in 1982 and the second in 1987. These protocols broadened the Convention's objectives to include the preservation of wetland environments, the protection of their living organisms and ecosystems, and the monitoring of changes affecting them. Since then, the Convention and its activities have become known collectively as the Ramsar Convention on Wetlands.

Iraq acceded to the Ramsar Convention on 5 March 2007. The Law of Accession was published in Law No. (7) in the Official Gazette No. 4035 on that date. Under the Convention, each State Party must designate at least one wetland site to be included in the List of Wetlands of International Importance. Upon accession, Iraq registered Hawr al-Hawizah as its first Ramsar site, and in 2015 it added Hawr al-Hammar as another protected site. Iraq's accession to the Convention represents a significant step toward protecting its marshes, not only as a national responsibility but also as a commitment to international environmental protection. The Convention also

obliges State Parties to develop programs, mechanisms, and legislation to safeguard these lands from the negative impacts of human activities.

Keywords: : Wetlands, Ramsar Convention, environmental protection, Iraqi marshes, protected sites

المقدمة

توجد العديد من الأراضي الرطبة التي تنتشر على مساحات أرضية تكبر أو تصغر تقع في دولة واحدة أو تتشارك بها دولتان أو أكثر، وقد يتشكل بعضها من أحواض أو من دلتا الأنهار، وعلى أي حال تتوقف سلامة الأراضي الرطبة أولاً على إمدادات المياه التي تغذيها، من الأنهار أو من العيون والآبار، وعلى حماية هذه الأراضي من النشاط البشري الضار كالمخلفات الصناعية والزراعية، والاستغلال غير المنظم لموارد هذه الأراضي، أو التوسع السكاني على حساب المساحات المغمورة بالمياه.

من أجل تحقيق الحماية الدولية للأراضي المغمورة بالمياه كالأهوار، و دلتا الأنهار وأحواضها، والبحيرات وُقعت عام ١٩٧٠ اتفاقية (الأراضي الرطبة ذات الأهمية الدولية وخاصة بوصفها موئلاً للطيور المائية)، في مدينة رامسار الإيرانية، ورغم أنها كانت في بدايتها تتناول الأراضي الرطبة كموطن دائم أو مؤقت للطيور، إلا أنها توسعت فيما بعد ببرتوكولين إضافيين الأول وُقعت عام ١٩٨٢ والثاني عام ١٩٨٧، بحيث تعلقت بالحفاظ على بيئة الأراضي الرطبة والحيلولة دون فقدانها، وحماية والكائنات والنباتات التي تعيش فيها والنظم الايكولوجية الخاصة بها، مع هذه التغيرات التي طرأت على موضوع الاتفاقية ونشاطها أصبحت تُعرف باسم (اتفاقية رامسار للأراضي الرطبة).

وقد انظم العراق إلى اتفاقية رامسار للأراضي الرطبة لسنة ١٩٧٠ في ٢٠٠٧/٣/٥، ونشر قانون الانضمام للمعاهدة قانون رقم (٧) في الجريدة الرسمية بعددها (٤٠٣٥) الصادرة في التاريخ أعلاه، ولا بد للانضمام لهذه المعاهدة أن تسجل الدولة الطرف واحداً على الأقل من الأراضي الرطبة لتسجيلها من المواقع المشمولة بالحماية المقررة بموجب الاتفاقية، وقد سجل العراق هور الحوزية كموقع يخضع لإحكام الاتفاقية عند الانضمام لها، وفي عام ٢٠١٥ أضاف هور الحمار كموقع آخر.

يشكل انضمام العراق لاتفاقية رامسار للأراضي الرطبة وسيلة لحماية أهواره ليس فقط باعتبار هذه الحماية مسؤولية دولية، تتشاركها الدول، مما يوفر حماية مضاعفة، وايضاً ترتب الاتفاقية على الدول الأطراف وضع برامج وآليات وتشريعات لحماية هذه الأراضي من الآثار السلبية للنشاط البشري.

مشكلة البحث: ولا زالت الأهوار العراقية رغم مرور وقت ليس بالقصير على الانضمام للاتفاقية، وإدخال الأهوار العراقية في قائمة التراث العالمي لوكالة الأمم المتحدة للعلوم والتربية والثقافة (اليونسكو) في ٢٠١٦/٧/١٧، رغم ذلك لازالت الأهوار عرضة للمخاطر سواء نتيجة الجفاف لانخفاض مناسيب المياه الواردة من الأنهار سواء نهر دجلة والفرات، أو الأنهار الموسمية التي تغذيها، وجميعها تنبع من خارج الحدود

العراقية وبالتالي تتحكم بمناسبةها دول المنبع، وكذلك المصدر الآخر للخطر هو النشاط البشري من تلوث وصيد جائر خاصة للأشكال النادرة من الحيوانات التي تعيش في تلك الأهوار، هذا كله يهدد الوجود القديم للأهوار بالزوال.

خطة البحث: ستكون دراستنا هذه في مبحثين، نتناول في المبحث الأول ماهية اتفاقية رامسار لسنة ١٩٧١ للأراضي الرطبة في ثلاث مطالب الأول سنعرض فيه لتعريف الاتفاقية، فيما سنتعرف في المطلب الثاني على التزامات الدول الأطراف في الاتفاقية، وسنعرّج في المطلب الثالث على أجهزة اتفاقية رامسار، أما المبحث الثاني سنتناول فيه تطبيق العراق لاتفاقية رامسار للأراضي الرطبة لسنة ١٩٧١ في مطلبين، سنتناول في الأول انضمام العراق لاتفاقية رامسار، وفي المبحث الثاني نتناول دور الآليات الوطنية العراقية في تطبيق اتفاقية رامسار لسنة ١٩٧١ في تطبيق الاتفاقية باعتباره الآلية المختصة على المستوى الوطني بوضعها موضع التطبيق.

ونتهي البحث بخاتمة تضمنت أهم ما توصلنا إليه من نتائج، مختومة بالتوصيات التي نراها تؤدي إلى تطبيق أفضل لاتفاقية رامسار للأراضي الرطبة، وبما يحقق حماية دولية ومحلية تحمي أراضي العراق الرطبة.

المبحث الأول: ماهية اتفاقية رامسار لسنة ١٩٧١ للأراضي الرطبة

اتفاقية الأراضي الرطبة (رامسار، إيران ١٩٧١) هي معاهدة حكومية دولية تتمثل مهمتها في الحفاظ والاستخدام الرشيد لجميع الأراضي الرطبة عن طريق الإجراءات المحلية والإقليمية والوطنية والتعاون الدولي. ولأهمية هذه الاتفاقية يتناول هذا المبحث في ثلاثة مطالب المطلب الأول يركز على بيان المصطلحات التي جاءت بها الاتفاقية بينما يتناول المطلب الثاني الالتزامات المترتبة على الدول الأطراف بموجب الاتفاقية، ونختتم المبحث بتناول الهيئات التي أوجدتها الاتفاقية.

المطلب الأول: تعريف الاتفاقية

يعرف دليل اتفاقية رامسار المعد من قبل امانة الاتفاقية، الاتفاقية بأنها اتفاقية حكومية دولية بل تعد اولى الاتفاقيات الدولية التي اهتمت بتحقيق الاستخدام المستدام والحفاظ على الموارد الطبيعية، كما أنها بالمقارنة بغيرها من المعاهدات الأكثر حداثة، اتسمت بالوضوح والعمومية^(٣).

٣ - امانة اتفاقية رامسار ، دليل لاتفاقية رامسار بشأن الاراضي الرطبة (الاصدار الرابع) ، ٢٠٠٧ ، ص٦٠. متوفر على الموقع

الالكتروني

www.archive.ramsar.org/pdf/ilb/ilb_manual2006a_RamsarManual_final.pdf

اطلق على الاتفاقية تسمية (اتفاقية الأراضي الرطبة ذات الأهمية الدولية لا سيما بوصفها موئلاً للطيور المائية) وهو اسم يعكس التركيز الرئيسي الذي ينصب على الاستخدام الرشيد والحفاظ على الأراضي الرطبة بوصفها في المقام الأول موئلاً للطيور.

مع ذلك لم تقتصر الاتفاقية عند هذا الحد بل توسعت ليشمل نطاقها كافة الجوانب التي تتعلق بالاستخدام الرشيد للأراضي الرطبة والحفاظ عليها، باعتبارها أنظمة بيئية ذات أهمية بالغة في الحفاظ على التنوع البيئي ورفاهية الشعوب ليتحقق بذلك المفهوم الشامل لنص الاتفاقية لهذا السبب كان من المناسب تماماً ان يزداد الاقبال على استخدام الاسم المختصر للاتفاقية ((الاتفاقية المعنية بالأراضي الرطبة)) بالرغم من ان الاخذ بهذا الاسم يتطلب تعديلاً للاتفاقية والتي تعد من الامور المرهقة^(٤).

هذا وتقوم منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (يونسكو) بدور المستودع في هذه الاتفاقية مع الاخذ في الاعتبار أن اتفاقية رامسار لا تنتمي إلى أي نظام تابع لمنظمة الأمم المتحدة ومنظمة اليونسكو بشأن الاتفاقيات والمعاهدات البيئية، فالاتفاقية ليست مسؤولة الا عن مؤتمر الأطراف المتعاقدة (COP) كما تقوم امانة الاتفاقية التي تعمل تحت سلطة اللجنة الدائمة المنتخبة من قبل الاطراف المتعاقدة، بالمتابعة اليومية لكافة الشؤون الادارية الخاصة بمؤتمر الاطراف، من خلال مقر ضيافتها بالاتحاد الدولي لحفظ الطبيعة في سويسرا^(٥).

وردت في الاتفاقية مصطلح الأراضي الرطبة والاستعمال العقلاني لتلك الأراضي، فما المقصود بتلك الأراضي عرفت المادة ١ من الاتفاقية تلك المناطق ((بأنها مناطق الأهوار والسبخات والمستنقعات او المياه سواء كانت طبيعية أو اصطناعية دائمة أو مؤقتة وسواء كانت المياه الراكدة او متدفقه عذبه كانت أو مسوس المالحة بما في ذلك مناطق المياه البحرية التي لا يتجاوز عمق المياه فيها في أوقات المد والجزر المنخفضة عن ستة امتار))^(٦).

الزمت الاتفاقية الدول الاطراف بالاستخدام العقلاني للأراضي الرطبة ويعرف بانه (الاستعمال المستدام الذي يكون في صالح الإنسانية بطريقة تكون متلائمة في الحفاظ على الخصائص الطبيعية للأنظمة البيئية” ،

٤ - دخلت الاتفاقية حيز التنفيذ في عام ١٩٧٥ ، بلغ عدد الدول المنظمة للاتفاقية ١٧٠ دولة ، حيث دخلت الاتفاقية حيز النفاذ بالنسبة للعراق في ١٧ شباط ٢٠٠٨ .

٥ - دليل الاتفاقية ، مصدر سابق ، ص٦٠.

٦ - الى جانب تلك الأراضي ، هناك اراضي من صنع الانسان ، مثل احواض السمك والجمبري ، والبرك الزراعية ، والأراضي الزراعية المروية ، والمسطحات المالحة ، والخزانات ، وحفر الحصى ، ومزارع وقنوات الصرف . هذا وقد اعتمدت اتفاقية رامسار تصنيفاً للأراضي الرطبة يتضمن ٤٢ نوعاً للأراضي الرطبة تدرج تحت ثلاث فئات : الأراضي الرطبة البحرية والساحلية ، الأراضي الرطبة الداخلية ، والأراضي الرطبة التي صنعها الانسان .

دليل الاتفاقية ، مصدر سابق ، ص٧٠.

ويفهم أيضا من الاستعمال العقلاني للمناطق الرطبة، أنه “استعمال الإنسان لتلك المناطق بطريقة تسمح للأجيال الحالية من الاستفادة المستدامة منها، مع توفير الإمكانيات التي تسمح بتلبية احتياجات وطموحات الأجيال القادمة، ويدخل أيضا في الاستعمال العقلاني للمناطق الرطبة القيام بالمحافظة عليها، وتسييرها وإصلاحها) (٧).

المطلب الثاني: التزامات الدول الأطراف

ترتب الاتفاقية التزامات على الدول الأطراف وتندرج تلك الالتزامات ضمن الاستخدام العقلاني للأراضي الرطبة اولى هذه الالتزامات ما نصت عليه المادة ٢ من الاتفاقية حيث ألزمت الدول الأطراف بتحديد موقع واحد على الأقل عند الانضمام الى قائمة الأراضي الرطبة ذات الاهمية الدولية، ويتم اختيار تلك الأراضي بناء على خصائصها النباتية والبيولوجية، حيث اتفقت الدول الاعضاء على معايير يمكن الاسترشاد بها عند تحديد تلك الأراضي.

المادة ٣ من الاتفاقية ألزمت الدول الاعضاء بضرورة اللجوء الى الاستخدام الرشيد للأراضي الرطبة، وهذا الالتزام يمتاز بالعمومية، يتحقق هذا الالتزام من خلال قيام الدول الأطراف بدمج قضايا الحفاظ على الأراضي الرطبة ضمن منظومة الخطط الوطنية المعنية بالحفاظ على الأراضي، ولتحقيق ذلك سعت الدول الأطراف الى توحيد رؤيتها في رسم السياسات الوطنية المتعلقة بالاستخدام الرشيد للأراضي الرطبة. كما تتعهد الدول الأطراف بموجب الاتفاقية على انشاء محميات طبيعية في الأراضي الرطبة سواء ادرجت في قائمة اتفاقية رامسار او كانت غير مدرجة.

الا ان السؤال الذي يثار هنا هل تضمنت الاتفاقية عقوبات توجه الى الدول الأطراف في حالة انتهاك الالتزامات المترتبة بموجب الاتفاقية؟ من خلال قراءة الاتفاقية نجد انها لا تتضمن اي عقوبات، الا ان ذلك لا يعني غياب الجزاء حيث ان الاتفاقية تخضع كأى اتفاقية دولية للقواعد العامة.

من اهم الالتزامات التي وردت في الاتفاقية وأكدت عليها المقررات الصادرة عن مؤتمر الأطراف ذلك الذي يتعلق بأعداد التقارير حول تنفيذ الاتفاقية داخل أراضي الدول الاعضاء وفي هذا الصدد تقوم الدولة العضو بأعداد تقرير وطني كل ثلاث سنوات للوقوف على التقدم الذي احرزته في الوفاء بالتزاماتها.

٧ - نصوص ومواد اتفاقية رامسار ، بحث متوفر على الموقع الالكتروني

<https://www.mohamah.net/law/%D9%86%D8%B5%D9%88%D8%B5-%D9%88->

المطلب الثالث: اجهزة الاتفاقية

اولاً- مؤتمر الدول الاطراف:

مؤتمر الاطراف المتعاقدة هو الجهاز المسؤول في الاتفاقية عن صناعة القرار حيث يجتمع ممثلو حكومات الدول الاعضاء مرة كل ثلاث سنوات للاطلاع على التقارير الوطنية التي تم اعدادها عن فترة الثلاث سنوات السابقة، والتصديق على برنامج العمل والميزانية لفترة السنوات الثلاث المقبلة. كما يمكن لممثلي الدول غير الاعضاء والمؤسسات الدولية الحكومية، والمنظمات غير الحكومية الوطنية والدولية ان تشارك في هذه الاجتماعات بصفة مراقب دون ان يكون لها حق التصويت.

ثانياً- اللجنة الدائمة :

اللجنة الدائمة لاتفاقية رامسار هي جهاز تنفيذي يمثل مؤتمر الاطراف اثناء الفترة التي تفصل بين دورتي انعقاده في اطار القرارات التي صدق عليها المؤتمر، وفيما يتعلق بالأطراف المتعاقدة الذين يتمتعون بعضوية اللجنة الدائمة، فيتم انتخابهم في كل اجتماع لمؤتمر الاطراف لفترة السنوات الثلاث المقبلة.

ثالثاً- الامانة العامة :

تتولى امانة اتفاقية رامسار الاعمال اليومية المتعلقة بتنسيق أنشطة الاتفاقية، وتمارس الامانة اعمالها من خلال مكتبها الكائن بمقر الاتحاد الدولي للحفاظ على الطبيعة في سويسرا، حيث يتم معاملة موظفي الامانة العامة، من الناحية القانونية، على اعتبار انهم موظفون لدى الاتحاد الدولي للحفاظ على الطبيعة.

رابعاً - لجنة المراجعة العلمية والتقنية:

تكونت لجنة المراجعة العلمية والتقنية التابعة لاتفاقية رامسار بموجب القرار رقم ٥٠٥ لعام ١٩٩٣، بوصفها هيئة فرعية تابعة للاتفاقية، لتتولى تقديم الارشادات العلمية والتقنية لكل من مؤتمر الاطراف، واللجنة الدائمة، وامانة رامسار ويتم انتخاب اعضاء اللجنة، الذين لا يتقاضون اجرا مقابل خدماتهم، من قبل اللجنة الدائمة بناء على ترشيحات الاطراف، ليتم الاستعانة بهم بصفتهم خبراء في المجالات العلمية التي تتطلبها خطة عمل لجنة المراجعة العلمية والتقنية.

المبحث الثاني: تطبيق العراق لاتفاقية رامسار للأراضي الرطبة لسنة ١٩٧١

تتمتع الأراضي الرطبة بتنوع أحيائي كبير، و نظام بيئي رائع يدعم غطاءً نباتياً وحيوانياً تكيف بشكل كفوء للعيش في تربه مشبعة بالمياه، لكنها عانت لفترات طويلة الى وقت قريب من الإهمال الذي أدى إلى فقدان مساحات شاسعة منه.

يعد العراق من البلدان الغنية بأراضيه الرطبة المتمثلة بالأهوار التي تمتد من محافظة بابل إلى جنوب العراق، وتعرضت هذه الأهوار إلى عمليات تجفيف قاسية مارسها نظام البعث المقبور لأهداف عسكرية،

و الجفاف الذي تتعرض له دول المنبع للأهوار التي تغذي الأهوار، أدت هذه العوامل عملها في تدهور مساحة الأهوار في سنة ٢٠٠٢ إلى ما نسبته ١٠% من المساحة التي كانت عليها عام ١٩٧٣^(٨).
سنتناول في هذا المبحث موضوع تطبيق العراق لاتفاقية رامسار لسنة ١٩٧١ في مطلبين الأول سنخصصه لانضمام العراق للاتفاقية، وسنتناول في الثاني دور الآليات الوطنية العراقية في تطبيق اتفاقية رامسار لسنة ١٩٧١.

المطلب الأول: إنضمام العراق لاتفاقية رامسار لسنة ١٩٧١

تشكل أهوار العراق منطقة غنية بتنوعها الايكولوجي، وبعد ما تعرضت له من انحسار كبير كان لا بد من العمل على حمايتها وإعادة الحياة لها، وكون جميع الأهوار التي تغذي الأهوار العراقية تأتي من دول الجوار، لذا لا بد أن يكون العمل هذا قانونياً دولياً (معاهدة دولية).

وكون أهم معاهدة عنيت بالأراضي الرطبة - بما فيها الأهوار- هي اتفاقية رامسار لسنة ١٩٧١، فقد انضم العراق لها في سنة ٢٠٠٧، ومع إن هذا الانضمام جاء متأخراً لكن له أهميته، فالانضمام إلى اتفاقية دولية ذات مسار مهم لوضع حد لحالة فقدان في الأراضي الرطبة العراقية، و أيضاً هو ضروري للحفاظ على معيشة السكان المحليين المعرضين للخطر، وحشد التعاون الدولي من اجل الحفاظ على الثروات الحيوانية والنباتية في الأراضي الرطبة ورعايتها، ويمكن الانضمام للاتفاقية العراقية من إبداء آرائه أمام المحافل الدولية، وكذلك تبادل الخبرات، والحصول على النصائح والمشورات من اجل ديمومة الأراضي الرطبة^(٩).

انضم العراق إلى الاتفاقية في سنة ٢٠٠٧ بموجب القانون رقم (٧)، المنشور في مجلة الوقائع العراقية بعددها المرقم ٤٠٣٥ والصادرة بتاريخ ٢٠٠٧/٣/٥^(١٠).

والملاحظ على هذا القانون أنه لم يتضمن إلا مادتين، تضمنت المادة الأولى منه انضمام العراق إلى اتفاقية رامسار لسنة ٢٠٠٧، وبروتوكولها الأول لسنة ١٩٨٢ والثاني لسنة ١٩٨٧. فيما تناولت المادة الثانية نفاذ القانون بنشره بالجريدة الرسمية، ونُشر القانون فعلاً في عدد الوقائع المشار إليه أعلاه، دون أي نصوص أخرى بل وحتى دون أن ترفق معه نصوص الاتفاقية.

بعد ذلك بعدة سنوات، في سنة ٢٠١١، تم نشر نص اتفاقية رامسار للمناطق الرطبة باسم (اتفاقية بشأن الأراضي الرطبة ذات الأهمية الدولية وخاصة بوصفها مألّف للطيور المائية)^(١١).

8 - <https://crim.mowr.gov.iq/ar/node/>

٩ - ندوة بعنوان (اتفاقية رامسار) اقامها فرع القانون الدولي العام جامعة بغداد كلية القانون شارك برئاسة أ.م.د. هادي نعيم المالكي و أ.م.م. زينة رجب حسين في ٢٠١٧/٥/٨. <http://colaw.uobaghdad.edu.iq/?p=1710>.

10 - <http://arb.parliament.iq/archive/2007/03/05/>

١١ - مجلة الوقائع العراقية العدد (٤١٨٩) في ٢٠١١/٥/١٦، ص ١٣-١٩.

في الحقيقة إن في نشر قانون رقم (٧) لسنة ٢٠٠٧ في الجريدة الرسمية دون ذكر لأي مواد قانونية تتعلق بالاتفاقية، مثير للاستغراب، إذ فيه مخالفة للدستور الذي أشار إلى ضرورة نشر القوانين في الجريدة الرسمية ويُعمل بها من تاريخ نشرها^(١٢)، وفي هذه الحالة لم توجد نصوص للعمل بها واقعاً، حيث اقتصر قانون رقم (٧) على مادتين، وجاء نشر نص الاتفاقية بعده بعد أكثر من ثلاث سنوات، هذا من جهة. من جهة أخرى جاء نشر الاتفاقية فقط في سنة ٢٠١١، دون نشر البروتوكولين، فيما سبق إن أشار قانون الانضمام إلى انضمام العراق إلى الاتفاقية وبروتوكوليها.

أما مسألة كفاية نشر الاتفاقية في الجريدة الرسمية، هل هو كافٍ لتطبيقها في داخل الدولة؟ فهذا محل نظر خصوصاً في الدول التي لا تعتنق فكرة وحدة القانونيين (الدولي والداخلي)، وبالتالي فالأمر لا يتوقف عند نشر الاتفاقية في الجريدة الرسمية، بل لا بد من أجل ذلك إصدار قانون يتضمن نصوص الاتفاقية بما يتلاءم مع النظام القانوني للدولة، وايدولوجية الحكم فيها، إذ تأتي المعاهدات الدولية بنصوص عامة متعمدة ترك الخوض في التفاصيل، من أجل إعطاء حرية للدول الأطراف فيها لصياغة قوانين تطبيق المعاهدات بما يتلاءم مع أوضاعها السياسية والقانونية والاقتصادية والاجتماعية^(١٣).

يشار إلى نظام الحماية القانوني في العراق يتضمن قانونين وهي، قانون وزارة البيئة رقم (٣٧) لسنة ٢٠٠٨، وقانون حماية وتحسين البيئة رقم (٢٧) لسنة ٢٠٠٩، يضاف إلى ما تقدم نظام المحميات الطبيعية رقم (٢) لسنة ٢٠١٤، ولو أنه لم يكن أي من هذه التشريعات قد صدر لتنفيذ اتفاقية رامسار لسنة ١٩٧١، لكن تشابه موضوعها مع موضوع الاتفاقية، يجعل منها ذات أهمية، واضحة في تطبيق الاتفاقية.

المطلب الثاني: دور الآليات الوطنية العراقية في تطبيق اتفاقية رامسار لسنة ١٩٧١

نتيجة لتعدد القوانين التي تعنى بالبيئة والمحميات الطبيعية في النظام القانوني العراقي، فقد تعددت وسائل حماية الأهوار، وإن كان هذا التعدد لم يأت في معرض التزام العراق باتفاقية رامسار لسنة ١٩٧١، إلا أنه في النهاية يحقق الهدف ذاته، فيما يتعلق بتطبيق تلك القوانين في مناطق المياه الرطبة العراقية.

لذلك سنتناول هذه الأجهزة التي أنشأتها القوانين العراقية وهي ثلاثة كما يلي:

١٢ - المادة ١٢٩ من دستور جمهورية العراق الدائم لسنة ٢٠٠٥.

١٣ - د. محمد عباس محسن، التنظيم الدستوري للمصادقة على المعاهدات الدولية (دراسة مقارنة)، مجلة كلية الجامعة الإسلامية، العدد ١٤، المجلد ٦، السنة ٢٠١١، ص ٣٣٣. ايضاً أ.د. عامر عياش عبد الجبوري و عدنان ضامن مهدي حبيب، نفاذ المعاهدات الدولية في النظام القانوني العراقي، دراسة في ضوء أحكام دستور ٢٠٠٥، وقانون عقد المعاهدات رقم (٣٥) لسنة ٢٠١٥، مجلة جامعة تكريت، العدد ٢، الجزء ٢، السنة ١، سنة ٢٠١٦، ص ٦٢، ٦٣.

أولاً: مركز إنعاش الأهوار والأراضي الرطبة العراقية:

لا نعدوا الحقيقة إذا قلنا إن من أهم الأعمال التي واجهت الحكومة العراقية فيما يتعلق ببيئة العراق بعد ٢٠٠٣، هو إعادة إحياء الأهوار بعد الخسار كبير للمسطحات المائية، والوزارة المعنية بهذا الدور في الجهاز الحكومي وزارة الموارد المائية، فأنشأت الوزارة مركزاً متخصصاً سمي (مركز إنعاش الأهوار العراقية)، الذي باشر أعماله في ١٦/٩/٢٠٠٣، واستناداً إلى المادة (١٢) من قانون وزارة الموارد المائية رقم (٥٠) لسنة ٢٠٠٨، والمادة (١) من قانون التعديل الأول للقانون أعلاه رقم (٤) لسنة ٢٠١٠، أُنيط بالمركز مهام متعددة، تتعلق بإدارة ومراقبة تنفيذ برامج إنعاش الأهوار، من خلال برامج التعاون والشراكة مع المساهمين المحليين والدوليين والمنظمات الدولية، المتابعة اليومية للنشاطات المتعلقة بإنعاش الأهوار مثل مناسيب المياه، جمع النماذج، نمو النباتات، حركة الناس... الخ، متابعة وتنفيذ المشاريع المائية، مثل إنشاء النواظم والسدادات، إدامة التكامل البيئي، التنسيق مع الدوائر ذات العلاقة والاهتمام بالمواقع الأثرية، السعي لإنشاء نظام بيئي صحي في منطقة الأهوار^(١٤).

في سنة ٢٠١٢ تم تغيير اسم المركز إلى (مركز إنعاش الأهوار والأراضي الرطبة العراقية)، وأصبحت مهام المركز لا تتعلق فقط بمهامه بموجب قانون وزارة الموارد المائية رقم (٥٠) لسنة ٢٠٠٨، بل وانيطت به مهام اضافية تدرج في اطار التزامات العراق بتطبيق اتفاقية رامسار^(١٥).
يدير المركز موظف بدرجة مدير عام يحمل شهادة بكلوريوس في الاختصاص، من ذوي الخبرة والكفاءة، ولديه خدمة لا تقل عن ١٥ سنة^(١٦).

ثانياً: مجلس حماية البيئة وتحسينها:

أنشأ هذا المجلس بموجب قانون حماية وتحسين البيئة رقم ٢٧ لسنة ٢٠٠٩، وهو بموجب القانون أعلاه يرتبط بوزارة البيئة، ويتكون من رئيس ونائب للرئيس وأعضاء، رئيسه وزير البيئة أو من يخوله، ونائبه الوكيل الفني لوزارة البيئة، وأعضاءه ممثلون من جميع الوزارات بدرجة مدير عام، يجتمع المجلس مرة كل شهرين على الأقل، ويتخذ قراراته بأغلبية الأعضاء الحاضرين وعند تساوي الأصوات يرجح جانب الوزير، وهم اختصاصات المجلس تقديم المشورة في الأمور البيئية المعروضة عليه، التعاون مع الوزارة في إعداد برامج حماية الطبيعة، المساهمة في خطط إدارة الكوارث الطبيعية، إبداء الرأي في التشريعات ذات العلاقة، والإشراف

14 - <https://crim.mowr.gov.iq/ar/node/5>

١٥ - قانون التعديل الثاني لقانون وزارة الموارد المائية رقم (٥٠) لسنة ٢٠٠٨، المنشور في جريدة الوقائع العراقية رقم ٤٢٢٩ في

٢٠١٢/٢/٦.

١٦ - المادة ١٠ من قانون وزارة الموارد المائية رقم ٥٠ لسنة ٢٠٠٨ المعدل.

على مجالس حماية وتحسين البيئة في المحافظات، وهذه الأخيرة يرأسها المحافظ، يتولى مجلس حماية وتحسين البيئة تسمية أعضائه^(١٧).

ثالثاً: اللجنة الوطنية للمواقع الطبيعية المحمية:

لتنفيذ قانون حماية وتحسين البيئة رقم ٢٧ لسنة ٢٠٠٩، أصدر مجلس الوزراء النظام رقم ٢ لسنة ٢٠١٤، المسمى نظام المحميات الطبيعية، الذي عرف الأراضي الرطبة بأنها " مناطق المستنقعات والبحيرات والأهوار والأراضي المغمورة بالمياه سواء كانت طبيعية أم صناعية، دائمية أم مؤقتة، جارية عذبة أم مالحة... "(١٨).

وهذه التعريف الوحيد للأراضي الرطبة ترد في التشريعات واللوائح العراقية بحسب اطلاعنا. تشكل هذه اللجنة في وزارة البيئة، برئاسة موظف بدرجة مدير عام، من ذوي الاختصاص يرشحه الوزير، وعضوية موظف لا يقل عنوانه عن مدير من وزارات (الزراعة، التربية، الموارد المائية، وزارة العلوم والتكنولوجيا، وزارة البلديات والأشغال العامة، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، وزارة السياحة والآثار، منظمة غير حكومية ذات علاقة تسميها دائرة المنظمات غير الحكومية في الأمانة العامة لمجلس الوزراء) (١٩).

تتولى اللجنة مهام عديدة أهمها، اقتراح إدراج المناطق المرشحة كمحميات ضمن قائمة وطنية للمحميات وتصنيفها وطنية أو إقليمية أو عابرة للحدود، دراسة الترشيحات للمحميات الوطنية المقدمة من الحكومة أو من سكان المنطقة، إعداد برامج التوعية البيئية بأهمية المحافظة على المحميات الطبيعية، وإشراك المواطنين في حمايتها، وتأسيس - بالتنسيق مع إدارة الموقع الطبيعي - مشاريع بديلة لتعويض السكان في المحميات الطبيعية عن إيراداتهم المؤثرة سلباً على التنوع البيولوجي^(٢٠).

إلى جانب تلك الآليات، أنشأ العراق بموجب اتفاقية رامسار للأراضي الرطبة لسنة ١٩٧١، ثلاث لجان أخرى، اللجنة العلمية والتقنية في وزارة العلوم والتكنولوجيا، تعمل بالتنسيق مع وحدة الاتصالات الوطنية على تنفيذ المشاريع البحثية وجمع البيانات والبحوث، واقتراح حلول للمشاكل البيئية^(٢١)، وايضاً لجنة التثقيف ونشر الوعي تترأس اللجنة شبكة الإعلام العراقية، ومهمتها إشاعة ثقافة بيئية بين المواطنين^(٢٢).

١٧- المواد ٣-٧ من قانون حماية وتحسين البيئة رقم ٢٧ لسنة ٢٠٠٩.

١٨- الفقرة ثالثاً من المادة ١ من قانون حماية وتحسين البيئة رقم ٢٧ لسنة ٢٠٠٩.

١٩- المادة ٢ من قانون حماية وتحسين البيئة رقم ٢٧ لسنة ٢٠٠٩.

٢٠- المادة ٣ من قانون حماية وتحسين البيئة رقم ٢٧ لسنة ٢٠٠٩.

21 - <http://crim.mowr.gov.iq/ar/node/٨٧>

22 - <http://crim.mowr.gov.iq/ar/node/٨٩>

وأخيراً لجنة التنسيق والمراقبة، وهذه تُشكل في وزارة الصحة، وهذه تتولى تنفيذ الأعمال المتعلقة بالمشاريع الرطبة بما فيها رفع الألغام، والمراقبة المستمرة للأراضي الرطبة، وأخيراً تنفيذ برنامج إدارة المحميات في المناطق الرطبة في عموم العراق (٢٣).

الخاتمة

انتهينا بحمد الله من بحثنا هذا، الذي تعرضنا فيه إلى اتفاقية رامسار للأراضي الرطبة، والتي تشكل بحق اتفاقية مهمة دولياً لحماية الأهوار العراقية، وتساهم مساهمة فعالة في المحافظة على حياة الأهوار. تساهم هذه الاتفاقية في دعم دولي لاستمرار وجود الأهوار، بما تفرضه من التزامات متبادلة بين الدول، للمحافظة على المناطق الرطبة، ولو أن الاتفاقية قد خلت من الجزاءات، لكن الأمر لا يخلو من التزام أدبي وأخلاقي على عاتق الدول الأطراف، وإلا ما سبب انضمامها للاتفاقية. وندرج أدناه أهم النتائج والتوصيات التي انتهينا لها من خلال هذا البحث.

النتائج:

- ١- على الرغم من انضمامه لاتفاقية رامسار، لا زال العراق لم يصدر قانوناً يُنزل فيه نصوص الاتفاقية الدولية منزل التشريع الداخلي، رغم ضرورة وجود هكذا تشريع لضمان التنفيذ الفعال لاتفاقية رامسار داخل العراق.
- ٢- لا زال العراق منظماً للاتفاقية فقط دون البروتوكولين الملحقين بها، والاتفاقية تنحصر - كما تقدم- على أهمية وحماية الأراضي الرطبة باعتبارها موئلاً للطيور، فيما وسع البروتوكولين هذه الحماية لتشمل جميع أنواع الحياة في تلك المناطق.
- ٣- تعدد الأطر القانونية وتداخل الاختصاصات، إذ إن حماية الأراضي الرطبة في العراق تخضع لعدة قوانين (قانون وزارة البيئة، قانون حماية وتحسين البيئة، نظام المحميات الطبيعية)، ما أدى إلى تعدد الأجهزة المعنية وتداخل الصلاحيات بينها، وهو ما قد يسبب فراغاً تشريعياً أو تضارباً مؤسسياً.
- ٤- ضعف تطبيق الآليات الوطنية، فالأجهزة الوطنية (مركز إنعاش الأهوار ومجالس حماية البيئة) موجودة من الناحية الشكلية، لكنها ضعيفة الأداء وغير مفعلة فعلياً في الميدان البيئي.
- ٥- ضعف الوعي البيئي والإعلامي، على الرغم من إدراج الأهوار العراقية ضمن قائمة التراث العالمي عام ٢٠١٦، بقي الوعي الشعبي والإعلامي بحماية الأراضي الرطبة محدوداً ولم يُستثمر هذا الاعتراف الدولي بشكل مستدام.

التوصيات:

- نتقدم بعد بحثنا المتواضع هذا إلى تقديم التوصيات أدناه، آمليين أن تجد طريقها إلى الحكومة العراقية، لحماية أفضل للمناطق الرطبة العراقية:
- ١- نوصي المشرع العراقي بضرورة إصدار قانون خاص بحماية الأراضي العراقية، يتيح تطبيق أفضل لاتفاقية رامسار داخل العراق، إذ لا يكفي نشر الاتفاقية في الجريدة الرسمية، خصوصاً أن نشر الاتفاقية جاء بعد أكثر من ثلاث سنوات على إصدار قانون الانضمام لها.
 - ٢- أن يصدر قانوناً بانضمام العراق للبروتوكولين الملحقين بالاتفاقية، خصوصاً أنهما يوسعان من نطاق تطبيق الاتفاقية كما أوضحنا في محله.
 - ٣- لا زالت الأجهزة المنشأة بموجب القوانين غير فعالة، فمثلاً لم نجد مجالس حماية وتحسين البيئة في المحافظات أي دور في حماية الأراضي الرطبة، من قبيل إقامة الندوات، أو الحملات التوعوية وغيرها.
 - ٤- لا زال الإعلام ونشر الوعي البيئي وحماية الأهوار دون المستوى المرجو، رغم تعدد الأجهزة التي تُعنى بالبيئة وحماية الأراضي الرطبة، حتى بعد إدراج الأهوار في قائمة التراث العالمي للبرية، لم يتعد الأمر احتفالية وحملات إعلامية وقت الإدراج، وتوقف بعدها.
 - ٥- يمكن استثمار ادخال الأهوار في لائحة التراث الإنساني العالمي كوسيلة ضغط على دول المنبع، تركيا وإيران، لزيادة الاطلاقات المائية للعراق، وانعاش الأهوار من تلك الاطلاقات، كونهما من اطراف اتفاقية حماية التراث العالمي الثقافي والطبيعي لسنة ١٩٧٢، وملزمان بالمحافظة على هذا التراث، الذي تعد الأهوار من مصاديقه، وبالتالي تقليل حصة العراق المائية يعرض الأهوار لخطر التلاشي، وهو اخلال لالتزامات تلك الدول بنصوص الاتفاقية أعلاه.
 - ٦- إنشاء قاعدة بيانات وطنية للأراضي الرطبة، لجميع الأراضي التي لازالت غنية بالمياه او على الأقل التي لازالت لم تحف، وتلك المهتدة بالجفاف، واخيراً ماجف منها، لتوثيق حالة الأهوار والأنظمة البيئية المرتبطة بها، بما يعزز من التقارير الدورية المقدمة إلى مؤتمر الأطراف في رامسار.

المصادر:

أولاً:

الدستور العراقي لعام ٢٠٠٥

ثانياً: المعاهدات الولية والتشريعات العراقية:

- ١- نصوص ومواد اتفاقية رامسار للأراضي الرطبة لعام ١٩٧١
- ٢- امانة اتفاقية رامسار، دليل لاتفاقية رامسار بشأن الأراضي الرطبة (الاصدار الرابع)، ٢٠٠٧.
- ٣- قانون التعديل الثاني لقانون وزارة الموارد المائية رقم (٥٠) لسنة ٢٠٠٨، المنشور في جريدة الوقائع العراقية رقم ٤٢٢٩ في ٤/٢/٢٠١٢.
- ٤- قانون حماية وتحسين البيئة رقم ٢٧ لسنة ٢٠٠٩.

ثالثاً: البحوث المنشورة:

١. د. عامر عياش عبد الجبوري و عدنان ضامن مهدي حبيب، نفاذ المعاهدات الدولية في النظام القانوني العراقي، دراسة في ضوء أحكام دستور ٢٠٠٥، وقانون عقد المعاهدات رقم (٣٥) لسنة ٢٠١٥، مجلة جامعة تكريت، العدد ٢، الجزء ٢، السنة ١، سنة ٢٠١٦
٢. د. محمد عباس محسن، التنظيم الدستوري للمصادقة على المعاهدات الدولية (دراسة مقارنة)، مجلة كلية الجامعة الإسلامية، العدد ١٤، المجلد ٦، السنة ٢٠١١.

رابعاً: الندوات العلمية:

- ١- ندوة بعنوان (اتفاقية رامسار) اقامها فرع القانون الدولي العام جامعة بغداد كلية القانون شارك برئاسة أ.م.د. هادي نعيم المالكي و م.م. زينة رجب حسين في ٨/٥/٢٠١٧.

خامساً: المواقع الالكترونية:

- 1- <http://crim.mowr.gov.iq/ar/node/>
- 2- [http://crim.mowr.gov.iq/ar/node.](http://crim.mowr.gov.iq/ar/node/)
- 3- <http://colaw.uobaghdad.edu.iq/?p>
- 4- <http://arb.parliament.iq/archive/>
- 5- <https://www.mohamah.net/law/>
- 6- <https://crim.mowr.gov.iq/ar/node>

اثر التسويق الاجتماعي على رضا الضيف " دراسة تحليلية لعدد من السياح
في الشركات السياحية في مدينة النجف الاشرف "

The impact of social marketing on guest satisfaction
"An analytical study of a number of tourists in tourism
companies"

م.م. رسول مصطفى علي^(١)

Asst. Lect. Rasool Mustafa Ali

الملخص

على الرغم من تطور الشركات من خلال التقدم التكنولوجي، فلا يزال البحث جارياً حول معرفة دور التسويق الاجتماعي في تحقيق رضا الضيوف من قبل هذه الشركات، وان مشكلة الدراسة في معرفة: أثر التسويق الاجتماعي على تحقيق رضا الضيوف. وتتجلى أهمية الدراسة الحالية لبيان دور التسويق الاجتماعي هو حلقة الوصل بين إدارة الشركة والعميل، لذا فالتسويق يلعب دوراً أساسياً وفعالاً في التعريف بالمنتج وجذب العميل له مما يؤدي إلى نجاح العملية التسويقية. وجاءت فرضية الدراسة: هناك أثر ذو دلالة إحصائية للتسويق السياحي على رضا الضيف. وكانت عينة الدراسة ٢٢٢ عينة.

الكلمات المفتاحية: التسويق الاجتماعي، التسويق الأخلاقي، رضا الضيف، سلوك الضيف.

Abstract

Despite the development of companies through technological advances, research is still ongoing on the role of social marketing in achieving guest

١- جامعة كربلاء- كلية الطب Rasool.m.ali@uokerbala.edu.iq

satisfaction by these companies, and the issue of the study is to find out: The impact of social marketing on achieving guest satisfaction. The importance of the current study is the role of social marketing is the link between the management of the company and the customer, so marketing plays an essential and effective role in introducing the product and attracting the customer to it, which leads to the success of the marketing process. The hypothesis of the study came: There is a statistically significant effect of tourism marketing on guest satisfaction. The sample size of the study was 222.

Keywords: Social marketing, ethical marketing, Guest satisfaction, Guest behavior.

المقدمة

يعد رضا الضيف عنصراً حاسماً في نجاح أي عمل تجاري (سياحي)، كما إن المزيج التسويقي يتحقق من خلال رضا الضيف عن المنتجات والخدمات، وبالتالي تحدد نسبة التسويق الاجتماعي حسب التصورات التي يتبناها الضيف عن منتجاتها، الأمر الذي دعا المنظمات والشركات السياحية بمختلف أنواعها الإنتاجية والخدمية إلى اعتماد نظم وأساليب متطورة من أجل تحقيق رضا الضيف. ويهدف التسويق الاجتماعي إلى نشر المبادئ الإيجابية والقيم في المجتمع ويساهم في رفاهية ورفع مستوى معيشة المجتمع ككل، وفي دفع عجلة التنمية الاقتصادية من خلال تعزيز قدرات الاقتصاد وتحديد الفرص التسويقية، والعمل على ترويج تلك الفرص، فقد أصبح التسويق مفيداً لكافة المؤسسات سواء التي تهدف إلى الربح أو التي لا تهدف إلى الربح.

منهجية الدراسة

أولاً: مشكلة الدراسة:

على الرغم من تطور الشركات من خلال التقدم التكنولوجي، فلا يزال البحث جاريًا حول معرفة دور التسويق الاجتماعي في تحقيق رضا الضيوف من قبل هذه الشركات، وتسعى الشركات من خلال تعزيز صورتها الذهنية والقيام بمهام اجتماعية إيجابية، إلا أن مدى تأثير هذه الأفعال على الضيوف لا يزال غير واضح بشكل كافٍ، خصوصاً في ظل التباين في وعي الضيوف واتجاهاتهم نحو القيم الاجتماعية والإنسانية التي تتبناها المؤسسات. وتبرز المشكلة في غياب دراسات ميدانية كافية تُمكن من معرفة ما إذا كان: تطبيق استراتيجيات التسويق الاجتماعي يؤدي فعلاً إلى رفع مستويات رضا الضيف؟، أم أن هذا الرضا يعتمد أكثر على عوامل تقليدية مثل جودة الخدمة والسعر؟ وفي ضوء ما سبق يمكن تحديد مشكلة الدراسة في معرفة: أثر التسويق الاجتماعي على تحقيق رضا الضيوف.

ثانياً: أهمية الدراسة:

تتجلى أهمية الدراسة الحالية من خلال ما يأتي:

- يلعب التسويق الاجتماعي دوراً أساسياً وفعالاً في تحقيق رضا الضيف.
- التسويق الاجتماعي هو حلقة الوصل بين إدارة الشركة والعميل، لذا فالتسويق يلعب دوراً أساسياً وفعالاً في التعريف بالمنتج وجذب العميل له مما يؤدي إلى نجاح العملية التسويقية.
- يساعد التسويق الاجتماعي على تلبية احتياجات العميل وإدراكه حتى يقبل على شراء الخدمة التي يحتاج إليها.

ثالثاً: اهداف الدراسة:

تهدف الدراسة الحالية إلى تحقيق الأهداف التالية:

- توضيح ماهية التسويق الاجتماعي؟، رضا الضيف
- تقديم بعض المقترحات التي يمكن أن تساهم في تحقيق رضا الضيف في الشركات السياحية.
- معرفة أثر التسويق الاجتماعي في تحقيق رضا الضيف في عدد من الشركات السياحية في محافظة النجف الاشرف.

رابعاً: منهج الدراسة:

استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي في الإجابة عن تساؤلات الدراسة وفي اختبار فروض الدراسة. وتم جمع البيانات بواسطة قائمة استقصاء تم توزيعها على عينة عشوائية من الضيوف في عدد من الشركات السياحية في مدينة النجف.

خامساً: فرضيات الدراسة:

تنص الفرضية الرئيسية على أن: هناك أثراً ذا دلالة إحصائية للتسويق السياحي على رضا الضيف. وعليه تتفرع من الفرضية الرئيسة فرضيتان، هما:

❖ H0: ليس هناك تأثير ذو دلالة احصائية للتسويق السياحي في رضا الضيف.

❖ H1: هناك تأثير ذو دلالة احصائية للتسويق الاجتماعي في رضا الضيف.

سادساً: مجتمع الدراسة وعينته:

سيكون مجتمع الدراسة هو ضيوف الشركات السياحية في مدينة النجف الاشرف، وهو مجتمع محدود يمكن حصر المفردات الخاصة به. ونظراً لصعوبة الوصول إلى جميع مفردات المجتمع، تم توزيع ٢٥٠ استمارة استبيان عليهم. وتم إهمال ٢٨ استمارة بسبب عدم صلاحيتها وفقدان بعضها، اذ يكون العدد الكلي لعينة الدراسة هو ٢٢٢.

الجانب النظري

أولاً: مفهوم التسويق الاجتماعي:

عرفت جمعية التسويق الأمريكية في عام ١٩٨٥ التسويق بأنه " العمليات المتعلقة بتخطيط وتنفيذ المفاهيم المتعلقة بالتسعير، الترويج والتوزيع للأفكار والسلع والخدمات، وذلك لتحقيق عمليات التبادل باتجاه ارضاء الأفراد ومقابلة اهداف المنظمة " (البكري، ٢٠١٥: ٢٥)، كما عرف التسويق بأنه " عملية ادارية واجتماعية يستطيع من خلالها الافراد او الجماعات الحصول على ما يحتاجونه ويرغبون به من منتجات من خلال عمليات التبادل لهذه المنتجات والقيم فيما بينهم " (Kotler, 2003:9)

التسويق الاجتماعي هو حملة تغيير اجتماعية تنظمها مجموعة من الافراد والتي يطلق عليها اسم القائم على حملات التسويق الاجتماعي، بهدف اقناع الاخرين وهم الجمهور المستهدف بقبول وتغيير او التخلي عن سلوكيات، عادات، أفكار معينة (kolodinsky , ٢٠٠٩ : ١١٢). وهو " تخطيط وتطبيق ورقابة برامج، الغرض منها التأثير على مدى قبول أفكار اجتماعية مع الاخذ في الاعتبار استراتيجيات تخطيط السلعة، السعر، الترويج، الإعلان، بحوث التسويق (حرب , ١٩٩٩ : ١٥).

كما هو عملية تسويق أفكار واطروحات تهدف الى تغيير السلوك بشكل طوعي باستخدام تقنيات وأساليب تسويقية موجه بالمجتمع، والتعاون مع صناعات القرار والمتخصصين والمهتمين من خلال برامج تهدف الى أحدث تغييرات سلوكية على مستوى الفرد والمجتمع (العلاق، ٢٠١١ : ٢٣٥).

كما يعرف التسويق الاجتماعي " بأنه وظيفة إدارية تشمل مجموعة من الأنشطة المتكاملة التي تسبق إنتاج الخدمة وتبذل بعد إنتاجها في إطار علاقة تبادل تتأثر بظروف البيئة بهدف انتقال وتدقيق الخدمات من مركز إنتاجها إلى مستخدميها أو مستهلكيها النهائيين للوصول إلى درجة الإشباع، ولتحقيق ذلك فإن التسويق يسعى إلى تقويم المنظمة الاجتماعية بأسلوب يعكس رغبات وحاجات العملاء والتطوير والتقييم الدائمين للخدمات التي تقدم (علي، ٢٠١٣ : ٤٠).

ثانياً: أهمية التسويق الاجتماعي:

يمثل التسويق الاجتماعي المفهوم الاحداث في فلسفة إدارة التسويق كونه يمثل عملية ديناميكية للمؤسسات، والتي تحدث التكامل في منتجاتها وخدماتها واهداف وقيم المجتمع (شاهد، ٢٠١٤ : ٩٨). وتتحدد أهمية التسويق الاجتماعي على النحو الاتي (شريف، ١٩٩٩ : ١٣):

- التسويق يحسن ويطور من مستوى رضا العملاء تجاه الخدمات الاجتماعية المقدمة من المنظمات او المؤسسات الاجتماعية.

- يحقق الرقي بالمستوى للكوادر الموجودة بالمنظمات السياحية.

- تساعد المنظمات على تصميم وطرح الخدمات المميزة للعملاء بأساليب وطرق جديدة.
 - تحقق الاتصال بالضيوف واشراكهم في مراحل صناعة الخدمات السياحية بالمنظمات السياحية.
 - تحقق القدرة التنافسية للمنظمة السياحية في التواجد بين المنظمات الأخرى في السوق.
- وايضاً يهدف التسويق الاجتماعي الي تقديم الخدمات التي تتناسب مع المستفيدين ويساعد المؤسسة على صياغة إطار العمل بالإضافة إلى المنهج المنظم للبحث عن الحاجات الفعلية للعملاء (Kinesy,2003,p,15).

ثالثاً: مفهوم رضا الضيف:

- رضا الضيوف: الرضا Satisfaction بصفة عامة هو شعور الإنسان بالارتياح النفسي والسرور والطمأنينة الذي يصاحب تحقيق الاهداف، كالرضا الناتج عن تحقيق الإنسان هدفاً من أهدافه سواء في الحياة أو العمل، كذلك الرضا: هو حالة نفسية يشتهر بها الفرد وفقاً لدرجة إشباع حاجاته، فكلما زادت هذه الدرجة زاد الرضا لديه (أبو النصر، ٢٠٢٢ : ١٠٠) ومصطلح رضا العملاء Client Satisfaction أو رضا المستهلكين Consumer Satisfaction أو رضا الزبائن / الضيوف له تعريفات عديدة منها:
- رد فعل عاطفي ناتج عن شعور الضيف أو المستفيد بأن تفاعله مع المنظمة وفر له ما ينشده أو ما يتوقعه بدرجة (الياس , ٢٠٢٠ : ٨٩).
 - هو مستوى من إحساس الفرد الناتج عن المقارنة بين أداء المدرك وتوقعاتها (صحن، ٢٠٠٢ : ٧١).
 - رضا الزبون / الضيف: انه " درجة إدراك الزبون / الضيف مدى فعالية المؤسسة في تقديم المنتجات التي تلبى احتياجاته ورغباته" (كوشي، ٢٠١٧ : ٤١).
 - رضا الزبون: هو " الموقف أو الاتجاه الايجابي نحو مقدم الخدمة أو رد فعل عاطفي للفرق بين ما توقع الزبون وبين ما تحصل عليه فعلا فيما يخص تحقيق بعض الحاجات الأهداف أو الرغبات" (بوزيان، ٢٠١٣ : ٥٨).

رابعاً: أهمية رضا الضيف:

لرضا الزبون / الضيف أهمية بالغة بالنسبة للمنظمة السياحية حيث إنها على اتصال دائم به واعتباره العنصر الرئيسي لتحقيق كافة الاهداف مما يؤدي إلى تحقيق الأرباح، إذ تكمن أهمية رضا الزبون فيما يلي (بورتاز، ٢٠٢١: ٣٧٨) (بن الشيخ، ٢٠٢١: ٤٥٨):

- ١- تحقيق ميزة تنافسية في سوق شديد التنافسية التقرب والتعرف أكثر على زبائننا المرشحين لان رضا الزبائن يساهم في تعظيم أرباح المؤسسة.
- ٢- جذب ضيوف جدد يضمن الاستمرار في التعامل مما يؤدي إلى تخفيض تكاليف التحول إلى المؤسسة المنافسة.
- ٣- رسم برنامج وخطط العمل بالمؤسسة.
- ٤- خلق الولاء من قبل الضيف المؤسسة.
- ٥- تطوير جودة المنتج وتحقيق ميزة تنافسية من خلال إشباع حاجات الضيف ورغباته.
- ٦- نجاح المؤسسة في تحقيق الأرباح من خلال إشباع حاجات الضيوف.
- ٧- يساعد في فهم تصرفات الشرائية للفرد سلبا أو إيجابيا.

الجانب الميداني

اولاً: المعلومات التعريفية:

١- الوضعية المهنية:

جدول ١: العينة حسب الوضعية المهنية

الوضعية المهنية	التكرارات	النسبة المئوية %
الموظفين	١٢٢	%٥٥
المهن الحرة	٤٣	%١٩,٤
بدون عمل ثابت	٥٧	%٢٥,٧
المجموع	٢٢٢	%١٠٠

المصدر إعداد الباحث

من خلال الجدول أعلاه نلاحظ أن النسبة الأكبر للموظفين بنسبة ٥٥ % وتكرار 122، وتليها فئة بدون عمل ثابت بنسبة ٢٥,٧% وتكرار ٥٧، ثم فئة المهن الحرة بتكرار ٤٣ وبنسبة ١٩,٤%، وهذا يعني أن العينة تتميز بكونها من طبقة الموظفين.

٢- المستوى التعليمي:

جدول ٢: العينة حسب المستوى التعليمي

النسبة المئوية %	التكرارات	المستوى التعليمي
٢٤,٣%	٥٤	الشهادات العليا
١٨,٩%	٤٢	اقل من الاعدادية
٥٦,٨%	١٢٦	البكالوريوس
١٠٠%	٢٢٢	المجموع

المصدر: إعداد الباحث

من خلال الجدول نلاحظ أعلاه أن معظم أفراد العينة من مستوى البكالوريوس ٥٦,٨%، يليها الشهادات العليا ٢٤,٣%، وفي المرتبة الأخيرة الاعدادية فما دون ١٨,٩%، وهذا يعني أن العينة تتميز بكونها متعلمة و مثقفة.

ثانيا: تحليل آراء العينة حول متغيرات الدراسة:

١ - تحليل اجابات العينة حول المتغير المستقل (التسويق الاجتماعي)

جدول ٣: المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لمتغير التسويق الاجتماعي ودرجة موافقة العينة على

كل سؤال

رقم السؤال	الأسئلة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الموافقة
١	توفير الموارد المالية اللازمة للقيام بالخطة التسويقية بشكل كامل	٢,٩٥	١,٣٦	متوسطة
٢	توفير الامكانيات البشرية والفنية اللازمة للقيام بالتسويق الاجتماعي	٣,١٤	١,٢١	متوسطة
٣	توفير المعلومات اللازمة عن العملية التسويقية	٣,٢٨	١,٢٣	متوسطة
٤	اهتمام القائمين على التسويق الاجتماعي بالمضمون الحقيقي للبرامج والخدمات المقدمة دون الاهتمام بالربح المادي فقط الاهتمام بتحقيق الأهداف التي يسعى إليها التسويق الاجتماعي من قبل القائمين عليه	٣,٣٢	١,٢٢	متوسطة
٥	تقليل الاهتمام بالجوانب المظهرية والإعلانية وزيادة التركيز على الأهداف المحددة للتسويق الاجتماعي	٢,٩١	١,٣١	متوسطة
	المجموع الكلي	٣,١٢	٠,٦٢	متوسطة

المصدر: إعداد الباحث

من خلال الجدول أعلاه نلاحظ أن المتوسط الحسابي الكلي لمتغير التسويق الاجتماعي بلغ ٣,١٢ الذي ينتمي إلى الفئة التي تعكس درجة استجابة متوسطة وفقاً لسلم ليكرات الحماسي وذلك بانحراف معياري ٠,٦٢، يدل على أن أفراد عينة الدراسة موافقون نسبياً على عبارات هذا المتغير. انخفاض قيمة الانحرافات المعيارية وابتعادها عن المتوسطات الحسابية دليل على اتفاق إجابات أفراد عينة الدراسة حول العبارات المختلفة لهذا المتغير ويمكن القول إن للتسويق الاجتماعي دوراً متوسطاً في رضا الضيف.

٢- تحليل آراء مفردات العينة حول المتغير التابع (رضا الضيف):

جدول ٤: المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لمتغير رضا الضيف ودرجة موافقة العينة على كل

سؤال

رقم السؤال	الأستئلة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الموافقة
١	أفضل العروض التي تقدمها الشركات السياحية	٣,٥٥	١,٢٥	مرتفعة
٢	راضي على الخدمات الخيرية التي تقدمها الشركات السياحية	٣,٥٧	١,١٨	مرتفعة
٣	يتفهم موظفي الشركات احتياجاتي دائماً ويسعون لتحقيقها	٣,٦٣	١,٢١	مرتفعة
٤	تسعى الشركات إلى بناء صورة جيدة أمام الزبائن (الضيوف)	٣,٦٤	١,١٧	مرتفعة
٥	اشعر أنني أحسنت الاختيار بالتعامل مع الشركات السياحية وان خدماتهم تفوق توقعاتي	٣,٣٩	١,٢٣	متوسطة
	المجموع	٣,٤٤	٠,٧٠	مرتفعة

المصدر: إعداد الباحث

بلغ المتوسط الحسابي لجميع عبارات متغير رضا الضيف ٣,٤٤ والذي ينتمي إلى الفئة التي تعكس درجة استجابة مرتفعة وفقاً لسلم ليكرات الحماسي، وذلك بانحراف معياري ٠,٧٠، ما يدل على أن أفراد عينة الدراسة موافقون على عبارات هذا المتغير. انخفاض قيمة الانحراف المعياري وابتعاده عن المتوسط الحسابي يدل على اتساق إجابات عينة الدراسة حول العبارات المختلفة لهذا المتغير.

تباين آراء أفراد العينة حول عبارات متغير رضا الضيف بين:

✓ درجة موافقة مرتفعة للأستئلة: ١ , ٢ , ٣ , ٤ .

✓ درجة موافقة متوسطة للأستئلة: ٥ .

ثالثاً: اختبار الفرضيات:

اختبار الفرضية الرئيسية: يساهم التسويق الاجتماعي على رضا الضيف.
تنص الفرضية على أن: هناك أثراً ذا دلالة إحصائية للتسويق السياحي على رضا الضيف، وسيتم اختبار هذه الفرضية باستخدام أسلوب الانحدار البسيط الخطي لمعرفة تأثير التسويق الاجتماعي في رضا الضيف. وعليه تتفرع من الفرضية الرئيسية فرضيتين، هما:

- ❖ H0: ليس هناك تأثير ذو دلالة إحصائية للتسويق السياحي في رضا الضيف.
- ❖ H1: هناك تأثير ذو دلالة إحصائية للتسويق الاجتماعي في رضا الضيف.

جدول ٥: تحليل الانحدار لاختبار الفرضية

المتغير	معاملات غير موحدة		معاملات موحدة	t المحسوبة	sig
	معامل الانحدار B	الخطأ المعياري	B		
الثابت	٢,٠٨	٠,٢٠		١٠,٢٨	٠,٠٠٠
الأمن النقائي والسياحي	٠,٤١	٠,٠٦	٠,٤٢	٦,٨٦	٠,٠٠٠

<p>قيمة $F = 47,13$ مستوى المعنوية $Sig = 0,00$ عند $\infty = 0,05$</p>	<p>معامل التحديد $R^2 = 0,17$ معامل الارتباط $r = 0,42$</p>
--	---

المصدر: إعداد الباحث

يظهر من الجدول أن القدرة التفسيرية لنموذج الانحدار والمتمثلة في معامل التحديد R^2 قد بلغت قيمتها ٠,١٧ وهو يشير إلى مساهمة المتغير المستقل: التسويق الاجتماعي في تفسير التغيرات التي تحدث في المتغير التابع: رضا الضيف بنسبة ١٧ %، وأن باقي النسب والمقدرة بنسبة ٨٣ % من التأثير في المتغير التابع ترجع إلى عوامل أخرى غير عامل التسويق الاجتماعي. معامل الارتباط r : بلغت قيمة معامل الارتباط ٠,٤٢ وهي قيمة موجبة، ما يدل على وجود علاقة ارتباط موجبة بين المتغير المستقل التسويق الاجتماعي والمتغير التابع رضا الضيف. معنوية نموذج الانحدار F : بلغ $F=47,13$ ومستوى المعنوية $Sig=0,000$ وهي أصغر من مستوى المعنوية المعتمد $\infty = 0,05$ ما يشير إلى معنويتها إحصائياً، أي أن تأثير المتغير المستقل التسويق الاجتماعي على المتغير التابع: رضا الضيف معنوية ذو دلالة إحصائية. معامل الانحدار B : بلغ قيمة معامل الميل (معامل الانحدار) والتي تمثل المتغير المستقل ٠,٤١، ما يشير إلى علاقة إيجابية بين المتغيرين إحصائياً، وقد ظهر مستوى المعنوية $Sig=0,00$ وهي أصغر من مستوى المعنوية المعتمد $\infty = 0,05$ ، ما

يشير إلى معنويتها إحصائياً كما أن معملية التقاطع (الحد الثابت) قد بلغت ٢,٠٨ بمستوى معنوية ٠,٠٠٠ وهي أقل من ٠,٠٥ ما يشير إلى معنويتها إحصائياً. وبناء على ما سبق من التحليل لنتائج الاختبار التي عرضها الجدول فإنه يتم رفض الفرضية الصفرية H_0 وقبول الفرضية البديلة H_1 ، التي تنص: هناك أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى المعنوية المعتمد للتسويق الاجتماعي في رضا الضيف.

الاستنتاجات والتوصيات

الأول: الاستنتاجات.

- ١- يعد رضا الضيف عنصراً حاسماً في نجاح أي عمل تجاري (سياحي) كما إن المزيج التسويقي يتحقق من خلال رضا الضيف عن المنتجات والخدمات.
- ٢- التسويق يحسن ويطور من مستوى رضا العملاء اتجاه الخدمات الاجتماعية المقدمة من المنظمات او المؤسسات الاجتماعية.
- ٣- تميزت العينة للدراسة الحالية بكونها من طبقة الموظفين.
- ٤- تميزت العينة للدراسة الحالية بكونها متعلمة ومثقفة.
- ٥- أن للتسويق الاجتماعي دوراً متوسطاً في رضا الضيف.
- ٦- تم رفض الفرضية الصفرية H_0 وقبول الفرضية البديلة H_1 ، التي تنص: هناك أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى المعنوية المعتمد للتسويق الاجتماعي في رضا الضيف.

الثاني: التوصيات

يمكن تقديم المقترحات الآتية التي يمكن أن تزيد من أثر التسويق الاجتماعي في تحقيق رضا الضيوف في شركات السياحة:

- ١- ضرورة سرعة التعامل مع شكاوى العملاء (الضيوف) والرد عليها. وعمل حلول احتياجات ورغبات الضيوف المتجددة وكذلك للتعرف أكثر على المتغيرات المؤثرة عليهم.
- ٢- زيادة الاهتمام برضا العملاء عن الخدمات التي تقدمها شركات السياحة.
- ٣- الحرص على تحقيق الشفافية والمصادقية في المعلومات المقدمة للعملاء (الضيوف) من قبل شركات السياحة.
- ٤- تعزيز برامج المسؤولية الاجتماعية: على المؤسسات الفندقية والسياحية تبني مبادرات مجتمعية واضحة (مثل دعم البيئة، أو المبادرات الخيرية) والترويج لها بما ينعكس إيجاباً على رضا الضيف وصورته عن المؤسسة.

- ٥- إدماج القيم الاجتماعية في استراتيجيات التسويق: ضرورة ربط الحملات التسويقية بالقيم الإنسانية مثل الاستدامة، الاهتمام بالمجتمع المحلي، والحفاظ على الموارد الطبيعية، مما يعزز انتماء الضيف ورضاه.
- ٦- رفع وعي الضيوف بالممارسات الاجتماعية: من خلال حملات إعلامية وإعلانات داخلية وخارجية توضح جهود المؤسسة في مجال التسويق الاجتماعي، حتى يدرك الضيف قيمة هذه الممارسات.
- ٧- التوازن بين جودة الخدمة والتسويق الاجتماعي: رغم أهمية التسويق الاجتماعي، إلا أن رضا الضيف يبقى مرتبطاً أيضاً بجودة الخدمات المقدمة، لذلك يجب الموازنة بين الاثنين.
- ٨- تدريب العاملين: الاستثمار في تدريب الموظفين على كيفية توصيل قيم التسويق الاجتماعي للضيف بطريقة عملية، مما يعزز العلاقة الإيجابية بين الضيف والمؤسسة.
- ٩- بناء شراكات مجتمعية: تشجيع المؤسسات السياحية على التعاون مع منظمات المجتمع المدني والهيئات البيئية، لإظهار التزامها الاجتماعي بشكل أوضح.
- ١٠- إجراء دراسات دورية: تقييم أثر مبادرات التسويق الاجتماعي باستمرار لمعرفة مدى انعكاسها على رضا الضيف وإجراء التعديلات اللازمة.

المصادر

أولاً. المصادر العربية

أ. الكتب

- ١- البكري، ثامر، ادارة التسويق، الطبعة الخامسة، اثناء للنشر والتوزيع، عمان، الاردن، ٢٠١٥.
- ٢- العلاق، بشير عباس محمود، (٢٠١١)، التسويق الاجتماعي، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، جامعة الدول العربية.
- ٣- الياس، طارق، (٢٠٢٠)، التسويق الفعال لمواجهة تحديات السوق، المجموعة العربية للتدريب والنشر، القاهرة.
- ٤- حرب، بيان هاني، (١٩٩٩)، مبادئ التسويق، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، الأردن.
- ٥- صحن، محمد فريد، (٢٠٠٢)، قراءات في إدارة التسويق، دار جامعة مصر، مصر.
- ٦- على، ماهر أبو المعاطي (٢٠١٣)، الاتجاهات الحديثة في تسويق الخدمات الاجتماعية وتكنولوجيا المعلومات " أسس نظرية ونماذج تطبيقية ودراسات ميدانية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية.

ب. الرسائل والاطاريح الجامعية

- ١- بوزيان، حسان، (٢٠١٣)، إثر جودة الخدمة على رضا الزبون " دراسة ميدانية على مؤسسة اتصالات الجزائر في مدينة العلمية سطيف"، رسالة ماجستير، جامعة سعد حلب البلده.
- ٢- كوشي، خديجة، (٢٠١٧)، محددات جودة الخدمة الفندقية ودورها في تحديد درجة رضا الزبائن حالة مؤسسه فندقية بالجزائر، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر.

ج. الدوريات

- ١- أبو النصر، مدحت محمد، (٢٠٢٢)، التسويق الاجتماعي، مجلة القاهرة للخدمة الاجتماعي، العدد ٣٤.
- ٢- بن الشيخ، بعد الوهاب، طوال هيبه، (٢٠٢١)، إثر جودة الخدمات في تحقيق رضا الزبون، دراسة ميدانية لمؤسسة اتصالات الجزائر، مجلة بوابة المنبعا جامعة الجلفة (اقتصاد وتسيير)، العدد ١.
- ٣- بورتاز، حياة برجم حنان، (٢٠٢١)، مساهمة إدارة العلامة مع الزبون الكتروني، مجلة أبحاث اقتصادية، العدد ٢.

٤- شاهد، الياس، (٢٠١٤)، التسويق الاجتماعي كألية لتعزيز المسؤولية الاجتماعية في المنظمة، مجلة رؤى اقتصادية، العدد ٦.

٥- شريف، شريف احمد، (١٩٩٩)، استخدام المنهج السلوكي لتجزئة السوق في مجال التسويق الاجتماعي، مجلة البحوث التجارية، العدد ٢١.

ثانياً. المصادر الأجنبية

1. Kinsey, Joanne (2003). Marketing in developing countries, Macmillan education.
2. Kolodinsky, J. Reynolds, T (2009). Segmentation of overweight Americans and opportunities for social marketing international, journal of behavioral nutrition physical activity, vol 6.
3. Kotler, Philip, Marketing **Management**: Analysis, Planning, Implementation and Control, 11th Ed., The Millennium, 2003

دور التدقيق الرشيق في تعزيز جودة التقارير المالية

The Role of Lean Auditing in Enhancing the Quality of Financial Reporting

م.م. علي مرزه العيساوي^(١)

Asst. Lect. Ali Marzah Al-Issawi

الملخص

يهدف هذا البحث إلى دراسة دور التدقيق الرشيق في تعزيز جودة التقارير المالية في سوق العراق للأوراق المالية، وذلك عبر توظيف المنهج الوصفي التحليلي وتحليل البيانات باستخدام برنامج (SPSS). اعتمد الباحث على استبانة وُزعت على العاملين في دوائر التدقيق الداخلي والمالية في مؤسسات السوق، مع الاقتصار في العينة التطبيقية على قطاع المصارف، حيث تم توزيع (١٥٠) استبانة على مجتمع الدراسة. وقد تم استرجاع (٩٠) استبانة صالحة للتحليل، في حين كانت (٦٠) استبانة تالفة أو غير مستوفية لشروط التحليل.

وتوصلت نتائج البحث إلى وجود علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين التدقيق الرشيق وجودة التقارير المالية، إضافة إلى وجود أثر معنوي يؤكد قدرة منهجية التدقيق الرشيق على تحسين جودة التقارير المالية ورفع مستوى الشفافية والموثوقية فيها. وتبرز أهمية هذه النتائج في دعم فعالية سوق العراق المالي وتعزيز استقراره ونموه. كما توصي الدراسة بضرورة تطوير منهجيات تقييم متخصصة لقياس

١ - جامعة المستنقل - كلية العلوم الادارية Ali.Merzah.Abdulhamza@uomus.edu.iq

كفاءة التدقيق الداخلي الرشيق بشكل دوري، ووضع معايير أداء تعكس القيمة المضافة لهذا الأسلوب الحديث في بيئة العمل المحاسبي والرقابي.

الكلمات المفتاحية: التدقيق الرشيق، جودة التقارير المالية

Abstract

This research aims to examine the role of agile auditing in enhancing the quality of financial reports within the Iraqi Stock Exchange, using the descriptive-analytical approach and conducting statistical analysis through the SPSS program. The researcher relied on a questionnaire distributed to employees in the internal auditing and financial departments across the market's institutions, with the applied sample limited to the banking sector. A total of 150 questionnaires were distributed, of which 90 were retrieved and deemed valid for analysis, while 60 questionnaires were invalid or unusable.

The findings indicate a statistically significant correlation at the 0.05 significance level between agile auditing and the quality of financial reports, in addition to a significant positive impact of agile auditing practices on improving the accuracy, transparency, and reliability of financial reporting. The importance of these results lies in supporting the effectiveness, stability, and growth of the Iraqi financial market. The study also recommends developing specialized evaluation methodologies to periodically assess the efficiency of agile internal auditing and establishing performance criteria that reflect the added value of adopting this modern approach in accounting and auditing environments.

Keywords: lean auditing, quality of financial reports

المقدمة

في ظل التطورات التكنولوجية المتسارعة التي تشهدها بيئة الأعمال بشكل عام ومجال التدقيق بشكل خاص، أصبحت المؤسسات تواجه مستوى متزايداً من المخاطر الناتجة عن التغيرات الاقتصادية والاجتماعية والتقنية المتلاحقة. وقد دفع هذا الواقع الوحدات الاقتصادية إلى تطوير ممارسات التدقيق الداخلي بالاعتماد على أساليب علمية حديثة، يأتي في مقدمتها التدقيق الرشيق، الذي يُعد من الأساليب الفعالة في تعزيز كفاءة وفاعلية عمليات التدقيق.

وتبرز أهمية التدقيق الرشيق من خلال قدرته على رفع جودة التقارير المالية، إذ يسهم في تحسين دقة المعلومات المالية وموثوقيتها وقابليتها للمقارنة، ويعزز مستوى الشفافية في عرض النتائج المالية. كما يساعد التدقيق الرشيق في الكشف عن الهدر الإداري والعمليات غير الضرورية، مما ينعكس على جودة البيانات المستخدمة في إعداد التقارير المالية، ويجعلها أكثر ملاءمة لاتخاذ القرارات من قبل المستثمرين والإدارة وأصحاب المصلحة كافة.

ومن خلال اعتماد هذا الأسلوب الحديث، تتمكن الوحدات الاقتصادية من تطبيق رؤيتها التنظيمية وتحديد الفجوات وفرص التحسين المستمر، مما يرفع من قدرات المدققين الداخليين على فهم الأنظمة وتحليلها، ويساهم في فتح قنوات فعّالة للتعاون وتبادل المعرفة بين المستويات الإدارية المختلفة، وهو ما يشكل عاملاً أساسياً في الارتقاء بجودة التقارير المالية.

ولغرض تحقيق أهداف البحث ووضع إطار منهجي واضح، تم تقسيم البحث إلى أربعة محاور رئيسية: يتناول المحور الأول منهجية البحث ودراسات سابقة، ويعرض المحور الثاني الإطار النظري، بينما يتضمن المحور الثالث الجانب العملي والتطبيقي، ويختتم البحث بالمحور الرابع الذي يضم الاستنتاجات والتوصيات.

المحور الأول: منهجية البحث ودراسات سابقة

١. مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في أن أنظمة التدقيق الداخلي التقليدية لم تعد قادرة على مواكبة التحديات المعقدة والمتطلبات الاستراتيجية المتزايدة التي تواجه الوحدات الاقتصادية، الأمر الذي انعكس سلباً على جودة التقارير المالية من حيث دقتها وموثوقيتها وملاءمتها لاتخاذ القرار. وفي ظل الحاجة المتنامية إلى منهجيات أكثر مرونة وكفاءة، يبرز التدقيق الرشيق كأحد الأساليب الحديثة القادرة على تحسين عمليات التدقيق والارتقاء بجودة التقارير المالية. وبناءً على ذلك، يمكن صياغة مشكلة البحث عبر التساؤلات الآتية:

١. ما مدى قدرة التدقيق الرشيق على معالجة المخاطر ورفع جودة التقارير المالية مقارنة بأساليب

التدقيق التقليدية؟

٢. إلى أي مدى يسهم التدقيق الرشيق في تطوير أداء التدقيق الداخلي وتحسين جودة المعلومات

المالية المقدمة في التقارير؟

أهمية البحث:

تكمن أهمية هذا البحث في دوره المحوري في تحسين جودة التقارير المالية في سوق العراق للأوراق المالية؛ إذ من خلال استكشاف كيفية تطبيق التدقيق الرشيق، سيساهم البحث في توفير رؤى عملية حول كيفية تحسين دقة وشفافية التقارير المالية، مما يعزز الثقة بين المستثمرين وأصحاب المصالح. كما يساعد في تقديم حلول عملية لتجاوز التحديات التي قد تعترض تطبيق التدقيق الرشيق في السياق المحلي، مما يدعم تطوير استراتيجيات فعالة ومرنة في عمليات التدقيق.

٢. أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى تحقيق مجموعة من الأهداف العلمية المرتبطة بتطبيق التدقيق الرشيقي وأثره في جودة التقارير المالية، وذلك على النحو الآتي:

١. استكشاف دور التدقيق الرشيقي في تعزيز جودة التقارير المالية من خلال تحسين الموثوقية والشفافية ودقة المعلومات المالية المقدمة لأصحاب المصلحة.
٢. تحليل تأثير تطبيق مبادئ وأساليب التدقيق الرشيقي في رفع كفاءة عمليات التدقيق وتقليل الأخطاء، بما يسهم في تحسين جودة التقارير المالية في المؤسسات العراقية.
٣. تحديد العلاقة الإحصائية بين التدقيق الرشيقي وجودة التقارير المالية وقياس قوة هذه العلاقة باستخدام الأساليب الإحصائية الحديثة.
٤. تقييم أثر التدقيق الرشيقي في تعزيز فعالية سوق العراق للأوراق المالية من خلال تحسين دقة الإفصاح المالي وزيادة مستوى الثقة لدى المستثمرين.
٥. التعرف على أهم العوامل التنظيمية والتقنية التي تسهم في نجاح تطبيق التدقيق الرشيقي داخل المؤسسات المالية.

٣. فرضيات البحث:

الفرضية الرئيسية:

للتدقيق الرشيقي دور ذو دلالة إحصائية عند مستوى $(\alpha \geq 0.05)$ في تعزيز جودة التقارير المالية

الفرضيات الفرعية:

لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين التدقيق الرشيقي وجودة التقارير المالية: H_0

توجد علاقة ذات دلالة إحصائية للتدقيق الرشيقي وجودة التقارير المالية H_1

٤. منهج البحث:

اتباع البحث المنهج الوصفي - التحليلي. في الجانب الوصفي، أُجريت مراجعة للأدبيات والبحوث السابقة لتحديد الأسس التي يقوم عليها الإطار النظري. أما في الجانب التحليلي، فقد تم استخدام استبيان مُعد استناداً إلى مقاييس طورها عدد من الباحثين، لجمع البيانات الأولية واختبار الفرضيات المطروحة.

٥. حدود البحث:

أ. الحدود المكانية: سوق العراق للأوراق المالية العاملون في دوائر التدقيق الداخلي والمالية

ب. الحدود الزمانية: سنة ٢٠٢٤/٢٠٢٥

٦. الدراسات السابقة:

الدراسات العربية:

١. دراسة (هبة الله عبد السلام، ٢٠١٧):

تدور إشكالية هذا البحث حول دراسة وتحليل العلاقة بين جودة المراجعة وجودة التقارير المالية، ولتحقيق أهداف الدراسة قامت الباحثة بتصميم استبانة موجهة إلى عينة مكونة من ٤٤ شركة من الشركات المدرجة في بورصة الأوراق المالية المصرية. وتوصلت الدراسة إلى أنه يوجد أثر معنوي لجودة المراجعة على ملاءمة المعلومات المحاسبية الواردة في التقارير المالية، سواء كانت من خلال قيمتها التنبؤية أو التوكيدية.

٢. دراسة (عبد العزيز محمد صديق، ٢٠١٩):

هدفت الدراسة إلى إبراز دور حوكمة المراجعة في تحسين جودة التقارير المالية وهذا من خلال التطرق إلى بيان اهتمام مؤسسات المراجعة الخارجية بحوكمة المراجعة وأثره على جودة التقارير المالية، وتوصلت الدراسة إلى عدد من النتائج من أبرزها أن حوكمة المراجعة تؤدي إلى التأكيد على البيانات الواردة في التقارير المالية وبالتالي تزيد من موثوقية المعلومات المحاسبية، بالإضافة إلى أنها تساهم في تحسين كفاءة وفاعلية المراجعة وبالتالي تحسين جودة التقارير المالية.

٣. دراسة (زياني، ٢٠٢٣):

هدفت الدراسة إلى التعرف على دور التدقيق المالي في تحسين جودة التقارير المالية، وهذا من خلال تقييمه لنظام الرقابة الداخلية والتزامه بإجراءات التدقيق. ومن أهم النتائج: ان التدقيق المالي يؤدي دوراً هاماً في تحسين جودة التقارير المالية من خلال التقييم الفعال لنظام الرقابة الداخلية باعتباره أحد أهدافه الرئيسية.

الدراسات الأجنبية:

١. دراسة (Skinner, J Douglas , ٢٠٠٥):

سعت هذه الدراسة إلى التعرف على عوامل التدقيق المحاسبي لتحسين جودة التقارير المالية من وجهة نظر مدققي الحسابات من خلال استبيان وجه إلى مجموعة من مكاتب التدقيق والمحاسبة البالغ عددها ٨٥ مكتب، وخلصت الدراسة إلى أن عامل الخبرة والاستقلالية يعتبران من أهم العوامل التي تساعد المدققين على تحسين جودة التقارير المالية.

٢. دراسة (PL Joshi , 2021):

تركز هذه الدراسة بشكل أكبر على المنهجية الرشيقة كما يطبقها المدققون الداخليون لتوفير معلومات سريعة , فضلاً عن أن النهج الرشيق يعتبر مناسباً بشكل خاص لعمليات التدقيق المعقدة التي تتطلب فريقاً مركزاً إلى جانب مدققين داخليين ذوي خبرة لمتابعة دورات تدقيق أقصر وتسليم خدمات أسرع لربائتها،

وإن مرونة وظيفة التدقيق الداخلي الرشيقي ستختلف على نطاق واسع من وحدة اقتصادية الى وحدة أخرى وفقاً لحجمها وثقافتها التنظيمية.

٣. دراسة (Sadikshe Acharya , 2021):

تقدم الدراسة مفهوماً شاملاً للتدقيق الرشيقي وطريقتين مستخدمتين على نطاق واسع في إطار عمله هي سكرم Scrum وكانبان Kanban , فضلاً عن تقديم هذا المفهوم والتعلم للعلميين والمهنيين, إذ يمكنهم دمج مفهوم التدقيق الرشيقي في مكان عملهم لزيادة الكفاءة. ومن أهم النتائج: ستعمل العديد من الوحدات الاقتصادية بالفعل على الرشاقة في الأيام القادمة وستعمل بطريقة مختلفة, إذ أنه وقت حاسم بالنسبة للرؤساء التنفيذيين للتدقيق في إعادة تشكيل إطار العمل الدولي الخاص بهم والعمل بشكل استباقي لتحليل أي مخاطر ناشئة.

الإطار النظري

المحور الثاني

التدقيق الرشيقي ودوره في تحسين جودة التقارير المالية

التدقيق الرشيقي:

أولاً: مفهوم التدقيق الرشيقي: يعرف التدقيق الرشيقي بأنه منهجية تهدف إلى تحسين كفاءة وفعالية عمليات التدقيق من خلال تطبيق مبادئ الرشاقة (Agility) على هذه العمليات، وتستند هذه المنهجية إلى مفهوم "التحسين المستمر" و"المرونة في التكيف" لمواكبة التغيرات السريعة في بيئة الأعمال والتحديات التي تواجهها (المشهداني، ٢٠٢٣، ص ٦٧٨). كما يركز التدقيق الرشيقي على تقديم قي مفهوم التدقيق الرشيقي

يشير مفهوم التدقيق الرشيقي إلى القدرة على التحرك بكفاءة ومرونة، سواء من حيث سرعة الأداء أو من حيث تطبيق أساليب ذكية في تنفيذ مهام التدقيق الداخلي. ويهدف هذا النهج إلى رفع مستوى أداء وقيمة عمليات التدقيق من خلال تعزيز التعاون بين أعضاء فريق العمل، وتمكينهم من تقديم الخدمات والمشورة المهنية بصورة فورية وفعالة.

ويحمل مصطلح "الرشيقي" في سياق التدقيق الداخلي معاني متعددة؛ فبالنسبة للبعض يُعدّ عقلية شمولية تركز على تحسين أنشطة وعمليات التدقيق من خلال تقليل الهدر وتقديم رؤى وتحليلات دقيقة في الوقت المناسب، وبما ينسجم مع بيئة المخاطر المتغيرة باستمرار. بينما ينظر إليه آخرون بوصفه نهجاً منهجياً محددًا

يُستخدم في تنفيذ مهام تدقيق داخلية معينة تحقق قيمة مضافة لأصحاب المصل
(Wright J,2020: 4)

ثانياً: أهمية التدقيق الرشيق:

ويحمل التدقيق الرشيق أهمية بالغة في تحسين فعالية وكفاءة عمليات التدقيق من خلال تطبيق مبادئ
الرشافة، وتمثل أهمية هذه المنهجية في النقاط التالية:

١- زيادة الكفاءة: تعزز منهجية التدقيق الرشيق من فعالية العملية عبر تبسيط الإجراءات وتحسين
سير العمل. ومن خلال تبني أساليب رشيقة، مثل تنظيم العمل ضمن وحدات صغيرة ومتكررة،
يمكن تسريع عملية التدقيق وتقليل الجهد والوقت اللازمين لإنجاز المهام. هذه الكفاءة لا تنعكس
فقط في سرعة إتمام عملية التدقيق، بل أيضاً في تحقيق نتائج أكثر دقة وسرعة في تسليم التقارير،
مما يعزز من القيمة المضافة للتدقيق (أمين، ٢٠٢٣، ص ١٨).

٢- استجابة أسرع للتغيرات: في بيئة الأعمال المتسارعة والمتغيرة، يصبح من الضروري أن تكون عملية
التدقيق قادرة على التكيف بسرعة مع التغيرات في المعايير المحاسبية أو التحديات البيئية، ويوفر
التدقيق الرشيق القدرة على الاستجابة المرنة لهذه التغيرات، مما يضمن أن عملية التدقيق تبقى
ملائمة وفعالة. وهذا يعني القدرة على تعديل الاستراتيجيات والإجراءات بشكل مستمر استجابةً
لمتطلبات جديدة أو اكتشافات غير متوقعة، مما يحد من مخاطر عدم توافق التدقيق مع البيئة المحيطة
(القنبري، ٢٠٢٠، ص ٢١).

٣- تحسين الجودة: يساهم التدقيق الرشيق في تحسين جودة العمل من خلال تمكين الفرق من التركيز
على القضايا ذات الأهمية القصوى. وبدلاً من التعمق في التفاصيل غير الضرورية، تتيح هذه
المنهجية للفرق التركيز على المجالات ذات المخاطر العالية أو الأهمية الكبرى، مما يعزز من دقة
النتائج وجودتها. وبفضل التركيز على الأهداف الرئيسية وتعزيز التعاون بين الأعضاء، يمكن تحقيق
تقييم أكثر شمولية وأعمق للبيانات والمعلومات، مما يؤدي إلى تقارير تدقيق أكثر موثوقية وفعالية
(شريف، ٢٠٢٣، ص ٢٦).

٤- تخفيض التكاليف: أحد الفوائد البارزة للتدقيق الرشيق هو تقليل التكاليف المرتبطة بالعملية. من
خلال تحسين استخدام الموارد وتجنب الأعمال المتكررة وغير الضرورية، يتم تخفيض التكاليف
بشكل ملحوظ. وهذا يشمل تقليل النفقات المتعلقة بالوقت الذي يقضيه الفريق في إجراءات
إدارية إضافية، وكذلك خفض تكلفة المواد والأدوات اللازمة للتدقيق. فعالية استخدام الموارد تؤدي
إلى تحقيق نتائج أعلى بتكاليف أقل، مما يعزز من كفاءة عملية التدقيق من الناحية المالية
(Acharya, 2021, p67).

ثالثاً: فوائد التدقيق الرشيق ومنافعه:

فوائد التدقيق الرشيق ومنافعه لكي تتمكن الشركات من تطبيق التدقيق الرشيق بفاعلية، فإن ذلك يتطلب تغييراً في طريقة التفكير واعتماد نهج رشيق في ممارسة الأعمال. ويسهم هذا النهج في توجيه وظيفة التدقيق الداخلي نحو تلبية احتياجات أصحاب المصلحة، وتقليل الهدر، وتحسين دورات التدقيق. ويمكن تلخيص أبرز منافع التدقيق الرشيق كما يأتي (Joshi, 2021: 15-16):

١. الاستجابة السريعة لاحتياجات الزبائن من خلال تعزيز التعاون بين المدقق والزبون، مما يضمن سير عملية التدقيق بالاتجاه الصحيح وبمرونة أكبر.
٢. رفع مستوى الشفافية عبر إشراك الزبائن بصورة مباشرة في عملية التدقيق، ومتابعتهم المستمرة للتطورات التي تطرأ على سير العمل.
٣. تحسين قنوات التواصل باستخدام أحدث تقنيات الاتصال، إذ تشير شركة Deloitte إلى أن البيئة الرشيقة تعزز قدرة فرق العمل على إيصال النتائج والمنتجات لأصحاب المصلحة بسرعة وكفاءة.
٤. تقليل الوقت بين التخطيط والتسليم من خلال القضاء على الهدر في العمليات وتبسيط الإجراءات.
٥. التركيز على الأنشطة الضرورية عبر توفير مرونة عالية للتكيف مع الظروف المتغيرة، مما يسمح بإعادة توجيه الجهود نحو ما هو أكثر أهمية.
٦. إنتاج مخرجات عالية الجودة وفي وقت قياسي بفضل التنظيم المرن والعمل الجماعي الفعال.
٧. عقد اجتماعات دورية لفريق التدقيق لقياس الأداء ومتابعة مدى الالتزام بالخطّة، ومعالجة الصعوبات التي قد تواجه الفريق أولاً بأول.
٨. الاعتماد على فرق عمل متعددة التخصصات تجمع بين الخبرة والمهارة وتسهم في تحقيق هدف مشترك، حيث يقوم كل عضو بأدوار متنوعة تشمل الدعم والصيانة وغيرها وفق متطلبات العمل.

رابعاً: مبادئ التدقيق الرشيق:

في المجمل، تسهم مبادئ التدقيق الرشيق في جعل عملية التدقيق أكثر فعالية وملاءمة للتحديات المتزايدة والمتغيرات السريعة في بيئة الأعمال، مما يجعلها أداة قوية لتحقيق النجاح المستدام وتحسين الأداء المؤسسي.

١. تستند أدوات التدقيق الرشيق إلى مجموعة من الأساليب والتقنيات التي تعزز من كفاءة وفعالية عملية التدقيق. أولاً، إدارة المشاريع الرشيقة، فهي تؤدي دوراً محورياً في تنظيم وإدارة مهام التدقيق بطرق مرنة وفعالة. تقنيات مثل Scrum و Kanban تسهم في تقسيم المشروع إلى وحدات

صغيرة وقابلة للإدارة، مما يتيح للفرق تحديد أولويات المهام وتكييف الاستراتيجيات حسب الحاجة، وهذه المرونة في التنظيم تساهم في تحقيق أهداف التدقيق بكفاءة أكبر وتوفير الوقت (المشهداني، ٢٠٢٣، ص ٦٧٩).

٢. تحليل البيانات يعد من الأدوات الأساسية في التدقيق الرشيق. باستخدام أدوات مثل Tableau و Power BI، يمكن للفرق التعامل مع كميات كبيرة من البيانات وتحليلها بسرعة للحصول على رؤى دقيقة وشاملة. هذه الأدوات تساعد في تحسين فعالية التدقيق من خلال توفير معلومات ذات مغزى تدعم اتخاذ القرارات وتصحيح المسارات بشكل فوري (right Jr., Rick,) 2020, p8.

٣. التواصل الفعال والتعاون بين أعضاء فريق التدقيق هو أمر بالغ الأهمية. منصات مثل Slack و Microsoft Teams تتيح تحسين التواصل وتنسيق العمل بين أعضاء الفريق، مما يساهم في تبادل المعلومات بسرعة وتفاعل فوري مع أي تغييرات أو تحديات قد تطرأ. هذه البيئات التعاونية تعزز من قدرة الفريق على الاستجابة السريعة والتنسيق الفعال في تنفيذ المهام (القنبري، ٢٠٢٠، ص ٢٥).

وأخيراً، التقييم المستمر هو عنصر أساسي في التدقيق الرشيق. وإن تقنيات مثل الاستعراضات الدورية والمراجعات السريعة تساعد الفرق في اكتشاف المشكلات مبكراً وإجراء التعديلات اللازمة على الاستراتيجيات. هذا التقييم يضمن أن عمليات التدقيق تبقى ملائمة وفعالة، ويساعد على تحسين الأداء بشكل دائم استناداً إلى الملاحظات والتحديات التي تطرأ (Galvanize, 2020, p44).

باستخدام هذه الأدوات والتقنيات، يمكن تحسين عملية التدقيق بشكل كبير، مما يجعلها أكثر مرونة وقادرة على التكيف مع التغيرات السريعة في بيئة الأعمال، وهذا يعزز من قدرة المؤسسات على تقديم قيمة مضافة وتحقيق نتائج فعالة.

خامساً: ثلاثة مكونات هيكلية أساسية للتدقيق الرشيق

١. استخدام الأعمال المتراكمة (Backlog) في التدقيق تشبه الأعمال المتراكمة خطة التدقيق التقليدية، إلا أنها تُعد قائمة ديناميكية من العناصر محددة النطاق، يتم اختبارها وفقاً لاحتياجات أصحاب المصلحة. وتتسم هذه القائمة بالمرونة، إذ يمكن إضافة عناصر جديدة أو إزالة أخرى استناداً إلى المخاطر المتوقعة والقيمة المضافة لكل عنصر. وتمكّن هذه الآلية فريق التدقيق من معالجة المشكلات المستجدة التي يواجهها أصحاب المصلحة في الوقت الحالي، بدلاً من الالتزام الصارم بالعناصر المحددة مسبقاً في خطة التدقيق السنوية.

٢. **عمليات التدقيق السريعة (Sprints)** خلال تنفيذ التدقيق، يتم تقسيم عناصر النطاق إلى مهام صغيرة قابلة للتنفيذ تُعرف بـ "سباقات السرعة" أو Sprints، وهي فترات زمنية قصيرة يجب إتمام المهمة خلالها، وتتراوح عادةً بين أسبوع وأربعة أسابيع. وتساعد هذه الآلية في تسريع وتيرة الإنجاز وضمان التزام فرق التدقيق بالمواعيد النهائية من خلال دورات تسليم متتابعة وسريعة.

٣. **اجتماعات سكرم (Scrums)** تُعدّ اجتماعات الـ Scrum اجتماعات قصيرة ومركّزة، يُعقد معظمها يوميًا، وتتراوح مدتها عادةً بين ١٥ و ٣٠ دقيقة. وتجمع هذه الاجتماعات بين أعضاء فريق التدقيق وأصحاب المصلحة الرئيسيين بهدف مناقشة القضايا المحتملة، ومتابعة التقدم، والتغلب على المعوقات بشكل سريع وفعال. (Agarwal, 2021: 7)

مبادئ التدقيق الداخلي الرشيق يركز التدقيق الداخلي الرشيق على مجموعة من المبادئ الأساسية التي تهدف إلى تعزيز كفاءة ومرونة عملية التدقيق، وتحقيق قيمة مضافة لأصحاب المصلحة. ويوضح الجدول الآتي أبرز هذه المبادئ:

أهم مبادئ التدقيق الداخلي الرشيق:

١. إرضاء الزبون كأولوية قصوى يتم التركيز على تلبية احتياجات الزبون من خلال تقديم النتائج بصورة مبكرة وإضافة قيمة واضحة لها.
٢. الترحيب بتغير المخاطر يُعد التكيف مع التغيرات في بيئة المخاطر—even في المراحل المتأخرة من العمل الميداني—من الخصائص الجوهرية للتدقيق الرشيق، حيث يتم استثمار التغيير لتعزيز القدرة التنافسية وإنتاج تقارير أكثر استدامة.
٣. التسليم المتكرر لبرامج العمل يتم تقديم مخرجات التدقيق بصورة دورية ومنظمة، غالبًا ضمن فترات تتراوح بين أسبوعين وشهرين، مع تفضيل الفترات الزمنية الأقصر لتعزيز سرعة الاستجابة.
٤. التواصل المستمر مع أصحاب المصلحة يقوم مبدأ التدقيق الرشيق على مشاركة أصحاب المصلحة طوال فترة العمل، من خلال تفاعل مباشر ومستمر.
٥. تحفيز فريق العمل وتوفير الدعم يتم منح فريق التدقيق الثقة والدعم اللازمين لإنجاز مهامهم بكفاءة عالية، بما يضمن أداءً مرناً ومتوازنًا.
٦. المحادثة المباشرة كأفضل أسلوب تواصل يُعد التواصل وجهاً لوجه الوسيلة الأكثر فعالية لنقل المعلومات داخل فريق التدقيق وفي بيئة العمل.
٧. اعتبار تقارير التدقيق المتوافقة مع أهداف المؤسسة معيارًا للتقدم تُعد جودة التقارير ومدى اتساقها مع الاستراتيجية المؤسسة المقياس الأساسي لنجاح عملية التدقيق.

٨. دعم التنمية المستدامة تلتزم العمليات الرشيقة بالحفاظ على وتيرة عمل مستقرة على المدى الطويل، سواء من قبل المدققين أو أصحاب المصلحة.

٩. التركيز على التميز التقني والتصميم الجيد إن الاهتمام المستمر بالجوانب التقنية وجودة التصميم يسهم بشكل مباشر في تعزيز مرونة وخفة حركة التدقيق.

تبسيط العمل وتجنب التعقيد تُعد البساطة عنصرًا أساسيًا في تعظيم العمل المنجز وتقليل الأعمال غير المكتملة.

اعتماد فرق ذاتية التنظيم تنبثق أفضل الهياكل والمتطلبات وبرامج العمل من فرق تتمتع بالاستقلالية والتنظيم الذاتي.

التفكير المستمر في التحسين يعمل فريق التدقيق على مراجعة أدائه بانتظام، وتعديل السلوكيات بما يحقق أعلى درجات الفاعلية. (Galvanize, ٢٠٢٠:٩)

ثانياً: جودة التقارير المالية

جودة المعلومات المحاسبية:

ولكي تكون المعلومات المالية مفيدة يجب أن تمتلك الصفات الأساسية المتمثلة بالملائمة والتمثيل الصادق. وكلاهما حاسم ومهم فالمعلومات تعد ذات قيمة ضئيلة إذا لم تتصف بالملائمة. وحتى إذا كانت المعلومات ملائمة فلن تكون مفيدة بنفس القدر إذا لم تمثل بصدق الظاهرة الإقتصادية التي تهدف إلى تمثيلها.

(Spiceland et al, 2018:21) هنالك ميزتان أساسيتان يجب توفيرها في المعلومات المحاسبية وغياهما ينفي الفوائد المقصودة منها:

١. **الملائمة:** "يقصد بالملائمة أن تكون المعلومات المحاسبية قادرة على التأثير في متخذي القرار. حيث

تساعد المعلومات الملائمة المستخدمين لها على عمل تنبؤات عن نتائج الأحداث السابقة والحالية والمستقبلية القيمة التنبؤية للمعلومات، كما أن المعلومة الملائمة . تلك التي تساعد مستخدميها في

تأييد أو تصحيح توقعاتهم المستقبلية، أي تكون لهذه المعلومات القدرة على تقديم تغذية عكسية،

وبالتالي فأن المعلومات المحاسبية الملائمة يجب أن تتصف بالقيمة التنبؤية والتغذية العكسية" (حسوبة

وآخرون، ٢٠٢٢: ٣٠)

لكي تكون المعلومات ملائمة، يجب أن تتمتع بما يلي:

أ. **القيمة التنبؤية predictive value:** بأنه المعلومات تكون ذات قيمة تنبؤية إذا كان

من الممكن استخدامها كمدخل لعملية يقوم بها مستخدمو التقارير المالية لتكوين توقعاتهم

الخاصة حول النتائج المستقبلية. توصف المعلومات التي تتميز بقدرتها على دعم صنع القرار في زيادة احتمالية عمل تنبؤات دقيقة للأحداث المستقبلية بأنها ذات قيمة تنبؤية. على سبيل المثال، إذا كان مبلغ صافي الربح المقاس على أساس القيمة الحالية بدلاً من أساس التكلفة التاريخية يتنبأ بشكل أكثر دقة بالتدفقات النقدية المستقبلية المتوقعة للوحدة الاقتصادية، فيمكن القول بأن أساس القيمة الحالية أكثر ملائمة من المعلومات المعدة على أساس تاريخي.

أساس التكلفة بسبب قيمتها التنبؤية النسبية العالية. (الجواهري وآخرون، ٢٠١٨: ١٢)

ب. **قيمة تأكيدية confirmatory value**: عرفها (القسايمه) إنها إحدى فوائد المعلومات المحاسبية، فإذا تمكن متخذو القرار من التحقق من صحة توقعاتهم الماضية، يمكنهم تقييم نتائج القرارات التي بنيت على تلك التوقعات، حيث أن المعلومات المحاسبية لها قيمة تأكيدية إذ تم تقديم التغذية العكسية (القسايمه، ٢٠٢١: ٦٦).

ت. **المادية (الأهمية النسبية) Materiality**: تحدد هذه القاعدة مدى أهمية المعلومات المحاسبية بالنسبة لمستخدميها، وتشير إلى ضرورة تصنيف وتنظيم المعلومات في التقارير المالية من أجل اتخاذ القرارات وفقاً لأهميتها النسبية. كما تم تضمين شرط الاهتمام بأهمية ومحتوى المعلومات المحاسبية، بدلاً من المبالغة في التركيز على الشكل أو الصورة. وفي النهاية فإن توفر هذه السمات في المعلومات المحاسبية له تأثير مباشر وكبير على الوظائف الإدارية المختلفة، لأن غالبية هذه الوظائف تعتمد على المعلومات المحاسبية. كما يتم دمج هذه السمات بشكل تكاملي، حيث أنها توفر وسيلة موضوعية للمقارنة تضمن أن المكسب مستمد من التقارير المالية، وخاصة للأغراض الداخلية. (شبير، ٢٠٠٦: ٥٤-٥٥)

٢. **التمثيل الصادق (Faithful Representation)**: لكي تكون المعلومات مفيدة في إعداد التقارير المالية ينبغي أن يكون تمثيل الظواهر الاقتصادية تمثيلاً حقيقياً، يتحقق التمثيل الصادق عندما يكون تصوير الظاهرة كاملاً ومحاييداً وخالياً من الخطأ المادي. وتصور المعلومات التي تمثل بأمانة ظاهرة اقتصادية أو ظاهرة أخرى جوهر المعاملة الأساس أو حدث أو نشاط أو ظرف آخر والذي لا يكون بالضرورة دائماً نفس شكله القانوني من الناحية العملية، قد لا يكون من الممكن معرفة أو تأكيد ما إذا كانت المعلومات المقدمة كاملة ومحاييدة وخالية من الأخطاء المادية ومع ذلك، يجب ان تكون المعلومات كاملة ومحاييدة وخالية من الأخطاء المادية قدر الإمكان (جبار، ٢٠٢١: ٥٧)

- أ. الحياد (**Neutrality**): يجب أن تكون المعلومات الواردة في القوائم المالية موضوعية وخالية من التحيز. تعد المعلومات المالية محايدة ما لم يكن لطريقة اختيار أو عرض المعلومات تأثير مباشر على عملية اتخاذ القرار أو الحكم بهدف محدد (جربوع، ٢٠١٤: ١٠٠).
- ب. الاكتمال (**Complete**): وللتأكد من دقة المعلومات، ينبغي أن تكون القوائم المالية كاملة ضمن حدود الأهمية النسبية ذات الصلة، وأي اختلاف في المعلومات سيؤدي إلى فهم خاطئ أو استنتاج غير صحيح، لا يمكن الاعتماد عليه. (فرحان، ٢٠١٨: ٤٦)
- ت. الخلو من الخطأ (**Free From Error**): تعني عدم وجود أخطاء أو سهو في وصف الحدث، وقد تم استخدام طريقة إنتاج المعلومات المبلغ عنها دون أخطاء. وفي هذا السياق، من المهم أن ندرك أن التحرر من الخطأ لا يعني بالضرورة وجود الدقة الكاملة في كل جانب. على سبيل المثال، لا يمكن استنتاج تقدير دقيق للسعر أو القيمة التي لا يمكن ملاحظتها. ومع ذلك، يمكن أن يكون تمثيل هذا الرقم دقيقاً إذا كان الوصف مفصلاً ودقيقاً، وتم شرح طبيعة وقيود عملية التقدير، ولم يتم ارتكاب أي أخطاء في اختيار أو تطبيق العملية المناسبة لتكوين التقديرات. (IASB Conceptual Framework, 2018:17)

ثانياً : الخصائص الثانوية للمعلومات المحاسبية: تلك الخصائص من الضروري توفرها في المعلومات المحاسبية حتى تكون المعلومات أكثر منفعة وأن عدم وجودها لا يعني المعلومة غير نافعة حيث تتضمن الخصائص الثانوية بالآتي:

١. قابلية المقارنة **Comparability**: هي القدرة على مقارنة التقارير المالية للوحدات الاقتصادية من قبل المستخدمين وهي سمة نوعية ثانوية والتي تسمح للمستخدمين بالتمييز وفهم الاختلافات وأوجه التشابه بين العناصر (Costa, et al:2019:4)
٢. قابلية التحقق **Verifiability**: يعني أن النتائج المحددة التي حققها شخص معين يمكن أن يحققها شخص آخر، باستخدام أساليب القياس والإفصاح المستخدمة نفسها (عنيزة، ٢٠٢١: ١٨٤).
٣. التوقيت المناسب **Timeliness**: يعني توفير المعلومات في الوقت المناسب، مما يعني أن المعلومات المحاسبية المالية يجب أن تكون متاحة لمن يستخدمها عند الحاجة. وذلك لأنه إذا لم تكن المعلومات متاحة عند الحاجة إليها، أو تم تقديمها بعد فترة طويلة من وقوع الحدث الذي تتعلق به، فإن المعلومات تفقد فائدتها وبالتالي فعالية القرار. بناءً على ذلك (IASB Conceptual Framework, 2018:18).

٤. **قابلية الفهم Understandability**: يعرف (المرزوق) قابلية الفهم أن سهولة فهم المعلومات المحاسبية يؤدي إلى تسهيل تصنيف ووصف وعرض المعلومات بشكل واضح وموجز. من المتوقع أن يكون لدى مستخدمي المعلومات المحاسبية فهم أساسي لمجال المحاسبة والجوانب التجارية والإقتصادية للوحدة الإقتصادية، وأن تكون لديهم الرغبة في بذل جهد كافٍ لفهم المعلومات المحاسبية المقدمة في التقارير المالية للوحدة الإقتصادية. ويجب أن تكون البيانات النقدية المعروضة بسيطة وخالية من الغموض (المرزوق، ٢٠٢٣: ٢٠-٢١).

المبحث الثالث: الإطار العملي

أولاً: مجتمع البحث وعينته:

يتكون مجتمع البحث من العاملين في دائرة التدقيق الداخلي والدائرة المالية في كافة المؤسسات في سوق العراق للأوراق المالية، والذي يتكون من (٨) قطاعات بينما اقتصرت عينة البحث على قطاع المصارف، وقد تم أخذ عينة عشوائية بواقع ١٠٠ استبيان وقد تم استرداد (٩٠) استبانة منها أي بنسبة ٩٠%.

ثانياً: أداة الدراسة:

اعتمد الباحث في هذه الدراسة على الاستبانة كونها تناسب هكذا دراسات. يعرف (Awang) على أنها مجموعة من الأسئلة المنظمة المصممة لجمع البيانات المطلوبة للبحث (Awang, 2010). في هذا البحث سيتم استخدام الاستبيان لجمع المعلومات من العاملين في الدائرة المالية ودائرة التدقيق الداخلي في القطاعات الخمس وهي (الاتصالات، الاستثمار، الصناعة، المصارف، التأمين)، للمساعدة في الإجابة على أسئلة الدراسة وتحقيق أهدافها.

وقد اشتمل الاستبيان على قسمين: يستخدم القسم الأول في جمع البيانات الشخصية عن المستجوبين مثل الجنس، الفئة العمرية، التحصيل العلمي، الوظيفة الحالية، سنوات الخبرة، وهي بيانات تفيد في التعرف على خصائص مجتمع الدراسة، أما القسم الثاني من الاستبيان احتوى على ١٨ سؤال والتي من شأنها أن تعالج مشكلة الدراسة وكانت مقسمة على محورين:

- المحور الأول: تضمن ٨ أسئلة.

- المحور الثاني: تضمن ١٠ أسئلة.

ثالثاً: الأدوات والأساليب الإحصائية المستخدمة:

بعد القيام بتوزيع الاستمارة على أفراد العينة، قمنا بتجميعها وتفريغها في برنامج Excel، ثم تحليلها في البرنامج الإحصائي Spss واعتماد الأساليب الإحصائية المناسبة لاختبار فرضيات الدراسة ومتغيراتها كما يلي:

- المتوسطات الحسابية والانحراف المعياري لكل محور وفقراته بهدف الكشف عن آراء اتجاه العينة حول متغيرات الدراسة.
- معامل الارتباط بيرسون لقياس قوة واتجاه العلاقة بين المتغير المستقل والمتغير التابع.
- الانحدار الخطي البسيط لدراسة أثر المتغير المستقل على المتغير التابع.
- معادلة طول الفئة، التي تُستخدم لقياس مستوى ممارسة المتغيرات في الدراسة، يتم احتسابها وفقاً للمعادلة التالية:

$$\text{الوسط الحسابي المعياري} = \text{أكبر قيمة} - \text{أقل قيمة} / \text{أكبر قيمة} - \text{أقل قيمة} = 3 - 1 / 3 - 1 = 0,67$$

ثم يُضاف طول الفئة إلى أدنى قيمة لتحديد الفئات. هذا يعني أن المتوسطات الحسابية تنتمي إلى ثلاث فئات، بالإضافة إلى حساب قيمة الانحراف المعياري لتحديد مدى تشتت الإجابات حول المتوسط الحسابي. تم احتساب شدة الإجابة بناءً على مساحة المقياس كما هو موضح في الجدول (١):

الجدول (١): المعيار الإحصائي لتحديد مستويات أبعاد أداة الدراسة وفقراتها بناءً على المتوسطات

الحسابية

الدرجة الأهمية	مقياس الإجابة	الفئة
ضعيفة	غير موافق	من ١ إلى ١,٦٧
مُتَوَسِّطَة	محايد	من ١,٦٨ إلى ٢,٣٤
مرتفعة	موافق	من ٢,٣٥ إلى ٣

المصدر: إعداد الباحث

رابعاً: الوصف والتحليل الإحصائي لمتغيرات الدراسة

١- اتجاه أفراد العينة حول دور التدقيق الرشيق:

الجدول (٢) المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لعبارات دور التدقيق الرشيق

الترتيب	درجة الأهمية	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	موافق		محايد		غير موافق		الفقرة	رقم الفقرة
				%	تكرار	%	تكرار	%	تكرار		
5	متوسطة	0.75	٢,٣٤	51.1	46	32	29	16.7	15	التدقيق الرشيق يساعد في تعزيز جودة التقارير المالية للوحدة الاقتصادية	1
2	مرتفعة	0.69	٢,٤٧	57.8	52	31	28	11.1	10	يساعد التدقيق الرشيق على توفر عنصر الملائمة والموثوقية في التقارير المالية	2

3	يعمل التدقيق الرشيقي على تشكيل فريق تدقيق بناءً على الخبرة والكفاءة لضمان أداء فعال في إعداد التقارير المالية.	11	12.2	30	33	49	54.4	٢,٤٢	0.7	مرتفعة	4
4	يتطلب استخدام التدقيق الرشيقي وجود مدققين قادرين على الاستجابة السريعة لمتطلبات إعداد التقارير المالية.	9	10	28	31	53	58.9	2.49	0.67	مرتفعة	1
5	يؤدي استخدام التدقيق الرشيقي إلى تحويل مقاييس الأداء الرئيسية من التقليدية إلى التركيز على رضا العملاء	12	13.3	35	39	43	47.8	2.34	0.71	متوسطة	6
6	التدقيق الرشيقي يهدف إلى خلق قيمة بدلاً من التركيز على أداء التدقيق بحذاته	10	11.1	29	32	51	56.7	2.46	0.69	مرتفعة	3
7	التدقيق الرشيقي يؤدي إلى الانضباط وإكمال عمليات التدقيق في الوقت المحدد	15	16.7	31	34	44	48.9	2.32	0.75	متوسطة	7
8	كبر حجم المؤسسة يؤثر إيجابياً على التدقيق الرشيقي	22	24.4	23	26	45	50	2.26	0.83	متوسطة	8
	المُتَوَسِّط العام							2.39	0.49	مرتفعة	

المصدر: صاغه الباحث بالاعتماد على مُخْرَجَات برنامج SPSS V.27

يظهر من الجدول (٢) أن الاتجاه العام الإجمالي لبعْد دور التدقيق الرشيقي كان نحو الاتجاه موافق، أي أن مستوى بعد دور التدقيق الرشيقي كان بمستوى مرتفع. بحيث بلغ المُتَوَسِّط العام (٢,٣٩) والانحراف العام (٠,٤٩). وتشير النتائج في الجدول السابق أنَّ معظم الفقرات جاءت مرتفعة وحصلت الفقرة (يتطلب استخدام التدقيق الرشيقي وجود مدققين قادرين على الاستجابة السريعة لمتطلبات إعداد التقارير المالية) على المرتبة الأولى بمُتَوَسِّط (٢,٤٩) وانحراف (٠,٦٧)، فيما احتلت الفقرة (كبر حجم المؤسسة يؤثر إيجابياً على التدقيق الرشيقي) على المرتبة الأخيرة بمُتَوَسِّط (٢,٢٦) وانحراف (٠,٨٣).

الجدول (٣) المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لعبارات جودة التقارير المالية

الترتيب	درجة الأهمية	الانحراف المعياري	المؤيّن الحسابي	موافق		محايد		غير موافق		الفقرة	رقم الفقرة	
				%	تكرار	%	تكرار	%	تكرار			
٦	مرتفعة	0.71	2.41	53.3	48	32	29	14.4	13	لتكون التقارير المالية ذات جودة يجب توفر عنصر الملائمة والموثوقية	١	
١٠	متوسطة	0.8	2.12	37.8	34	34	31	27.8	25	من محددات جودة التقارير المالية إعداد التقارير المالية في الوقت المناسب والإفصاح عنها	٢	
٢	مرتفعة	0.67	2.48	54.4	49	32	29	13.3	12	ما يجعل التقارير المالية تتميز بجودة عالية إعدادها وفق المعايير الدولية لإعداد التقارير المالية	٣	
٥	مرتفعة	0.68	2.42	51.1	46	36	32	13.3	12	تتميز المؤسسة بكثرة أرباحها يدل على فعالية جودة تقاريرها المالية	٤	
٤	مرتفعة	0.67	2.47	54.4	49	32	29	13.3	12	تعتبر ظاهرة إدارة الأرباح من الممارسات التي تزيد من جودة تقاريرها المالية	٥	
٩	متوسطة	0.79	2.26	43.3	39	33	30	23.3	21	لتحسين المؤسسة جودة تقاريرها المالية يجب عليها إتباع وسائل التكنولوجيا الحديثة	٦	
٣	مرتفعة	0.6	2.48	53.3	48	41	37	5.6	5	وجود لجنة تدقيق ضمن إدارة المؤسسة يحسن من جودة تقاريرها المالية	٧	
٨	متوسطة	0.62	2.3	47.8	43	37	33	15.6	14	إنخفاض القدرة التنبؤية لأرباح المؤسسة يقلل من جودة تقاريرها المالية	٨	
١	مرتفعة	0.63	2.58	62.2	56	24	22	13.3	12	لتكون التقارير المالية ذات جودة يجب توفر عنصر الملائمة والموثوقية	٩	
٧	متوسطة	0.75	2.33	48.9	44	34	31	16.7	15	من محددات جودة التقارير المالية إعداد التقارير المالية في الوقت المناسب والإفصاح عنها	١٠	
	مرتفعة	0.49	2.39	المؤيّن العام								

المصدر: صاغه الباحث بالاعتماد على مخرجات برنامج SPSS V.27

يظهر من الجدول (٣) أن الاتجاه العام الإجمالي لعبارات جودة التقارير المالية كان نحو الاتجاه الموافق، وبمستوى مرتفع حيث بلغ المتوسط الحسابي (٢,٣٩) وانحراف معياري (٠,٤٩)، وتشير النتائج في الجدول أنّ معظم الفقرات جاءت مرتفعة، واستحوذت الفقرة (لتكون التقارير المالية ذات جودة يجب توفر عنصر الملائمة والموثوقية) على الصدارة بمُتوسِّط (٢,٥٨) وانحراف (٠,٦٣)، فيما احتلت الفقرة (من محددات جودة التقارير المالية إعداد التقارير المالية في الوقت المناسب والإفصاح عنها) على المرتبة الأخيرة بمُتوسِّط (٢,١٢) وانحراف (٠,٨٠).

خامساً: اختبار فرضيات الدراسة:

- الفرضية الأولى : لا يوجد علاقة ذو دلالة احصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) لدور التدقيق الرشيقي في تعزيز جودة التقارير المالية .

سوف نقوم هنا بحساب مصفوفة الارتباطات لبيرسون ونختبر معامل الارتباط لمعرفة الدلالة الإحصائية حيث سنختار فقط المحور الأول وهو المتغير المستقل، والمحور الثاني المتغير التابع.

الجدول (٤) معامل الارتباط بين متغيرات الدراسة

جودة التقارير المالية		المحاور
Sig	معامل الارتباط	
.000	.883**	دور التدقيق الرشيقي

المصدر : من إعداد الطالب بالاعتماد على مخرجات SPSS

من الجدول السابق نلاحظ أن العلاقة الارتباطية بين محاور الدراسة كانت طردية ، وبناء على اختبار فرضية العلاقة بين المتغيرين فإننا نرفض الفرضية الصفرية ، ونقبل الفرضية البديلة ونقول أن هناك علاقة ارتباطية إيجابية بين محاور الدراسة ذو دلالة إحصائية عند مستوى ٥%.

- الفرضية الثانية: لا يوجد أثر ذو دلالة احصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) لدور التدقيق الرشيقي في تعزيز جودة التقارير المالية .

سوف نستخدم معادلة الانحدار البسيط بين محورين مهمين هما المحور الأول التدقيق الرشيقي باعتباره متغيراً مستقلاً، ومحور جودة التقارير المالية كونه متغيراً تابعاً.

الجدول (٥): نتائج اختبار أثر التدقيق الرشيقي في تعزيز جودة التقارير المالية

SIG	β	SIG	DF	F	(R2)	(R)	المحور التابع
مستوى الدلالة	معامل الانحدار	مستوى الدلالة	درجات الحرية	المسحوبة	معامل التحديد	الارتباط	
.000	٠,٨٨٣	.000	$\frac{1}{89}$	٣١٢,٩٩٤	٠,٧٨١	٠,٨٨	جودة التقارير المالية

المصدر : من إعداد الطالب بالاعتماد على مخرجات SPSS

تشير النتائج في الجدول السابق وفقا لآراء أفراد عينة الدراسة على وجود أثر ذو دلالة إحصائية للتدقيق الرشيقي على جودة التقارير المالية لأن قيمة المعنوية لميل الانحدار كانت ٠,٠٠٠ وهي أقل من ٠,٠٥، وبلغ معامل الارتباط $R = 0.88$ ، وهو ارتباط طردي ومعنوي عند مستوى دلالة ٥% كما أثبتناه سابقا في فرضية العلاقة، أما معامل التحديد R^2 بلغ (0.781) حيث أن 78.1% من التغير في جودة التقارير المالية يرجع إلى استخدام التدقيق الرشيقي، وقد بلغت قيمة درجة التأثير ($\beta = 0.883$)، وهذا يعني أن الزيادة بدرجة واحدة في الاهتمام بالتدقيق الرشيقي يؤدي إلى تعزيز جودة التقارير المالية بقيمة (٠,٨٨٣)، ويؤكد معنوية أثر التدقيق الرشيقي على جودة التقارير المالية قيمة F المحسوبة والتي بلغت (٣١٢,٩٩٤) وهي دالة إحصائية بمستوى معنوية ٥% لأن قيمة المعنوية لها ($SIG = ٠,٠٠٠$)، وهذا يؤكد عدم صحة قبول الفرضية الرئيسية وعليه نرفض الفرضية الصفرية ونقل وجود أثر ذو دلالة إحصائية للتدقيق الرشيقي على جودة التقارير المالية عند مستوى دلالة ٥% .

الاستنتاجات:

- ١- تسهم مبادئ التدقيق الرشيقي في جعل عملية التدقيق أكثر فعالية وملاءمة للتحديات المتزايدة والمتغيرات السريعة في بيئة الأعمال، مما يجعلها أداة قوية لتحقيق النجاح المستدام وتحسين الأداء المؤسسي.
- ٢- يمكن تحسين عملية التدقيق بشكل كبير باستخدام أدوات وتقنيات التدقيق الرشيقي، مما يجعلها أكثر مرونة وقادرة على التكيف مع التغيرات السريعة في بيئة الأعمال، وهذا يعزز من قدرة المؤسسات على تقديم قيمة مضافة وتحقيق نتائج فعالة.
- ٣- توصلت الدراسة أن الاتجاه العام الإجمالي لبعد دور التدقيق الرشيقي كان نحو الاتجاه موافق، أي أن مستوى بعد دور التدقيق الرشيقي كان بمستوى مرتفع. بحيث بلغ المتوسط العام (٢,٣٩) والانحراف العام (٠,٤٩).
- ٤- توصلت النتائج أن الاتجاه العام الإجمالي لعبارات جودة التقارير المالية كان نحو الاتجاه الموافق، وبمستوى مرتفع حيث بلغ المتوسط الحسابي (٢,٣٩) وانحراف معياري (٠,٤٩).

٥- يوجد علاقة ذو دلالة احصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) لدور التدقيق الرشيقي في تعزيز جودة التقارير المالية .

٦- يوجد أثر ذو دلالة احصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) لدور التدقيق الرشيقي في تعزيز جودة التقارير المالية .%

التوصيات:

- ١- يجب دراسة كيفية دمج تقنيات التحليل المتقدم مثل التحليل التنبؤي والتحليل الإحصائي في أساليب التدقيق الداخلي الرشيقي لتحسين دقة وكفاءة اكتشاف المخاطر وتحديد الفرص.
- ٢- يتعين على الوحدات الاقتصادية استثمار الموارد الكافية في تطوير وتحديث أدوات التدقيق الداخلي الرشيقي لتلبية متطلبات السوق المتغيرة بشكل فعال.
- ٣- ينبغي إجراء بحث حول كيفية تأثير ثقافة المؤسسة على تنفيذ التدقيق الداخلي الرشيقي وكيفية إدارة التغيير الثقافي لتعزيز تقبل وتطبيق الأساليب الرشيقة بفعالية.
- ٤- من الضروري تطوير منهجيات تقييم محددة لقياس فعالية وكفاءة التدقيق الداخلي الرشيقي بشكل دوري، وتحديد معايير تقييم الأداء المناسبة التي تعكس القيمة المضافة للتدقيق الرشيقي.
- ٥- يجب دراسة كيفية تكامل التدقيق الداخلي الرشيقي مع أطر الحوكمة المؤسسية لزيادة فعالية الرقابة وضمان التوافق مع معايير الحوكمة.
- ٦- تنظيم ورش عمل ودورات تدريبية متقدمة للمدققين الداخليين تركز على تطبيق التكنولوجيا والتقنية الحديثة، مثل أتمتة العمليات والذكاء الاصطناعي، في تحسين عمليات التدقيق الداخلي الرشيقي.

المصادر والمراجع:

١. القنبري، محمد قيس (٢٠٢٠): نحو مراجعة داخلية رشيقة. مجلة منصة المراجعة الداخلية السعودية.
٢. المشهداني، ثانياة اسماعيل ذنون، وودعاء ادريس يونس (٢٠٢٣): دور التدقيق الرشيقي ودوره في تطوير أداء التدقيق الداخلي. المجلة العراقية للعلوم الاقتصادية، عدد خاص لوقائع المؤتمر العلمي الدولي، ص ٦٧٥ - ٦٨٤.
٣. أمين، سعاد عدنان نعمان (٢٠٢٣): أهمية التدقيق الداخلي الرشيقي في تحقيق التنمية المستدامة. مجلة كلية دجلة الجامعة، المجلد ٦، العدد ٢.
٤. حماد، طارق عبد العال (٢٠٠٥): التقارير المالية. الدار الجامعية، مصر.
٥. ريشو، بديع الدين (٢٠١٣): جودة التقارير المالية العوامل المؤثرة و وسائل القياس : دراسة ميدانية في بيئة الأعمال المصرية. مجلة التجارة والتمويل، العدد الأول، ص ١٤٩ - ١٩٦.
٦. شريف، عبد الله فائق ابراهيم (٢٠٢٣): تأثير التدقيق الرشيقي على كفاءة وفعالية التدقيق الداخلي. رسالة ماجستير، جامعة الموصل، كلية الإدارة والاقتصاد.
٧. لطفي، أمين السيد أحمد (٢٠٠٨): إعداد وعرض القوائم المالية في ضوء معايير المحاسبة. الدار الجامعية، القاهرة.
٨. جبار، عقيل كاظم (٢٠٢١). "انعكاس تقييم الأصول على الخصائص الأساسية للمعلومات المحاسبية دراسة تطبيقية على عينة من الوحدات الاقتصادية المدرجة في سوق العراق للأوراق المالية"، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الادارة والاقتصاد، قسم المحاسبة، جامعة واسط، العراق.
٩. جربوع، يوسف محمود. (٢٠١٤). "نظرية المحاسبة"، الطبعة الثانية.
١٠. الجواهري، بشرى عبد الوهاب و حميدي، كزار سليم و الساعدي، ماهر ناجي. (٢٠١٩). "أموذج مقترح لقياس جودة معلومة الأرباح المبلغ عنها وتقييمها"، مجلة دراسات ادارية، كلية الادارة والاقتصاد جامعة البصرة، المجلد ١، العدد ٢٢، ٢٠١٩.
١١. حسوية، كريم منصور علي و عوض، محمد حمدي وفرنوي، مصطفى السيد و إسماعيل، محمود إسماعيل محفوظ. (٢٠٢٢). "المعايير الدولية لإعداد التقارير المالية"، هيئة المراجعة، محمود، منصور حامد و ابو شناف، زايد سالم، قسم المحاسبة، كلية التجارة، جامعة القاهرة، الطبعة الاولى
١٢. شبير، أحمد عبد الهادي. (٢٠٠٦). "دور المعلومات المحاسبية في اتخاذ القرارات الإدارية دراسة تطبيقية على الشركات المساهمة العامة في فلسطين"، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التجارة، قسم المحاسبة، الجامعة الاسلامية، غزة.

١٣. عنيزة، حسين هادي حسين. (٢٠٢١). "تقييم جودة المعلومات المحاسبية في الوحدات الحكومية وفق الخصائص النوعية للمعلومات المحاسبية في القطاع العام دراسة تحليلية"، كلية التربية للبنات للعلوم الانسانية، المجلد ١٥، العدد ٢٨.

١٤. فرحان، رندة حسن. (٢٠١٨). "توجهات الفكر المحاسبي للقيمة العادلة وتأثيرها في خاصية ملائمة معلومات كشف الدخل دراسة تطبيقية في عينة من المصارف التجارية الخاصة المدرجة في سوق العراق للأوراق المالية"، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التقنية الإدارية، الجامعة التقنية الوسطى، بغداد

١٥. القسايمة، غازي محمد علي سلامة. (٢٠٢١). "أثر الذكاء الاصطناعي في خصائص المعلومات المحاسبية الدور المعدل لكفاءة الانظمة المحاسبية في البنوك التجارية الأردنية"، أطروحة دكتوراة (غير منشورة)، جامعة العلوم الاسلامية العالمية، عمان، الأردن.

١٦. المرزوق، اية عبد الصمد محمد. (٢٠٢٣). "أثر خصائص المعلومات المحاسبية على كفاءة التدقيق الداخلي والدور المعدل لحوكمة تكنولوجيا المعلومات : دراسة تطبيقية على البنوك التجارية الأردنية" رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة الشرق الاوسط، عمان، الأردن.

1. A Diksha, Acharya (2021) Agile Auditing for Increasing Efficiency, International Journal of Auditing and Accounting Studies Volume 3; Number 1.
2. Costa, P. D. S., Pinto, A. F., Nunes, F. M., & Lemes, S. (2019). Comparability of accounting choices in the statement of cash flow: Evidence from Brazil. *Contaduría y administración*, 64.(٣)
3. Galvanize (2020). Sprinting Ahead with Agile Auditing. <https://iiabelgium.org/wp-content/uploads/2020/08/eBook-sprinting-ahead-with-agile-auditing-002.pdf>
4. Joshi, Prem Lal, (2021), A Review of Agile Internal Auditing: Retrospective and Prospective, *International Journal of Smart Business and Technology*, Vol.9, No.2, Sandy Bay, Australia.

5. Wright Jr., Rick A., (2020), A gile auditing: Transforming the Audit Process, Instituto de Auditores Internos de Chile nternal Audit Foundation, USA.
6. Wright Jr., Rick A., (2020), A GILE AUDITING: Transforming the Audit Process, Instituto de Auditores Internos de Chile (IAI CHILE), Internal Audit Foundation, USA

الإبداع التسويقي في صناعة السياحة

(دراسة ميدانية لعينة من شركات السفر والسياحة العراقية)

Marketing creativity in the tourism industry (A field study of a sample of Iraqi travel and tourism companies)

م.م. احمد مكى محمود^(١)

Asst. Lect. Ahmed Makki Mahmoud

الملخص

الإبداع التسويقي من العوامل المهمة للنجاح نظراً لما له من أهمية في القدرة على التجديد وتقديم المنتجات المبتكرة، لذا تسعى الدراسة للإجابة عن التساؤلات التالية:

١. ما هو مفهوم الإبداع التسويقي والابتكار في شركات السفر والسياحة العراقية؟

٢. هل حققت الشركات نجاحاً ملموساً في مجال الابتكار والإبداع التسويقي؟

وتتجلى أهمية الدراسة الحالية ببيان واقعية الإبداع التسويقي في شركات السفر والسياحة العراقية وتم توزيع

الاستمارة على عينة عشوائية من الشركات العراقية للسفر والسياحة، بعدد ١٠٠ استبانة.

الكلمات المفتاحية: الإبداع التسويقي، صناعة السياحة، شركات السفر والسياحة العراقية.

Abstract

Marketing creativity is an important factor for success due to its importance in the ability to innovate and provide innovative products, so the study seeks to answer the following questions :

١- جامعة كربلاء- كلية الطب .Makiahmed850@gmail.com

1. What is the concept of marketing creativity and innovation in Iraqi travel and tourism companies ?
2. Have the companies achieved tangible success in the field of innovation and marketing creativity?

The importance of the current study is to show the reality of marketing creativity in Iraqi travel and tourism companies, and the questionnaire was distributed to a random sample of Iraqi travel and tourism companies, with a number of 100 questionnaires .

Keywords: Marketing Innovation, Tourism Industry, Iraqi Travel and Tourism Companies.

المقدمة

تعد صناعة السياحة من الصناعات الهامة للاقتصاد العراقي، إن الابتكار والابداع الانتاجي والتسويقي والاداري هي عناصر مهمة لضمان استمرار نمو وتطور هذه الصناعة نظراً لما يقدمه الابتكار والابداع من القدرة على تطوير منتجات جديدة وأساليب تسويقية مبتكرة تتلاءم مع طبيعة المنتج الدوائي وطبيعة الأسواق الموجهة إليها هذه المنتجات .

منهجية الدراسة

أولاً: مشكلة الدراسة

حدة المنافسة في ازدياد بين جميع الشركات بسبب العديد من العوامل منها ما هو تقليدي بسيط عن طبيعة العمل في القطاع الخاص في ضوء اقتصاديات السوق ومنها ما هو معقد بسبب العولمة والتقدم الهائل في مجال الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات مما جعل الكثيرون ينظرون الى الأسواق العالمية على أنها سوق واحدة، ولما كانت شركات السفر والسياحة العراقية من بين أكثر الشركات تأثراً بهذه المتغيرات فقد كانت الحاجة لأن تعمل هذه الشركات على تمييز نفسها في السوق وبما يضمن لها البقاء والنمو، ونظراً لكون الإبداع والابتكار من العوامل المهمة للنجاح نظراً لما له من أهمية في القدرة على التجديد وتقديم المنتجات المبتكرة , لذا تسعى الدراسة للإجابة عن التساؤلات التالية:

١. ما هو مفهوم الابداع التسويقي والابتكار في شركات السفر والسياحة العراقية؟
٢. هل حققت الشركات نجاحاً ملموساً في مجال الابتكار والابداع التسويقي؟

ثانياً: اهداف الدراسة

تهدف الدراسة الى ما يلي:

١. التعرف على مدى إدراك مديري الشركات ل:
- أهمية الابتكار والإبداع التسويقي.
- البعد التسويقي للابتكار والابداع.

- دور الابتكار والابداع في تعزيز العلاقات بين الشركات.

٢. مدى أثر الابداع والابتكار التسويقي على أساليب البحث والتطوير في شركات السفر.

ثالثاً: فرضيات الدراسة

اعتمدت الدراسة على فرضية أساسية عدمية مفادها الآتي: -

١. لا توجد علاقة ذات دلالة احصائية بين التفكير الابداعي وأساليب البحث والتطوير لدى شركات السفر والسياحة في العراق.

٢. لا توجد علاقة ذات دلالة احصائية بين التفكير الابداعي وطرق التمويل والمخاطرة لدى شركات السفر والسياحة في العراق.

٣. لا توجد علاقة ذات دلالة احصائية بين التفكير الابداعي ومدى توفر قاعدة بيانات تسويقية لدى شركات السفر والسياحة في العراق.

٤. لا توجد علاقة ذات دلالة احصائية بين التفكير الابداعي وطبيعة العمل الاداري لدى شركات السفر والسياحة في العراق.

رابعاً: عينة الدراسة:

تم توزيع الاستمارة على عينة عشوائية من الشركات العراقية للسفر والسياحة، وطلب تعبئة هذه الاستبانة من قبل المدراء المعنيين بتسويق الرحلات السياحية في كل شركة واستعيدت بالكامل حيث بلغ عدد الاستمارات الجاهزة للتحليل الاحصائي ١٠٠ استبانة.

الجانب النظري

الابداع التسويقي:

مفهوم الابتكار creation فانه غالباً ما يختلط مع مفاهيم اخرى مثل الاختراع Invention، الابداع Creativity، التحسين Improving والتطوير Development (نجم، ٢٠١٢: ١٣٧)، وهنا لابد من توضيح هذه المفاهيم وفق ما جاء به (قنديل، ٢٠١٤: ١٢٤) وهي كما يأتي:

- الاختراع: هو التوصل إلى فكرة جديدة بالكامل ترتبط بالتكنولوجيا.
- التحسين: هو ادخال تعديلات او تغييرات صغيرة او كبيرة على العمليات او المنتجات الحالية بما يجعلها اكثر كفاية وملائمة في الاستخدام المستقبلي.
- التطوير: هو التغيير المخطط Planned Change بهدف الانتقال من وضع إلى وضع افضل.

يتطلب الإبداع التسويقي أن تقوم الشركات وباستمرار في عمليات البحث عن تطوير المنتجات بما له فوائد كبيرة لدى المستهلكين ويعمل على إنجاز أقصى إشباع ممكن لحاجاتهم ورغباتهم. بالإضافة إلى هذا فإن الإبداع التسويقي يتطلب القيام بعمليات تسويقية جديدة وحديثة وبعيدة عن التقليد (Cronbach, 1984: 76).

إن نجاح الإدارة في تبني وتنفيذ استراتيجية الإبداع والتطوير للمنتجات الجديدة يعتمد مع مقدرتها في الملائمة إضافة إلى توفير الموارد البشرية والمادية والمالية والقانونية لإجراء عملية التطوير (Sekaran, 1984: 227).

ولتحقيق مناخ إبداعي لشركات السياحة العراقية يجب عليها إشراك كافة الفئات العمرية من العاملين فيها من خلال تشكيل لجان مؤقتة أو دائمة للبحث عن الأفكار الإبداعية إضافة إلى ذلك أن تتبنى شركات السفر إقامة برامج تدريبية للفئات الشابة من العاملين فيها والذين سيتكون لديهم فيما بعد أو تتوفر لديهم الحافزية والحماس في التفكير الحر والإبداعي والذي سيعمل على خلق الأفكار الإبداعية لديهم وتزويدهم بالدعم المادي والمعنوي، وتوفير المناخ الإداري الذي يهدف إلى مساعدة المبدعين في الميادين التي يرغبون فيها.

ويرى (Fillis & Rentschler, 2010: 25) أن عملية التمييز بين الإبداع والابتكار تكمن بان الإبداع هو إنتاج افكار جديدة ومفيدة في اي اختصاص او مجال , بينما الابتكار فهو يعد التنفيذ الناجح لهذه الافكار , كما يؤكد (نجم , ٢٠١٢ : ١٣٨) ان الإبداع يتمثل في التوصل إلى حلول لمشكلة ما أو إلى افكار جديدة غير مطروحة سابقاً , في حين أن الابتكار هو التطبيق الخلاق او الملائم لهذه الافكار؛ ولهذا فإن الإبداع هو الجزء المرتبط بالفكر الجديدة , في حين ان الابتكار هو الجزء الملموس المرتبط بالتنفيذ او التحويل من الفكرة إلى المنتج (سلعة-خدمة)

مبررات الابتكار والإبداع التسويقي لشركات السفر والسياحة (محمد , ٢٠٠٠ : ١٢-١٤)

- ١- تطوير كفاءة الشركات من خلال تطوير الموارد بما يوفر كل ما هو جديد وممكن.
 - ٢- الاستغلال الأمثل للفرص التسويقية ومحاولة دراستها وفهمها للوصول إلى المقدرة على تطبيقها.
 - ٣- الاستخدام الأمثل للأموال وحسب المتغيرات البيئية.
 - ٤- متابعة التطورات والتغيرات العالمية في مجال تسويق الرحلات السياحية والنقل.
- المقومات الأساسية لإنجاح عملية إدارة المنتجات الجديدة (محمد , ٢٠٠٠ : ٢٨-٣٠)

- ١- القدرة على توليد الأفكار الجديدة وباستمرار
- ٢- امتلاك الشركة القدرات الفنية والتسويقية

٣- الآليات والكفاءات المناسبة لتصميم مزيج تسويقي للمنتج المراد تطويره.

أن الإبداع هو كل عمل يتفقت عن طريقة جديدة ويتكشف عن رؤية شيء ما أو علاقة معينة وجعل الطريقة والشئ ذات معانٍ متلاحمة مع الفكر والروح والقلب، أي أن المقدرة على الإبداع تأتي من خلال إدراك العلاقات بين الأشياء والأفكار والأحداث والربط بينهما وإنشاء علاقات منطقية جديدة بين الملاحظات المختلفة وعليه فإن الإبداع هو الرغبة العارمة في استخدام ما يدرك العقل في تطبيقات عملية تحقق نتائج جديدة ومتميزة (ماضي ، ١٩٩١ : ١٩٧) .

أما ما يتعلق بالابتكار فالمقصود به هو أي فكرة حديثة أو ممارسة مبتكرة أو تعبير جديد بالنسبة للفرد الذي يتبناها. وبالتالي فإن التركيز ليس على درجة اختلاف الفكرة عن الأفكار المستقرة ولكن التركيز على تبنيها (الصيرفي ، ٢٠٠٣ : ١٢) .

أن الإبداع هو تبني فكرة جديدة موجودة وبالتالي ضمن الممكن وجود شخص مبتكر دون صنع فكرة جديدة (هوارى : ١٩٩٢ : ٢٢٢) .

سعت العديد من المنظمات السياحية إلى استخدام طرائق تسويقية حققت من خلالها نجاحاً باهراً ، بدلاً من التركيز على انفاق الاموال واجراء بحوث تسويقية بكلف باهظة، خصصت تلك المنظمات مبالغ نقدية للترويج واستهداف الاسواق والعمل على أكثر من بديل لإشباع حاجات وتحقيق رغبات السائح ، ومن ثم التوجه إلى عمليات بيع خدماتها فضلاً عن تطبيق التسويق الابتكاري في تلك المنظمات السياحية لتعزز من نموها والوصول بها إلى المنظمات الكبيرة والريادية (Kotler etal , 2005 : 13-14)

عناصر الإبداع التسويقي (عبد الغني ، ١٩٩٥ : ٦٨-٧٠)

ينطوي مفهوم الإبداع على عدد من العناصر والذي تكمن أهميتها في كونها ضرورة من ضروريات التميز في الحياة اليومية والمستقبلية، وليس فقط ولادة أفكار ذات قيم عالية وعليه يتشكل الإبداع التسويقي من العناصر التالية :

- ١- الطلاقة FLUENCY حجم النشاطات التسويقية في غضون فترة زمنية محدودة.
- ٢- المرونة FLEXIBILITY الانتقال بين موقف تسويقي واخر والتعامل مع جميع الموقف.
- ٣- الأصالة ORIGINALITY مقدرة الفرد على طرح أفكار تسويقية جديدة لم يسبقه إليها أحد من قبل.

- ٤- القدرة على تحسس المشكلات التسويقية وإدراك طبيعتها (Recognize a problem)
- ٥- الميل إلى إبراز التفاصيل (ELABORATION) أي المعالجة الدقيقة والشاملة التي توضح أبعاد المسائل التسويقية.

تنمية القدرات الإبداعية الفردية (القريوتي : ١٩٨٩ : ١٩٥)

يتم تنمية القدرات والمهارات الإبداعية للأفراد من خلال زيادة القدرة على التحليل والوعي بمختلف الأبعاد لمعالجة الموضوع، إضافة إلى زيادة الاهتمام بالآخرين وحاجاتهم والتركيز على التخطيط الاستراتيجي المتعلق بالأهداف العامة وليس الأمور الإجرائية وزيادة المقدرة على التركيز وحصر الوقت في الأمور التي يمكن عمل أشياء مميزة فيها والتحلي بمهارات الصبر والتي تتمثل في القدرة على إعادة تقييم الذات وزيادة المقدرة على التكيف مع التغيير من خلال اعتباره شيئاً حتمياً.

عوائق التفكير الإبداعي (اتكسنون , ١٩٩٦ : ١٠٤)

إن القناعة بالحل الواحد والتقييم المقترح للأفكار والخوف من التغيير والاستخفاف بالأفكار الجديدة وعدم الرغبة في الخروج عن المألوف والاعتقاد بضرورة أن يكون الحل دائماً داخل إطار محدد هي جميعها تشكل عوائق كبيرة للتفكير الإبداعي ولذلك على المنظمات دراسة كافة العوائق بشكل كبير ومحاولة تجنبها حتى لا تقف حجر عثرة في طريقها للتفكير الإبداعي.

مراحل الإبداع (المغربي , ١٩٩٣ : ٢٠٦)

لا يعتبر الإبداع أو الابتكار شيئاً عفويا بل هو نتيجة لمجموعة مراحل أساسية تبدأ بالتعرف على حيثيات المشكلة REPRESENT THE PROBLEM بشكل مفصل من جميع أبعادها ومراعاة الظروف المحيطة بها والأسباب التي أدت إلى ظهورها وكافة الجوانب المرتبطة بها إضافة إلى ضرورة التفريق بين المشكلة الحقيقية والأعراض الناتجة عنها.

والمرحلة الثانية تكمن في التفكير المتعمق والمركز على المشكلة وتحليلها من جميع جوانبها ثم تأتي المرحلة الثالثة والتي تتحدث عن التأمل في المشكلة والغوص في باطنها لاختتمارها في عقل المبدع ثم يلي ذلك المرحلة الرابعة والمتعلقة بالتحقق وتوضيح الفكرة الناتجة عن الإلهام والتفحص وملاءمتها لحيثيات المشكلة وتكييفها بصورة معينة لتلائم الخصائص وعرضها بشكلها النهائي على المختصين والخبراء.

الجانب الميداني

اولا : نتائج التحليل الوصفي لمستوى اجابات العينة

١- البحث والتطوير

جدول رقم (١) الوسط الحسابي والانحراف المعياري للإجابات على أسئلة البحث والتطوير

التسلسل	البحث والتطوير	الدرجة	الانحراف المعياري
١	تعمل الشركة على تقديم منتجات جديدة	٤,٦٩	٠,٤٦
٢	تعمل الشركة على تطوير منتجاتها الحالية	٤,٢٢	٠,٩٣
٣	تسعى الشركة لدخول أسواق جديدة	٤,٥٨	٠,٦٢
٤	تركز الشركة على التطوير الجوهرى للمنتجات	٣,٦٣	١
٥	تواكب الشركة التطورات العلمية في مجالها	٤,٢٣	٠,٨٥
٦	تسعى الشركة للبحث عن الأفكار الجديدة	٤,٠٥	٠,٩٠
٧	لا تستبعد الشركة الأفكار الغربية	٢,٧	١,١٣
١٥	يوجد لدى الشركة جهاز متخصص للبحث والتطوير	٣,٨	١,٢٤
١٦	تتابع الشركة مدى نجاح المنتجات الجديدة	٤,٧	٠,٥٣
١٧	تبحث الشركة عن أسباب فشل المنتجات الجديدة	٤,٣	٠,٨٦
٣٣	تقبل الشركة مقترحات عملائها الإبداعية وتعمل على تنفيذها	٣,٦٤	٠,٩٩
٣٧	تتعاون الشركة مع مؤسسات البحث العلمي والجامعات لتطوير أفكار جديدة	٣,٢٣	٠,٩٤
٣٨	تسعى الشركة للتعامل مع الشركات العراقية الأخرى في الأسواق السياحية	٣,٦	١,٠١
٣٩	تستخدم الشركة أساليب تسويقية متطورة للتعامل مع الأسواق الخارجية	٣,٨	٠,٩٢
٤١	تستفيد الشركة من الاحداث العالمية لجذب السياح أكثر	٣,٩٧	٠,٩٨

المصدر : اعداد الباحث

يتبين من الجدول اعلاه أن تقديم المنتجات الجديدة والدخول الى الأسواق الجديدة وتطوير المنتجات الحالية هي أهم العناصر التي تراها الشركات العراقية للسفر والسياحة ضرورية لتطوير المنتجات بينما الأفكار الغربية والتعامل مع الشركات الأخرى ومؤسسات البحث العلمي والجامعات واستخدام الأساليب التسويقية المتطورة هي الأقل أهمية حسب رأي هذه الشركات.

٢- التمويل والمخاطرة

جدول رقم (٢) : الوسط الحسابي والانحراف المعياري للإجابات على أسئلة التمويل والمخاطرة

الانحراف المعياري	الوسط الحسابي	التمويل والمخاطرة	التسلسل
١	٣,١	لدى الشركة استعداد لتحمل المخاطرة في مجال التطوير	٨
١,١	٣,١٥	تخصص الشركة موازنات مالية لإجراء الأبحاث العلمية	١٢
١,٣٨	٣,١٦	يوجد في الشركة فريق مغامر يبحث عن كل ما هو جديد لخدمة الشركة	٢٠
١,٤	٣,١	تمول الشركة بعض مشاريع البحوث العلمية ذات الصلة بالصناعة السياحية	٤٣

المصدر: اعداد الباحث

يتبين من الجدول أن شركات السياحة العراقية تميل الى المحايدة أو الموافقة الضعيفة نحو المخاطرة من مجلس الادارة التطوير والتمويل وهذا المؤشر واضح على عدم الميل نحو تحمل المخاطر الناتجة عن ذلك.

٣- توفير قاعدة بيانات تسويقية

جدول رقم (٣) : الوسط الحسابي والانحراف المعياري للإجابات على أسئلة قواعد البيانات التسويقية

الانحراف المعياري	الوسط الحسابي	توفير قاعدة بيانات تسويقية	التسلسل
٠,٨٢	٤,٤	تتابع الشركة تطورات الشركات المحلية المنافسة	٩
١,٢٢	٣,٧١	تتابع الشركة تطورات الشركات العالمية المنافسة	١٠
١,٤	٣,٢٧	يتوفر لدى الشركة جهاز استخبارات تسويقي	١١
٠,٩١	٣,٧٥	تنوع الشركة في أساليبها التسويقية	١٨
١,١٤	٣,٣٨	تلجأ الشركة إلى استخدام شبكة الإنترنت في عملها التسويقي	١٩
١,١	٣,٥	يوجد لدى الشركة نظام معلومات متكامل المقترحات والأفكار	٣٤
٠,٨	٣,٧٨	تأخذ الشركة بمقترحات مورديها لتطوير عملها	٣٥
٠,٣	٣,٦٨	تتفاعل الشركة مع الأجهزة الرسمية للاستفادة من الأفكار الجديدة	٣٦
٠,٨٩	٤,٢٧	تتابع الشركة آراء ومقترحات السياح حول الخدمات المقدمة	٤٤
٠,٧٣	٤,٤	تتابع الشركة آراء ومقترحات الشركات الاخرى حول المنتجات والخدمات	٤٥
١,٣٨	٣,٢	تخصص الشركة صندوقاً للاقتراحات وتقوم بمراجعته بعناية	٤٦

المصدر: اعداد الباحث

يتضح من هذا الجدول أن الشركات العراقية تتابع الشركات المحلية لمنافسة وآراء ومقترحات السياح بشكل واضح بينما لأنهم كثيرة التطور لنظام المعلومات أو يخصص صندوق الاقتراحات.

٤- عناصر العمل الإداري

جدول رقم (٤) : الوسط الحسابي والانحراف المعياري للإجابات على أسئلة طبيعة العمل الإداري

التسلسل	طبيعة العمل الإداري	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري
٢٢	توفر الشركة لدى العاملين فيها جو إداريا مريحا للوصول إلى التفكير الإبداعي	٣,٩	١,٠٢
٢٣	تعقد الشركة دورات تدريبية لدى العاملين فيها لتعريفهم بأهمية التفكير الإبداعي	٣,٦	٠,٩٦
٢٤	تسعى الشركة إلى إيجاد حلقات ودوائر للقيادات الإبداعية والابتكارية داخلها	٣,٥	٠,٨٦
٢٥	تقدم الشركة حوافز مادية ومعنوية لأصحاب الأفكار الإبداعية	٣,٣٩	٠,٩٨
٢٦	تعتبر الشركة الإبداع والابتكار عاملان مهمان في تقييم أداء العاملين لديها	٣,٩	١,٠
٢٩	يساعد الهيكل التنظيمي للمنظمة على الإبداع والابتكار	٣,٥٢	٠,٩
٣٠	توفر الشركة نوعا من اللامركزية الذي يساعد على طرح الأفكار الجديدة	٣,٦	٠,٩١
٣١	أن طبيعة العلاقات بين المستويات الإدارية المختلفة مصممة لمساعدة العاملين على الإبداع والابتكار	٣,٥٧	٠,٨٧
٣٢	تشجع الشركة المستويات الإدارية الدنيا على تقديم ومناقشة الأفكار الجديدة	٣,٨	٠,٩٣

المصدر : اعداد الباحث

سيوضح من هذا الجدول أن شركات السياحة العراقية تعطي اهتماماً متوسطاً ومتقارباً لجميع العناصر المتعلقة بالعمل والجو الإداري المساعد على الابتكار والتطوير اذا كان متوسط الاجابات يتراوح بين ٣,٥ في حده الأدنى و ٣,٩ في حده الأعلى وهذا مؤشر على ما تعطيه الشركات العراقية من أهمية للعناصر الادارية في تنمية الابتكار والابداع في هذه الشركات.

٥- التفكير الإبداعي

جدول رقم (٥) : الوسط الحسابي والانحراف المعياري للإجابات على أسئلة التفكير الإبداعي

التسلسل	العبرة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري
١٣	تلجأ الشركة إلى استخدام أساليب مبتكرة في التفكير	٣,٦٦	٠,٨٧
١٤	تعيد الشركة دراسة الأفكار بشكل متكرر	٣,٦	٠,٨٦
21	يوجد لدى الشركة لجان دائمة تتبنى التفكير الإبداعي	٢,٨	١,٢٧
٢٧	تتبنى الشركة الأفكار الإبداعية ودعمها	٣,٥	٠,٩٥
٢٨	يتوفر لدى الشركة سلة كبيرة من الأفكار الإبداعية	٣,١٥	٠,٨٧
٤٠	تستفيد الشركة مما يطرح في وسائل الإعلام من أفكار إبداعية	٣,٢	١,٠
٤٢	تستفيد الشركة من المشاركة وحضور المؤتمرات والندوات المتعلقة بالصناعة السياحية	٤,٣٨	٠,٨١
٤٧	تعقد الشركة اجتماعات دورية للآراء الحرة	٣,١٤	١,٣٨

المصدر : اعداد الباحث

يشير الجدول اعلاه الى اجماع شركات السفر والسياحة على الاستفادة من المشاركة بالمؤتمرات والندوات المتعلقة بالصناعة السياحية بينما كان هناك ضعف واضح في مجال تشكيل اللجان الدائمة الأفكار الابداعية ضعيف بما يطرح في وسائل الاعلام من أدناه ابداعيه وكذلك ضعف واضح في تطوير سلة للأفكار والابداعية.

ثانيا : اختبار الفرضيات

الفرضية الأولى: لا توجد علاقة بين التفكير الإبداعي وأساليب البحث والتطوير لدى شركات السفر والسياحة في العراق .

الجدول رقم (٦) : تحليل التباين الأحادي لإجابات أفراد العينة

بين التفكير الابداعي وعناصر الابداع والابتكار لدى شركات السفر والسياحة في العراق

مستوى الدلالة	قيمة (f) الجدولية	قيمة (f) المحسوبة	المتغير
٠,٠٠	١,٨٣	١٢,٩٤٥	البحث والتطوير
٠,٠٠	١,٨٣	١٦,٤٩٧	التمويل والمخاطرة
٠,٠٠	١,٨٣	٢٢,٩٠٦	قاعدة البيانات التسويقية
٠,٠٠	١,٨٣	١٣,٩٣٥	العمل الاداري

يبين الجدول رقم (٦) أعلاه أن قيمة (f) المحسوبة للبحث والتطوير (١٢,٩٤٥) وهي أكبر من قيمتها المستخرجة من الجداول الإحصائية (١,٨٣) عند مستوى دلالة (٠,٠٥) ودرجات حرية (١٣ و ٨٦)، مما يوجب رفض الفرضية العدمية القائلة بعدم وجود علاقة بين التفكير الإبداعي وأساليب البحث والتطوير لدى الشركات . ويؤكد هذه النتيجة مستوى دلالة (f) البالغ (٠,٠٠)، حيث أنه أقل من (٠,٠٥) المستوى المعتمد لهذه الدراسة.

الفرضية الثانية: لا توجد علاقة بين التفكير الابداعي وطرق التمويل والمخاطرة لدى شركات السفر والسياحة في العراق

يبين الجدول رقم (٦) أعلاه أن قيمة (f) المحسوبة للتمويل والمخاطرة بلغت (١٦,٤٩٧) وهي أكبر من قيمتها المستخرجة من الجداول الإحصائية (١,٨٣) عند مستوى دلالة (٠,٠٥) ودرجات حرية (١٣ و ٨٦)، مما يوجب رفض الفرضية العدمية القائلة بعدم وجود علاقة بين التفكير الإبداعي والتمويل والمخاطرة لدى الشركات . ويؤكد هذه النتيجة مستوى دلالة (f) البالغ (٠,٠٠)، حيث أنه أقل من (٠,٠٥) المستوى المعتمد لهذه الدراسة.

الفرضية الثالثة: لا توجد علاقة بين التفكير الإبداعي ومدى توفر قاعدة بيانات تسويقية لدى شركات

السفر والسياحة في العراق .

يبين الجدول رقم (٦) أعلاه أن قيمة (f) المحسوبة لتوفير قاعدة بيانات تسويقية بلغت (٢٢,٩٠٦) وهي أكبر من قيمتها المستخرجة من الجداول الإحصائية (١,٨٣) عند مستوى دلالة (٠,٠٥) ودرجات حرية (١٣ و ٨٦)، مما يوجب رفض الفرضية العدمية القائلة بعدم وجود علاقة بين التفكير الإبداعي ومدى توفر قاعدة بيانات تسويقية لدى الشركات . ويؤكد هذه النتيجة مستوى دلالة (f) البالغ (٠,٠٠)، حيث أنه أقل من (٠,٠٥) المستوى المعتمد لهذه الدراسة.

الفرضية الرابعة: لا توجد علاقة بين التفكير الإبداعي وطبيعة العمل الإداري لدى شركات السفر

والسياحة في العراق .

يبين الجدول رقم (٦) أعلاه أن قيمة (f) المحسوبة لطبيعة العمل الإداري بلغت (١٣,٩٣٥) وهي أكبر من قيمتها المستخرجة من الجداول الإحصائية (١,٨٣) عند مستوى دلالة (٠,٠٥) ودرجات حرية (١٣ و ٨٦)، مما يوجب رفض الفرضية العدمية القائلة بعدم وجود علاقة بين التفكير الإبداعي وطبيعة العمل الإداري لدى الشركات . ويؤكد هذه النتيجة مستوى دلالة (f) البالغ (٠,٠٠)، حيث أنه أقل من (٠,٠٥) المستوى المعتمد لهذه الدراسة.

النتائج

من التحليل السابق يتضح ما يلي:

١. تولى شركات السفر والسياحة العراقية أهمية المناسبة للبحث والتطوير وخاصة فيما له علاقة بتقديم المنتجات المبتكرة وتطوير المنتجات الحالية ولكنها تعطي اهتماماً قليلاً للاستفادة من الأفكار التي قد تبدو غريبة للوهلة الأولى وكذلك للتعاون مع الشركات الأخرى ومؤسسات البحث العلمي والجامعات في هذا المجال ولعل الأمر المستغرب هنا أن هذه الشركات لا تعطي الاهتمام المطلوب لاستخدام الأساليب التسويقية الحديثة المنظورة وهذا مؤشر على عدم وصول الوعي التسويقي لدى شركات السفر للمستوى الذي وصل إليه اهتمامها بالأمور الإنتاجية .
٢. تشير نتائج الدراسة إلى عزوف للشركات العراقية لتحمل المخاطرة العالية والوصول الى الأنشطة البحثية التي يمكن أن تساعد على الإبداع والابتكار وهذا مؤشر إلى ميل هذه الشركات نحو الأفكار المضمونة التقليدية والمنتج قليل المخاطرة ولاشك أن هذه التوجهات يمكن أن تكون أمام تطوير المنتجات التي تحمل درجة من المخاطرة وبالتالي تقليل هامش الإبداع والابتكار.

٣. تبين نتائج التحليل أن الشركات العراقية وإن كانت تسعى لمتابعة تطورات الشركات المحلية المنافسة وبدرجة أقل من شركات السفر العالمية المنافسة إلا أن اهتمامها أقل بشكل واضح بأي نظام متكامل للمقترحات والأفكار أو تخصيص صندوق للاقتراحات وهذا مؤشر آخر على أن هذه الشركات تسعى للاستفادة من الأفكار والتجارب الناجحة ولكنها تريد أن تنأى بنفسها عن المبادرة بتبني الأفكار الجديدة أو البحث عنها بطريقة منتظمة عن طريق إيجاد جهاز استخبارات تسويقي خاص بها.
٤. إن اهتمام الشركات العراقية باقتراحات السياح واضح من خلال هذه الدراسة وهذا شيء جيد كونهما الأقرب للمستهلك والأكثر قدرة على تحديد رغباته واحتياجاته ولكن استخدام شركات السفر لشبكة الإنترنت وتفاعلها مع الأجهزة الرسمية للاستفادة من الأفكار الجديدة قد كان أقل أهمية حسب إجابات هذه الشركات وهذا مؤشر جديد على أن شركات السفر العراقية لا تستفيد من كافة المصادر المتاحة لها للإبداع والابتكار بالمستوى المطلوب كون شبكة الإنترنت والأجهزة الرسمية هي مصادر أساسية ومهمة في عمليات الإبداع والابتكار بهدف الوصول إلى تطوير منتجات جديدة.
٥. لم يصل اهتمام شركات السفر العراقية بعناصر العمل الإداري إلى المستوى المطلوب إذ كانت بمتوسط إجاباتها على هذه العناصر أقل من (٤ درجات) على مقياس مؤلف من ٥ درجات ولا يخفى أن إيجاد العناصر الإدارية المساعدة على خلق روح الإبداع والابتكار هو شرط أساسي للوصول إلى أفكار إبداعية جديدة يمكن أن تستفيد منه المنظمة في تطوير منتجاتها الجديدة فالمركزية الشديدة والهيكل التنظيمي الحالي والعلامات المتنافرة بين مستويات الإداري هي عناصر تؤدي إلى الإبداع والابتكار.
٦. تشير نتائج الدراسة إلى استفادة قليلة مما يطرح في وسائل الإعلام من أفكار إبداعية والى ضعف واضح في إيجاد الأفكار الإبداعية وقلة وجود الفرق الدائمة لتبني الأفكار الإبداعية وعدم اهتمام الشركات بأي لقاءات دورية مستمرة للعاملين لديها مع الجمهور والجهات المختصة بالشأن السياحي للتداول حول الآراء الحرة المتعلقة بالشركة إلى عدم جدية التوجه نحو التفكير الإبداعي والاستفادة من الأفكار الإبداعية التي يمكن الحصول عليها باستخدام هذه الوسائل .
٧. لقد أكدت النتائج وجود علاقة قوية بين التفكير الإبداعي من جهة وكل من أساليب البحث والتطوير وطرق التمويل والمخاطرة وتوفير قاعدة بيانات تسويقية والعمل الإداري وهذا له دليل على أهمية العناصر للحصول على الأفكار الإبداعية وقد أثرتنا في استنتاجاتنا السابقة عدم الاهتمام الكافي من شركات السفر بهذه العناصر المرتبطة والمؤثر على التفكير الإبداعي إذ إن

وجودها والاهتمام بها هو متطلب أساسي للوصول إلى الأفكار الجديدة والمؤثرة بعناصر البحث والتطوير والمخاطرة وقاعدة المعلومات والعمل الإداري.

التوصيات

بناءً على التوصيات والاستنتاجات السابقة فإننا نوصي بما يلي:

١. أن توجد شركات السفر العراقية فريقاً متخصصاً ويتميز بروح المغامرة للبحث عن الأفكار الجديدة والتي قد تبدو مستغربة عند طرحها للمرة الأولى لمتابعة هذه الأفكار والتي يمكن أن ينتج عنها منتجات مبتكرة يكون لهذه الشركات قصب السبق في طرحها بالسوق حيث يمكن تسجيلها كبراءة اختراع للشركة التي تتبناها.
٢. أن تتعاون شركات السياحة والسفر فيما بينها بشكل مناسب لتوزيع تكاليف البحث والتطوير فيما بينها وبما يخفف من العبء المترتب على الشركة الواحدة وأن تستفيد مما تقدمه الدوائر الرسمية والمعاهد العلمية من بحوث ودراسات في هذا الشأن.
٣. أن تعمل شركات السياحة والسفر العراقية على تطوير أسلوب عملها الإداري والتقليل من المركزية الشديدة والهياكل التنظيمية الجامدة وأن توجد جواً إدارياً يساعد كافة العاملين لديها مهما كان مستواهم الوظيفي على التفكير بمنظور إبداعي وتقديم أفكار إبداعية تكون أساساً في نحو وتطور هؤلاء العاملين.
٤. أن تتبنى الشركات العراقية فكرة إيجاد استخبارات تسويقية مهمتها متابعة الأفكار الجديدة في كافة المجالات الإنتاجية والإدارية والتسويقية بهدف الاستفادة من هذه الأفكار الإبداعية في تقديم المنتجات الجديدة في تطوير المنتجات الحالية ولذا بالنسبة للأسواق الحالية والجديدة.
٥. أن تعمل الشركات العراقية على تطوير نظام معلومات متكامل يتخصص بالبحث عن الأفكار الإبداعية ومتابعتها وتطويرها للاستفادة منها في مجال عملها ون يكون لديها سلة أفكار كبيرة تتضمن كل ما يصل إليها من آراء أو مقترحات أو أفكار بهدف تجربتها والاستفادة منها في مجالات عملها.
٦. أن تزيد شركات العراقية من اهتمامها بموضوع الدورات والحلقات العلمية وجلسات الحوار الحرة والتي يمكن من خلالها الوصول إلى أفكار إبداعية تؤدي إلى تطوير أسلوب عمل هذه الشركات وخاصة ما يتعلق منها اقتراحات العاملين لديها وموزعيها ومورديها والذي يمكن أن يكون لهم وجهة نظر مختلفة عن وجهة نظر الشركة نتيجة اتصالهم بالمستهلكين والمنافسين وبالسوق بشكل عام.

المصادر

1. Cronbach, L. J. (1984),(Essentials of psychological testing, NY, Harper & Row
 2. Uma Sekaran, (1984), Research Methods for Managers: A Skill- Building Approach, Wiley & Sons. .
 3. Fillis , I.& Rentschler , R., (2010), The Role of Creativity in Entrepreneurshing , Journal of Entreprising Culture , Vol. 18, No.1.
 4. Kotler , Philip, Armstrong , Gary ; Wong , Veronica Principles of Marketing, 4 Edition Pearson Education limited , Newyork 2005.
٥. محمد عبيدات (٢٠٠٠)- تطوير المنتجات الجديدة دار وائل للنشر .
 ٦. علي ماضي، النفس البشرية دار النهضة العربية ١٩٩١ .
 ٧. محمد الصيرفي، الإدارة الرائدة، دار صفا للنشر والتوزيع عمان ٢٠٠٣ .
 ٨. سيد هوارى، التنظيم والهياكل والسلوكيات والنظم، مكتبة عين شمس ١٩٩٢ .
 ٩. محمد عبد الغني حسن، مهارات التفكير الابتكاري ، مركز تطوير الأداء والتنمية ١٩٩٥ .
 ١٠. محمد قاسم القريوتي، السلوك التنظيمي دراسة للسلوك الإنساني الفردي والجماعي في المنظمات الإدارية، ب ن، عمان ١٩٨٩ .
 ١١. قنديل , علاء محمد سيد، القيادة الادارية وادارة الابتكار , دار الفكر ناشرون وموزعون ,عمان , الاردن , ٢٠١٤ .
 ١٢. فيليب اتكسنون، إدارة الجودة الشاملة، مركز الخبرات المهنية للإدارة القاهرة ١٩٩٦ .
 ١٣. كامل المغربي، السلوك التنظيمي مفاهيم واسس سلوك الفرد والجماعة في التنظيم، دار الفكر عمان ، ١٩٩٣ .
 ١٤. نجم عبود نجم , القيادة وادارة الابتكار , دار صفا للنشر والتوزيع , عمان , الاردن, ٢٠١٢ ..

صناعة العطور واهميتها في مصر الفاطمية

The perfume industry and its importance in Fatimid Egypt

أ. م. د فاتن كامل شاهين^(١)

Asst. Prof. Faten Kamel Shaheen (PhD)

الملخص

يجد المتتبع لقضايا الحضارة والرقي عند الشعوب، ان الاهتمام بالمظهر الانيق في الملبس يتبعه الاهتمام بالزهور والورود والمجوهرات والعطور، ويجد ان صناعة العطور تتطور بخط متواز مع صناعة الثياب والمجوهرات، حيث ان كل واحد من هذه الأمور الثلاثة مؤشر مهم من مؤشرات الحضارة المتقدمة، ودليل ناصع على المستوى العالي من الحس والذوق والرفاهية التي وصل إليه المهتمون بها.

وصلت صناعة العطور في مصر الفاطمية الى مستوى لم تصل إليه مصانع العطور في فرنسا واوروبا وامريكا، ونحن قد تجاوزنا عتبة الالفية الثانية للميلاد. فلم نسمع حتى اليوم ان شخصاً ما في العالم، والعالم اصبح اليوم، بفضل التطور الهائل في مجال الاتصالات والبث الفضائي، قرية كونية صغيرة، فلم نسمع ان شخصاً اقدم على تصنيع تمثال من العنبر على مقياس جسمه لتعليق البدلة المقرر لبسها عليه، كما عمل الوزير الأفضل بن بدر الجمالي.

الكلمات المفتاحية: العطور، المجوهرات، مصر الفاطمية، الحضارة المتقدمة، الوزير الأفضل الجمالي.

١- وزارة التربية/ المديرية العامة للتربية في محافظة كربلاء المقدسة

Abstract

The follower of the issues of civilization and sophistication of peoples, finds that the interest in the elegant appearance in clothing followed by interest in flowers, roses, jewelry and perfumes, and finds that the perfume industry is developing in parallel with the manufacture of clothes and jewelry, as each of these three things is an important indicator of advanced civilization, and a bright evidence of the high level of sense, taste and luxury reached by those interested in it.

The perfume industry in Fatimid Egypt has reached a level not reached by perfume factories in France, Europe and America, and we have exceeded the threshold of the second millennium AD. We have not heard until today that someone in the world, and the world today, thanks to the tremendous development in the field of communications and satellite broadcasting, has become a small cosmic village, we have not heard that someone made a statue of amber on the size of his body to hang the suit to be worn on it, as the best minister bin Badr Al-Jamali worked.

Keywords: : perfumes, jewelry, Fatimid Egypt, advanced civilization, the best aesthetic minis

المقدمة

تزرخ ارض مصر بالكثير من الثروات التي ما زالت بحاجة الى جهد كبير لاستثمارها في انعاش اقتصاد الدولة، واحد اهم تلك الثروات هي صناعة العطور التي تشكل قيمة اقتصادية كبيرة، حيث ظلت مصر عبر العصور ارض العطور والطيوب، فأشتهرت منذ القدم بصناعة العطور، وامتلك أبناؤها في العصر الفاطمي كيفية التعامل مع النباتات العطرية التي تنمو في معظم أراضيها فأستخرجوا منها الزيوت والدهانات، وصنعوا منها اجود أنواع العطور.

وصناعة العطور تعد من الصناعات غير التقليدية المهمة عبر العصور، كما تعد في الوقت نفسه احد اهم دعائم المجتمعات المحلية.

من هنا جاء اختبارنا لدراسة " صناعة العطور واهميتها في مصر الفاطمية". لتسليط الضوء على كيفية صناعة العطور، وكيف لها دور في المجتمع الفاطمي، واهمية النباتات العطرية في صناعتها. اقتضت حاجة البحث الى تقسيمه على أربع نقاط تسبقها مقدمة، وتتلو خلاصة تضمنت النتائج التي توصلت اليها الباحثة وقائمة بأهم المصادر والمراجع.

تضمنت النقطة الأولى : التعريف بانواع العطور، اما الثانية : ميزانية قصر الخلافة من خزانة التوابل، والثالثة : الوزير الأفضل يعلق ثيابه على تمثال من العنبر، في حين ركزت في النقطة الرابعة على أهمية المزين.

أولاً: تعريف بأنواع العطور

كانت صناعة العطور تتداخل مع صناعة التوابل لان بعض التوابل كانت تستعمل تارة في تطيب الأطعمة وطوراً في إشاعة الرائحة الطيبة كالبخور. لذلك كانت المؤسسة التي تهتم بخزن التوابل هي نفسها تهتم بخزن العطور على أنواعها، كما بعضها يدخل في تصنيع الشرابات والأدوية. (٢)

- **الدارصيني** : وهو احد أنواع القرفة له طعم ورائحة ذكية، ومنه ما يستعمل في صناعة الادوية وبعضه يستعمل في تطيب الطعام. (٣)

- **اللاذ** : وهو نوع من الدبق المأخوذ من الشجر. (٤)

- **المسك** : يحفظ في قوارير ونوافج (٥). والصنف الجيد منه، يعرف من رائحته القوية الجاذبة واللون الأشقر والطعم المر. (٦)

- **العنبر** : اجوده ما يجلب من عمان، وخير اوصافه الخفة والبياض والدهنية، ومنه ما يميل لونه الى الخضرة والصفرة. (٧)

- **الكافور** : اجوده ما حلا طعمه وعذب ريحه. (٨)

- **عود الند** : وهو حين يحرق يصدر عنه بخور برائحة الرياحين والورود. واذا عبق بالثياب يطول وقته لكي يختفي عبقه. (٩)

٢ - الشيمي، محمد عبد الحميد، العطور ومعامل العطور في مصر القديمة، ترجمة: ماهر جرجاني، (د: م، المجلس الأعلى

للثقافة، ٢٠٠٥ م)، صص ١٩-٢٠.

٣ - الحميري، عيسى بن عبد الله بن محمد، لباب النقول في طهارة العطور المزوجة بالكحول، ط (دبي: دار القلم، ١٩٩٨ م)،

ص ٨٢.

٤ - حجازي، احمد توفيق، موسوعة العطور، ط (عمان: دار أسامة، ٢٠٠٠ م)، ص ٢٢.

٥ - وعاء المسك. الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق، تاج العروس من جواهر القاموس، حققه، مجموعة من المحققين، (د:

مط، دار الهداية، د. ت)، ج ٦، ص ٢٤٦.

٦ - البراوي، راشد، حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين، ط (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٤٨ م)، ص ١٤٤.

٧ - الشيمي، المصدر السابق، ص ٢٠.

٨ - البراوي، المصدر السابق، ص ٢٦.

٩ - ابي الفضل الدمشقي، ابي الفضل جعفر بن علي (ت ٦٦ هـ)، الإشارة الى محاسن التجارة وغشوش المدلسين فيها، تعليق، محمود

الارناؤوط، ط (بيروت: دار صادر، ١٩٩٩ م)، ص ٣٢.

- **القرنفل** : وهو عبارة عن أكباش القرنفل، تعرض للشمس فتبيس وتدق وتغربل من العفونة والنداوة.^(١٠)
- **الصندل** : وهو نوع من قشر الخشب الذي يؤخذ من شجر الصندل الشبيه بشجر الحور.^(١١)
- **الزعفران** : وكل ما كان الزعفران جديد التصنيع يستخرج من عشبة الزعفران وافضله الأصفر الخالي من البياض.^(١٢)
- كذلك اشتهرت مصر بالزيوت العطرية - الدهان التي تستخرج من الازهار لصناعة الروائح^(١٣)، وخاصة من الورد واللينوفر والبنفسج والياسمين الذي كان يتخذ منه دهن الزنبق بدمياط^(١٤) خاصة وتفضله النساء.^(١٥)
- ومن أنواع الأشجار والنباتات العطرية نذكر شجرة البلسان او دهن البلسان الذي قال عنه ابن زولاق^(١٦) : " **دهن البلسان لا يثبت الا بمصر** "
- وهذه الشجرة لا تزرع الا بعين شمس في مساحة صغيرة وكان يطبخ الدهن في الخفاء ويرفع الى خزانة القصر وكان يحصل من دهنه نحو من ٢٠ رطلا سنويا.^(١٧)

- ١٠ - المسيري، حسام احمد، تصوير العطور في مصر في العصر البلطمي، مجلة الدراسات الإنسانية والأدبية، مجلد الحادي والعشرون، العدد (١)، ٢٠٢٠م، ص ٤٠٧.
- ١١ - الشيمي، المصدر السابق، ص ١٩.
- ١٢ - المصدر السابق، ص ٢٠.
- ١٣ - الساعدي، تامل لفته حسن، الصناعات في مصر الفاطمية (٣٥٨-٥٦٧هـ/٩٦٩-١١٧١م)، مجلة كلية التربية، المجلد ٢، العدد ١٢، القاهرة، ١٩٩٤م، ص ٧٢٠.
- ١٤ - دمياط : تقع على ساحل بحر الروم مجدها النيل شطانية الفرما مرور بشرق الدلتا. الشبال، جمال الدين، تاريخ دمياط، ط١ (القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠٠٠م)، ص ٨.
- ١٥ - محمد، امل زين العابدين، الكفاءة الاقتصادية لانتاج محصول الياسمين في مصر، المجلة المصرية للاقتصاد الزراعي، المجلد الثالث والعشرون، العدد الأول، ٢٠١٣م، ص ٣٠٢.
- ١٦ - الحسن بن إبراهيم بن الحسين بن علي (ت ٣٨٧هـ/٩٩٧م)، فضائل مصر المحروسة واخبارها وخواصها، تحقيق : علي محمد عمر، (القاهرة : مكتبة الخانجي، ١٩٩٩م)، ص ٩٩.
- ١٧ - البغدادي، موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف (ت ٦٢٩هـ / ١٢٣١م)، الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعانية بأرض مصر، اشراف، سلامة موسى، (القاهرة : مطبعة المجلد الجديد، د. ت)، صص ٩-١٦.

ولأهمية دهن البلسان في علاج بعض الامراض (كالقرحه) كان عادة ما يمنح كهدية لضيوف الدولة وهو الامر الذي كان سبباً في احتكار الدولة لصناعته طوال العصر الفاطمي.^(١٨)

ومما يدل على اهتمام الفاطميين باقتناء الطيب والعطور ان خصصوا له خزانة في القصر عرفت " بخزانة الطيب "^(١٩)

ثانياً: ميزانية قصر الخلافة من خزانة التوابل

كانت ميزانية قصر الخلافة، أيام الوزير الأفضل بن بدر الجمالي^(٢٠)، من العطور والطيب والبخور كالآتي:^(٢١)

١. ثلاثون مثقالاً عود ند.

٢. مائة وخمسون درهما كافور.

٣. خمسة عشر درهما عنبر خام.

٤. عشرة مثاقيل زعفران.

٥. ثلاثون رطلاً بخور.

٦. خمسون درهما زعفران.

٧. خمسة عشر مثقالاً مسك.

ولا شك ان رواج الترف وانتشار الثراء بين الناس قد شجع على اقتناء مقادير كبيرة من العطور، فقد ذكر ان بمجالس شراب الأفضل كان بها ثمانية تماثيل لجواري كان منها أربعة بيض من الكافور وأربعة سود من العنبر.^(٢٢)

١٨ - عبد الرحمن، عاصم محمد رزق، مراكز الصناعات في مصر الإسلامية، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٩م)،

ص ٨٧.

١٩ - حسن، زكي محمد، كنوز الفاطميين، ط ١ (القاهرة: المؤسسة المصرية للطبع والنشر، ٢٠١٦م)، ص ٥٠.

٢٠ - أبو القاسم شاهنشاه الملقب بالملك الأفضل أقام في خلافة الأمر بعد وفاة الخليفة المستعلي فدير دولته وحجر عليه. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٧١م)، ج ١١، ص ٥٤.

٢١ - عبد العليم، مصطفى كمال، تجارة الجزيرة العربية في مصر في المواد العطرية في العصرين اليوناني والروماني، اشراف: عبد

الرحمن الانصاري، ط ١، الكتاب الثاني، الجزيرة العربية، مطابع جامعة الملك سعود، ص ٢٠٧.

٢٢ - البراوي، في الاقتصاد الإسلامي، الحرية، العدد ١٣، القاهرة، أغسطس ١٩٨٦م، ص ٢٦.

كما ذكر ابن الطوير^(٢٣) " انه عند وفاة الأفضل امر الخليفة الأمر^(٢٤) اخذ تركته وما وجد بما العنبر والعود والمسك وما اذهل الناس "

ويذكر المقرئزي^(٢٥) حصة " الاخوة والاخوات، والسيدة الملكة، والسيدات، والأمير ابي علي واخوته، والموالي، والمستخدمات، ومن استجدت من الأفضليات ألفان وتسعمائة وثلاثة وأربعون دينارا".

ويعلنا أيضا ان المعز بن المنصور بن بلكين بن زيري بن مناد^(٢٦)، الوالي على المغرب، كانت بعض هديته ثلاثة الاف زعفران أي ما يصل وزنه الى ٣٠٠٠ X رطلان = ٦٠٠٠ رطل ÷ ٢,٥٠٠ = ١٥٠٠ طن زعفران.^(٢٧)

وقد وجد في خزائن الوزير ابي القاسم علي بن احمد الجرجرائي^(٢٨) بعد وفاته سنة (٤٣٦هـ / ١٠٤٤م) "مائة ألف مثقال من العنبر"^(٢٩) أي ما يقارب من الطن ونصف من العنبر ولو لم يكن العنبر

٢٣ - أبو محمد المرتضى عبد السلام بن الحسن (ت ٦١٧هـ / ١٢٢٠م)، نزهة المقلتين في اخبار الدولتين، تحقيق وتعليق: ابن غؤاد السيد، ط١ (بيروت: دار صادر، ١٩٩٢م)، ص ١٨.

٢٤ - الأمر باحكام الله: سابع خلفاء مصر من بني عبيد، اسمه المنصور وكنيته أبو علي ولقبه الأمر باحكام الله بن المستعلي بالله ابي القاسم احمد بن المستنصر بالله ابي تميم معد بن الظاهر بالله علي بن الظاهر بالله، ولد سنة (٤٩٠هـ / ١٠٩٦م) واستخلف وله خمس سنوات، امتدت أيامه ٢٩ سنة وتسعة اشهر، توفي سنة (٥٢٤هـ / ١١٢٩م). ابن الجوزي، شمس الدين يوسف بن قزر (ت ٦٥٤هـ / ١٢٥٦م) مرآة الزمان في تواريخ الاعيان، تحقيق: إبراهيم الزنيق، ط١ (دمشق: الرسالة العالمية، ٢٠١٣م)، ج ٢٠، صص ٢٣٠-٢٣١.

٢٥ - احمد بن علي (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئزية، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ)، ج ٢، ص ٣١١.

٢٦ - المعز بن باديس بن منصور بن بلكين بن زيري ابن مناد الحيمري، الصنهاجي، المغربي، شرف الدولة ابن أمير المغرب. صاحب افريقية وما والاها من بلاد المغرب، نَقَدَ إِلَيْهِ الْحَاكِمُ مِنْ مِصْرَ التَّقْلِيدَ وَالْحِلْعَ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَأَرْبَعِ مِائَةٍ، وَعَلَا شَأْنَهُ، وَكَانَ مَلِكًا مَهِيئًا سَرِيًّا شَجَاعًا عَالِيِ الْهِمَّةِ مُجَابِلًا لِلْعِلْمِ كَثِيرًا الْبَذْلَ مَدْحَتَهُ الشُّعْرَاءُ. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن علي (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط١ (بيروت: دار أحياء التراث العربي، ١٩٩٧م)، ج ٥، ص ٢٣٣.

٢٧ - المقرئزي، المصدر السابق، ج ٢، صص ٣١١-٣١٢.

٢٨ - ابي القاسم علي بن احمد الجرجرائي: الوزير الاجل الأوحده صفي امير المؤمنين وخالصة، عراقي الأصل حضر الى مصر مع أخيه ابي عبد الله محمد، والتحق بوظائف الدولة، وخدم بالريف والصعيد وتولى ديوان الانشاء للحاكم. توفي سنة (٤٣٦هـ / ١٠٤٤م). لقب بالجرجرائي نسبة الى قرية جرجرايا بسواد العراق. المناوي، محمد حمدي، الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي، (مصر: دار المعارف، ١١١٩)، صص ٢٥٣-٢٥٤.

٢٩ - الشيمي، المصدر السابق، ص ٥١٩.

من أساسيات الحياة الاجتماعية الراجدة والمرفهة في الدولة المصرية، لما كان الجرجائي قد خزن هذا القدر من العنبر. (٣٠)

ويخبرنا المقرئزي (٣١) كيف قام الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله (٤١١-٤٢٧هـ/١٠٢٠-١٠٣٥م)، في الجمعة الثانية للصلاة في جامع الازهر فسبقه المبخرون "والعنبر يبخر بين يديه في المباخر الذهب والفضة والجوهر "

وقد راجت صناعة العطور في العصر الفاطمي لدرجة ان الحكومة فرضت ضرائب في الأماكن التي يصنع فيها ماء الورد وقد ذكر انه " بخزائن الشراب " يصرف برسم ماء الورد ستة الاف وخمسمائة دينار. (٣٣)

وعندما رد الخليفة المستنصر بالله (٣٤) على هدية ملك الروم بهدية ماثلة لها في القدر والقيمة، نعلم ان هذه الهدية هي من "المسك والعود والطراز، عمل تنيس (٣٥) ودمياط، ما هو اكثر قيمة مما بعته" (٣٦)

يبين النص ان صناعة العطور والطيب والبخور ما كان يجلب الى مصر مواداً أولية ثم يصنع في مصانع تنيس ودمياط.

٣٠ - ابن عبد الظاهر، محي الدين أبو الفضل عبد الله بن عبد الظاهر (ت٦٩٢هـ / ١٢٩٢م)، الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة، تحقيق وتعليق: لمن فؤاد السيد، ط١ (القاهرة: مكتبة دار العربية للكتاب، ١٩٩٦م)، ص٩٩.

٣١ - اتعاظ الخنفا باخبار الائمة الفاطميين الخلفاء، حققه: محمد حلمي محمد احمد، ط١(د: م)، لجنة احياء التراث الإسلامي، د. ت)، ج٢، ص١٥٩.

٣٢ - الظاهر لإعزاز دين الله: ابو الحسن علي بن الحاكم بأمر الله بن العزيز بالله بن المعز لدين الله الفاطمي، ولد سنة (٣٩٥هـ/١٠٠٤م)، وتسلم مهام الحكم في العاصمة بعد وفاة أبيه الحاكم بأمر الله، توفي سنة (٤٢٧هـ/١٠٣٦م). ابن خلكان، المصدر السابق، ج٢، ص١٩٤.

٣٣ - ابن عبد الظاهر، المصدر السابق، ص٤٤.

٣٤ - المستنصر بالله: أبو تميم معد بن الظاهر لاعزاز دين الله علي بن الحاكم بن علي منصور بن العزيز بن المعز العبيدي المصري، تولى الخلافة بعد ابيه الظاهر سنة (٤٢٧هـ / ١٠٣٥م) وفي عهده وقعت الشدة العظمى التي دامت ٧ سنوات (٤٥٧-٤٦٤هـ / ١٠٦٤-١٠٧١م) توفي سنة (٤٨٧هـ / ١٠٩٤م). الذهبي، سير اعلام النبلاء، تحقيق: إبراهيم الزبيق، ط١١ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٦م)، ج١٦، ص١٨٦.

٣٥ - تنيس: جزيرة في مصر ما بين الفرما ودمياط سميت بهذا الاسم نسبة الى الملكة كلوكة العجوز صاحبة مصر. وهي اول من بنى تنيس فسميت باسمها. رمضان، هوايد عبد العظيم، المجتمع في مصر الإسلامية من الفتح العربي الى العصر الفاطمي، تقديم: عبد العظيم رمضان (القاهرة: د. مط، ١٩٩٤م)، ج١، ص١٦٧.

٣٦ - المقرئزي، المصدر السابق، ج٢، ص١٩٤.

وكان الفاطميون يرشون عمود المقياس بالعمود متى استوفى النيل زيادته ثم (يخلقون) وجوه الصبيان أيضاً بالعمود وكذلك السفن الصغيرة المعدة لهذا الاحتفال (٣٧) (العشاريات) (٣٨) وعندما مات المؤمن بن البطائحي سنة (٥٢٢هـ / ١١٢٣م) (٣٩) وجد في خزانته مائة برنية مملوءة كافوراً ومائة صندوق مملوءة بأعواد ند البخور. (٤٠)

ويقول المقرئزي (٤١) ان من موجودات قصر المستنصر مئات الازيار (الخوابي) الكبار المملوءة كافوراً وعدة كثيرة من جماجم العنبر ومن مسك التبت ومن تماثيل العنبر اثنان وعشرون ألف تماثل كل تماثل وزنه ١٢ مناً (٥×١٢ كلغ = ٦٠ كلغ) أي وجد في قصره $60 \times 22000 = 1320,000$ / الف وثلاثمائة وعشرون طناً من العنبر / باعتبار المن رطلين. واخرج منه أيضاً ٨٠٠ بطيخة كافور وبطيخة كافور في شبك ذهب مرصعة بالجواهر تسع سبعين مناً.

ومن خلال ما تقدم نستنتج انه من غير المعقول ان لا تكون العطور وصناعتها امراً مهماً في الحياة الصناعية والتجارية والاجتماعية اليومية داخل نسيج المجتمع المصري الفاطمي. فضخامة هذه الأرقام، تدل على ضخامة الاهتمام بالعطور ومشتقاتها.

ثالثاً: الوزير الأفضل يعلق ثيابه على تماثل من العنبر.

ذكر المقرئزي (٤٢) عن المشجب او التمثال الذي كان الأفضل يعلق الثوب المقرر لبسه في اليوم التالي، " ولعبة من عنبر على قدر جسده يرسم ما يعمل عليها من ثيابه لتكتسب الرائحة ومن الطيب والآلات ما لا يحصى عدده ". كما يشير الى الكثير من أنواع البخور والطيب والمسك والكافور المخزن في براني الذهب والفضة والصيني. (٤٣)

رابعاً: أهمية المزين

- ٣٧ - الشيمي، المصدر السابق، ص ١٨٤.
- ٣٨ - العشاريات : هي مراكب حربية تسير في النيل يجر بعشرين مجدافاً، تستخدم في نقل المقاتلة والعتاد. المقرئزي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٢٣.
- ٣٩ - حيدر بن فاتك بن مختار، المؤمن البطائحي، أخي الوزير المأمون البطائحي، تدرج في المناصب ولاة الخليفة الأمر بأحكام الله في سنة (٥١٧هـ / ١١٢٣م) الإسكندرية، قتل سنة (٥٢٢هـ / ١١٢٦م). المقرئزي، المقفى الكبير، تحقيق : محمد اليعلاوي، ط ١) بيروت : دار الغرب الإسلامي (١٩٩١)، ج ٣، ص ٧١٥.
- ٤٠ - عبد العليم، المصدر السابق، ص ٢٠٨.
- ٤١ - المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٠١.
- ٤٢ - المصدر السابق، ج ٣، ص ٧٠.
- ٤٣ - الشيمي، المصدر نفسه، ص ٢٠.

وكان للمزين او الحلاق في مصر الفاطمية أهمية وتخصص وشهرة، فقد روى لنا المقرئزي (٤٤) انه في ليلة التاسع من شهر صفر لسنة (٣٩٥هـ / ١٠٠٤م) " ولد للحاكم ولد، فجلس في صبيحتها للهنا... وكان سابع المولود، فأخرج على يد خادم الى قائد القواد، فسلمه حتى أعد المزين شعره... ودفع الى المزين مائتا دينار وفسر "

فإذا كانت قصة شعر الطفل بمائتي دينار، فهذا دليل على أهمية تصفيف الشعر في مصر الفاطمية.

الخاتمة

- تعد صناعة العطور من الصناعات غير التقليدية المهمة عبر العصور، كما تعد في الوقت نفسه احد اهم دعائم المجتمعات المحلية.
- تعتمد مصر في العصر الفاطمي على مثل هذه الصناعات لتحسين أوضاعها الاقتصادية، كما تمتاز بتنوع الفئات العمرية والتنوعية للايدي العاملة.
- ان رواج الترف وانتشار الثراء بين الناس في العصر الفاطمي قد شجع على اقتناء مقادير كبيرة من العطور.
- تعد صناعة العطور من الثروات التي ما زالت بحاجة الى جهد كبير لاستثمارها في انعاش اقتصاد الدولة، والتي تشكل فيه قيمة اقتصادية كبيرة. حيث ظلت مصر عبر العصور ارض العطور والطيوب.
- امتلك أبناء العصر الفاطمي معرفة في كيفية التعامل مع النباتات العطرية التي تنمو في معظم أراضيها، فأستخرجوا منها الزيوت والدهانات، وهذا دليل على المستوى العالي من الحس والذوق والرفاهية التي وصل إليه المهتمون بها.

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر العربية

- ١ . أبو الفضل الدمشقي، جعفر بن علي (ت ق ٦هـ).
الإشارة إلى محاسن التجارة وغشوش المدلسين فيها، تعليق محمود الأرنؤوط، ط ١، بيروت: دار صادر، ١٩٩٩م.
- ٢ . ابن الجوزي، شمس الدين يوسف بن فِزْر (ت ٦٥٤هـ / ١٢٥٦م).
مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق إبراهيم الزنُبق، ط ١، دمشق: الرسالة العالمية، ٢٠١٣م.
- ٣ . ابن الطوير، أبو محمد المرتضى عبد السلام بن الحسن (ت ٦١٧هـ / ١٢٢٠م).
نزهة المقلتين في أخبار الدولتين، تحقيق وتعليق أيمن فؤاد السيد، ط ١، بيروت: دار صادر، ١٩٩٢م.
- ٤ . ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن علي (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م).
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط ١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٧م.
- ٥ . ابن زولاق، الحسن بن إبراهيم بن الحسين بن علي (ت ٣٨٧هـ / ٩٩٧م).
فضائل مصر المحروسة وأخبارها وخواصها، تحقيق علي محمد عمر، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٩٩م.
- ٦ . ابن عبد الظاهر، محيي الدين أبو الفضل عبد الله بن عبد الظاهر (ت ٦٩٢هـ / ١٢٩٢م).
الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة، تحقيق وتعليق أيمن فؤاد السيد، ط ١، القاهرة: مكتبة دار العربية للكتاب، ١٩٩٦م.
- ٧ . البغدادي، موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف (ت ٦٢٩هـ / ١٢٣١م).
الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، إشراف سلامة موسى، القاهرة: مطبعة المجلد الجديد، د.ت.
- ٨ . الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م).
أ. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٧١م.
- ب. سير أعلام النبلاء، تحقيق إبراهيم الزبيق، ط ١١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٦م.
- ٩ . المقرئزي، أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م).
أ. اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق محمد حلمي محمد أحمد، د.م: لجنة إحياء التراث الإسلامي، د.ت.

ب. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (الخطط المقرنزية)، ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ.

ج. المَقْفَى الكبير، تحقيق محمد اليعلاوي، ط ١، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩١م. **ثانياً :**

المراجع العربية

١. البراوي، راشد
٢. حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين، ط ١ (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٤٨م)
٣. حجازي، احمد توفيق
٤. موسوعة العطور، ط ١ (عمان: دار أسامة، ٢٠٠٠م)
٥. حسن، زكي محمد
٦. كنوز الفاطميين، ط ١ (القاهرة: المؤسسة المصرية للطبع والنشر، ٢٠١٦م)
٧. الحميري، عيسى بن عبد الله بن محمد
٨. لباب النقول في طهارة العطور الممزوجة بالكحول، ط ١ (دبي: دار القلم، ١٩٩٨م)
٩. رمضان، هوايد عبد العظيم
١٠. المجتمع في مصر الإسلامية من الفتح العربي الى العصر الفاطمي، تقديم: عبد العظيم رمضان (القاهرة: د. مط، ١٩٩٤م)
١١. الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق
١٢. تاج العروس من جواهر القاموس، حققه، مجموعة من المحققين، (د: مط، دار الهداية، د. ت)
١٣. الشيال، جمال الدين
١٤. تاريخ دمياط، ط ١ (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠٠٠م)
١٥. الشيمي، محمد عبد الحميد
١٦. العطور ومعامل العطور في مصر القديمة، ترجمة: ماهر جريخاني، (د: م، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٥م)
١٧. عبد الرحمن، عاصم محمد رزق
١٨. مراكز الصناعات في مصر الإسلامية، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٩م)
١٩. عبد العليم، مصطفى كمال
٢٠. تجارة الجزيرة العربية في مصر في المواد العطرية في العصرين اليوناني والروماني، اشراف: عبد الرحمن الانصاري، ط ١، الكتاب الثاني، الجزيرة العربية، مطابع جامعة الملك سعود.

١١. المناوي، محمد حمدي

الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي، (مصر: دار المعارف، ١١١٩)

ثالثا : المجالات والدوريات

١. البراوي، راشد

في الاقتصاد الإسلامي، الحرية، العدد ١٣، القاهرة، أغسطس ١٩٨٦م

٢. الساعدي، تامر لفته حسن

الصناعات في مصر الفاطمية (٣٥٨-٥٦٧هـ/٩٦٩-١١٧١م)، مجلة كلية التربية، المجلد ٢،

العدد ١٢، القاهرة، ١٩٩٤م)

٣. محمد، امل زين العابدين

الكفاءة الاقتصادية لانتاج محصول الياسمين في مصر، المجلة المصرية للاقتصاد الزراعي، المجلد الثالث

والعشرون، العدد الأول، ٢٠١٣م

٤. المسيري، حسام احمد

تصوير العطور في مصر في العصر البلطمي، مجلة الدراسات الإنسانية والأدبية، مجلد الحادي

والعشرون، العدد (١)، ٢٠٢٠م

السياسة الاعلامية ودورها في إدارة الأزمات الأمنية في الشرق الأوسط

Media Policy and Its Role in Managing Security Crises in the Middle East

م. بلسم عبد الحسين لعبيي⁽¹⁾

Lect. Balsam Abdul-Hussein Laibi

الملخص

يتناول هذا البحث الدور المحوري للسياسة الاعلامية في إدارة ومعالجة الأزمات الأمنية في منطقة الشرق الأوسط، مبيّناً كيف أصبح الإعلام شريكاً أساسياً في إدارة الأزمات لا مجرد ناقلاً للأخبار. إضافة إلى تسليط الضوء على التحولات التكنولوجية، العولمة، تآكل السيادة المعلوماتية، التي أثّرت على طبيعة الإعلام وأدواته. كما يستعرض البحث أهمية الإعلام في تشكيل الرأي العام، نقل الحقائق، الوقاية من الأزمات، والرقابة على الأداء الحكومي وكذلك يتطرق الى الأساليب المستخدمة خلال الأزمة كالتضليل الإعلامي والدعاية بمختلف أنواعها، إضافة إلى استراتيجيات التعامل مع الأزمات وإدارتها. ويخلص إلى أن السياسة الإعلامية حين تُمارس بمهنية وتوازن يمكن أن تكون قوة فاعلة في الحد من الأزمات الأمنية واحتوائها.

الكلمات المفتاحية: السياسة الإعلامية، الأزمات الأمنية، إدارة الأزمات، الرأي العام.

Abstract

This research addresses the pivotal role of media policy in managing and addressing security crises in Middle East , demonstrating how media policy has become a key partner in crisis management rather than a mere transmitter of news. It sheds light on the technological transformations within globalization and the erosion of information sovereignty that have impacted

١- الجامعة المستنصرية- كلية العلوم السياسية

the nature of the media and its tools. It also reviews the role of the media in shaping public opinion, conveying facts, preventing crises, and monitoring government performance. The research also discusses methods used, such as media deception and propaganda of various kinds, in addition to strategies for dealing with and managing crises. It concludes that a media strategy, when practiced professionally and balanced, can be an effective force in mitigating and containing security crises.

Keywords: Media Policy, Security Crises, Crisis Management, Public Opinion. Middle East

المقدمة

تشكل الازمات مراحل انتقالية في حياة الشعوب والحكومات خاصة منطقة الشرق الأوسط، فقد برز دور وسائل الاعلام في ادارة الازمات عبر المساهمة الفاعلة في نقل الاحداث والاخبار وتكوين الرأي العام، الا انها تظل سيفاً ذو حدين فالمجتمعات عبارة عن ميول ورغبات انفعالية، وجنباة اقتصادية واخرى دينية تجتمع وتعطي صورة مجتمع معين في مكان معين، لذا يتعين ان يراعى أموراً منها الفرد، النشأة، الثقافة، العادات والتقاليد، الدين، العلم، المستوى المعيشي، النظام السياسي. فالاعلام ليس مجرد ناقل للأخبار بل شريك في إدارة الأزمات ولا بد ان يعتمد على التوازن بين الحرية والمسؤولية مع الحفاظ على المصلحة العامة.

وقد أصبح على عاتق السياسة الإعلامية مسؤولية كبرى في مواجهة الازمات الأمنية لما تحمله من رسائل اطمئنان واستقرار للمجتمعات.

ويعد الإعلام اداة حاسمة في إدارة الأزمات الأمنية وأن التحديات المعاصرة مثل الإرهاب والصراعات العرقية والقومية والحروب الدينية والخلافات السياسي في منطقة الشرق الأوسط جعل على عاتق الإعلام مسؤولية مباشرة في مواجهة هذه التحديات.

فكان لزاماً أن نفرق بين الإعلام الأكاديمي المهني والإعلام الاجير ذو مصالح خاصة ومنافع ودوافع سياسية سواء كانت محلية - كالأحزاب المعارضة أو سياسات خارجية.

وقد شهد العالم عدداً، من المتغيرات التي فرضت ذاتها على هيكل العلاقات الدولية وتفاعلاتها وانعكست بشكل واضح على معظم مجالات الحياة، فما طرأ من تطورات تكنولوجية حديثة على وسائل الاعلام، جعل السياسة الإعلامية تتماشى مع المعطيات الحديثه وهناك ثلاثة متغيرات مركزية في هذا الشأن لا بد من الإشارة إليها وبشكل موجز وهي:

١- متغيرات الثورة التكنولوجية: فقد أسهمت تلك الطفرة العلمية على المستويات السمعية والبصرية والمعلوماتية أسهاماً ملحوظاً، يشار إليه بالبنان (اختزالي اختصاري زمكاني).

٢- التحولات الاساسية على مستوى العالم في العقود الثلاث وما نتج عنها من تصاعد ظاهرة التدويل والعولمة، مما حدى بالانتقال من مفهوم الدولة المغلقة إلى الدولة المفتوحة، إذ لم تعد مرجعية الدولة مطلقة على امنها المعرفي ومصادره لا سيما في الدول النامية.

٣- تأكل مفهوم المعلوماتية الوطنية، نتيجة التداخل المعرفية الدولي والعالمي على جميع الأصعدة المعرفية^(٢)

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في الحاجة لإبراز مفهوم السياسة الإعلامية، واساليبها المتبعة في الأزمات الأمنية على الواقع السياسي والأمني في منطقة الشرق الأوسط.

أهداف البحث: يهدف البحث إلى تحقيق نتائج إيجابية ومرضية من خلال الأساليب والممارسات المتبعة للسياسة الإعلامية خلال الأزمات الأمنية في منطقة الشرق الأوسط ووفق المعطيات والممارسات التكنولوجية الحديثة

إشكالية البحث:

يتبادر سؤال في الذهن هل هناك إستراتيجية إعلامية متبعة في إدارة ومواجهة الأزمات؟ هنا تكمن المشكلة في حاجتنا الماسة للأطلاع لمعرفة النظم والأساليب المتبعة في السياسة الإعلامية في الشرق الأوسط من منظور إستراتيجي في مواجهة الأزمات الأمنية الشرق أوسطية.

فرضية البحث:

- تساهم الاستراتيجية الاعلامية في توعية المجتمع وخدمته من اجل سلامته في ظل الازمة.
- مدى العلاقة ما بين دور الاعلام وإمكانية تجنب حدوث الازمة.
- كلما ازداد دور الاعلام في نشر الوعي الامني كلما قل احتمالية وقوع الخسائر.
- يكمن نجاح الاعلام الامني او فشله في كيفية ادارة الازمة والتعامل معها.

منهجية البحث:

استخدم الباحث في إعداد هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي الذي يتماشى مع هذا الموضوع. هيكلية البحث: تتضمن هيكلية البحث على ثلاثة مباحث وعدد من المطالب، تناول المبحث الأول المفاهيم والمصطلحات، وتكلم المبحث الثاني عن السياسة الإعلامية وأساليبها في ظل الأزمات، اما

٢ - هويدا مصطفى، دور الإعلام في الأزمات الدولية، القاهرة: مركز المحروسة، ٢٠٠٢.

المبحث الثالث فقد تناول إستراتيجية التعامل مع أزمات الشرق أوسطية ومعالجتها في ظل الظروف والأحداث، اما الخاتمة فقد تضمنت بعض الأستنتاجات والتوصيات من وجهة نظر الباحث.

المبحث الأول: المفاهيم والمصطلحات

١- الاعلام

٢- السياسة الإعلامية

٣- الأزمة والأزمة الأمنية

٤- الأزمة الدولية

١- الاعلام:

هو مصطلح يطلق على اي وسيلة او تقنية او مؤسسة تجارية ربحية، عامة او خاصة، رسمية او غير رسمية مهمتها نشر الاخبار ونقل المعلومات ويعد الاعلام اهم منبر ومصدر في بناء الأفكار والمعارف والحصول على المعلومات والتعبير عن الآراء، وهو سلاح اجتماعي سياسي من أخطر الأسلحة التي تستخدم في مجال الحرب النفسية وصراع إرادات القوى في العصر الحديث وقد زاد من خطورته التطور التقني الهائل في وسائل الاتصالات والدور الذي يلعبه الخبر، والتعليق والصورة في خلق القناعات والأفكار في تشكيل وصياغة الرأي العام، حيث امتد تأثير وسائل الإعلام، ليطال مختلف جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية للبلدان.

اما الاعلام الجديد فهو ((مختلف الأساليب والأنشطة الرقمية الجديدة التي تسمح بتشكيل وإنتاج ونشر المحتوى الإعلامي وتلقيه أيضا بشتى الطرق والرسائل والاشكال عن طريق استخدام الوسائل والأجهزة الالكترونية والوسائط المتصلة وغير المتصلة بالشبكة العنكبوتية (الانترنت) في عملية تفاعلية بين مرسل ومستقبل او بين مرسل ومرسل اليه)) كما أن الاعلام الجديد والتكنولوجيا الحديثة وسيلة لنشر العلم وتعميم المعرفة وتثبيت القيم والسلوكيات والعادات والممارسات من خلال وسائل التكنولوجيا الحديثة من اجل تحقيق التواصل الثقافي والحضاري والاجتماعي والإنساني بين الافراد والمجموعات والشعوب^(٣)

٢- السياسة الإعلامية:

((هي مجموعة من الاتجاهات التي تنطلق من أهداف مُعينة وتسير على وفق خطة معينة ووقت تستدعيه الخطة لغرض تحقيق هدف معين))
فهي وسائل اتصال تملكها او تحكمها او تديرها او تؤثر فيها كيانات او جماعات او لوبيات سياسية بهدف الترويج لآراء هذه الكيانات ولكل كيان فلسفته وادواته في الوصول الى الغايات^٤.

٣- عباس مصطفى صادق، الإعلام الجديد: المفاهيم والوسائل والتطبيقات، القاهرة: دار الشروق للنشر، ٢٠٠٨

٤- مصدر تم ذكره سابقاً.

٣- الأزمة والأزمة الأمنية

تُعرّف الأزمة بـ ((انها موقف مفاجئ أو تطوّر غير متوقّع يهدد المصالح العامة أو الخاصة، ويستدعي تدخلاً عاجلاً لإدارتها وتخفيف آثارها)) قد تكون الأزمة طبيعية كالحوادث، أو بشرية مثل النزاعات أو الحوادث.

أما الأزمة الأمنية ((فهي حالة اضطراب مفاجئ تتسم بخطر كبير وتتطلب استجابة فورية لأحتوائها ومنع تفاقمها)) وقد تكون ناتجة عن صراعات سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية. كما تتطلب إدارة الأزمة فهماً دقيقاً لمسبباتها وتوقع نتائجها المحتملة. والإعلام يلعب دوراً مهماً في هذه المرحلة من خلال تقديم المعلومات الدقيقة والتوجيه الصحيح للجمهور. فالتعامل الإعلامي المهني قد يسهم في احتواء الأزمة بدلاً من تأجيجها^(٥).

٤- الأزمة الدولية:

الأزمة الدولية ((هي حالة من التوتر أو النزاع بين دولتين أو أكثر، وقد تتطور لتصل إلى حد المواجهات العسكرية أو الاقتصادية أو السياسية)). تنشأ الأزمات الدولية عادة نتيجة تضارب المصالح، أو انتهاكات للقوانين الدولية، أو تدخلات خارجية. وتتسم هذه الأزمات بتأثيراتها الواسعة على الأمن والسلم العالميين ويلعب الإعلام الدولي دوراً حساساً في شكل هذه الحالات، إما التهدة أو التصعيد تبعاً لطبيعة التغطية الإعلامية، كما تؤثر التغطية الإعلامية في تشكيل الرأي العام العالمي وصناعة القرار السياسي. ولذلك، فإن حسن إدارة الإعلام في هذه الظروف يعد من العوامل الحاسمة في إدارة الأزمة بفاعلية^(٦).

المطلب الأول :

وظيفة الإعلام في ظل الأزمات الأمنية

للأعلام عدة وظائف في ظل الأزمات الامنية منها:

١. تشكيل الرأي العام والتعبئة

الرأي العام: ((هو تكوين فكرة او حكم على موضوع أو شخص ما أو مجموعة من الظواهر والأحداث القابلة للنقاش ربما تكون صحيحة أو خاطئة. فهو ذلك التعبير العلني والصريح الذي يعكس وجهة نظر أغلبية الجمهور تجاه قضية معينة في وقت معين))

٥ - هلال، إدارة الأزمات: مفاهيم عامة ونماذج تطبيقية، القاهرة: مركز البحوث والدراسات السياسية، جامعة القاهرة، ٢٠٠٢.

٦ - محمد عبد العاطي صالح، "الإعلام الدولي وصناعة الأزمات"، مجلة البحوث الإعلامية، جامعة القاهرة، ٢٠١٦.

وللرأي العام عدة أنواع منها:

- الرأي العام العفوي
- الرأي العام التحصيلي
- الرأي العام الخامل
- الرأي العام الفعال
- الرأي العام الظاهري
- الرأي العام المؤقت
- الرأي العام الكُلِّي
- الرأي العام الباطني

وان أكثر التحديات التي تواجه الاعلام الامني في ظل الازمة هو (السبق الصحفي) والادلاء بالمعلومات في الوقت المناسب اي السرعة في كشف الحدث للرأي العام من خلال وسائل الاعلام المتوفرة في ارض الحدث^(٧)، وعلى العاملين في تحرير الرسائل الاعلامية ان يكونوا مدربين على صياغة هذه الرسائل وبثها عبر وسائل الاتصال المختلفة ومن خلال وظائفها المختلفة.^(٨):

٢. الوظيفة الإخبارية

هي عملية أخبار عن الشيء ويكون الأخبار أما شفاهية عن طريق اللسان أو عن طريق الكتابة كالمقالات في الصحف والمنشورات والكتيبات والبوسترات أو عن طريق الصورة، والصورة نوعان:

١- جامدة-فوتوغراف

٢- متحركة-تلفاز، وكذلك الصوتية/ راديوية

٣. الاستراتيجية الوقائية

يعدّ التخطيط لمرحلة ما قبل الأزمة الامنية عملية وقائية لتجنب الأزمات، ومما لا شك فيه ان عدم التخطيط العلمي الاتصالي لمنع الأزمة ينعكس سلباً على ردود أفعال الجماهير ولرأي العام، وهناك حالات وقائية تكشف عن ضعف وغياب حل الأزمات والاتصال مما يؤدي إلى زيادة حالة الاضطراب والخسائر المادية والبشرية بين أطراف الصلة في الأزمة لذا يجب وضع استراتيجية وقائية لتجنب الازمة^(٩). وهناك عدة سمات للسياسة الإعلامية الأمنية عليها إتباعها في أثناء التغطية في مواجهة الأزمات الأمنية وهي:

٧ - نادر أبو شيخة، إدارة الأزمات، الأردن: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ١٩٩٨

٨ - أديب خضور، إشكالية العلاقة بين الأجهزة الأمنية والإعلامية العربية، دمشق: المكتبة الإعلامية، ٢٠٠٠.

٩ - أمين هويدي، الصراع الأمني العربي الإسرائيلي بين الرادع التقليدي والرادع النووي، ٢، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٧.

١ - الاهتمام بالتصريحات ذات الطبيعة القانونية من مصادر موثوقة من أجل تشكيل الرأي العام تجاه الأزمة.

٢ - الدقة في المعلومات وعرض الحقائق وتقديمها للرأي العام بصدق ودون تحريف، ويجب ان يرافق ذلك السرعة في نشر المعلومات والتدقيق في المعلومة دون تسرع.

٣ - القدرة على التعامل بعقلانية واتزان وعدم الانفعال والانسياق وراء الرأي العام ويجب أن تتحلى وسائل الإعلام بالاتزان وعدم الانحياز وقت الأزمات الامنية وتبتعد عن إثارة الرأي العام^(١٠).

٤ . الرقابة على الإداء الحكومي

ربما يسأل سائل ماهي العلاقة ما بين الرقابة على الأداء الحكومي وألزامة الامنية؟ وهو سؤال مشروع، من حيث الشكل لا المضمون، فالعلاقة تأخذ مأخذاً مخالفاً من حيث الالية المتبعة، والوقوف على اخطاء الحكومة والمؤسسات التابعة لها ومحاسبتها في حال قصرت في ايجاد الحلول الناجعة للأزمات الأمنية والإشارة على نقاط الخلل وأماكن الضعف لأن هذا التوجه سوف يساهم في تلافي تلك العيوب والأخطاء، بل زد على ذلك التقويم والتصحيح لأداء تلك الحكومة في المواقف المفاجئة والطائرة المصحوبة بفضوى فهي تعطي انطباعاً حول تدايير الحكومة ان كانت في خانة الإيجاب أو السلب.

المبحث الثاني: السياسة الإعلامية واساليبها في ظل الازمات

يعد مفهوم السياسة الإعلامية مفهوماً حديثاً نسبياً، فهو من المفاهيم التي يدور حولها الجدل والنقاش، ويتعلق هذا بطبيعة المفهوم وترابطة بعض القضايا الدولية. ويشير مفهوم السياسة الإعلامية الى توجيه المقصود لوسائل الإعلام.

والسياسة الإعلامية مصطلح متنوع ومتعدد المجالات، فهو يربط بين الإعلام والاتصال، إذ يرتبط مفهوم السياسة الإعلامية بالنظام السياسي من حيث المضمون والشكل ومن ثم يرتبط بالدولة وبالناطق الجغرافي الذي ترتبط فيه الدولة وكذلك يرتبط بالتطور الاجتماعي والاقتصادي للشعوب، إذ تعتمد السياسة الإعلامية مبدأ احترام السياسة التحريرية لوسائل الإعلام وأيضاً نشر الخبر الصادر عن المؤسسة بما ينسجم مع ما هو متعارف عليه، مع الاخذ بصغائر الأمور والحفاظ على الخبر وعدم اضافة أي خبر دون التأكد من دقته^(١١).

المطلب الأول :

١٠ - مصدر تم ذكره سابقاً.

١١ - حازم محمد الحمداني، الدعاية السياسية بين الماضي والحاضر، ط١، الأردن: دار أسامة للنشر والتوزيع، ٢٠١٢

النظم والأساليب الإعلامية المتبعة

لابد هنا من الإشارة إلى الأساليب الإعلامية المتبعة خلال الأزمة وهي:

١- التضييل الإعلامي

التضييل الإعلامي هو أقوى أسلحة الحرب الإعلامية^(١٢)

ويعتمد خلق واقع مزيف ومغلوط ومقنع بما فيه الكفاية.

لذا يعتبر التضييل أحد وسائل الدعاية والحرب النفسية ضمن الحرب الإعلامية الأمنية ولا تقاس تسميتها بالحرب بمقاييس الحرب العسكرية لأنها أحياناً تحقق مكاسب أكبر من حرب المدافع، أي الشروع باستخدام أدوات الصراع الأمني قبل الشروع بالصراع السياسي وأحياناً تكسب الحرب قبل بدئها (شحيط ٢٠٠٥)، وتمتاز بنشر وبث المعلومات والأفكار المغلوطة عن عمد وعن سابق تصور وتعميم واقع مزيف ومغلوط توجه إليه الرأي العام لكسب تأييده وذلك بهدف إيقاع الخصم في الخطأ بينما هو يفكر بشكل صحيح فهو شكل من أشكال العدوان ونشاط تخريبي سيكولوجي، وحرب الكلام والأفكار والمفاهيم وسلاح العصر السري.

وهناك عدة وسائل للتضييل الإعلامي منها عن طريق الصحف و النشرات والرسوم واللافتات.... الخ إضافة الى وسائل الإعلام المتاحة المعلنه والسريه ووسائل الاتصال للتأثير، وإيصال الخبر والمواد الإعلامية الامنية المضللة إلى المتلقي، وتستخدم هذه الأساليب كالتالي^(١٣):

١. الكذب والخداع.
٢. الإشاعة والتشويش.
٣. إخفاء الحقائق والمعلومات.
٤. اختلاق وقائع ممسرحة.
٥. إغراق وسائل الإعلام بأكثر الأخبار تناقضاً.

المطلب الثاني :

الدعاية:

بما أن الاعلام والدعاية مجريان يؤثران على الأزمات الامنية، لذا جاءت دراسة الدعاية موازية لمفهوم الإعلام فقد أصبح شعب كل دولة معرضاً، سواء شاء أم أبى، لتلقي الصور والأخبار، والمعلومات يومياً

١٢ - لطفي حيدوري، التضييل الإعلامي: الصحافة بين الاحتراف والافتراق، تونس: مركز الدراسات الاستراتيجية والدبلوماسية،

٢٠١٧

١٣ - محسن أحمد الحضيبي، إدارة الأزمات: منهم اقتصادي إداري لحل الأزمات على مستوى الاقتصاد العالمي والوحدة الاقتصادية، القاهرة: مكتبة مدبولي، ٢٠٠٣

السياسة الاعلامية ودورها في إدارة الأزمات الأمنية في الشرق الأوسط
من أجهزة الإعلام، المحلية والأجنبية، مما زاد في حجم تأثير الرأي العام الدولي على الرأي العام الداخلي،
وبما أن لكل دولة سياسة خارجية معينة تحرص على تحقيقها، وأن إمكانية تحقيق هذه السياسة تتعلق كثيراً
بإمكانية اقناع الدول الأخرى وشعوبها بعدالة هذه السياسة الإعلامية لذا تقوم الدعاية الإعلامية بدور
كبير في هذا المجال ووفق المعطيات المحلية والدولية.

تعد الدعاية اهم وسيلة إعلامية لها عدة أوجه ومنها: دعاية بيضاء، صريحة، رمادية، سوداء، وحسب
ما مخطط للحملات النفسية خلال المراحل للصراع الأمني، وعادة ما يركز على استخدام الدعاية الرمادية
والسوداء لتأثيرها، ولما تمتاز به من إمكانيات، وتأثير خطير في حال التخطيط والاستخدام الجيد لها فهي
تحقق الآتي:

- ١- نشرها ووصولها إلى اعماق ومساحات كبيرة من مسرح المجتمع.
- ٢- تلقي قبولاً وسرعة انتشار والتأثير بين أفراد وجماعات المجتمع.
- ٣- استخدام موضوعات وأساليب، يصعب استخدامها في الدعاية البيضاء.

مثل:

- أ. إخفاء المصدر والاتجاه، تزييف وثائق، تخريب
- ب. صعوبة وضعف تأثير إجراءات المقاومة والدعاية المضادة عليها نظراً لسريتها.
- ج. قدرة عالية على تحطيم الذات.

المبحث الثالث: استراتيجية التعامل مع الازمة

يمكن ان تولد الازمة الدولية حالة من التوتر تصيب العلاقات الطبيعية بين الدول بشكل يهدد المصالح
والقيم، حيث تظهر بشكل مفاجئ مما يجعل وقت التعامل معها او الرد عليها محدوداً وضيقاً يتخلله اللجوء
الى استخدام القوة العسكرية و تستخدم بشكل عام للإشارة الى الحالة المتسمة بالخطر والترقب والقلق
ويمكن تعريفها أي (الازمة) بأنها تهديد خطير مفاجئ او متوقع وتحول في مجريات الأمور لشيء ما يقود الى
أوضاع استثنائية غير مستقرة تؤثر سلبا في الأطراف المعنية لما ينتج عنها من توتر شديد وحالة من
الاضطرابات قد تتسع لتطال جوانب الحياة كافة.

وتبرز الازمة عندما تخرج المشكلات عن نطاق السيطرة ضمن فترة زمنية قصيرة تستدعي مواجهتها
والتحكم بآثارها ونتائجها وتختلف مستويات الازمات باختلاف شدة الظروف المحيطة بها والإطار المكاني
والزمني لوقوعها، وعليه فان الازمة يمكن ان تحدث في اية جهة من الجهات وفي أي مكان او زمان ويمكن

بشكل من الاشكال منع وقوع بعض الازمات في حين ان البعض الآخر لا يمكن معالجتها او السيطرة المطلقة عليها وبالتالي لا يمكن احتواءها او منعها من الظهور الى نزاع مسلح^(١٤) ويعرف (والتر ريموند) الازمة الدولية بأنها حدوث خلل كبير في العلاقات الدولية ذات السيادة وذلك لعجزها عن حل نزاع قائم بينهما. اما (كينينث بولدنج) يرى انها نقطة تحول في العلاقات الدولية مما تؤثر سلبا او ايجاباً على طبيعة العلاقات القائمة بين الدول. اما كورال بل (Coral Bill) فتعرف الازمة في كتابها "دراسة إدارة الازمات الدبلوماسية اتفاقيات الازمة" بانها ارتفاع الصراعات الى مستوى يهدد بتغيير طبيعة العلاقات الدولية بين الدول.

المطلب الأول :

العلاقة ما بين طبيعة النظام الدولي والأزمات في الشرق الأوسط

يؤثر طبيعة النظام الدولي على الازمات التي تنشأ في احضانه وربما تؤثر على احتمالية استمراره فكلمما زادت قدرة النظام على اداء وظائفه وعلى مواجهة الازمات التي قد تفتك به، استمر هيكل النظام كما هو وكلما ضعفت قدرة النظام في اداء تلك الوظائف زادت من فرص انهياره، وهذا ما حصل في الصراع الاوربي الذي انتهى بنشوب الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ والذي كان نتاجه انهيار النظام العالمي المتعدد القطبية وقيام النظام العالمي ثنائي القطبية والذي رافقه عدة ازمات نتيجة الفوضى المؤقتة التي حدثت بسبب التحول وكان هما ازمة الصواريخ الكورية عام ١٩٦٢ وان كانت الازمة واحدة لكن اثرها على دول متعددة وتختلف من دولة الى اخرى وتبقى الدولة الضعيفة كدول الشرق الأوسط هي أكثر المتأثرين بالأزمات^(١٥) ومن كافة النواحي الاقتصادية والأمنية والسياسية على حد سواء.

لذا نجد على القائمين بالشأن الدولي ان يتحملوا مسؤولياتهم في مواجهة ما سيفرزه العالم من مفاجآت متوقعة وغير متوقعة، وهذا ما شاهدناه في حرب غزة الاخيرة اذ شكلت الحرب الاسرائيلية الهمجية على غزة مرحلة انتقالية في مفهوم الصراع، حيث حاولت اسرائيل اباداة القضية الفلسطينية من خلال الة القتل التي فتكت بجميع مقومات الحياة في غزة، الا ان الاعلام ووسائل التواصل نقلت الحقيقة كما هي من خلال البث المباشر لعمليات القصف والقتل والتجويع؛ مما اسفر عن عدة مظاهرات في معظم أنحاء العالم واعتصامات شعبية ومطالبات بوقف الجرائم ومعاقبة اسرائيل على ما تقوم به.

ازدادت الازمات في عصرنا الى حد ان أصبح القول بأن عالم الازمات أصبح جزءاً منها وقد زاد الوضع تعقيداً نتيجة إصرار العديد من القوى الفاعلة دولياً واقليمياً على تحقيق أهدافها من خلال اثاره او افتعال الازمات Management-Bu crisis الذي يعني ان أحد الأطراف يريد تحقيق أهدافه من خلال الازمة.

١٤ - مالك محسن العيسوي، الحروب بالوكالة: إدارة الأزمة الاستراتيجية الأمريكية، بغداد: العربي للنشر والتوزيع، ٢٠١٤
١٥ - مصدر تم ذكره سابقاً.

السياسة الاعلامية ودورها في إدارة الأزمات الأمنية في الشرق الأوسط
وتصبح الازمة بهذا المعنى: فعلاً يهدف الى توقف او انقطاع نشاط من الأنشطة او زعزعة استقرار وضع
من الأوضاع ولكن إذا ما فشل هذا الطرف في تحقيق ما يريدته يجد مدبر الازمة نفسه قد أصبح في مأزق
حقيقي.

المطلب الثاني :

إدارة الازمات Crisis Management

تعد إدارة الازمة علماً وفناً في آن واحد، فهي علم بمعنى أنها منهج له اصوله وقواعده، وهي فن بمعنى
إن ممارستها أصبحت تعتمد على مجموعة من المهارات والقدرات فضلاً عن الابتكار والابداع^(١٦).
فالأزمات ليست وليدة ذاتها، انما وليدة مجموعة من الأسباب والبواعث، وبالتالي الازمة هي وليدة
مجتمعتها، وبهذا المفهوم تؤثر الازمة في المجتمع كما تتأثر به، فهناك ثمة علاقة تفاعل ما بين الازمة والمجتمع
فالأزمة هي ظاهرة ككل ظاهرة لها أسبابها وعناصرها وجوانبها المتعددة، وبالتالي يتعذر فهم الازمة وتتعدّر
ادارتها دون معرفة أسبابها وتحديد عناصرها والتعرف على جوانبها المختلفة لغرض التعامل معها ويحدد
الباحثون بعض الخطوات للتعامل مع الازمة منها:

١- **تقدير الموقف:** يتم في هذه المرحلة تقديم أجوبة عن الأسئلة التالية: ما هي القوى الصانعة
للأزمة؟ وما هي عناصر القوة التي تتركز إليها هذه القوى، وما هي القوى المساعدة والمؤيدة؟ ولماذا
وكيف صنعت الازمة؟

٢- **تحليل الموقف:** تتم هنا عملية تحديد علاقات الارتباط وأسباب التوتر ومواطن القوة وطبيعة
الخطر الذي تشكله الازمة.

٣- **التخطيط العملي للتدخل في الازمة:** في هذه المرحلة يتم رسم السيناريوهات ووضع
الخطط والبرامج وحشد القوى لمواجهة الازمة والتصدي لها.

٤- **التدخل لمعالجة الازمة:** تبرز هنا مهمة تحديد المهام وسبل تحقيقها^(١٧)، وهذا يجد ذاته
ومن خلال ما تقدم هو ما تقوم به السياسه الاعلاميه من دور في أدارتها للأزمه وكيفية التعامل
معها.

١٦ - مصطفى علوي، القطب المنفرد: الولايات المتحدة الأمريكية والتغيير في هيكل النظام العالمي، القاهرة: المركز العربي للبحوث
والدراسات، ٢٠١٥.

١٧ - سامي الصيادي، إدارة الأزمات، عمان: معهد الإدارة العامة، ١٩٩٧.

وهناك مجموعة وصايا للتدخل في إدارة ومعالجة الازمات من وجهة نظر بعض الباحثين

منها :

١- تحديد الهدف.

٢- الاحتفاظ بحرية الحركة وعنصر المبادرة.

٣- المباغنة.

٤- التعاون.

٥- الاقتصاد في استخدام القوة.

ومن خلال ما تقدم من خطوات التعامل مع الإزمة في رأي الباحثين والمفكرين هو بجد ذاته ما تقوم به السياسه الأعلاميه من دور في معالجتها للأزمات وكيفية التعامل معها.

الختامه:

أولاً/ الاستنتاجات

١. تُعدّ الأزمة نقطة تحوّل حاسمة قد تُربك النظام السياسي القائم، ولا يقتصر تأثيرها على الأطراف المباشرة فحسب، بل يمتد ليشمل أنظمة ودولاً أخرى.

٢. حقق الإعلام الأمني الدولي نتائج إيجابية من خلال جهود تراكمية وتجارب متعددة، أسهمت في تطوير أساليبه وفعاليته أثناء الأزمات.

٣. يُعد الإعلام الأمني دعامة أساسية في بناء السياسة الإعلامية الدولية، حيث يساهم في تشكيل الرأي العام وتوجيهه من خلال وضع الأجندات واستخدام آليات التأثير المختلفة.

٤. يمكن للإعلام أن يكون أداة قوية في صناعة الأزمات السياسية وتهدئتها، كما يؤثر في مواقف الأفراد واتخاذ القرارات المصيرية.

٥. السياسة الإعلامية تُعدّ من العوامل المؤثرة في استقرار النظام السياسي، وترتبط بشكل مباشر بالتطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية للدول.

ثانياً: التوصيات أو المقترحات

١. ضرورة تعزيز دور الإعلام الأمني في دعم استقرار الأنظمة السياسية من خلال تقديم محتوى مهني وموضوعي يساهم في تهدئة الأزمات بدلاً من تأجيجها.

٢. العمل على تطوير سياسات إعلامية وطنية ودولية تضمن الاستخدام المسؤول للإعلام أثناء الأزمات، وتُشجّع على تبنى ممارسات مهنية تساهم في الحفاظ على الأمن والاستقرار.

٣. تكثيف برامج التدريب والتأهيل الإعلامي للعاملين في المؤسسات الإعلامية الأمنية، بما يضمن القدرة على التعامل مع الأزمات بكفاءة وفعالية.
٤. تشجيع التعاون بين وسائل الإعلام والأجهزة الأمنية لتوحيد الرسائل الإعلامية أثناء الأزمات، وتفادي نشر المعلومات المضللة التي قد تؤدي إلى زعزعة الأمن السياسي والاجتماعي.

دور الثقافة التنظيمية في تحسين بيئة العمل دراسة تحليلية لأراء عينة من

العاملين في مديرية بلدية محافظة كربلاء المقدسة

The Role of Organizational Culture in Improving the Work Environment An Analytical Study of the Opinions of a Sample of Employees at the Directorate of Karbala Governorate Municipality

م.د. وسام حصن جواد^(١)

Lect. Wisam Hesn Jawad (PhD)

الملخص

تلعب الثقافة التنظيمية دوراً أساسياً في تشكيل بيئة العمل داخل المنظمات، إذ تمثل منظومة متكاملة من القيم والمعتقدات والتوجهات والسلوكيات المشتركة التي تنمو وتتطور مع الزمن، وتؤثر مباشرة على سلوك العاملين وتفاعلهم مع الإدارة. يهدف هذا البحث إلى دراسة أثر الثقافة التنظيمية بأبعادها: المشاركة، الاتساق، التكيف، المهمة في تحسين بيئة العمل المتمثلة بأبعادها: البعد المادي، النفسي، الاجتماعي، الإداري، التكنولوجي، الثقافي، والبيئي الخارجي، وذلك في مديرية بلدية محافظة كربلاء المقدسة. أعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي بما يلائم خلال توزيع (٢٥١) استمارة على عينة من العاملين، وتم استرجاع (٢١٨) استمارة صالحة للتحليل باستخدام برنامج (SPSS.v.24) وأظهرت النتائج وجود

١- جامعة كربلاء- مركز الدراسات الاستراتيجية iq.uokerbala.edu.h@wisam

علاقة ارتباط وتأثير ذات دلالة إحصائية بين الثقافة التنظيمية وتحسين بيئة العمل، مما يدل على أن تعزيز الثقافة التنظيمية يفسر نسبة كبيرة من التغيرات الحاصلة في تحسين بيئة العمل وتعزز الأداء والرضا الوظيفي. كما تشير النتائج إلى أن الثقافة التنظيمية تمثل عنصراً محورياً في بناء بيئة عمل صحية ومتطورة تنمو مع الزمن داخل المنظمة، وأوصى البحث بتشجيع العاملين على مشاركة العاملين في اتخاذ القرار والتعبير عن آرائهم، مما يساهم بشكل مباشر في تحسين جميع أبعاد بيئة العمل، ويضمن استدامة التطوير والتحسين داخل المنظمة.

الكلمات المفتاحية: الثقافة التنظيمية، بيئة العمل، العاملون، كربلاء المقدسة.

Abstract

Organizational culture plays a fundamental role in shaping the work environment within organizations, as it represents an integrated system of shared values, beliefs, orientations, and behaviors that evolve over time and directly influence employees' behavior and their interaction with management. This study aims to examine the impact of organizational culture represented by its dimensions: involvement, consistency, adaptability, and mission on improving the work environment, measured through its physical, psychological, social, administrative, technological, cultural, and external environmental dimensions, within the Directorate of Karbala Municipality.

The study employed the descriptive-analytical approach and distributed (251) questionnaires to a sample of employees, of which (218) valid responses were retrieved and analyzed using SPSS v.24. The findings revealed a statistically significant correlation and effect between organizational culture and the improvement of the work environment. This indicates that strengthening organizational culture explains a substantial proportion of the changes occurring in work environment enhancement, in addition to contributing to improved performance and higher job satisfaction.

Furthermore, the results confirm that organizational culture constitutes a key element in building a healthy and evolving work environment that develops over time within the organization. The study recommends encouraging employees to take part in decision-making and express their opinions, as such participation directly contributes to improvements across all dimensions of the work environment and ensures the continuity of development and enhancement within the organization.

Keywords: Organizational culture, work environment, employees, Karbala Municipality.

المقدمة

أصبح من الواضح في السنوات الأخيرة، أن نجاح المنظمات لا يعتمد فقط على الهياكل الإدارية أو التطور التكنولوجي أو الخطط الاستراتيجية، بل يتطلب أيضاً وجود عامل آخر لا يقل أهمية وهو الثقافة

التنظيمية. إذ تمثل هذه الثقافة الإطار العام الذي يتحرك ضمنه جميع الأفراد داخل المنظمة، وتؤثر على طريقة تفكيرهم وتصرفاتهم ومستوى تفاعلهم مع بيئة العمل المحيطة بهم، وعند تأمل المنظمات التي تتميز بالنجاح والاستقرار، نجد في الغالب ثقافة تنظيمية قوية وواضحة تقف خلف ذلك النجاح؛ ثقافة تدعم العمل الجماعي، وتشجع على التواصل، وتعزز الإبداع والالتزام. وعلى العكس من ذلك، قد تعاني بعض المنظمات من التوتر والغموض في الأدوار وضعف الانتماء، وكل ذلك يعود غالباً إلى غياب ثقافة تنظيمية صحية أو سيادة ثقافة سلبية وغير محفزة.

انطلاقاً من ذلك، جاء هذا البحث لتسليط الضوء على العلاقة بين الثقافة التنظيمية وتحسين بيئة العمل بوصفها أحد الجوانب الحيوية في الإدارة المعاصرة، إذ نسعى من خلاله إلى توضيح كيف يمكن للقيم التنظيمية، وأنماط التواصل، وأساليب القيادة، أن تسهم في تحسين بيئة العمل وجعلها أكثر دعماً للعاملين، وأكثر تحفيزاً للإبداع والالتزام. لذ قسم البحث على ثلاثة مباحث، تناول المبحث الأول الإطار المنهجي للبحث، أما المبحث الثاني فقد تناول الإطار النظري، فيما تناول المبحث الثالث الجانب العملي للبحث، وصولاً إلى تقديم مجموعة من النتائج والتوصيات التي يمكن أن تساعد المنظمات على تطوير وتحسين بيئة عمل مريحة وآمنة وفعّالة، ولا سيما في مديرية بلدية محافظة كربلاء المقدسة التي تمثل مجتمع البحث وعينته.

المبحث الأول: الأطار المنهجي للبحث

أولاً: مشكلة البحث:

تسعى المنظمات الحديثة إلى توفير بيئة عمل داعمة ومحفزة تضمن رفع مستوى الأداء الوظيفي والرضا لدى العاملين، إلا أن بعض المنظمات لا تزال تعاني من تحديات واضحة في تحقيق هذا الهدف نتيجة ضعف الثقافة التنظيمية أو غياب ممارساتها الفعّالة. وفي ضوء ما تشهده مديرية بلدية محافظة كربلاء المقدسة من توسع في المهام وتزايد في متطلبات تقديم الخدمات للمواطنين، يبرز التساؤل حول مدى قدرة الثقافة التنظيمية السائدة على دعم وتحسين بيئة العمل بأبعادها المتنوعة المادية والنفسية والاجتماعية والإدارية والتكنولوجية والثقافية والبيئية الخارجية. وعليه تتمثل مشكلة البحث في وجود حاجة ملحة للكشف عن طبيعة العلاقة بين الثقافة التنظيمية وتحسين بيئة العمل داخل المديرية، وتحديد ما إذا كانت الثقافة التنظيمية بأبعادها (المشاركة، الاتساق، التكيف، المهمة) تسهم بشكل فعّال في خلق بيئة عمل صحية ومتطورة تدعم العاملين وتحقق مستوى أفضل من الأداء والرضا الوظيفي.

وانطلاقاً من مشكلة البحث، يمكن صياغة أسئلة البحث على النحو الآتي:

١. ما مستوى الثقافة التنظيمية بأبعادها (المشاركة، الاتساق، التكيف، المهمة) في مديرية بلدية

محافظة كربلاء المقدسة؟

٢. ما مستوى بيئة العمل بأبعادها (المادي، النفسي، الاجتماعي، الإداري، التكنولوجي، الثقافي، البيئي الخارجي) لدى العاملين في مديرية بلدية محافظة كربلاء المقدسة؟
٣. هل توجد علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية بين الثقافة التنظيمية بأبعادها وتحسين بيئة العمل لدى العاملين في مديرية بلدية محافظة كربلاء المقدسة؟
٤. ما طبيعة تأثير الثقافة التنظيمية على تحسين أبعاد بيئة العمل المختلفة في مديرية بلدية محافظة كربلاء المقدسة؟

ثانياً: أهمية البحث:

تُستمد أهمية هذا البحث من الجوانب الآتية:

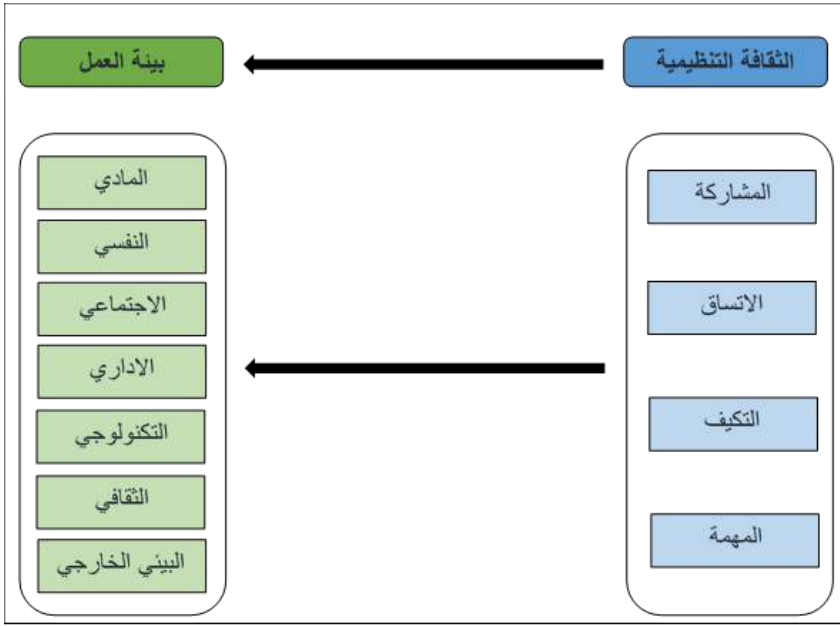
١. أهمية عملية: يساعد في توفير بيانات واقعية حول مستوى الثقافة التنظيمية وبيئة العمل داخل مديرية بلدية محافظة كربلاء المقدسة، بما يساهم في تحسين الأداء وتطوير أساليب الإدارة.
٢. أهمية نظرية: يعزز الإثراء العلمي للدراسات المتعلقة بالثقافة التنظيمية وبيئة العمل داخل المنظمات الحكومية العراقية، ويقدم إطاراً بحثياً يمكن الاستفادة منه في دراسات مستقبلية.
٣. يسלט الضوء على أهمية تبني قيم تنظيمية داعمة وممارسات إدارية متطورة تساعد على خلق بيئة عمل صحية، الأمر الذي ينعكس إيجاباً على مستوى الرضا والتحفيز لدى العاملين.
٤. يدعم صُنائع القرار في وضع استراتيجيات فعّالة لتعزيز الثقافة التنظيمية وتحسين بيئة العمل بما يتناسب مع أهداف التنمية المؤسسية.

ثالثاً: أهداف البحث:

١. التعرف على مستوى الثقافة التنظيمية بأبعادها لدى العاملين في مديرية بلدية محافظة كربلاء المقدسة.
٢. قياس مستوى بيئة العمل بأبعادها لدى العاملين في المديرية.
٣. تحليل العلاقة بين الثقافة التنظيمية وتحسين بيئة العمل.
٤. بيان دور الثقافة التنظيمية في تعزيز الأداء والرضا الوظيفي من خلال تحسين بيئة العمل.
٥. تقديم توصيات تساهم في تطوير ثقافة تنظيمية إيجابية تواكب متطلبات العمل وتدعم التنمية المستدامة داخل المديرية.

رابعاً: مخطط البحث الفرضي:

في ضوء الدراسة الاستطلاعية والدراسات السابقة وتحديد مشكلة البحث الحالية، أمكن للباحث تحديد متغيرات البحث والتي يوضحها في النموذج التالي:



المصدر: أعداد الباحث

خامساً: فرضيات البحث:

للانطلاق في التحقق من أسئلة البحث، تم وضع الفرضيات الآتية:

١. الفرضية الرئيسية الأولى: هناك علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية بين الثقافة التنظيمية وتحسين

بيئة العمل لدى العاملين في مديرية بلدية محافظة كربلاء المقدسة. ومن هذه الفرضية تتفرع

الفرضيات الفرعية التالية:

- هناك علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية بين بُعد المشاركة وتحسين بيئة العمل.
- هناك علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية بين بُعد الاتساق وتحسين بيئة العمل.
- هناك علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية بين بُعد التكيف وتحسين بيئة العمل.
- هناك علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية بين بُعد المهمة وتحسين بيئة العمل.

٢. الفرضية الرئيسية الثانية: هناك علاقة تأثير ذات دلالة إحصائية للثقافة التنظيمية في تحسين

بيئة العمل لدى العاملين في مديرية بلدية محافظة كربلاء المقدسة. ومن هذه الفرضية تتفرع

الفرضيات الفرعية التالية:

- هناك علاقة تأثير ذات دلالة إحصائية لمستوى المشاركة في تحسين بيئة العمل.
- هناك علاقة تأثير ذات دلالة إحصائية لمستوى الاتساق في تحسين بيئة العمل.
- هناك علاقة تأثير ذات دلالة إحصائية لمستوى التكيف في تحسين بيئة العمل.

- هناك علاقة تأثير ذات دلالة إحصائية لمستوى المهمة في تحسين بيئة العمل.

سادساً: منهج البحث:

اعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي؛ استناداً على المصادر الأولية من المراجع والأدبيات ذات العلاقة، فكونه الأنسب لدراسة الظواهر الإدارية داخل المنظمات من خلال جمع البيانات وتحليلها إحصائياً للوصول إلى تفسيرات دقيقة للعلاقات بين المتغيرات، إذ تم تمثيل الثقافة التنظيمية كمتغير مستقل بأبعادها (المشاركة، الاتساق، التكيف، المهمة)، وبيئة العمل كمتغير تابع بأبعادها (المادي، النفسي، الاجتماعي، الإداري، التكنولوجي، الثقافي، البيئي الخارجي)، وكذلك المصادر الثانوية عن طريق استمارة الاستبانة طورها الباحث لجمع المعلومات، حيث وزعت الاستبانة على مجتمع عينة البحث للأجابة عن أسئلة البحث والتحقق من الفرضيات.

سابعاً: الحدود المكانية والزمانية للبحث:

- الحدود المكانية للبحث: مديرية بلدية محافظة كربلاء المقدسة.
- الحدود الزمانية للبحث: امتدت فترة البحث من بداية جمع المصادر والأدبيات وعمل استمارة الاستبانة الى نهاية البحث من ٢٠٢٥/٣/٤ الى ٢٠٢٥/٩/٦.

ثامناً: الدراسات السابقة:

١. الدراسات المتعلقة بالمتغير المستقل (الثقافة التنظيمية):

ت	عنوان الدراسة	النوع	السنة- المؤلف	مشكلة الدراسة	أهمية الدراسة	أهم النتائج
١	الثقافة التنظيمية وأثرها في بناء إمكانيات الاستعداد لإدارة الأزمة - دراسة استطلاعية في المركز الوطني للتطوير الإداري وتقنية المعلومات	مجلة الدراسات الحاسوبية والإدارية- جامعة بغداد، العراق	٢٠٢٤- عباس محمد حسين، مجيد حميد طاهر	الحاجة لمعرفة دور الثقافة التنظيمية في تجهيز المنظمات للتعامل مع الأزمات	تسد فجوة عملية حول كيفية استفادة المراكز الإدارية من عناصر الثقافة لبناء الجاهزية.	الثقافة التنظيمية تساهم فعلياً في بناء قدرات الاستعداد للأزمة عبر تعزيز الثقة والرؤية المشتركة وممارسات الإدارة.
٢	أثر تطبيقات تكنولوجيا المعلومات في الثقافة التنظيمية - عينة من شركات الاتصالات في محافظة كربلاء المقدسة.	كلية الإدارة والاقتصاد، رسالة ماجستير، جامعة كربلاء، العراق	٢٠١٥- خمائل كامل محمد الطائي	تساؤل حول تأثير استخدام تكنولوجيا المعلومات في تغيير مكونات الثقافة التنظيمية داخل شركات الاتصالات المحلية.	ترابط بين بُعدين عمليين (تكنولوجيا وممارسة ثقافية) وتقدم توصيات تطبيقية للتدريب وبناء المهارات.	وجود علاقة ارتباط إيجابية ومعدّنة بين تطبيقات تكنولوجيا المعلومات ومستويات الثقافة التنظيمية في الشركات المدروسة.

الثقافة التنظيمية وأثرها في سلوك العاملين في القطاع السياحي (دراسة استطلاعية في المتحف العراقي)	مجلة الإدارة والاقتصاد- الجامعة المستنصرية، العراق	٢٠٢٤- إيهاب فواز مجبل؛ علاء كريم مطلق-	ضعف معرفة أثر الممارسات الثقافية على سلوك وكفاءة العاملين في منشآت سياحية محلية.	تفيد صنع القرار في مؤسسات السياحة والتراث حول تدريب الموظفين وبناء سياسات داخلية.	الثقافة التنظيمية ودورها في تعزيز متطلبات التمكين الإداري - دراسة استطلاعية في مديرية زراعة محافظة كربلاء المقدسة	المجلات الاكاديمية العراقية-مجلة كلية الأسراء، العراق	٢٠٢٣- عصام محمد رضا شاكر	ضعف التمكين الإداري والجهود المتباعدة لتفويض الصلاحيات في المؤسسات المحلية.	توضح كيف يمكن للثقافة التنظيمية دعم مبادرات التمكين وتحسين مشاركة العاملين في القرار.	وجود علاقة ارتباط موجبة وقوية بين الثقافة التنظيمية ومتطلبات التمكين؛ والتوصية بزيادة تفويض الصلاحيات وبناء ثقافة ثقة.
الثقافة التنظيمية وتأثيرها على فعالية إدارة الأزمات (دراسة ميدانية على المؤسسة الوطنية الليبية للنفط)	المجلة العلمية للدراسات التجارية والبيئية-جامعة قناة السويس، مصر	٢٠١٨- محمد سليمان	ضعف فعالية الإدارة أثناء الأزمات في مؤسسات حيوية وتأثير الثقافة على ذلك.	تُقدم دروسًا قابلة للتعميم إلى مؤسسات خدمتية وقطاعية في العالم العربي.	أثبتت الدراسة أن الثقافة التنظيمية (قيم وثقة وممارسات) تؤثر إيجابًا على فاعلية استجابة المؤسسة للأزمات.					

٢. الدراسات المتعلقة بالمتغير التابع (بيئة العمل):

ت	عنوان الدراسة	النوع	السنة	مشكلة الدراسة	أهمية الدراسة	أهم النتائج
١	أثر بيئة العمل الداخلية على أداء العاملين (دراسة ميدانية - محافظات يمنية)	مجلة جامعة السعيد للعلوم الإنسانية جامعة تعز، اليمن	٢٠٢٣- جلال كليب، عبد الرحمن محمد أحمد	تدني أداء العاملين وضرورة معرفة أي أبعاد البيئة الداخلية (أنظمة، تدريب، علاقات) الأكثر تأثيرًا.	تساعد مديري المنشآت على تحديد أولويات تحسين بيئة العمل لرفع الأداء.	كانا الأكثر تأثيرًا في رفع الأداء مقارنة بالبعد المادي؛ والتوصية بالتركيز على التدريب والدعم الإداري.
٢	تأثير بيئة العمل في الاستغراق الوظيفي (دراسة استطلاعية في شركة توزيع المنتجات النفطية- هيئة توزيع بغداد)	مجلة الإدارة والاقتصاد - جامعة كربلاء، العراق	٢٠٢١- ندى إبراهيم نجم العبيدي	ضعف المستوى التحفيزي والإدماج الوظيفي لدى بعض العاملين في شركات التوزيع.	توضح أثر بيئة العمل على تفاعل الموظفين والتزامهم بالمهام.	بيئة العمل (ظروف العمل، العلاقات، الدعم الإداري) أثرت إيجابيًا في الاستغراق الوظيفي؛ التوصية بتحسين ظروف العمل وتعزيز العلاقات.

٣	البيئة الاجتماعية للعمل واغتراب الموظف- دراسة ميدانية مقارنة	مجلة كلية الأداب، جامعة بني سويف، مصر	٢٠٢٤-محمد حمزة أمين عبد الله	وجود حالات اغتراب وظيفي مرتبطة بضعف البيئة الاجتماعية داخل مؤسسات عدة.	تسلط الضوء على دور العلاقات والزمالة والقيادة في الحد من الانعزال المهني.	تحسين التفاعل الاجتماعي والقيادة المرنة يقللان الاغتراب ويعززان دافعية العمل.
٤	أثر جودة الحياة الوظيفية في تعزيز الرضا الوظيفي لدى العاملين	مجلة نماء للاقتصاد والتجارة، جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي، الجزائر	٢٠٢٣-امال عطية ومحمد العيفة	انخفاض الرضا الوظيفي في مؤسسات محددة وغياب سياسات تحسين جودة حياة العمل.	تقدم دلالات عملية حول أي عناصر (أمان وظيفي، بيئة مادية، توازن حياة-عمل) يجب تحسينها.	جودة الحياة المرتفعة ترفع مستويات الرضا الوظيفي وتقلل معدلات الدوران والغياب.

تاسعاً: أوجه الشبة والاختلاف مع الدراسات السابقة:

• أوجه الشبة في الدراسات السابقة والبحث الحالي:

١. اتفاق الدراسات على أهمية الثقافة التنظيمية: تشترك معظم الدراسات في تأكيد أن الثقافة التنظيمية عنصر مؤثر في أداء العاملين، الاستعداد للأزمات، التمكين الإداري، والسلوك الوظيفي، وهو ما ينسجم مع البحث الحالي، الذي ينظر إليها كعامل رئيسي في تحسين بيئة العمل.
٢. وجود علاقة ارتباط وتأثير معنوي: أغلب الدراسات السابقة أثبتت وجود علاقة إيجابية بين الثقافة التنظيمية ونتائج تنظيمية مهمة، وهذا يتوافق مع نتائج البحث الحالي، التي أثبتت أن تعزيز الثقافة التنظيمية يساهم في تحسين أبعاد بيئة العمل.
٣. الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي: معظم البحوث استخدمت الاستبانة وأساليب التحليل الإحصائي (مثل SPSS)، وهو نفس المنهج والأسلوب المستخدم في البحث الحالي.
٤. التعامل مع بيئة العمل كمتغير مؤثر في الأداء والرضا: الدراسات المتعلقة ببيئة العمل ركزت على دورها في تعزيز الرضا والأداء، وهذا يتفق مع رؤية البحث الحالي، بأن بيئة العمل إحدى الركائز الأساسية لرفع كفاءة العاملين.

• أوجه الاختلاف في الدراسات السابقة والبحث الحالي:

١. دمج المتغيرين في إطار واحد: تختلف أغلب الدراسات في أنها تناولت الثقافة التنظيمية أو بيئة العمل كل على حدة، بينما يتميز هذا البحث أنه يربط بينهما بعلاقة سببية مباشرة بهدف قياس أثر الثقافة التنظيمية على جميع أبعاد بيئة العمل.
٢. شمولية أبعاد بيئة العمل في هذا البحث: غالبية الدراسات السابقة تناولت بعداً أو بعدين من بيئة العمل (مثل البعد الاجتماعي أو النفسي)، بينما اعتمد هذا البحث نموذجاً واسعاً يشمل سبعة أبعاد متكاملة: المادي، النفسي، الاجتماعي، الإداري، التكنولوجي، الثقافي، والبيئي الخارجي.
٣. السياق التطبيقي الجديد (مديرية بلدية محافظة كربلاء المقدسة): تتميز بيئة البلديات بطبيعة خدمية ومجتمعية تختلف عن الشركات والوزارات والجامعات التي تناولتها الدراسات السابقة، مما يمنح البحث خصوصية تطبيقية ومجالاً بحثياً جديداً.
٤. اعتماد نموذج دنيسون لقياس الثقافة التنظيمية: كثير من الدراسات تناولت الثقافة بشكل عام دون الاعتماد على نموذج محدد، بينما البحث الحالي اعتمد نموذج Denison، وهو من أقوى النماذج العالمية لقياس الثقافة ب أبعاد واضحة ومنهجية (المشاركة، الاتساق، التكيف، المهمة).
٥. دمج البعد التكنولوجي والثقافي والبيئي الخارجي لبيئة العمل: هذه الأبعاد نادراً ما تكون جزءاً من نماذج بيئة العمل في البحوث التطبيقية، مما يمنح البحث الحالي عمقاً تشخيصياً لا يتوفر في العديد من الدراسات السابقة.

المبحث الثاني: الأطار النظري للبحث

أولاً: الثقافة التنظيمية:

١- مفهوم الثقافة التنظيمية:

الثقافة التنظيمية هي "نمط من الافتراضات الأساسية المشتركة التي طورها أفراد المنظمة عند محاولتهم التكيف مع تحديات الاندماج الداخلي والتكيف مع البيئة الخارجية، وقد أثبتت جدواها، وأصبحت تُعَلَّم للأعضاء الجدد كطريقة صحيحة للتفكير والشعور تجاه تلك التحديات" (Schein, 1985, p25). كذلك هي "تُعد شبكة ضمنية من المعاني التي تكمن خلف سلوك العاملين اليومي، وتشمل الطقوس والرموز والقيم والأساطير التي تظهر من خلال تفاعل الأفراد" (Hatch, M. J. 1993, P657).

فهي مجموعة من الافتراضات، والمعرفة، والمبادئ التوجيهية، والقيم، والرموز الذهنية، أو التفسيرات التي تُحدد أداء المنظمة يومياً. (Christensen, K., & Levinson, D., 2001, P247).

فالثقافة التنظيمية تمثل عدسة يفسر من خلالها العاملون البيئة، وهي مجموعة منظمة من الافتراضات الأساسية التي تعلمتها المجموعة لحل مشاكل التكيف الداخلي والخارجي، وأثبتت نجاحها لتُعلم للمنظمين الجدد (Jex, S. M., & Britt, T. W., 2014, p18). وتمثل "مجموع القيم والطقوس التي تساهم في دمج أعضاء المؤسسة وتشكيل تماسك بينهم" (Perrin, 2020)، حيث وصفها (Adler 2020) بأنها الحضارة داخل مكان العمل، كدليل على عمق الجذور الثقافية والقيم والثوابت التي تتكون منها الثقافة التنظيمية داخل المنظمات.

ومما تقدم يرى الباحث أن مفهوم الثقافة التنظيمية واسع يتداخل فيه ما هو سلوكي وقيمي ورمزي ووظيفي، كما أنها تمثل الإطار غير الملموس الذي يوجه سلوك الأفراد داخل المنظمات، فهي برمجة جماعية للعقل تميز أعضاء مجموعة بشرية - كأها مؤسسة - عن غيرهم، فهي ليست فقط قواعد غير مكتوبة أو عادات متكررة، بل منظومة متكاملة من القيم والمعتقدات والتوجهات والسلوكيات المشتركة التي تنمو مع الزمن داخل المنظمة، وتؤثر في طريقة تفكير العاملين، وأسلوب تواصلهم، ومدى تعاونهم، وشعورهم بالانتماء، وهي بذلك تشكل الجو العام غير الرسمي الذي تتحرك فيه المنظمة، سواء بشكل ظاهر في الشعارات والطقوس أو بشكل ضمني في القرارات اليومية وسلوك الأفراد.

٢- خصائص الثقافة التنظيمية:

يمكن ايجاز خصائص الثقافة التنظيمية بما يلي:

- ١) الثقافة نظام مركب: تتكون الثقافة التنظيمية من مجموعة عناصر مترابطة، تشمل الجوانب الفكرية والمعنوية مثل القيم والمعتقدات، إلى جانب السلوكيات والعادات اليومية، وحتى الأمور المادية الملموسة مثل المباني والمعدات، هذه العناصر كلها تتفاعل مع بعضها لتشكل الثقافة العامة في المنظمة (الفتاح، المغربي، ٢٠١٦، ص ٢٦١)
- ٢) الثقافة نظام متكامل: تهدف الثقافة إلى تحقيق التوازن بين مكوناتها المختلفة، لذلك عندما يحدث تغيير في أحد الجوانب داخل المنظمة، فإنه يؤثر تلقائياً على باقي المكونات ويعيد ترتيبها لتبقى متناسقة ومتناغمة (أبو بكر، ٢٠٠٦، ص ٧٩)، ويؤكد هذا المفهوم (جيمس باركر) الذي يرى أن الثقافة التنظيمية تعمل كنظام متكامل، حيث تتفاعل عناصرها المختلفة باستمرار للحفاظ على هوية المنظمة واستقرارها (Parker, 2000, p. 45).

- ٣) الثقافة نظام تراكمي متصل ومستمر: الثقافة التنظيمية لا تُخلق من فراغ، بل تتراكم عبر الزمن، حيث ينقلها الجيل السابق إلى الجيل التالي من خلال التعلم والملاحظة والتجربة، مما يجعلها مستمرة وغير منقطعة (الزهران، ٢٠١٩، ص ٣٦).
- ٤) الثقافة التنظيمية نظام من: تمتاز بالقدرة على التكيف مع التغييرات، سواء داخل المنظمة (مثل تغييرات إدارية) أو خارجها (مثل تغييرات السوق) هذا التكيف يساعد المنظمة على مواصلة تحقيق أهدافها بكفاءة.
- ٥) درجة المبادرة الفردية: تشير إلى مدى الحرية التي يتمتع بها العاملون في اتخاذ قرارات بأنفسهم، وتحملهم المسؤولية عن أعمالهم دون الحاجة للرجوع المستمر إلى الإدارة (صيدون، الأقرع، ٢٠٢٥، ص ١٢٦٦).
- ٦) الإبداع والمخاطرة: تعكس مدى دعم الإدارة للعاملين في تجربة أفكار جديدة والابتكار، حتى وإن كانت بعض هذه الأفكار تنطوي على نسبة من المخاطرة.
- ٧) الانتباه للتفاصيل: يقصد به مدى اهتمام العاملين بتنفيذ الأعمال بدقة وحرصهم على ملاحظة أدق التفاصيل، مما يعكس جودة الأداء والانضباط داخل المنظمة (السكرانه، ٢٠٠٩، ص ٣٧٢).

٣- عناصر الثقافة التنظيمية:

- تُعد الثقافة التنظيمية منظومة متكاملة من القيم والمعايير والممارسات التي يتبناها العاملون داخل المنظمة، والتي تؤثر بشكل مباشر في سلوكهم وقراراتهم اليومية، وتتكوّن من عدة عناصر أساسية، من أبرزها:
- ١) القيم: تمثل القيم والمبادئ الأساسية التي توجه تفكير وسلوك العاملين داخل المنظمة، وهي تحدد ما يُعد سلوكاً مقبولاً أو مرفوضاً. ومن الأمثلة الشائعة: النزاهة، العمل الجماعي، الاحترام، والالتزام بالجودة (Schein, 2010, p, 25).
- ٢) المعتقدات: تشير إلى القناعات المشتركة التي يؤمن بها العاملون حول كيفية سير العمل، وطبيعة العلاقات المهنية، ومفاهيم النجاح والفشل، هذه المعتقدات تتكون بمرور الوقت وتنعكس على طريقة تعامل الموظفين مع التحديات (Alvesson, 2013, p, 47).
- ٣) الرموز والشعارات: تشمل كل ما يُعبّر عن هوية المنظمة بشكل بصري أو لغوي، مثل الشعار الرسمي، اللباس الموحد، أو حتى الألوان المستخدمة في بيئة العمل، وتعمل هذه الرموز على ترسيخ شعور الانتماء لدى العاملين (Hatch & Cunliffe, 2013, p, 61).

- ٤) الطقوس والممارسات التنظيمية: وهي العادات التي تتكرر داخل المنظمة، مثل احتفالات التكريم، الاجتماعات الدورية، أو أسلوب استقبال العاملين الجدد، تعزز هذه الطقوس الإحساس بالاستقرار وتسهل الاندماج في بيئة العمل (Deal & Kennedy, 2000, p, 54).
- ٥) اللغة التنظيمية: تمثل الطريقة التي يتواصل بها العاملون داخل المنظمة، سواء كانت لغة رسمية أو غير رسمية وتشمل المصطلحات الخاصة المستخدمة، ونبرة الخطاب، وأساليب التعبير، وتعد مؤشراً قوياً على مدى التماسك الثقافي (Schein, 2010, p, 33).
- ٦) القصص والروايات: تتداول داخل المنظمات مجموعة من القصص أو الحكايات التي تعكس مواقف حقيقية حدثت في الماضي، وغالباً ما تتضمن دروساً أو رسائل أخلاقية أو سلوكية تعزز من القيم التنظيمية (Martin, 2002).

٤ - أبعاد الثقافة التنظيمية:

بناءً على الأدبيات السابقة كان أنسب نموذج لهذا البحث لبيان أبعاد الثقافة التنظيمية هو نموذج دينيسون (Denison, 1990) تم اختيار نموذج دينيسون للثقافة التنظيمية ليكون الإطار المعتمد في هذا البحث لعدة أسباب علمية ومنهجية تجعله الأكثر ملاءمة لطبيعة موضوع الدراسة. إذ يُعد نموذج دينيسون واحداً من أكثر النماذج استخداماً وموثوقية في تحليل الثقافة التنظيمية، لما يقدمه من رؤية شاملة تربط بين الثقافة وبين فعالية المنظمة وجودة بيئة العمل، ويتميز هذا النموذج بأنه لا يكتفي بوصف الثقافة، بل يركز على كيفية انعكاسها على الأداء العام للمنظمة، يعتمد النموذج على أربعة أبعاد أساسية هي: المشاركة، الاتساق، التكيف، والمهمة، وهي أبعاد تتناسب بشكل كبير مع بيئة المنظمات الخدمية مثل مديرية بلدية محافظة كربلاء المقدسة، التي تحتاج إلى ثقافة داعمة للمشاركة واتخاذ القرار، وإجراءات متسقة وواضحة، وقدرة على التكيف مع متطلبات المجتمع، ورؤية واضحة توجه جهود العاملين.

كما أن نموذج دينيسون يُعد من النماذج التي تربط بشكل مباشر بين الثقافة التنظيمية والمخرجات التنظيمية مثل جودة بيئة العمل، الرضا الوظيفي، الأداء، والاستقرار التنظيمي، وهو ما يتوافق تماماً مع أهداف هذا البحث الذي يسعى إلى بيان أثر الثقافة التنظيمية في تحسين بيئة العمل، إضافة إلى ذلك، فقد أثبت النموذج صلاحيته في العديد من الدراسات العالمية الحديثة، مما يجعله أساساً علمياً متيناً لدراسة أبعاد الثقافة وتفسير نتائجها بشكل دقيق وعملي. وفي ما يلي الأبعاد الأساسية للثقافة التنظيمية:

- **المشاركة (Involvement):** تعني مدى اندماج العاملين في بيئة العمل، وإتاحة الفرصة لهم للتعبير عن آرائهم والمشاركة في اتخاذ القرارات، مما يزيد من إحساسهم بالمسؤولية والانتماء، أن بيئة العمل التشاركية ترفع من مستوى الرضا الوظيفي وتدعم الأداء الجماعي (Denison,

(15, p. 1990)، وتشير دراسات حديثة إلى أن المشاركة تعد من العوامل الأساسية لتعزيز الإبداع والالتزام في المنظمات الحكومية والخدمية (Alghamdi, 2018, p. 64)، (Chang & Lin, 2021, p. 233).

■ **الاتساق (Consistency)** : هو وجود قيم وقواعد واضحة توجه سلوك العاملين وتخلق حالة من التناغم الداخلي، فبيئة العمل التي تتسم بالاتساق تقل فيها الصراعات وتزداد العدالة التنظيمية، مما ينعكس إيجاباً على جودة العمل (Denison, 1990, p. 22) أن الاتساق يعزز الثقة التنظيمية ويجعل العاملين أكثر التزاماً بالمعايير والسلوكيات المتفق عليه وبشكل أكبر في تحمل المسؤوليات المناطة وعلى قدر عالي من الحرص (Martinez-Costa et al., 2019, p. 115, Lee & Kim, 2020, p. 48).

■ **التكيف (Adaptability)** : التكيف يعبر عن قدرة المنظمة على المرونة ومواكبة التغيرات الخارجية، سواء كانت مرتبطة بمتطلبات العملاء أو التغيرات في بيئة العمل، فالمنظمات التي تتبنى ثقافة التكيف قادرة على تطوير حلول مبتكرة وتحسين أدائها باستمرار (Denison, 1990, p. 28). أن التكيف التنظيمي أصبح ضرورة في ظل الثورة التكنولوجية والتحول الاقتصادي (Torres & Augusto, 2022, p. 422) (Zafar et al., 2017, p. 19).

■ **المهمة (Mission)** : تعني وجود رؤية ورسالة واضحة تحدد أهداف المنظمة واتجاهاتها المستقبلية، بحيث يعرف العاملون كيف يساهم عملهم في تحقيق هذه الأهداف (Denison, 1990, p. 35) ووضوح المهمة يساعد على توحيد الجهود ويمنح الموظف دافعاً للعمل بإحساس أكبر بالمعنى والجدوى أن وضوح المهمة يرتبط مباشرة بزيادة الالتزام الوظيفي وتحسين بيئة العمل، مما ينعكس إيجاباً على المنظمة بشكل عام (Krause, 2017, p. 301) (Al-Haddad & Kotnour, 2020, p. 10).

● **ثانياً: بيئة العمل:**

١- مفهوم بيئة العمل:

هناك عدة مفاهيم لبيئة العمل في الأدبيات الإدارية، نذكر منها ما يأتي: عرفها (الخطيب، ٢٠٢١، ص ٤٥) بأنها: البيئة التي تشمل جميع الظروف التي يعمل فيها الموظف داخل المنظمة، سواء كانت مادية كالمكاتب، أو نفسية كالأمان الوظيفي، أو اجتماعية كالعلاقات بين الزملاء". كذلك هي "مزيج من العوامل التنظيمية والاجتماعية والمادية التي تؤثر على كيفية أداء الموظف لعمله وسلوكه داخل المنظمة (Robbins & Judge, 2023, p. 107). بينما عبد الغني

يضيف أن بيئة العمل هي الإطار العام الذي يمارس فيه الموظف مهامه، وهي تؤثر على مدى راحته النفسية وسلوكه الوظيفي، وتحدد قدرته على الإبداع أو الإحباط" (عبد الغني، ٢٠٢٠، ص ٦٥). كما تم وصفها بالمنظومة التي تضم جميع الظروف الداخلية التي تحيط بالموظف وتؤثر على أدائه وإنتاجيته وصحته النفسية (Schermerhorn et al. 2021. P.89). ويرى الباحث بأنها المكان والظروف التي يعمل فيها الموظف داخل المنظمة، فهي عبارة عن خليط من العوامل التنظيمية والاجتماعية والمادية تؤثر بشكل كبير على أداء الموظف سواء الأداء الوظيفي أو الأداء السلوكي.

٢- خصائص بيئة العمل:

- حسب الأدبيات السابقة يمكن أن نلخص أهم خصائص بيئة العمل الفاعلة:
- (١) المرونة: البيئة الفعالة تتكيف مع التغيرات التقنية والاقتصادية (عبد الغني، ٢٠٢٠، ص ٧٣).
 - (٢) التكامل: تجمع بين العناصر النفسية والمادية والتنظيمية (الخطيب، ٢٠٢١، ص ٤٧).
 - (٣) التأثير المتبادل: تؤثر بيئة العمل على العاملين وتتأثر بتصرفاتهم.
 - (٤) العدالة: تمنح فرصاً متساوية للموظفين وتمنع التمييز (Robbins & Judge, 2023, p. 112).
 - (٥) الديناميكية: تتطور بتغير احتياجات الموظفين والمنظمة (Schermerhorn et al., 2021, p. 91).

٣- عناصر بيئة العمل:

- (١) العنصر المادي: يشمل الأثاث، الإضاءة، التهوية، الأمن (عبد الله، ٢٠٢٢، ص ٢٨).
- (٢) العنصر النفسي: مثل الأمان الوظيفي، التقدير، الدعم النفسي (الخطيب، ٢٠٢١، ص ٥٠).
- (٣) العنصر الاجتماعي: يتضمن العلاقات بين الموظفين، والعمل الجماعي (Robbins & Judge, 2023, p. 118).
- (٤) العنصر الإداري: نمط القيادة، السياسات الداخلية، التقييم (Schermerhorn et al., 2021, p. 94).
- (٥) العنصر التكنولوجي: توفر التقنيات والأنظمة الذكية في بيئة العمل (Griffin & Moorhead, 2022, p. 133).

٤- أهمية بيئة العمل:

تبرز أهمية بيئة العمل من خلال النقاط التالية:

- (١) رفع إنتاجية العاملين: تؤدي البيئة الإيجابية إلى أداء أفضل (عبد الله، ٢٠٢٢، ص ٣٤).
- (٢) خفض معدل الدوران الوظيفي: الموظفون يميلون للبقاء في مكان يشعرون فيه بالراحة (الخطيب، ٢٠٢١، ص ٥٣).
- (٣) دعم الإبداع: توفر بيئة العمل مساحة للتعبير عن الأفكار والاقتراحات (Robbins & Judge, 2023, p. 125).
- (٤) تعزيز الصحة النفسية: تحدّ من التوتر وتحفّز الشعور بالرضا (Schermerhorn et al., 2021, p. 99).
- (٥) تحقيق الانتماء: البيئة الجيدة تخلق شعوراً قوياً بالولاء والاندماج في المنظمة (Griffin & Moorhead, 2022, p. 140).

(٦) من أهم الأسباب لتلوث بيئة العمل الخارجية هي تلوث بيئة العمل الداخلية.

٥- أبعاد بيئة العمل:

اعتمد هذا البحث أبعاد بيئة العمل المتمثلة في: المادي، النفسي، الاجتماعي، الإداري، التكنولوجي، الثقافي، والبيئي الخارجي، استناداً إلى نماذج حديثة في أدبيات السلوك التنظيمي (Robbins & Schermerhorn et al., 2021; Griffin & Moorhead, 2022; Judge, 2023). وتم اختيار هذه الأبعاد لأنها تقدم تصوراً شاملاً لبيئة العمل، وهو ما يتناسب مع طبيعة مديرية بلدية كربلاء المقدسة التي تتطلب تقييماً متعدد الجوانب لظروف العمل. ويميز هذا النموذج أنه يجمع بين الأبعاد الداخلية المؤثرة مباشرة على العاملين، والأبعاد الخارجية ذات الصلة بالثقافة والبيئة المحيطة، مما يجعله مناسباً لبحث يهدف إلى تحليل تأثير الثقافة التنظيمية في تحسين بيئة العمل. كما تُعد هذه الأبعاد من أكثر النماذج استخداماً لارتباطها بالرضا الوظيفي والأداء والدافعية.

● وبذلك، فقد جاء اختيار هذا النموذج لأنه يوفر تحليلاً شاملاً يساعد في تقديم تشخيص دقيق وموضوعي لبيئة العمل في مديرية بلدية محافظة كربلاء المقدسة، ويدعم تحقيق هدف البحث في قياس أثر الثقافة التنظيمية على تحسين بيئة العمل، وهذه الأبعاد هي:

- **البعد المادي:** يشمل المرافق، الإضاءة، التهوية، وسائل الراحة (عبد الغني، ٢٠٢٠، ص ٨٢).
- **البعد النفسي:** كالشعور بالأمان والثقة والتقدير (عبد الله، ٢٠٢٢، ص ٤١).
- **البعد الاجتماعي:** مدى تفاعل الموظفين وتعاونهم (الخطيب، ٢٠٢١، ص ٦٠).
- **البعد الإداري:** طبيعة القيادة والإدارة والقرارات (Robbins & Judge, 2023, p. 130).

- البعد التكنولوجي: الأنظمة المستخدمة لتسهيل المهام (Schermerhorn et al., 2021, p. 101).

- البعد الثقافي: القيم والمعتقدات السائدة داخل المنظمة (Griffin & Moorhead, 2022, p. 136).

- البعد البيئي الخارجي: مثل القوانين والضغوط المجتمعية المحيطة بالمنظمة.

ثالثاً: العلاقة بين الثقافة التنظيمية وبيئة العمل:

تُعدّ أبعاد الثقافة التنظيمية من المرتكزات الأساسية التي تساهم في تحسين بيئة العمل داخل المنظمات الخدمية، إذ إن المشاركة (Involvement) تمثل إشراك الموظفين في القرارات اليومية وتقدير آرائهم ومساهماتهم فكلما شعر الموظف بأن صوته مسموع وأنه جزء من عملية اتخاذ القرار، تولّد لديه إحساس بالانتماء والمسؤولية تجاه عمله، مما يعزز التعاون والثقة ويقلل من المشكلات الإدارية، وتُسهم المشاركة في رفع رضا الموظفين وتحفيزهم على تقديم خدمات أفضل للمجتمع. (Alghamdi, 2018, p. 65)؛ (Denison, 1990, p. 15)؛ (Chang & Lin, 2021, p. 233).

أما الاتساق (Consistency)، فيعني وجود قيم واضحة ونظام عمل موحد يلتزم به الجميع، الأمر الذي يعزز من تماسك العمل الداخلي ويحد من التضارب في القرارات ويزيد من العدالة والشفافية. إن وضوح الأدوار والمسؤوليات يقلل من الغموض والضغط النفسي ويعزز الشعور بالأمان الوظيفي، أي اعتماد إجراءات ثابتة ومنسقة يعزز ثقة الموظفين بالإدارة ويوفر بيئة عمل مستقرة ومنضبطة (Denison, 1990, p. 22)؛ (Martinez-Costa et al., 2019, p. 115)؛ (Lee & Kim, 2020, p. 48).

أما التكيف (Adaptability) فهو يعكس قدرة المنظمة على الاستجابة للتغيرات السريعة في البيئة المحيطة، ويُترجم ذلك في بيئة العمل بمرونة الموظفين واستعدادهم لابتكار حلول جديدة للمشكلات بدلاً من التمسك بالروتين. إن الثقافة التنظيمية المرنة تجعل الموظفين أكثر تقبلاً للتغيير وأكثر استعداداً لمواجهة التحديات، حيث يشكل التكيف عنصراً مهماً للتعامل مع متطلبات العمل وضغوط المجتمع، حيث يسهم في دعم المبادرات الإبداعية وتحسين بيئة العمل (Denison, 1990, p. 28).

(Zafar et al., 2017, p. 422)؛ (Torres & Augusto, 2022, p. 19).

وأخيراً، فإن المهمة (Mission) تمثل وجود رسالة ورؤية واضحة تحدد مسار المنظمة وأهدافها الاستراتيجية، فعندما يدرك الموظفون أن أعمالهم اليومية مرتبطة بهدف أوسع وأكثر قيمة، يزداد لديهم الدافع للعمل وتعلو معنوياتهم. إن وضوح الرسالة يقلل من الالتباس ويوجه الجهود نحو الأهداف

المشتركة، ويسهم وضوح المهمة في تعزيز شعور الموظفين بأهمية ما يقدمونه للمجتمع (Denison, 1990, p. 35)، مما يرفع مستوى رضاهم الوظيفي ويقوي ولائهم. (Krause, 2017, p. 301)؛ (Al-Haddad & Kotnour, 2020, p. 10)

ومما تقدم يرى الباحث أنه يمكن أن نبني ثقافة تنظيمية داعمة لبيئة العمل من خلال عدة نقاط أساسية:

- ✓ تحديد قيم واضحة ومشتركة بين الإدارة والموظفين.
- ✓ مشاركة الموظفين في القرارات المهمة التي تخص العمل.
- ✓ تحقيق العدالة في توزيع الأدوار والمكافآت.
- ✓ تشجيع التواصل والتغذية الراجعة البناءة.
- ✓ تقدير الجهود وتحفيز الأداء الجيد.

المبحث الثالث: الأطار العملي للبحث

• أولاً: منهجية البحث:

١. مجتمع البحث وعينته:

• استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي لأنه يتناسب مع مجتمع عينة البحث وأهداف البحث من خلال كشف ووصف العلاقات الارتباطية بين متغيرات البحث، باستخدام البرنامج الإحصائي Spss.24 واستمارة الاستبانة التي تم توزيعها بشكل عشوائي على مجتمع عينة البحث. ويمكن اعتبار أن مجتمع عينة البحث مكون من (٥٠٠) عاملاً وفي مستويات وظيفية مختلفة وقد تم تحديد حجم العينة باستخدام قانون حساب حجم العينة (قانون كوجران):

$$n_0 = \frac{z^2 * p * q}{e^2} \text{ قانون حساب حجم العينة قانون كوجران:}$$

$$n = n_0 / (1 + (n_0 - 1) / N) \text{ تعديل حجم العينة للمجتمع المحدود:}$$

- تطبيق القانون على مجتمع الدراسة البالغ (500) عامل: اعتماد مستوى ثقة (Z = 95% (1.96، ونسبة تباين p = 0.5، وهامش خطأ: e = 0.05

$$n_0 = (1.96^2 * 0.5 * 0.5) / 0.05^2 = 384 \text{ حساب حجم العينة المبدئي:}$$

$$n = 384 / (1 + (383 / 500)) = 217 \text{ تعديل حجم العينة للمجتمع المحدود:}$$

الحجم النهائي للعينة: 217 = عاملاً.

• حيث قام الباحث بتوزيع استمارات الاستبانة بنسبة أكثر من عينة البحث على عدد من العاملين في مديرية بلدية محافظة كربلاء المقدسة فقد تم توزيع (٢٥١) استمارة استبانة على العاملين تم

اختيارهم بشكل عشوائي وضمن مستويات وظيفية مختلفة، وتم استرجاع (٢١٨) استمارة صالحة للتحليل الإحصائي، تكونت من مجموع من الذكور والأناث وفي أعمار متفاوتة وضمن مستويات وظيفية مختلفة متباية في مدة خدمتها.

جدول (١): توزيع عينة الدراسة والاستمارات الموزعة والمستردة

النسبة	الاستمارات الصالحة للتحليل	الاستمارات الغير صالحة للتحليل	الاستمارات المستردة	الاستمارات الموزعة	مجموع البحث	مجموع الدراسة	فئة البحث
٨٦%	٢١٨	١٥	٢٣٣	٢٥١	٢١٨	٥٠٠	العاملين

فكانت البيانات الديمغرافية لمجتمع عينة البحث في مديرية بلدية محافظة كربلاء المقدسة وكما يلي:

جدول (٢): النوع الاجتماعي

النسبة %	التكرار	الفئة
٥٥	١٢٠	الذكور
٤٥	٩٨	الاناث

المصدر: اعداد الباحث بالاعتماد على نتائج برنامج Spss.24

في جدول (٢) تكونت عينة البحث من الذكور (١٢٠) وبنسبة ٥٥%، أما الأناث فكانت (٩٨) بنسبة ٤٥% من مجتمع عينة البحث. مما يفسر أن عدد الذكور أكثر من عدد الأناث في مجتمع عينة البحث.

جدول (٣): العمر

النسبة %	التكرار	الفئة
١٨,٣	٤٠	أقل من ٣٠ سنة
٤١,٣	٩٠	٣٠-٣٩
٢٧,٥	٦٠	٤٠-٤٩
12.9	28	٥٠ وأكبر

المصدر: اعداد الباحث بالاعتماد على نتائج برنامج Spss.24

فيما كانت فئات عينة البحث تتراوح أعمارهم أقل من ٣٠ سنة ب 40 عامل بنسبة ١٨,٣% من مجموع عينة البحث. ومن ٣٠-٣٩ سنة كان عدد العاملين ٩٠ عامل من مجموع عينة البحث وبنسبة ٤١,٣%، أما عدد العاملين الذين تبلغ أعمارهم ٤٠-٤٩ سنة كانت ٦٠ عامل بنسبة ٢٧,٥% من مجموع عينة البحث، وعدد العاملين الذين تبلغ أعمارهم من ٥٠- وأكثر ٢٨ عامل وبنسبة ١٢,٩% من مجموع عينة البحث. مما يفسر أن متوسط الأعمار العاملين الذين تبلغ أعمارهم ٣٠-٣٩ هم النسبة الأعلى من مجموع عينة البحث.

جدول (٤): المستوى التعليمي

النسبة %	التكرار	الفئة
١٣,٨	٣٠	اعدادية
٢٢,٩	٥٠	دبلوم
٤١,٣	٩٠	بكالوريوس
٢٢	٤٨	دراسات عليا

المصدر: اعداد الباحث بالاعتماد على نتائج برنامج Spss.24

تكون مجتمع عينة البحث من مستويات دراسية مختلفة حيث بلغ عدد العاملين في مستوى شهادة الإعدادية ٣٠ عامل بنسبة ١٣,٨% من مجموع عينة البحث، اما العاملين الحاصلين على شهادة الدبلوم بلغ عددهم ٥٠ عامل بنسبة ٢٢,٩% من مجموع عينة البحث، والعاملين الحاصلين على شهادة البكالوريوس بلغ عددهم ٩٠ عامل بنسبة ٤١,٣% من مجموع عينة البحث، أما الشهادات العليا فقد بلغ عددهم ٤٨ بنسبة ٢٢% من مجموع عينة البحث تضمنت شهادات الماجستير والدكتوراه. مما يفسر أن الحاصلين على شهادة البكالوريوس هم النسبة الأكثر من مجموع عينة البحث.

جدول (٥): سنوات الخدمة

النسبة %	التكرار	الفئة
١٦,٥	٣٦	أقل من ٥ سنوات
٣٢,١	٧٠	٥-٩ سنوات
٢٨,٤	٦٢	١٠-١٤ سنة
٢٢,٩	٥٠	أكثر من ١٥ سنة

المصدر: اعداد الباحث بالاعتماد على نتائج برنامج Spss.24

وكانت سنوات الخدمة لعاملين مجتمع عينة البحث أقل من ٥ سنوات بواقع ٣٩ عامل بنسبة ١٦,٥% من مجموع عينة البحث، ومن ٥-٩ سنوات كان عدد العاملين ٧٠ عامل بنسبة ٣٢,١% من مجموع عينة البحث، أما من كانت لديهم خدمة من ١٠-١٤ سنة كان عددهم ٦٢ عامل بنسبة ٢٨,٤% من مجموع عينة البحث، وبواقع ٥٠ عامل بنسبة ٢٢,٩% من مجموع عينة البحث مما تزيد خدمتهم أكثر من ١٥ سنة، مما يفسر أن أعلى نسبة لمجتمع عينة البحث بلغت ٣٢,١% لمن كانت خدمتهم من ٥-٩ سنوات.

٢. مقياس الصدق والثبات (الفاكرو نباخ):

يُعد فحص ثبات المقياس خطوة أساسية للتأكد من دقة وموثوقية أدوات البحث، حيث يساعد في قياس درجة الاتساق الداخلي بين فقرات الاستبانة، وتوجد عدة أساليب للتحقق من الثبات، من أبرزها أسلوب التجزئة النصفية ومعامل ألفا كرونباخ. وقد اعتمد هذا البحث على معامل ألفا كرونباخ لكونه الأكثر شيوعاً في الدراسات الاجتماعية والسلوكية، إذ تتراوح قيمته بين (٠ - ١) وتشير القيم المنخفضة

إلى ضعف الاتساق الداخلي، بينما تعكس القيم المرتفعة مستوى عالياً من الثبات ويتم تطبيق معامل ألفا كرو نباخ على فقرات محاور البحث دون إدخال الأسئلة الديموغرافية ضمن التحليل، لأنها لا ترتبط بشكل مباشر بالمتغيرات الأساسية، وقد أظهرت النتائج أن معامل الثبات الكلي لمتغير الثقافة التنظيمية (0.80) وهي قيمة عالية جداً تؤكد قوة الاتساق الداخلي لمقياس البحث، ولمتغير بيئة العمل (0.78) وهي قيمة عالية مما يؤكد على ثبات وصدق الأداة وبين الجدول التالي قيم ألفا كرو نباخ لكل محور من محاور البحث:

جدول (٦): قيم معامل ألفا كرو نباخ (نتائج تحليل الثبات وصدق المحك لمتغيرات البحث)

تفسير الثبات	Cronbach 's Alpha (الثبات)	البعد الفرعي	Cronbach 's Alpha (الثبات)	متغيرات البحث
عالي	0.82	المشاركة	0.80	الثقافة التنظيمية
جيد	0.79	الاتساق		
عالي	0.81	التكيف		
مقبول	0.77	المهمة		
جيد	0.75	المادي	0.78	بيئة العمل
عالي	0.81	النفسي		
جيد	0.79	الاجتماعي		
عالي	0.83	الاداري		
جيد	0.77	التكنولوجي		
جيد	0.76	الثقافي		
مقبول	0.72	البيئي الخارجي		

المصدر: اعداد الباحث بالاعتماد على نتائج برنامج Spss.24

٣. الوصف الاحصائي لأبعاد الثقافة التنظيمية:

وقد تضمن المتوسط الحسابي والانحراف المعياري والأهمية النسبية للمتغير المستقل الثقافة التنظيمية.

جدول (٧): الأوساط الحسابية والانحرافات المعيارية والأهمية النسبية لكل بعد من أبعاد الثقافة

التنظيمية:

الأهمية النسبية	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	البعد
الثاني	0.82	3.97	المشاركة
الأول	0.79	3.98	الاتساق
الرابع	0.81	3.95	التكيف
الثالث	0.77	3.96	المهمة

المصدر: اعداد الباحث بالاعتماد على نتائج برنامج Spss.24

يبين الجدول (٧) نتائج التحليل الإحصائي لأبعاد الثقافة التنظيمية أن جميع الأبعاد جاءت بمستويات مرتفعة، الأمر الذي يعكس إدراكاً إيجابياً لدى العاملين تجاه ثقافة المنظمة، فقد بلغ المتوسط الحسابي لُبعد المشاركة (3.97)، وهو ما يشير إلى شعور مرتفع لدى الموظفين بإمكانية المساهمة في الآراء والقرارات المتعلقة بالعمل، كما بلغ الانحراف المعياري (٠,٨٢)، موضحاً وجود تباين بسيط وطبيعي بين الأفراد في مدى إحساسهم بالمشاركة، لكنه لا يقلل من اتفاق غالبية العاملين على توفر هذا الجانب، أما من حيث الأهمية النسبية فقد جاء هذا البعد في المركز الثاني، وهو ما يعني أن الموظفين ينظرون إلى المشاركة بوصفها عنصراً مهماً جداً في دعم ثقافة المنظمة، لكن أهميته تبقى أقل تأثيراً نسبياً من بُعد الاتساق الذي احتل المرتبة الأولى.

أما بُعد الاتساق فقد سجل أعلى متوسط حسابي بين الأبعاد بقيمة (٣,٩٨)، مما يدل على وجود مستوى كبير من الانسجام الداخلي في السياسات والإجراءات وطريقة العمل داخل المنظمة، وجاء الانحراف المعياري له (٠,٧٩) ليعكس تقارباً واضحاً في آراء الموظفين حول اتساق الممارسات التنظيمية، بما يشير إلى إدراك شبه مشترك تجاه هذا البعد، واحتل هذا البعد المركز الأول من حيث الأهمية النسبية، وهو ما يعني أنه يمثل أكثر عناصر الثقافة التنظيمية تأثيراً من وجهة نظر العاملين، ويُنظر إليه بوصفه الركيزة الأقوى في تعزيز بيئة تنظيمية مستقرة ومتجانسة.

وفيما يتعلق بُبعد التكيف، فقد جاء رابعاً من حيث الأهمية النسبية وبلغ متوسطه الحسابي (٣,٩٥)، وهو ما يعبر عن قدرة جيدة للمنظمة على الاستجابة للتغيرات وتبني أساليب مرنة في إنجاز العمل، أما الانحراف المعياري (٠,٨١) فيظهر وجود اختلافات خفيفة بين الموظفين في تقييم درجة التكيف، لكنها لا تؤثر في الاتجاه العام الذي يشير إلى توفره بدرجة واضحة، وبالنسبة إلى الأهمية النسبية فقد جاء هذا البعد في المرتبة الأخيرة (الرابعة)، ما يدل على أنه رغم توفره بمستوى جيد، إلا أن العاملين لا يعدونه الأكثر تأثيراً مقارنة ببقية الأبعاد، ويحتاج إلى مزيد من التعزيز لرفع وزنه النسبي داخل الثقافة التنظيمية.

أما بُعد المهمة فقد احتل المركز الثالث من حيث الأهمية النسبية وحقق متوسطاً حسابياً مقداره (٣,٩٣)، ما يدل على فهم جيد لدى العاملين لأهداف المنظمة ورسالتها وتوجهاتها العامة، كما أن الانحراف المعياري البالغ (٠,٧٧) يعكس تقارباً كبيراً في إجابات المشاركين، مما يشير إلى أن أغلبهم يشتركون في تصور متشابه حول وضوح المهمة داخل المنظمة، أما الأهمية النسبية لهذا البعد فجاءت في المرتبة الثالثة، وهو ما يعني أنه يمثل جانباً مهماً من الثقافة التنظيمية، لكن تأثيره يأتي بعد الاتساق والمشاركة، مما يعكس تركيز العاملين على وضوح التوجّه الاستراتيجي بدرجة جيدة ولكن ليست الأعلى بين الأبعاد.

وبشكل عام، تُظهر هذه النتائج أن العاملين يدركون ثقافة تنظيمية يسودها الانسجام والمشاركة والمرونة ووضوح التوجه، مع تشتت منخفض نسبياً في آرائهم، ما يعزز موثوقية المتوسطات ويؤكد قوة الثقافة التنظيمية في المنظمة.

٤. الوصف الإحصائي لأبعاد تحسين بيئة العمل:

وقد تضمن المتوسط الحسابي والانحراف المعياري والأهمية النسبية للمتغير التابع بيئة العمل: جدول (٨): الأوساط الحسابية والانحرافات المعيارية والأهمية النسبية لكل بعد من أبعاد بيئة العمل

الأهمية النسبية	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	البعد
السادس	٠,٧٥	٣,٩٢	المادي
الثاني	٠,٨١	٤,٠٥	النفسي
الثالث	٠,٧٩	٣,٩٩	الاجتماعي
الاول	٠,٨٣	٤,١٠	الاداري
السابع	٠,٧٧	٣,٩٠	التكنولوجي
الخامس	٠,٨٠	٣,٩٥	الثقافي
الرابع	٠,٧٢	٣,٩٨	البيئي الخارجي

المصدر: اعداد الباحث بالاعتماد على نتائج برنامج Spss.24

تشير نتائج الجدول (٨) إلى أن أبعاد بيئة العمل جاءت بتقييمات مرتفعة نسبياً، وهو ما يعكس نظرة إيجابية من العاملين تجاه البيئة التي يعملون فيها. فقد جاء بُعد البيئة المادية بمتوسط حسابي (٣,٩٢) وانحراف معياري (٠,٧٥)، ما يشير إلى رضا جيد عن التجهيزات والبنية المادية المتوفرة، مع اختلاف محدود بين الموظفين في تقييم هذا البعد، ورغم إيجابية المتوسط، إلا أن هذا البعد احتل المرتبة السادسة في الأهمية النسبية، مما يشير إلى أن العاملين لا يعدونه من أكثر العوامل تأثيراً مقارنة بغيره.

أما بُعد البيئة النفسية فقد سجل متوسطاً مرتفعاً بلغ (٤,٠٥) وانحرافاً معيارياً (٠,٨١)، وهو ما يعكس شعوراً عاماً بالأمان والدعم النفسي داخل بيئة العمل، مع وجود تباين بسيط في آراء العاملين حول مستوى هذا الدعم، وقد جاء هذا البعد في المرتبة الثانية من حيث الأهمية النسبية، مما يؤكد مكانته المركزية في تعزيز جودة بيئة العمل.

وبلغ متوسط البيئة الاجتماعية (3.99) بانحراف معياري (٠,٧٩)، وهو ما يدل على علاقات إيجابية وتعاون بين العاملين، مع وجود اختلافات طفيفة في تقييم هذا الجانب، لكنه احتل المرتبة الثالثة في الأهمية النسبية، مما يظهر أهميته كعامل مؤثر في جودة التجربة اليومية للموظفين.

وجاء بُعد البيئة الإدارية في صدارة الأبعاد بمتوسط (٤,١٠) وانحراف (٠,٨٣)، وهو ما يعكس رضا كبيراً عن أساليب الإدارة ووضوح الإجراءات والتنظيم الإداري، ورغم وجود تباين نسبي بين العاملين في تقييم هذا البعد - وهو أمر متوقع نظراً لاختلاف التجارب الفردية - إلا أن احتلاله المرتبة الأولى يؤكد أهميته المحورية في تشكيل بيئة العمل.

أما بُعد البيئة التكنولوجية فقد سجل متوسطاً (٣,٩٠) وانحرافاً معيارياً (٠,٧٧)، وهو ما يشير إلى توفر مقبول للأدوات التقنية، مع تباين بسيط بين الموظفين في تقييم جودة التقنيات، وقد جاء هذا البعد في المرتبة السابعة، مما قد يشير إلى أن العاملين يرونه أقل تأثيراً أو أن هناك حاجة لتعزيز الجانب التقني داخل المنظمة.

وسجل بُعد البيئة الثقافية متوسطاً مقداره (٣,٩٥) بانحراف (٠,٨٠)، ما يعكس إدراكاً إيجابياً للتقييم والممارسات الثقافية في المنظمة، مع تشتت بسيط في الآراء. وقد جاء هذا البعد في المرتبة الخامسة، مما يشير إلى أنه حاضر بشكل جيد لكنه لا يُعد الأعلى أهمية من وجهة نظر العاملين.

أما البيئة الخارجية فقد سجلت متوسطاً (٣,٩٨) بانحراف منخفض نسبياً (٠,٧٢)، وهو ما يدل على اتفاق كبير بين العاملين حول تأثير العوامل الخارجية - مثل السياسات الحكومية والظروف الاقتصادية - على العمل، وقد احتل هذا البعد المرتبة الرابعة من حيث الأهمية النسبية، مما يعكس إدراك العاملين لأثر البيئة المحيطة بالمنظمة على أدائها الداخلي.

ثانياً: فرضيات البحث:

من أجل إثبات صحة علاقة الارتباط والتأثير بين الثقافة التنظيمية وتحسين بيئة العمل، هناك فرضية رئيسية واحدة وأربع فرضيات فرعية وكما يلي:

١. **الفرضية الرئيسية الأولى:** توجد علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية بين الثقافة التنظيمية وتحسين بيئة العمل لدى العاملين في مديرية بلدية محافظة كربلاء المقدسة. ومن هذه الفرضية تتفرع الفرضيات الفرعية:

- (١) توجد علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية بين بُعد المشاركة وتحسين بيئة العمل.
- (٢) توجد علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية بين بُعد الاتساق وتحسين بيئة العمل.
- (٣) توجد علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية بين بُعد التكيف وتحسين بيئة العمل.
- (٤) توجد علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية بين بُعد المهمة وتحسين بيئة العمل.

٢. **الفرضية الرئيسية الثانية:** هناك علاقة تأثير ذات دلالة إحصائية للثقافة التنظيمية في تحسين بيئة العمل لدى العاملين في مديرية بلدية محافظة كربلاء المقدسة. ومن هذه الفرضية تتفرع الفرضيات الفرعية التالية:

- ١) هناك علاقة تأثير ذات دلالة إحصائية لمستوى المشاركة في تحسين بيئة العمل.
 - ٢) هناك علاقة تأثير ذات دلالة إحصائية لمستوى الاتساق في تحسين بيئة العمل.
 - ٣) هناك علاقة تأثير ذات دلالة إحصائية لمستوى التكيف في تحسين بيئة العمل.
 - ٤) هناك علاقة تأثير ذات دلالة إحصائية لمستوى المهمة في تحسين بيئة العمل.
- ومن أجل إثبات صحة الفرضية الرئيسية الأولى أو نفيها سيتم اختبار الفرضيتين الأتيتين:
- فرضية العدم H_0 : لا توجد علاقة ارتباط ذات دلالة معنوية بين الثقافة التنظيمية وبيئة العمل.
 - الفرضية البديلة: H_1 توجد علاقة ارتباط ذات دلالة معنوية بين الثقافة التنظيمية وبيئة العمل.

جدول (٩): علاقة الارتباط بين الثقافة التنظيمية وبيئة العمل

العلاقة	معامل الارتباط (r)	n	sig
الثقافة التنظيمية - بيئة العمل	٠,٧٢	218	٠,٠٠٠

المصدر: اعداد الباحث بالاعتماد على نتائج برنامج Sps.24

تشير نتائج الجدول (٩) أن قيمة معامل الارتباط ($r=0.72$) عند مستوى الدلالة (0.000) التي تؤكد دلالة هذا الارتباط إحصائياً وتعكس وجود انسجام واضح بين إدراك العاملين لثقافة المنظمة وشعورهم بجودة بيئة العمل، وهو ارتباط يُعدّ قوياً نسبياً في الدراسات السلوكية، ويؤكد كلما ارتفعت مستويات الثقافة التنظيمية تحسنت بيئة العمل في مديرية بلدية محافظة كربلاء المقدسة بصورة ملحوظة، مما يؤكد صحة الفرضية البديلة H_1 ، ومن الفرضية الرئيسية تتفرع الفرضيات الفرعية الآتية لأبعاد الثقافة التنظيمية:

١) توجد علاقة ارتباط ذات دلالة معنوية بين بُعد المشاركة وبيئة العمل.

من أجل إثبات أو نفي هذه الفرضية سيتم اختبار الفرضيتين الأتيتين:

- فرضية العدم H_0 : لا توجد علاقة ارتباط بين بُعد المشاركة وبيئة العمل.
- الفرضية البديلة H_1 : توجد علاقة ارتباط بين بُعد المشاركة وبيئة العمل.

جدول (١٠): معامل الارتباط بين بُعد المشاركة وبيئة العمل

العلاقة	معامل الارتباط (r)	n	sig
بعد المشاركة-بيئة العمل	0.66	218	٠,٠٠٠

المصدر: اعداد الباحث بالاعتماد على نتائج برنامج Sps.24

تشير نتائج الجدول (١٠) وجود علاقة ارتباط إيجابية قوية نسبياً فقد بلغ معامل الارتباط ($r=0.66$) ذات دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٠٠)، تشير إلى أن مشاركة العاملين تؤثر بشكل واضح في تحسين البيئة المادية، النفسية والاجتماعية في مجتمع عينة البحث، مما يؤكد صحة الفرضية البديلة H_1 .

٢) توجد علاقة ارتباط ذات دلالة معنوية بين بُعد الاتساق وبيئة العمل.

من أجل أدبات أو نفي هذه الفرضية سيتم اختبار الفرضيتين الأتيتين:

- فرضية العدم H_0 : لا توجد علاقة ارتباط بين بُعد الاتساق وبيئة العمل.
- الفرضية البديلة H_1 : توجد علاقة ارتباط بين بُعد الاتساق وبيئة العمل.

جدول (١١): معامل الارتباط بين بُعد الاتساق وبيئة العمل

العلاقة	معامل الارتباط (r)	n	sig
بُعد الاتساق-بيئة العمل	٧٠	٢١٨	٠,٠٠٠

المصدر: اعداد الباحث بالاعتماد على نتائج برنامج Spss.24

تشير نتائج الجدول (١١) وجود علاقة ارتباط إيجابية قوية نسبياً فقد بلغ معامل الارتباط ($r=0.70$) ذات دلالة إحصائية عند مستوى معنوية (٠,٠٠٠)، تدل على أن الانسجام الداخلي والسياسات الواضحة يعد العامل الأكثر تأثيراً في تحسين بيئة العمل في مجتمع عينة البحث، مما يؤكد صحة الفرضية البديلة H_1 .

٣) توجد علاقة ارتباط ذات دلالة معنوية بين بُعد التكيف وبيئة العمل.

من أجل أدبات أو نفي هذه الفرضية سيتم اختبار الفرضيتين الأتيتين:

- فرضية العدم H_0 : لا توجد علاقة بين مستوى التكيف وبيئة العمل.
- الفرضية البديلة H_1 : توجد علاقة بين مستوى التكيف وبيئة العمل.

جدول (١٢): معامل الارتباط بين بُعد التكيف وبيئة العمل

العلاقة	معامل الارتباط (r)	n	sig
بُعد التكيف-بيئة العمل	٦٥	218	٠,٠٠٠

المصدر: اعداد الباحث بالاعتماد على نتائج برنامج Spss.24

تشير نتائج الجدول (١٢) معامل الارتباط ($r=0.65$) عند مستوى معنوية (٠,٠٠٠) علاقة إيجابية متوسطة، تفسر قدرة المنظمة على التكيف مع التغييرات التي تساهم في تحسين البيئة، لكنها أقل تأثيراً مقارنة بالمشاركة والاتساق في مجتمع عينة البحث، مما يدل صحة الفرضية البديلة H_1 .

٤) توجد علاقة ارتباط ذات دلالة معنوية بين بُعد المهمة وبيئة العمل.

من أجل أدبات أو نفي هذه الفرضية الفرعية سيتم اختبار الفرضيتين الأتيتين:

- فرضية العدم H_0 : لا توجد علاقة بين بُعد المهمة وبيئة العمل.
- الفرضية البديلة H_1 : توجد علاقة بين بُعد المهمة وبيئة العمل.

جدول (١٣) معامل الارتباط بين بُعد المهمة وبيئة العمل

العلاقة	معامل الارتباط (r)	n	sig
بُعد المهمة-بيئة العمل	٦٣	٢١٨	٠,٠٠٠

المصدر: اعداد الباحث بالاعتماد على نتائج برنامج Spss.24

نلاحظ من نتائج الجدول (١٣) وجود علاقة إيجابية متوسطة الى قوية فقد بلغ معامل الارتباط

$$(r=0.63)$$

عند مستوى معنوية (٠,٠٠٠) تعكس أهمية وضوح الرسالة والأهداف التنظيمية في تعزيز بيئة العمل

لمجتمع عينة البحث، مما يدل صحة الفرضية البديلة H1.

أما الفرضية الرئيسية الثانية: هناك علاقة تأثير ذات دلالة إحصائية للثقافة التنظيمية في تحسين بيئة

العمل لدى العاملين في مديرية بلدية محافظة كربلاء المقدسة.

من أجل إثبات صحة الفرضية الرئيسية الثانية من نفيها سيتم اختبار الفرضيتين الأتيتين:

- فرضية العدم H0: لا توجد علاقة تأثير ذات دلالة معنوية للثقافة التنظيمية في تحسين بيئة العمل.
- الفرضية البديلة H1: توجد علاقة تأثير ذات دلالة معنوية للثقافة التنظيمية في تحسين بيئة العمل.

جدول (١٤): نتائج الانحدار الخطي المتعدد لأبعاد الثقافة التنظيمية في تحسين بيئة العمل

β	R^2	F tabular	F calculate	الثقافة التنظيمية
0.721	٠,٥٢٠	3.89	234.00	بيئة العمل

المصدر: اعداد الباحث بالاعتماد على نتائج برنامج Spss.24

يشير الجدول (١٤) أظهرت نتائج الانحدار البسيط دلالة إحصائية عالية للعلاقة بين الثقافة التنظيمية

وبيئة العمل الذي يبين قيمة معامل التحديد ($R^2 = 0.520$) أي أن الثقافة التنظيمية تُفسّر %52 من

التغيرات الحاصلة في بيئة العمل، وهي نسبة تفسير قوية في الدراسات الإدارية والسلوكية.

كما بلغت قيمة معامل الانحدار المعياري ($\beta = 0.721$) وبلغت قيمة F المحسوبة ($F = 234.00$)،

وهي أكبر بكثير من قيمة F الجدولية عند مستوى ٠,٠٥ وبالغة (٣,٨٩)، مما يشير إلى دلالة إحصائية

قوية للنموذج. ($p < 0.001$) مما يدل على صحة الفرضية البديلة H1.

ومن الفرضية الرئيسية الثانية تتفرع الفرضيات الفرعية الأتية لأبعاد الثقافة التنظيمية:

(١) توجد علاقة تأثير ذات دلالة معنوية لمستوى المشاركة في تحسين بيئة العمل.

ولغرض إثبات صحة الفرضية الفرعية الأولى من نفيها سيتم اختبار الفرضيتين الأتيتين:

- فرضية العدم H_0 : لا توجد علاقة تأثير ذات دلالة معنوية لمستوى المشاركة في تحسين بيئة العمل.

- الفرضية البديلة H_1 : توجد علاقة تأثير ذات دلالة معنوية لمستوى المشاركة في تحسين بيئة العمل.

جدول (١٥): نتائج تحليل الانحدار لمستوى المشاركة في تحسين بيئة العمل ($N = 218$)

المشاركة	β	t	Sig مستوى المعنوية
بيئة العمل	0.622	11.68	٠,٠٠٠

المصدر: اعداد الباحث بالاعتماد على نتائج برنامج Spss.24

أظهرت النتائج في الجدول (١٥) أنّ بعد المشاركة يمتلك تأثيراً قوياً ودالاً معنوياً في تحسين بيئة العمل، فكل زيادة مقدارها وحدة واحدة في المشاركة تؤدي إلى تحسن بيئة العمل بمقدار (٠,٦٢٢) وحدة تقريباً، وتعد هذه النتيجة دلالة على أهمية إشراك العاملين وتمكينهم من اتخاذ القرار واعتبار آرائهم جزءاً من النظام الإداري. وبذلك تُرفض الفرضية الصفرية وتُقبل الفرضية البديلة H_1 .

(٢) توجد علاقة تأثير ذات دلالة معنوية لمستوى الاتساق في تحسين بيئة العمل.

ولغرض إثبات صحة الفرضية الفرعية الأولى من نفيها سيتم اختبار الفرضيتين الأتيتين:

- فرضية العدم H_0 : لا توجد علاقة تأثير ذات دلالة معنوية لمستوى الاتساق في تحسين بيئة العمل.

- الفرضية البديلة H_1 : توجد علاقة تأثير ذات دلالة معنوية لمستوى الاتساق في تحسين بيئة العمل.

جدول (١٦): نتائج تحليل الانحدار لمستوى الاتساق في تحسين بيئة العمل ($N = 218$)

الاتساق	β	t	Sig مستوى المعنوية
بيئة العمل	0.657	12.24	٠,٠٠٠

المصدر: اعداد الباحث بالاعتماد على نتائج برنامج Spss.24

تُظهر نتائج جدول (١٦) الى تحقيق مستوى الاتساق تأثيراً قوياً ودلالة إحصائية واضحة، كل زيادة في الاتساق التنظيمي تنعكس تأثيراً موجباً على بيئة العمل، فكل زيادة مقدارها وحدة واحدة في الاتساق تؤدي إلى تحسن بيئة العمل بمقدار (٠,٦٥٧) وحدة تقريباً مما يؤكد أهمية وضوح الأنظمة وتماسك الإجراءات داخل المنظمة. وبالتالي تُرفض الفرضية الصفرية وتُقبل الفرضية البديلة H_1 .

(٣) توجد علاقة تأثير ذات دلالة معنوية لمستوى التكيف في تحسين بيئة العمل.

ولغرض إثبات صحة الفرضية الفرعية الأولى من نفيها سيتم اختبار الفرضيتين الأتيتين:

- فرضية عدم H_0 : لا توجد علاقة تأثير ذات دلالة معنوية لمستوى التكيف في بيئة العمل.
 - الفرضية البديلة H_1 : توجد علاقة تأثير ذات دلالة معنوية لمستوى التكيف في بيئة العمل.
- جدول (17): نتائج تحليل الانحدار لمستوى التكيف في تحسين بيئة العمل ($N = 218$)

التكيف	β	t	Sig مستوى المعنوية
بيئة العمل	0.639	11,90	0,000

المصدر: اعداد الباحث بالاعتماد على نتائج برنامج Spss.24

بين جدول (17) أن مستوى التكيف يحقق تأثيراً دالاً معنوياً على بيئة العمل، مما يعني أن قدرة المنظمة على الاستجابة للتغيرات وتحسين أساليب العمل يسهم تأثيراً مباشراً في تعزيز بيئة العمل. فكل زيادة مقدارها وحدة واحدة في التكيف تؤدي إلى تحسن بيئة العمل بمقدار (0,639) وحدة تقريباً فإن الفرضية الصفرية تُرفض وتُقبل الفرضية البديلة H_1 .

٤) توجد علاقة تأثير ذات دلالة معنوية لمستوى المهمة في تحسين بيئة العمل.

ولغرض إثبات صحة الفرضية الفرعية الأولى من نفيها سيتم اختبار الفرضيتين الأتيتين:

- فرضية عدم H_0 : لا توجد علاقة تأثير ذات دلالة معنوية لمستوى المهمة في بيئة العمل.
 - الفرضية البديلة H_1 : توجد علاقة تأثير ذات دلالة معنوية لمستوى المهمة في بيئة العمل.
- جدول (18): نتائج تحليل الانحدار لمستوى المهمة على تحسين بيئة العمل ($N = 218$)

المهمة	β	t	Sig مستوى المعنوية
بيئة العمل	0,587	11,31	0,000

المصدر: اعداد الباحث بالاعتماد على نتائج برنامج Spss.24

تشير النتائج جدول (18) إلى أن وضوح المهمة يؤثر بشكل إيجابي في تحسين بيئة العمل، وهو تأثير متوسط القوة، كما يدل على دلالة إحصائية عالية، يحقق تأثيراً دالاً معنوياً في تحسين بيئة العمل. فكلما كانت أهداف المنظمة واضحة ومفهومة، انعكس ذلك تحسناً على مستوى التنظيم والأداء وسهولة العمل لدى العاملون. وعلى هذا الأساس تُرفض الفرضية الصفرية وتُقبل الفرضية البديلة H_1 .

ومن أعلاه يتضح: جميع الأبعاد الأربعة للثقافة التنظيمية (المشاركة، الاتساق، التكيف، وضوح المهمة)

أظهرت تأثيراً إيجابياً ودالاً إحصائياً على بيئة العمل. أقوى الأبعاد تأثيراً كان:

- بُعد الاتساق ($\beta = 0.657$).
- يليه بُعد التكيف ($\beta = 0.639$).
- ثم بُعد المشاركة ($\beta = 0.622$).
- أخير بُعد المهمة ($\beta = 0,587$).

هذه النتائج تؤكد أن الاستثمار في تعزيز هذه الأبعاد داخل المنظمة يؤدي إلى تحسين ملموس في بيئة العمل، سواءً على المستوى النفسي أو المادي أو الإداري.

● الاستنتاجات والتوصيات

● أولاً: الاستنتاجات:

١. الثقافة التنظيمية هي منظومة متكاملة من القيم والمعتقدات والتوجهات والسلوكيات المشتركة التي تنمو مع الزمن داخل المنظمة.

٢. بيئة العمل هي المكان والظروف التي يعمل فيها الموظف داخل المنظمة فهي عبارة عن خليط من العوامل التنظيمية والاجتماعية والمادية تؤثر بشكل كبير على أداء الموظف سواء الأداء الوظيفي أو الأداء السلوكي.

٣. حل مشكلة البحث من خلال الإجابة عن السؤال الأصلي هل تلعب الثقافة التنظيمية الموجودة حالياً داخل مديرية بلدية محافظة كربلاء المقدسة دوراً فعالاً في تحسين بيئة العمل أم أن هناك فجوة تحتاج إلى معالجة؟ حيث بين البحث أن الثقافة التنظيمية تؤثر إيجابياً على بيئة العمل فقد أظهرت النتائج أن الثقافة التنظيمية كمتغير مستقل لها تأثير واضح وذو دلالة معنوية على تحسين بيئة العمل، حيث أظهرت التحليلات الإحصائية أن معامل الارتباط الكلي ($r = 0.80$)، وتشير هذه القيمة الى علاقة ارتباط طردية قوية أي توجد علاقة ارتباط ذات دلالة معنوية بين الثقافة التنظيمية وبيئة العمل ويفسر مدى أدراك عينة البحث بالثقافة التنظيمية وارتباطها ببيئة العمل في مديرية بلدية محافظة كربلاء أي أن زيادة الاهتمام بالثقافة التنظيمية تعزز من تحسين بيئة العمل .

٤. جميع الأبعاد الأربعة للثقافة التنظيمية أظهرت ارتباطاً إيجابياً قوياً وتأثيراً معنوياً على بيئة العمل حيث أظهرت نتائج الانحدار أن ($R^2 = 0.520$) أي أن الثقافة التنظيمية تفسر حوالي ٥٢% من التغيرات في بيئة العمل، بينما تعزى النسبة المتبقية إلى عوامل أخرى خارج نموذج البحث.

٥. من خلال أبعاد الثقافة التنظيمية يمكن خلق بيئة عمل صحية تساهم في تعزيز إنتاجية العمل والأداء الوظيفي.

● ثانياً: التوصيات:

١. تعزيز ثقافة المشاركة بين العاملين: تشجيع العاملون على المساهمة في اتخاذ القرار والتعبير عن آرائهم ضمن نطاق عملهم، لما لذلك من أثر كبير في تحسين بيئة العمل في مديرية بلدية محافظة كربلاء المقدسة ورفع مستوى الإنتاجية.

٢. تعزيز الاتساق الداخلي: التركيز على توحيد السياسات والإجراءات الإدارية وتوضيح القيم والثوابت التنظيمية، لضمان توافق الأفراد مع أهداف المنظمة وتحقيق بيئة عمل مستقرة.
٣. تطوير قدرة المنظمة على التكيف: تشجيع المرونة في التعامل مع التغيرات وتقديم برامج تدريبية لتعزيز مهارات التكيف، بما يساعد العاملين على مواجهة التحديات وتحسين الأداء.
٤. وضوح المهام والمسؤوليات: العمل على توضيح دور كل موظف ومهامه الأساسية، لتقليل الارتباك وتعزيز الفعالية في العمل الجماعي والفردى، في مديرية بلدية محافظة كربلاء المقدسة.
٥. المراقبة المستمرة والتحسين الدوري: إنشاء آليات دورية لتقييم الثقافة التنظيمية وبيئة العمل، بما يساعد على تحديد نقاط القوة والضعف والعمل على تطويرها بشكل مستمر.
٦. تشجيع بيئة عمل داعمة للابتكار والإبداع: خلق ثقافة تنظيمية تحفز العاملين على الابتكار والتجريب مع تقبل الأخطاء كفرصة للتعلم، مما يؤدي إلى بيئة عمل أكثر ديناميكية وإنتاجية.

قائمة المصادر والمراجع

• أولاً: المصادر العربية:

١. الخالدي، سيف، (٢٠٢٠)، إدارة الموارد البشرية وأثرها في تعزيز بيئة العمل، عمان، دار المناهج.
٢. الخطيب، خالد، (2021)، إدارة الموارد البشرية، عمان، دار اليازوري.
٣. بلال خلف السكارنه، (٢٠٠٩)، التطوير التنظيمي والإداري، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، ط ١.
٤. جهيد صيدون، يوسف الأقرع، (٢٠٢٥)، أثر الثقافة التنظيمية على الأداء الوظيفي في الإدارات العمومية، مجلة قيس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلد ٩، ال عدد ١٠١.
٥. عبد الغني، محمد، (2020)، السلوك التنظيمي، معاصر، عمان، دار المسيرة.
٦. عبد الله، سليم. (2022). إدارة بيئة العمل وتحسين الأداء. الرياض: جامعة الملك سعود للنشر.
٧. محمد الفاتح، محمود بشير المغربي، (٢٠١٦)، السلوك التنظيمي، دار الجنان للنشر والتوزيع، عمان، ط 1.
٨. مصطفى محمود أبو بكر، (٢٠٠٦)، الموارد البشرية مدخل لتحقيق الميزة التنافسية، الدار الجامعية، الإسكندرية.
٩. مهديد فاطمة الزهراء، (2019)، الثقافة التنظيمية وعملية صنع القرار بمنظمات الأعمال، زمزم ناشرون، عمان، ط 1.

• ثانياً: المصادر الأجنبية:

1. Adler, N. J. (2020). Global Business Culture. IMD.
2. Alghamdi, F. (2018). The impact of organizational culture on employee engagement. International Journal of Business and Social Science, 9(6), 61–69.
3. Al-Haddad, S., & Kotnour, T. (2020). Integrating the organizational change literature: a model for successful change. Journal of Organizational Change Management, 33(2), 1–15.
4. Alvesson, M. (2012). Understanding Organizational Culture (2nd ed.). SAGE Publications.
5. Bernardin, H. J. (2013). Human Resource Management: An Experiential Approach (6th ed.). McGraw-Hill Education.

6. Cameron, K. S., & Quinn, R. E. (2011). *Diagnosing and Changing Organizational Culture: Based on the Competing Values Framework* (3rd ed.). Jossey-Bass.
7. Chang, C. M., & Lin, T. C. (2021). The effect of organizational culture on knowledge sharing and innovation. *Journal of Business Research*, 130, 229–239.
8. Christensen, K., & Levinson, D. (2001). Organizational Culture. In *Encyclopedia of Community: From the Village to the Virtual World*.
9. Denison, D. R. (1990). *Corporate Culture and Organizational Effectiveness*. John Wiley & Sons.
10. Goleman, D. (2006). *Social Intelligence: The New Science of Human Relationships*. Bantam Books.
11. Griffin, R. W., & Moorhead, G. (2022). *Organizational Behavior: Managing People and Organizations* (13th ed.). Cengage Learning.
12. Hatch, M. J. (1993). The Dynamics of Organizational Culture. *Management Review*, 18(4).
13. Jex, S. M., & Britt, T. W. (2014). *Organizational Psychology: A Scientist–Practitioner Approach*. Wiley.
14. Kotter, J. P., & Heskett, J. L. (2011). *Corporate Culture and Performance*. Free Press.
15. Krause, D. (2017). Vision and mission in organizations: Impact on employee commitment. *Management Research Review*, 40(3), 298–310.
16. Lee, J., & Kim, S. (2020). Organizational culture and employee performance: The mediating role of trust. *European Journal of Management Studies*, 25(1), 45–62.
17. Martinez-Costa, M., Jiménez-Jiménez, D., & Rabeh, H. (2019). The effect of organizational culture on performance in SMEs. *Journal of Small Business Management*, 57(1), 110–129.
18. Parker, J. J. (2000). *Organizational Culture: Integrative Perspectives*. Sage Publications.
19. Perrin, B. (2020). *IMD World Competitiveness Yearbook*.

20. Robbins, S. P., & Judge, T. A. (2019). *Organizational Behavior* (18th ed.). Pearson.
21. Robbins, S. P., & Judge, T. A. (2023). *Organizational Behavior* (19th ed.). Pearson Education.
22. Schein, E. H. (1985). *Organizational Culture and Leadership*. Jossey-Bass.
23. Schein, E. H. (2010). *Organizational Culture and Leadership* (4th ed.). Jossey-Bass.
24. Schermerhorn, J. R., Hunt, J. G., & Osborn, R. N. (2021). *Organizational Behavior*. Wiley.
25. Sundstrom, E., Town, J. P., Rice, R. W., Osborn, D. P., & Brill, M. (1994). Office noise, satisfaction, and performance. *Environment and Behavior*, 26(2), 195–222.
26. Torres, A., & Augusto, M. (2022). Organizational adaptability and innovation: Evidence from dynamic environments. *Journal of Business Venturing Insights*, 18, 1–23.
27. Zafar, A., Butt, A., & Afzal, A. (2017). Organizational adaptability and change: A study of public sector organizations. *Public Organization Review*, 17(3), 417–432.

اللغة الشعرية في القصائد السبع العلويات لابن ابي الحديد ت (٦٥٦هـ)

The poetic language in the seven Alawite poems of Ibn Abi al-Hadid (d. 656 AH)

م.د. بشار لطيف جواد^(١)

Lect. Bashar Latif Jawad (PhD)

الملخص

تُشكل اللغة الشعرية البيئة الفاعلة والركيزة الاساس في إنشاء أي نص أدبي ومن دونها لا يُمكن أن تكون هناك وسيلة ناقلة للمُنجز الإبداعي، فهي الصورة الواضحة للتجربة الشعرية وما يأتي به الشعراء من نتاجات وبيان ما في النفوس من نزعات وخلجات، من ذلك تمّ اختيار اللغة الشعرية لتكون العنوان العام في دراسة القصائد السبع العلويات لابن أبي الحديد لشدة ما يُلمس من التوافق في لغة تلك القصائد وبين ما يمكن رصده من دراسة منهج اللغة الشعرية واليات العمل فيها.

لقد مثل شعر أهل البيت: وجهاً من وجوه التعبير عن المضامين الروحية والعقدية فناً وتجربة، إذ حفل الأدب العربي وبخاصة أدب العصر العباسي الثاني بكثير من النصوص الشعرية الخالدة ولشدة تعلقي بهذا التراث أخترت القصائد السبع العلويات بوصفها أشهر تراث الأدب العربي القديم ليكون محطّ الدراسة وبيان لغتها الشعرية محاولةً في الوصول إلى جوهر تلك اللغة والكشف عن دلالاتها وأبعادها الجمالية، فاللغة الشعرية هي معيارالتفاضل والتمايز بين الشعراء فضلاً عما لها من الأهمية في رسم الصورة الدقيقة للتجربة الشعرية وما لها من أبعاد وخصوصيات.

١- جامعة كربلاء/ كلية التربية للعلوم الانسانية

الكلمات المفتاحية: اللغة الشعرية، ابن أبي الحديد، السبع العلويات

Abstract

The poetry of the Ahl al-Bayt (peace be upon them) represents a form of expression for spiritual and doctrinal themes ‘both artistically and practically. Arabic literature ‘particularly that of the second Abbasid era ‘is replete with many timeless poetic texts. Due to my deep attachment to this heritage ‘I have chosen the Seven Alawite Odes ‘considered among the most famous works of classical Arabic literature ‘as the focus of this study. My aim is to analyze their poetic language ‘striving to reach its essence and uncover its aesthetic dimensions and nuances. Poetic language is the criterion for distinguishing and differentiating poets ‘in addition to its crucial role in accurately portraying the poetic experience and its various dimensions and characteristics

As for the methodology of the study ‘the research adhered to the aesthetic approach based on analyzing texts and demonstrating the impact of styles ‘and artistic structures

Keywords: Poetic language, Ibn Abi al-Hadid, The Seven Alawiyyat.

المقدمة

إن الادب وبخاصة الشعر هو من أهم الفنون التي تُفهم من خلاله قدرة الاديب الابداعية، وطبيعي أن يكون الاحتكام في مثل هكذا حال إلى لغة النص، فالنص هو المجال الحقيقي الذي تنعكس من خلاله الملامح اللغوية والاسلوبية للشاعر، من ذلك صار الاهتمام وبنوع من التركيز في دراسة اللغة الشعرية في قصائد ابن أبي الحديد لِمَا لها من الأهمية سواء من الناحية الدينية أم من الناحية الثقافية والتراثية فضلاً عنّا للغة الشعرية من أهمية في رصد وتتبع مواطن القوة والضعف في ما يرد فيها من تحليل للنصوص وبيان ما فيها من صور وملامح.

أما عن منهج الدراسة فقد ألتزم البحث المنهج التحليلي الفني القائم على تحليل النصوص وبيان أثر الأساليب والصور والتراكيب الفنية في ما جاء به ابن أبي الحديد من عرض لأحداث وسرد لوقائع، ولأجل أن يكون البحث أكثر تخصصاً وإلماماً بمادته جاء البحث بمبحثين يسبقهما تعريفاً بالشاعر ويتلوها خاتمة، أختص المبحث الاول بدراسة الألفاظ بما فيها من الجزالة والايحاء والترادف فضلاً عن إيراد المعجم اللفظي وما ورد من الفاظٍ للحرب والدين والحب وغيرها، بينما اختص المبحث الثاني بدراسة البناء التركيبي من جمل اسمية وفعلية وبيان الأساليب من استفهام ونداء وشرط وقسم فضلاً عن المقومات البنائية من تقديم وتأخير وفصل ووصل والتفات، أما في الخاتمة فقد عرضنا فيها أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

التعريف بالشاعر

هو عز الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن حسين بن أبي الحديد المدائني، ولد بالمدائن في العراق في اليوم الأول من ذي الحجة سنة (٥٨٦هـ) وكان شاعراً وكاتباً في ديوان الحاكم العباسي الأخير المستعصم بالله وقبله المستنصر بالله وهو من جهاذة العلماء وممن نَجْمُ أسمهم في العصر العباسي الثاني الذي هومن أزهى عصور الاسلامية إنتاجاً وتأليفاً وأحفلها بالكتاب والشعراء والمؤلفين، كان ابن أبي الحديد أصولياً فقيهاً ومُتكلماً جديلاً وأديباً ناقداً ثاقب النظر معتزلاً خبيراً بما حَسُن من الكلام وكان وراء ذلك كله شاعراً عذب المورد^(٢)، توفي في بغداد سنة (٦٥٦هـ) وله عدة مؤلفات.. ولكونه معتزلي العقيدة وشيعي الهوى ومحباً لأهل بيت رسول الله ﷺ كتب أشهر المصنفات وهو (شرح نهج البلاغة) في عدة مجلدات وقد احتوى هذا الشرح على ما لم يحتوي عليه كتاب من جنسه فضلاً عن تصنيفه الشهير لكتاب (الفلك الدائر على المثل السائر)، أما في الشعر فقد جاء بالقصائد المشهورة في حب الامام علي عليه السلام وهذا ما ستختص به الدراسة و ما سيرد في المبحثين:

المبحث الاول/ الالفاظ

الالفاظ هي شريكٌ للمعنى وقد صار اهتمام العلماء بها بشكلٍ كبير وواضح، إذ ألفوا فيها المعاجم على وفق حروف الهجاء العربية وتحذثوا ايضاً عن خصائص الألفاظ وشرائط استعمالها في النصوص الأدبية وتأثيرها في المعنى، وفي ذلك قال ابن طباطبا العلوي ت (٣٢٢هـ) في الالفاظ: " كالمعرض للجارية الحسناء التي تزداد حُسناً في بعض المعارض دون غيرها"^(٣) أما ابن رشيق القيرواني ت (٤٥٦) فوازن بين اللفظ والمعنى بقوله: " إن اللفظ جسم وروحه المعنى وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم، يضعف بعضه بعضه، ويقوي بعضه بعضه فاذا سلم المعنى واختل بعض اللفظ كان نقصاً للشعر"^(٤) وقد أفاد المحدثون من آراء القدماء تلك من أجل إخراج نصوص أدبية مبدعة، وإن المتأمل لألفاظ ابن أبي الحديد المعتزلي في القصائد العلويات يجد عدة سمات إسلوبية إنمازت بها الفاظه هي:

١-الجزالة

إن السمة الغالبة على ألفاظ القصائد - موضع الدراسة - هي سمة الجزالة والقوة، فمن يقرأها يجدها ألفاظاً حماسية قوية لا تعرف اللين في الغالب حتى يمكننا وضعها ضمن القسم الذي أسماه ابن

٢ - ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير: ١٣/٢٢٣.

٣ - عبار الشعر، ابن طباطبا العلوي: ٨.

٤ - العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني: ٣٧/١.

الاثير بالجزل والذي يُستعمل في وصف الحروب^(٥) وهذا أمرٌ بديهي كون الموضوع الأساس الذي تتحدث عنه القصائد العلويات، وهو إبراز صفة الشجاعة والبسالة للإمام علي (عليه السلام) وإظهار مواقف البطولية التي سجلها له التاريخ وهذا بدوره يتطلب الفاظاً قوية جزلة توحى لهذا المعنى وتلائمه، كما اتخا سمة منطقية لخطابه الادبي بحكم ما يتمتع به ابن ابي الحديد من امكانية أدبية، ولأنه أحد اقرب مدرسة الاعتزال فقد تميزت لغته بسمة خطابية عالية، إذ تحدّث بما مع النخبة بعدة أساليب وحُجج ومنطق حتى صارت سمة غالبية على حياته ككل وليس في ادبه وحسب ومن ذلك قوله: (٦)

يا قاتِلَ الأبطالِ مجدك للعدى من غرب محمدك المهنداً أقتل
بذباب سيفك قرّ قارعُ طوده بعد التأوّد واستقام الأميل

إذ جاءت الالفاظ جزلة قوية أكسبت النص صورة حماسية ممّا جعلت واقع المعركة أقرب إلى ذهن المتلقي، كما ونلاحظ تكرار صيغة فاعل في لفظتي (قاتل، قارع) مُستثمرًا دلالة هذه الصيغة في الإشارة إلى من قام بالفعل، ولعلها من أكثر الصيغ الاسمية قُرباً من دلالة الافعال وما ينتج عنها في النص من حركة وحيوية ونشاط، وليس ذلك وحسب وإنما نجد وفي موضعٍ آخر يُغالي في جزالة ألفاظه وقوتها لتصل إلى درجة الغرابة كما في قوله (٧):

فافرغ الى مدح الوصي ففيه تطهير النجس
ربُّ السلاهب والقواضب والمقانب والخمس^(٨)
والبيض والبيض القواطع والغطارفة الحمس
والجامحات الشامسات وفوقها الصيد الشمس
من كل موار العنان مطهم صعب سلس^(٩)

فالمسحة البدوية تكاد تكون واضحة في النص بما ورد من ألفاظ (السلاهب، القواضب، المقانب، الغطارفة، الحمس، موار، مطهم) من ذلك صار المعجم اللغوي أمراً لازماً لتيسير الفهم، أما عن أسباب هذه المسحة وما ورد من الالفاظ والبداوة، أن البراعة الادبية والملكية اللغوية ومنافسة الشاعر

٥ - ينظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الاثير: ٢٤٠/١

٦ - القصائد السبع العلويات، ابن ابي الحديد: ٥٥.

٧ - القصائد السبع العلويات، ابن ابي الحديد: ٢٧.

٨ - هو الطويل من الخيل، فرسٌ سلهب إذا عظُم وطالينظر: لسان العرب، مادة سلهب: ٢٤٧/٧).

٩ - ألمطهم من الناس والخيل، الحسن التام كل شيء منه على حدته فهو بارع الجمال ينظر: لسان العرب مادة طهم: ١٥٤/٩.

لكبار الشعراء من جيل الاوائل والفحول من أهم ما تميز به فضلاً عن الميول الفطري والتأثر بالمرورث الشعري والبيئة التي أحبها.

ومما يُلاحظ على ألفاظ القصائد أنّها تنطوي على صفة التجانس بين اللفظ والمعنى فيكون اللفظ رقيقاً في موضع الرقة وهذا ما نجده في المطالع الغزلية لبعض هذه القصائد وبخاصة التي يصف بها الشاعر عشقه للامام علي عليه السلام وأهل بيته الاطهار وكما في قوله: (١٠)

يا من له في أرض قلبي منزلُ نعم المراد الرَّحْبِ والمَسْتَرَبْعُ
أهواك حتى في حشاشة مُهَجَّتِي نار تَشَبُّ على هواك وتلذعُ
وتكادُ نفسي أن تذوب صباةً خُلِقاً وطبعاً لا كمن يتطبّعُ

فالشاعر شأنه شأن شعراء العصر العباسي الثاني قد جرى الشعراء القدامى في افتتاح قصائدهم بالغزل أو المرأة ليكون ذلك مفتاحاً للحدث الشعري أو رمزاً للتعبير عمّا في نفسه من المشاعر والبوح بها (١١)، إذ احتوى النص على مجموعة من الفاظ الغزل الرقيقة مثل (قلبي، أهواك، حشاشة مهجتي، هواك، صباية) حتى إن من يقرأ النص مقتطعاً يظن أن الشاعر يتغزل بمعشوقته لِمَا فيه من صدق الاحساس و العاطفة والشعور .

وقد يصف اللفظ بالقوة في مواضع العنف كتصوير الشاعر للامام علي (عليه السلام) وهو في داخل ساحات الوغى نحو قوله: (١٢)

وسـرت بأرض النهـروان فزعزعت ركني قـدس
اللـون بـرق مـختلس والصـوت رعد مـرتجس
فـعدت سـنابكها عـلى هـام الخـواج كـالقـيس
يـزُمـي بـها بـحرُ الوغـى أسدُ المـلاحـمِ والـوُطـسِ (١٣)

ففي النص أورد الشاعر ألفاظاً حماسية أدخلت المتلقي في جو المعركة الدامي و قد خصّ أرض النهروان في ذلك، ولم يقل واقعة او حرب فيجعل للنص بُعداً تاريخياً وإنما أراد أن يُنزل المتلقي في أرض المعركة (واقع الحدث) فيستحضر هوها وصخبها، أما عن استعماله للفظ الوغى بنهايتها المقصورة فقد تطلّب منه إطالة في الصوت الشعري، فتتحقق الدلالة الصوتية عند النطق بها وبشكلٍ ينسجم مع معنى

١٠ - القصائد السبع العلويات: ٤٤ .

١١ - ينظر: الشعر والشعراء، ابن قتيبة: ٧٧/١ .

١٢ - القصائد السبع العلويات: ٢٨ .

١٣ - الضراب في الحرب، وقيل هي تنور من حديد، وبها شبه حر الحريينظر: لسان العرب. مادة وطس: ٢٣٧/١٥ - .

النص دليل على اهتمام الشاعر الكبير في التعبير عن المواقف وبكل حرفية فضلاً عما ورد من التناغم بين اللون والصوت، فللبريق لون محتلس وللرعد صوت مرتجس، وبهكذا يُمكن أن تقترب الصورة عما أورده بشر بن المعتمر (ت ٢١٠هـ) في صحيفته ونقلًا عن الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) قوله: ^(١٤) "ينبغي للمتكلم أن يعرف... أقدار الحالات فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً، ولكل حالة من ذلك مقاماً حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات" من ذلك كان الشاعر موفقاً في إيراد الصور وبشكل مُتماثل مع واقع الحال وما يُريد الوصول إليه من المعاني.

٢- الإيحاء

إن من أهم ما تتميز به اللغة الشعرية اتصافها بالإيحاء بمعنى " قدرة الكلمة على أن تُثير جملة انفعالات الى جانب ما تؤديه من معنى" ^(١٥) وقد عمد الشاعر إلى بعض تلك الصيغ إيراداً للدلالات المكثفة كما في قوله: ^(١٦)

عَلَامَ أَسْرَارِ الْغُيُوبِ وَمَنْ لَهُ خُلِقَ الزَّمَانُ وَدَارَاتِ الْأَفْلاكِ
فَكَأَنَّ أَعْنَاقَ الْمُلُوكِ فَأَنْ يُرِدَ أَسْرًا لَهَا لَمْ يَقْضَ مِنْهُ فِكَأَنَّ

كرر الشاعر صيغة (فعال) مرتين تعبيراً عن الكثرة والمبالغة فبقوله (علام، فكاك) كنايةً عن علم الامام عَلِيٍّ بِالْغَيْبِ، مُعْضِداً إياها بالشجاعة والبسالة في الحروب بقوله (فكاك أعناق الملوك) لِمَا لَهَا مِنَ الْمَعْنَى وَالْبُعْدِ الدَّلَالِيِّ الْمَكْتَفِ مُسْتَثْمِراً أَوَّلَ الْآيَاتِ بِالصِّيغَةِ الصَّرْفِيَّةِ وَبِمَا يَتَنَاسَبُ مَعَ فِكْرَةِ الْقَوْلِ، كَمَا وَاسْتَرْسَلَ فِي وَصْفِ مَنَاقِبِ الْأَمَامِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُسْتَعْمِلاً ذَاتَ الصِّيغَةِ بِقَوْلِهِ: ^(١٧)

الصَّاحِ الْفَتَّاكِ وَالْمُنْتَطَوِّلِ مَنَاعِ وَالْأَخْذِ وَالْوَتْرَاكِ

فقد كرر الشاعر صيغة (فعال) أربع مرات بما ورد من الفاظ (فتاك، مناع، اخاذ، تراك) راسماً منها الصور وبدلالات مختلفة فضلاً عن التناسب الصوتي نتيجة تكرار الصيغة والربط بين اجزاء البيت الواحد، وعمد الشاعر ايضاً الى استعمال ذات اللفظة جاعلاً إياها بمعانٍ مختلفة كما في قوله: ^(١٨)

وَمَبْدِئُ الْأَبْطَالِ حَيْثُ تَأَلَّبُوا وَمَفْرُقُ الْأَحْزَابِ حَيْثُ تَجَمَّعَ

١٤ - البيان والتبيين، الجاحظ: ١٣٨/١-١٣٩.

١٥ - في النقد الادبي الحديث، د. فائق مصطفى- د. عبد الرضا علي: ٢٠١.

١٦ - القصائد السبع العلويات: ٢٣.

١٧ - القصائد السبع العلويات: ٢٤.

١٨ - القصائد السبع العلويات: ٤٢.

بينما جاءت لفظة (حيث) في الشطر الاول دالة على مكان الحدث وما جرى في واقع المعركة تحولت دلالة (حيث) في الشطر الثاني لترسّم ابعاداً مستقبلية، فالامام عليّ هو مفترق الاحزاب المعادية متى ما تجمعوا بينما جاءت لفظة (الاحزاب) للدلالة على معركة الاحزاب التاريخية^(١٩)، وقد نجد اثراً للتقريرية المباشرة في بعض النصوص الشعرية كما في قوله: (٢٠)

وكم فاجرٍ فَجَّرَتْ يَنْبوعَ قلبه وكم كافرٍ في التُّربِ أضْحى مُكفِّراً
وكم من رُؤوسٍ في الرماح عقدتها هُنَاكَ لأجسامٍ مُحلَّلة العُرا
وأعجب إنساناً من القوم كثرةً فلم يُغن شيئاً ثمَّ هرول مُدبراً
.....
وليس بنكرٍ في حُنينٍ فراره ففي أحدٍ قد فرَّ خوفاً وخَيْراً

في الأبيات جاءت الفاظ النص موحية مباشرة وقد عبرت بواقعية عن معانيها، إذ لم يحرص الشاعر على إيراد الصورة الشعرية الفنية بقدر ما كان يحرص على إيراد الاحداث وكما هي فأحاط بالموقف إحاطة كاملة جعلت تشكيل النص اشبه ما يكون إلى التشكيل السردى، ولعلّ هكذا سرد هو أقرب لأن يعبر عن الصورة التقريرية والموضوعية بشكلها الواضح مُبتعداً الشاعر فيها عن كل ما هو ذاتي أو شعوري^(٢١).

وله أيضاً في وصف أفعال من يحيط بقبر الامام عليّ من الملائكة: (٢٢)

عُج بالغرّي على ضريح حوله نادٍ لأملاكِ السماءِ ومُحفلٍ
ففي النص أورد الشاعر الصورة الایحائية عبر اسلوب الخطاب المباشر القائم على الامر بقوله (عج) طالباً من تلك الشخصية المفترضة أن تطوف حول ضريح تحفُّ به ملائكة السماء، هذا وان وردت سمة التقريرية في بعض مواطن القصائد الا ان السمة الایحائية ممّلت اتجاهها عاماً في ألفاظ نصوصها.

٣- الترادف

هو اطلاق عدة ألفاظ على مدلول واحد^(٢٣)، وقد وُجدت هذه الظاهرة بشكلٍ واضح وجلي في القصائد السبع العلويات وبخاصة في الفاظ (السيف - الخيول - الخمرة) لِمَا لها من الأهمية في رسم واقع

١٩ - ينظر: الكامل في التاريخ، ابن الاثير: ٦٦/٢

٢٠ - القصائد السبع العلويات: ١٧-١٨

٢١ - ينظر: البنية السردية في النص الشعري، محمد زيدان: ٢٠

٢٢ - القصائد السبع العلويات: ٥٤

٢٣ - ينظر: فقه اللغة العربية وخصائصها، د. أميل يعقوب: ١٧٣

حال تلك القصائد، فجلَّ ما جاء بها هو سرد لإحداث وحروب قد خاضها الإمام علي (عليه السلام)، فالسيف جاء بعدة مسميات وهي (البيض، الحسام، البواتر، القواطع) مُستثمراً إياها الشاعر في تصوير بسالة الامام عليه السلام ومما ورد في ذلك قوله: (٢٤)

والبيض والبيض القواطع والغطارفة الحمس

فإيراد أسماء السيف في القصائد هو هدفٌ أراد به الشاعر محاكاة الشعر القديم فضلاً عما في ذلك من تنوع، وهذا ما استعمله في تسميات الخيل، إذ قال فيها (الجامحات، السابقات، اللاحقات، الشامسات، وجيه، لاحق) (٢٥) والسبب في ذلك يعود الى ما ذهب اليه في تسميات السيف، لكن الجدير بالملاحظة ان الشاعر وحينما وصف الخيل ذكر معها الفاظاً في وصف الطبيعة (٢٦)، وكأن الطبيعة الجميلة قد انحسرت مع الخيل فصارت قريناً لها وكما ورد في قوله: (٢٧)

جِيادَ عَلَيْهَا لِلْجَوِيهِ وَلا حِقْ
ففيها سَلُوْ لِلْمُحِبِّ وَشَاهِدْ
ذَلالُ صِدْقٍ وَاضِحَاتٌ لَمَنْ يَرِي
عَلَى حِكْمَةِ اللَّهِ الْمُدْبِرِ لِلرُّورِي
لها مَخْبِرًا تَسْمَعُ لِعَيْنِيكَ مِنْظَرًا
هي الرُّوضُ حُسْنًا غَيْرَ أَنْكَ إِنْ تَبِرْ

كما ونعت الخمرة بعدة مسميات مثل (الصهباء، الراح، المدام) ولربما كان في ذلك أكثر التزاماً في الموروث الثقافي وما جاء في الشعر العربي القديم ومثلما هو الحال بقوله: (٢٨)

ما انصف الصهباء من ضحكت اليه وقد عبس

ففي النص شخّص ابن أبي الحديد الخمر مُشبهاً إياها بالانسان غير المنصف وهو نوعٌ من أنواع الاستعارة فضلاً عما ورد من تضاد بين (ضحك- عبس)، ممّا يعكس لنا مدى تتبع الشاعر في إيراد الأضداد والتقابلات في القصائد (٢٩) ومستوى استثمار مثل هكذا ظواهر في إنشاء الصورة الشعرية والتأثير في متلقيها.

٢٤ - القصائد السبع العلويات: ٢٧

٢٥ - ينظر: ص: ٤ من البحث

٢٦ - ينظر: جماليات الظواهر الاسلوبية في القصائد السبع العلويات لأبن أبي الحديد، حكيمة أكبري: ٣٠٩، صورة الامام علي عليه

السلام - في شعر ابن ابي الحديد، د.م.أ. أركان رحيم جبر: ١٣٦

٢٧ - القصائد السبع العلويات: ١٦

٢٨ - م.ن: ٢٧

٢٩ - ينظر: فاعلية العلاقات الدلالية في انسجام القصائد السبع العلويات لابن أبي الحديد، رؤيا كمال: ٣٦١

ب/ المعجم اللفظي

١- الفاظ الحرب

فالمأمل لالفاظ القصائد العلويات يجد كمّاً هائلاً من ألفاظ الحرب انتشرت في ثنايا النصوص مثل (السيوف، الرماح، الخيول، المشربي، الردى، الدم، القواطع، عسكر، جيش) وغيرها حتى طُبعت لغتها بطابع حماسي حربي يُسمع منه جلجلة السلاح وحوافر الخيول، و كانت هذه المعاني واضحة في القصائد وكما جاء في قوله: (٣٠)

حتى اذا استعر الوغى متلظياً شرب الدماء بغلة لا تقنع
متجلبباً ثوباً من الدم قانياً يعلوه من نقع الملاحم برقع

فيقوله (الوغى، الدماء، الدم، الملاحم) هي الفاظ حرب تدور حول ملحمة بطولية قد بدأت، من ذلك جاءت (حتى) إشعاراً في ابتداء الغاية مُستثمراً الصورة الاستعارية بما ورد من قوله (متجلبباً ثوباً من الدم) من أجل إيراد الفكرة الأساس فدخل الشاعر غمار تلك الحرب آخذاً بتصوير ما حصل بها من اجواء لاهبة منتقياً الالفاظ والتعابير ذات الوقع الموسيقي الصاخب وبما ينسجم مع واقع الحرب " والعربي حينما يخوض حرباً يعد لها مستلزماتھا ووسائلھا التي اهمها الخيل والأسلحة" (٣١) من ذلك عمد الشاعر إلى ذكر الاسلحة في عدة مواضع منها قوله: (٣٢)

حلفت برّب القعضبية والقنا المثقف والبيض الرقاق البواتر

إذ لم يكنف الشاعر في البيت السابق بذكر السيوف وحسب بل ذكر معها التعضبية وهي الأسنّة ثم وصف السيوف معدلة وبواتر مُلتزماً طريقة القدامى في وصف معدات الحرب، وقد امتلأت تلك الصور بالفخر الذاتي حتى ليصبح الفارس وسلاحه شيئاً واحداً كمصدر من مصادر القوة مع تعدد دلالات السيف (٣٣) كما و نجدّه يصف الخيول بقوله: (٣٤)

جوادٌ علا ظهر الجواد وأخشب تزلزل منه في النزال الاخاشيب

استطاع الشاعر أن يرسم أبعاد شخصية رجل الحرب بكل حرفية مُستنداً في ذلك لما جاء به من الجناسات ومستوى التوافق في ما بينها فـ (جواد) الأولى بمعنى كريم والثانية بمعنى (فرس) ممّا يعكس

٣٠ - القصائد السبع العلويات: ٤٢

٣١ - شعر العقيدة في عصر صدر الاسلام حتى سنة ٣٢، أيهم عباس حمودي: ٧٦-٧٧

٣٢ - القصائد السبع العلويات: ٣٢

٣٣ - ينظر: الفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، د. جواد علي: ٦/٦

٣٤ - القصائد السبع العلويات: ٥

ذلك مستوى الأداء الابداعي عند الشاعر، وقد ينحى بألفاظ الحرب منحى سياسياً عندما ذكر اسماً كان له موقف في التاريخ الاسلامي و كما في قوله: (٣٥)

رَمِيَتْ ابا سَفِيانَ مِنْهَا بِجَحْفَلٍ إِذَا قَيْسَ عَدَاً بِالثِرَى كَانَ أَكْثَرَا

فالإسم (ابا سفيان) مع الفاظ الحرب في البيت الشعري يجعلنا إلى واقعة تاريخية حدثت إبان فتح مكة حين اطلق رسول الله ﷺ سراح القوم بقوله المشهور: (٣٦) (ذهبوا فأنتم الطلقاء)، وفي بعض المواضع يورد اسم معركة حربية معروفة كقوله: (٣٧)

وَأَصَلَتْ فِيهَا مَرْحَبُ الْقَوْمِ مَقْضَباً جَرَازاً بِهِ حَبْلُ الْأُمَائِيِّ مَقْضُوبُ

فالأسم (مرحب) احال المتلقي الى معركة واقعية ذات وجهة سياسية في العهد الاسلامي كمرجعية تاريخية لها أبعاد زمانية ومكانية (٣٨)، كما وهناك الفاظ سياسية قد نُعت بها الامام علي عليه السلام وقد اقتصت به دون غيره كلفظة (امير المؤمنين، الوصي) أما الاخيرة فكانت أكثر تكراراً في اقواله لما لها من خصيصة ولعلها ارتبطت بواقعة غدِير خم المشهورة، بينما لفظة (امير المؤمنين) فقد نُعت بها كثير من حكام الامويين والعباسيين لذلك كان استعمالها قليلاً ومما ورد من النعوت بحق الامام علي عليه السلام قول الشاعر: (٣٩)

فِيكَ الْأَمَامُ الْمُرْتَضَى فِيكَ الْوَصِيُّ الْمَجْتَبَى فِيكَ الْبَطِينُ الْأَنْزَعُ
الضَّارِبُ الْهَامَ الْمُقْتَعُ فِي الْوَعَى بِالْخَوْفِ لَلْبَهْمِ الْكِمَاةُ يُقْتَبَعُ

إذ حرص الشاعر في النص الشعري في الكشف عن شخص ممدوحه الإمام علي عليه السلام مُستنداً في ذلك إلى مجموع من صفاته وقد كان لها الشأن في إثراء المعنى فضلاً عما تحمله من ابعاد سياسية، من ذلك جاءت في النص بشكلها المتتالي (الامام، المرتضى، الوصي، المجتبي، البطين الانزع) دون ان يُذكر اسم الامام بصورة مباشرة، فالتلميح وعدم التصريح فضلاً عما ورد من التكرار والايحاء قد أخذ بالنص ليكون أكثر تشويقاً وإثارةً للسامع المتلقي.

٢- الفاظ الدين

٣٥ - م.ن: ١٦

٣٦ - ينظر: أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، محمد بن عبدالله الأزرقى: ١٢١/٢

٣٧ - القصائد السبع العلويات: ٦

٣٨ - ينظر: اليات السرد في الشعر العربي المعاصر، د. عبد الناصر هلال: ١٠٦ وما بعدها

٣٩ - القصائد السبع العلويات: ٤٢

أكد كثير من الفلاسفة والعلماء بأن النفس الأنسانية تحتاج الى التدئين مثل ما يحتاج البدن الى الغذاء، فالدين اشبه ما يكون غذاءً نفسياً للإنسان، لذا لايمكننا أن نجد شعباً غير متدين على وجه من الوجوه إلا ما ندر (٤٠)

ولما كانت القصائد العلويات تُصنّف ضمن الشعر الديني فقد غلب على ألفاظها مسحة دينية واضحة تباينت ما بين ألفاظ تخص الدين الاسلامي وألفاظ تخص عقيدة الشاعر وهذا ما سنفصل القول فيه.

و فيما يخص ألفاظ الدين فقد وجدنا الشاعر يستعمل ألفاظاً قرآنية كأسماء الأنبياء وبعض ما حصل لهم وأسماء الملائكة والحج والصوم والمعاد والحساب والشفاعة ويوم القيامة وغيرها، ومن ذلك قوله في محل وصفه للأرض، حين أمسى سكانها وهي خراب وكما جاء في قوله: (٤١)

فَعَادَرَهَا بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ وَلِلصَّادِقِ
يَنْوُحُ عَلَيْهَا نُوحُ هَارُونَ يُوشِعُ
بَأَرْجَائِهَا تَرْجِيْعُ لَحْنٍ وَتَطْرِيْبِ
وَيَذْرِي عَلَيْهَا دَمْعَ يُوسُفَ يَعْقُوبِ

إذ ذكر الشاعر اسماء مجموعة من الانبياء ممن عُرفوا بكثرة بكائهم ليعطي صورة عميقة عن عظم البلاء وما اصاب تلك الديار من هول المعركة التي دارت، فالمرج بين تشبيهين (نوح هارون- دمع يوسف) قد أثرى واقع القصيدة وما أراد اليه من معاني.

ومّا يُلاحظ على ألفاظ الدين انها جاءت محتشدة وليست منفردة كما في قوله: (٤٢)

يَا بَرْقُ إِن جِئْتَ الْغُرَيَّ فَقُلْ لَهُ
فِيكَ ابْنُ عِمْرَانَ الْكَلِيمِ وَبَعْدَهُ
أَتْرَاكَ تَعْلَمُ مِنْ بَأَرْضِكَ مُودَعٌ
عَيْسَى يُقْفِيهِ وَأَحْمَدُ يَتَّبِعُ
رَافِيلُ وَالْمَلَأُ الْمُقَدَّسُ أَجْمَعُ
بَلْ فِيكَ جِبْرِيْلُ وَمِيكَالُ وَاس

ففي النص توجه الشاعر إلى خطاب البرق عبر ياء النداء ولم يكتف بذلك وإنما توجه إليه عبر أسلوب الأمر بقوله (فقل) طالباً منه النظر في حال الغري ومن فيه، إذ احتوى النص على مجموعة من اسماء الانبياء والملائكة وهي (ابن عمران، عيسى، احمد، جبريل، ميكال، اسرافيل، والملأ المقدس) وكان كل من ذكر من الاسماء قد اودع في ذلك القبر الشريف مانحاً ممدوحه أبهى صور القدسية والارتقاء. وليس ذلك وحسب بل و عمد الى استعمال الكتب المقدسة لايصال الفكرة ذاتها في قوله: (٤٣)

٤٠ - ينظر: دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، د.علي الوردي: ١٨٧

٤١ - القصائد السبع العلويات: ٤

٤٢ - القصائد السبع العلويات: ٤٢

٤٣ - م.ن: ٥٥

يا وارث التوراة والأنجيل والفرقان والحكم التي لا تعقل

ففي النص تكاد تكون جميع الالفاظ مقتبسة من القران الكريم إلا أنَّ الشاعر لم يقصد منها إظهار ثقافته الدينية، لان هذه الالفاظ معلومة ومدركة لدى جميع المسلمين ولربما اراد ان يستفيد منها في بلورة مواقف واثبات وجهة نظره في اثبات قدسية الامام علي عليه السلام وعصمته.

ولو انتقلنا الى الشق الثاني من الالفاظ الدينية والمتمثلة بالفاظ العقيدة وما آمن به الشاعر من مذهب لتبين لنا اسلوباً آخر وطريقة أخرى في طرحه لهذه الالفاظ، اذ نجد يستخدم الفاظاً حجاجية باسلوب منطقي ومن ذلك قوله: (٤٤)

وقل السلام عليك يا مولى الورى نصاً به نطق الكتاب المنزل

فلفظة (مولى) هي إقتباس قرأني محوّر، وقد أحالتنا الى الآية الكريمة وقوله تعالى (٤٥): (أتما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) فكان اسلوبه حجاجياً مدعوماً ببرهان بين قصد إثبات المعنى وتأكيده الفكرة، ولعل التزام الثقافة القرانية قد أخذ به للتصريح عما يلتزمه من عقيدة وفكر نحو قوله: (٤٦)

ورأيتُ دين الاعتزال وانني أهوى لأجلك كل من يتشيع ولقد علمت بأنه لا بُد من مهديكم وليومه أتوقع

لفظة (الاعتزال، التشيع، مهديكم) الفاظ توحى بعقيدة الشاعر وما آمن به، ومما يُلاحظ على ألفاظ العقيدة انها جاءت معبرة عن صدق العاطفة وإيمان الشاعر المطلق على عكس ما ورد من الفاظ الدين، فقد جاءت محتشدة باردة، اذ لم تُعبر عن حرارة المشاعر وصدق العاطفة بقدر ما جاءت لتعبر عن فكرة أخرى لدى الشاعر مُتخذاً منها الوسيلة للوصول الى غايته.

٣- الفاظ الحب

جاءت هذه الالفاظ في مقدمات بعض القصائد - موضع الدراسة - وهي مقدمات غزلية تعدُّ في باب المقدمات التقليدية والغزل التقليدي، اذ جعلها الشاعر مقدمة لخمس قصائد منها قصد جذب انتباه المتلقي وللتخفيف من شدة انفعاله كونها قصائد تشتمل على مواقف متنوعة وحازمة فضلاً عما تدعوله من الإنفعال والاضطراب النفسي، وان من يقرأ هذه المقدمات يجد الشاعر رجلاً قد خُبر

٤٤ - م.ن: ٥٥

٤٥ - سورة المائدة: الآية ٥٥

٤٦ - القصائد السبع العلويات: ٤٤

الحب وسار في دروبه، وهذا أمرٌ وارد فهو إنسان ويحمل المشاعر ذاتها ومن الألفاظ التي ظهرت فيها عاطفة الشاعر قوله: (٤٧)

عن ريقها يتحدث المسواكُ
أرجاً فهل شجرُ الكِباء أراكُ
.....
هيفاءً مقبلة تميل بها الصبا
مرحاً فإن هي أدبرت فضناكُ
يا وجهها المسفوكُ ماء شبابه
ما الحتف لولا طرفك السفَّاك

ففي النص استعمل الشاعر الفاظاً اتسمت بطابع الهدوء والرقّة وهي (ريقتها، المسواك، هيفاء، الصبا، طرفك) ولعلها الفاظ مناسبة للموقف وما كان عليه الشاعر من حديث وفكرة. وقد تكون تلك المقدمات محتوية على ألفاظ جاهلية جافة كما في قوله: (٤٨)

يارسُمُ لارسمتك ربح زَعَزَع
وَسَرَت بليلى في عراصك خروغُ
لم ألفِ صدري من فؤادي بلقعا
الا وأنتَ من الاحبّة بلقعُ
جاري الغمامُ مدامعي بك فانتنتُ
جون السحائب فهي حسرى ظلُّعُ
لا يَمَحِكُ الهتنُ المِلثُ فقد محّا
صَبْرِي دثورك (٤٩) مذ محتكِ الادمُعُ

اذ ارتسم النص بنبرة جاهلية لم يخرج بها الشاعر عن الألفاظ البدوية في المقدمات الظلية المتوارثة ف (رسم، زعزع، خروع، بلقع، الهتن، الملت، دثورك) الفاظ قد ظهر فيها أثر التكلف والتصنع لان الشاعر لم يعيش تلك الاجواء فهو بعيدٌ عنها كل البعد وهو متظاهر (٥٠)، اما الفاظ الحب لآل بيت رسول الله فكانت تبدو أكثر صدقاً وقرباً من روح الشاعر كونها قد ارتبطت بالموضوع الاساس الذي دارت حوله القصائد وهو إظهار الولاء والحب والطاعة للإمام علي عليه السلام ومن ذلك قوله: (٥١)

يا من له في أرض قلبي منزلُ
نعم المراد الرّحب والمسترَبُعُ
أهواكُ حتى في حشاشة مُهيجتي
نار تَشَبُّ على هواك وتلذع
وتكادُ نفسي أن تذوب صبابهً
خُلِقاً وطبعاً لا كمن يتطبّعُ

٤٧ - القصائد السبع العلويات: ٢٣

٤٨ - م.ن: ٤١

٤٩ - الدثور سرعة النسيان، تقول للمنزل وغيره إذا عفا ودرسينظر: لسان العرب، مادة دثر: (٢١٧/٥)

٥٠ - ينظر: الفن ومذاهبه في الشعر العربي، د. شوقي ضيف: ٢٧٨-٢٧٩

٥١ - القصائد السبع العلويات: ٤٤

فبقوله (أرض قلبي منزل) إستعارة مكنية، وهي كفيفة لأن تجعل قلب الشاعر مكاناً ينعكس من خلاله شعور حقيقي بتلك العلاقة "فالعلاقة بين الانسان والمكان تذهب في الاتجاه النفسي مثل ذهابها في الاتجاه الحسي" (٥٢) من ذلك جاء النص الشعري مُتشدداً بكثير من الفاظ الحب وهي (قلبي، أهواك، حشاشة، مهجتي، هواك، تذوب صباية) وقد بدت أكثر صدقاً من تلك التي في المقدمات، فمن يقتطع هذه الابيات من القصيدة يظن انها قيلت بحق معشوقة الشاعر حتى اذا ما اكمل المتلقي القصيدة يتفاجيء من أنَّ الشاعر قالها حباً وعشيقاً بأمامه، وقد ربط هذا الحب بجانب ديني حينما قال: (٥٣)

إِنْ كَانَ دِينَ مُحَمَّدٍ فِيهِ الْهَدَى حَقّاً فَحَبِّكَ بِأَبْنِهِ وَالْمُدْخَلَ

فتمسك الشاعر بذلك الحب أمرٌ واضحٌ جداً مُتخذاً منه المدخل الى دين الاسلام ككل وليس ذلك وحسب وإنما نجده وفي موضعٍ اخر راسماً الأبعاد لذلك العشق مُتحمساً باكياً وكما في قوله: (٥٤)

وَلَقَدْ بَكَيْتَ لِقَتْلِ آلِ مُحَمَّدٍ بِالطَّفِّ حَتَّى كَلَّ عَضُو مَدْمَعُ

اذ ربط الشاعر بين ما في نفسه من شوق وحب لآل محمد ﷺ والبكاء على مصيبة واقعة الطف الاليمة مُستعملاً اصدق الالفاظ والايحاءات الشعورية للتعبير عن هول تلك المصيبة إلى إن وصل الحال به إلى القسم واليمين فهو لن ينسى تلك الواقعة وقد صرَّح بذلك نحو قوله: (٥٥)

تَاللَّهِ لَا أُنْسَى الْحُسَيْنَ وَشَلْوَهُ تَحْتَ السَّنَابِكِ بِالْعَرَاءِ مَوْزِعُ

تخلص من ذلك إلى أن الفاظ الحب عند الشاعر في مقدمات قصائده كانت تقليدية بدوية، فهي لا تخلو من العذوبة والرقة في كثيرٍ من المواضع بينما كانت الفاظها في وصف حبه لآل البيت (عليه السلام) أكثر إيجاءاً وأصدق شعوراً.

المبحث الثاني/ التراكيب

يتكون كل عمل أدبي من بناء لغوي يحصل بواسطته الفهم والأفهام ما بين المبدع والمتلقي ويكمن عمل المبدع في استثمار الطاقة اللغوية بتوظيف امكانياتها لتصوير موقف له خصيصة التفرد والابداع (٥٦)، وسنحاول في هذا المبحث تسليط الضوء على بناء الجملة في القصائد - موضع الدراسة- عبر دراسة أساليب البناء التركيبي وتشمل:

٥٢ - ينظر: سطوة المكان وشعرية القص في رواية ذاكرة الجسد دراسة في تقنيات السرد - د. الاخضر بن السايح: ٨٨

٥٣ - القصائد السبع العلويات: ٥٥

٥٤ - م.ن: ٤٤

٥٥ - م.ن: ٤٤

٥٦ - ينظر: وظيفة الناقد الادبي بين القديم والحديث، د. سامي منير: ١٨٢

١. أساليب البناء التركيبي

أ- أسلوب التغير بالجملة الفعلية والجملة الاسمية

الجملة بابتسب تعريف لها "هي اللفظ المفيد فائدة يُحسن السكوت عليه" (٥٧)، والجملة تكون اما فعلية، التي يتصدرها فعل، أو اسمية، التي يتصدرها اسم (٥٨)، وان نظرة اولية لتراكيب القصائد- موضع الدراسة- تبرز وبوضوح هيمنة النظام الفعلي على جملها وهي مهيمنة لها مبرراتها.

ولها دلالاتها التي من شأنها خلق اجواء الحركة والنشاط بين ثنايا القصائد، كون اغلبها يصور اجواء حركية في ساحة حربية ومثل هكذا اجواء لا يُمكن التعبير عنها بالجملة الاسمية وبما تتصف به من ثبات واستقرار وإنما نجد التوافق قائماً بين حركية النص وما يُعبر عنها من الافعال وكما ورد في قوله: (٥٩)

صَدَمَتْ فُرَيْشاً وَالرَّمَاخَ شَوَاجِرْ
فَقَطَعْتَ مِنْ أَرْحَامِهَا مَا تَشَجَّرَا
فَلَوْلَا أَنَاةٌ فِي ابْنِ عَمِّكَ جَعَجَعَتْ
بِعَضِّكَ أَجْرَى مِنْ دَمِ الْقَوْمِ أَجْرَا
وَلَكِنْ سِرَّ اللَّهُ شَطْرَ فَيْكَمَا
فَكَنتَ لَتَسْطُو ثَمَّ كَانَ لِيَغْفِرَا

أقام الشاعر نصه الشعري وعلى التوالي على مجموعة من الافعال (صدمت، فقطعت، جعجعت، أجرى، فكنت، سطو، بغفر) مما خلق جواً من الحركة والنشاط يتناسب مع ما ورد من الأفعال، فالألفاظ حربية قوية وجزلة، وقد عبرت عن الروح الحماسية التي شعر بها الشاعر حتى وصل به الحال ليتحدث مع ممدوحه بشكل مباشر عبر استعماله لضمائر الخطاب والتي ظهرت في أكثر من موضع في النص.

ومما يُلاحظ على الافعال إن اغلبها كان في الزمن الماضي إذ وظّف الشاعر عبر تقنية الاسترجاع (٦٠) صوراً لحادثة قد مضت، ولم يكتفِ الشاعر بذلك وإنما نجده وفي موضعٍ اخر متوجهاً عبر صيغة الخطاب المباشر نحو قوله: (٦١)

سَأْمَنْحُكُمْ مَنِي مَوْدَةَ وَامِقْ
يَغْضُ قَلْبِي عَنْ غَيْرِكُمْ طَرْفِ هَاجِرْ

٥٧ - شرح ابن عقيل على الفية بن مالك: ١٤/١

٥٨ - ينظر: مغني اللبيب من كتب الاعراب، ابن هشام الانصاري: ٤٩٢

٥٩ - القصائد السبع العلويات: ١٧

٦٠ - ينظر: تحليل الخطاب الروائيالزمن - السرد - التبئير، سعيد يقطين: ٧٧

٦١ - القصائد السبع العلويات: ٣٤

إن استعمال الشاعر لصيغة الفعل المضارع في (سأمنحك) قد ارتبط بحرف الاستقبال مفضياً من ذلك صفة الاستمرارية والتجُّد في مودته ومحبه لأهل البيت ﷺ ما دام حياً.

وقد يُعطينا صفة الاستقبال من دون استعمالٍ لأي دلالةٍ للأفعال كما في قوله: (٦٢)

ولقد علمت بانه لأبَد من مهديكم وليومـه أتوقـع

فلفظة (لابد) قد اعطت صفة الاستقبال مع ان الفعل الذي سبقها كان في زمنٍ قد مضى، أما الفعل (أتوقع) فقد ساندها واعطاها صفة الاستقبال ولعلهُ تصريحٌ للشاعر بظهور الامام صاحب العصر والزمان (عجل الله فرجه الشريف) في المستقبل من دون ان يستقبل احرف الاستقبال المعروفة وهذا يُحسبُ له.

اما الجمل الاسمية فقد استثمرها الشاعر ودلالاتها على الثبات والاستقرار لإيصال المعنى وما يريدُه كما في قوله: (٦٣)

فيك الإمام المرتضى فيك الوصي
الضَّارِب الهام المقنع في الوعى
الجتبي فيك البطين الانزع
بالخوف لبهم الكماة يُقنَع

إن اعتماد الشاعر على الجمل الاسمية في النص الشعري أدى الى إيراد و تمثيل الصفات الخاصة بالإمام علي عليه السلام بكل ثباتٍ ووضوح، من ذلك كرر لفظة (فيك) ثلاث مرات مُبتعداً في ذلك عن الجمل الفعلية وما فيها من الحركة، اذ اعتمد الشاعر في الشطر الاول من البيت الشعري على الجمل الفعلية ممَّا اعطت صفة الاستمرارية وعدم إمكانية الشاعر في إعطاء الإمام حقه في المدح مهما اجتهد في ذلك، بعد ذلك اعتمد شبه الجملة في الشطر الثاني بقوله (بالخوف) ليمنح نفسه صفة البلاغة والفصاحة في ما جاء به من الخطاب وثبات ذلك في شخصه مُنتقلاً بنفسه من المدح الى الفخر.

ب/ الاستفهام

هو "طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل" (٦٤) وله عدة أدوات، وتتجلى أهمية الاستفهام من أنه " قد يكون علماً بمراد المتكلم وقد يكون ظناً فإن كان ظناً فالظن تتزايد قوته إذا تزايدت أمارته، فالمستفهم يطلب أن تكثر الامارات الدالة على قصد المتكلم..." (٦٥).

٦٢ - القصائد السبع العلويات: ٤٤

٦٣ - م: ن: ٤٢

٦٤ - البلاغة والتطبيق، د. أحمد مطلوب: ١٣١

٦٥ - أسلوب الطلب في القرآن الكريم دراسة نحوية دلالية، عبد الرحمن مضوي: ٢١٦

وقد خرج الاستفهام عن معناه الاصلي في طلب الفهم الى معانٍ مجازية تُوسع أفق النص الادبي وهذا ما عمد إليه ابن أبي الحديد المعتزلي إذ خرج بالاستفهام إلى معنى استنكاري في قوله: (٦٦)

ألم تخبر الأخبار في فتح خيبرٍ ففيها لذي اللب الملب أعاجيبُ

فالهمزة أول البيت أشارت لمعنى الإستفهام عن ما حصل في فتح خيبر وكأن الشاعر لا يعلم بذلك مُستغرباً بعض الشيء وكان هناك شيئاً لم يُذكر، ولربما تعززت فكرة الشاعر وبشكلٍ أوضح حينما أورد النغم المتناسق بتكرار حرف الخاء فضلاً عن إيراد الجرس الموسيقي بما جاء من الجناسات وتتابع للألفاظ (تخبر الأخبار) (اللب الملب)، لكن ابن أبي الحديد سرعان ما ينفي عملها الاصلي لتتحول الى معنى مجازي إخباري في البيت الذي يليه نحو قوله: (٦٧)

وفوزٌ علي بالعلی فوزها به فكلُّ الى كلِّ مُضاف ومنسوب

وهذا تصريح واضح بمعرفة الشاعر لجميع ما كان وما حصل، إذ استطاع الشاعر أن يُظهر شجاعة ممدوحه حينما جعل منه مثلاً في القوة في سيطرته على خيبر رُغم قوة الخصم، فلا فخر لمن كان خصمه ضعيفاً، كما وعمد الى استعمال (كم) لغرض الإخبار نحو قوله: (٦٨)

فكم خَر منها للبواري مبرقٌ وكم ذلٌ فيها للقنا السلب مسلوبٌ
وكم أصحاب الصَّعب الحرونُ بارضها وكم باتَ فيها صاحبٌ وهو مصحوبٌ
وكم عاصبٍ بالعصبِ هامته ضُحى ولم يُمسِ إلا وهو بالعصبِ معصوبٌ

ففي النص عمد الشاعر الى تكرار (كم) خمس مرات للإخبار عن شجاعة ممدوحه مُستعرضاً حجم الخراب وما لحق بالارض التي دارت بها المعركة، وقد يخرج الاستفهام إلى معنى إنكاري كما في قوله: (٦٩)

بني الوحي هل أبقى الكتاب لناظِمٍ مقالة مدح فيكم أو لنائر

فقد خرجت (هل) لاعطاء معنى انكاري، اذ انكر الشاعر بقاء اي معنى مدحي لم يوظفه الشعراء والكتاب في مقالاتهم لوصف ثنايا بني الوحي ومناقبهم.

الشرط/

٦٦ - القصائد السبع العلويات: ٣

٦٧ - القصائد السبع العلويات: ٣

٦٨ - م: ن: ٤ - ٥

٦٩ - م: ن: ٣٤

الشرط هو " تعليق شيء بشيء، بحيث إذا وجد الأول وجد الثاني وقيل الشرط ما يتوقف عليه وجود الشيء ويكون خارجاً على ماهيته" (٧٠)، فاسلوب الشرط يعتمد على تعليق شيء بشيء آخر ويتم ذلك عبر استعمال عدة أدوات، وقد عمد اليه الشاعر في عدة مواضع من قصائده الا ان أداة الشرط لم تصدر بعينها وانما كانت مناصفة بين (إذا) و (ان) فتارة يستعمل (إذا) وتارة يستعمل (ان) بحسب ما يقتضيه المعنى ففي قوله: (٧١)

إذا كُنت للنيران في الحشر قاسماً أطفئت الهوى والغبي غير محاذر

فبقوله (إذا) استتمارُ المعنى قد حصل بالفعل في الامر المقطوع بحصوله وكثرة وقوعه لتوحي بمعنى قطعي جازم آمن به الشاعر بأن امامه سيكون قسيم الجنة والنار في الاخرة ممّا اعطاه حرية العمل وترك الغبي واطاعة الهوى فهو يعرف من يشفع له، فبقوله (إذا) إشعارٌ بحصول أمر قد وقع بالفعل فضلاً عن كثرة وقوعه في الحقيقة (٧٢) من ذلك صار الشاعر وعلى يقينٍ من أمره من أن إمامه هو إمام الهدى، وقد يعتمد إلى استعمال (إن) في المواقف التي يكون فيها مشككاً كقوله: (٧٣)

إن قلتُ متُّ من الصبابة قال لي ظلماً وأي صبابة لا تقتل

فإن الشرطية تعطي معنى على أن لا يكون الفعل مقطوعاً بوقوعه أو مشكوكاً بحصوله لذلك عمد اليه الشاعر ليعطي فكرة، فليس كل من احب قتلته صبابته ووجده على من احبه لذلك عمد الى (إن) دون (إذا)، وقد يستعمل الأديبين في نصي واحد كقوله: (٧٤)

إذا طاف قومٌ في المشاعر والصفاء فقبرك ركني طائفاً ومشاعري
 وإن دَخَرَ الأقسام نُسك عبادَة فحبك أوفى عدتي وذخائري

 وأعلمُ أي إن اطعْتُ غوايبي فحبُّك أنسي في بطون الحفائر
 وإن أكُ فيما جنته شر مذنبٍ فربك يا خير الورى خير غافر

فقد بدأ الشاعر — (إذا) ليعطي معنى وقوع الامر وقد جاءت بمعنى (حين)، اي إن طواف الناس بالمشاعر والصفاء هو شيء متحقق وطبيعي كل عام، وقد تحقّق ذلك عند الشاعر بطوافه عند قبر

٧٠ - التعريفات، محمد بن علي الجرجاني: ٧٣

٧١ - القصائد السبع العلويات: ٣٣

٧٢ - ينظر: البلاغة والتطبيق: ٣١٩

٧٣ - القصائد السبع العلويات: ٥٣

٧٤ - م.ن: ٣٣

الإمام علي (عليه السلام) ثم عمّد الى (إن) والتي اعطت معنى التشكيك في وجود من يذخر نُسك عبادة بسبب قلة هؤلاء وندرة وجودهم، أما في البيت الثالث فاعطت (إن) معنى القلة والندرة في وقوع الشاعر في الغواية، ومثله البيت الاخير والتقليل من نسبة وقوعه في الذنوب، فاثبت البيت الاول وشكك وقلل في الابيات الثلاثة الاخرى كلٌّ بحسب معناه.

والتأمل في الابيات يجد كلٌّ منها يمتلك وحدة دلالية قائمة بذاتها يُمكن أن تستغني عمّا قبلها وعمّا بعدها، وما هذا إلا توازٍ تركيبى قصد ربط النص مع بعضه برباط موسيقي مُحكم فوظيفة التوازي في النص الشعري لا يُمكن قسرها على المستوى الايقاعي فحسب، لأنّ التوازي ظاهرة موسيقية ومعنوية في آنٍ واحد^(٧٥)، أما باقي ادوات الشرط فلم يكن لها سمة الاسلوبية ولا اي وجود يُعتد به أو أن تُبنى عليه دراسة.

النداء/

هو " التصويت بالمنادى لاقباله عليك" ^(٧٦) ولم يعبرّ النداء في القصائد-موضع الدراسة- عن غرضه الأصلي، اذ خرج به الشاعر إلى أغراض مجازية متنوعة كان من شأنها إغناء صور القصائد وافكارها، وكانت الاداة الاثيرة لدى الشاعر هي (يا) نظراً لطبيعتها التي تجمع بين المنادى القريب والمتوسط والبعيد ليترك للمتلقى حرية التأمل ومعرفة منزلة المنادى أو ماُقصد بالنداء، اذ خرج به لغرض المدح في قوله: ^(٧٧)

ويا خَيْرَ من يُغش لدفع مُلَمّة
ويا ثاوياً حصباءً مثواهُ جوهرٌ
فيأمن مرعوبٌ ويُترفُ قرضوبُ
وعيدائهُ عودٌ وثُربتته طيبُ

فالنداء في البيت الاول هو لاطهار صفة ممدوحه في دفع الملمات واغاثة الرعوب، بينما جاء النداء في البيت الثاني لبيان مثنوى الممدوح ومكان قبره والحنين والتشوّق لذلك المكان الذي يفوح بالطيب والعطر، كما ويفصح الشاعر عن ذات المشاعر نحو قوله: ^(٧٨)

يابرق إن جئت الغري فقل له
أتراك تعلمُ من بأرضك مودع

٧٥ - ينظر: تحليل الخطاب الشعري استراتيجية التناص، محمد مفتاح: ٢٥

٧٦ - الطراز المتضمن لأسرار البلاغة، يحيى بن حمزة العلوي: ٢٩٣/٣

٧٧ - القصائد السبع العلويات: ٦

٧٨ - م.ن: ٤٢

اذ تعاضد كل من النداء والاستفهام للافصاح عن مشاعر توافقة في نفس الشاعر لزيارة ذلك المكان، فالنداء إلى ما لا يُعقل لم يكن إلا لبيان ما في نفسه من الحنين والشوق، كما ويتوالى في بيان أثر الحنين نحو قوله: (٧٩)

يقتادني سكر الصبابة والصباء وبصيح بي داعي الغرام فاسمع
دهر تقوض راحلاً ما عيب من عقباهُ الا انه لا يرجعُ
يا أيها الوادي اجلك وادياً واغـرالا في حماك فاخضع

ففي النص جاء النداء في سياق حديث الشاعر عن ايام الصبا التي لاتعود وعلى ما يبدو انه اخترن تلك المشاعر ليظهرها بصورة واضحة عند ذكره للمكان الذي قضى فيه تلك الايام وقد ناداه ب (يا) للإشارة إلى بُعد منزلته، وأتى ب (ها) بعد النداء لتنبية المخاطب أنه المقصود بالنداء^(٨٠)، لذلك جاء بالنداء مع اداة التنبية (الماء) بما فيها من تعبير عن أنات الروح وزفرات النفس.

كما ووظف النداء في غرض الغزل في قوله: (٨١)

فيا جنة فيها العذاب ولم اخف حلول عذاب في الجنان النواضر

فالشاعر نادى محبوبته بالجنة جاعلاً منها جنة وعذاب راسماً صورة مشوّقة مبنية على المفارقة بين الجنة والنار بما يحصل بينها من فجوة وتوتر يشحذ خيال المتلقي بالنشوة والمتعة.

القسم/

هو من اساليب التوكيد والذي يخلق رشاقة في الكلام وتحسين^(٨٢)، وقد استعمل الشاعر ابن أبي الحديد القسم بعدة الفاظ كما في قوله: (٨٣)

والله لولا حيدرٌ ما كانت الدنيا ولا جمع البرية مجمع

اقسم الشاعر بلفظ الجلالة دون غيره من الفاظ القسم لسهولة النطق به وكثرة استعماله قياساً بالفاظ القسم الأخرى محاولةً منه لجذب انتباه المتلقي وتأكيد فكرة البيت وإيمان الشاعر المطلق بتلك الفكرة، فضلاً عن القيمة التوكيدية التي يخلقها القسم للعبارة، إلا أنه استعمل (تالله) في قوله: (٨٤)

٧٩ - م: ن: ٤١

٨٠ - ينظر: مغني اللبيب من كتب الاعراب: ١٣/٢

٨١ - القصائد السبع العلويات: ٣١

٨٢ - ينظر: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة: ١٥٣/٣

٨٣ - القصائد السبع العلويات: ٤٣

٨٤ - م: ن: ٤٤

تالله لا انسى الحسين وشلوه تحت السنابك^(٨٥) بالعرء موزع

إذ عمد الشاعر الى استعمال (تالله) دوناً عن ادوات القسم الأخرى لما يحتويه هذا اللفظ من صعوبة في النطق فيتلائم من ذلك مع المعنى المراد من البيت، فالواقعة أليمة ليس لها مثيل، لذلك استعمل أندر حروف القسم استعمالاً واصعبها نُطقاً، قال ابن هشام^(٨٦): "وتختص التاء بالتعجب وبأسم الله تعالى - وربما قالوا تربي وترب الكعبة وتالرحمن"، وقد يطول القسم عنده ليشمل عدة أبيات كما في قوله: (٨٧)

حلفت برب القعضبية والقنا وبالساجات السابقات كأنها
المثقف والبيض الرقاق البواتر من الناشرات الفارقات الاعاصر

ففي النص تكرر القسم ب (حلفت) بعد حذف لفظه لدلالة ما سبق عليه وكأنه قال حلفت بالقنا المثقف، وحلفت بالبيض الرقاق، وحلفت بالساجات، فأبقى المقسوم به وحذف لفظ القسم، وما كان ذلك الا لتأكيد المعنى فضلاً عما فيه من التشويق للمتلقي، من ذلك أفرد له البيتين نحو قوله: (٨٨)

لقد فاز عبداً للوصي ولاؤه إن شابه بالموبقات الكبائر
حاب معاديه ولو حلفت به قوادم فتخاء الجناحين كاسر

بنى الشاعر نتيجة قسمه على بنية تركيبية على اساس المفارقة ما بين الفوز والخيبة لغرض التأثير في المتلقي عن طريق خلق فجوة توترية بين الشيء ونقيضه.

٢- المقومات البنائية

أ- التقديم والتأخير

يمثل التقديم والتأخير واحداً من أبرز مظاهر العدول في التركيب اللغوي، وهو يحقق غرضاً نفسياً ودلالياً، كما يقوم بوظيفة جمالية بوصفه ملمحاً اسلوبياً خاصاً، وقد اعتمد الشاعر على هذا الملمح لغرض تعميق بعض المعاني كقوله: (٨٩)

جوادٌ علا ظهر الجواد واخشبٌ تزلزل من في النزال الاخاشيب

٨٥ - السنك هوطرف الحافر جانبا من قدمينظر: لسان العرب، مادة سنك: ٧/٢٦٩

٨٦ - مغني اللبيب من كتب الاعراب: ١/١٢٣

٨٧ - القصائد السبع العلويات: ٣٢

٨٨ - م: ن: ٣٢

٨٩ - القصائد السبع العلويات: ٥

أقام الشاعر نصه الشعري على مجموع من الجناسات وعلى مستوى من الأهمية والتوافق، إذ قدّم الشاعر جواً وهو الفاعل على الفعل (علا) والاصل في الكلام (علا جواً ظهر الجواد) وما كان ذلك الا لغرض الاهمية والاختصاص بما يُوجب له ذلك ولو أُرْخِرَ لَمَّا تَغَيَّرَ المعنى^(٩٠)، فالشاعر اظهر اهتمامه و عنايته بـ (جواد) عن ما يتصف به الامام علي عليه السلام من كرم وشجاعة مُقدِّماً إياه لانه الأهم في المعنى كله فاراد من القارئ العناية به والتعويل عليه لذلك جعله اول البيت، ولم يكتفِ الشاعر في ذلك وإنما نجده وفي موضعٍ اخر مُقدِّماً المفعول على الفاعل نحو قوله: (٩١)

يَمِجْ مَنْوَنًا سَيْفَهُ وَسِنَانَهُ وَيَلْهَبُ نَارًا غَمْدَهُ وَالْأَنْبَابِ

اذ قدّم (منوناً) المفعول به وأخر (سيفه) الفاعل، والاصل في الكلام (يَمِجْ سيفه منوناً) وما كان ذلك إلا لتأكيد المعنى، فالمنون هو مصير كل من يلاقي ذلك السيف وهذا بمثابة تهديد ووعيد لكي يتركوا تلك المنازلة الخاسرة، فالتقديم دخل في صُلب الصورة ليزيدها مواءمة لما بعدها، كما وقام بتقديم الجار والمجرور على الجملة الفعلية في قوله: (٩٢)

مَنْ أَجَلُهُ خُلِقَ الزَّمَانُ وَضُوئَتْ شَهَبٌ كَنْسَنَ وَجَنَّ لَيْلٌ أَدْرَعُ

إذ قدّم الشاعر (من اجله) على الجملة الفعلية المبنية للمجهول (خُلِقَ الزمان) والاصل (خُلِقَ الزمان من اجله) قاصداً الشاعر في ذلك الاختصاص والاهمية، فالباري عز وجل خلق الزمان كله من اجل الامام عليه السلام مُقدِّماً إياه جاعلاً فكرة البيت كلها عليه ومن اجله، ولعل ذلك يأتي من باب اشعار المتلقي بأهمية المُقدِّم، إذ إن المُقدِّم لفظٌ يحمل في تضاعيفه غرض القصيدة ككل، وقد يُقدِّم الجار والمجرور على المبتدأ كما في قوله: (٩٣)

فِيكَ ابْنِ عِمْرَانَ الْكَلِيمِ وَبَعْدَهُ عَيْسَى يُقْفِيهِ وَأَحْمَدُ يَتْبَعُ

فالشاعر قدّم الجار والمجرور على المبتدأ للغرض ذاته وتأكيداً لما أشار اليه موضع الشاهد بقوله (فيك) لأهمية من دُفِنَ في ذلك المكان، إذ " للكلمة قدرة ذاتية على الدلالة"^(٩٤) وهذا ما تمّ التأكيد عليه بما ورد من تتابعٍ للشخصيات، فأيراد أسماء الأنبياء ربما يكون مراعاةً لنظم الكلام على رُغم ما ورد من

٩٠ - ينظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ٢١٠/٢

٩١ - القصائد السبع العلويات: ٥

٩٢ - م: ن: ٤٣

٩٣ - م: ن: ٤٢

٩٤ - التركيب اللغوي للاديب في فلسفة اللغة والاستطيقا)، د. لطفی عبد البديع: ٦٥

التقديم في أول البيت فقد " يكون نظمه لا يحسن الا بالتقديم واذا أخر ذهب ذلك الحُسن " (٩٥) من ذلك صار التقديم والتأخير أكثر تمييزاً في التعبير والتأثير و التماسك النصي أيضاً.

ب/ الفصل والوصل

هو كل نص متكون من وحدة بنائية كبيرة تنقسم على وحدات جزئية او متواليات كونه يتكون من " جمل او متتاليات متعاقبة خطياً، ولكي تدرك بوصفها وحدة متماسكة تحتاج إلى عناصر رابطة متنوعة تصل بين اجزاء النص " (٩٦) وقد عمد ابن أبي الحديد إلى ربط الابيات فيما بينها عبر أدوات مختلفة ومنها الواو، إذ تباينت في معانيها ووظائفها بحسب استعمالاتها بالاتباع والاشترك، فالواو جاءت لمطلق الجمع في قوله: (٩٧)

الدهر طوغُ والشيبية غضةٌ والسيف عضب والفؤاد مشبع

ففي البيت الشعري ورد حرف العطف (الواو) في ثلاثة مواضع وقد جمع الشاعر من خلاله بين معانٍ مختلفة من ذلك جاء به كونه يأتي لمطلق الجمع، لأن الواو في أول الكلام لا تُستعمل في العرف اللغوي، من هنا فهي ليست إستثنائية أو ابتدائية، لأن مثل هذه الواو تأتي بعد الكلام الذي يتحدد بعده الكلام (٩٨)، وقد يأتي به للجمع بين بيتين كقوله: (٩٩)

صلى عليك الله من متسريل (١٠٠) قمصاً بهن سواك لا يتسريل وجزاك خيراً عن نبيك انه الفاك ناصرهُ الذي لا يخذل

ففي الشطر الاول كانت دعوة الشاعر للإمام واضحة إلا انه لم يُكمل فكرته في الدعاء له لذلك ربط البيتين بالعطف لإتمام المعنى والدعاء له بالخير والجزاء.

وقد يعمد الى ربط مجموعة أبيات بالرابط ذاته كونها اشتركت بموضوع واحد، كما واستعمل (الفاء) مُستثمراً إياها في افادة التعمُّب كما في قوله: (١٠١)

الم تخبر الاخبار في فتح خيرٍ ففيها لذي اللب الملب اعاجيب

٩٥ - المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ٢١٨/٢

٩٦ - لسانيات النص-مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد الخطابي: ٢٣

٩٧ - القصائد السبع العلويات: ٤٥

٩٨ - ينظر: البلاغة العربية دراسة فنية في الاسلوب، شفيع السيد: ١٢٤

٩٩ - القصائد السبع العلويات: ٥٦

١٠٠ - السريال هو القميص، وكل ما لبس فهو سريال، وكفى به عن الخلافة ويُجمع على سرايلينظر: لسان العرب، مادة

(سريال): (١٦٢/٧)

١٠١ - القصائد السبع العلويات: ٣

فالشاعر جاء بالفاء لأن المعنى الذي أراده يفيد الترتيب والتعاقب، فإخبار الشاعر المتكلم عن ذلك الفتح وبين فهمها واستنتاج ما ترتب عليها يتلأَم مع معنى الفاء دون الواو، وقد يلجأ الشاعر في بعض المواضع إلى حذف حرف العطف ووصل الكلام مع الإبقاء على إمكانية استدعائه من حيث المعنى كما في قوله: (١٠٢)

الزاهد الورع النقي العالم الحبير النـدس

فالوصل الوارد عن الشاعر ما كان إلا رداً سريعاً على من شكك بصفات ممدوحه أو أنها تعبير عن تراحم هذه الصفات في نفسه فاراد اظهارها بسرعة من دون اهتمام بحرف العطف، من ذلك كانت ادوات الربط بوجودها او عدمه مع امكانية استدعائه رابطاً مهماً جمعت أبيات النص بلحمة تركيبية مميزة، وقد يعتمد الى فصل الكلام عن بعضه لاغراضٍ دلالية معينة كقوله: (١٠٣)

لتنظر ما لاقى الحسين وما جنت عليه العدى من مفضعات الجرائر

فقد قطع الشاعر الكلام في قوله (ما لاقى) ولم يكمل بـ (مفضعات الجرائر) إذ قطع الكلام بـ (ما جنت عليه العدى) لإيصال الفكرة تامة للمتلقي بأن الامام الحسين عليه السلام قد جُني عليه قبل أن يُشَرِّع بسرد الحادثة التي وقعت، فكان لهذا القطع مسوِّغٌ دلالي أراد الشاعر من خلاله لفت انتباه من توجه اليهم بالخطاب لِمَا حصل في تلك الواقعة، كما ونجد سمة القطع في قوله: (١٠٤)

واسوِّف تربك صاغراً وأذل في تلك الربى وأنا الجليد فاخنع

فعندما وصل الى لفظة (اذل) قطعها بشبه الجملة (في تلك الربى) ليُعطي دلالة مكانية، ثم اكمل قوله (وانا الجليد فاخنع) إشعاراً للمكان الذي سوف يخنُغ فيه الشاعر مع انه جليد، فكان لقطعه مسوِّغٌ دلالي ذا ابعاد ايجائية تشير إلى منزلة ذلك المكان في نفس الشاعر ونفوس الشيعة.

ج/ الالتفات

هو من الأساليب البلاغية التي تجعل النص أكثر حيوية قصد دفع الملل والرتابة وإيراد أكثر من اسلوب في ذات السياق كمظهر من مظاهر الابداع (١٠٥) التي اعتمدها الشاعر في نصوصه بُغية التأثير في متلقيه ومما ورد له في ذلك قوله: (١٠٦)

١٠٢ - القصائد السبع العلويات: ٢٨

١٠٣ - م.ن: ٣٣

١٠٤ - م.ن: ٤١

١٠٥ - ينظر: مفتاح العلوم، السكاكي: ٢٩٦/١

١٠٦ - القصائد السبع العلويات: ١٧

وردت حينياً والمنايا شواخصاً

فذللت من أركانها ما توعدوا

فالانتقالات المتلاحقة والصورة المنتظمة ما بين الافعال قد أضفت إلى النص صورة جمالية ورونق فبقوله (وردت حينياً) هي جملة فعلية ابتداءً بها الشاعر البيت مُصرّحاً عمّا في نفسه بعد ذلك عدل إلى جملة اسمية وقوله (المنايا شواخص) لتبين واقع حاله ممّا شخّص من المنايا إلا أنه سرعان ما عاود إلى الجملة الفعلية (ذللت) تصرّحاً منه في تجاوز جميع العقبات، وقد ينتقل ما بين الضمائر كقوله: (١٠٧)

وخلت مديحي انه فيك تشبيب

ظننتُ مديحي في سواك هجاءه

فالانتقال ما بين الضمائر في البيت الشعري الواحد يرسم صوراً متنوعة تتفق من حيث الفكرة وتختلف من حيث الاداء، فبقوله (ظننت) هو تصرّيحٌ بضمير المتكلم بعد ذلك انتقل إلى ضمير الخطاب بقوله (سواك) ولعلّ فكرة الشاعر عائمة عند هذا الحد فقد وجدناه مُنتقلاً إلى ضمير الغيبة بقوله (هجاءه) باعثاً روح التجديد في النص الشعري فضلاً عن روح المعنى وما قصد في ايصاله ومثله قوله: (١٠٨)

وفي الخشبا منه قيس

في كفه قيس المدام

لوعتي لما نعتس

وسدته كفي فنيه

فتنقل الشاعر ما بين ضمائر الغيبة والمتكلم و بشكل انسيابي أفاد النص وأضاف عليه صفة التأثير، فالكلام هو فعلٌ مؤثر في توجيه المتلقي واقناعه، بينما توجيه الخطاب إلى الغيبة يترك أثراً نفسياً مؤثراً في توليد المعنى، نخلص من ذلك أن الشاعر أحسن في اختيار تراكيب قصائده كما وأحسن في إيرادها، فغاياته إنتاج نص مُتعدد المواقف والايحاءات قاصداً من ذلك التصريح وبيان الغاية التي من اجلها نظّم تلك القصائد، وهي ابراز صفات الامام علي عليه السلام بكل اشكالها ومواصفاتها.

الخاتمة

بعد دراسة اللغة الشعرية للقصائد السبع العلويات السبع توصل البحث إلى جملة من النتائج هي:

- ١ - قصائد السبع العلويات هي ترجمة حية لسيرة إمام المتقين علي عليه السلام استطاع من خلالها المزج بين قوة المعاني العقدية والعقائدية (المعتزلة) وشجاعة ممدوحه.
- ٢ - كان الشاعر موفقاً في رسم الصور الموحية والمؤثرة عن نفس صادقة نابعة عن إيمان حقيقي بكل ما ورد من أحداث ووقائع.

- ٣- أسهمت الالفاظ في تزيين الصورة الشعرية خدمةً في إيراد الحدث الشعري فضلاً عما لها من الدور في رسم أبعاد شخص الممدوح بكل حرفية مما يعكس ذلك مستوى التوافق بين ما ورد من الالفاظ وما وُجد من المعاني.
- ٤- كثرة الالفاظ البدوية لدى الشاعر مما يدل على تأصيل روح البداوة لديه فضلاً عن رغبته والثورة على كل ماهو فاسد في الحكم محاولاً في ذلك الرجوع إلى أيام البادية النقية البسيطة.
- ٥- تميزت لغته بالجزالة والقوة فانطعت بطابع حماسي حربي، كما ومثلت الفاظ العقيدة المذهبية والفاظ الحب في آل البيت ﷺ أبرز أنواع الصدق الفني في النصوص.
- ٦- لقد تنوعت تراكيب النصوص عند الشاعر مُلتزماً أسلوب الجملة الفعلية أكثر من الاسمية كونه يصف معارك حربية ذات طابع حركي.
- ٧- تمكن الشاعر من استثمار أساليب الخطاب من استفهام ونداء خدمةً للغرض الرئيس فضلاً عن توظيف فنون البيان على وفق فلسفة إسلامية تنسجم وطبيعة الممدوح.
- ٨- عمد الشاعر إلى مجموعة من المقومات البنائية التي كان من شأنها اضافة مسحة جمالية على سياقاتها قصداً في اظهار صفات ممدوحه الامام علي ﷺ راسماً أبعاد الواقع بما فيه من الصور والاشكال.
- ٩- حرص الشاعر في إيراد اساليب التوكيد من قسم والتفات قصد تقوية المعنى، فضلاً عن إلتزام الموروث القرآني بما جاء به من المعاني والاقباسات القرآنية، كجزء مهم في تتبع واقع المجتمع والرد الحازم لكل من يُعارضه فكراً وعقائدياً من معادين ومناوئين.
- ١٠- التزام البحور المفتوحة بحري الكامل والطويل، ولعلها الأقرب لأن تنسجم مع طبيعة ما جاء به ابن أبي الحديد من لغة القصائد السبع وما تميزت به من جودة.

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: الكتب

١. أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، أبو الوليد محمد بن عبد الله الأزرقى (ت ٢٥٠هـ)، تح رشدي الصالح ملحس، دار الاندلس، بيروت، ط ٣، ١٤٠٣، ١٩٨٣م.
٢. أسلوب الطلب في القرآن الكريم-دراسة نحوية دلالية، عبد الرحمن مضوي عبد الرحيم الهادي، جامعة القرآن الكريم والعلوم الاسلامية، ٢٠١٣م.
٣. اليات السرد في الشعر العربي المعاصر، د.عبد الناصر هلال، مركز الحضارة العربية، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٦م.
٤. البداية والنهاية، اسماعيل بن عمر ابن كثير، تح علي شيري، بيروت، دار أحياء التراث العربي، (د.ت)
٥. البلاغة العربية -دراسة فنية في الاسلوب، شفيح السيد، دار النصر للتوزيع والنشر، مصر، ١٩٩٨م.
٦. البلاغة والتطبيق، د.أحمد مطلوب-د.كامل حسن البصير، وزارة التليم العالي والبحث العلمي، ط ٢، ١٩٩٠م.
٧. البيان والتبيين، ابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تح عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٠م.
٨. البنية السردية في النص الشعري، محمد زيدان، سلسلة كتابات نقدية، ١٤٩٤، الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة، مصر، ٢٠٠٤م.
٩. تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥م
١٠. تحليل الخطاب الروائي (الزمن -السرد -التبئير)، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي للطباعة، بيروت- الدار البيضاء، ط ٤، ٢٠٠٥م.
١١. التركيب اللغوي للأدب (بحث في فلسفة اللغة والاستطيقا)، د.لطفى عبد البديع، د.ط، دار المريخ للنشر، الرياض، ١٤٠٩-١٨٩م.

١٢. جماليات الظواهر الاسلوبية في القصائد السبع العلويات لابن ابي الحديد (المستوى البياني نموذجاً)، م.م. حكيمة اكبري، مجلة كلية الفقه، جامعة الكوفة، ٤٦٤، ٢م، السنة التاسعة عشرة، ٢٠٢٤م.
١٣. التعريفات، أبو الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني (١٦هـ)، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، (د.ت)
١٤. دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، د.علي الوردي، دار دجلة والفرات، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١١م.
١٥. سطوة المكان وشعرية القص في رواية ذاكرة الجسد (دراسة في تقنيات السرد)، د.الأخضر بن السايح، عالم الكتب، إربد، الاردن، ٢٠١١م.
١٦. شرح ابن عقيل، قاضي القضاة بهاء الدين بن عقيل الهمداني المصري (٦٩٨هـ)، محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ط١٤، ١٩٦٥م.
١٧. شعر العقيدة في عصر صدر الاسلام حتى سنة ٣٢هـ، أيهم عباس حمودي القيسي، مكتبة النهضة العربية، عالم الكتب، ط١، ١٩٨٦م.
١٨. صورة الامام علي ٧ في شعر ابن ابي الحديد المتزلي (القصائد السبع العلويات) انموذجاً، م.د. أركان رحيم جبر-م.دجعفر فرحان عذيب، مجلة العميد، ٧م، ٢٨٤، كانون الاول، ٢٠١٨م.
١٩. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم وحقائق الاعجاز، يحيى بن حمزة العلوي (٧٤٥هـ)، القاهرة، ١٩١٤م.
٢٠. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابو الحسن بن رشيق القيرواني الازدي (٤٥٦هـ)، تح محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط٤، ١٩٧٢م.
٢١. عيار الشعر، ابن طباطبا العلوي (٣٢٨هـ)، تح طه الحاجري-محمد زغلول سلام، القاهرة، مصر، ١٩٥٦م.
٢٢. فاعلية العلاقات الدلالية في انسجام القصائد السبع العلويات لابن ابي الحديد المعتزلي (ت ٥٥٦) القصيدة السينية اختياراً، رؤيا كمال-سمية حسنعليان، مجلة دواة، م١٠، ٣٩٤، رجب-شباط، ٢٠٢٤م.
٢٣. فقه اللغة العربية وخصائصها، د.اميل بديع يعقوب، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٢م.
٢٤. الفن ومذاهبه في الشعر العربي، د.شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط١٣، ٢٠٠٤م.

٢٥. في النقد الادبي الحديث-منطلقات وتطبيقات، د.فائق مصطفى-د.عبد الرضا علي، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ط٢، ٢٠٠٠م.
٢٦. القصائد السبع العلويات، عبد الحميد بن أبي الحديد المعتزلي، شر العلامة السيد محمد صاحب المدارك، دار الفكر، بيروت، ١٣٧٤هـ-١٩٥٥م.
٢٧. الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن محمد عز الدين ابن الاثير، دار الكتاب العربي، ١٤١٧-١٩٩٧م.
٢٨. لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الانصاري، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٣م.
٢٩. لسانيات النص- مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد الخطابي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، (د.ت)
٣٠. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابو الفتح ضياء الدين بن الاثير (ت٦٣٧هـ)، تح أحمد الحوفي-د. بدوي طبانة، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٦٠م.
٣١. مغني اللبيب عن كتب الاعراب، ابن هشام الانصاري، تح محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني، القاهرة، (د.ت).
٣٢. مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن محمد السكاكي، تح عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية، (د.ت)
٣٣. المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، د.جواد علي، دار الساقى، ط٤، ٢٠٠١م.
٣٤. وظيفة الناقد الادبي بين القديم والحديث، د.سامي منير عامر، منشأة المعارف، مصر، الاسكندرية، (د.ت).

القسم الانكليزي